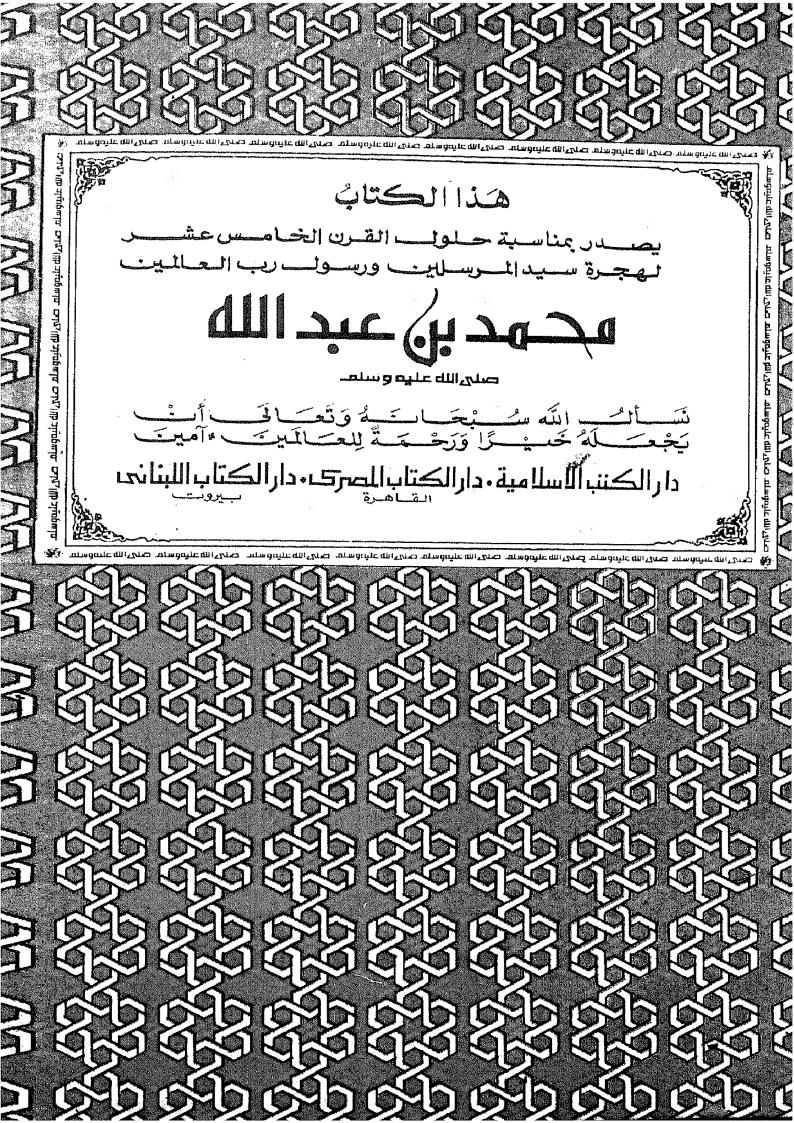
العَالِمَ العَالِمُ الْمُ اللّهِ النصرانية في عَصِرتبي أمية في عَصِرتبي أمية ومُ لُوك الطوائف ومُ لُوك الطوائف

سأليهن الدكتوررجب على عبد الحليم معهد البحوث والدراسات الافريقية جامعة القاهرة

السنساشسروين

دارالكتب الاسلامية دارالكتاب للصرف دارالكتاب اللبنانس



العَالِمَ العَالِمُ الْمُ اللّهِ النصرانية في عَصِرتبي أمية في عَصِرتبي أمية ومُ لُوك الطوائف ومُ لُوك الطوائف

سأليهن الدكتوررجب على عبد الحليم معهد البحوث والدراسات الافريقية جامعة القاهرة

السنساشسروين

دارالكتب الاسلامية دارالكتاب للصرف دارالكتاب اللبنانس

جييع حقوق الطبع وإلنشر معفوهاة للناشس

دارالكتا بالعرك

۲۷ شاری قصر السیک سرس ۱۵۹ می ۱۵۹ شاه ۱۵۹ شاه ۱۵۹ شاه ۱۵۹ می ۱

TELEX: 21581

ATT:134 KTMCAIRO

دارالكتاب اللبنائم

(الماسات) ليقب - ٢١٧٦ ب ربة ٣٤٩٣٧ - ٢٤٩٠٥٥ سيميت TELEX: K.T.L 22865 LE BEIRUT

بستسم سدالرحمن الرحيم

أصبحت دراسة العلاقات بمعناها الواسسع ، سسياسية كانت أم اقتصادبة أم ثقسانية ، بين دولة وأخرى ، لها أهمية كبرى في معرفة قوة الشعوب والأمم ، وفي مدى الازدهار أو البوار الذي تتصف به دولة أو أخرى ، كما أنها دليل على صلاح أداة الحكم أو فسادها ، ومؤشر يضع بدنا على سلامة الخط السياسي ووحدة الجبهة الداخلية أو انقسامها ، وعلى الباحث في هذا المبدان أن يغوص في أعمساق المجنمات وفيما يشكل حياتها من نظم سياسية واقتصادية وغيرها ، بل ربما يدرس البيئة الطبيعبة والجغرافية ، كي ينعرف على طبيعة العلاقات بين الأمم والشعوب ويصل الى العلل التي تؤدى الى الغلبة والانتصار أو الى الهزيمة والدمار ويضع يده على الأسباب التي تؤدى الى انتصار حضارة أو اندسار قريض ، ولمساذا كان هناك سلم أو صراع في فترة معينة ، ولا يكتفى في ذلك كله بالسرد التاريخي للاحداث والوقائع ، والا ضاع جهده هباء منثورا .

من هنا بنبع اهمية دراسة العلاقات بين الأندلس الاسلامية واسبانيا النصرانية ، فهى تضع يدنا على مفاتيح القوة والضعف في هاتين الدولتين وهى في ذلك كالمرآة ، نرى فيها مجنمعات شببه الجزيرة على حقيقتها ومدى ما كان فيها من وحدة وتفرق ، وفضائل ونقائص ، وعدالة أو ظلم وغنى أو فقر ورقى الحياة أو انحطاطها ، لأن ذلك كله ينعكس على علاقات دول شبه الجزيرة الايبيرية مع بعضها البعض ، سواء في المبدان السياسي أم في ميدان الحضارة ، لاسبها وأن هذه العلاقيات مرت بثلاثة عصور

مختلفة متهايزة : عصر الامارة الأموية ، وعصر الخلافة الأموية ، وعصر ممالك الطوائف . وكل عصر من هذه العصور ، له نظمه السياسية ومظاهره الحضارية التي تمبزه عن غيره من العصور .

ودراستنا للعلاقة بين المالك الاسلامية والنصرانية في اسبانيا في هذه العصور ، ما هي الا محساولة للوقوف على مظاهر الاحتكاك ونتائجه بين هذه المالك ، سواء كان هذا الاحتكاك سياسيا ام عسكريا ام حضاريا وتاريخ الاسلام ، في هذه البلاد يظهره ذلك الاحتكاك الذي نشب بينه وبين النصرانية ، والذي نسميه عادة بالعلاقات ، منذ ظهرت دعوة الاسلام وحتى العصر الحديث ، ومن هنا ببرز أهمية دراسة العلاقات بين الاسلام والنصرانية على ارض شبه الجزيرة ، اذ كانت تلك الارض ميدانا رحبا ، والنصرانية على ارض شبه الجزيرة ، اذ كانت تلك الارض ميدانا رحبا ، تصارعت فيه العقيدتان وجها لوجه مدة أربعة قرون متصلة ، تبادلا في موقعة الزلاقة عام ٤٧٩ هـ/ ١٠٨٦ م .

وليس معنى ذلك أن الصراع قد توقف وأنها استهر عدة قرون أخرى كتب في نهايتها النصر النصرانية ، وتم أخراج المسلمين من الاندلس ، ولكننا نقصر حديثنا الآن على غترة الصراع الأولى التى استمرت حتى التربت نهاية القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى ، خاصة وأنه لم يعن أحد حتى الآن بابراز العالاتات بين مسلمى الأندلس ونصارى الأسبان أو قام بدراستها في تلك الفترة ، وذلك لغبوض كثير من جوانبها السباسية ولصعوبة الخوض في دراسة تأثيراتها الحضارية المتبادلة بين الجانبين ، أذ أن القوى السياسية وخاصة النمرانية ، لم تتشكل كلها وقت واحد ، ولم تأخذ شكلها النهائى الا بعد عصور عديدة ، وكانت واحدة في الشمال الأسباني هي دولة جليقية واشتريس ، وفي عصر واحدة في الشمال الأسباني هي دولة جليقية واشتريس ، وفي عصر الامارة الأموية ، كانت هناك دولة جليقية ودولة نبرة (نافار) ، وفي عصر الضلافة صارت ثلاثا ، هي جليقية التي تسمت باسم ليون ، ونبرة وتشائلة ، وفي عصر مسالك

الطوائف صارت أربعا ، هى الدول السابقة مضافا اليها دولة جديدة هى دولة أرغونة . هذا بخلاف أمارة برشلونه التى كانت تتبع ملوك الفرنجة في فرنسا .

وبالمثل ، كانت القوى السياسبة فى الأندلس الاسلامية تتشكل وتتهارز من عصر لآخر ، فهى فى عصر الولاة ، غيرها فى عصر بنى أهية ، غيرها فى عصر ملوك الطوائف . فكل عصر له سماته الواضحة ، سواء فى انظمه الحكم ، أو فى اسلوب الحياة كها اشرنا من قبل . ومع هذا فقد عكفنا على البحث والدراسة لابراز العلاقة السياسية بين مسلمى الأندلس ونصارى الأسبان ، منذ أن وطىء المسلمون أرض شبه الجزيرة وحتى نهاية القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى ، فأزلنا عنها غموضها ، وجمعنا شتاتها ، وحالنا دوافعها وعرفنا نتائجها ، بعد أن عرضنا لمظاهرها السياسية والعسكرية والحضارية .

وقد اعتنى بعض المؤرخين القدامى بالحديث عن الجانب السياسى والعسكرى من تلك العلقات ، وغفل معظمهم عن أن الحياة هناك لم تكن كلها حربا متصلة ، ولم تكن الايام كلها معارك بين شعبين اختلطا اشد اختلاط ، ولم تكن العلقات بينهما تقتصر على مجرد خروح الجيوش سواء من هذا الجانب أو ذاك ، للاغارة على الجانب الآخر ، بل كانت هناك مظاهر ودلائل لقيام علاقات سلمية بين الطرفين ، لكنها لم تبرز على السطح ولم تعط حقها من الاهمية والبحث ، بسبب تركيز المؤرخين القدامى على العلاقات الحربية ، وعدم التقاتهم الى غيرها من العلاقات السلمية أو الحضارية ، والتى تتمسل في التأثيرات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية بين شعبين كانا في الاصل شعبا واحدا ، وبين دولتين تسكنان على ارض واحدة هى ارض اسبانيا .

ذلك أن دوام التداخل بين شعوب شبه الجزيرة حقيقة لا يمكن الكسارها ، فالأسباني المسلم لم يكن شخصا اجنبيا أو مختلفا عن الأسباني المسيحي ، فقد غدا له صهرا ونسيبا ، أو جارا تتمسل حياته بحيساته

ان سلما أو حربا . وكانت الامارات أو الممالك النصرانية في الشمال ، تضم أعدادا من المسلمين منذ وقت مبكر ، وكانت الممالك الاسلامية في الأندلس تضم أيضا بين رعاباها نسبة عالية جدا من المسيحبين . هذا بالاضافة الى أن الحدود بين الممالك الاسلامية والممالك النصرانية في شبه الجزيرة ، لم تكن حدودا نابتة أو جامدة أو مقفلة ، لانها لم تكن حدودا طبيعة وقد تبادل المسلمون والنصارى حكم كثير من المدن والاقاليم ، خاصة تلك التى تقع بين الطرفين والتى تسمى بالنفور ، وأدى ذلك الى احتكاك منصل ومستمر بين الاندلس الاسلامية وأسبانيا النصرانية .

هذا الاحتكاك ببن المسلمين والمسيحيين في أسبانيا سواء كان اثناء الحروب أم أثناء فنرات السلم ، وما أكثرها وأطولها ، كان له تأثيره على الطرفين في مجال الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية . وكانت الأندلس أشد تأثيرا ، لانها كانت صاحبة الحضارة الاقوى ، ومن هنا كان لها تأنيرها الشديد على المالك النصرانية في الشمال الاسباني . وعن هذا الطريق امتدت تلك الحضارة التي جنوب فرنسا والى كثير من الحساء أوروبا ، ومن هنا كان لدراسة العلاقات بين الأندلس الاسلمية وأسبانيا النصرانية اهمية كبرى من تلك الزاوية .

وتبدأ العلاقات السياسية والحضارية بين الدولتين بعد تمسام الفتح بفترة وجيزة ، ذلك أن المسلمين كانوا قد تركوا الركن الشمالى الفربى من شبه الجزيرة دون فتح ، استصغارا لشائه ، ونظرا لبرودته الشديدة، ولطبيعته الصخرية القاحلة ، وفي هذه المنطقة ظهر نبيل قبطى يدعى بلاى ، استطاع هذا النبيل أن يستثير أهل القليمه المسمى اشتريس Asturios الواقع شمالى جليقية ، ويقيم هناك أول مملكة نامرانية ، هى مملكة جليقية وأشتريس ، منذ بداية القرن الثانى الهجرى / الثامن الميلادى .

ولم تعدد اسبانيا منذ ذلك التداريخ قطرا اسلاما خالصا ، وانقسمت الى دولة مسيحية في أقصى الشمال ، ودولة اسلامية في باقى شبه الجزيرة ، وسوف تسير كل منهما في طريقها ، وسوف يستمر الصراع بينهما النساء فنرة الحكم الأموى ، وفي فترة حكم ملوك الطوائف ، وكانت

الفابة في هذا الصراع للمسلمين ايام الأمويين ، ولنصارى الشمال ايام ملوك الطوائف ، ثم عادت الفلبة مرة ثانبة للمسلمين في نهاية عصر الملوائف على بد المرابطين ، عنب موقعة الزلاقة عام ٤٧٩ ه / ١٠٨٦ م

وقد قسمنا هذا البحث الى مقدمه ناربخية واربعة أبواب ، تحدثنا في المقدمة عن أحوال الاندلس الاسلامية في عصر الولاة (٥٥ – ١٣٨ ه) وعن المعوامل التي أدت الى قيام المقاومة النصرانية ، ممثلة في مملكة جلبقية واثبتريس ، والى انتهارها فرصة الصراع القبلي في الأندلس الاسلامية ، فقامت بالنوسع جنوبا وطردت المسلمين الموجودين في أطراف جليقية ، وحازت ما يقرب من ربع شبه الجزيرة ، وأصبحت حجر الزاوية للمقاومة النصرانية التي نمت وازدادت فيما يلى ذلك من عصور ،

وتحدثنا في الباب الاول ، عن الملاقسات السياسية بين الأندلس الاسلامية واسبانيا النصرانية في عصر امراء بني امية (١٣٨ – ٣١٦ ه) ووضحنا سمان هذا العصر ، وسنسا عوامل القوة والضعف التي شكلت العسلاقات بين الدولدين في ملك المنره ، سواء كانت تلك العوامل تتعلق بنظم الحكم ام بناروه طبيعيه وجغرافية وبشرية ، ام باسباب دينية او اجتماعية او اقتصاديه ، نم بناولنا تلك العلاقات ، ووضحنا طبيعتها واهدافيا ، وما ثار من معارك وسراع ، وما كان من سلام ومصالحة بين هذين النسعيين اللذين يعيشان على ارش واحدة .

وكانت النتيحه أن أمراء بنى أمية استطاعوا أن يسدوا هجوم نصارى الأسبان ، وأن يوتفوا توسعهم ، وأن يردوهم على اعقابهم كلما حاولوا المعدوان ، وأسنمرت الحدود ثابتة بينهما ، ولم يخسر مسلمو الأندلس شيئا ذا بال الا في أواخر عدم الامارة ، حيث نسعفت نلك البلاد ، لمسالما من شتت وتمرى وحروب أهلية .

و فعلنا نفس الشيء في و الباب الثاني و وتحسد ثنا فيه عن العلاقات السباسية بين الأندلس الاسلامية واسبانيا النصرانية في عصر الخلافة ، وكانت القوى السياسية قد اخذت شكلها للنهائي في ذلك العصر ، وأصبح

الشمال النصرانى يضم الاقسام السياسية التى عاشت بعد ذلك واستمرت حتى نهاية القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى . كما ظهرت الخلافة الأموية في الأندلس الاسلامية منذ عام ٣١٦ ه ، واستمرت أكثر من قرن ، ونقلت نلك البلاد الى عصر جديد تسوده الوحدة والقوه طوال القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى ، ولذلك سادت وانتصرت على مهالك اسبانيا النصرانية المشتتة المتناحرة ، ثم هوت الضلافة الأموية بدءا من القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى ، وانقلب ميزان القوة لصالح نصارى الشمال ،

ومع ذلك غان عصر الخلافة يختلف تماما عما سبقه من عصور في شكله السياسي وفي مظاهره الحضارية ، وفي علاقاته السياسية والعسكرية وكانت الغلبة في معظمه للخلافة الأموية سواء في الميدان السياسي أو العسكري أم في الميدان الحضاري ، واصبح عبد الرحمن الناصر سيدا لشبه الجزيرة كلها ، مسلميها ونصاراها ، شمالها وجنوبها واتته وفود ممالك اسبانيا النصرانية خاضعة راكعة ، نطلب السلام وتمد يدها بالجزية وتبايع على الطاعة والاذعان .

وفي الباب الثالث ، تحدثنا عن العلاقات السياسية بين ممالك الطوائف وبين ممالك أسبانيا النصرانية ، ووضحنا سمات ذلك العصر ، وألقينا نظرة عامة على احوال ممالك الطوائف ، وبينا ما انتابها من ضعف سياسي واقتصادي ، وتناحر عسكرى وفساد اجتماعي ، وما كان لذلك من اثر على علاقاتها مع أسبانيا النصرانية ، كما القينا نظرة عامة على احوال نصارى الشمال الاسباني ، وبينا ما سادهم من وحدة داخلية تحت حكم اسرة آل شانجه الكبير ، وما نتج عن ذلك من ازدياد قوتهم وتفوتهم .

وقد بينا عوامل تلك القوة وذلك التفوق ، وختمنا بالحديث عن العالمة السياسية بين الدولتين في تلك الفترة ، ووضحنا ما اصطبغت به تلك العلاقات من صبغة صليبية ميزت هذا العصر عن غيره

بن المصور السالفة ، وأدت الى انقالاب ميزان القوة السياسية والمسكرية لصالح اسبانيا النصرانية ، حتى أنها أصبحت تتحكم في مصير شبه الجزيرة ، وأصبح ملوث الطوائف مجرد ولاة يجبون لهمم الضرائب ويدينون لهم بالطاعة .

وقد انحسر هذا المد الصليبي عقب فوز المسلمين على نصساري الأسسبان في موقعة الزلاقة عام ١٠٨٦ / ١٠٨٦ م بفضل جسهود المرابطين . لكننا لم نجعل موقعة الزلاقة ختاما للحديث عن العلاقات بين اسبانيا النصرانية وممالك الطوائف ، لأن نلك المسالك لم تسقط كلها في يد المرابطين دفعة واحدة ، أو في وقت واحد ، اذ احتفظ بعضها باستقلالها ، وكانت لها علاقاتها مع اسبانيا النصرانية حتى نها مواصلة القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، مما اقتضى منا مواصلة الحديث عن تلك الملاقات واستيفائها حتى سقوط تلك المسالك اما في يد المرابطين .

وفي الباب الرابع والأخير ، تحدثنا عن أهم التأثيرات الحضارية بين المهالك الاسلامية والنصرائية في الاندلس ، في عصر بنى أمية وملوك الطوائف . وفي هذا المحديث نقصينا العوامل التي جعلت هذه التأثيرات بين هذين الشعبين المتلاصقين ممكنة ، وأبرزنا الدوافع والأسباب التي هيأت الفرصة لحدوثها وتفاعلها . ولابد لهذه التأثيرات سواء كانت متبادلة أم من جانب واحد ، من قنوات تسلكها لكي تصل الى المطرف الآخر فعكفنا على البحث ، وأبرزنا تلك القنوات أو السبل التي سلكتها التيارات الحضارية بين الجانبين ، وتحدثنا عن مظاهرها سدواء في مهيدان الحياة الاجتماعية أم الاقتصادية .

وراينا أن الحضارة الاسلامية في الأندلس ، كان لها السبق والتفوق بحكم انها حضارة الدولة الغالبة ، والغالب يتبعه المغلوب بحكم العادة ، كسا أنها كانت حضارة متفوقة راقيسة ، صقلها الاسلام ، وهذبها اللسلمون ، ونثروا عليها من زهور علومهم ، واطايب غنهم ، وفاكهة

ادبهم ، حتى صارت تلك الحضارة هي النبراس الذي اضاء ظلمات اسبانيا النصرانية وغرب اوربا في تلك الفترة ، وهي النهر المتدفق الذي نهلت منه اوربا في بناء نهضتها الحديثة .

وبعد ، ارجو ان اكون قد وفقنى الله فيمسا ذهبت اليه فى هذا البحث ، ولا ادعى الكمسال فالكمال لله وحده ، وما أكون قد أصبته من توفيق فبفضل الله وبتوجيه أستاذى الجليل الدكتور أحمد السيد دراج ، استاذ التاريخ الاسلامى بجامعة القاهرة ، فله منى ولمن قدموا لى يسد المساعدة كل شكر وتقدير والله الموفق وهو المستعان .

رجب محمد عبد الحليم

بخث في أهم المصادر والمراجع

قبل أن نسترسل في الحديث عن العلاقات بين المالك الاسلامية والمسالك النصرانية في أسبانيا في عصرى بنى أمية وملوك الطوائف ، لابد أن نقول كلمة عن المسادر والمراجع التي أغادتنا في هدف الدراسة ، لأنها تبين مدى الجهد الذي بذلناه في جمع شتات هذا الموضوع الذي نتكرر أحداثه الآن بصورة أو بأخرى بين الاسلام والنصرانية أو بين الاسلام والشيوعية في بقاع كنيرة من عالم اليوم .

وفى هـذه الدراسة كان اعتمادنا على عدد كبير من المصادر العربية المخطوطة والمطبوعة . ونتنوع هذه المصادر بحيث تشمل كتب التاريخ والأدب والجغرافيا والطبقات والحسبة ، وكنبا تقصر الحديث على دولة معينة أو فترة زمنية محددة ، أو على فن من الفنون أو مهنة من المهن .

اما كتب التاريخ فعديدة . وكان اعتمادنا على ما كان منها معاصرا للاحداث او قريبا منها ، مثال ذلك نص عبد الملك بن حبيب (ت ٢٣٨ ه / ٢٥٨ م) ، الذى نشره الدكتور محمود على مكى بصحيفة معهد الدراسات الاسلامية بهدريد ، وهو من اقدم ما الفه العرب فى تاريخ الأندلس . وكان اعنمادنا عليه وعلى كتاب الامامة والسياسة ، المنسوب لابن قتيبة (ت ٢٧٦ ه / ٨٨٩ م) فى الحديث عن عصر الولاة الذى تضمنته المقدمة التاريخية للبحث .

ومن أشهر المؤرخين الذين عاشوا في القرن الرابع الهجرى / المعاشر الميلادى ، اثنان ، هما الرازى (ت ٢٤٤ ه / ٩٥٥ م) ، وابن القوطية (ت ٣٦٧ ه / ٩٧٧ م) . أما الرازى ، فكان له كتاب في أخبار ملوك الأندلس وغزوانهم ، وكتاب في أخبار عمر بن حفصون وابن مروان الجليقى وبنى قسى والتجيبييين وبنى الطويل ، وقد ضاعت هذه الكتب كلها ، ولم يبق منها الا ما المتبسه من أتى بعده من المؤرخين والكتاب،

امثال ابن حيان والعذرى وابن الكردبوس وابن عدارى وابن الأبار وغيرهم . وتعد كتاباته من أدق الكتابات عن أمراء بنى أمية وخلفائهم .

أما ابن القوطية ، فله كتاب (تاريخ افتتاح الأندلس) وهو يسرد اخبار الأندلس منذ الفتح حتى بداية القرن الرابع الهجرى ، ويمتاز هدذا الكتاب بمعلوماته القيمة عن العلاقات بين العرب وبين أهل البلاد وعن أوضاعهم الاقتصادية ، وعن علاقة بنى أمية بأمراء الثفور ونصارى الشمال .

ومن اشهر المؤرخين الذبن عاشوا في القرن الخامس الهجرى / الحادي عشر الميلادي ابن حيان ، والعذري وابن بلقين ، ويعتبر ابن حيان (ت ٢٩) ه / ١٠٧٩ م) شيخ المؤرخين الأندلسيين وعمدتهم ، نظرا لدقة كتاباته وموضوعيته الشديدة ، وقسد ضاع تاريخه المسمى المقتبس في أخبار الأندلس في الفترة الاخرة من عصر امارة ، ولحسن الحظ فقسد نقل عنه بعض المؤرخين وحفظوا لنا بعضا من هده الثروة التاريخية النادرة ، مثل ابن بسام وابن عذاري وابن الخطيب وابن خلدون والمقرئ وغيرهم ،

ويعتبر كتساب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار لأحمد بن عمر العذرى (ت ٧٨) ه / ١٠٨٥ م) الذى حققه الدكتور عبد العزيز الأهسواني ونشره في مجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، من أجود الكتب واحسنها في الحسديث عن الثغور الاسلامية ، وعن الاسرات التي استقلت بهسا وعلاقتها بقرطبة وبنصارى الشمال الأسباني ، لاسيما وأنه اعنهد في ذلك على أحمد بن موسى الرازى (ت ٤٤٣ ه / ٥٥٥م) وعلى ابنسه عيسى (ت ٢٧٣ه / ١٨٩ م) ، وأورد لنسا عددا كبيرا من غزوات المنصور ابن أبي عامر ، وساعدنا بذلك في القضاء على الشبك الذي ساور البعض في حقيقسة وعدد هسذه الغزوات التي زادت عن الخمسين .

أما مذكرات الأمير عبد الله بن بلقين آخر ماوك بنى زيرى أصحاب غرناطة ، والتى تعرف باسم « كتاب التبيان عن الحادثة الكائنة بغرناطة » ، غهو وثيقــة نادرة من أحــد ملوك عصر الطوائف ، ومن شاهد عيـان على أحداث عصره ، لاسيما وأنه شارك في هذه الأحداث وكان أحد أطرافها ، فحكى لنا قصة مملكة غرناطة ، وعلاقاتها مع نصارى الشمال الأسبانى ، وذلك في مجال الدفاع عن نفسه وعن علاقاته مسع عؤلاء النصارى ، وبلاحظ القارىء حيرته الشديدة بين الفونسو السادس ملك قشنالة وليون وبين يوسف بن تاشفين سلطان المرابطين وأمير المسلمين، وتردده في الولاء لهذا أو ذلك ، بم يقرر أخيرا التعاون مع الفونسو ، ويتصل به ويدفع له الجزية ، وقد أفدنا منه كثيرا في هذه الجالات .

ويأتى بعد هؤلاء ، مؤرخون لابقلون أهمية أو قدرا ، وأن كانوا متأخرين عمن سبقهم ، مثل ابن الكرديوس ، وأبن عذارى وأبن الخطيب وأبن خلدون . وأبن الكردبوس عاش فى نهاية القرن الخامس وبداية القسرن السادس الهجريين ، فلم ببعد كثيرا عن أحداث عصر ملوك الطوائف ، وله كناب هام يسمى الاكتفاء فى أخبار الخلفاء ، نشره الدكتور أحمد مختار العبادى بصحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد . وهو من الكتب النادرة التى لا يستغنى عنها من يكتب فى تاريخ خلفاء بنى أمية وملوك الطوائف ، رغم احتوائه على بعض الأخطاء التاريخية واللغوية . وقد صحح لنا هذا الكناب معلوماتنا عن عصر المنصور بن أبى عامر فيها بتعلق بعلاقاته بأسبانيا النصرانية وعرفنا لأول مرة أنه لم يكن انسانا مدمرا مخربا فى حروبه كما كان معروفا عنه من قبل .

ويعدد كتاب ابن عذارى المراكشى الذى عاش فى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى ، المسمى « البيان المغرب فى اخبار الأندلس والمغرب » الأساس الذى بنى عليه من أتى بعده من المؤرخين ، ونتلوا عنه نتسلا حرفيا دون أن يكلفوا أنفسهم مجرد الاشارة اليه . وهو أهم ما لدينا من المصادر عن تاريخ المسلمين بالأندلس منذ الفتح الاسلمى حتى نهاية القرن الخامس الهجرى ، وبعد أشمل تاريخ لحوادث الأندلس السياسية والاجتماعية والحروب التى دارت بين العرب والفرنج ونصارى الأسبان ، وبين العرب بعضهم وبعسض ، ولذلك كان اعتمادى عليسه كبيرا فى جميع أبواب البحث ، وبصفة خاصة على جزئه الثانى والثالث والرابع ، لاسيما وأنه يضم مجموعة قيمة من النصوص التى لاتقدر قيمتها

أوردها ابن عذارى منسوبة الى أصحابها فى الفالب ، ويبدو أنه فى أثناء نقله عنهم ، وقع فى بعض الأخطاء التاريخية أشرنا اليها فى ثنايا البحث، لكن ذلك لا يقلل من قيمه هذا السفر الذى لابد أن يعتمد عليه أى باحث فى تاريخ الأندلس والمفرب .

اما لمسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦ه / ١٣٧٤م) ، غله كتب عديدة ذكرتها في قائمة المصادر ، أهمها الجزء الثاني من كتابه المسمى « اعمال الاعلام فيمن بوبع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام » ، و « الاحاطة في اخبار غرناطة ، ، و « الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، . أما كتاب اعمال الأعلام (الجزء الثاني) ، فهو مفيد جدا في تاريخ الأندلس وعلاتاته بنصارى الشمال الأسباني ، وهو ينقل عن ابن عذارى ، لكنه يخصص جزءا لأخبار ملوك قشتالة ، نقله عن أحد علمائها الذي كان سفيرا لملك تشتالة الى السلطان المريني أبي فارس بن عبد العزيز ، لكنه يحوى كثيرا بن الأخطاء عند ذكره لتواريخ تولية ملوك اسبانيا النصرانية أو وفاتهم . وكتابه الثاني « الاحاطة في أخبار غرناطة » مفيد في الحديث عن هذه المملكة وعن علاقاتها بغيرها من دول شبه الجزيرة ، أما كتابــه المسمى « الحلل الموشية » ، فهو عظيم الفسائدة ، لأنه احتوى على عدد كبير من الرسائل المتبادلة بين ملوك الطوائف ، خاصة المعتمد بن عباد ملك اشبيلية ، وبين الفنش (الفونسو) السادس ملك قشتالة وليون ، وايضا بينه وبين يوسف بن تاشفين سلطان المرابطين . ولذلك كان اعتمادنا عليه كبيرا في توضيح العلاقة بين ملوك الطوائف في أخريات أيامهم وبين ملوك اسبانيا النصرانية ،

وقد اعتمدنا على ما كتبه ابن خلدون (ت ٨٠٨ ه / ١٤٠٥ م) في الجزء الرابع والسادس من كتابه « العبر وديوان المبتدأ والخبر » في الحديث عن علاقة خلفاء بنى أمية بملوك أسبانيا النصرانية ، وان كنت قد لاحظت كثيرا من الاخطاء في ذكر التواريخ والاسماء ، وقد اعتمد ابن خلدون في كثير من الاحيان على الرازى وابن حيان ، مما يزيد من أهمية كتابته ، واعتمدت أيضا على مقدمته ، وخاصة في الحديث عن التأثيرات الحضارية بين الأندلس الاسلامية واسبانيا النصرانية .

وهناك مخطوطات اعتمدنا عليها في بعض نواحي البحث ، وهي مصادر معاخرة تاريخبا . لكن بعضها أفادنا واعطانا أفكسارا جديدة بالنسبة لبعض أمراء بني أمبة . وهي بوجه عام قليلة الأهمية بالنسبة للمصادر المطبوعة التي اشرنا اليها حتى الآن ، وهي تستقى مادتها من هذه المصادر في الغسالب . ومن أهم هذه المخطوطات ، مسالك الأبصار في مسالك الأمصار ، لابن فضل الله العمري (ت ٢٩١٩ ه / ١٣٣٦ م) ، ونهساية الأرب في فنون الأدب للنويري (ت ٢٣٧ ه / ١٣٢٩ م) ، وعقيد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، للعيني (ت ٨٥٥ ه / ١٢٥٠ م) ، والجمان في تاريخ الأعيان ، لابن الجوزي ، (ت ١٥٥ ه / ١٢٥٠ م) ، والجمان في تاريخ الأعيان ، لابن الجوزي ، (ت ١٥٥ ه / ١٢٥٠ م) ، والجمان في اخبسار الزمان ، لمحمد الشطيبي المغربي ، وناصر الدبن على القوم الكسافرين الحجري الذي عاش في القرن الحادي عشر الهجري .

كها اعتمادنا أيضا على بعض كتب المشارقة من المؤرخين مثل أبن الأثير وأبو الفداء وكتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير (ت ٦٣٠ه / ١٢٣٣ م) ، يعد أحسن مؤلف ظهر في المشرق عن الأندلس ، وهو ينثر تاريخها في دقسة أثناء حديثه عن تاريخ الدولة الاسلامية ، باعتبار أن الأندلس جزء من هذه الدولة ، وقد اتبع ابن الاثير نظام الحوليات أي سرد الأحداث حسب السنين وكذلك فعل أبو الفدا (ت ٧٣٢ه / ١٣٢٩م) في تاريخه .

وهناك كتب تاريخية هامة مجهولة المؤلف ، من اهمها كتاب اخبار مجموعة في فتح الاندلس ، ويبدو انه كتب في عهد حكم المستنصر بن الخليفة عبد الرحمن الناصر (ت ٣٦٦ ه / ٩٧٦ م) ، وقسد ابدى هذا الكتساب أهمية خاصة لحركة المقاومة النصرانية ، وللحركات المناهضة لحركة المقاومة النصرانية ، وللحركات المناهضة لحكام قرطبة ، مما افادنا كثيرا في الحديث عن هذه النواحي ، وهناك كتاب مفاخر البربر الذي نشره ليفي بروفنسال ، وكتاب شرح حال الكنيسة ، وكتاب الطبيخ في المغرب والأندلس وهي كتب أفادتنا في الحسيسة عن القوى الداخلية ، وفي موقف الكنيسة المسيحية من المحكم الاسلامي ، وفي التأثيرات الحضارية في ميدان الحياة الاجتماعية .

اما الكتب الأدبية الني اعنمدنا عليها في هذا البحث فهي كثيرة أيضا ومن أشهرها حسب ترتيبها الزمني ، كتب ابن عبد ربه وابن حزم وابن شهيد وابن بسام والمقرى ، وكتاب العقد الفريد لابن عبد ربه (ت ٣٣٦ه / ٨٤٨ م) مشهور ذائع الصيت ، وقد اورد المؤلف صفحات قليلة عن تاريخ أمراء بني أمبة وخلفائهم ، وقد استفدت منه في معرفة أسماء غزوات عبد الرحمن الناصر ضد أسبانيا النصرانية ، وتواريخها ونتائجها أوردها خلال ارجوزات شعرية ، لا نفي بالفرض في المجال التاريخي .

الماكت ابن حزم (ت ٥٦١ ه / ١٠٦٦ م) ، غيى كتيرة ومتفوعة وهامة جدا ، لأنه عاصر غترة الخلافة الأهوية الأخيرة ، وعاصر عصر ممالك الطوائف ، فهو شاهد عيان على أحداث عصره ، كما أنه يمتاز بأنه من اشهر كتاب الأندلس وأغزرهم علما وأبعدهم صينا ، وذلك بسبب المناظرات والمساجلات العلمية التي دارت بينه وبين علماء وفقهاء عصره ومن أهم كتبه التي اعتمدنا عليها ، كتاب «طوق الحمامة في الألفة والألاف » و « رسائل أبن حزم » و « نقط العروس في تواريخ الخلفاء » و والنصل في الملل والأهواء والنحل » » « والرد على أبن النغريلة اليهودى » و الفصل في الملل والأهواء والنحل » » « والرد على أبن النغريلة اليهودى » و « جمهرة أنساب العرب » وقد استفدنا منها كثيرا في التعرف على أحوال البلاد في الفترة التي عائمها ، وخاصة أحداث الفتنة البربرية ، وفي علاقة البلاد بممالك أسبانيا النصرانية في عصر ملوك الطوائف ، وتشوب علاقة البلاد بممالك أسبانيا النصرانية في عصر ملوك الطوائف ، وتشوب كتابته رنة حزن شديد على ما أصاب بلاده من دمار ، وما لحق بها من مهانة هونية بسبب الاستعانة دملوك الأسبان في الصراعات الداخلية في الأندلس.

ولجأ زميله ابن شهيد (١٩١ ه / ١٠٢٨ م) الى اسلوب الرمز في كتابه « رسالة النوابع والزوابع » ، وجعلها على لسان الجن ، وتعرض فيها لأحداث الأندلس ، وما الم بها من محن ، وقد استفدنا منها كثيرا في تفسير الأحداث التي أدت الى انهيار بني أمية ، والى السيطرة النصرانية على البلاد ، وكتاب « الذخيرة في محاسن أهل الجسزيرة » ، لابن بسلم الشنتريني (ت ٢)٥ ه / ١١٤٦ م) من أهم الكتب الأدبية التي وردت فيها صفحات عديدة عن أحداث الأندلس بأسلوب أدبي ، قلل من قبهتها

الناريخية ، لكنه اعتمد فيها على شيخ المؤرخين الأندلسيين وهو ابن حيان، فاخذ من كتابه بالنص أو بالنلخيص ، وأنبأنا بذلك في تواضع وصراحة خليقبن بالاعجاب . ولذلك استفدنا كثيرا من كتابه هذا واستقينا بنسه معلومات غابة في الأهمية خاصة بعصر الخلافة وملوك الطوائف والعسلاقة مع نصارى الشمال والدعوة الى الوحدة وترك الاستعانة بهؤلاء النصارى لم نجدها في مصدر آخر .

اما كمات المقرى (ت ١٠٤١ ه / ١٩٣١ م) المسمى « نفح الطيب من غصن الأندلس الرطبب » ، فرغم أنه مصدر متأخر تاريخبا ، الفسه صاحبه وهو بعبد عن وطنه ، الا أنه مؤسوعة أدبية تاريخية كبرى ، جمع كثيرا ونقل كثيرا عن كتب ضاعت أصولها مثل كتاب الرازى وابن حيان وغيرهم . ولذلك فهو كتاب جليل الفائدة لكل من يعنى بتاريخ الأندلس . وكان اعتمادنا عليه كثيرا في أبواب الكتاب المختلفة ، وخاصة بالنسبة لما نقطه عن الرازى وابن حبان .

ومن اشهر كتب الطبقات والتراجم التى اعتمدنا عليها فى هذا البحث ، كتاب الخشنى وابن الفرضى وصاعد الطليطلى والحميرى وابن شكوال وابن الأبار وابن سعيد وابن شاكر الكتبى وابن خلكان ، وكتب الطبقات لها أهمية كبرى فى الحديث عن الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية ، وربما وجدنا فيها اشارات تاريخية لانعثر علبها فى أهم الكتب التاريخية ، لذلك فهى مصدر لاغنى عنه للباحث فى تاريخ الأندلس خاصة وانها تعطى تراجم لرجال السياسة بجانب رجال الأدب والفقه والعلم وغيرهم ، مها يجعلها عظيمة الفائدة .

والأربع الأول من مؤلفى كتب الطبقات الذين اشرنا اليهم معاصرون للأحداث في عصر خلفاء بنى أمية وعصر ملوك الطوائف ، لذلك فان كتابتهم هامة جدا لهذا السبب ، الف أولهم وهو الخشنى (ت ٣٦١ ه / ٩٧١ م) ، كتابا هاما في تاريخ قضاة قرطبة ، أورد فيه أخبارا طيبة افادتنا كثيرا في التعرف على التارات والتأثيرات الحضارية في مجال

الأدب والحياة الاجنماعية ، طبه ابن الفرضى (ت ٢٠١٣ ه / ١٠١٣ م) الذي الف كتابا في تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس ، أورد فيسه اخبارا هامة عن الفتنسة البربربة وستوط دولة بنى عامر .

اما صاعد الطليطلى (ت ٢٦٪ ه / ١٠٧٠ م) ، فقد الف كتابا عن طبقات الأمم ، أفادنا في الحديث عن الأجناس والعناصر التي تسكن شبه الجزيرة ، وألف الحميرى (ت ٤٨٨ ه / ١٠٩٥ م) الذي كان معاصرا أيضا لملوك الطوائف كتابا يسمى « جذوة المقتبس في دكر ولاة الأندلس » حكى في أوله تاريخ أمراء وخلفاء بنى أمية نقالا عن أستاذه ابن حزم ، ثم نقل عنه فيما بعد الضبى (ت ٩٩٥ ه / ١٢٠٣ م) في كتابه « بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس » ، كما نقل عنه أيضا عبد الواحد المراكثي (ت ٢٦٩ ه / ١٢٧١ م) في كتابه « المعجب في تلخيص أخبار المغرب » ، فيما حكاه كل منهما عن تاريخ بنى أمية في الأندلس ،

ورغم أن ابن بشكوال (ص ٥٧٨ ه / ١٢٧١ م) وابن الأبار (ص ١٥٨ / ١٢٦١ م) ، وابن سعيد (ص ١٧٣ ه / ١٢٧٥ ، متأخرون زمنيا عن مؤلفي كتب الطبقات السابقين ، الا أنهم أغزر مادة وأكثر غائدة ، غابن الأبار مثلا ، لم ينهج في كتابه « الحلة السيراء » ، على طريقة الآخرين في ذكر التراجم حسب الحروف الأبجدية ، ولكنه جعلها حسب القرون، مبتدءا بالقرن الأول الهجرى ومنتيهيا بالقرن السابع الهجرى ، مما يسهل مهمة الباحث ، كما أنه ينقل غيما رؤاه من أخبار تاريخبة عن ابن حيان الذي أشرنا الى قيمته التاريخية ، وأورد ابن سعيد في كتابه « المفرب في حلى المغرب » معلومات جغرافبة واقتصادية هامة أفادتنا كثيرا في الحديث عن التأثيرات الحضارية بين الأندلس الاسلامية وأسبانيا النصرانية .

ومن كتب الطبقات المشرقية كتاب « وفيات الأعبان » لابن خلكان (ت ١٨٦ ه / ١٢٨٤م) وكتاب « فوات الوفيات » لابن شاكر الكتبى لا ت ٢٨١ ه / ١٣٦٠م) وهو ذبل على كتاب ابن خلكان ، وقد وردت

فيها تراجم لمساهير الأدباء والفقهاء والسياسيين الأندلسيين ، منها ما ذكره ابن خلكان عن معركة الزلاقة بتفصيل لا نجده عند غيره من المؤرخيين .

وكانت كتب الجغرافيا والرحالات ذات فائدة كبرى فى التعافية الحياة الطبيعية والبيئة الجغرافية ومظاهر الحياة الاقتصادية والاهنهاعية لدول شبه الجزيرة ، مما ساعدنا على التعرف على الناثيرات الحضارية المبادلة بين الأندلس الاسالمية واسبانيا النصرانية خاصة وأن معظم مؤلفى الجغرافيا والرحلات الذين اعتمدنا عليهم اما اندلسيون أو زاروا الأندلس ، ورصدوا فى كتبهم ما رأوه بانفسهم رأى العبن ، أو نقلوا عمن رأى وعاصر الأحداث .

ومن أشهر هذه الكتب حسب ترتيبها الزمنى ، « كتاب المسالك والمسالك » لابن حوقل الذى زار الأندلس فى عصر عبد الرحمن الناصر ، وأورد لنا أخبارا فى غاية الأهمية عن قوة الدولة الاقتصادية والسياسية . وكذلك هناك كتاب نصوص عن الاندلس ، للعذرى (ت ٤٧٨ ه. / ١٠٨٥ م) وهو كتاب تاريخى جغرافى سبقت الاشارة اليه ، وكتاب « تعليق منتقى من فرحة الأنفس فى تاريخ الأندلس لابن غالب الذى عاش فى القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى وهو من نفس طراز كتاب العذرى ، وكتاب « معجم البلدان » لياقوت (ت ٢٢ ه / ١٢/٢ م) ، وكتاب « صفة المغرب والسودان ومصر والأندلس » ، وهو مأخوذ عن كتاب « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » للشريف الادريسى (ت ٢٥ ه / ٢ ه / كتاب « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » للشريف الادريسى (ت ٢٠٥ ه / ٢٠٠٠ م) .

وهناك كتاب « بسط الأرض في الطول والعرض » لابن سعيد المغربي (ت ١٣٢٠ ه / ١٢٧٥ م) ، وكتاب « تقويم البلدان » لأبي الفدا (ت ٧٣٢ ه / ١٣٢٩ م) ، وكتاب « وصف أفريقبة والمغرب والأندلس » ، وهو مأخوذ من كتاب « مسالك الأبصار في ممالك الأمصار » لابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩ ه / ١٣٣٦ م) ، وكتاب « صفة جزيرة الأندلس »

المسأخوذ من كتاب « الروض المعطار في خبر الأقطار » لمحمد بن عبد الله المحسيري المتوفى في أواخر القسرن الباسع الهجري .

وهناك أيضا كعب الحسبه ، ومن اسهرها كتاب « ملات رسائل اندلسية في الحسبة والمحنسب » ، لابن عبدون الذي عانس في أواخر القرن الخامس الهجرى ، مما يجعل لكتابيه اهمية كبرى . وقد استفدنا منسه كثيرا في التعرف على الحياة الاجتماعية وما شابها من تأثيرات نصرانية ، وفيه انسارات عديدة ندل على مظاهر الضعف التي كانت نناب البلاد في عصره ، وهناك كتاب آخر في الحسبة للسقطى ، نشره ليفي بروفنسال ، لكنه لا يصل الى أهميه كناب ابن عبدون لأنه يقصر الحديث على المهسن وقوانينها ، ولا ينمتسع صاحبه بملكة النقسد والنعليق على أحدات الحياة كسا نعل ابن عبدون .

أما المراجع العربية الحديثة التي استفدنا منها فكثيرة . من اهمها , كتب الدكتور حسين مؤنس ، وخاصة كنابه « فجر الأندلس » و « بلاي وميلاد أشتريس » ، وقد أفادا كبيرا في مقدمة البحث ، وكذلك كانت الاستفادة عظيمة مما كتبه الأستاذ / محمد عبد الله عنسان عن الأندلس في كتبه العديدة الجليلة القدر العظيمة النفع ، والتي ضمنها تاريخا لمالك أسبانيا النصرانية اعتمد فبه على كنب اسبانية وانجليزية وألمانية ، ولن كانت هفاك بعض الأخطار الداريخية التي أشرنا اليها في ثنسايا البحث ، وكذلك استفدنا كثيرا مما كتبه شكيب ارسلان في كتابه « الحلل السندسية » ، عن جغرافية الأندلس وتاريخها ، خاصة وانه ترجم كتبرا عن المستشرقين وزار الأندلس بنفسه ، ووصف ما شاهد ، فكانت كتبرا عن المستشرقين وزار الأندلس بنفسه ، ووصف ما شاهد ، فكانت كتبرا عن المستشرقين وزار الأندلس بنفسه ، ووصف ما شاهد ، فكانت كتبرا عن المستشرقين وزار الأندلس بنفسه ، ووصف ما شاهد ، فكانت

وهناك مراجع عربية حديثة منرجمة عن بعض المستشرقين الذين وقفوا حياتهم على دراسة تاريخ الأندلس ، مثل دوزى المستشرق الهولندى ، وليفى بروفنسال المستشرق الفرنسى ، ويوسف أشباخ المستشرق الألمانى ، وقد نرجم كامل كيلانى كناب دوزى عن ملوك الطوائف ، وترجم الدكتور

حسن حبسى الجزء الأول من كتاب عن تاريخ مسلمى اسبانيا . كما ترجم الدكتور السيد عبد العرزيز سالم كتاب ليفى بروفنسال عن الاسلام فى المغرب والأندلس ، وبرجم الدكنور محمد عبد الهادى شعيره كتابه عن أدب الأندلس وتاريخها ، وبرجم الاستاد / محمد عبد الله عنان كتاب أسباح عن تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ، وقد أفدت من هذه الكتب في الحديث عن ممالك أسبانيا النصرانيه رغم ما نسابها أحيانا من نظرره نعصبية لنصارى التسمال .

وهناك كتابان عظيما المائدة جليسلا القدر ، كما كناب الفن الاسلامي في اسبانيا والبرتغال للأسناذ مانوبل جوهيث موربنو ، ترجمسة الدكتور لطفي عبد البديع عن الأسبانية ، وقد أفادنا كنيرا في الحسديث عن التأثيرات الحضارية بمن الأندلس الاسلامية وأسبانيا النصرانية في مجسال الصناعات والفنون والعمساره ، أما الكتاب الباني فهو كناب تاريخ الفكسر الأندلسي لمؤلفه آنخل جونثالث بالنيا ، ترجمة الدكتور حسين مؤنس عن الأسبانية ، وهو موسوعة ضخمة في ماريخ الآداب والعلوم والفنسون الأندلسسية ، أفادنا كثيرا في معسرفة التأثيرات الحضسارية المتبادلة بين الأسسبان ومسلمي الأندلس.

اما المراجع الأجنبية التي قرائاها في لفنها الأصلية ، فهي كثيرة وعديدة سواء بالانجليزبة أم بالفرنسية أم بالأسبانية ، وكان اعتمادنا عليها كبيرا في الحديث عن أحوال ممالك أسبانيا النصرانية ، وعن علاقاتها بممالك الأندلس الاسلامية ، رغم ما يشوب بعضها من نظرة غير موضوعية في تناول الأحداث ، ومن العطف الشديد على نصارى الأندلس أثناء الحديث عن متاومتهم لحكم المسلمين ، وفي اعطاء كثير من التفاصيل عن تلك المقاومة ، والتركيز على الخلافات والصراعات الني نشبت بين القدى السياسية التي كانت تتصارع على أرض الأندلس منذ بداية الفتح وحتى السياسية التي كانت تتصارع على أرض الأندلس منذ بداية الفتح وحتى المساية التي كانت الخامس الهجرى .

ومن الغريب أن بعض هؤلاء الكتاب مثل دوزى يمشى وراء هــذه المخلافات حتى يصل بها الى أرض شبه الجزيرة العربية وسوريا والعراق ، ويتبع تفاصيلها هناك ثم يعود معهـا الى الأندلس ، ويذكر المراعات القبلية بين مضر ويمن ، وبين العسرب والبربر ، وبين البربر البتر والبرانس ، وخصص لذلك الجــزء الأول من كتابه المسمى المخالف الجــزء الأول من كتابه المسمى Histoire des Musulmans d'Espagne

والذى ترجم الى الانجليزية تحت عنوان : A history of the moslems in Spain.

وكأن دوزى يريد أن يفسر تاريخ الاسسلام على أساس هذه الصراعات القبلية ، وربما أراد أن يوحى للقارىء بأن تاريخ الاسلام ، ما هو الا تاريخ للصراع القبلى بين العناصر والقبائل المختلفة ، ورغم ذلك فان كتساب دوزى هذا يعتبر مرجعا هاما بل المسرجع الأول لدارسي تلك الفتسرة من تاريخ الأندلس بشقيها السياسي والحضاري .

أما كتاب النتوش العربية في أسبانيا المسمى D'Espagne لؤلفه الأستاذ ليفي بروفنسال ، وكذلك كتاب النميات او النقود المسمى Numismatica للمؤلف الأسباني Codera ، وكتاب ملوك الطوائف ، المبنى على ذكر النقود والمسمى Los Reyes de Taifas ، المبنى على ذكر النقود والمسمى لؤلفه الأسباني Prieto y Vives ، كانت افادتنا منها كبيرة في تصحيح الأسماء والتواريخ التي وردت في بعض كتب التاريخ .

وهناك بعض المؤلفات التاريخية الأخرى التى لا نقل أهمية ، وخاصة في أعطائنا الرواية النصرانية للعلاقات والأحداث التى وقعت بين الأندلس الاسلامية وأسبانيا النصرانية ، مثال ذلك كناب Hole المسمى Spain: under the Moslims ويورد هدذا المؤلف الانجلبزى في مقدمة كتابه ما يفيد بأنه اعتمد على ما كتبه الأوربيون في فرنسا وهولندا واسبانيا في تأليف كتابه ، وعلى ذلك فهو كتاب مفيد جدا لا سيما وأنه يتناول التاريخ والحضارة في دقة واختصار غير مخل .

الما كتاب Spain: the root and the flower المسمى فهو كناب في غاية الأهمية ، اذ انه ليس سردا تاريخيا للأحداث السياسية والحربية ، ولكنه تاريخ لحضارة اسبانيا وشعبها مند اقدم العصور حتى العصر الحديث ، كما هو واضح من عنوان الكتاب . ويقول المؤلف أنه لم يهتم بالتاريخ السياسي قدر اهتمامه بالغوص وراء الأحاسيس والعوامل المحركة للأحداث ، وقد زار اسبانيا عام ١٩٢٨ م ، ثم نردد عليها عدة مرات ، وحصل منها على درجة الدكنوراه في الفلسفة والآداب من جامعة مدريد ، وهناك تعرف شخصيا على زعماء الفكر الأسباني ، مما يعطى لكتابته عن الحضارة الأسبانية أهمية كبرى ،

ومن المهم أن نعرف أنه تحدث في كتابه هذا عن طبيعة الأرض واثرها على الشعب ، وعلى مجرى الأحداث التاريخية ، وعن المسالك المسيحية وصراعها مع العرب ، وطبيعة هذا الصراع ونتائجه الحضارية ، وأفرد لذلك فصلا خاصا ، أفادنا كثيرا في نواحي البحث المختلفة . وقد استقى المؤلف مادة كنابه من أربعة وستين مصدرا من أمهاب الكنب الأوروبية ، معظمها مؤلف باللغة الانجليزية والقليل بالأسبانية ، مما يعطبنا الرواية الأوربيه بالنسبة للحضارة العربية ومدى تأثيرها على أسبانيا في العصور الوسطى .

وهناك كتاب A History of Spain الأستاذ وهناك المترانية وقد اعتمدنا عليه كبيرا في الحديث عن أحوال ممالك أسبانيا النصرانية وعلاقالها بعضها ببعض وبمسلمي الأندلس وكذلك هناك كتاب Murphy وعلاقالها بعضها ببعض وبمسلمي الأندلس وكذلك هناك كتاب The history of the Mohamedan Empire in Spain وهو بنقسم الى قسمين ، الأول يتحدث عن التاريخ السياسي والحربي للعرب فأ اسبانيا ، والناني بتحدث عن نظمهم المدنبة ، وأدبهم وعلومهم وصناعاتهم وتجاراتهم ، فهو كناب هام لأنه يناول التاريخ والحضاره . وقد اعتمدنا عليه في بعض نواحي البحث ، ويلاحظ أنه ينقل الروايات العربية ويترجمها بنصها في كثير من الأحيان .

وهناك كنبر من المقالات الدى ظهرت بالأسبانية فى مجلة معهد الدراسات الاسلامية بهدريد ، عن المهاره والفنون والننبود ، وبعض الوثائق الدي ظهرت أخيرا عن الصكوك وونائق البيع والشراء التى عنر عليها علماء الأسبان فى مكنبات المدن الأسبانيه متل ونسقة وسرقسطة وطليطلة وغبرها ، فى القرون الأخبرة ، وهى تلقى ضدوءا جديدا على كتير من التأثيرات الحضارية المنبادله بين الأندلس الاسلامية وأسبانيا النصرانية ، وقد أشرت الى بعضها فى قائمة المصادر والمراجع الموجودة فى نهاية البحث .

من هذا العرض السريع نستطيع أن نتعرف على أهم المصادر والمراجع العربية والأوربية ، وأهمية كل منها بالنسبة لموضوع البحث ولأبوابه المختلفة ، وهناك ثبت في نهاية البحث عرض بالنفصبل لأساء تلك المصادر والمراجع والفيرها مما لم نذكره في هذه العجالة ، فليرجع اليه من يريد المزبد .

تعصالت لتا ليوت

معبر الفصره الواقعة بين فنح الأندلس (رجب ٩٢ ه / مايو ١١٧ م) وبين قيام حكم بنى امية (ذو الحجه ١٣٨ ه / مايو ٢٥٦ م) ، من أهم فيرات الماريخ الاسلامي في الأندلس ، وذلك لما صحبها من احسدات الرت في مجرى هذا الماريخ حنى نهاييه ، وادت الى أن يفقد المسلمون ربع ما فنحوه من شبه الجزيره ، والى أن يقوم هناك في أقصى الشمال في أشتريس وجليقيه نواه لمملكة نصرانية ، أخذت على عاتقها استرداد ما فنحه المسلمون من البلاد واعادنه الى حظيره النصرانية من جديد ، وتمكنت من دحسر قوات المسلمين في بعض المواقع الحربية وأعلنت بدء تلك الحركة الني سمى في التاريخ الأسباني بحركة الاسترداد المحدود المسلمين في التاريخ الأسباني بحركة الاسترداد المحدود المسلمين في التاريخ الأسباني بحركة الاسترداد المحدود المسلمين في التاريخ الأسباني بحركة الاسترداد المحدود المحدود

فما الذى حدث حتى ادى الى هدنه النتيجة ، وخاصة انه لم يكن قد مر على الفتح أعوام طوال ؟ لابد أن هناك من العوامل والأحداث ما أدى الى ذلك . والفريب أن تلك الموامل في جوهرها هي نفس العوامل التي ادت الى سفوط دولة القوط ، وعلى ذلك لم يتعلم المسلمون الدرس من أعدائهم ، وتركوا أنفسهم نهبا للصراعات القبلية والعنصرية المقيتة ، فكد أمرهم يتلاشى من البلاد ، لولا الجهود التي بذلها عبد الرحمن الداخل في تنبيت أركال الدولة والتصدى لحركة المقاومة انصرانية الني كانت قد نبيت والسيد عودها .

أما أولى العسوامل التي أدت الى فشل المسلمين في مجال علاقاتهم مع نصارى شمال أسبانيا على ذلك النحو ، فهو أنهم لم بستكملوا فتح شبه الجسزبرة ، وتركوا بعض المناطق الوعسرة في أقصى الشمال ، فلم يصل حكمهم الى جبال قرقشونه في أقصى الشرق ، وجبال بنداونة ومنطقة اشتريس

وجليقية فى الشمال والشمال الغربى ، رغم ما قيل من أن موسى بن نصبر اخترق جبال البرنات (البرانس) وغزا أربونة وغيرها من مدن سسبتمانية فى جنوبى فرنسا(١) .

ووجه الخطأ فى ذلك أن بعض القوط الذين فروا أمام جيوش الفتح تحصنوا فى تلك المناطق ، وبدءوا فى لم شناتهم استعدادا لفتح صفحة النضال مع مسلمى الأندلس ، ساعدهم على ذلك سياسة الخالفة الأموية التى اسرعت فى استدعاء موسى بن نصير ، ولم يكن قد أتم الفتح بعد ، ولو قدر لهذا الفاتح العظيم البتاء فى الأندلس بعض الوقت لربها اتخذت الأحداث مسارا آخر ، ولربها نمكن من اخضاع شبه الجزيرة كلها .

ولكن يبدو أن الخلافة الأموية خافت من استبداد موسى وأبغائه بهذه الأقطار النائية ، أو ربسا خافت من النفسرير بالمسلمين ازاء طموح موسى الذى بدا أنه كان يريد مواصلة الغزو حتى يصل الى بلاد الشام عن طريق أوربا().

ولهذا تم استدعاؤه بسرعة عام ٩٥ ه / ٧١٤ م وقام الخليفة الأموى سليمان بن عبد المسلك _ على ما فى ذلك من خسلاف بين المؤرخين _ بتدبير مؤامرة قتل فيها عبد العسزيز بن موسى بن نصير عام ٩٧ ه / ٧١٦ م وظلت البلاد بدون وال لعدة شهور ، حتى اخدار الجند أيوب بن حبيب اللخمى ، ثم عزله سليمان وولى على الأندلس الحسر بن عبد الله الثقفى،

Livermore, A history of spain, p 66,

Murphy, The history of the Mohamedan Enpire in Spain, p. 1

(۲) آبن تختیبه ، الامامة وآلسیاسه ، ح ۲ ، ص ۱۰٪ ، ۱۸ ، لغسانی ، مرحله آلوزیر فی انتخاک الاسیر ، ص ۱۱۰ ، المقری ، نفح الطیب ، ج ۱ ، ص ۱۲۹ ، السلاوی ، الاستقصا ، چ ۱ ، ص ۲۰ ، السلاوی ، الاستقصا ، چ ۱ ، ص ۲۰ ،

⁽۱) أبن القوطبة ، ناريخ افتتاح الأندلس ، ص ۷ ، ۸ ، ابن عدارى ، البيان المغرب ، د ۲ ، ص ۱۸ ، المعربي ، صمعة جزيرة الأندلس ، ص ۱۳۵ ، المقرى ، نفيح الطبيب ، ج ۱ ، ص ۱۲۸ .

وجعلها ولاية تابمة لأفريقبة ، واتى بعده عمر بن عبد العسزيز وعسزل هذا الوالى ، وارسل لهسا السمح بن مالك الخسولانى ، وجعلها ولاية تابعة للخسلافة مباشرة ، وقد ادى هذا النردد من جانب الخسلافة الى اضطراب الأحوال الادارية بالأندلس والى كثرة عسدد الولاة ، مما هيأ الفرصة لنصارى الشمال لكى يبدءوا ضسد مسلمى الأندلس(") .

اضف الى ذلك ما بذله المسلمون من جهد عظيم فى محاولاتهم غسزو جنوب غرنسا ، وانصراغهم بذلك عن القضاء على الخطر المحدق بهم فى شمال سبانيا النصرائية ولو صرف المسلمون جهودهم تلك فى القضاء على نصارى الشيمال لكان ذلك أغضل بكثير ، لكنهم شيتتوا جهودهم ، وخلقوا لأنفسهم عدوا جديدا ، وجعلوا الغرنجة ونصارى الشيمال الأسباني فى خندق واحد ، وصاروا بذلك قلبا واحدا على المسلمين ، وبا ليت المسلمين نجحوا فى غزواتهم لجنوب غرنسا ، لكنهم منوا هناك بهزيمة ساحقة فى موقعة تور بواتيبه التى يسمبها المسلمون بلاط الشهداء ، لكثرة من استشهد غيها من المسلمين عام ١١٤ ه (٧٣٣) ، وقام نصارى شمال اسبانيا بمطاردة غلول الجبش الاسسلامي المنهزمة وارتفعت روحهم المعتوية بعدد أن راوا أن جيوش المسلمين يمكن أن تهرزم!) .

وشهدت هذه الفترة ابضا حدثين على جانب كبير من الأهبة ، ورغم انهما حدثا بعيدا عن بلاد الأندلس ، الا أنه كان لهما تأثير كبير في تاريخ هدده البلاد ، أولاهما هو ستوط الدولة الميرونندية في فرنسا عام ٧٥١ م ، وتولى ببين Pepen القصير حكم البلاد ثم قبامه بهد نفوذه وسلطانه حهة الجنوب الغربي ، الأمر الذي كان له انعكاسه على نصاري الشيمال الأسباني .

⁽٣) الدرازى برواية ابن عـذأرى ، ألمسـدر تقسه ، ج ٢ ، ص ٣٢ ، مجهول ، اخبـار مجموعة ص ٢٢ ، ٣٢ ، الحميرى جـبـخوة المقتبس ، ١٦١ ، ٣٦٢ ، ابن قتيبة ، الامامة ، ح ٢ ، ص ٩٥ – ٩٧ ، النوبرى ، نهاية الأرب ، مخطوط ، ح ٢٢ ورقة ١ ، ٢٢ ٠

⁽٤) ربيدو ، ناريخ غزوات العرب في غرنسا ، ص ١٠٣٠

أما الحدث الثانى غيو قيام الصراع في المشرق ببن بنى أمية وبنى العباس ، ذلك الصراع الذى اننهى بسقوط دولة الأمويين عام ١٣٦ ه / ٧٥٠ م ، وعلى هذا لم يكن هناك أمام بنى أمبة من الوقت والجهد ما يعطونه للعمل على استقرار الأحوال في بلاد الأندلس ، اذ انشغلوا بخطر بنى العباس ، واستغل ولاة الأندلس الفرصة واطلقوا لأنفسهم العنان في الصراع على السلطان حتى مكنوا نصارى الشمال من خوض حرب ناجحة ضدهم ، كما حاولت الخلفة العباسبة الناشئة أن تزيد النار اشتعالا ، فأرسل أبو جعفر المنصور الى عامر بن وهب بولاية الأندلس ، فقام هذا الرجل بنادى بشعار العباسيين في سرقسطة ورفع الرايسات السوداء ، ولم بنته خطره الا بعد أن قتله يوسف الفهرى حاكم الأندلس وحضر ولاتهار) .

على ان اخطر ما تعرض له المسلمون في الأندلس في تلك الفسترة وكانت له آثار ضارة على مستقبل الصراع بينهم وبين نصارى الشمال الأسباني هو قيام الصراع بين العرب والبرير ، ثم بين المضربة واليمنية ، ولم يكن المسراع بين العرب والبرير بسبب ما قيل من استئثار العسرب بالمناطق الخصية ، بل بسبب سوء معاملتهم للبرير واعتبارهم شعبا محكوما لا ينبغي له أن بأخسد أي نصب في الحكم أو في ادارة السلاد . ولذلك رفع مونوسة البريري هو وقومه من البرير علم الشورة ضد العسرب في جليقية وماردة وقورية وتقسدم للهجوم على قرطبسة . لكن العرب هزموه هزيمة ساحقة عند وادى سليط قرب طلبطلة عام ١٢٤ه/١٤٧م(٢) .

كانت الحرب بين العرب والبربر حرب المناء ، وكان لها نتسائح تخطرة على مستقبل السلاد . فقد خلقت في نئوس العرب والبربن من الكراهية ما لم تمحه الأيام ، ويددت كل امل في الامتزاح التام بينهما ، كما

⁽٥) أَبِنُ خَزْمَ يَ جِمهِرة انسابَ ٱلعربَ ، صَ ١١٧ ٠٠

⁽٦) ابن عسذاری ، المسدر نفسه ، ج ۲ ، ص ٤٢ ، ٤٣ دوزی ، تاریخ مسلمی اسبانیا ، ج ۱ » ص ۱۵۷ ، ۱۰۹ ، لین بول ، تصنة العرب فی اسبانیا ، جی ٧٤٠ ٠

اصابت الأندلس في مقتل . اذ خسلا الشمال النصراضي من العرب والبربر ، وانفسح المجال أمام نصارى النسمال وزادت آمالهم في استعادة البلاد من جديد . وليس بخاف على أحد أن الأندلس انما أوتى من الشمال والفرب حيث هاجر البربر الذن كانوا بعيشون هناك(٧) .

وكان للصراع بين القسسة واليمنية أنر خطير ، اذ أنه استمر لموال فسرة عصر الرلاة بقربيا ، وابتداء منذ عام ١١١ ه / ٧٣٠ م عندما أرسل أبو عبده القيسى حاكم أفريقية بقريبة الهنم القيسى والياعلى الأندلس عائمات أن الوالى الى القيسية ، واضطهد البهنبة وسحب زعماءهم وأطاح برءوس بعضهم ، مما كان له أثره في تام الفتنة بينهما وخاصة بعد أن اننبوا من أمر الدربر عام ١٢٤ ه / ٧٤٧ م . عبقابل القيسبون واليمنيون في موقعتين لا تقل الواحدة منهما عن الجمل أو صفين وهما موقعة أقوة برطورة في شوال عام ١٢٤ ه (أغسطس ٧٤٧ م) وموقعة شقندة عام برطورة في شوال عام ١٢٤ ه (أغسطس ١٧٤٧ م) وموقعة شقندة عام برطورة في الحسين النصر القبسيون وصارت لهم قيادة الأندلس منذ ذلك الحسين (^) .

المهم في ذلك كله أن العرب انشىغلوا بالصراع القبلى المقيت حتى توقف الجهاد ضد نصارى الشمال في أسبانيا ، وضد الفرنجة فيما وراء البرنات بل تمكن بلاى ملك جليقية من هزيمتهم في موقعة كوفا دونجا عام ١٣٣ أه (١٠٧٠م) كها سيأتى في حبنه وأخرجهم من جليقية كلها وافتتن الناس حتى تنصر كل مذبذب في دينه ، وتقهت المسلمون الراستورقة وتحالفت المجاعة التي شملت الأندلس في ذلك الحين مع نصارى الشمالل فأخلى المسلمون المنطقة الشمالية الغربية كلها ونزلوا حتى نورية

⁽٧) حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ ٠

⁽۸) الرازی دروادة ادن خلدون ، العبر ، ج ٤ ، ص ۱۱۹ ، ۱۲۰ ، ۱۳۰ ، ابن عذاری ، المصدر نفست ، ج ١ ، ص ۱۱۱ ، دوزی ، المرجم دهست ، ص ۱۲۱ ، ۱۲۳ ، دوزی ، المرجم دهست ، ص ۱۲۲ ، ۱۲۳ ۰

وماردة عام ١٣٦ ه (٧٥٣ م) ، وبذلك خسر المسلمون ربع ما متحسوه من شمسبه الجسريرة (^) .

تلك هى اهم العوامل التى اعطت الفرصة لكى تنشا أول مملكة نصرانية فى شمال اسبانيا وهى مملكة جليقية واشتريس . لكن كيف قامت هذه الدولة ، وما هى علاقاتها بمسلمى الأندلس فى تلك الفيترة التى نتحدث عنها والتى تسمى بعصر الولاة ؟ .

من الثابت ان فلول القسوط الذين فروا أمام الزحف الاسلامي تجمعت في اقصى الشمال في استوريا Asturias التي تسميها المراجع العربيسة اشتريس او اشتوريس وعند منطقة هناك تسمي الصخرة او صخرة بلاي وتسميها المراجع النصرانية Ploos de Uropa احتمى بلاي واصحابه من هجمات المسلمين . ولما سمعوا نبأ وفاة لذريق Roderic انتخبوا بلاي واحمة له . وقام بلاي واتخذ من مدينة كانجاس دى أونيس Cangas de عاصمة له . ويعتبر هذا الامير أو الملك هو أول من اقام أول أمارة نصرانية تقوم ضدد المسلمين وتثور ضدهم (۱۰) .

ويخلط كثير من المؤرخين خلطا شديدا في بدء ثورة بلاى ، مبعضهم بجعله في ولاية عنبسة بن سحيم الكلبي الذي تولى امر الأندلس بين عامي ١٠٣ هـ ، ١٠٧ هـ ، و آخرون يجعلونه في ولاية عقبة بن الحجاج السلولي الذي حكم من سنة ١١٧ هـ الى ١٢٣ هـ ، وهناك أيضا من يجعل ثورة بلاي في أيام ولاية يوسف الفهري (١٢٩ ـ ١٣٨ هـ)(١٠) .

Chapman, A history of spain, p 53

⁽٩) مديول ، اخبار محموعة ، ص ٦٢ ، المقرى ، المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١١٠ ٠

⁽۱۰) ابن عسذاری ، المسدر نفسه ، ح ۲ ، ص ۲۶ ، مؤنس ، بلای ومیلاد اشستریس ، ص ه ۰

⁽۱۱) الراري ، بروابیه المقرى ، نفح الطبب ، ج ۱ ، ص ۲۲۵ ، مؤنس ، المرجم نفسه من ۱۱ ۰

وسدنا المقرى بففره هامة تحدد لنا بدء قيام حركة بلاى هذا فيقول :

« قال غبر واحد من المؤرخين ، اول من جمع كل النصارى بالأندلس بعد

غلبه العرب لهم علج بقال له بلاى من أهل اشتوربس من أهل جليقيسة

كان رهينة عن طاعة أهل بلده ، مهرب من قرطبة أيام الحسر بن عبد الرحمن

النقفي ، ثانى أمراء العسرب بالأندلس ، وذلك في السنة السادسة من عتمها

وهى سنة ٩٨ ه ، وثار النصارى معه عيد نائب الحسر بن عبد الرحمن

غطردوه وملكوا السلاد وبتى المسلك فيهم الى الآن ه(١٢) .

وناسخلص من هذه الفترة الحقائق الآتية:

اولا - ان اول من ثار ضد المسلمين في الشمال النصرائي كله هو ملاي ، وربما لم يكن بلاى هذا من القوط ، وانها من اهل البلاد من اهل اشسريس او جليقبة أي من سسلالة الأبيريين الرومان الذين حمكهم القوط حتى قدوم العرب . وسواء كان بلاى قوطيا ام من أهل البلاد الأصليين فهدو كان ابنا (لفافيللا) دوق كنتبربة أو بنا لبرمود وأخو لذريق . وكان قد اختلف مع عمله لذريق قبيل دخلول العلاد وذهب الى وكان قد اختلف مع عمله لذريق قبيل دخلول العلاد وذهب الى الستربس واقام نفسه أميرا عليها حسب ما تدعبه الروايات النصرانية(١٣) .

ثانبا ــ كان بلاى رهينة فى ترطبسة لضبان طاعة اهل بلده اشتريس وجلستبة ، بؤيد ذلك ما ذكره ابن عذارى من أن موسى بن نصير « خسرج من طليطلة غازيا بنتح المدائن حتى دانت له الأندلس ، وجساء وجوه اهل حليتية يطلبون الصلح ، فصالحهم وفتح بلاد الشكنس وأوغل فى بلادهم حتى اتوا قوما كالبهسائم .. »(١٠) ، اذن صالحه أهل جليقية على أن يكون أميرهم بلاى نفسسه رهينة عنسده في قرطبة .

⁽۱۲) المترى ، المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٢١٥ .

⁽۱۳) لعرفه اصل بلای بفصیلا ، انظر د حسن مؤنس ، بلای ومیلاد اشیستریس ، ص ۲ _ ۹ .

⁽١٤) ابن عـذاري ، السان المغرب ، ج ٢ ، من ٢٤ .

ثالتا ــ استمر بلاى حبيس قرطبة حتى فر أبام الحـر بن عبد الرحم الثقفى ، وهو ثانى أمراء العرب بالأندلس بعسد اغتمال أول أمرائها منهم وهو عبد العـزيز بن موسى بن نصير عام ٩٧ ه (٧١٦ م) ، وقد غلل الحـر حاكما للأنداس حتى عام ١٠٠ ه ٧١٩ عندما أرسل الخليفة عمر بن عبد العـزيز السمح بن مالك الخـولانى واليـا عليها من قبله(١٠) .

رابعا ـ هرب بلاى الى اشترسى عام ٩٨ ه (٧١٧ م) والتفة حوله أهل تلك المنطقـة من النصارى واعلنوا الثورة ضد نائب الحسر بن عبد الرحمن الثقفى ، الذى لا تذكر لنا المراجع العربية أو النصرانية اسمه ، وطروه من البلاد ، وأعلنوا بلاى أميرا أو ملكا علبهم منذ ذلك الوقت .

والواقع أن انصراف الحسر الثقفى الى الجهاد فى بلاد الغال كان من الأسباب التى سهلت على المسيحين اللاجئين الى جبال اشتريس (استوربا) الاجتماع على العصيان وزرع نواة المقاومة ووضع اساس أول دولة مسبحية فى اسبانبا حلت محل دولة القوط التى قضى عليها العرب ونضاف الى ذلك سبب تخسر دفع مسيحيى تلك المنطقة دفعا الى الثورة ، هذا السبب هو سخط الناس على أدارة الحسر وتبرمهم من عسفه وظلمه ، وكان هؤلاء حدبثو عهد بالخضوع للعرب ، فثقال عليهم ذلك وغات نفوسهم بالشورة ، واستغل بلاى هذا الغليان وأعلن الثورة والتحرد والعصيان (١٠) .

من هنده الحقائق نرى أن ثورة بلاى أو دولة اشتربس انها ولدت عام ٩٨ ه / ٧١٧ م ، ولم يُكد يهضى على الفتح ست سنوات ، لكن يبدو أن بلاى ظل متقوقعا في بلدة كانجاس دى أونيس بأشتربس ، وأخذ بجمع الأنصار من القوط الهاربين من المسلمين ، ومن الأيجريين الرومان المقيمين في تلك الناحبة ، وأخد يحرضهم على الوثوب على الفصرب

⁽١٥) ابن حيان دروابة المقرى ، نفح الطدب ، ھ ٢ ، ص ٥٦ ٠

⁽١٦) رينو ، تاريخ عزوات العرب ، ص ٧٢ ، ٨٤ ، ٩٤ ٠

المقيمين هناك ، ويعبب عليهم طول الاستسلام والنراجع أمام المسلمين حتى استنهض هممهم وحملهم على الوثوب على المسلمين . ظهر هذا بواضحا أبام عنسة بن سحيم الكلبى والى الأندلس (١٠٣ – ١٠٧ ه / ٧٢٧ – ٧٣٧ م) . ولم يكن هدف بلاى فى ذلك الموقت هو استرداد الأندلس بل « دفع المسلمين عما بقى بأيديهم من أرضهم وحمالة حريمهم ، وقد كانوا لا يطمعون فى ذلك (١٠) .

اذن لم يقم بلاى بنورنه امام عنبسة بن سحبم الكلبى ، بل نسام يدعو الى الاحتفاظ بما بقى لهم من مناطق فى استريس وجليقية وكنتبرية ، لك المناطق القاحلة القارصة البرد الجدياء التى لم يالفها العدرا أو البربر من قبل ، وليس هناك من شك أبضا فى أن مقتل السمح بن مالك الخولانى الوالى السابق على عنبسة بن سحيم ، فى أرض الفال (فرنسا) عام ١٠٢ / ٢٠١ م ، قد شحع نصارى الشمال على ذلك (١٠٠) .

ولم تذكر لنا المراجع أن عنبسة بن سحيم الكلبى قام بغزو نصارى الشمال ، بل انه وجه همته للانتقام لمقتل السمح بالایغال فی غزو الفرنجة حتى استشهد عام ۱۰۷ ه / ۷۲۲ م ، لكن المسلمين كانوا قد انتبهوا لحركة بلاى فقام عامل المسلمين في نواخي اشتربس القائد البربرى (مونوسة) بمحاولة التصدى لتلك الحركة ، ووقعت بينه وبين بلاى مناوشات ، وظل مونوسة يحاربه ويطارده حتى الجاه الى التحصن بالصخرة التى عرفت باسمه (صخرة بلاى) في عدد قليل جدا من انصاره(١٩) .

Murphy, The history of the Mohamdan Empire in Spain, p 79

⁽۱۷) الرازی دروایة المقری ، نفح الطبب ، د ۲ ، ص ۲۲۰ ، ابن حبان دروآیة المقری ، نفح الطب ، د ۲ ، ص ۷۰ .

⁽٦٨) رينو ، المرجع نفسه ، ٧٢٠ .

⁽۱۹) المنری ، نمح الطدب ، ح ۲ ، ص ۵۷ ، ۲۲۰ ، ج ۱ ، ص ۱۰۹ ، د ، حسين مؤنس ، بلای وميلاد اشتريس ، ص ۱۹ ،

لكن مسوء الحظ لازم المسلمين غقام صراع بين مونوسه وبين عبد الرحمن الفائقي (١١٣ – ١١٤ ه / ٧٣٧ / – ٧٣٧ م) واستطاع عبد الرحمن والى الاندلس في ملك العنره أن مقضى على مونوسة وأن بقتله على بد قائده البربري (ابن ربان) سنة ١١٣ه/٧٣٢م ، ولم بلبث عبد الرحمن نفسه أن وقع صريعا ابان اشتباكه مع الفرنجية في معركة بالط الشهداء عام الا وقع مريعا ابن السياكة خلا الجيو أمام بلاي ، فيشجع وخرج من الصخرة وأخيذ في البوسع حتى استولى على جيخون Gijon التي كان مونوسه يقيم فيها ، وبسط سلطانه على اقليمي اشتريس وكنتبريه وانسع ملكه حتى نسمل جيزءا من جلبقية (٢٠) .

مليا بولى اور الابدلس عفيه بن الحجاج السلولى (١١٧ –١٢٣٥م) وكان قائدا عظيما من طراز عبد الرحمن الفافقى ، جعل همه هو الانتقام لكارثة بلاط الشهداء باستئناف الجهاد فى غالة نم القيام برد عادية نصارى الشمال والقضاء على دويلنهم الناشئة فى أشدريس وجليقية ، وباليته ركز جده كله فى هدف الناحية ، لكنه انخذ من مدينة أيونية وراء البرنات قاعدة لغزو نمرنسا ، وتوغل هناك حتى عاد نهسر الرون رباطا للمسلمين الذين هددوا بذلك قلب نمرنسا ، لكن شارل مارتل هزم السلمين ، عند أربونة هزيمة شديدة عام ١١١ ه/٧٣٧ م(٢٠) ،

وفي عام ١٢٠ ه / ٧٣٨ م زحف شارل يساعده أخوه شطدبراند وحلبفه لوتبراند ملك اللمبارد على مواقع المسلمين ، واضطر عقبة أن يخلى بروفانس والارتداد الى ما وراء جبال البرنات حيث اصطدم بعصابات قوية من البشكنس والقوط الذين حرضهم الفرنج على التصدى له اثنا،

⁽۲۰) ابن عبداری ، النبان المغرب ، ج ۲ ، ص ۳۸ ، حسین مؤنس ، المرجع تفسه ، ص ۲۰ •

 ⁽۲۱) الخشدى ، عصاة غرطية ، ص ۲۱ ، ابن بشكوال برواية المقرى ، نفح الطيب
 ج ۲ ، ص ۸۵ ٠

مودنه ، وبذلك مقد المسلمون متوحانهم في جنوب مرنسا ، ولم ببق لهم الا مدينة أربونة ، وضاع جهدهم في هذا الصراع الدي كان وبالا عليهم(٢١) .

حول عتبه السلولى جهده في نفس الوقت الى أشتريس وجليفية ، لكنه ايضا في هسذا الميدان لم بحقق نجاحا تاما ، فقد قام قائده علقمة بن عبد الرحمن اللخمى بالاشتباك مع بلاى ورجاله ، وتقدم حنى افتتح جليقيه كلها وما وراءها بحيث لم يبق هناك الا الصخرة الني احمى بهسا فلاى وقلة من جنده ، وظل علقمة محاصرا لها حتى كاد هؤلاء يمونون جوعا ولم يبق لنهم الا تلائين رجلا وعشر نساء ، ولما اعيا المسلمين أمرهمنركوهم وعادوا الى استورقة في جليفية ، وهنا ندعى بعض الروايات المصرانية نصرا حقته بلاى عند مفارة دونجا بالصخره ، وتقول أن جيش علقة تسد هزم ، لئن تلك الموقعة لم يص أوانها بعد ، اذ أنها بهت عام علقة تسد هزم . لئن تلك الموقعة لم يص أوانها بعد ، اذ أنها بهت عام

کاد امر نلک الدوله آن یننهی فی عهد عفبه السلولی ، لکن هذا القائد العظیم لم یسنمر فی ولاسة الاندلس ، اذ ثار علیه عبد الملک بن قطل الفهری عام ۱۲۳ ه وبولی الحکم بدلا منه ، وبذلک بنفس بلای الصعداء خاصه وأن الوالی الجدبد انفهس حتی آدنیه فی صراع مریر مع البربر بم القیسیة بقیادة بلج بن بشر ، واسنمر هدا الصراع بعد عبد الملک ، کما سبق آن انبرنا ، حتی قامت الفتنه بین أبی الخطار حسام بن ضرار الکلبی ونوابة العاملی ، وبین الصمبل ویوسف الفهری عام ۱۳۰ ه / ۷۶۷ م ، هنا فقط أصبح الجو مها نهاما لکی یحقق نصاری الشمال نصرا ولأل مره بعدد الفتح علی مسلمی الأندلس فی موقعه کوفا دونجا(۲۰) .

⁽٢٢) ابن خلدون العدر ، ج ٤ ، ص ١١٩ ، محمد عنان ، دولة الاسلام في الأبطلس ، العصر الأول ، ص ١١٣ - ١١٥ .

ر ۲۳) ابن عبداری الدین المغرب ، ج ۲ ، ص ۱۱ ، مجهول ، احبسار مجموعه ، ص ۲۸ ، د٠ حسن مؤنس ، المرجع نفسه ، ص ۲۰ ، ۲۱ ۰

⁽۲۶) الرازی بروایة المقری ، نفع الطیب ، د ۲ ، ص ۸ه ۰

ويخلط المؤرخون المسلمون والنصارى في الزمن الذي تمت عيه هذه المعركة خلطا شديدا ، بل ويخلطون بين النورة التي قام بها بلاى وبين نلك الموقعة وبجعلونهما شيئا واحدا . وقد بنبعنا حركه بلاى مناذ عام ١٨٨ / ٧١٧ م ورأينا انه انبع سياسة الدفاع عما تبقى لديه من ارض في اشتريس وجليقية مما نركه المسلمون استصغارا لشانه . ولم يتركه المسلمون هادىء البال بل رموه بقوانهم ايام عنبسة وأيام عقبة السلولي حتى الجأوه الى الصخرة ، والان أتى دور الهجوم ، اذن لا مجال للخلط بين قيام ثورة أو دولة ، وبين موقعة حربية كسبتها نلك الدولة ، وكانت عاملا كبيرا من عوامل ننبيت أوتادها وفتحت الباب أمامها للتوسيع وبدء حركة الاسترداد التي قام بها نصارى الشمال ، وصارت علما على تاربخهم في العصور الوسطى(٢٠٠) .

وقد أعنبر بعض المؤرخين أن النصر في هذه المعركة الني شخم الأسبان قيمنها ، هو البداية الحقيقية لقيام دوله اتستريس . وعلى ايسة حال فاننا نميل حسب منطق الاحداث وحسب رواية صاحب اخبار مجموعة في فنح الاندلس وهي رواية هامة الي ان معركة كوفا دونجا مجموعة في فنح الاندلس وهي رواية هامة الي ان معركة كوفا دونجا Cova d'onga حدنث عسام ١٣٣ ه (٧٥٠ - ٧٥١ م) اذ أن خلافة بني أمية في المشرق قد انتهت ، والقوات الاسلامية في الاندلس قسد تضعضعت بفعل الصراع القبلي العنيف ، أي أن الوضع العام في المداخل والخارج يهيىء لنلك المعركة ويكفل لها النصر ضد المسلمين . ولولا المجاعة التي شملت النصاري والمسلمين في شبه الجرزيرة على السواء لأصبح مصير المسلمين في كفة الميزان(٢٠) .

ورغم الأهمية العظبمة التي اعطاها الاسبان لهذه المعركة الا انها لم تحرج عن كونها مناوشات حدثت بين المسلمين وبلاي في احدى مناطق

⁽³⁾ Crow, Spain: The root and the flower, pp. 48, 49 (٢٥) . ١٩٠٥ . المركة وما قبل قليها من آراء ، انظر ، حسن مؤنس ، المرجع نقسه ، ه ، ١٩٠٥ . (٢٦) مجهول ، اخبسار مجمولة ، ص ٢٦ ، ٢٦٠٠ .

التسمال لم تحسدد مكانها المصادر الاسلامية ، ونسميها المراجع النصرانية بكونا دونجا ، وكانت نتيجتها هزيمة المسلمين ، وترتب على ذلك أن قام بلاى وأخرج المسلمين من جليقية كلها ، وعاد من أسلم من أهلها الى النصرانية من جديد ، وتقهقر المسلمونة الى أسنورقة ، ولم يعودوا الى مهاجهة هذه النواحى مره أخرى الا فى أيام المنصور بن أبى عامر فى النصف الثانى من المقرن الرابع الهجرى ، ولذلك نان هذه الواقعة تعتبر الميلاد الحقيقى لدوة أشتريس وتعتبر بدءا حاسما لحركة المقاومة النصرانية فى شسبه الجزيرة الني تعسرف عادة بحسركة الاسسترداد التعربية وهى على هذا الاعتبار حادث ناصل من حوادث التاريخ الأسباني(٢٧) ،

وعلى هذا الأساس نشأ وضع جديد سيكون محورا من أهم محاور التاريخ الاندلسى كله ، وهو أن أسبانيا لن تكون منذ ذلك التاريخ قطرا اسلاميا خالصا ، وإنها ستكون قسمة بين الدوله الاسلامية والدولة النصرانية ، وأن كلا من هاتين الدولتين ستسير في طريقها ، وأن النزاع بينهها سيستمر ويطول حتى يننهى أخيرا وبعد ثمانية قرون بالقضاء على الدولة الاسلامية وعودة أسبانيا نصرانيه كما كانت ، من هنا تتضح لنا أهمية شخصية بلاى في التاريخ الاسلامي عامة ، فهو الذى وضع أساس الدولة الأسبانية النصرانية التي ستحمل لواء للقاومة على الجبهة الشمالية الغربية ، وهو أول من حقق نصرا على المسلمين جعلهم يتراجعون لأول مرة عن أرض افتتحوها واستقروا فيها لمده تقرب من أربعين عاما(٢٨) .

والخطير في الأمر أن تراجع المسلمين لم يقف عند حدود أشتريس كما رأينا ، بل أنه زاد في عهد الملك الفونسو الأول Alfonso 1 ما

. "

⁽۲۷) محهول ، أخبسار مجموعة ، ص ٦٢ ٠

⁽٢٨) د٠ حسين مؤنس ، المرجع ذَاعِيه ، ٢٤ ، ٢٧ -

۱۱۲۱ ه / ۷۵۲ -- ۷۹۰ م ۳ ، وهو ما تسمیه الروایة الاسلامیة عادة باذفونش أو الفونس ، وقد حکم بعد وفاه بلای بعامین ، ولم یکن من بیت بلای بین انسا کان ابنسا لبطسرة دوق کنبریه وکسان الفونسسو قد تزوج بنتسا لبلای تسمی أومنسندا Ermensind وارتقی العرش بعد موت (فافلة) Fafila ابن بلای بعسامین ، مسایفهم منه آن فافلة بن بلای مضی صغیرا دون آن یخلف عقبة ، والفونش هذا هو جد بنی الفونش الذین اتصل حکمهم بعد ذلك واستطاعوا آن یستردوا بسلادهم (۱۰) .

ويكاد يجمع المؤرخون على أن الفونش الاول كان زعيما واسع الننساط عالى الهسة واسع الاطماع ، تولى الامارة في وقت ابنعد فيه خطر السلمين عن حدود امارته أو مملكنه ، بسبب ما وقعوا فيه من صراع ونزاع انتهزه الفونش واستغله أحسن استفلال ، واستفاد أيضا من تلك المجاعة التي عمت شبه الجزيرة أحسن فائدة ، حنى أنه استطاع أن « يخرج المسلمين عن اسنورته وغيرها وانضم الناس الى ما وراء الدرب الآ(٢) والى قورية وماردة في عام ١٣٦ ه (٧٥٣) واثنتد الجوع وهاجر أهل الأندلس الى طنجة وأصيلا من ريف البربر ، فخف سكان الأندلس وكاد يغلب عليهم العدو الا أن الجوع شملهم »(٢١) .

⁽٣٠) الدروب هي النطرق التي كان المسلمون بستكونها في طريفهم من سبهول الحنسوب والوسط الى الدواهي الساحلية المعامرة في أغدى شمال الأندلس ، ومعظمها طرق رومانيه شديمة بين المهنساب والجيال ، وأهمها دريان . درب سرقي من طليطة الى وادى الحجارة الى حسوف أبرة ، نم يسير بمحازاته مارا بقلهرة وسخرة حتى بمبلونة Pampelona ومن ثم يغضي الى المرف ودرب عربي يبدأ الى المجرف والقيلام والقيلام والمستريس ويسير الى مارده ودرب عربي يبدأ عن الجرف وبسير الى ماردة وقدورية ثم طلبيرة نظيطة ومدها الى سلمنقة وسمورة مجليقية ، أنظر ، حسن مؤسى ، محر الاندلس ، ٣٤٥ .

⁽۱۳۱) مجنول ، اخسار مجموعة ، ص ۲۲ ،

والعبارة السابقة واضحة الدلالة ، وهى ببين الى أى مدى كانت هجرة البربر والعرب من الشمال النصراني بسبب المقاومه المسيحية وبسبب المجاعة التي كانت قد حلت بالبلاد منذ عام ١٣٢ ه / ٧٥٠ م، ، وكنتيجة لما سبق أن أشرنا اليه من صراع المسلمين مع بعصهم البعض .

استطاع المسامون الثبات عند قورية ومارده ، بعسد أن خلفوا وراءهم مراكز هامة منل ليون Leon وسمرة Zamora ولدسما Ledesma في الغرب ، وفي الجهدة الشرقية فقدأخلوا سلمنقة Salamanca وسلدانيا Sogovia وسيمانقاس Simancas وشيقوبية Saldana وأبله Osma وأوسيهة Oca Avila على وادى أبرة ، وكانت كلها مراكز هامة أتعب المسلمون أنفسهم في فنحها وأضاعوها في غمرة الصراع القبلي والعنصرى المقيت ، واصبحت حدود الأندلس الاسلامي الشمالية قبيل مجيء عبد الرحمن الداخل ببدأ من المغرب عند مدينة قويمرة على نهر مندبق Mondego ، ثم نمد الى قورية غطلبيرة فطليطلة فوادى الحجارة فتطيلة فبهلونه في اقصى الشمال الشرقي . أي أن الاندلس الاسلامي فقد ربع شبه الجزيره على وجه التقريب قبيل قدوم عبد الرحم الداخل عام ١٣٨ ه / ٧٥٨ م (٢٠) .

وليس معنى ذلك أن مملكة مشتريس النائنة اتسعت حبى شهات هذه المناطق الهامة لان الواقع أن الفونس الاول لم يستول بالنمل الاعلى الاعلى النواحى المحيطة بأشعريس ، أى ناحيه لببانا وبردوليلى وهو وساحل جليقية ، وليس من المؤكد انه احيل ليون ، وأما الباقى وهو المساحة الواسعة المهندة بين حوض المنهو والتاجه فكانت في ذلك الحين أرض فضاء قاحلة بين أسبانيا الاسلابة ودوله أشعريس النصرانية . ولم يفعل بها الفونش الاول أكثر من أنه زاد في تخريبها حتى يجعلها منطقة فاصلة بينه وبين قوات المسلمين ، ورغم ذلك لم نكن الحدود بين الطرفين فاصلة بينه وبين قوات المسلمين ، ورغم ذلك لم نكن الحدود بين الطرفين

^{. (}٣٢) شكيب أرسلان ، المرجع نفسسه حـ ٢ ، ص ٥٧ ، مؤنس ، هجر الأندلس ، ص ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٤٩ ،

حدودا تابته ، اذ كانت في حالة صعود وهبوط حسب انتصار احد الطرفين أو هزيبته من الطرف الآخر(٣٣) .

يؤكد ذلك ما تذكره المراجع المعربة من أن المسلمين أحسوا بخطسر قيام هذه الدولة وتوسعها على هذا النحو الذى بات يهدد المغسور الاسلامية في الشمال والغرب ، خاصة وأن شعب اباسك والذى تذكره المصادر العربية عادة باسم البشكنس ، كان قد تشبجع بما قام به بلاى والفونش الاول وأعلن الثورة هو الآخر ، وكان البشكنس يسكنون كها سبق أن أشرنا شرق اشنريس وحول خليج بسكاية ، وربها اشتملت أراضيهم على نبرة (نافار) والمتدت حتى نهر الجارون في سبتمانيا بجنوب فرنسا(ئم) .

وازاء ازدياد الأخطار المحدقة بالمسلمين في الشمال الغربي (جليقيه واشعريس) ، وفي الشمال خلف جبال ابرنات عند منطقة البشكنس ، أرسل يوسف الفهري حملتين الى هانين المنطقتين . أما حملته ضد جليقية فيبدو انها لم تحقق شيئا ، اذ أن المصادر لاذت بالصمت ولم تذكر لناعنها شيئا ، لكنها أفادننا عن الحملة الموجهة ضد البشكنس ، فقد ذكرت لنا أنها منيت بالفشل الذريع حيث قتل قائد الحملة عندما تقابل مع البشكنس في وادى شرنبة أو وادى الرمله Guadarrama وقتل عامة جنده ، وعادت فلولهم الى سرقسطة (٥٠٠) .

⁽٣٣) مؤنّس ، نجر الأندلس ، ص ٢٥٠ ، ٢٥١ .

Crow, Spain : theroot and the flower, p. 79 (٣٤)

Dozy, op. cit, p. 177

۰ ۷٦ مجهول ، اخبار محموعة ، ص

⁽٣٥) ابن عبذارى ، البيان المغرب ، ح ٢ ، ص ٦٥ ، محهول ، اخبار مجموعة ، ص ٢٥ ووادى شرنبة أو وادى الرملة الذى ذكر في المتن صو سلسلة جبال متوسطة الارتفاع تتفرع من سلسلة الجبال الوسطى El Sistema Central في وسط شبه الجزيزة ، تمر في مديريات مدريد وأبلة وشقوبية ، وتتصل من ناحية الشرق بسلسلة المجبال الايبيربة ، ونقطة التقائها بسلسلة الجبال الوسطى مرتفع سومو سيبرا Somosierra ويصل وادى الرمل

وقد لعب التآمر والخيانة دورا كبيرا في هزيمة المسلمين في وادى شرنبة عام ١٣٨ه / ٧٥٦م اذ أن الصراع على السلطة والصراع القبلي كانا وراء هذه الهزيمه ، فقد اراد يوسف الفهرى أن يقضى على بعض منافسيه من أشراف العرب « فأرسلهم في ضعف ولما علم بقبل ابن شهاب قائد الحملة سره ذلك »(٣٠) .

الى هذا الحد وصلت الكراهبية والاحتاد والتنافس على السلطان في أواخر عصر الولاه ، لذلك لم يكن عجبا ان ينصر الباسك وأن يقوم الفونش الأول بالاسنيلاء على كثير من المسدن والمعاقل الهامة التي لن يطأها المسلمون بعد ذلك الا في عهد المنصور بن أبي عامر ، ولم يكن عجبا ايضا أن يقسول أحد المؤرخين أن الناس شمتوا بيوسف الفهرى عندما وصل رسول من قرطبة يخبره بأن فتي من قريش سيقصد عبد الرحمن الداخل سيقد نزل بساحل المنكب بالأندلس وأن الناس اجنمعوا اليه(٢٧) .

ولم تكن شمانة الناس بيوسف الا لما معله بالقرشيين من قواد حملة وادى شرنبة (أو وادى الرملة) . ومن ثم انفضوا عنه وتركوه في قلة يواجه مصيره المحتوم ، وكأنما أرادت المقسادير أن نندارك المسلمين في هذا القطر الواسع برجل عظيم مثل عبد الرحمن الداخل يعيد اليهم ما فقسدوه في أواخر عصر الولاة ، أو يمنع على الاقل خطر النصارى على الدولة الاسلامية الناشئة .

الى قرب من مدريد عند مرتفع ناما ثيرادا Nevecerrada ويتبع من حمده الجبال كهر يسمى وادى الرمل Rio de Guadarrama أيضا يتجه الى الجنوب مارا بصاحية الاسكوريال ويصن في نهر ماجمه سرمى طليطة • وحمدا النهر - كما يدل عليه اسمه - جاف معظم المعام تقريبا الا في أوقات المطر العرير • وعلى مقربه من حمدا النهر وقسع اللماء بين المسلمين والبشكتس عام ١٣٨ ه / ٧٥٦ م •

Diccionario Geografico de Espana, X, P. 434.

⁽٣٦) مجهول ، أخسار مجموعة ، ص ٧٧ .

⁽۳۷) ابن الابار ، المصلة السيراء ، ح ۲ ، ص ۳٤٥ ، ٣٤٦ ، ابن عدارى ، البيسان المغرب ، ح ۲ ، ص ۲۰ ، ٦٠ ، مجهول ، اخبار مجموعة ، ص ۷۷ .

الباب الأول

العلاقات السياسية بين الأندلس الإسلامية وأسبانيا النصرانية في عصر أمراء بني أمية

الغصل الأول: الظروف والعوامل التي أثرت في العلاقات بين الأندلس الاسلامية وأسبانيا النصرانية في عصر أمراء بني أمية ٠

الفصل الثانى: مظاهر العلاقات السياسية بين الأندلس الاسلامية وأسبانيا النصرانية في عصر أمراء بني أمية .

الغصب الأولس

الظروف والعوامل التى أثرت فى العلاقات بين الأندلس الإسلامية وأسبانيا النصرانية فى عصراً مراء بنى أمية

تشكل العلاقات بين اى دولتين وفقا لظروف معينه ، وحسب عوامل خاصة ، تلون نلك العلاقات وتدفعها فى انجاه معين ، قد يكون اتجاها نحو سلام ، وصداقة ، وحسن جوار ، وتعايش منمر لصالح الطرفين وقد مدفعها فى اتجاه منافض لهذا كله فنقسوم الحروب ، وينشب الصراع السياسى ، والاقتصادى ، والنقافى ، والحربى ، وينتج عن ذلك دمار قد يكون متساويا عند الجانبين وقد يكون شديدا على احدها ، قليللا عند الآخر .

لكسن المؤكسد أن العسلاقات بشقيها السلمى والحربى ، الودى والعدائى ، سوف تؤثر فى كل منهما ، وسوف تنقل كثيرا أو قليسلا من المؤثرات الحضارية من طسرف الى آخسر .

وعلى هذا فحديثنا عن العلاقات بين الأندلس الاسلامية واسبانيا النصرانية ، لابد أن ينحو هذا المنحى ، ويتجه هذا الاتجاه ، فيأخذ منذ البداية تبيان الظروف والعوامل والأحوال التى اثرت في العلاقات بين هاتين الدولتين، والتي طبعتهما بطابع معين في فترة معينة ، أو في عصر معين. وسوف نلاحظ أن هناك ظروفا ، أو عوامل أدت الى طبع العلاقات بينهما في عصر الأمارة الأموية بطابع قد لانجده في عصر الخلافة مثلا ، أو في عصر ملوك الطوائف أبضا ، ويمكن أن نعبر عن ذلك أيضا بأن هناك عوامل وظروفا أدت الى رجحان كفة أحدد الجانبين في عصر ما وظروفا أخرى أدت الى الخفاقة وتعثره وضعفة في عصر آخدر ،

وعلى ذلك لابسد أن ناخف في الحديث عن تلك الظروف والعسوامل داخل كل من الدولتين على حسدة ، حتى يمكننا تفسير طبيعة العسلاقات بينهما في الفنرة التي حددناها للبحث وهي عصر بني أمية وملوك الطوائف .

أولا: ظروف الاندلس الاسلامية وأحوالها المؤثرة في علاقاتها باسبانيا النصرانية في عصر امارة بني أمية

وفى هذا الصدد لابد أن نتحدث عن اربع نقاط ، فنبين أولا : سمات هذا العصر فيما يختص بعلاقة أمراء بنى أمية بأسبانيا النصرانية ، بم يوضح عوامل القوه ، وعوامل الضعف ، التي أثرت في علاقتهم ببلك الدولة ، نم نختم بالحديث عن موفف النصارى من أهل الذمة داخل الأندليس الاسلامية وأثر هدذا الموقف ، في نطور العلاقات الأندليية الأسبانية .

الموقف في نطور العلاقات الأندلسبة الأسبانية:

١ ــ سسمات عصر أمراء بذي أميسة:

راينا فيما سبق من حديث كيف أن المقاومة النصرانية الأسبانية النشطة ظهرت الموجود في أواخر عصر الولاة ، وكيف أنها اسنولت على بعض المناطق الاسلامية الهامة في الشمال ، وقد اسعفت المقادير بلاد الأندلس المتناحرة بقدوم عبد الرحمن الداخل اليها عام ١٣٨ ه / ٢٥٧م، وبوفاة عدوها النشط الفونش الأول ملك جلبقية وأشتريس بعد ذلك مقايل في عام ١٤٢ه / ٢٥٧م .

وبتدوم عبد الرحون بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان المعروف بالداخل ، بدأ عصر جديد في داريخ الأندلس يسمى : عصر الامارة وامتد هذا العصر حتى بداية القرن الرابع المهجرى ، عندما تولى عبد الرحمن الناصر حكم البلاد عام ٣٠٠ ه / ٩١٢ م وشمل بضع سنوات في حكم هذا الأمير ، حتى اعلن قدام الخسلافة في عام ٣١٦ ه / ٩٢٨ م ، فدخلت البلاد في عصر جديد هو عصر الخلافة .

وقد درج المؤرخون المحدثون على تقسيم عصر الامارة الى عصرين : عصر القوة : وبيدا بعبد الرحين الداخل عام ١٣٨ه/٢٥٧م وينتهى بوفاة عبد الرحين الثانى عام ٢٣٨ه/ ٨٢٢م .

وعصر الضعف: وببدأ مند دلك التاريخ وبننهى بتولى الأمير عبد الرحم المعروف بالناصر حكم البلاد عام ٣٠٠ ه / ٩١٢ م .

الناريخ وينتهى بتولى الأمير عبد الرحمن المعروف بالناصر حكم البلاد عام ٣٠٠ ه / ٩١٢ م .

لكنا لا نستطيع أن نأخذ بهذا التقسيم في مجسال المديث عن العسلقات السياسية بين مسلمي الأندلس واسبانيا النصرانية في عصر الاسارة .

ذلك أن جميع أصراء بنى المية لم يتوانوا عن القيام بواجبهم في الدفاع عن الثغور الاسلامية ، كما كانوا يقومون بالهجوم على أراضى اسبانيا النصرانية وبرشلونة الفرنجية حتى أجبروهما على طلب السلام والصلح عدة مرات ، ولم يتخلف أى أمير من أمراء بنى أمية حتى في نترات الضعف وهي نترات الانشافال بالفتن الداخلية عن القيام بهذا الواجب المقدس .

ومما يؤيد ذلك أيضا أن العصر الذي يعتبره المؤرخون المصدثون عصر قوة ، ضاعت أثناءه مدن وثغور أسلامية هامة في الشمال الشرقي من البلاد ، منل مدينة أريونة عام ١٦٢ ه / ٧٥٩ م ومدينة جرندة عام ١٦٩ ه / ٧٨٥ م ، وثغر برشلونة عام ١٨٥ ه / ٨٠١ م . كما ضاعت مدن هامة في الشمال الغربي أيضا مثل مدينة لك وبرتقال ، وسلمورة وقشاتالة وشقوبية عام ١٤١ه / ٢٧٤م ، وضياع هذه المدن يعتبر علامة ضعف وليس علامة قوة ، وقد حدث هذا في عصر القوة ، ولم يكن الا بسلب الأحوال الداخلية التي كانت تسود بلاد الأندلس في تلك الأثناء() .

واتسم عصر الامارة فيما يتعلق بعلاقة مسلمى الأندلس بأسبانيسا النصرانية ، بسمات واضحة ، منها : ذلك التصدى لقوة مملكة جليقية الناشئة ووقف توسعها ، وحصرها فى المناطق الشمالية التى استولت عليها اتناء عصر الولاة ، لكن انشغال أمراء بنى أمية بالقضاء على الفتن الداخلية وبالصراع على الحكم ، أدى الى فرض السلام على الجانبين لفترات طويلة فى عهد الأمبر عبد الرحمن الداخل وخلفائه على خلاف ما يظن البعض ،

[•] ٢٦٤ ، ص ١٢٢ ، القلقناندي ، صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٦٤ • Murphy, Mohamedan Empire in Spain, p. 84

كما ادى أيضا الى ازدياد نشاط الفرنجة ، وسقوط ثغر برشلونة فى أيديهم ، وصار خنجرا فى ظهر المقاومة الاسلامية التى كان يقوم بها حكام قرطبة حينا ، وحكام سرقسطة حبنا آخر() ،

وقد ادى عدم التفرغ تماما لمقارعة نصارى الشمال الأسبانى الى ظهور ممالك جديدة مثل مملكة نبرة (ناغار) الى جانب مملكة جليقية واشتريس التى قامت في عصر الولاة والتى تحدثنا عنها من قبل وباتساع رقعة المقاومة النصرانية على هذا النحو الصبحت شبه الجزيرة الايبرية مقسمة بين الدولة الأسبانية النصرانية في الشمال وبين الدولة الاسلامية في بقية أنحاء شبه الجزيرة وبدأ الصراع بينهما ولن تستطيع أى منهما القضاء على الأخرى تماما الا بعد صراع طويل مربر استمر ما يقرب من الثمانية قرون و

ولم يكن السلام الذى اشرنا الميه يعود الى انشغال أمراء بنى أمية في هذا العصر بتوطيد الحكم والقضاء على الفتن الداخلية فقط ، بل يعود بالدرجة الأولى الى أن معظم أمراء بنى أمية كانوا أقوياء ، وكان في استطاعتهم السيطرة على مقاليد الأمور في أنحساء البلاد ، مما أجبر نصارى الشمال على احترامهم ، والحرص على مسالمتهم بقدر الامكان ، بل وارسال الوفود لعقد معاهدات السلام ، والصلح مع حكام قرطبة ، الذين كانوا قد نجحوا في القضاء على الصراع على كرسى الامارة ، ونجحوا أيضا في القضاء على الفتن الداخلية التي كان يقوم بها العرب والبربر ، وتفرغوا لمالك الشمال النصراني منذ بداية القرن الثالث الهجرى .

ومن سمات هذا العصر أيضا : أن الحرب كانت سجالا بين الفريقين في أحيان كثيرة ، وتبادل الفريقان النصر والهزيمة ، ونشطت الحرب بينهما بصفة خاصة في أواخر عصر الامارة ، حيث كانت الأندلس قد تفتتت الى اقاليم أو دويلات صغيرة متناحرة ، فيما بشبه عصر ملوك الطوائف الذي ظهر بشكل سافر فيما بعد في القرن الخامس الهجرى ، وصار نفوذ

⁽٢) العيدي . عدد الجمان ، ح ١٢ نسم ٧ ورفه ١٩٨ ، ٢٣٥ (مخطوط) .

أمراء بنى أمنة لايتعدى مدننة قرطبة فى بعض الأحيدان ، وأننهز نصارى الشمال الأسبانى الفرصة واستولوا على بعض المراكز الاسلامية الهامة ، وتقدم الفونش الثالث (٢٥١ - ٢٩٥ ه / ٨٦٦ ه - ٩١٠ م) ملك ليون (جليقية) في أراضى المسلمين .

ومن سمات عصر الامارة البارزة أن حركات التمرد الداخلية شسمات هذا العصر كله ولم تقتصر على فترة معينة أو حاكم معين ، ولم يخل منها عهد أى أمير من أمراء بنى أمية ، لكنه فى النصف الأول من عصر الامارة ، كانت تقسوم الفتن بين أمراء البيت الأموى بعضهم البعض بسبب الامارة ، كانت تقوم الفتن بين أمراء البيت الأموى بعضهم البعض بسبب الصراع على كرسى الامارة ، وبلغ من عمق هذا الصراع أن بعضهم المستعان بالفرنجسة ضد البعض الآخر . أما فى النصف الثانى من عصر الامارة ، فقد كانت حركات التمرد ذات طبيعة عنصرية ، أو شعوبية ، الامارة ، فقد تمام المولدون الأسبان(؟) ، يؤازرهم النصارى من أهل الذمة(؛) ويدعمهم نصارى الشمال الأسبانى والفرنجة بالثورة ضد العرب ، وضد حكم بنى أمية ، يتمثل ذلك فى ثورة ابن مروان الجليقى فى ماردة وبطليموس فى غربى الأندلس ، وثورة ابن حفصون فى رية فى الجنوب ، وتمرد بنى قسى فى سرقسطة فى الشمال الشرقى .

ولم يتوان أمراء بنى أمية فى القضاء على هذه الثورات ، لكنها شغلتهم كثيرا عن المتصدى الأسبانيا النصرانية التى لو اتحدت ممالكها لنالت الكثير من المسلمين ، لكن الصراع كان قد نشب بين مملكة نبرة الناشئة وبين جارتها جليقية (ليون) ، التى كانت تحاول دائما أن تفرض سلطانها على الشمال الأسبانى ، وأعطى الصراع الداخلي بين نصارى الأسبان الفرصة لأمراء بنى أمية ، لكى يقضو على الفنن الداخلية .

⁽٣) المولدون الأسبان هم أبناء الأسبانيات الملئى تزوجن من عرب او بربر ونشأ ابناؤهن على الاسلام ، وكون بعصهم اسرا حاكمه وخاصه ى سمال بالد الأندلس .

⁽٤) المصارى من أصل الذمة ، هم المصارى الذين يعشون بين مسلمى الأندلس وأصبحوا في نوتهم ، فعلى المسلمين حمايسهم وتوفير الأمان لهم •

ونتج عن ذلك : نفوق الأندلس الاسلامية ، وازدياد قوتها عن جاراتها من مسالك اسبانيا النصرانية .

٢ ... عوامل القوة وأثرها في العلاقات مع ممالك أسبانيا النصرانية:

وكانت عوامل القسوة التى كفلت التفوق فى معظم عصر الامارة على اسبانيا النصرانية كثيرة ، اهمها : توحيد الجبهسة الداخلية تحت قيادة امراء بنى اميسة .

وكانت البلاد في اواخر عصر الامارة نهبا للفوضى ، وسفك الدماء بين الولاة المتنازعين على كرسى الحكم ، وكانت البلاد ميدانا للصراع المقيت بين اليمنية والقيسية ، وبينهما وبين البربر ، كما سبق القول ، فأتى عبد الرحمن الداخل وضرب تلك العناصر، واستعان ببعضها ضد البعض الآخر كما استعان في تنفيذ سياسته تلك ، بالموالى والعبيد والبربر والمحاربين من شمال افريقية ، واقام حكما مطلقا ، كان السلطان فيه للسيف وحده ، واتبع في ذلك جمع وسائل البطش والعنف (*) .

ويبدو أن الداخل كان مضطرا الى ذلك ، فقد كان اعتماده على اليمنية في بادىء الأمر ، لكنهم لم يلبثوا أن ثاروا عليه بسبب مقتل زعيمهم أبى الصباح اليحصبى ، وادى ذلك الى عدم اطمئنانه الى العرب قاطبة وعرف أن قلوبهم لا يمكن أن تصفو له ، هفانحرف عنهم الى اتخاذ الماليك، من الموالى والعبيد الذين اشتراهم واستكثر منهم ، حتى أنه كون منهم جيشا قوامه أربعون ألف مقاتل ، تمكن به من السيطرة على أهل الأندلس من العرب وغيرهم ، كما تمكن به من فرض السلام على جيرانه من نصارى الأسبان في الشمال ، واستقامت له الأمور ونوطد حكمه في تلك البلادرا) .

⁽٥) ابن سعید ، المصدر نفسسه ، د ۱ ، ص ٦٠ ، لین بول ، قصسة العرب فی استباسا ص ٠٦٠

⁽٦) ابن حيان برواية المقرى ، نفح المطيب ، ج ٢ ، ص ٦٧ •

وقد تعرض عبد الرحمن الداخل في اواخر عهده الى مؤامرة كبرى اشترك الفهربون (مضر) والكلبيون (يمن) ، والتمس هؤلاء الثوا المساعدة من شارلمان المبراطور الفرنجة ، لكنهم لم ينفذوا الخطة التي كانوا قد اتفقوا عليها معه ، وكانت النتيجة أن اتهم بعضهم بعضا بالخيانة ، ما سهل على عبد الرحمن الداخل فرصة القضاء عليهم ، بعد أن عاد شرلسان خائبسا ، حيث المتنعت عليه مدينة سرقسطة ، ومنعه اهلها من دخولها ، وتعرض أثناء عودته لهجوم قبائل البشكتس (الباسك) ، وفقد عددا كبيرا من جنده قبلى ، كان من أشهرهم قائده المحبوب ، رولان في عسام كبيرا من جنده قبلى ، كان من أشهرهم قائده المحبوب ، رولان في عسام كبيرا من جنده قبلى ،

وقد بقيت ذيول هذه الحركة أيضا في أيام الامير هشام بن عبد الرحمن الداخل (١٨٠ – ١٨٠ م) والأمير الحكم بن هشام (١٨٠ – ٢٠٦ ه) واستقل أحد الثوار العرب بمدينة سرقسطة ، واستقل ثائر آخر بمدينة برشلونة ، وساعدهم على ذلك ظهور الانشقاق في البيت الأموى ، اذ قام الصراع بين أبناء عبد الرحمن الداخل على كرسى الامارة ، واستمر هذا الصراع في عهد هشام وابنه الحكم ، واستعان بعضهم بشرلان مرة ثانية ، فجاء الى الأندلس من جديد ، وساعده احد الثوار العرب في الاستيلاء على برشلونة عام ١٨٥ ه / ١٠٨ م ، وضاعت تلك المدينة الهامة التي كانت تحمى الثفر الأعلى (سرقسطة) الى الأبد(^) .

وقد تمكن حكام قرطبة من القضاء أخيرا ، على تلك الفتن ، وعلى هؤلاء الثوار العسرب ، الذبن أضاعوا ثغسر برشلونة الهسام ، وتأكد لديهم أن هؤلاء العسرب لا يمكن الاعتمساد عليهم ، فتوسعوا في استخدام الصقالبة

⁽۷) العنزى ، نصوص عن الأنطس ، ص ۱۱ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٢٠ ابن خليدون ، العبر ، ج ٤ ، ص ١٦٤ ٠ من ٢٠ ابن خليدون ، العبر ، ج ٤ ، ص ١٣٤ ٠ Dozy, A History of the Moslems in Spain, pp. 204-206.

⁽۸) الراری بروایة ابن عبداری ، الببان المغرب ، ج7 ، ص97 س98 ، ابن عبداری ، المسدر بفسه ، ج7 ، ص97 ، ابن خلدون ، المسدر بفسه ، ج7 ، ص97 ، المدر ، ج97 ، ص97 ، المدر ، ج97 ، ص97 ، المدر ، ج97 ، ص

والموالى منذ عهد الحكم ؛ واستمر خلفاق يسيرون على منواله ، فركن العرب إلى الهدوء طوال حكم ابنه عبد الرحمن الثانى (٢٠٦ – ٢٣٨ ه) وطوال عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الثانى (٢٣٨ – ٢٧٢ ه) ولم ترفع الارستقراطية العربية رأسها الا فى أواخر عهد الأمير محمد ، وقاموا بنوراتهم واستقلوا بها كان محت يدهم من مدن وأقاليم ، حتى جاء عبد الرحمن الناصر وقضى عليهم .

وكان لثورات البربر أيضا: أثرها في الجبهسة الداخلية ، وعلى العلاقات بين مسلمي الأندسل ونصاري الشمال الأسباني ، فقسد قام أهدهم ويدعي شقيا بن عبد الواحد المكناسي ، وادعى أنه فاطمى ، وقام يدعو للشيعة ، واستولى على شنت برية (قرب طليطلة) وامتد نفسوذه الى المناطق التي تقع بين ماردة وقورية غربا ، الى ثغر وادى الحجارة وكونكة شرقا ، واستمرت ثورته من عام ١٥١ ه حتى عام ١٦٠ ه (٧٦٨ – ٧٧٧ م) ، ولم تنه تلك الثورة الا بعد أن اغتاله أحد أصحابه عام ١٦٠ ها م ١٩٠٠ ها م ١٦٠ ها م ١٠٠ م ١

وقد شغلت تلك الثور، عبد الرحمن الداخل عن التصدى لنصارى الشبال ، الذين كانوا يحتضنون كل ثائر على ينى أمية ، فقد فتحوا ابوابهم لأحد ثوار البربر في عهد الأمير عبد الرحمن النانى ، ورحب به الفونش (الفونسو) الثانى طك جليقية واشتريس ، ولما حاول هذا الثائر العودة الى بلاده ، خاف الفونش من أن ينقلب ضده ويصالح أمير قرطبة فقتله عام ٢٢٥ هر (١) .

ورغم هذا التشجيع الذي لقيه الثوار ، سواء كانوا من العرب ، او من البربر من نصارى الشمال ، نقد نجح أمراء بني أمية في القضاء على حركاتهم

⁽٩) ابن حزم ، حمیرة انساب العرب ، ص ۷۸ ، ابن الأثیر ، الكامل ، ح ٦ ، ص ٣ ، ١٢ ، ١٨ ، ابن خلموں ، العیر ، ج ٤ ، ص ١٢١ ،

⁽۱۰) ابن عبداری ، المصدر نفسه ، ج ۲ ، ص ۱۰۸ ، ابن سعبد ، المصدر معسه ، ج ۱ ، ص ۱۶۸ ، ابن حلدون ، العدر ، ج ۱ ، ص ۱۲۹ ، ۱۱۸ ، ابن حلدون ، العدر ، ج ۱ ، ص ۱۲۹ ، من ۱۲۹ .

التى ظهرت فى الصدر الأول من عصر الامارة . ولما ظهر نشاطهم مرة الخصرى فى أواخر ذلك العصر ، استطاع الأمير محمد (٢٣٨ ـ ٢٧٣ ه) ان يوجههم لمهاجمة نصارى بمبلونة بعد أن اقروا له بالطاعة والولاء . وبذلك : تمكن بنسو أمية من نوحيد الجبهة الداخلية ، وتفرغو للجهاد ضد نصارى الشمال الأسبانى ، ورد اعتداءاتهم على الثغور الاسلامية حتى اضطروهم الى طلب الصلح فى أحيان كثيرة (١١) .

٢ — وكان الأسلوب الذى اتبعه امراء بنى أمية فى الحكم ، من عوامل توتهم ، وكان له أثره فى استقرار الأمور فى الداخل ، وفى التصدى لنصارى الأسبان فى الشمال ، وكان هذا الأسلوب يرتكز على ذلك التوازن الذى اوجده الأمويون بين القسوات الخاصة التى أنشئوها ، من الموالى والصقالبة والبربر ، ومن قوات القبائل العربية المنتشرة فى الكور ، أو الولايات التى تعرف بالكور المجندة ، وهى ولايات ينزلها « جند » من قبائل معينة ، كان أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبى وزعهم عليها ، مئذ عام ١٣٥ ه / ٧٤٣ م فى عصر الولاة(١٠٪) .

وكان لقوة شخصية امراء بنى أمية أثره فى نجاح سياستهم فى السيطرة على القوات الخاصة وعلى أجناد القبائل ، وتوجبهها لتحقيق مصلحة الدولة ، فاستطاعوا بذلك أن يقضوا على الثوار فى كل ناحية ، واستطاعوا أن ينازلوا نصارى الشمال الأسمال الأسماني ، وأن يلحقوا بهم الهزائم ويجبروهم على طلب الأمان والسلام .

لكن أمراء بنى أمية الأواخر اشتطوا في شراء الصقالبة والاعتماد عليهم ، ماختل التوازن وحاول هؤلاء الصقالبة السيطرة على مقاليد الأمور في بعض الأحيان ، ونزعت القبائل العربية الى الاستقلال عن قرطبة ،

⁽۱۱) ابن الأدير ، الكامل ، ج ٧ ، ص ٧ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٩٩ ، آبن خلستون ، العدر ، د ٤ ، ص ١٣٤ .

⁽۱۲) ابن حزم مروایة ابن حیان ، المتبس ، ح ۳ ، ص ۱۱ ، الحمیری ، صلفة حزيرة الأنطس ، ص ۳۰ ، ابن الأثیر ، الكامل ، ح ۲ ، ص ۱۳۹ .

فانفرط عقد البلاد وصارت أشبه ما تكون بدول الطوائف في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي .

كما كان حب أمراء بنى أمبة للعدالة وانقيادهم للحق حتى ولو كان على انفسهم أو اقسرب الناس اليهم من المسقات البارزة التى انصفوا بها ، وكانت مصدرا قويا من مصادر قوتهم ، فقد اطمأن الخاص والعام الى حكمهم ، وتفرغ الناس للعمل في شئونهم الزراعية والصناعية والتجارية ، فزادت ثرواتهم ونمت ملكيانهم وترقت حياتهم ، وأدت تلك السياسة الرشيدة الى نتيجة واضحة في عهد عبد الرحمن النانى ، فقد اقنرنت أيامه بالهدوء وخلت من النورات فتفرغ الى بناء الدولة واتخذ دارا للسكة بقرطبة ، وزادت هيبة الدولة وفخامتها ، وازدهرت الحياة في سائر مناحيها . وازداد العمران وكثير بناء المدن والقرى وشق الترع وبناء القناطر(١٠) .

٣ ـ وكان لتركيز السلطة في بيت الأمير الحاكم فقط وانتقال الحكم اللي ابنسه دون بقية أفراد الأسرة الأموية ، أثر كبير في استقرار الأمور وفي قوه قرطبة وقدرتها على مقارعة الخطوب مسواء في الداخل أم في الخارج ، فلم يحدث أن تولى اخسوة الأمير الحاكم عرش الإمارة من بعده الا في حالة واحدة ، هي انتقال الحكم بعد وفاة الأمير المنذر الى أخيه الأمير عبد الله عام ٢٧٥ هـ ، عدد ذلك كان الحكم ينتقل بالورائة من الأمير الي ابنه من بعده ، حدث هذا طوال عصر الامارة ، وصار قاعدة سار عليها الأمودون حتى في عصر الخائمة حتى عام . . } ه .

وكان الأبويون في الأندلس أحسوج الى الوحسدة وتركيز السلطة على هذا الشكل أكتر من غبرهم من الأسر الحاكمة في الأقطار الاسلامية

⁽۱۳) ابن عبذاری ، المصدر نفسه ، ح ۲ ، ص ۱۱۳ ، ابن سعبد ، المصدر نفسه ، ح ۱ ، ص ۲۶ ، ۱ه ، ۱۶۶ ، ۳٦٣ ، ۱۳۶ ، محهول ، أخسار مجموعه ، ص ۱۲۶ ، ۱۲۵ ، ۱۲۵ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ج ۲ ، ص ۱۰ ، ابن شاكر الكتبى ، فسوات الوفيات ، ح ۱ ، ص ۱۶۲ ،

الأخسرى ، بسبب طبيعة البلاد وتباين الأجناس والعناصر التى تقطنها ، وبسبب ملاصقتها لعدو لا بنى ولا يمسل من التطلع الى استرداد ارضه من مسلمى الأندلس مرة اخسرى ، وكان أمويو الأندلس فى ذلك على خلاف الجدادهم من أموى الشام حيث كان الاخسوة بتولون منصب الخلافة ، مثال ذلك : بنو عبد الملسك بن مروان الاربعة ، الوليد ، وسليمان ، ويزيد وهشام . وكان أمويو الأنداس على خلاف العباسيين فى بغداد أيضا فى هذه الناحية ، فقد تولى الخلافه بنو الرشيد الثلاثة : الأمين والمسأمون والمعتصم ، وبنسو المتوكل الثلاثة : المنتمر ، المعتز ، والمعتمد(١٠) .

﴾ سومن عوامل قسوة أمراء بنى أمية أيضا : سياستهم الناجحة في الاستعانة بالمولدين في حكم الثغور واصطناعهم وتوجيه نشاطهم في رد هجمات نصارى الشمال الأسباني ، وضربهم بالعسرب اذا ما حاولوا التمرد والعصيان ، أو اذا ما تحالفوا مع نصارى الشمال فسد قرطبة ، وأول من نفسذ هسذه السياسة هو الأمير الحسكم (١٨٠ – ٢٠٦ ه) عنسدما استعان بعمروس الأول ابن يوسف ، وهو من المولدين في القضاء على ثورة بنى جلدته من المولدين في طليطلة عام ١٩١ هـ/٧٠٨ م ، وكان بنو عمروس يعيشون في مدينة تطيلة بالثغر الأعلى (سرقطسة) وتعرضوا بذلك لهجمات النافاريين عام ١٨١ ه / ٣٠٨ م الذين تمكنوا من أسر ولده يوسف ، فقاتلهم عمروس حتى خلص ابنه من أسرهم ، كمسا ساهم أيضا في صدد خطر الفرنجة على ثغر طرطوشة الذي يقسع في شرقي الأندلس على ساحل البحر الأبيض المتوسط عام ١٩٣ ه / ٨٠٨ م (١٠٠٠) ،

وكان النفر الأعلى الأندلسى (سرقسطة) تحيط به الممالك النصرانية من الشسمال والشرق والغرب ، وهو اقليم غنى بموارده الزراعيسة والتجارية ، وكانت أغلبية سسكانه من المولدين والنصارى من أهل الذهد ، مثل أسرة بنى قسى وبنى عمروس وبنى الطويل (شبروط) وهى أسرات

⁽١٤) ابن حزم ، نقط العروس ، ص ٢٦٦ ، ابن مسام ، الذخيرة ، ق ٤ ، ج ١ ، ص ٤٠ ،

⁽١٥) السامرائي ، الثغر الأعلى الأندلسي ص ٣٤٤ ٠

من المولدبن الأسبان . ولم يتبع هؤلاء المولدون سياسة النعصب أو الشعوبية التي كانت ملحوظة عند مولدى الجنوب الأندلسي ، وانما كانت تحكمهم مصلحتهم الخاصة . وكان بعدهم عن قرطبة وقربهم من أسبانيا النصرانية يكبف أوضاعهم السياسية ويؤثر فيها تأثيرا قويا(١٦) .

فكانت العلاقة بين مولدى الشمال وبين حكومة قرطبة ، تتأرجح بين الطاعة والعصيان ، وكان هؤلاء المولدون يحاربون نصارى الشسمال الأسبانى أحيانا ويتحالفون معهم أحيانا أخرى ، ولم تكسن حروبهم هذه حبا فى بنى أميسة أو كراهية لنصارى الشمال ، وانها كان ذلك لتحقيق مصالحهم الذاتية ، وحماية لنفوذهم وابقساء لسلطانهم على تلك المناطق من بلاد الأندلس ، ولذلك : كانوا يتعرضون كثيرا لهجوم جيوش الامارة الأموية لاجبارهم على العسودة الى الطاعة ، ورغم ذلك فقد أدوا خدمات جليسلة للامارة في حفظ تلك المناطق النائية من الوقسوع في قبضة أسبانيا النصرانية ، وفي بنساء الكثير من الحصون لحمايتها ، وفي رد هجمات نصارى الشماد عن الثفور الاسلامية(۱۷)،

وعندما حاولت تلك الأسرات من المولدين أن تنفصل عن قرطبسة وتعلى عليها التمرد ، والعصيان في أواخر عصر الامارة ، قام امراء بني أمية بضربهم ببعض الأسرات ذات الأصل العربي ، مثل بني تجيب الذين مكن لهم الأمير محمد (٢٣٨ – ٢٧٣ ه) وبني لهم قلعة أيوب ، وأسكنهم بها .

ولما عاد بنو قسى الى النهرد فى عهد ابنه الأسير عبد الله عام ٢٧٦ هـ ، استعان هذا الأمير ببنى تجيب هؤلاء ، وتمكنوا من الاستبلاء كعلى ببرقسطة وزاحموا بنى فسى ، وفرضوا نفوذهم على منطقة الثفر الأعلى منذ ذلك التاريخ (١٠) .

Livermors, A history of Spain, P. 78 (13)

⁽۱۷) ابن حیان ، المتنبس ، ح ۳ ، ص ۱٦ ، ۲۰ ، آلعظری ، آلصدر نّقسه ، ۳۲ ، ۳۷ .

⁽۱۸) اس حيان ، الصدر نقسه ، ح ٣ ، ص ٢٠ ، العذوى ، الصيدر نقسيه ، ص ٢٠ ، ٣٠ ، ٣٠ ، ٣٠ ، ٣٠ ، ٣٠ ، ٣٠ ،

وقد مكنت عوامل القسوة الدى ذكرناها حتى الآن ، امراء بنى اميسة من انباع سياسة نشطة وناجحة فى علاقاتها بنصارى الشمال الأسبانى ، وبنصارى برشلونة من الفرنجة ، وأصبحت بلاد الأندلس مرهوبة الجانب بفضل سياسة أمرائها وقسوة شخصيتهم ، حنى هابهم خلفاء بنى العباس الأقوياء ، وقال أحسدهم : « الحمد لله الذى جعل بيننا وبينهم بحسرا » وهابهم نصارى الشمال الأسبانى ، وهرعوا الى قرطبة مرارا يطلبسون السلام ويمدون يسد المودة .

٣ ـ عـوامل الضعف وأثرها في العـلقات مع ممالك أسبانيا النصرانية:

لكنه كانت هناك أيضا : عوامل ضعف اثرت في العلاقات بين الأندلس الاسلامية وأسبانيا النصرانية في فترات معينة طوال عصر الامارة . ويمكن أن نلحظ تلك العوامل بين ننايا سياسات الامراء الأمويين أنفسهم ، ومنها مايمكن أن يعسود الى تلك الفرقة العنصرية والدينية وللبيئة الطبيعية والبعثرة الجغرافية التي كان لها أثرها في انقسام البلاد الى أقاليم منفصلة تفصل بينها حواجز طبيعية ، تساعد على التمرد وتؤيد الانفصال عن السلطة المركزية في قرطبة ، كما كان لوجود نصسارى الشمال الاسباني وقسربهم واتصالهم بالثغور الاسلامية ، ما ساعد على التمرد وحرض عليه ، وادى الى ضعف الحكومة الاسلامية في قرطبة .

ا ــ وقد سبق أن ذكرنا أن أمراء بنى أميــ الأوائل قد أقاموا حكمهم بحــد السيف ، وأنهم أقاموا حكما مطلقا ، واتبعــوا جميــع وسائل البطش والعنف حتى مع أقرب الناس اليهم ، حفاظا على سلطانهم وندعيما لحكمهم وارهابا لأعدائهم ، ســواء في الداخل أم في الخـارج ، واستعانوا في ذلك بالموالي والصــقالبة .

ورغم نجاح تلك السياسة في تحقيق وحدة الجبهة الداخلية ، وفي رد كيد نصارى الشمال الأسباني وردعهم ، الا أنه كان لها خطرها من ناحتين : أولاهما : أنه سوف يبرز خطر الاستعانة بهذه المناصر الأجنبية في فترات الضعف في أولخر عصر الامارة ، بعد أن

أصبحت تلك العناصر هى القوف الضاربة للدولة ، وصارت تتحكم فى توجيه سياستها ، بعد أن تراخت يد الأمراء الأواخر فى القبض على زمامها .

وثنايهما: ان تلك السياسة لم بالفها العصرب ، ولم يتعصودوا عليها . واذا كان الأسبان الأندلسيون قد راقتهم سياسة الحكم المطلق التي سار عليها أمراء بني أمية ، لأنهم استطابوا ذلك والفوه منذ العهدين القوطي والروماني ، الا أن المعسرب بالتأكيد لم يالفوا ذلك ولم يعتادوه ، وكان يناسبهم العيش في أقاليمهم واقطاعاتهم داخل ما ينبه الجمهدوريات المنفصلة ، ولم يكن يربط بينهم الا شعورهم بالخطر المشترك الزاحف اليهم من نصاري الشمال الأسباني ، فكانوا ينفرون اليه جميعا يدا واحدة وقلبا واحدا . وكان هذا النمط من الحكومة هو ما يناسبهم وينسجم مع ما جبلوا عليه من حب الحرية والاستقلال والأنفة (١٠٠) .

ويعزو البعض كثرة الثوار في دولة بنى أمية الى طبيعة العرب والبربر ، وما طبعوا عليه من « علو الهمم وشموخ الأنوف ، وقلة الاحتمال لثقل الطاعة ، اذ كان ما يحصل بالأندلس من العرب والبربر يجعل بعضهم يأنف من الاذعان لبعض » ، ويجعل البعض الآخر من المؤرخين ذلك قاعدة عامة ويقول : « أن العرب متنافسون في الرياسة وقلل أن يسلم أحد منهم الأمر لفيره ولو كان أباه أو أخاه ، أو كبر عشيرته ، الا في الأقل ، وعلى كره من أجل الحياء ، فيتعدد الحكام منهم والأمراء ، وتختلف الأيدى على الرعية في الجباية والأحكام ، فيفسد العمران وينتقص » (٢٠) .

⁽¹⁹⁾ Dozy, op. cit, p. 211.

أفبس زكردا النصولي ، النولة الامونة في مرطبة ، عن ١٠٣ .

⁽۲۰) اس الخطيب ، المصدر نفسه د ۲ ، ۳٦ ، ابن خلدون ، مقدمته ، ج ٣ مي ٥٠٥ .

ولذلك ليس عجبا أن بكثر المنبردون والعصاة من أشراف العرب والبربر ، حتى أن بعضهم كان يلجاً إلى الخارج طلبا للعون خدم سلطان بنى أمية ، وكان البعض الآخر يعمد الى التآمر ، وكان تآمر أفراد البيت الأموى ضد بعضهم البعض من الظواهر البارزة منذ بداية الدولة الأموية وحتى نهايتها ، وكان هذا مشجعا للثوار في الداخل ، ولنصارى الشمال الأسبانى ، وأدى ذلك في النهاية الى ضياع أجراء عزيزة من الأندلس الاسلمية والى خضوعها للسيطرة النصرانية(١٠٠) .

وكانت بداية الانحلال وضعف الأمراء وظهور الفساد وانتشار الظلم منذ أواخر عهد عد الرحمن الثانى (٢٠٦ - ٢٣٨ ه) . وتميز عهده بسيطرة زوجته طروب وفتاه نصر الخصمى ومغنيه زرياب . وتميز عهد ابنه الأمير محمد (٢٣٨ - ٢٧٢ ه) بسيطرة وزيره هاشم بن عبد العزيز ، وكان هذا الوزير رجلا حقودا مغرورا لا يعمل الا لمصلحته الخاصة ، سيء السياسة مع الجند حتى أنهم اسلموه ذات مرة الى الأعداء ، ونتج عن سوء سياسة ذلك الوزير أن كثر الاضطراب في الدولة ، حتى أنها صارت دويلات منفصلة عند موت الأمير محمد عام ٢٧٢ ه(٢٠) .

اضف الى ذلك : ما حدث من صراع خفى بين الوزراء وبين مساعدى الأمير من أهل الذمة مشلل ربيع القومس الذى ظهر نفوذه فى عهد الأمير الريضى ، وقومس بن أنطوينان الذى ارتفع شانه فى عهد الأمير محمد ، وما صحب ذلك من تآمر الوزير هاشم بن عبد العريز عليه . وصار التآمر ظاهرة بارزة فى ذلك التعصر بين رجال القصر والمطايا وأمهات الأولاد ، واقترن ذلك بانتشار الظلم والبغى على الرعية ، وساعد على ذلك ما آل اليه حال بعض القضاة والفقهاء الذين اخذوا

⁽۲۱) ابن حزم دروابة المقرى ، نفح الطيب ، ج ۲ ، ص ۷۲ ، ۷۳ ، الخشنى ، تضاة قرطبة ، ص ۲۹ ، ابن خلدون ، المسدر نفسه ج ۲ ، ص ۹۲ ، ابن خلدون ، Dozy, op. cit, p 204

⁽۲۲) الحشنى ، قضاء قرطبة ، ص ۹۰ ، ۹۱ ، ۱۱۰ ، ابن سعید ، المصدر نفسه ج ۱ ، ص ۵۲ ، ۵۳ ، المعرى ، المصدر نفسه ، ج ۱ ، ص ۳۲۸ ،

بتنافسون على تولى مناصب القضاء ، ومد بعضهم يده لقبول الرشوة ، فاختل مبزان العدالة وضعفت سلطة الدولة وازدادت آمال اسدانيا النصرانية في استرداد الأندلس من المسلمين ، وازداد الخطر الضارجي ، وكثر الاضطراب الداخلي ، ونطلع الناس الى منقد لهم من هده الحال السيئة الني المت بهم في اواخد عصر الامارة ، ولم يكن هذا المنقد الا عبد الرحين الناصر(٢٠) ،

٢ ــ وكانت كثرة عناصر السكان وتنافرها من عوامل الضعف التى أثرت في تفكك النجبهة الداخلية في أواخسر عصر الامارة وأدت الى سوء موقفها الخسارجي تجاه أسبانيا النصرانية .

فقد كان يعيش على أرض الأندلس العرب بقبائلهم من يمن ، ومضر ، والبربر بقبائلهم المتنوعة أيضا ، الى جانب أهل البالاد الأصليين سواء كانوا من طبقة المولدين الذين اعتنقوا الاسالم ونشأوا عليه ، أو من طبقة النصارى المعاهدين الذين احتفظوا بدينهم ونقاليدهم ، لكنهم استعربوا لسانا وحياة ، وسموا لذلك بالمستعربين فيما بعدد (٢٠) .

وكما لم يستطع القوط والوندال أن ينصهروا في جسم الأمة الأيبيرية كذلك لم يستطع العرب ولا البربر أن بنصهروا معا أو مع أهل البالاد الأصليين فيا عصر الامارة ، وكان هذا من العوامل التي أدت الي ذلك الصراع العنيف في عصر الولاة (٩٢ – ١٣٨ هـ) بين عنصري العرب والبربر ، أما في عصر الامارة (١٣٨ – ٣١٦ هـ) فقد بدأ هذا الصراع خافت الصوت أثناء الصدر الأول من عصر الامارة ، نظرا لقوة الأمراء وحسن سياستهم نما سبق القول ، لكن الصراع بين عناصر السكان جميعا لم يلبث أن ازداد وانفجر منذ أواخر عهد عبد الرحمن

⁽۱۳) البن حیان ، المصدر نفسه ، ج ۳ ، ص ۲۱ ، ۲۲ ، ۱۱ الخشنی ، المصدر نفسه ، ص ۱۰۰ ، ۲۰ ، ۱۱ الحمدی ، جسنوه المصبس ، ص ۲۶۰ ، ۲۶۲ ، المدر نفسه ، ح ۲ ص ۲۲۹ ، ۲۳۰ ، المدر نفسه ، ج ۲ ص ۳۲۹ ،

⁽³⁷⁾ احمد أمين ، ظهر الأسلام ، ج ٣ ، من ٢٠ ٠

الثانى (٢٠٦ ــ ٢٣٨ ه) ، عندما ضعف الأمراء وأصبحوا عرضة لمحكم الوزراء والعناصر الأجندية من الصقالبة والمحظاما من زوجات أمراء مني أمية (٢٠٥) .

وقد نميزت تلك الفترة الأخيرة من عصر الامارة بثورات المولدين الذين كانوا يشكلون غالبية السكان في الريف والمدن . وقد تمتع هؤلاء المولدين بالأمن والطمأنينة حتى قرب نهاية عصر عبد الرحمن الثانى ، واستعان الأمراء بهم في الادارة والجيش ، وفي حكم الثفور الاسلامية وفي التصدى لنصارى الشمال كما سبق القول . وكانت هذه الطبقة من السكان تجنح الى السلم والطاعة طالما كان الأمراء اقوياء ، ولما ضعف أمراء بنى أمية الأواخر ، كشف المولدون عن مكنون صدورهم وأعلنوا العداء لحكام قرطبة وللعرب عامة ، واستغلهم بعض الثوار أمال ابن حقصون وابن مروان الجليقي وبني قسى وهم أصلا من المولدين في تحقيدق أهدافهم واستقلالهم عن حكومة قرطبة (٢٠) .

وكان هؤلاء المولدون بغمرهم شعور بالكراهية للسكان والأسراء من العرب ، بسبب سوء معاملتهم لهم ، وبسبب تلك الضريبة التي كانوا يدفعونها لهم منذ أن كانوا عجما أي نصاري ، ولما اصبحوا مسلمين لم يكن من العدالة بقاء تلك الضريبة ، لكن العرب أصروا على دفعها لهم فقامت الفتن ببنهما في سرقسطة في الشمال وفي اقليم رية في الجنوب ، وفي كثير من المدن الأخرى مثل طلبطلة وأشبيلية وبطليوس وماردة وباجة ومرسية ، فقال الضراج واضطرب الأمن(٢٠) .

⁽٢٥) والمثال على همؤلاء الخطايا هي طروب ، خطية عبد الرحمن الأوسط التي كان لهسا نفوذ كبير في البلاط الأموى ، وكانت تعمل في سبيل وصول ابنها محمد الى العرش وتتنافس مع زوجاته الأخرمات وتتآمر مع حراس القصر وبطامة عبد الرحمن الأوسط لتحقيق همذه الغاية .

⁽٢٦) ابن حيان ، المقتبس ، ح ٣ ، ص ٥٥ ، ٥٥ -

⁽۲۷) ابن حيان ، المصدر نمسه ، ج ٣ ، ص ٥٥ ، ٥٥ ، ابن سعيد ، المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٥١ ، هم ١٥١ وعن نفسه ، ج ٢ ، ص ٩٣ ، حسين مؤسس ، الحله السيراء لابن الابار ، ج ١ ، ص ١٥١ وعن للفتنة بين العرب والمولدين ، وثورة المولدين صد امرائني أميه ، أنظر ، ابن حيان ، المقتبس ،

وكان السبب المباشر هو مقتل أحدد الزعماء العسرب على يد بعض المولدين في اقليم البيرة ، فانتشرت الفتنة انتشسار النسار في الهشيم ، وثارت الأحتاد القومية ببن العنصرين العربي والأسسباني خاصة بعد أن جنح أمراء بنى أمية الأوافسر الى اصطناع بعض الأمراء العرب ضد المولدين ، وانتهز نصارى الشمال الأسباني الفرصة وأخدنوا يحرضون هؤلاء المولدين ومن ينضم اليهم من النصارى من أهل السندة ويمدونهم بالمساعدة حتى يقوضوا حكم بنى أمية وتعسود البسلاد الى النصرانية مرة أخرى(٢٨) .

٣ ـ وقد ساعد على ذلك ما تختص به بلاد الأندلس من عسوامل طبيعية وبيئة جغرافية . ذلك أن هده البسلاد عبارة عن شبه جسزيرة يقسمها من الوسط جبل الشارات ، ويتميز الجنوب عن الشسمال ، فلكل منهما طابعه المناخى ، فالجنوب له مناخ الشمال الافريقى أو حوض البحر المتوسط ، والشمال له مناخ أوربا ببردها وصقيعها . وقد أثر ذلك الننوع فى المناخ فى أمزجة الناس وطباعهم حتى أنك لتجد الأسبانى الشمالى ينصف بالخشونة والقسوة والعصبية بخلف الأسبانى الجنوبى الذى يتصف بالهدو والمسالمة . وكان هدذا من العوامل التى زادت من التناقض بين سكان الأندلس ، وبينهم وبين سكان أسبانيا النصرانية ، وساعد على استمرار هؤلاء الأسبان في مقاومتهم لمسلمى الأندلس عددة قسرون(٢٩) .

ج٣ ، ص ٢١ ـ ٦٤ ، ٢٩ ـ ٥٨ ، ابن الاسار ، الحلة السيراء ج ، من ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٨ ، ١٥٧ ـ ١٥٠ ، ابن عدارى ، البيان المغرب ، ح ٢ ، ص ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٤٤ ـ ١٥٧ ، ١٧١ ـ ١٧٨ ، ١٧٨ ، ١٧٨ ، ١٧٨ ، ١٧٨ ، ١٧٨ ، ١٨٨

Dozy, op. cit, pp. 355 - 366, 318 - 382

⁽۲۸) اس عداری ، المصدر نفسه ، ج ۲ ، ص ۱۸۳ ، ۱۸۶ ، ابن خلدون ، العبر ، ج ٤ ، ص ۱۳۲ ، مجهول ، الخبسار محموعة ، ص ۱۵۱ ، حتى تاريخ العرب (المطسول) ، ج ۲ ، ص ۱۷۸ ٠

⁽٢٩) الحميرى ، المصدر نفسه ، ص ١٣٣ ، ابن الخطيب ، المصدر تفسه ، ج ٢ ص ٤ ، محمد كرد على ، عابر الأبدلس وحاضرها ، ص ١٦٠ ،

Crow, Spain, the root and the flower, p. 6

كذلك كان لطبيعة الأرض حتمية معينة لا تظهر الا في أوقدات الضعف السياسي ، ذلك أنها تنكون من وديان طويلة توازى الأنهار الكثيرة التي تهتد من الشرق الى الفررب أو العكس ، وتفصل هذه الوديان بعضها عن البعض الآخر سلاسل جبلية تسير في نفس الاتجاه وتقطع الجزيرة بالعرض ، وقد أدى ذلك الى انقسام البلاد الى أقاليم تتميز بشخصتيها جغرافيا ومناخيا وثقافيا واقتصاديا ونفسا ، حتى أنك لو سألت أسبانيا عن وطنه ، لرد على الفور Soy hijo de Galicia أو لتسال لك Soy hijo de Granada ومعناه اننى ابن لغاليسيا أو لتسال لك Soy hijo de Granada ومعناه أن ابن لغاليسيا أو التراب أو ابن لغرناطة ، أو أشتورية أو ليسون أو نافار أو بلنسية أو الأندلس وهكذا (٢٠) .

وهذه البيئة الطبيعية والجغرافية ساعدت على اثارة النعرة الاقليمية والحركات الانفصالية قديما وحديثا وادت الى تنوع غريب في العادات والتقاليد ورغم أن الاسلام قد طبيع البلاد بطابع جديد وأذاب عوامل التميز والخلاف الا أنه قد بقى منها ما يكنى لجعلها أتونا لحرب أهلبة عند أول اشارة . وكان الشوار والمارقون ضد قرطبة يعلنون عصيانهم لها وهم آمنون مطمئنون خلف حصونهم وجبالهم الشاهقة أو أنهارهم الكثيرة المتعددة الفروع والمصادر ، مما كان يشكل عقبه أو عائقا أمام جيوش الامارة اذا ما حاولت أن نقضى على ثورتهم أو مصردهم (٣) .

اما جبل الشارات الذي ورد في هـذه الفترة ، فهو سلسلة جمال تسمى

ومها حاء لعظ « شارة » وجمعها « شارات » ، وتعنسد من مدينة سالم الى قلمرية في البرتغال وكانت لعظة الشارات تطلق أبضا على كورة أو اقليم يسمى اقليم الشارات ، من اعماله مدن طبيرة وطليطة ومجريط واقتليش ووادى الحجارة ، ووبذة • أنظر ، القلقشندى ، صحبح الأعشى ، ج ، من ٢١٣ ، شكيب أرسلان ، الحلل السندسية ، ج ٢ ، ص ٣٤ ، مده الفاسى ، الاعلام الجغرافية ألأنظسية ، ص ٣٤ ، دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد الثالث م

Crow, op. cit, p 2

، ۲ ب المصدر نفسه ، ص ۳۰۷ ، ابن الخطيب ، المصدر نفسه ، ب ۲ ، ابن الخطيب ، المصدر نفسه ، ب ۲ ، الحصدر نفسه ، ب ۲ ، Crow, op. cit, p. 3

3 — فاذا أضيف الى هذه العوامل التى تحدثنا عنها حتى الآن كقصرب الأندلس أو كتصالها بالمسالك النصرانية فى الشمال الأسبانى لأدركنا على الفور صعوبة الموقف أمام أى حاكم فى قرطبة . وكان على هؤلاء الحكام أن يضعوا فى اعتبارهم دائما أن شبه الجزيرة لم يعدملكا خاصا بهم ، وأن أى ثائر يمكنه أن يلتى المعون والمساعدة من ملوك نصارى الشمال الأسبانى . ولذلك اتبع أمراء بنى أمية وخلفاؤهم فيما بعدد أسلوب اللين ، والمداراة ، مع التوار ، وخاصة : فى الثغور الاسلامية فى الشمال ، واتبعوا معهم أيضا أسلوب الاصطناع ، فكانوا يصطنعون قوما ليضربوا بهم آخرين كما سبق القول (٢٠) .

وكان ملوك أسبانيا النصرانية يعملون دائما على خلق المساكل والفتن والأزمات لحكومة قرطبة ، وذلك بمساعدتهم لثوار المولدين وغيرهم . وكانت مساعدتهم لمولدى طليطلة الذين كانوا دائمى التمرد ضد قرطبة واضحة ومستمرة ، وفي احسدى ثورات مولدى طليطلة أرسل اليهم أردونبو ابن الفونسو الثانى ، ملك جليقية وأشتريس جيشا بقيادة أخيه غشون Gaton فأوقعت بهم قوات الأمير محمد عام ٢٣٨ ه وقتلت ثمانية آلاف(٣٠) .

كذلك استعان ابن مروان انجليقى الثائر في ماردة وبطليوس في عهد الأمير محمد (٢٣٨ ـ ٢٧٢ ه) بالفونسو الثالث بن اردونيو الأول ملك جليقية واشتريس ، واستطاع أن يهرزم جيشا للأمير محمد كان تحت قيادة ابنه المنذر ووزيره هاشم بن عبد العرزز عام ٢٦٢ ه ، وتمكن الجليقى من أسر هذا الوزير وارساله لملك جليقية ، ولما ارسل الأمير محمد جيشا لتأديب ذلك الثائر والقضاء علمه عام ٢٦٣ ه فصر الى الفونسو وأقام في كنفه في جليقية نمائي سنوات ، ولذلك سمى : بالجليقى ،

⁽٣٢) ابن حيان ، المقتبس ، ج ٣ ، ص ٢٠ ، ابن الخطيب ، المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٣٦ .

[،] ۱۹۹ ـ ۱۹۲ ، ۱۹۶ ـ ۱۹۲ ، ۱۹۶ من ۱۹۲ ، ۱۹۹ . ۱۹۹ ، ۱۹۹ ، ۱۹۹) ابن عبذاری ، المحسور مفسه ، ج ۲ ، من ۱۹۹ ، ۱۹۹ ، ۱۹۹ (۳۲) Livermore, op. cit, p. 77

كذلك استعان بنو قسى المولدون وحسكام الثغر الأعلى بملوك نبرة بعدد أن ساعت العلاقات بينهم وبين أمراء بنى أميسة فى أواخسر عصر الامارة . فقسد هاجم موسى بن موسى القسوى أرباض مدينسة تطيلة وطرسونه وبرجة عام ٢٣٥ ه بمساعدة ملك نبرة (نافار) بعدد أن تم التحالف بينهما ، وتكسررت هذه المساعدة وذلك التحالف بين بنى قسى وبين ماوك نبرة ، وخاصسة عندما استعان أمراء بنى أميسة الأواخسر بأسرة بنى نجيب العربية فى قمسع شوكة هؤلاء المولدين(٣٠) .

واستعان بنو عمروس المولدون أيضا بملوك نبرة عندما ساعت العلاقات بينهم وبين الأمير محمد عام ٢٥٦ ه . ولما أسرت قوات الأمير محمد بعض أفراد أسرة بنى عمروس وأعدمتهم في سرقسطة ، استنجد عمروس الثانى بغرسية بن ونقة ملك نبرة لكى يساعده ضد قدوات الأمير محمد ، وكى يسترد مدينة وشسقة ، مركز حكمه وسلطانه ، والتى كانت قد ضاعت منه ، واستولى عليها بنو قسى ، الذين قاموا هم الآخرون بمحالفة ملك نبرة ومصاهرته ، حتى يضمنوا سيطرتهم على المدينة (٣٦) .

وان دل هذا على شيء فانها يدل على أن الاتصال والملاصقة بين الثفور الاسلامية وبين ممالك أسبانيا النصرانية كان عامل ضعف واستنزاف لقوة حكومة قرطبة على مدى التاريخ . وسوف يتضح

ج ۲ ، ص ۱۵۰ ، ۱۵۱ ۰

⁽۳٤) ابن حیان ، المقنبس ، ح ۳ ، ص ۱۰ ، ۲۱ ، ۲۱ ، آبن عـذاری ، المستدر الفسه ، ج ۲ ، ص ۱۵۳ ، ۱۵۷ ، ۱۵۷ ، ۱۵۷ ، Livermore, op. cit, p. 77

⁽٣٥) العددرى ، المصدر نفسه ، ص ٣٠ ، ابن حيان ، المصدر نفسه ، ج٣ ، ص ٢٠ ٠ (٣٦) العددرى ، المصدر نفسه ، ص ٣٠ - ٦٤ ، ابن عدارى ، المصدر نفسه ،

تماما أثر عوامل القوة والضعف التي أشرنا اليها حتى الآن عندما نتحدث عن العالمة الله الأندلس واسبانيا النصرانية بعد قليل .

٤ - المقاومة النصرانية في الأندلس الاسلامية وارتباطها بنصاري الشمال:

وتعتبر هــذه المتاومة من العوامل التى اضعفت حكومة قرطبة في عهدد الامارة الأخير وشغاتها الى حــد كبير عن التصــدى لنصارى الشمال ، وتتمثل المقاومة النصرانية داخل الأندلس الاسلامبة في حركات الاستشهاد التى قام بها بعض المسيحيين في قرطبة وعــدد من المدن الأخرى ، ودفعوا بسببها حياتهم ، اعتقادا منهم بأن ذلك يعــد نصرة للدين واستشهادا في سبيل العقيدة ، وأنهم سوف ينالون ملكوت السهوات ، وهو ما يمثل الجانب السلبى من المقاومة ضــد الحــكم الاســلامى ، أما الجانب الايجابى : فيمثله معاونتهم للمولدين في ثوراتهم ضــد أمــراء بنى أمية وضد العرب والمعافرين بصــفة عامة ، ومساندتهم لنصــارى بشمال الأسبانى بخلق المشاكل والصعوبات أمام حكومة قرطبة ، حتى يتمكن هؤلاء النصــارى من استعادة البلاد شــيئا فشيئا .

لكن ما هى الدواقع التى دفعت نصارى أهل الذهة(٣٠) الى السير في ها الاتجاه ؟ وهل هى نفس الدواقع التى دفعت عناصر العرب والبربر والمولدين ، والتى أشرنا اليها من قبل ؟ وماذا كان وضع هؤلاء النصارى بعد الفتح الاسلامي للبلاد ، وهل كان الفتح نعهة أم نقهة بالنسبة لهم ؟ واذا كان نعمة بشهادة معظم المؤرخين فلماذا فعلوا ذلك ؟

⁽٣٧) كان المسلمون يطلقون على اهل الانداس جميعا اسم العجم او عجم الانداس وربما ادلق اسم الروم ، وأن كانت هذه التسمية قادرة الاستعمال ، فلما تمكن سلطان المسلمين ، أصبحوا يسمون عجم الذمة أو الفرقة أو أهل الذمة ، فمن كان منهم له عهد ، سموا بالمعاهدين ، وربما قالوا المعاهدة من النصارى ، أو النصارى المعاهدين ، وقد اطلق بعض المؤرخين المحددثين عليهم لفظ المستعربين وهي تسمية خاطئة ، لان هذا اللفظ لم يرد في الكتابات الافي القدرن الثاني عشر الميلادى ، فهر في الكتابات اللاتينية أولا ، ثم انتقل الى كتاب الاسبان أنفسهم ، أنظر ، حسين مؤنس ، فجر الأنبلس ، ص ٢٢٤ ، ٢٣٧ .

أولا: سياسة بني أمية تجاه النصاري المعاهدين وعوامل تمردهم:

بداية نقول : أن الفتح حسن أحــوال الناس الاقتصادية ، وانه أحدث ثورة اجتماعية .

وأما فى الناحية الدينية : فتسامح العرب اعترف بــ كتـــاب النصارى أنفسهم ، فلم يفرض المسلمون على نصارى أهــل الذبة الا الجــزية والخــراج ، والخراج هو ضريبــة الأراضى التى كانت تتفــاوت حسـب قدرة انتاج الأرض ، وقد فرضت بعــدل ومساواة على النصارى واليهود والمسلمين جميعــا .

أما الجرزية : فلم تكن مفروضة على جميع المسيحيين بل اعفى منها النساء والأطفال والرهبان والمقعدون والمرضى ، والعبيد ، افى توجيه سياستها ، بعد أن تراخت يد الأمراء الأواضر في القبض وكانت تنراوح بين ٤٨ درهم ، ١٢ درهم (٢٨) .

هذا وقد ظفر المسيحيون وغيرهم من المولدين بحق لم يكن لهمم أيام ملوك القسوط ، اذ أنهم احتفظوا بالجزء الأعظم من ثرواتهم وعقاراتهم واصبح لهم الحق في توريثها أو نقلها لغيرهم ، مما هيأ لهم جوا من المصرية لم يحلموا به من قبل ، ومن ثم فقد ازداد الانتاج خاصة بعد أن قام الفاتحون الجدد بقمع عناصر الشر والفوضي والقضاء على طبقة النبلاء ، وتحرير العبيد وأقنان الأرض من سيطرتهم ، وتنظيم ادارة البلاد ، ولذلك نشطت الزراعة والصناعة والتجارة ، وهبت ريح من الرخاء والدعة على مجتمع أضناه المسف والفاقة مدى مصور (٢٩) .

ومن الناحية الاجتماعية ، كان الفتح ثورة اجتماعية ، فقد خلص الأهالي من عسف طبقة النباد ورجال الاكليروس الذين كانوا يحوزون غالبية الأرض ، على شكل ضياع واسعة أو القطاعات كبيرة يعمل فيها

Dozy, op. cit, p. 234, 235

لين بول ، قصة العرب في اسبانيا ، ص ٣٩ ، حتى ، المرجع نفسه ، ح ٢ ، ص ٢٠٠٠ ، ٢٠ ، ١١٥ ، ١٢٥ ، ١٢٥ ، المعرى ، نفح الطيب ، ج ١ ، ص ١٢٤ ، ١٢٥ ، ملحق كتناب نوزي المسمى مس ٢١٠ ، ملحق كتناب نوزي المسمى مس ٢١٠ ، Recherches sur L'Histoire et la Litterature de L'Espagne

الرقيق وعبيد الأرض الذين كانوا يعاملون معاملة السوائم . لس هدذا فقصط فقد أعطاهم الفتح نصبا من الانتاج ، وأعظم من هذا أعطاهم هق العتق من العبودبة ، ولم مكن على العبد الا أن ينطق بالشهادتين حتى يصبر حسرا ، راسه برأس النبيل الذي كان يسومه سوء العذاب من قبال (٤٠) .

لذلك: كان الاقبال على الاسسلام عظبها بين هذه الطبقات الفقيرة بالذات ، ومع هذا فقد سمح الاسلام بوجود الديانات الأخرى ، واحتفظ النصارى بتنظيمانهم الاجنهاعية وبقانونهم الخاص وبحق المحاكمة أمام قضاة من بنى جنسهم ، ولم يرتدوا الملابس التى تميزهم عن غيرهم من طبقات الشعب ، واتخذوا الأسماء العربية بجانب الأسماء اللاتينية ، وتعلموا العربية ونبغ بعضهم فيها ، وبلغ استعرابهم درجة أخذوا معها يختنون أولادهم ويطبقون نظام الحربيم في بيوتهم ، بل أنه لم يمض على الفتح أكثر من خمسين عاما حتى اضطر رجال الكنيسة أن يترجموا على الفتح أكثر من خمسين عاما حتى اضطر رجال الكنيسة أن يترجموا ملواتهم الى العربية حتى يفهمها النصارى ، لأن هؤلاء زهدوا في اللاتينية واقبلوا على تعلم العربية بشغف واهتمام(١٠) .

وقد ترك العرب للجماعات النصرانية أيضا نظامها المدنى الذى كان موجودا أيام القوط ، وكان عليهم أن يختاروا من يقوم بجمع ضرائبهم ومن يمثلهم أمام الحكومة الاسلامية ويدير شئونهم في المدن والأرياف ، وهو ما كان يعرف بالقومس Comes (٢٠) ، واكتفى العرب

Dozy, A History of the Moslems in Spain, pp. 236, 237 (4.)

د ۱ ، الرجع نفسه ، ج ۲ ، ص ٦٤٦ ، محمد كرد على ، المرجع نفسه ، ج ١ ، محمد كرد على ، المرجع نفسه ، ج ١ ، الاحت المرجع نفسه ، ج ١ ، الاحت المرجع نفسه ، ج ١ ، الاحت المرجع نفسه ، ج ١ ، المرجع نفسه ، ج ١ ، المرجع نفسه ، ج ١ ، محمد كرد على ، المرجع نفسه ، ج ١ ، محمد كرد على ، المرجع نفسه ، ج ١ ، محمد كرد على ، المرجع نفسه ، ج ١ ، محمد كرد على ، المرجع نفسه ، ج ١ ، محمد كرد على ، المرجع نفسه ، ج ١ ، محمد كرد على ، المرجع نفسه ، ج ١ ، محمد كرد على ، المرجع نفسه ، ج ١ ، محمد كرد على ، المرجع نفسه ، ج ١ ، محمد كرد على ، المرجع نفسه ، ج ١ ، محمد كرد على ، المرجع نفسه ، ج ١ ، محمد كرد على ، المرجع نفسه ، ج ١ ، محمد كرد على ، المرجع نفسه ، ج ١ ، محمد كرد على ، المرجع نفسه ، ج ١ ، محمد كرد على ، المرجع نفسه ، ج ١ ، محمد كرد على ، المرجع نفسه ، ج ١ ، محمد كرد على ، المرجع نفسه ، ح ١ ، محمد كرد على ، المرجع نفسه ، ح ١ ، محمد كرد على ، المرجع نفسه ، ح ١ ، محمد كرد على ، المرجع نفسه ، ح ١ ، محمد كرد على ، المرجع نفسه ، ح ١ ، محمد كرد على ، المرجع نفسه ، ح ١ ، محمد كرد على ، المرجع نفسه ، ح ١ ، محمد كرد على ، المرجع نفسه ، ح ١ ، محمد كرد على ، المرجع نفسه ، ح ١ ، محمد كرد على ، المرجع نفسه ، ح ١ ، محمد كرد على ، المرجع نفسه ، ح ١ ، محمد كرد على ، المرجع نفسه ، ح المرجع نفسه ، المرجع نفسه ، المرجع نفسه ، ح المرجع نفسه ، ح المرجع نفسه ، المرجع نفسه ، ح المرجع نفسه ، ح المرجع نفسه ، المرجع نفسه

⁽٤٢) تنومس كلمة لادينية ، وهي Comes ، والقومس في الأصدل مرافق الملك ونديمه ، ثم صارت هذه التسمية في أيام القدوط باسبانيا والافرنج بغرب أوروبا خاصسة بولاة الكور ، ومنها اشتق الملفظ الأسباني Conde والامظ انفرنسي Comet أو وفي بعض التواريخ الاسلامية يوجد لفظ وقمط ، عوضا عن « مدومس ، ، وجمع « قمط ، « أقصاط ، ، وحمع مدومس « قدوامس ، وكانت الوطيفة أو المنصب يسمى القمامة ، • أنظر ، ابن القوطية ، المتتاح الأندلس » ص ٢٦ ، لميفي بروفنسال ، حميرة أنساب العرب لابن حزم ، ص ٤٦٧ .

باختدار القومس الأعلى وهم المسلقب بقومس الاندلس ، وكان أول من عين في هذا المنصب هو أرطباس بن غبطشة ، وبسذلك وجسد في الأندلس من أول الأمر نظامان اداريان جنبا الى جنب ، واحد :: المسلمين وآخر النصارى كما صار النصارى يتمتعون بحق اختدار قساوستهم وهو ما لم يعرفوه أبام القسوط(٢٠) .

ولم بترك المسلمون للمسيحيين في الأندلس نظامهم المدنى والادارى لفقط ، بل انهم استعملوهم ايضا في الجهاز الادارى للدولة الاسلامية نفسها ، ووصل بعضهم الى أسمى المناصب وأخطر المراكز ، حتى ادى ذلك في بعض الأحيان الى فتن وثورات ومشاكل واجهت أمراء بنى أمية وأقضت مضاجعهم ، فقد ونق الأمير الحكم (١٨٠ – ٢٠٦ ه) في أهل الذمة ، حتى أنه عين منهم ومن عنصر الصقلب ونصارى الشمال في أهل الذمة ، حتى أنه عين منهم ومن المنائيا مسيحيا ، وهو الذي حرسه الخاص ، بل كان وصيفه المفضل أسبانيا مسيحيا ، وهو الذي قام بكشف المؤامرة التي تعرض لها الأمير الحكم عام ١٨٩ ه(11) .

كما جعل قائد حرسه أو قائد الغلمان الخاصة (ربيعا القومس) ، وكان هذا النصراني محبوبا من الأمير الحكم حتى أنه فوضه في فرض الضرائب على المسلمين وأهل الذمة ، فكرهه الجميع ، وأدى ذلك فيما أدى ، الى قيام الفقهاء وأهل الربض بقرطبة بنورتهم المشهورة ضد الأمير الحكم عام ٢٠٢ ه ، لذلك ما أن تولى عبد الرحمن الأوسط الحكم حتى أمر بصلب هذا القومس(°) .

⁽٤٣) ابن القوطية ، المصدر نّفسه ، ص ٢٩ ، مؤنس ، فجر الأندلس ، ص ٤٦١،٤٤٧ • Dozy, op. cit, pp. 245

⁽⁵³⁾ يحعل البعض صلب هذا القدومس على يد عدد الرحمن الأوسط (أنظر ، ادن حزم ، جمهرة انسات العرب ، ص ٨٨) ، عدنما محعله آخرون في عهد أدمه الأمير الحكم ، (انظر ، ابن الأثير ، ج ٦ ، ص ١٤١) وتابعة على ذلك الأستاذ محمد عبد الله عنان (أنطر ، دولة الاسلام في الاندلس ، ع ١ ، ق ١ ، ص ٢٤٥) ، والحقدقة أن صلت هذا الفومس تم على يد الأمير عبد الرحمن الذي تولى السلطة مبيل وفاه والده الحسكم ، لذلك : تم هسذا الأمر وكان الحكم ما يرال حدا ، (انظر ابن فضه الله العمري ، مسائلك الأبصار ، ج ١٥ ، مسم ٢ ورمة ٢٥٥) ،

ورغم اشتداد حركة الاستشهاد المسيحى في عهد عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦ هـ - ٢٣٨ هـ) ، الا انه لم يتخل عن سياسته في التسامح واستخدام أهل الذمة والثقه بهم ، بل تعدى الأمر الى أنه عسزل احد القضاة بسبب شهادة شيخ اعجمى اللسان من نصارى اهل الذمة ، وتابع ابنه الأمير محمد (٢٣٨ – ٢٧٢ هـ) سباسة والده وأقر القومس وتابع ابنه الأمير محمد (٢٣٨ – ٢٧٢ هـ) سباسة والده وأقر القومس كاتبا أثيرا لديه ، حتى أنه كان المدير الفعلى للوزارة مدة طوبلة أثناء كاتبا أثيرا لديه ، حتى أنه كان المدير الفعلى للوزارة مدة طوبلة أثناء ألمرض الطويل للوزير عبد الله بن أمية ، ولما مات هذا الوزير سمع الأمير محمد يقول : « لو كان جومث من أهل ديانتنا لكنت قد عينته وزيرا بكل سرور » ، عندئذ أعلن جومث اسلامه وحصل على السمى منزلة في بلاط الأمير محمد (٢٠٠) .

لم يبال الأمير محمد باعتراض الفقهاء وسخطهم من تلك السياسة ، ولم يبال أيضا بما كان ينعت، به المشارقة بنى أمية من استخدامهم للنصارى في بلاطهم ، وتوليتهم أسمى المناصب ، وغانهم أن البلاد بها لقلية نصرانية كبيرة لها وزنها وشأنها وخطرها ، وكان على الحاكم أن يتعاون مع أهل البلاد بصفة عامة ، خاصة وأن العرب كانوا أقلية ، وأنهم أخذوا في الذوبان في هذا المجتمع تنيجة للزواج والاختلاط وانقطاع الهجرات العربية الى الأندلس بعد استقلال بنى أمية بها ومعاداتهم لبنى العباس .

لكن تلك السياسة جلبت بعض المساكل في الداخل لبنى امية ، وقد سبقت الاشارة الى ما سببه ربيع القومس للأمير الحكم ، وفد تسبب ايضا قومس بن انطونيان (جومث بن انتنيان حسب الرواية العربية) في ايجاد بعض المتساكل للأمير محمد ، اذ قام الصراع بين هذا النصراني وبين الوزير هشام بن عبد العسزيزا بعد أن « ظهر فضل أدب قومس ، وتولى الكتابة ، واضطلع بالأثقال ، وخاطب ونبه ، وعارض في الأمور ،

Dozy, op. cit, p. 300 . ٨٤ ص ، غضاة قرطبة ، ص ٤٦)

ولم يرض أن يكون تابعا لعيره ، ولا مستحذبا لسواه » . وقد خاف قومس من بطش الوزير واعتكف في منزله ، ولما مات حاول الوزير مصادرة أمواله لصالح ببت المال بحجة أنه ارتد ومات على النصرانية ، لكن القاضى أنصفه بعد ممانه ، وأيده الأمير محمد في حكمه ، ولم يستطع الوزير أن ينال منه أو من ورثته (٤٠) .

استخدم أمراء بنى أمبة أبضا : نصارى أهل الذمة فى الجيش ، وأشركوهم فى الغرو بلا عطاء كمتطوعين ، وكان النصارى يطمعور فى غنائم الحرب وأسلابها حتى لو كانت ضد مواطنيهم من نصارى الشمال . كما كان الأمراء يؤلفون منهم قدوات احتياطية يستعينون بها اذا خرجت جيوشهم للغزو(٢٠) .

كذلك كان مذهب مالك وهو المذهب المنتشر في تلك الأنصاء متسامحا جدا في نصوصه تجاه أهل الذمة ، فقد ورد في المدونة الكبرى لابن سحنون المستقاة من فقه مالك نصوصا كثيرة في هذا المعنى ، اذ كان للنصارى حق الشفعة ، وكان المرتدون لا يحكم عليهم دائما بالموت ، وكان يعاقب المسلم اذا كسر آنية الخمر لذمى دون الرجوع للحاكم (٢٠) .

اذا كانت تلك هى سياسة بنى امية تجاه النصارى من اهل الذهة ، واذا كانت هذه هى تمار الفتح وقطوفه الدانية ، فها الذى جعل هؤلاء الناس يقومون فى النصف الثانى من عصر الامارة بما قاموا به ؟ هل كان هناك تعصب اسلامى ضدهم ؟ هل أكرههم العرب على الاسلام ؟ هل تعرضوا لكنائسهم أو أديرتهم ؟ هل منعوهم من اقامة شعائر دينهم ؟ الواقع يقول : بغير ذلك ، ولو كان العرب متعصبين لما سمحوا لأنفسهم الواقع يقول : بغير ذلك ، ولو كان العرب متعصبين لما سمحوا لأنفسهم

⁽٤٧) الخشنى ، قضاة قرطية ، ص ١١١ ــ ١١٣٠

⁽٤٨) ابن الحطيب ، الاحاطة في أخبار غرناطة ، من ١٠٩ - ١١١ ، مانويل جسوميث مورينو ، الفن الاسلامي في أسبانيا ، ص ٧ د٠ حسين مؤنس ، فجر الأنطس ، ٦٠٢ ٠

⁽٤٩) سحنون · المدونة الكبرى ، ح ٤ ، ص ٢٣٦ ، ابن عبدون ، المصدر نفسه ، ص ٩٥ نرنوں ، أهل الذمة في الاسلام ، ص ٢٥٦ ٠

باستخدام أهل الذمه في مناصب الدولة العالبة ، سواء في الجيش أم في الإدارة ، ولما ائتمنوهم على أرواحهم ، اذ كان أمراء بنى أمسة كما أسطفنا القول يجعلون المسبحيين من بين حراسهم ، ولو كان المسلمون منعصبين لما كانت هناك الأقلية النصرانية الكبرة العدد والتي ازداد غناها وثراؤها يوما بعد يوم ، ننيجة لحكم المسلمين الذي اتسم نجاههم بالعدالة والسماحة والانصاف .

لم يكره المسلمون أحدا من الأسبان على الدخول فى الاسلام ، بل تركوا لهم حرية البقاء على دينهم مع دفيع الجزية أو الدخول فى الاسلام ، وكان الأسباني يعلن اسلامه وهو يعلم تهاما أن المرتدعقوبته الموت ، لذلك كان اسلامه عن اقتناع ورضى دون أكراه أو تهديد ، لذلك : اعترف الأسبان مولدون ، ونصارى ، بأنهم يؤثرون حكم العرب على من عداهم من الافرنج أو القوط(") ،

وقد بلغ تسامح العسرب حدا جعلهم يبيحون لدعاة النصرانية أن بنشروا دينهم ، بل بلغت الحسال ببعض المتحسين منهم أن كانوا يقفون على أبواب بعض المساجد لاقناع المسلمين بالدخول في دينهم ، وسمح المسلمون لهم أيضا بعقد مؤتمراتهم الدينية ، كمؤتمسر أشبيلية النصراني الذي عقد في سنة ١٦٦ هـ/ ٧٨٢ م ، ومؤتمر قرطبة النصراني الذي عقد في عسام ٢٣٨ هـ / ٢٥٨ م ، كما سمحوا لهم أيضا : ببناء الكنائس والأديرة ، وتعدد ببع النصاري الكثيرة التي بنوها أيام الحسكم العربي من الأدلة على السماحة الدينية لمسلمي الأندلس(٥) .

ورغم ذلك يحمل الأستاذ دوزى على سياسة العرب الاسلامية في الأندلس ، ويرجع اسلام أهالي البلد الى أن المسيحية لم تكن

Dozy, op. cit, p. 235

Chapman, op. cit, p. 40

. (٥١) غويستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص ٢٩٦ ، محمد كرد على ، غابر الأنطس وحاضرها ، ص ٤٢ .

متمكنة في قولبهم ، وأن المسيحية لم يكن عميقة الجذور في البلاد ، وأنها كانت ما تزال تتنازع البقاء والوجود مع الوثنية هناك ، ولذلك السلم الأقنان والعبيد ، أما السلام النبلاء له في نظره له فلكي يهربوا من ضريبة الرأس ، أي : الجزية ، أو ليحافظوا على ممتلكاتهم عندما ينقض العرب عهودهم أو لأنهم اعتقدوا باخلاص في تعاليم الاسلام (٢٠) .

ويواصل دوزى هجومه قائلا ان الكنبسة لم تكن حره في عقد مؤتمراتها أو في تعيين أساقنتها ، وأن أمراء بنى أمية كانوا يفرضون أعوانهم من الأساقفة على الكنائس ، وأن بعضا من هذه الكنائس قد اختفى أو تحول الى مساجد ... الغ(٣٠) .

ومهما كانت دوافع الناس الى اعتناق الاسلام ، الا أنهم أخلصوا في اسلامهم وتعصبوا له أكثر من العرب أنفسهم ، ولم يفرض المسلمون الأساقفة على الكنائس ، بل تركوا هذا المسيحيين أنفسهم ، والدليل على هذا أن العرب كانوا قد أقاموا حليفهم أبه (عباس) مطرانا للبلاد ، لكن الأهالي لم يرضوا به وأقاموا مطرانا آخر يسمى أوريانو Urbano فلم يعترض المسلمون وأقروهم على ذلك(أم) .

اما اتخاذ الكنائس مساجد ، فان ذلك لم يتم قهرا أو اقتدارا ، بل دفعت الدولة التعويض الكافى لكى تبنى كنيسة بدل التى أخذت ، فعل ذلك عبد الرحمن الداخل ، واعترف به دوزى نفسه . كما سمح المسلمون باقامة الكراسى الكنسية فى المدن الجديدة مثل بطليوس وغيرها رغم قربها من قورية وماردة ، وكان فى كل منهما كرسى كنسى . ولم يكن اختفاء الكراسى الكنسبة الا نتيجة للتعديلات الادارية التى استدعاها وضع الدولة الجديدة ، والتى ادت الى خمسول بعض المدن وهجرة

Dozy, op. cit, pp. 237 - 238 (01)

Dozy, op. cit, pp. 238 - 239 (°T)

(٤٥) د٠ حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، ص ٥٠٦ ٠

الناس منها الى غيرها ، فلم تعد تستحق أن يقدوم فيها كرسى كفسى ، وكان يحدث نفس الشيء أذا انتقلت مدينة من كورة الى أخسرى(°°) .

من هنا يتضح لنا تماما ان سياسة العرب الدينية كانت تقوم أساسا على مبدأ التسامح والحرية الدينية ، وعلى احسترام مشاعر النصارى ، فما الذى جعسل هؤلاء يقومون بتلك الحسركات الانتحارية ؟ التى تسمى بحركات الاستشهاد الذى جعلهم أيضا يقسدمون العسون والمساعدة لأولئك المتردين من المولدين ، ويساهمون بشسكل غير مباشر مع نصارى الشمال الأسبانى في كفاحهم ضسد الحكومة الاسلامية في قرطبة ؟

انه لفربب حقا أن يمتد لهب الفتنــة الى نصارى اهل الذمة في قرطبة ثم يمتــد الى كثير من المــدن والنواحى ، لا ســيما وأن هؤلاء النصارى لم يعانوا من اضطهاد دينى أو ظلم اجتماعى أو حيف اقتصادى . صحيح أن أعدادهم كانت كبيرة في القــرى والمــدن رغم الأشواط البعيــدة التى قطعتهـا الحــركة الاسلامية في عصر الولاة وعصر امارة بنى أمية ، الا أن قــوة نصارى أهل الذمة كانت تكمــن في مقــدرتهم الاقتصادية ، اذ أنهم جنــوا ثروة كبيرة باشتفالهم في الزراعة والصناعة وبالأعمــال التجارية ، وكان العـرب يأنفون من الاشتفال في تلك الأعمال ، كهــا انشـفلوا بالصرائع فيما بينهم وبين البربر والمولدين في عصر الامارة الأول ، فتركوا تلك الميـادين للنصارى يصولون فيها ويجولون .

اذن لم تكن ثورة هؤلاء النصارى لزيادة ثروة أو مضاعفة جاه ، انما كانت لتحقيق مطالب أخرى ولعوامل يمكن توضيحها : وأولى هذه العوامل عامل نفسى يتعلق بتدفق الحركة الاسلامية وانتشار حركة الاستعراب انتشارا أفرزع المتعصبين من القسس والرهبان ، اذ رأوا أن أعداد المسيحيين تتناقص باستمرار حتى صاروا أقلية في وطن كانوا يعتبرون أنفسهم هم أصحابه الحقيقيون ، وغاظهم في نفس الوقت

د حسن مؤنس ، نجر الأنطس ، ص ٤٩٤ ، ه٤٩ ، حتى ، الرجع نظلمسه ، Dozy, op. cit, p. 239

ارتفاع شأن مواطنيهم ، من الأسبان السذين اعتنقوا الاسلام مامتالات نفوسهم بالحقد ، والكراهية ضد الاسلام (٥٠) .

لقدد اندفع شباب البصارى في حركة الاستعراب اندفاعا أفقد المتعصبين النصارى صوابهم ، حتى جار أحدهم بالشكوى من أن شباب المسيحيين صاروا يلتهمون الشعر العربى ومؤلفات العرب من فلسفة وادب ، ليس بهدف تفنيدها بل لتصحيح أسلوبها العربى ، وأنهم هجروا كل ما هو مكتوب باللانينية حتى الكناب المقدس ، لقد نسبى المسيحيون لسانهم حتى أن الواحد منهم كان لا يجد من يكتب له خطابا بلغة لاتينية صحيحة ، لكنهم معبرون عن أنفسهم باللغة العربية الفصحى ، بلغة لاتينية صحيحة ، لكنهم معبرون عن أنفسهم باللغة العربية المصحى ، حتى أنهم يقتبسون المسعر العربى لتوضيح مراميهم في الكتابة أكثر من العسرب أنفسهم (٥٠) ،

وكان الاستعراب يسبق عادة النحول الى الاسلام ، لذلك تام هذا الفريق المتعصب من النصارى بأعماله الانتحارية حتى يدفع البقية الباقية الى الصحود والمقاومة أمام ذلك التيار الاسلامى الجارف ، فكانوا يحرضون بعض الرهبان والقسس على سبب الاسلام وصاحبه علنا فى الشوارع وفى المساجد وأمام القضاة الذين كانوا يحاولون علاج هؤلاء المرضى ، ويؤجلون الحكم باعدامهم لاعطائهم فرصة للتعقل والتروى ، لكنهم كانوا يعودون الى اصرارهم وعنفهم ، فكان القضاة يضطرون للحكم باعدامهم .

وهكذا كانوا يظنون أنهم نالوا الشهادة تهاما كشهداء عصر دقلديانوس (^^) .

(٥٦) د٠ حسن محمود ، تاريخ الغرب الاسلامي ، ص ٨٨ ٠

ح۲، ص ۱۱۴ ۳

Livermore, op. cit, p. 77

Dozy, op. cit, p. 268

(PV)

Dozy, op. cit, p. 291

(eA)

اما العامل الثانى: الذى دفسع بعض النصارى الى ذلك التعصب الدينى ، فعامل يتعلق بالدولة الاسلامية نفسها ويعود الى ظروفها السياسية والدينية والاجتماعية ، فقد بدت على الدولة مظاهر الضعف ابتداء من عصر عبد الرحمن الثانى (٢٠٦ – ٢٣٨ ه) حتى بداية عصر عبد الرحمن الثالث الملقب بالناصر (٣٠٠ – ٣٥٠ ه) ، وكان الأمراء تبل ذلك يتبضون على مقاليد الحكم بيد من حديد ، ويسيطرون على الدولة من أدناها الى أقصاها سيطرة تامة ، ولما ضعفت حكومة قرطبة تجددت المهاع الرعايا المسيحيين في الاستقلال وتخيلوا أن في مقدورهم أن يخرجوا عن طاعة الأمير ، وحرضهم على ذلك زعماؤهم الدينيون المتعصبون (٥٩) .

وكان في مكونات الشخصية العربية ما يساعد هؤلاء في تخيلاتهم العريضة ويدغعهم الى الكراهية . فقد كان المسلمين المستنيرون والطبقة الأرستقراطية العربية مهذبين جدا ويحسنون معاملة المسيحيين ولا يسيئون البهم ويحترمون مشاعرهم ، أما العامة أو الدهماء فلم يكونوا على هدا المستوى من الخلق والفهم السلبم للدين ، فكانوا أحيانا يهزأون ببعض المسيحيين ويعاملونهم معساملة سيئة . يدفعهم الى ذلك بعض فقهاء قرطبة الذين كانوا يطمحون الى المشاركة في الحكم عن طريق السيطرة على العامة ، وتحريكها ضد الأمراء ، اذا ما وسع هؤلاء من دائرة استعانتهم بالنصارى في شئون الحكم والادارة . وقد اسلفنا القول عما حدث بسبب استخدام ربيع القومس وجومت بن انطونيان(٢٠) ،

ويبدو أن هذا التسامح العظيم الذى اشتهر به بنو أمية تجاه رعاياهم من النصارى قد آثار بعض الفقهاء المتشددين ، كما آثار بعض القسس المتعصبين أيضا ، وهذا ليس بغريب ، أذ أن الفقهاء ورجال البلاد كانوا يخشون مزاحمة النصارى لهم لا سيما وقد أكثر أمراء بنى

Dozy, op. cit, p. 271

 (\cdot, \cdot)

⁽٥٩) على محمد حمودة ، تاريخ الأندلس ص ١٦٠ ٠

امية منهم فى القصر والبلاط والادارة والجيش . اما النصارى فقد أثارهم ذلك التسامح الذى كان يغرى المسيحيين على الدخول فى الاسلام ، ويدفعهم بقوة الى البعد عن الكنيسة وتعاليمها(١٦) .

هذا ما يتعلق بالدولة الاسلامية وحكومتها في قرطبة .

وهناك ما يتعلق بالكنيسة ورجالها أيضا . وكان هؤلاء هم السبب المباشر في اشارة الفتنة بتعصبهم الزائد ضد حكامهم المسلمين ، الذين جعلوا من مدينتهم _ قرطبة _ سكنا لهم ومركزا لعاصمة اسلامية زاهرة ، تحدث الناس عنها في الشرق والغرب . وقد ازداد تعصب هؤلاء القوم حتى رموا اخواذهم من النصارى المعتدلين بالخيانة والعمالة .

وقوى من ادعائهم هذا ، اخلاص هؤلاء النصارى لمناصبهم التي كانسوا يشمغلونها وادانتهم لأعمال العنف التي يقوم بهما أولئك النفر من المتعصبين (٦٠)

اضف الى ذلك تحامل هؤلاء المتعصبين وبغضهم للنبى العربى وتعاليمه ، تلك التعاليم التى كانوا يعتمدون فى معرفتها على طائفة من الخرافات والأباطيل المستوردة من بمبلونة عاصمة مملكة نبرة المسيحية (١٣) . وكانوا هم أول من يعرفون كذبها ، فقد كانوا يعيشون بين المسلمين ، وكان من السهل عليهم معرفة الحقيقة ، لكنهم رفضوا ذلك وتعمدوا نشر الخرافات المضحكة عن نبى الاسلم.

ليس هذا فقط ، بل اتهم كانوا يطوعون نصوص ديانتهم لتحقيق مآربهم ويعملون على اذاعة نلك النصوص التى تحض على الموت ، مثال ذلك : « لا تخافوا من هؤلاء الذين يذبحون الأجساد ، لأنهم لا يستطيعون ذبح الأرواح ، ولا تخافوا الا الله وحده » ، « ان هؤلاء الذين سيدخلون

⁽١٦) بالنثيا ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٣ ، ٤ ، مؤنس ، قحر الأندلس ، ص ٤٤٤ ،

٥٤٤ ، مؤنس ، المرجع نفسه ، ص ٥٨٤ ٠

Chapman, op. cit, p. 47, Dozy, op. cit, p. 238

Dozy, op. cit, p. 269

(77)

جنة المسيح هم الذين قدموا انفسهم طواعية كشهداء ، وقد انخلوا في روع البعض ان هذا الكلام يمثل الحقيقة والصدق وان ما يقدمونه اليهم ايضا عن نبى الاسلام من أباطيل هو أيضا لا يبعد عن الحقيقة ، لدرجة ان احد الرهبان بهد أن سب الاسلام خاطب القاضى قائلا : « قدمنى للموت ، اننى أسلم نفسى له ، ألم يقل المسيح ، مبارك من ضحى أو تعذب من أجل الحقيقة والصدق ؟ ولأجلهم كانت مملكة السيماء »(١٤) .

وبلغ من استخفاف هؤلاء النصارى المتعصبين بعقول ذويهم انهسما اقتعوهم أنهم اذا قدموا للموت ، فسوف يرفعون الى السماء كمتل عيسى ، وأن المسلمين لن يقتلوا الا شبيها لهم يلبس أحد الأجساد ، ويحكى لنسا الخشنى قصة من هذا النوع عندما تقدم أحسد النصارى الى القساضى (أسلم بن عبد العزيز) طالبا تقديمه للموت ، قائلا له عندما سأله القاضى نالسلبب : « أتتوهم أنك أذا فتلتنى أنى أنا المقتول ؟ فقسال له القاضى : ومن المقتول أذن ؟ فقال له النصراتى : شبهى يلقى على جسد من الاجساد فتقتله ، وأما أنا فأرفع من تلك الساعة الى السماء . فلم يجسد القساضى حيلة في اقتساعه بعسدم صحة ذلك الا أن أمر أعوانه بتجريد الرجل من نيابه والهساب ظهره بالسياط ، فأخذ الرجل يصيح ، حينئذ قال له القاضى: « في ظهر من تقع هذه السياط ؟ فقسال الرجل يصيح ، حينئذ قال له القاضى: « في ظهر من تقع هذه السياط ؟ فقسال الرجل يصيح ، حينئذ قال له القاضى نالقساضى : وكذلك السيف ، والله لايقع الا في عنقك ، فلا تتوهم غير ذكك .

واذا عرفنا أن أسلم بن عبد العزيز تولى القضاء عام ٣٠٠ ه حتى عام ٣٠٠ ه لتأكد لدينا أن تلك الحركة الانتحارية التى قام بها نصارى قرطبة كانت لها ذيول حتى بداية عهد عبد الرحمن الناصر ، وأنه رغم الشدة التى عالجها بها الأمير محمد (٢٣٨ ـ ٢٧٣ ه) من طرد للموظفين

Dozy, op. cit, pp. 272, 285

(٦٥) الخشنى ، قضاة قرطية ، ص ١٥٨ ، ١٥٩ ٠

(T(1)

المسيحيين من قصره ، ومن تسدمير لبعض الكنائس الا ان تلك الحركسة استمرت حتى بعسد حكم ابنيه المنسذر ، وعبد الله ، وأنه لم تقمعها الا شدة الناصر وحزمه (٢٦) .

ويبدو أن حركات الاستشهاد أو الانتحار المسيحى كانت معروفة أيضا في غير الاندلس ، فقد حدث عام ٢٨٤ ه في بغداد أن شهد الناس على نصرانى بأنه سب نبى الاسلام ، وطلبوا من القاضى أن يتيم عليه الحد . وكان غضب الناس شديدا لدرجة أنهم هاجموا قصر الخليفة المعتضد العباسى ، فردهم الخليفة الى القاضى ثانية فكادوا يقتلونه من كثرة الزحام حتى أنه أغلق بينه وبينهم بابا (١٧)

وكان طبيعيا أن تقع مثل هذه الحوادث في قرطبة عاصمة أمراء بنى أمية ، فالمتعصبون موجودون في كل مكان وفي كل عصر . وكان في أمكان ثوار النصارى أن يتحولوا ألى جنود وجيوش في المدن والاقاليم البعيدة عن قرطبة ، مركز السيطرة الاسلامية ويدها القوية ، وكان يمكنهم أن يشتبكوا في حرب عصابات أو وجها لوجه مع جيوش قرطبة وحتى الموت ، أما في قرطبة وهي عاصمة الدولة ، فلم يكن للنصارى الا أن يختاروا طريقا آخر غير ذلك الطريق وهو أن يصبحوا شهداء (١٨) .

وهناك عامل هام وأخير ساعدهم بل حرضهم على اختيار هــذا الطريق ، ذلك هو تحريض نصارى الشمال الأسبانى . ويبدو أن هؤلاء النصارى انتهزوا فرصة الضعف التى كانت تعيشها حكومة قرطبة فى ذلك الوقت ، وراوا أن يثيروا نصارى قرطبة حتى يتمكنوا من التهام الثغور الاسلامية شمالى طليطلة وبطليوس . والروايات النصرانية لاتشبر الى هذا التحريض المتعمد الا عرضا ، بينها تصمت عنه الروايات العربية ولاتشير اليه ادنى اشارة .

Dozy, op. cit, p. 299 (77)

[•] ۱۷۰ البن الجوزى ، المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، ج ه قسم ٢ ، ص ١٧٠ Dozy, op. cit, p. 272

ثانيا ... مظاهر حركة التمرد النصرانية داخل الأندلس الاسلامية :

بدأت هذه الفتنة بعد زيارة قام بها القس يولوجيوس KA مراكة نبرة (نافار) عام ٢٣٤ ه / ٨٤٨م ومن بمبلونة الحضر معه عددا من الكتب المليئة بالاباطيل ضد الاسلام ، كما احضر معه عددا من كتب الأدب الروماني من اعمال فرجيل الآالا وهوراس وهوراس المحتود الله الله الله القس معادلة معقولة راجحة للادب العربي الذي كان القرطبيون المسيحيون يفتتنون به وفي طريق عودته عرج على طليطلة وقضى فيها عدة أيام تمكن فيها من اثارة اهل طليطلة ضد حكومة قرطبة التي تسيء الى المسيحيين وتضطهدهم على حد زعمه (٢٠) .

ونلاحظ أن ثورات طليطلة لم تبدأ الا بعد عودته الى قرطبة واشسعالاً نار الفتنة فيها بين علمى ٢٣٦ ، ٢٣٨ ه / ٨٥٠ – ٨٥٨ م وحدوث حركة الاستشهاد الجماعى في تلك المدة . وعندئذ بدأت الثورة في طليطلة وتمكن النصارى من القبض على عاملها ، ثم خرج اليهم الأمير محمد عام ٢٤٠ه/ ١٠٥٨م وأوقع بهم في وادى سليط ، رغم المعاونة التي تلقتها طليطلة من أردونيو الاول ملك ليون (٢٠) .

عاد الأمير محمد الى قرطبة مكلسلا بالنصر حيث ووجسه بأعمسال الاستشهاد تزداد وتعنف ، وقام يولوجيوس وصديقه الفسارو Alzaro باصدار نشرات يدانعون نيها عن أعمسال الاستشهاد ويحرضون نيهسا جماهير المسيحيين ، بينما صمحت طليطلة على تعينه مطرانا لها بعد وفاة

 $\langle V \rangle$

s . k

⁽٦٩) لمعرفة دور القس يولوجيوس في اثارة الفتنة باستقامته ، انظر ، Dozy, op. cit, pp. 273 - 274, 285 - 293, 206 - 307

كارل بردكلمان ، تناريخ السُموب الاسلامية ، ج ٢ ، ص ١٤٧ ، مِلحق رقم ٦ مِن البحث ٠ Dozy, op. cit, pp. 269, 270, 293. 300

Dozy, op. cit, pp. 33 - 301

مطرانها Wistremir ورفضت اختيار أى مطران آخر بعد أن رفض الأمير محمد ذهاب يولوجيوس اليها(٢٠) .

ورغم الهزبمة الساحةة التى منى بها نصارى طليطلة والملك اردونيو الأول ملك ليون الا أن الثورة تجددت واستمرت في طليطلة ، مما دعا الأمير محمد المى ارسال جيوشه اليها في أعوام ٢٤٢ ، ٣٤٣ ، ٢٤٣ ه (٨٥٨ ، ٨٥٧ ، ٨٥٨) ، ولم تنته ثورة هذه المدينة الا بعد موت أو اسشمهاد يولوجيوس عام ٢٤٥ ه / ٨٥٩ م ، ذلك الاستشماد الذي احدث ضجة كبرى ليس في قرطبة فقط ولكن في جميع أنصاء أسبانيا . وقام مؤرخو الشمال بتسجيل ذلك الحادث بفخر عظيم . وبعد ذلك باربع وعشرين عاما أصر الملك الفونسو ملك ليون عند عقده معاهدة السلام بينه وبين الأمير محمد على نسليم جثمان أو رفات القديس يولوجيوس والقديسة لوكريتيا Leocritia

فالأمر واضح اذن : يولوجيوس يذهب الى بمبلونة عاصمة مملكة نبرة عام ٢٣٤ ه / ٨٤٨ م ثم يمر بطليطلة ويحرض أهلها على الثورة . ثم يعود الى قرطبة ويشعل الفتنة فيها عام ٢٣٦ ه / ٨٥٠م ، ويدفع ببعض الفتيات ـ بعضهن كل مسلمات أصلا وفتنهن ذلك القس ـ والرجال شبانا وكهولا الى ساحة الاعدام . عندئذ تقوم طليطلة بثورتها بدءا من عام

Dozy, op. cit, p. 302 (YT)

(۷۲) Dozy, op. cit, p. 307 نيفي بروفنسال ، دائرة المعارف

الاسلامية ، المجلد الثانى ، ص ٦٨٦ ليوكريتيا Leocritial نتاة ترطبية شابة مولودة من أبوين مسلمين ، تكنها اعتنقت المسيحية سرا ، وغشل والدها في اعادتها الى حظيرة الاسلام واخد في عقابها ، فهربت وختبات عند يولوجيوس واخته Anulo ، لكن الشرطة عرفت بمكانها وقبضت عليها وعلى يولوجيوس الذي اعترف أمام القاضى بتلقينها مبادىء المسيحية وطلب اعدامه ، وتم ذلك في عام ٢٤٥ ه / ١١ مارس ٨٥٤ م وبعد ذلك باربعة أيام واجهت ليوكريتيا نفس المصير واعتبرتهما الكنيسة من القديسين ، وطالب برفاتهما مل كاليون بعسد ذلك بعشرين عاما اثناء مفاوضات الصلح بينه وبين الأمير محمد ، انظر

Dozy, op. cit, p. 304 - 306

۲۲۹ ه / ۸۰۳ م ، یشبجعها فی ذلك ویساندها بالجیوش ملك لیون النصرانی ولا تهدا ثورة النصاری سواء فی قرطبة او فی طلیطلة الا بموت یولوجیوس عام ۲۶۵ ه / ۸۰۹ م .

هذا ولم يأت التحريض فقط من نصارى الشمال الاسبانى فى مملكة نبرة او مملكة ليسون التى كانت تسمى بمملكة جليقية واثمتريس من قبل ، بل قام نصارى الفرنجسة والبسابوية بدورهم فى هسذا الشأن . وكسان المسيحيون فى أوروبسا بصفة عامة يشجعون هذه الحركة ويباركونها ويرون فيها الشرر الذى قد يحيسل جسو الأندلس الى نار تحسرق والمؤرخسون يشيرون الى وفود الرهبسان الذين قدموا من فرنسا وغيرها من مهسالك الشمال الاسبانى ، اما للاستشماد أو لجمع عظام شسهداء قرطبسة من النصارى ، لتعرض فى باريس وغيرها من عواصم أوروبا لاستثارة الحمبة فى النفوس (٢٠) .

ويشير البعض بعسفة خاصة الى قدوم هذين الراهبين الفرنسيين أدلارد Odilard عام ٢٤٤ ه / ٨٥٨ م أى: قبل استشهاد زعيم الفتنة في قرطبة يولوجيوس في عام واحد . وصل هذان الراهبان الى بلنسية لأخذ رفات القديس فنسنت Vincent ولما سهعا بأعمال الاستشهاد في قرطبة ، ذهبا اليها ، وبقيا هناك شهرين ثم عادا الى فرنسا ومعهما رسالة مختومة بخاتم مطران قرطبة المها ومعنونة باسم الملك شارل الجسور ، الذي أرسل رسوله منسيو Manclo الى قرطبة ليحصل على رفات بعض القديسيين الشهداء (٥٠٠) .

وبذلك استطاعت تلك الأصابع الأجنبية أن تشعل الحريق وآن تفلح في انبعاث المنتنة في أواخر حكم الامير عبد المرحين الاوسط منذ عام ٢٣٦ه – ٨٥٠ م واستمرت لمدة عشر سنوات حتى عام ٢٤٥ ه / ٨٥٩ م في عهد ابنه الأمير محمد . وواجهت حكومة قرطبة هذه المنتنة الدينية في أول الامن

⁽۷٤) د حسن محمود ، المرجع نفسه ، ص ۸٤ ، ليفي بروفنسال ، المرجع نفسه ، المجلسد الثاني ، ص ٥٨٠ .

(۷٤) محمود ، المرجع نفسه ، المر

بالحكمة . فدعا الأمير عبد الرحمن الى عقد مؤتمر كنسى لعلاج تلك المشكلة التى أحرجت الدولة كثيرا ، واستطاع هذا المؤتمر أو هذا المجمع أن يصدر قرارا بمنع المسيحيين من الاستمرار في هذه الفتنة ، والقبض على المحرضين (٢٦) .

لكن ذلك لم يغلب في وقف الفتنة الا بعد أن قبض على زعيم المحرضين وهو يولوجيوس ، بعد أن ثبت أنه يحرض الفتيات على التنصر وعلى تقديم انفسهن للموت وايوائهن بعد فرارهن من ذويهن (V) ووجد يولوجيوس نفسه مضطرا لتقديم نفسه للموت بالطعن في الاسلام وسبن نبيه ، حتى يلحق برفاقه الذين كان قد حرضهم من قبل ، وتم ذلك وأعدم يولوجيوس عام (V) ه (V) م (V)

وكانت حكومة قرطبة فى عهد الأمبر محمد قد تخلت عن سياسة التسامح ونفذت القانون حيال هؤلاء النفر من المتعصبين وأعدمتهم ، وكان هـذا هو الهدف الذى يهـدف اليه زعمـاء النصارى فى قرطبة . فبلا ثبك أثار هذا

١٤٧ م ، ٢ م ، ١٤٧ م ، ١٤٧) وَبروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ج ٢ م م ، ١٤٧
 Dozy, op. cit, p. 289

(۷۷) من امثال الفتيات اللاتي حرضهن يولوجبونين وكن مسلمات ، ليوكريتيا وقد سبق جميلة شابة ، انحسطت من اب مسلم وام مسيحية لكن اباها تونى وهي صغيرة السن فلقنتها نكرها (انظر حاشية رقم ص) ، وفلورا Flora ، وكانت فلورا فتساة قرطيبة امها المسيحية ، ورفض اخوها المسلم ذلك ، فهربت والتقي بها يولوجيوس لاول مرة ووقسح حبها في قلبه ، والخفاها عنده حتى ذهبت الى القاضي الذي تأثر بشبابها وادخلها السجن فربما أذهب بتهورها ، لكن يولوجيوس زارها وقوى من عزيمتها رغم حده لها ، لكن تعصيبه الأعمى وهدفه في بث الكراهية والحقد وإثارة الناس ، وتمهيد الطريق أمام نصاري الشمال ، كل ذلك أعلى بصيرته ، لدرجة أنه أعتبر بوم العدام فلورا عام ٢٣٧ ه (٢٤ يوفمبر ١٥١ م) يوم النصر عنده ، هكذا بلغ تعصيه وحقده على مسلمي الأندلس . Dozy, op. cit, pp. 274 - 276, 291 - 293

Dozy, op. cit, pp 304 - 306 Livernore, op. cit, p. 77

(۷۸) أبطر

الاعدام موجة من السخط واثار الأحقاد وزاد من الكراهية المتأججة فى نفوس المسيحيين ضد الاسلام هناك . وكما رأينا فقد ثارت طليطلة على الفور ولمدة سنوات فتتالية ولم تهدأ الا بعد مقتل يولوجيوس(٢٩)

في الواقع كانت طليطة بمسيحييها ومولديها تعيش سلسلة متصلة من الثورات ضد حكومة قرطبة منذ الفتح وحتى عصر عبد الرحمن الناصر، ونالت استقلالا داخليا نظير دفع مبلغ معين من المال . لكنها لم نلبث بعد الناصر وبعد انهار الخلافة الأموية أن ساهمت في عصر ملوك الطوائف بما كان فيه من نتن وانقسامات وصراعات على السلطان ، حتى فتحت أبوابها لألفونش (الفونسو) المسادس وكانت أول مملكة تسقط في يد نصارى الشمال ،

اما مسيحيو قرطبة نفسها غلم يستكينوا طويلا ، اذ انهم انتهاؤو غرصة تولى الأمير عبد الله الحكم (٢٧٥ – ٣٠٠ ه / ٨٨٨ – ١٩٢ م) وقاموا بالتورة بالاشتراك مع ابن حفصون وكان ثائرا في جنوبي الاندلس ومحالفيه ضد امراء بني أمية ، وفي هذه المرة لم تكن أعمال الاستشهاد هي الوسيلة الوحيدة لاظهار تعصبهم الديني وكراهيتهم للمسلمين ، بل انهم حملوا السلاح بقيادة رئيسهم الكونت سرفاندو الذي يسميه ابن حيان شربند بن حجاج القومس ، وخرجوا الى حصن بلي (بلاي Play) قرب طليطلة ، وأمدهم ابن حفصون بالجنود ، وصاروا يغيرون على نواحي قرطبة يحرقون القرى ويدمرون الزروع ، وأصبحت العاصمة مهددة بالخطر (٨٠) :ه،

استطاع اذن مسيحيو قرطبة وقوات ابن حفصون الذى ارتد الى النصرانية بعدد ذلك ببضع سنوات (عام ٢٨٥ هـ) أن يهددوا عرش بنى أمية ، لكن الأمير محمد استطاع أن يستولى على هذا الحصن أخيرا ،

Hole, Spain Under the moslems, p. 50
Dozy, op. cit, pp. 300 - 302

⁽٨٠) ابن حيان المفتبس ، ج٣ ، ص ٩١ ، ٩٢ ، ليفي بروفنسال ، المرجع نفسه ص ٦٨٧ ٠

ويقول دوزى انه احضر اسرى الحصن امامه واعلن أن جميع من يقومون بتسجيل أسمائهم كمسلمين لن يعدموا بشرط أن يقسموا انهم كانوا مسلمين . أما المسيحيون فلهم الموت الا اذا اعتنقوا الاسلام ، لكنهم جميعا وكان عددهم يقرب من الألف اختساروا الموت بدل أن يتخلوا عن عقيدتهم . واحد فقط هو الذى انقسد نفسه ، أما الباقون فقد واجهوا الموت في بطولة (١٨)

ولم تخلّ ثورة من ثورات المولدين التى ازدهم بها هذا العصر من اشتراك وتدعيم نصارى أهل الذمة ، وجميع الشورات التى قسام بها المولدون فى بطليوس وماردة وبشتر وريسة وجيان وسرقسطة وغيرها كان للنصارى دور بارز فيها خصوصا بعد أن تنصر أكبر الثوار ، وأعظمهم وهو أبن حفصون ، ليس هذا فقط بل أننا نسمع أن كثيرا من مولدى وهو أبن حفصون ، ليس هذا فقط بل أننا نسمع أن كثيرا من مولدى الشمال ومن أسرة بنى قسى زعيمة المولدين هناك ، ارتدوا الى النصرانية (٨٢)

ويبدو أن حركات النصارى ضد حكومة قرطبة كانت سابقة لنتنة الاسشهاد بكثير ، اذ نرى ثورات لمسيحيى مدينة ماردة عام ٢١٤ ه / ٢٨م حيث تحسالف هؤلاء مع لويس ملك الفرنجة وقتلوا عامل المدينة ، ولم يخلدوا للهدوء الا بعد أن سير اليهم الامير عبد الرحمن الاوسط جيشا كان هو على رأسه ، وضيق عليهم الحصار حتى استسلموا وسكنت الفتنة (٨٣) .

كذلك قام مسيحبو مدينة البيرة بزحف على قرطبة مطالبين برد المفسارم التى كان ربيع القومس عامل الذمة قد اقتضاها منهم . وكانوا يظنون انهسا يمكن أن ترد اليهم بعد أن قام الأمير عبد الرحمن الأوسط بصلبه فى بداية حكمه . فأقبلوا حينئذ الى فرطبة وانضم اليهم مسيحيوها ، وساروا جميعا

Dozy, op. cit, p. 365 (A1)

(٨٢) ابن حزم ، جمهرة انساب المرب ، ص ٤٦٨ .

• ٨٩ محمد عبد الله عنان ، تاريخ العرب في الأندلس ، ص ٩٩ (٨٣) Chapman, op. .qit, p, 44

الى القصر ، فأرسل اليهم الأمير قوة من الفتيان لتهدئتهم ، فاعتدوا علبها، فبعث اليهم الجند الذين انتحموا معهم في معركة فتكت بهم ، وقتل منهم الكثير « وانهزم جند الببرة ومن معهم » من أهل قرطبة وفروا على وجوهم (١٠٠٠)

ولاثمك أن هذه الانتفاضات الدائطية وحركات التمرد والثورة التى قسام بها العرب والبربر والمولدون ونصارى اهل الذمة أضعفت حكومة قرطبة ، واتاحت الفرصسة لنصسارى الشمال الأسبانى لاسترداد بعض أراضى أسبانيا التى كان العرب قد استولى عليها ، وأخذت بذلك الحدود الاسلامية تتراجع الى الجنوب ، وصار أمر الاسسلام مهددا بالزوال ، ولم ينقذ البلاد من الضياع الاحكم عبد الرحمن الناصر في بداية القرن الرابع الهجرى .

⁽٨٤) امن الأثير ، الكنامل ، جـ ٦ ، ص ١٤١ -

ثانيا _ ظروف اسبانيا النصرانية واحوالها المؤثرة في علاقتها بالاندلس الاسلامية في عصر الامارة الأموية

ان العوامل التى تحكم الصراع بين مسلمى الأندلس الاسلامية وشمال أسبانيا النصرانى تنبع من داخل كل منهما ، فاذا أردنا أن نعرف لماذا هزم أولئك وانتصر هؤلاء ، أو بمعنى آخر ، اذا أردنا أن نتعرف على طبيعة العالمة بين الطرفين ، سواء في السلم أم في الحرب ، لابد لنا أن نضم يدنا على عوامل القوة وعوامل الضعف داخل كيان كل منهما .

وكما درسنا في الفصل السابق احوال بلاد الأندلس في عصر الامارة وعرفقا مواطن القوة التي مينتها من أن تقف على قدميها بعد أن هب نصارى الشمال وتوغلوا داخل أراضيها ، منتهزين فرصة الصراع القبلي الطاحن في عصر الولاة ، ودرسنا كذلك مواطن الضعف التي سهلت لنصارى الشمال الأسباني من أن يكتسبوا أرضا جديدة ، وأن يتبادلوا الهزائم والانتصارات مع أمراء بني أمية ، كذلك فانه علينا الآن أن نقوم بنفس المهمة وننفذ الى اعماق تلك الامارات والمالك النصرانية التي نشأت في الشمال ، ونرى ما فيها من عوامل قوة مكنتها من التقدم ، ومن عوامل ضعف استغلها المسلمون ، وتمكنوا من وقف هؤلاء النصارى ورد عادياتهم .

والشمال الأسبانى النصرانى لم يكن كله يشكل دولة واحدة أو كيانا واحدا ، بل كان هناك فى عصر امارة بنى امية ثلاثة تجمعات نصرانية رئيسية : أولاها : تلك المملكة التى تسمى مملكة جليقية واشتريس ، وقد نشأت على يد (بلاى) عام ٩٨ ه / ٧١٨ م فى الركن الشمالى الفربى من شبه جزيرة ايبيريا ، وهى أول مملكة نصرانية تقدوم بعد انتهاء الفتح المعربى البلاد ، وكان لها شرف حمل السلاح وبدء المقاومة ضدحكومة قرطبة ولم يكد يمضى على بداية الفتح ست سنوات (٥٠٠) .

⁽٨٥) أنظر ، التمهيد التاريخي ، ص

اتخد بلاى من مدينة كانجاس دى أونيس التخد بلاى من مدينة كانجاس دى أونيس الساحل الشمالى عاصمة له ، وهزم المسلمين فى موقعة كوفا دونجا، وكانت أول هزيمة لهم على يد نصارى الأسبان ، وقد اضطروا بسبب ذلك وبسبب الصراع القبلى الذى دار بين العرب والبربر الى النزوح الى الجنوب وتركوا مناطق شاسعة جنوبى جليقية اصبحت حائلا بين الجلالقة وبين المسلمين ، وأمنت بذلك مملكة جليقية على نفسها من غزو مفاجىء ، قد يأتيها يوما ما من الجنوب ، بل انها هى نفسها قامت بغزو ما يجاورها من ثغور المسلمين وبدأت ماعرف بعد ذلك بحركة الاسترداد (٢٠) ،

وقد سبق الحديث عن الصراع الذى دار بين مسلمى الاندلس وبين بلاى ومن بعده الفونس (الفونسو) زوج ابنته ، والذى كان يحكم كنتبرية التى تقع الى الشرق من اشتريس (اشتورية) ، وبذلك توحدت الامارتان ، كنتبرية وأشتريس ، فى مملكة واحدة تمتد من بلاد البشكتس شرقا الى شاطىء المحيط الأطلنطى غربا ، ومن خليج بسكاية شسمالا الى نهر دويرة جنوبا ، وسميت باسم مملكة جليقية لانها قامت على حدود الولاية الرومانية القديمة التى كانت تسمى بهذا الاسم ، وظل هذا الاسم علما عليها حتى اواخر عصر امارة بنى أمية عندما نقل الملك غريسيه ابن الفونس الثالث ، العاصمة الى ليون عام ١٩٢٤ه / ١٠٠ م ، وسميت الملكة من وقتئذ مملكة ليون (٨٠) .

هذا عن التجمع النصرانى الأول . أما عن التجمع النصرانى الثانى: فيعرف بمملكة نبرة (نافار Navarra)، وهى : في غربي جبال البرنات والى الشرق من جبال كنتبرية Cantabria على أبواب غالة (فرنسا) وهى بذلك مملكة فاصلة بين امارة برشلونة التى تقع على ساحل البحسر المتوسط في الشرق ، وبين مملكة جليقية وأشتريس التى تسمت بعد ذلك

Livermore, op. cit, pp. 69,70

(AV)

⁽٨٦) أنظر ، التمهيد للتاريخي ، ص ٢١ ، ٢٢ •

باسم مملكة ليون ، ثم باسم مملكة ليون وقشتالة فى القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى (^^) .

كان يسكن جبال نبرة شعب شديد المراس يسمى الباسك نسبة الى منطقة بسكاية Biscaya . وكان العرب يسمونه البشكنس أو البشكونس ، وربما اطلقوا هذا الاسم على البلاد التى تقع وراء البرنات الى جههة فرنسا ، لأن اصل الأهالي واحد سواء في السفح الجنوبي أو في السفح الشمالي من البرنات ، وهم أمة مستقلة بنفسها لهم لفنهم الخاصة حتى الآن ، وهم من أشد أمم الأرض استمساكا بقوميتهم واحتفاظا بعاداتهم وتقاليدهم ، وهم يسببون حتى الان كثيرا من الأزمات السياسية لحكومة أسبانيا (٩٠٠) .

كانت قاعدتهم مدينة بمعلونة Pamplona الحصينة التي حكمها المسلمون ردحا من الزمن ثم فقدوها في أواخر القرن الثاني الهجرى الثامن الميلادي أمام غزوات الفرنجة لاسبانيا الشمالية . وكانت هذه البلاد ميدانا للجيوش الاسلامية والفرنجة عند عبور كل منهما للاخرى . وقد حاولت كل منهما غزوها ، لكن الباسك كانوا لايتوانون دائما عن الزود عن استقلالهم ، وقد قام أمراء جليقية بمحاولة غزوها غير مرة وضمها الى الملكة النصرانية ، لكنها استقلت بنفسها قرب نهاية القرن الثاني الهجرى عندما ظهر احد زعماء الباسك المسمى أزوار عام ١٨٠ ه / ٧٩٩ م وجعل نفسه أميرا على تلك البلاد (٨٠)

⁽۸۸) التلفشندی ، صبح الأعثی ، ج ٥ ، ص ٢٣٤ ، شكیب ارسلان ، للحلل السندسیة ج ١ ،ص ٢٣١ .

۲۳٤ میری ، المصدر نفسه ، ص ۵۰ ، القلتشندی ، المصدر نفسه ، ج ه ص ۲۹۱ .
 ۲۲۱ میری ، المصدر نفسه ، ج ۱ ، ص ۲۲۱ ، ارسلان ، الرجع نفسه ، ج ۱ ، ص ۲۲۱ رینسو ، تاریخ عزوان مرنسا ، ص ۱۱۷ ، ارسلان ، الرجع نفسه ، ج ۱ ، ص ۲۲۱ رینسو ، تاریخ عزوان مرنسا ، ص ۱۱۷ ، ارسلان ، الرجع نفسه ، ج ۱ ، ص ۲۲۱ میرانسا ، میرانسا ، ص ۱۱۷ میرانسا ، میرانسا ، ص ۱۱۷ میرانسا ، میرا

⁽٩٠٠) عدان - المرجع نفسه ع ١ ، ض ٦٧ ٠٠

اما التجمع النصرانى الثالث ، فهو امارة قطالونية Catalonia (برشلونة) وهى بلاد قائمة بذاتها من قديم الدهر ، وكثيرا ما كانت أمة مستقلة بنفسها عن سائر اسبانيا ، ولم تتحد مع ارغونة وقشتالة الا بعد طرد المسلمين من الأندلس ، وأهلها أمة يقال لها : القطلان أو الكتالان لسانهم غير لسان الاسبان وهم اقرب في لفتهم الى لفة بروفانس التى هى لغة جنوب فرنسا والتى تبعد عن اللاتينية بقدر ما تقرب منها اللغة الأسبانية ، وشعب القطلان على وجه العموم لايحب الشعب القشتالي(١٠)

وتمتد هذه الامارة من جبال البرنات في الشمال الى بلنسية في الجنوب ومهن منطقة الثفر الأعلى (سرقسطة) في الغرب الى البحر المتوسط في الشرق وكان لقطلونية على هذا البحسر ساحل يمتد مسافة .. ك ك.م من راس سربيرة Cerbira في الشمال الى مصب نهر سينيا Cenia في الحنوب (٩٢) .

وقد انتتح العرب قطلونية عندما دخلوا اسبانيا ، لكنهم لم يبقوا هناك طويلا ، اذ استطاع شرلمان أن يغزو تلك المنطقة ويستولى على جيرونة عام ١٦٥ هـ / ١٠٨ م ، ويؤسس عام ١٦٩ هـ / ١٠٨ م ، ويؤسس هناك امارة سموها « المارك الأسباني » Spanish Mark الشغر التوطى ، أو دامارة برشلونة » أو «الأطراف الأسبانية لملكة الفرنجة ، واتخذو من برشلونة عاصمة لها ، وبعد استيلاء الفرنج على برشلونة أصبحت طرطوشة التي تقدع قرب التقساء نهر ابرة بالبحر المتوسط هي آخر المدن الاسلامية على ساحل ذلك البحر)٩٠٠ .

وقد حكم هذه الامارة أولا عدد من الكونتات التابعين لملوك الفرنجة ، لكن خضوع قطلونيا لهؤلاء الملوك لم يستمر طويلا أثناء القرن الشالث

⁽٩١) أرسالان ، المرجع نفسه ، ج ٢ صن ٩٩ .

⁽۹۲) المرجع السابق ، ج ۲ ، ص ۹۹ •

⁽۹۳) الاصطخرى ، المسالك والمالك ، ص ه ، المحميرى ، المسدر نفسه ، ص 27 ، المحميرى ، المسدر نفسه ، ص 27 ، خليل السامرائي ، علاقات المرابطين ، ص ٢٥ م على المسامرائي ، علاقات المرابطين ، ص ٢٥ على المسامرائي ، على المسامرائي ،

الهجری / التاسع المیلادی . اذ یعتقد آن وفریدو Wifrero کونت برشلونة هو آول من اعلن استقلاله عام 77 ه / 8 م 9 وأصبحت هذه الامارة شوكة في ظهر النغر الاعلى الأندلسي (9)

هذه لحة سريعة عن مراكز نجمع نصارى الشمال الأسبانى ، فما هى حقيقة العلاقات بينها وانعكاسات ذلك على حركة الصراع ضد قرطبة ؟ وما هى الأوضاع الداخلية لكل مملكة من هذه الممالك النصرانية ؟ وهل مكنت تلك الأوضاع نصارى الشمال من استئناف حركة المقاومة التى كان قد بداها الفونش الأول ملك جليقية وأشتريس فى نهاية عصر الولاة فى الأندلس ؟

وللاجابة على هذه التساؤلات سوف نتناول بالبحث نقاطا أربع : أولاها ، الاسر الحاكمة في كل امارة أو دولة ، وما قام بين أفراد هذه الأسر من صراعات على الحكم ، وعلاقة هذه الاسر بالقوى الاجتماعية الاخرى مثل النبلاء ورجال الكنيسة والعامة ، وأثر ذلك كله في قسوة الدولة أو ضعفها ، وانعكاسه على العلاقة مع دولة الاسلام في الاندلس وثانيها ، البيئة الطبيعية والبشرية لكل مملكة أو امارة ، وهل هي عامل قوة أو ضعف ، وأثر ذلك على العلاقات مع أمراء بنى أمية في قرطبة ، وثالثها العامل الديني ، ومدى أثره في الصراع مع العرب ، ومدى استغلال المالك النصرانية له في هذا المجال ، ورابعها ، علاقة المالك النصرانية في العرب ، والعرب ، والعرب ، والعرب ، والعرب ، والتعرب ، والعرب ، والمعال النصرانية في المالك النصرانية في العرب ، والعرب ، وال

ا ــ النظـام السياسي في ممالك الشمال النصرانية واثره في العــلاقات مع مسلمي الأندلس :

كانت مملكة جليقية واشتريس هي اول دولة قامت في الشبمال الأسباني وكان لها السبق لسلسلة ملوكها ، كما انها واكبت الدولة الاسلامية منذ بداية قيامها تقريبا ، ولم يقم بجانبها مملكة ذات شأن الا مملكة نبرة

Chapman, op. cit, p. 56

التى ظهرت في وقت متأخر ، ولم بكن لها دور على المسرح السياسي الا في النصف الثانى من عصر امارة بنى أمية ، أما قلطونية : فكانت دوقية أو امارة تابعة للفرنجة ولم بكن لها شأن كبير في تاريخ اسبانيا في تلك الفترة .

وعلى اية حال فان نظم الحكم في المالك النصرانية الأسبانية في عصر الامارة كانت مماثلة للنظم التي كانت قائمة في أواخر عهد القوط وكان الملك وراثيا في جليقية واشتريس فقط ، ولكن في باقى الامارات مشل أبرة ، كان الملك ينتخب بواسطة النبلاء أو الاشراف . لكنهم كانوا يغتخبون من كان بمولده أحق الناس بالعرش اجتنابا للحرب الاهلية (٥٠) .

وكان الملك مطلق السلطان ، يقبض على زمام السلطة التشريعية والتنفيذية ، ولا يقيد النبلاء سلطته الا بالثورة ضده ، والا بأن يحاولوا جعل ارتقاء العرش بالانتفاب . ولذلك كان النبلاء دائما في حالة شد وجذب مع الملك لنفس الاغراض التي صارعوه من أجلها أيام دولة القوط(٢٩) .

ولا عجب في هذا غدولة جليقية ما هي الا استمرار لدولة القرط الزائلة ، وما الفونش وسلالته الا من نبلاء القوط الذين كانوا يقيمون في شمال البلاد وقت فتح العرب لها ، ولذلك استمرت سنن المملكة القوطية ، واستمر الجلالقة يسمون انفسهم قوطا ويدعون النسبة الى القوط ، وتنهج حكومتهم منهج السياسة القوطية (٨٧) .

واذا كانت اسبانيا القوطية قد فقدت استقلالها ومكنت العرب من فتحها بسبب ذلك النزاع الذى حدث بين البيت المالك وبين النبلاء من

⁽٩٥) يوسف أشباخ ، تاريخ الأندلس ، ص ١٣٢ .

Grow, Spain, the root and the flower, p. 94 (93)
Chapman, op. cit, 45

محمد عبد الله عنان ، تاريخ العرب في اسبانيا ، ص ١٠٨ . (٩٧) المرجع السابق ، ص ١٠٧ ، ١٠٨ .

القوط ، مان دولة جليقية واشتريس قد تعرضت لنفس الشيء ، لكن النبلاء في هذه المرة لم يساعدوا العرب ضد مليكهم كما حدث في الماضى ، وانها كانسوا يساعدون من يرغبونه في الجلوس على العرش وكان ذلك في بعض الاحيان لاعتبارات تعود الى ما تعوده القوط أو الجلالقة من عدم الاذعان للملك اذا كان طفلا أو كان مغتصبا للعرش اذلك كانت مساندة النبلاء تقرر في أحيان كثيرة من يضع التاج على رأسه وكان الملوك رغم ذلك في حاجة لاسترضاء أشرافهم بسبب الحروب الدائمة مع العرب ، فكانوا يغدقون عليهم المنح والعطايا والاقطاعات والمزايا ولتي جعلتهم مطلقي التصرف في أملاكهم ، حتى أنهم كانوا لا يرون كبير فيرق بينهم وبين الملك ، لدرجة أنهم لم يسمحوا لأنفسهم أن يعاملوه بالتعظيم والتبجيل الذي كان يعامل به أهالي أوروبا ملوكهم العظام (٩٠٠) .

ارتفعت شوكة الأشراف اذن ، ولجأ الملوك الى التماس المحالفة و المساعدة من المدن النامية ومن رجال الكنيسة الاغنياء ، وكانوا يريدون بذلك خلق توازن سياسى بين سلطتهم وبين ازدياد نفوذ طبقة الأشراف أو النبلاء ، ومن ثم أغدقوا المزايا والعطايا على أهالى المدن فعظمت شوكتها وكثرت ثروتها ، كما أغدقوا العطايا على رجال الكنيسة بغرض الضرائب الباهظة على عامة الناس ، وتحصيلها لحساب الكنيسة ورجالها ولبناء الأديرة والكنائس ، حتى ضاق الناس ذرعا في بعض الاحيان وأعلنوا الثورة ضد ملوكهم (٩٩) .

من هنا يمكننا القدول بأن سلطة الملك كانت نظريا مطلقة ، وخاصة فبها يتعلق بأراضيه والمناطق المحررة من الأندلس الاسلامية ، أما فيما يختص بأراضى النبلاء والكنيسة كانت هناك قيود وحدود لسلطاته نحوها ، فقد تمتع النبلا، بحقوق اقتصادية وبحقوق السيادة على

⁽٩٨) روبرتسون ، انتحاف الملوك الألب ، ص ١٤٨ . Crow, op. cit, p 94

⁽٩٩) روبرتسون ، اتحاف الملوك الألبا ، ص ١٥٠ ٠ Crow, op. cit., p. 94

ممتلكاتهم ، كما كونوا قوات عسكرية وحارب كل منهم الاخر بل وحاربوا الملك في بعض الاحيان ، كما كانوا يجمعون الضرائب لأنفسهم ، واحتل رجال الأكليروس موقفا مشابها لهؤلاء النبلاء ، وحازت الكنيسة عقارات ضخمة من عطايا الأفراد وهبات الملوك ("")

وكان من نتيجة ذلك أن السلطة الملكية كانت تنهار أذا ما تحداها أولئك النبلاء ، وكانت تقوم الحرب الاهلية ، وربما انحاز الملك المعزول الى أحد أقاليم الدولة القاصية ، واستمر يمارس سلطته هناك ، وربما استعان على الملك الجديد الذي يعتبره غريما له ، بالتحالف مع المسلمين أو مع الممالك النصرانية الاخرى القريبة منه ، وقد حدث هذا عدة مرات في تاريخ جليقية ، وكان من نتيجته أن تمكنت قوات أمراء بنى أمية أن تدخل جليقية والبة والقلاع وسائر مدن الملكة النصرانية غازية ، تستولى على المدن وتخرب الحصون وتعود محملة بالغنائم والأسلاب .

المام هذه الاوضاع كان يمكن للملك أن يلجاً الى قوة ثالثة يمكنه بها موازنة قوة الأشراف أو رجال الكنيسة ، ألا وهم عامة الشعب ، تلك الأكثرية الفقيرة التى كانت ترزخ تحت نير الاشراف أو رجال الكنيسة على السواء . لكن هذه الأكثرية استطاعت أن نشق طريقها إلى الحرية والقوة حينما اشتدت معركة الحياة والموت بين الاسلام والنصرانية في أسبانيا واضطرت الملكة النصرانية أن تلجا الى الأكثرية للذود عن حدودها وحياتها ، وانقلب الرقيق القديم جندا وفرسانا يثورون ضد سادتهم ويرغمونهم على احترامهم ومصانعتهم (١٠٠)

وربما كان هذا عامل هوة يحتسب للاسبان في معركتهم ضد الاسلام قالمان للم يكونوا مطلقى السلطة ، كانت هناك هوى أخرى من أشراف وكنيسة ومدن عامة لابد من أخذها في الاعتبار ولابد من الاستفادة منها

Chapman, op. cit., p. 60.

(١٠١) محمد عبد الله عبان ، دوله الاسلام في الأبدلس ، للعصر الاول ، القسم الاول ، ص ١٢١٧ ٠

في عمل توازن يمكن هؤلاء الملوك من قيسادة الصراع ضد مسلمي الاندلس بمهارة واقتدار في أحبان كثيرة في عصر أمراء بني أمية .

لم يكن هناك مثل ذلك الصراع القبلى الذى مزق الاندلس سواء فى عصر الولاة ام فى عصر الامارة ، لم يكن هناك صراع بين مولدين وعسرب ولم يكن هناك صراع بين مسلمين ومسيحيين داخل المملكة الواحدة كمساحدث فى الاندلس الاسلامية ، وانما كانت المملكة قلبا واحدا على عدوهم المشترك من المسلمين ، وكان هذا سرا من اسرار نجاح نصارى الشمال فى معركتهم الطوبلة ضد قرطبة الاسلامية .

لكن كان هناك ما اضعف الملكية في جليقية الى حد ما ، الا وهو ذلك الصراع على العرش بين أفراد الاسرة الملكية ، وهو ما شاركتهم فيه الأسرة الأموية ، وكمها حدث في قرطبة من انشقاق بعض أه راء بنى أمية وانسحابهم للى أحد الاقهاليم المعبسدة عن قرطبة واعلان تمردهم ضد السلطة المركزية ، بل واستعانتهم بالفرنجة أحيانا وبنصارى الشمال في أحيان أخرى ، فقد حدث مثل ذلك أيضا في جليقية ونبرة ، يبدو ذلك واضحا من ناريخ هاتين الملكتين في هذه الفترة (١٠٢) .

العينى ، عقد الجمان ، ج ١٢ ، نسم ٢ ، ورنسة ٢٩٦ . حسين مؤنس ، فجر الأنطس ، ص ٣٥١ .

محمد عبد الله عنان ، المرجع نفسه ، ص ۲۰۸ ـ ۲۱۰ ، ح ۲ ، ص ۱۰ - ۱۸ ۰ رينسو ، تاريخ غزوات العرب في فرنسا ، ص ۱٤٥ ـ ۱٤٧ ٠

Livermore, op. cit., pp. 79, 82, 83.

Chapman, op, cit., pp. 57, 65.

⁽۱۰۲) عن تناریخ مملکتی جلدهبة ونبرة ، وعن الصراع علی العرش فیهما ، انظر:
ابن خلدون ، العبر ، ج ٤ ، ص ۱۷۹ ، الفلقشندی ، صبح الأعثی ، ج ٥ ، ص ۲٦٤ ،
ابن الخطیب ، اعمال الاعلام ، ج ٢ ، ص ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ابن الأثیر ، الكامل ، ج ٢ ،

٢ ـ الطبيعة الجغرافية والبشرية واثرها في الاوضاع الداخلية :

هذا عن النظام السباسى فى ممالك الشمال النصرانية ، أما عن الطبيعة الجغرافية والبشرية ، فكما يقولون ان الارض تدافع عن اهلها ، وهذا حق فبما يتعلق بشمال اسبانيا ، فهناك مناطق لم يدخلها المسلمون قط ومناطق اخرى دخلوها لكنهم لم يستطيعوا العبش فيها طويلا ، بل أن جنود موسى بن نصير عندما اقتحم بهم مفاوز جليقية واشتريس «استوحشوا من هذه المناطق» وطلبوا منه الا يفامر بهم فى هذه الأرض القاحلة .

وقد حاول قواد المسلمين في عصر الولاة التوغل في هذه المناطق مرارا كالمنهم كانوا يعودون من حيث اتوا ، ويكتفون بما حصلوا عليه من غنائم وأسلاب . وفي احدى المرات كادوا يقضون على حركة المقاومة النصرانية المناشئة التي نظمها بلاى في جبال أشتريس في اقصى شمال اسبانيا ، الا أن حصن الصخرة التي تسمى كوفادونجا منعهم عنه ، وظل يقاومهم حتى لم يبق معهم الا عدد قلبل من الرجال والنساء الذين كانوا لامطعم لهم الا من عسل في نقصوب الصخر كما تقول الرواية العربية (١٠٠٣) .

كان الشماليون يعيشون على السهول الممتدة بطول خليج بسكاى وحتى المحيط الاطلسي غربا ، وكانت هناك سلاسل من الجبال تمتد بطاول هذه السهول وهي سلاسل جبال اشتريس وجبال كتبرية ، وتمتد هذه السلاسل فيما يعرف بجبال البرنات أو البرانس أو البرينيه Pyreness وينبع من هذه الجبال عدد من الانهار لها غروع لاحصر لها ، فكانت هناك أنهار المنيو أو المندجو Mendgo ودوبره (الدورو Douro اللذان يصبان في البحر المحيط أو المحيط الاطلسي حسب التعبير الحديث

(۱۰/۲) انظر ، المتمهيد الشاريخي ، ص

وهنساك نهر أبره Ebro الذى ينبع من جبال البرنات ونهر نبره ويصب في بحسر الروم أو البحر المتوسط .

وبين المندجوه ودوبره هضاب قفرة واسعة أصبحت حاجزا طبيعيا بين مسيحيى الشمال ومسلمى الجنوب ، ولم بستطع المسيحيون في عصر الامارة تعمير هذه المناطق بسبب عدم وجود من يزرعها وعدم توافسر الأموال اللازمة لذلك ، فكان يكتفى ملوك الشمال بتخريب هذه المناطق وأخذ من بها من المسيحيين معهم وبعودون الى الشمال ، ولم يستطع الفونش الثالث وهو أعظم أمراء النصارى وملوكهم في هذه الفترة الا أن يحتل الأقاليم الواقعة على حدود مملكته ، وكانت تشمل ليبانا berdulia وقشتالة القديمة المعروفة حينئذ ببردوليا Berdulia وساحل جليقية وقشتالة القديمة المعروفة حينئذ ببردوليا . Galicia

لذلك كانت الانهار والهضاب والجبال الوعرة ملجاً آمنا لنصارى الشمال ، ساعدتهم كثيرا ضد العرب وضد الفرنجة ، وقصة شارلال مع الباسك (البشكنس) معروفة ويكفى أن مؤخرة جيشه قد دمرت ووقع قريبه رولان صريعا ، ولم يكن ذلك الا لوعورة الجبال وضيق المسالك أو المعابر التى كانت نسمح بمرور الجيوش بين بلاد الفرنجة وشسمال أسبانيا في صعوبة بالغة ، وقد رأينا ما فعلته صدرة كوفادونجا بجيش علقمة ، وكيف أنه لم بسنطع القضاء على بلاى وارتد حيث لاقى جيوش النصارى التى كبدنه خسائر فادحة كما نقول الرواية النصرانية (٥٠٠٠)

[•] ٤ مس ٤ عمال الاعلام ، ج ٢ مس ٤ • اعمال الاعلام ، ج ١ مس ٤ • Crow, op. cit., p. 94

ولما كان التنوع أو الاختلاف هو القاعسدة الى حدد ما ، فقد اتبسع الشمال الفربى التقليد القوطى فى الحياة ، بينما شمال الوسط والشمال الشرقى (نبرة وقطلونية) احتفظوا بكثير من المؤسسسات القوطيسة ، لكنهم دخلوا فى انصالات صريحة مع شعب الفرنجة الذى جعلهم متميزين فى النواحى الحضارية(١٠٠٠) ،

ولذلك لم يسمر اتحاد الناغاربين والجلالقة طويلا في عهد امارة بنى أمية ، بل ثار الاولون واستقلوا بانفسهم وكونوا لهم مملكة مستقلة، ظهر كيانها واضحا في القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادي . بل ان تنوع الأقاليم داخل الدولة الواحدة كان له خطره ، ولذلك كان امراء جليقية من أسرة الفونش الأول يعلنون الثورة ضد الملك ، ثم يعتصمون بأحد اقاليم الدولة القاصية ويناوئونه منها . حدث هذا وانقسمت الدولة مرارا الى امارة كنتيرية والى امارة جليقية وان ظل المكم المستمرا (١٠٠) .

ولكن لم يحدث هدنا بقصد القضاء على الأسرة المسالكة او بقصد انفصال جرء من الدولة وقيام مملكة جديدة فيه ، لكنه كان صراعا على الحكم بين افراد الأسرة الواحدة ، بعكس ما كان موجودا في الأندلس ، حيث ظهرت الحركات الانفصالية في النصف الأخير من عصر الامارة ، وصار امراء بنى أمية لا يسيطرون الا على قرطبة وحدها في بعض الأحيان(١٠٠).

Chapman, op. cit., p. 59.

(\·V)

⁽۱۰۸) القلقشندی ، صبح الأعشی ، ج ه ، ص ۲٦٤ ، عنان ، المرجع نفسه ، ع ١ ، ق ١ ، ص ٢١٧ ،

⁽١٠٩) عن الحركات الانفصالية في الفترة الأخيرة من عصر الامارة الاموية ، انظر ، ابن حيان المنتسى ، ج ٣ ، ص ٣٢ ـ ١٢٩ ٠

العــذرى ، نصوص عن الأندلس ، ص ١١ ، ١٢ ، ٣٠ ــ ٣٦ ، ٦٢ - ٢٦ ٠

ابن عــذارى ، البيان المغرب ، چ ٢ ، ص ١٤٤ ـ ١٧١ ، ١٧١ ـ البيان المغرب ، چ ٢ ص ١٧١ ـ البيان المغرب ، و ١٧٨ ـ ١٧١ . البيان المغرب ، و ١٧٨ ـ ١٧١ ـ البيان المغرب ، و ١٧٨ ـ البيان المغرب ، و ١٨٨ ـ البيان المغرب ، و ١٧٨ ـ البيان المغرب ، و ١٧٨ ـ البيان المغرب ، و ١٧٨ ـ البيان المغرب ، و ١٨٨ ـ البيان المغ

وكان هذا التنوع عاملا من عوامل الضعف الى حدد ما ، واقدول الى حدد ما ، بسبب وجود التجانس الجنسى والوحدة الدينية بين نصارى الشمال ، فلم تكن هناك مشكلة اقليات ولم يكسن هناك صراع بين دين وآخر كما حدث في الجنوب وجعل من الطبيعة الجغرافية سلاحا من أسلحة الثوار والمتمردبن ، وقد قلل من خطورة عامل التنوع الجغرافي هذا ، البعد المكانى لأقاليم الشمال عن قرطبة عاصمة الدول الاسلامية ، فقرطبة كما نعرف بعيدة جدا عن اشتريس وجليقية في الغرب وعن البشكنس في الشرحال ، ولذلك لم تخضع هذه المناطق لهم أبدا ، ولم يدم سلطانهم على بعضها الا لفترات قليلة جددا ، لأنها « بلاد ولم يدم سلطانهم على بعضها الا لفترات قليلة جددا ، لأنها « بلاد في طيب سكناها لغير اهلها » (١٠) ، ولم يستغلوا هذا التنوع الجغرافي في ضرب هذه الأقاليم والمالك بعضها بالبعض الآخر .

انعكست هذه البيئة الطبيعية القاسية على اخسلاق المسكان وعاداتهم وعلى وضعهم الاجتماعي وحياتهم الاقتصادية . وكما يصفهم المؤرخون كانوا قساة جفاة ، غلبت عليهم الخشونة والقسوة والتعصب حتى انهم لو تغلبوا على مدينة كانوا يضعون السيف في رقاب جميع سكانها ، ولا يمكن أن تتوقع من هؤلاء القوم الذين يصفهم دوزي بالبرابرة ويصفهم أبو الفدا بأنهم « قوم كالبهائم » ، والحميري بأنهم « أهل غسدر ودناءة اخلاق » ، لا يمكن أن نتوقع منهم ناك التسامح الديني الذي انبعه المسلمون تجاه المسيحيين (١١١) .

وقد جعلتهم خشونة الحياة وقسوة الطبيعة شجعانا لا يهابون الموت ، « فهم اسد فى حصونهم عقبان على خيولهم ، فيهم بأس وشدة ، لا يرون الفرار عند اللقاء ، بل برون الموت دونه ، ان راوا فرصة أنتهزوها وان راوا غلبة فأوعال تذهب فى الجبال ، لا يرون الهزيمة عارا » ،

⁽١١٠) ياقوت ، معجم الدادان ، ج ٣ ، ص ١٣١ ، مؤنس ، فجر الأندلس ، ص ٨ ٠

⁽۱۱۱) أبو النسدا ، تاريخه ، ج ۱ ، ص ۹۸ ، ابن حبوقل ، صورة الأرض ، ص ۱۱۱ Dozy, op. cit., pp. 414, 415.

ولذلك وصفهم بعض المؤرخين بأنهم كانوا كاللصوص وقطاع الطرق ، لا يفكرون الا في مغانم الحرب واسلابها وأن هدفهم من غرو المدن والقرى هو نهبها وليس استعادتها ، فالاستعادة لا تتم الا اذا توافر عندهم قرر من الشعور القومي يدفعهم الى ذلك ، وهذا الشعور لم يكن محسوسا لديهم بدرجة كافية وخاصة في فترة بداية حركه المقاومة النصرانية حيث كان النصارى يغيرون وينهبون ثم يعرون الى معاقلهم في الجبال(١١٢) .

وكان فقر بيئنهم أيضا من الدوافع الرئيسبة التى دفعت بهر المهامرة ضد جيوش المسلمين القرية القادرة ، وخاصة في الصدر الأول من عصر الامارة ، وهي فترة القروة . انظر الى أحد المؤرخين أو الجفرافيين العرب المشهورين حينما يقرل عن بمبلونة عاصمة نبرة انها م بين جبال شامخة ، وشعا بغامضة ، قليلة الخيرات ، أهلها فقراء ، جاعة لصوص ، واكثرهم متكلمون بالبشقية _ أي لغة الباسك _ لايفهمون ، وخيلهم أصلب الدواب حافرا لخشونة بلادهم »(١١٢)

وصف دقيق لطبيعة المكان واثره في السكان وحتى في الحيوان ، لكن فقد مواردها فقد الناس لم يكن نتيجة لفقر البيئة الطبيعية أو قلة مواردها فقط ، بل كان أيضا نتيجة لاستمرار خواص المجتمع القديم الذي كان موجودا أيام القوط: أقلبة غنية قوية تستأثر بنعم الحياة من ثزوة وجاه ، واكثرية مستعبدة ترزح تحت جور العرش واستغلال الأشراف والسادة ، وقاسى الناس من الضرائب الباهظة التي اتبع الملوك والأشراف ورجال الكنيسة أسدوا الطرق في جمعها ، ولكن كما أشرنا من قبل ، فان المحروب مع المسلمين حسنت أحوال هؤلاء الناس وحولتهم من مستعبدين

· (',

⁽۱۱۲) الحميري ، المصدر نفسه ، ص ٦٦ .

ابن عدداری ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٦ .

⁽۱۱۳) الحميري ، المصدر نفسه ، ص ٥٦ ٠

الى جنود أحرار ، يلجأ اليهم الأشراف والمسلوك للدفاع عن اراضيهم ومهاجمة المسلمين أن عن ألهم الأمر (١١٠) .

ومع نقسر هذا المجتمع فقسد كان يتمتع بالوحدة المجنسية الى حد بعيسد ، اقصد أن شمال أسبانيا النصرائي كان منجانس السكان ، لا تشغله مشكلة أقليات ، ولا تعدد أديان . وكان ملوك الشمال ومنسذ البداية يحرصون على ذلك اشسد الحرص ، فكانت هناك هجسرات متبادلة بين المسلمين والنصارى في مناطق المصدود ، النصارى يرحلون الى الشمال ، والمسلمون يعودون الى الجنوب . وكانت هجرة النصارى الى الشسمال هامة حتى أشار اليها كثير من المؤرخين الأوربيين ، بل ان أحدهم جعل أهم ما قام به المسلك الفونش الأول (١٢٦ — ١٤٠ ه / ٢٣٧ — ٢٥٧ م) والفونش الثاني (١٧٥ — ٢٢٧ ه / ٢١١ م) من ملوك جليقية والفونش الثاني (١٢٥ — ٢٢١ ه / ٢٨١ م) — من ملوك جليقية سو استعادتهم لكثير من المسيحيين المستعمرين من المناطق التي غسزاها المسلمون ، لأن هسؤلاء المسيحيين ساعدوا في ازدياد سكان الشسمال وتعمسيره (١٠٠٠) .

ولم تكن هجرة المسلمين الى الجنوب منذ عصر الولاة الا بسبب طبيعة الشمال القاسية التى لم يتعودوا عليها فى بلادهم الأصلية ، وبسبب الصراع المرير بين العرب والبربر الذى رأيناه فى عصر الولاة وأدى الى هجسرة الطرفين من الشمال الغربى لأسبانيا ، يضاف الى ذلك ما اشرنا اليه من قسوة النصارى وسيطرة حب الانتقام عليهم اذا ما استولوا على مدينة من المدن .

Dozy, Op. cit., p. 412.

Chapman, op. cit., p. 55.

Livermore, op. cit., p. 70.

۲۱۷) عنّان ، دولة الاسلام في الاندلس ، ع ١ ، ج ١ ، ص ٢١٧ Chapman, op. cit., p. 63

ورغم هذا التجانس السكائي الذي نعم به الشمال النصراني الا انه يشتم رائحة بقاء المشكلة القديمة ، وهي عدم الانصهار التام ببن القوط وبين السكان الأصليين من الايبربين الرومان ، وبذكر بعض المؤرخين أن الجلالقة غير القوط ويفصلون بينهما قائلين أن « العرب استولوا على الأندلس وملكوها من يد القوط والجلالقة ، وأن الباسك أيضا عنصر مميز يختلف في اصله عن الأسبان ، أو أنهم اى الباسك كانوا أيبيريين أفحاح ، وأما سائر الأسبان فهم أيبيربون أمشاج ، أي أنها أختلطوا بغيرهم من العناصر والأجناس الني طرات على أسبانيا قبل الفتح العربي لها بزمن طويل ، ورغم ذلك فقد صهرت المعارك المستصرة مع المسلمين عناصر السكان في الشمال الأسباني ، وجعلتهم ينسون ما بينهم من فروق جنسية أو اجتماعية ازاء مكافحة العدو المشنرك(١٠١) .

تم يستعن ملوك الجلالقة بعنصر جديد على شعبهم ، او لم يستخدموا غنصر غريبا في جيوشهم كما فعل أمراء بنى أمية وخلفاؤهم من بعدهم ، وكما رأينا استعان أمراء بنى أمبة بالصقالبة وبالموالى والنصارى من الأسبان ، وبالبربر ، وسما هؤلاء ووصلوا الى أعلى المناصب ، لكنهم لم بكونوا مخلصين للعرش الا عندما يكون قوبا ، أما في حالة الضعف فكان كل واحد من هؤلاء يعمل لمصلحته الخاصة ، ولو سنحت له فرصسة ينال من ورائها نقعا ، كان ينتهزها ولو أدى الأمر الى مقتل مليكه أو سيده .

خذ على سبيل المثال نصرا الخصى الصقلبى خادم الأمير عبد الرحمن الأوسط ، الذى اشترك مع طروب ، تلك الجارية الصقلبية وحظبة ذلك الأمير في مؤامرة للاطاحة به ، حتى تضمن عرش البلاد لابنها دون بقية اخسوته من الزوجات الأخربات ، والاستعانة بهذا الشتات من العناصر والأجناس كانت نقطة ضعف في جسم الأمة الاسلامية في الأندلس ، بينها

⁽۱۱٦) ادن خلدون ، تاریخه ، المجلد الثانی ، القسم الثالث ، ص ٤٨٤ ، ٥٨٥ ، ارسلان ، المجم نفسه ، ج ١ ، ص ٣٢٥ للرجم نفسه ، ج ١ ، ص ٣٢٥ للرجم نفسه ، ج ١ ، ص

كان تجانس السكان في الشمال وعدم استخدام ملوكهم لعناصر اجنبية في جيوشهم أو بلاطهم عنصر قوة يحسب لهم(١١٧) .

٣ ــ العسامل الديني وأثره:

هناك أيضا العامل الدينى وكيف استغله ملوك الجلالقة بالذات في اثارة الصراع ضد امراء بنى أمية ومن أتى من بعدهم وكما هو معروف كانت الكنيسة قد أعلنت مبدأ الفصل بين السلطة الزمنية والسلطة الدينية اثر غزوات البرابرة لأوربا حتى تحمى نفسها ونحنفظ بحريتها من هؤلاء ، ثم تسرب نفوذ الكنيسة الى السلطة الزمنية عندما انضم القسس والأساقفه الى السلك المدنى أو أشركوا المدنيين في مجامعهم الدينية ، مثل مجمع طليطلة الديني (١١٨) .

وبذلك صار للكنيسة دورها في حكومة ملوك الشمال النصراني ، ولذلك اغدق عليها هؤلاء الملوك حتى يضمنوها الى جانبهم في الصراع ضد بعضهم البعض أو ضد مسلمي الأندلس ، وكما اشرنا تقد أجبرهم هذا الاغداق على فرض كثير من الضرائب على أصحاب الضياع حتى أنهم ثاروا ضد ملوكهم لهذا السبب . وكانت الكنيسة نفسها تميل الى ذلك وتتحد مع الملوك وتؤيد سلطتهم المطلقة رغبة في مقاسمتهم السلطة الزمنية ، وان كان هذا ضد حرية الرعايا(١١٠) .

لم يكن هناك صراع اذن بين ملوك الجلالقة وبين رجال الكينسة ، فاذا اضيف الى ذلك قوة ميل الأسبان للتشدد فى الايمان والتعصب لكل ما برَّمتون به بعد أن تأصلت الكاثوليكية فى ربوع البلاد ، لأدركنا على الفور

⁽۱۱۷) آن تحمان ، ألمقتبس ، ج ٣ ، ص ٤١ ، ان سعد ، المغرب ، ج ١ ، ص ٢٩ ، ٥٣ ، ٤٥ ، الحميري ، المصدر نفسه ، ص ٣٦ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٣٩ .

⁽١١٨) كيزو ، السحفة الأذبية ، ص ١٨٦ ٠

[&]quot; (١١٩) كنزو ، التحفية الأدبية ، ص ٧٢ •

مدى قوة ذلك الحدث الدبنى الكبير الذى سوف يستغله ملوك اسبانيا استغلالا مفيدا جدا في شحن عزائم رجالهم واثارة شعبهم ضد مسلمى الأندلس(١٢٠) .

ذلك أن راهبا في قاصية جليقية الغرببة زعم أنه شاهد في أحدى البقاع نورا سماويا يكشف عن مثوى رفات القديس ياقب (يعقوب) الرسول وحمل هذا النبأ الى الملك الفونش الثاني (١٧٥ ــ ٢٢٧ ه / ٧٩٢ - ١٨٨م) الذي أمر على الفور ببناء كنيسة فوق هذا المكان .

وذاعت الأسطورة فى جميع الأنحاء ، وصدفها الناس دون تردد ، وبدأت جماعات الحجاج ليس فقط من أسبانيا ولكن من جميع أنحاء العالم النصرائى ، تفد لزيارة هذا المكان المقدس الذى أصبح له أهمية تلى أهمية أورشليم وروما (١٢١) .

وسرعان ما نهت مدينة في هــذا المكان وسميت بأسم سنتياجـودى كومبوستيلا Santiago de Compostela ، وأصبحت تلك المدينـة مؤثرا دينيا وسياسيا وصناعيا وتجاريا في الشمال الغربى المسيحى ، وكان ملوك أسبانيا من الذكاء بحيث استغلوا هذا الكثنف المثير لذلك القبر ، والهبوا حماس النصارى في معاركهم ضــد المسلمين مما أعطى لهــذه والهبوا حماس النصارى في معاركهم ضــد المسلمين مما أعطى لهـنده المعارك صــفة الحرب الصليبية منذ وقت مبكـر . يتمثل ذلك غيما ادعاه المالك ردمير ابن الملك ألفونش الثاني (٢٢٦ ـ ٢٣٢ ه / ١٨٨ ـ ١٨٥٠م) انه في احــدى المعارك رأى القديس ياقب في نومه ليـلة المعركة ووعـده بالنصـر (١٢٢) .

⁽١٣٠) مؤسس ، نمجر الأبدلس ، ص ٩ ،

⁽۱۲۱) عنان ، المرجع نصمه ، ع ١ ، ﴿ ١ ، ص ٢١٦ ،

Chapman, op. ct., p. 55

⁽۱۲۲) عنان ، المرجع نفسه ، ع ۱ ، ج ۲ ، ص ۳۱ ،

Chapman, op. cit., p. 55

واذا كان المسلمون يعلمون الجهاد باسم الاسلام ويجعلون للصراع مع المسيحيين طابعا دينيا فلماذا لا يفعل المسيحيون ذلك . وسوف نتحدث عن ذلك بالتفصيل عندما نتكلم عن طبيعة الحرب بين المسلمين والمسيحيين في بدايه الفصل الثالث من هذا الباب ، وما يهمنا الآن هو ان نقول أن ملوك أسبانيا استغلوا العسامل الديني أحسن استغلال لضرب المسلمين وللتخلص من خطر انقسام كانت قد بدت ظواهره في الأفق عندما حاول مطران طليلطلة Elipandus وصديقه Felix أسقف الاهوتيا قديما أن يعيدوا الى الأذهان في عام ١٦٤ ه / ٧٨٠ م مذهبا لاهوتيا قديما يقول بأن المسيح كان رجالا امتالا بالروح المقدسة وهكذا تبناه الله واختاره . وهو مما يناقض العقيدة الكاثوليكية التي تؤمن بعقيدة الثالوث المقسدس وأن المسيح هو الله(١٣٣) .

ورغم أن طليطلة كانت في هذا الوقت تحت حكم المسلمين ، الا أن مطرانها هذا كان له من الناثير بحيث كان المسيحيون سواء في الأندلس الاسلمية أم في أسبانيا النصرانية يعتبرونه المهيمان على شاؤن الكنيسة ، ولما تسربت أقواله وآراؤه تلك الى أشتريس ، تحطمت الوحدة الدينبة الأسبانية ، وكانت هناك حاجة الى من يلم شاك الكنيسة من جديد ، فكانت أسطورة هذا القبر المقدس الذي نادى به أحدد الرهبان وصدقه الملك الفونس الثاني لغرض في نفسس بيعتبوب (١٢٤) .

٤ — اما عن علاقة امارات الشمال الأسبانى ببعضها واثر ذلك فى صراعها ضد مسلمى الأندنس ، فقسد سبقت الاشسارة مرارا الى تلك العلاقة الذى كان تتربط ملوك الجلالقة بأمراء نبرة ، وخاصة بعد أن استقل هؤلاء وانشأوا مملكة نبرة المستقلة فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى / التاسع المسلادى ، وأشرنا الى ثورات أمراء نبرة المثالث الهجرى / التاسع المسلادى ، وأشرنا الى ثورات أمراء نبرة المثلث الهجرى / التاسع المسلادى ، وأشرنا الى ثورات أمراء نبرة المثلث المهجرى / التاسع المسلادى ، وأشرنا الى ثورات أمراء نبرة المثلث المهجرى / التاسع المسلادى ، وأشرنا الى ثورات أمراء نبرة المثلث المهجرى / التاسع المسلم المثلث المهجرى / التاسع المسلم المثلث المهبرى / التاسع المسلم المثلث المهبرى / التاسع المسلم المثلث المهبرى / التاسع المسلم المثلث المثلث المهبرى / التاسع المسلم المشلم المثلث المشلم المثلث ا

Livermore, op. cit., pp. 79, 80. (157)

Livermore, op. cit., pp. 79, 80. (178)

ضد ملوك الجلالقة ، ثم أطماع هؤلاء فى أراضى نبرة مسا أجبر أهلها الى الاستعانة ببنى قسى المولدين المسلمين .

وقد استعان المسلمون ومسيحيو الشمال الأسباني بملوك الفرنجة على حد سواء ، أما المسلمون فبسبب الصراع على السلطة في قرطبة ، وأما النصاري فبسبب طلب المساعدة في صراعهم ضد مسلمي الأندلس ، وكان ملوك الفرنجة يرغبون أيضا في فرض سيطرتهم على الأراضي الأسبانية المتاخمة لحدودهم حتى يأمسوا على انفسهم داخل بلادهم ، بعد أن أذاقهم العرب الويل أيام عصر الولاة وتوغلوا داخل غالة (فرنسا) حتى نهدر اللوار على مساغة قريبة من باريس ، ولذلك كان ملوك الفرنجة يرحبون دائما بأي طلب للمساعدة ، يقدم لهم سدواء من الجانب الاسلامي أم المسيحي (١٠٠٠) ،

وقد حالف المسلك الفونش الثانى (١٧٥ – ٢٢٧ ه / ٧٩١) الامبراطور شرلمسان وابنه لوبس التقى ، كما حالف البشكنس أيضا ، وذلك لتعزبز هجومه ضد الحكم (١٨٠ – ٢٠٦ه / ٢٩٦ – ٢٠١٨م) وابنه من بعده الأمير عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦ – ٢٣٨ ه / ٢٨١ – ٢٥٨م) وكان من نتيجة التواجد الفرنسى أن سقطت برشلونة في يد الفرنجة عالم ١٨٥ ه / ١٠٨ م ، وقامت امارة قطلونية أو المسارك الأسباني التي كان يحكمها امراء من قبل ملوك الفرنجة مباشرة . كما استطاع هؤلاء المسلوك بث نفوذهم في تلك الامسارة الصسيفيرة التي قامت على سسفوح جبال البرنسات مئسل امسارة سسوبراب Sobrarbe وسردونيسا جبال البرنسات مئسل امسارة سسوبراب Sobrarbe وسردونيسا

(١٢٥) عن الصراع بين مسلمى الأندلس على السلطة واستعارتهم بالفرنجة ، انظر ، الرازى برواية ابن عدارى ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٨٤ ، ٥٥ ، ٩٢ ... ٩٤ ، ٣٠٠ ، ابن الأثبر ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٢٠ ، ٢٢ .

ابن خلدون ، العير ، ج ٤ ، ص ١٣٤ ،

Dozy, op. cit., pp. 204-206.

للعيني ، عقد الجمان ، ج ٢ ورقسة ٢٩٨ ، ٢٣٥ ،

Serdonia التى يسمى العرب اهلها باسم السرطانيين ومثل المارة ارغونة وغيرها(١٢٦) .

وكان هذا الوجود المرنسي مفيدا لنصاري الشمال الأسباني ، فقد أصبحت امارة قطالوندة بموقعها خلف الثفر الأعلى الأندلسي من جهة الشرق مثل الشوكة في ظهره ، كما أصبح الوجود الفرنسي في الشمال ملاذا يحتمى به نصاري هذه المنطقة اذا ما حلت بهم الهزيمة او طاردتهم قوات المسلمين ، لكن هذا لا بمنع من القول بأن كل وحده في شمالي أسبانيا كانت تعمل لحسابها الخاص ، ولذلك لا نندهش اذا رأينا المسيحيين يحاربون المسلمين وايضا يحاربون المسيحيين الآخرين (۱۲۷) .

خذ مثالا على ذلك ، نبرة النصرانية وتحالفها مع بنى قسى المسلمين ضد ملوك الجلالقة النصارى ، وخذ حملة شرلان على الثغر الأعلى الأندلسي عام ١٦١ ه / ٧٧٨ م . وسلواء اتت تلك الحملة باستدعاء من المسلمين أم من المسيحيين ، الا أن المسلمين تخلوا عن مساعدتها ، بل وقاتلوها ولم يسمحوا لها بدخول سرقسطة . كما أن المسيحيين من شعب الباسك أغاروا على مؤخسرة جيش شرلان أثناء انسحابه عبر مصرات جبال البرنات الغربية قرب نبرة والبشكنس ، وكبدوه خسائر غادمة ، وقتلوا رولان الذي نشأت بسببه أنشودة رولان المشهورة (١٢٨) .

· وكان هذا عاملا من عوامل الضعف افساد منه المسلمون وخاصة فى المصور التالية ، ولو لم يقم ملوك اقوياء فى جليقيسة من أمثال الفونش

Chopman, op. ct., pp. 55,65.

Chapman, op. pp. 56.

(177)

⁽۱۲٦) ابن عدداری ، المصدر نفسه ، ج ۲ ص ۹۲ ـ ۹۶ ، ۱۰۳ ۰

⁽۱۲۸) أرسلان ، المرجع نفسه ، ج ۱ ، ص ۳۲۲ ع (۱۲۸)

لين بول ، قصة العرب في أسسانيا ص ٣٠ ، ٣١ •

الأول والثانى والثالث المعاصرين لمعظم امراء بنى أمية ، واستطاعوا أن يلموا شمل النصارى بالقوة ويدفعوا العرب عن بلادهم ، لما قامت لهم قائمة ، ولو لم ينضو نصارى الشمال تحت لواء هؤلاء الملوك الذين لم ينازعهم أحد بصفة جدية حيث كانت مملكة نبرة في طور النشأة ، لكان الخطر على النصرانية نفسها عظيما(١٢٩) .

هذه لمحة سريعة عن احوال نصارى الشمال الأسبانى وما كان فيها من عوامل قوة ، كفلت لهم الدفاع عما نبقى لهم من بلادهم ثم الهجوم على المسلمين واستعادة بعض أراضيهم حتى وصلت هجماتهم في عهد الفونس الثالث خلف نهر التاجة ، وأصبحت المنطقة الواقعة بين نهر دويرة والمنجو جرءا من معتلكاتهم ، وهناك أيضا عوامل ضعف استفلها المسلمون واستطاعوا أن يوقفوا هذا الزحف النصراني ويردوه على أعقابه ، ويستعيدوا جرزءا مما فقدوه في عصر الولاة ، ويتبادلوا الهزائم والانتصارات مع نصارى الشهال .

لكن نصارى الشمال استطاعوا في الفترة الأخيرة من عصر الامارة الأموية أن يفرضوا أنفسهم ، وأن تصل هجماتهم حتى مدينة ماردة على وادى يانة في الجنوب الفربي من الأندلس ، وأن يثيروا الاضطرابات في طليطلة وماردة وقرطبة ذاتها ، حتى بات أمر الاسلام في كمة الميزان ، ولم ينقذ تلك البلاد الا زعيم مقتدر هو عبد الرحمن الناصر (. . ٣٠٠ ـ ٣٥٠ ه / ١١٢ ـ ٩٦٠ م) .

والآن بعد أن القينا نظرة عامة على أحوال بلاد الأندلس في عصر المارة بنى أمية ، وعلى أحسوال بلاد الشسمال الأسباني وعرفنا عوامل النصر والهزيمة عند كل من الطرفين المتصارعين على أرض شبه الجزيرة اصبح الآن حديثنا عن الصراع نفسه واجبا . لكن ما هي طبيعة هذا الصراع ؟ وهل كان صراعا عسكريا مستمرا ، أم تخللته فترات من السلام والهدوء تبادلا نبها السفارات والبعثات ؟

هذا هو ما سوف نتحدث عنه في الفصل الثالث من هذا الباب.

⁽١٢٩) محمد كرد على ، المرجع نفسه ، ص ١٦٢ ، ١٦٢ -

الفصيلالثاني

مظاهر العلاقات السياسية بين الأندلس الإسلامية وأسبانيا النصرانية في عصر خلفاء بني امسية

منذ أن وطئت أقدام عبد الرحمن الداخل أرض الأندلس وحتى قيام خلافة عبد الرحمن الناصر (١٣٨ - ٣١٦ ه / ٧٥٥ - ٩٢٨ م) قام صراع طويل بين مسلمى الأندلس ونصارى الشمال الأسباني لم يتوقف الا لفترات قليلة ، وما كان له أن يتوقف أذا عرفنا دواعي هدذا الصراع وأهدافه ، ولو وضعنا يدنا على أسباب هذا الصراع ودواعيه لعرفنا بكل بساطة طبيعته أو مدلوله ومفهومه السليم .

أ ـ طبيعة الصراع بين أمراء بنى أمية وبين نصارى الشامال الأسباني وأسبابه:

بادىء ذى بدء ، نقول أن مسلمى الأندلس لم يكن هدفهم من هذا الصراع الذى قاموا به ضد نصارى الشمال الأسبانى أبادة هؤلاء النصارى أو تحطيم دولهم وازالتها من الوجود ، وذلك لسبب بسيط هو أن معظم الحسلات التى قاموا بها لم تكن الا رد فعل لاعتداءات النصارى على الثغور الاسلامية أو مناطق الحدود المجاورة لهم ، صحيح أن حملات المسملين اتخذت شكلا تقليديا وزمنيا ثابتا ، وهو أرسال صائفة كل سنة تقريبا ، وربها كانت هناك شاتية ، لكن لم يكن ذلك الا دفعا لخطر النصارى أو أرهابا لهم ، وتأمينا الحدود الاسلامية التى لم تكن حدودا ثابقة على الدوام ، وهذا النوع من الحرب يسمى الآن في المصلح الحديث بالحرب الوقائية .

فالمسلمون اذن كانوا يريدون التعابش مع جيرانهم ولم يهدنوا الى القضاء عليهم ، وهناك من العوامل التى اشرنا اليها في تحليلنا لأحوال الدولة في عصر الامارة ما يؤكد هذا الاتجاه ، اذ كان الأمويون مشغولين في تثبيت أمرهم والقضاء على الفتن وحركات التمرد الداخلية التى لم يخل منها عصر أى أمير من أمراء بنى أمية ، زد على ذلك هذا الانقسام أو الانشقاق الخطير في كيان المجتمع نفسه وانقسامه الى بربر وعرب ومولدين ونصارى أواخس عصر الامارة ، وقيام كل غئة من هذه الفئات أو كل قوم من هؤلاء الأقوام بتثبيت سلطانه واعالن استقلاله ، ومحاربته للسلطة المركزية في قرطبة بهدف القضاء عليها .

واذا كان أمر هذا التعايش مع نصارى الشمال صحيحا ، فما هو هـدف « الجهاد » الدى كان يعلنه أمراء بنى أمية ويصبغونه بالصبغة الدينية ؟ المعروف أن الجهاد في سبيل الله يستهدف أمرين ،

أولاهما نشر الاسلام فى أرض لم يدخلها الاسلام ، وثانيهما هو الدفاع عن أرض دخلها الاسلام . وفيما يبدو كان الهدف النانى هو الذى كان يشغل بال أمراء بنى أمية وخلفائهم ، أما نشر الاسلام ، فانهم داخل الأندلس نفيها ، لم يجبروا أحدا على اعتفاقه ، ولم تكن هناك فرصة لقيام هجمات اسلامية ضد نصارى الشمال بهدف نشر الاسلام فيما بينهم ، خاصة بعد أن تحطمت محاولاتهم وراء جبال البرنات ولم يجنوا من وراء ذلك الا اعطاء الفرنجة الفرصة ليتدخلوا لمصلحة النصارى في الصراع الدائر بينهم وبين المسلمين .

كانت حركة الفتوحات بقصد نشر الاسلام قد توقفت في عصر الامارة وقنع المسلمون بما وضعوا عليه أيديهم من بلاد ، وأخذوا في تنظيم شئونهم وترتيب أوضاعهم حتى ينعمسوا بشرات الفتح ويستريحوا من هذا العناء الطويل والجهد العظيم الذي بذلوه منذ الفتح ، ولم يكن الاستمرار في حركة الفتح ممكنا لدولة مثل الأندلس بالذات ، وهي دولة منقطعة عن غيرها من دول العسالم الاسلامي الذي كان يعاديها ويقف لها بالمرصاد ، اذ كان العباسيون والأغالبة والأدارسة والفاطميون يقفون موقف العداء من بني أمية في الأندلس ، وهذا أمر معسروف وليس بخاف على أحدد () .

على هذا الأساس يمكسن أن نقسول ونحن مطمئنسون تمسلما أن هدف مسلمى الأندلس من حملاتهم المتتابعة في عصر الامارة وحتى الخلافة، هو توفير الحماية والأمن المواطنين الذبن يعيشسون في منساطق النفسور الاسلامية . كان هذا هو الهسدف الرئيسي من حمسلات المسلمين ، وما عسدا ذلك فهي أهسداف تانونة تدعم الهسدف الأساسي ولا ترقى الى مستواه .

وهناك متلا من يتول أن من الأهداف ، زرع هيبة المسلمين في نفوس أعدائهم واذلال هؤلاء الأعداء واجبارهم على الاستسلام حتى يقدموا

⁽۱) ابن خلدرن ، مقدمته ، ج ۲ ، ص ۷۰۱ ۰

فروض الطاعة والولاء والجزية ، وهدم حصونهم المتامة على الحدود الاسلامية ، أو الاستيلاء عليها واسكانها بالمسلمين ، وتخريب أراضى العدو والتوغل فيها ، واجباره على تنفيذ شروط الصلح المعقودة اذا حاول الاخلل بها ، وتلبية نداء ملوك النصارى الموالين لقرطبة في حالة خلعهم من عروشهم (٢) .

كل هذا صحيح ، لكنه يدخل ضمن الهددف الأساسى ، وهو توفير الأمن والأمان لمسلمى الأندلس ، ولتحقيد ذلك قام امراء بنو اميدة بحملات ضد نصارى الشمال ، لا بقصد ابادتهم ، فلم يعد ذلك ممكنا بعد أن قامت دولة جليقية ودولة نبرة ، ومن ورائهما الفرنجة يمدونهما وقت الحاجة ، كما كانوا يمدون أيضا امارة قطالونيا ، تلك الشوكة التى زارعها الفرنجة في ظهر الثفر الأعلى الأندلسي ، فكان هدف الحملات الاسلامية هو التأديب أو الارهاب واجبار هؤلاء الناس على التعايش فهم جميعا يعيشون على أرض اسبانيا .

وكان نصارى الشمال يستجيبون أحيانا ، وتتعدد مظاهر هدذا التعايش من مصاهرات تتم بين ملوك الأسبان وبين ملوك الأندلس وأمرائه وجنوده وغيرهم ، ومن تبادل للبعثات والمتاجر ، وارسال الطلاب المسيحيين لتلقي العلم في قرطبة الى غير ذلك مما سوف نتعرض له في الباب الرابع ، وعلى هذا الأساس لم يكن هناك تعصب ديني من مسلمي الأندلس ، ولم يكن هذا الطابع ملحوظا حينما كان التفوق في جانب اسبانيا المسلمة أيام الدولة الأموية ، وكان قاصرا على جماعات الفقهاء من ناحية وعلى التساوسة والأحبار من ناحبة أخرى (") .

كان هناك فقط حث على الجهاد وتقاويه للروح المعنوية عند المسلمين ، واتخاذ ذلك مظاهر شتى ، لكنها جميعا لم نكن تعصابا

⁽٢) هسام أبو رمبله ، نطم الحكم في الأندلس ، ص ٣٦١ ، ٣٦١ .

⁽٣) عدان ، عادة الاندلس ، العصر الرابع ، ص ٥٥ ٠

بقصد القضاء على النصرانبة كدين ، كلا ، فان ديننا يعترف بجميع الأديان والرسل والأنبياء بل ويوصبنا بأهل الكتاب . وكان من مظاهر الحث على الجهاد ، الخطب الدينية وصيحات خاصة يقولها المجاهدون أثناء القتال ، والتحدث عن قربات السيوف الاسلمية لالقاء الرعب في قلوب الأعداء(1) .

وكان هناك من القضاة والفقهاء من يشتركون في الجهاد والغزو لل ويعقد لهم اللواء على جند احدى الكور ، كما حدث مع القاضى الفرج بن كنانة والقائد عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث ، حيث عقد لهذا القائد على جند شذنة لقتال جليقية . وكان هناك أيضا من يأتني الى الأندلس من بلاد المشرق الاسلامي والشمال الأفريقي من العلماء ممن يتطوعون الجهاد ، باعتبار أن الأندلس كانت ثفرا السلاميا() .

ومن الأمور الجديرة بالذكر ان بعضا من علماء الأندلس استباهوا لأنفسهم وضع « أحاديث » ونسبوها للرسول ، فيها حض الناس على الجهاد والغزو والرباط ، وقد أشار الى ذلك الضبى وأورد محمد الشطيبى المغربى حوالى حبسة عشر حديثا في هذا المعنى منها ان « الاسلام سوف يبقى في الاندلس حتى تقوم الساعة » ، وأن « رباط يوم وليلة في الأندلس خير من اثنتى عشرة حجة بعد الفريضة » ، « وفي آخر الزمان يغشاهم عدوهم فيقتلهم على فراشهم وتسبى زراريهم وتخصرب

⁽٤) أحمد مضار العبادى ، صور لحساة الحرب والجهاد في المغرب والأنطس ، ص ٩٠ - ٩٠ ٠

⁽٥) النباهي ، ساريخ عصساه الأبطس ، ص ٥٤ ٠

الصدى ، بغيبة التلمس ، ص ١٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ .

ابن الزبير ، صلته الصله ، ص ١٧٠ ، ابن خليدون ، مقيدمته ، ج ٢ ، ص ٧٠١ ٠

مساجدهم » ، الى آخر هذه الاحساديث التى قيلت لتشجيع أهل الاندلس على الصمود والنبسات أمام غزوات النصسارى (٦) .

وكان هناك مجال تفوق فيه العرب وهو الشعر ، فكان الشعراء يصحبون الجنود ويصفون المعارك وبيثون الحمبة في قلوبهم ، ويعودون يرددنها في الطرقات والميادبن والشاورع مما يني اعجاب الناس أما أذا دعا داعى القتال وهرع الناس للالتحاق بالجند ، امتنع هؤلاء الذين يمشون في الاسواق ينشدون الازجال والاشعار عن الانشاد ، الا أذا كانت تثير في الناس الحمية ، وتزرع فيهم حب القتال . (٧) .

وبلغ من تشجيع الدولة والعلماء للجهاد أن الامام مالك ومذهبه كما هو معروف هو السائد في المغرب والاندلس ، أفتى بأن يكون المجهاد والفزو كفارة لحد القتل اذا امتنع أهل القتل عن القصاص أو أخلا الدية من القائل ، فما عليه الا أن يتوجه للجهاد فبغزو فبقتل ، كما أن الدولة قامت من جانبها وفرضت ضريبة يسمى « الطبل العام » وأخرى تسمى « ضرببة الحشد » لاعانة ببت المال على الصرف على تلك الغزوات المتلاحقة فسد نصارى النمال ، كما كانت تخصص العشور لنفقات الجند ، وكانت تخرن في خزائن واسعة لوقت الحاجة (^) .

هذه مجرد امثلة لحب الناس للجهاد الذي كان هدفه هو الدفاع عن الموانهم من مسلمي الثغور ، وكانت الدولة بصفة عامة تريد التعايش مع نصارى الشمال ، فهَل قبل هؤلاء بهذا التعايش الذي طلبه المسلمون ؟

⁽٦) الضدى ، بغية المنامس ، ص ١٤ ٠

محمد الشطيبي المغربي ، الجمان في أخبار الزمان ، ورقة ٢٠٥ ، ٢٠٦ ٠

⁽V) ابن عبدوں ، ثلات رسائل اندلسية في الحسبة ، ص ١١٣٠

بالنديا ، تاربخ الفكر الأندلس ، ص ٣٧ ٠

 ⁽A) العسفرى ، نصوص عن الأبدلس ، ص ١٢٥ ، النباهى ، المصدر نفسه ، ص ٦٣٠ .
 ابن دحية ، المطرب من أشعار أهل المغرب ، ص ١٣٦٠ .

المقلى ، نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ٢١١ ، ٢١٤ ٠

الحواب ، لا. لم يقبل نصارى الشمال بالنماش جنبا الى جنب مع مسلمى الأندلس . كنف ذلك وهم معتبرونه شعبا اجنبيا يعنق دبنا بخالف عقبدة الكاثوليكية التى يؤمنون بها ولتعصبون لها . فماذا كان هدفهم اذن ؟

منذ أن قامت دول الشمال النصرانى فى اسبانيا ، وجدد معها منذ قيامها الحافز على قنال المسلمين ، فقد قامت أولا للدفاع عما تبقى لها من أرض شبه الجزير ، ونطور الدفاع الى الهجرم المنئد فى النصف الاخير من عمر الامارة ، وصار هجوما طاغيا بعد سقوط الخلافة الاموية فى قرطبة ، وكان هدف الهجوم هو الارض ، هو استعادة أرض شبه الجزيرة التى سيطر عليها المسلمون منذ أيام طارق بنزياد وموسى بن نصير

واتبع نصارى النسمال أساليب مختلفة لنحقيق هذا الفرض . اتبعوا أسلوب الحرب السافرة وجها لوجه وتحريض المولدين ، واثارة الفتنة بين النصارى والمسلمين ، واستعداء الفرنجة على المسلمين ، وحرب العصابات وحرب الاستنزاف والانهاك . وكانت معظم حروب النصارى من هذا النوع الأخير ، يضربون ضربة هنا ، واخرى هناك ، فيتسوم الامير الاموى وينفق آلاف الدنانير ويجند آلاف الجند ، ويتسود فيتسه بنفسه أو بواسطة أحد أولاده أو أخوته أو أحد قواده ويسير آلاف الأميال ، حتى اذا وصل الى منطقة الثفور يجد النصارى قد هاجموا أحدد الحصون ودمروه ونهبوا ما فيه وماحوله من قرى ، ثم لاذوا بالفرار

ولائسك أن هذا كان بكلف خزانة الامارة الاموية كثيرا من الاموال وبجهد مواردها أشد الجهد ، لكنها كانت مضطرة ازاء هذا السيل من الهجهات التي كان يقدوم بها نصارى الشهال على ما يجاورهم من شغور المسلمين ، وكان حاكم قرطبة مسئولا عن توفير الحهابة الهؤلاء ، ولو وانى لقام عليه الفقهاء والهامة واتهموه بالنفريط في حفظ ديار الاسلام وهو اتهام دينى خطبر لاينحله أي حاكم في ذلك الوقت ، وتحكى

لنسا المصادر أن أحد حكام قرطبة من بنى أمبة قام باحدى غزوامه انقاذا لامرأة مسلمة أسرها النصارى واستفاثت به وانهمنه بالتوانى عن انقاذها من أيديهم (1).

وكان هذا ما يهدف اليه نصارى الشمال ، وهو اجهاد مسلمى الأندلس وخلق المساكل أمامهم سواء داخل الاندلس نفسها أم على حدودها حتى يحين الوقت المناسب لتوجيه ضربات عانية تقتلعهم من الارض . . أرض الأسبان . حدث هذا عدة مرات في عصر الامارة ، وخاصة في عهد الفونش الباني والثالث حينها كانت حكومة قرطبة مشعولة بالقضاء على المتمردين عليها من العرب والمولدين ونصارى اهل الذمة .

كان هذا هو هدف الاسبان من حربهم ضد مسلمى الاندلس ، وهذا هو أسلوبهم . فماذا يقول المؤرخون عن هذه الحرب ؟ هناك من يقول بأن حروب الاسبان هذه كانت حربا دينية تستهدف نصرة الكنبسة وهزيمة الاسلام ، ومن يقول بأنها كانت حربا قومية تستهدف استرداد الوطن السليب ، ومن يقول بأنها جمعت بين الدين والقومية ، ومن يقول بأنها كانت حربا لاتستهدف الا الحصول على أرض الكنيسة والتساح وليس هدفها الاسترداد أو تحرير البلاد .

اما القصول بأنها كانت حربا دينية أو مقدسة أو صليبية غامر يحتاج الى وقفة. ذلك لأن المسلمين لم يعندوا على مقدسات النصارى فى الأندلس حتى يدعو هؤلاء الى حرب صليبية كما دعا اليها نصارى الغرب غيما بعد بهدف انقاد ببت المقدس أو قدس الاقداس من يد هؤلاء المسلمين المتعصبين الدين اعتدوا برعمهم على حرية الاماكن المقدسة فى أورشليم ومنعوا زيارتها وقتلوا حمانها ... فشانت ياقب (القديس يعقوب) ، وهو المزار المقدس عند الاسبان كان فى يدهم وتحت سيطرنهم ، وحتى عندما استطاع المسلمون فى عهدد المنصور بن أبى عامر

⁽٩) المقرى ، نغم الطيب ، جدا ، ص ١٦٠ ، ١٦١ •

الوصول اليه عام ٣٨٧ ه / ٩٩٧ م ، لم يمسوا هذا المزار بأذى ، نعم ، دمروا المدينة وهدموا الكنيسة ، لكنهم حافظوا على قبر هذا القديس المزعوم بل وعينوا هناك من يحرسه (") .

وحتى قصة القديس يعقوب نفسها لم تظهر منذ أن بدأت حسرب الاسترداد في بداية عصر الامارة الاموية . ولم تأت هذه القصة الى الوجود الا في عهد ملك جليقية (ليون) الفونش الثانى (١٧٥ – ٢٢٧ ه / ١٧٥ الله و ١٧٥ م) ، وبالتحديد في عام ١٩٧ ه / ١٨٨ م ، أى في أواخر القرن الثانى الهجرى ، وبعد أن كان قد مر على قيام الحكم الاسلامى القرن الثانى الهجرى ، وبعد أن كان قد مر على قيام الحكم الاسلامى في الاندلس ما يزيد على قرن من الزمان ، هي قصة اخترعها الرهبان مع الفونس الثانى لكى يثيروا النصارى ويدفعوهم للاستماتة في القتال ضد المسلمين (١٠) واخترعوها ليعالجوا هذا الصدع الذي هدد المذهب الكاثوليكي بسبب ما ذهب اليه أسقف طليطلة من مذهب يخالفه ويناقضه أشيد المناقضة ، واخترعوها أيضا لكى تستطيع العقيدة الكاثوليكية بفضل الطقوس الجديدة للقسديس يعقوب الوقوف أمام عقيدة الاسلام الفراحة ، سواء في فكرة الالوهية أم في سائر ما احتوت عليه من مفاهيم الملات الذي بلجأون اليه للخروج من هذا المازق الذي وضعتهم فيه المربعة الاسلام الغراء (١٠) ،

هذا ولم يقدم الينا التاريخ احداثا مؤكدة نشأت بسبب هذه الطقوس الخاصه بقصة القديس يعقوب ، لكن الخطر ليس في القصة ذانها ، ولكن في تصديق الناس لها واعتقادهم فيها ، ذلك الاعتقاد الاذي أصبح اعتقادا حربيا لدرجة انه حرك الرجال لكي يقوموا بأعهال لايمكن تصديقها ، ويبدو أن القول بأن الاساطبر تحرك الانسان

Crow, op. cit, p. 85

^(1.)

⁽١١) انظر ، الغصل الثاني ، الباب الاول ، ص

Crow, op. cit, p. 83

⁽¹¹⁾

فى الناريخ بقوة أكثر من الاحداث ااواقعة هو قول صحيح الى حد كبر وخاصة فى مثل ذلك الزمن ومثل هذا الصراع الذى نتحدث عنه(١٣).

والأسطورة تقول بأن القديس يعقوب العظيم بن زبيدى (أو زبدى Zebedee احد الحواربين الاثنى عشر الى أسبانيا لينشر المسيحية ، وظل هناك لمدة ست سنوات ثم عاد الى أورشليم حيث صلبه الملك هيرود Herud واستطاع تلامدة المخلصون أن يخفوا جسده وأن بضعوه في سفينة وصلت به الى أسبانيا ، ونزلوا به هناك في الميناء الروماني القديم Ira Flavia على ساحل جليقية ، نم ذهبوا به الى موقع مدينة شنت ياقب (سنتياجو) الحالى حبث دغنوه هناك وكان القبر مكانا يحج البه الناس لهدة سنوات ، لكن عندما ازداد الاضطناد الروماني للمسيحيين الاسبان ، اهملت تلك البقعة ونسسيها الناس مدة سنة قرون ، (١٤)

ويستطرد صاحب الرواية قائلا انه في عام ١٩٨ ه / ١٩٨ م ادعى راهب كان يعيش في تلك المنطقة بأنه راى نجما بسطع فوق شجرة بلوط عدة ليال متتالية ، وبذهابه الى هناك مع أسقف المنطقة ، وجد متبرة بها رفات ثلانة أنسخاص ، أحدهم مقطوع الرأس ، فافترضا أن هذا هو قبر القديس يعقوب ، وأخبرا الملك الفونس الناني (١٧٥ ل ٢٢٧ه / ٩٧١ ل ٢٢٨م الذي ذهب الى هناك مع رجال بلاطه وأمر ببنساء كنيسة على الموقدع ، وعرف البابا ليو التاني الحادث وقدام باعلانه في رسالة له الى العالم أجمع ، وكأن ذلك الامر كان مجهولا من البابوية ولم تعرف من قبل أن أحد الحواريين العظام يرقد جدثه في أرض أسبانيا (١٥) ،

Crow, op. cit, p. 83

Crow, op. cit, p. 83

Crow, op. cit, p. 83

(12)

ويشكك صاحب هذه الرواية في معرفية أي من هذه الهياكل العظمية الثلاثة هو القيديس بعتوب ، لان عظامها كانت مختلطة وموضوعة معيا في صندوق واحد ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فقد أنكسر تلك القصة برمتها مؤرخوا الكنيسة الرومان وعلى رأسهم يوساببوس التيمري الذي عاش في العصو الاولى لانتشار المسيحية (٢٦٤ _ ٥٤م) والذي يعتبر حجة في تاريخ الكنيسة ، كما أنه من اقدم المؤرخين وأسبقهم في هذا الموضوع واليه برجع المؤرخون قديما وحديثا .

فقد استعرض ذلك المؤرخ تاريخ القديس بعد وبالمنسهد دفندوه السشهاده بأرض فلسطين في أورشليم نم قال « ولما استشهد دفندوه في الحال بجانب الهيكل ، ولابزال قبره بجوار الهيكل » (١٦) ويقول مؤرخ مسبحي آخر بأنه من المرجح أن يعقوب لم يفارق أورشليم بل بقي فيها حتى نال الشهادة على يد هيرودس أجربياس عام }} م ، ولذلك يشك في صحة ماتدعيه الكنيسة الاسبانية من أنه بشر عندهم بالمسيحية (١٦) . كان هذا في النصف الأول من القرن الرابع الميلادي ، في حين تقول الاسطورة بأنه نقل الى أسبانيا في بداية القرن الثالث الميلادي ، فهي تقول بأنه نقل الى هناك وظل ستة قرون منسيا ، نم أكتشف قبره عام ١٦٨ م أي أنه نقل في بداية القرن الشالث الميلادي (١٠) .

على أية حال فقد استفل ملوك الشمال الاسبانى تلك الاسطورة استفلالا سياسيا ، وأعلن ردمير (رامبرو) الأول ابن الفونش الثانى (٢٢٧ - ٢٣٥ ه / ٨٤٢ - ٨٥٠ م) أنه رأى أثناء الليل القديس يعقوب ووعده بالنصر في معركة ضد المسلمين ، وأنه كأن يمنطى جوادا أبيض ويحمل علما أبيض وصليبا أحمر ، وأعلن له القديس يعقوب أن

⁽١٦) يوسايبوس القيصري ، تاريخ الكييسة ، ص ٩٦ _ ٩٩ .

⁽۱۷) عسى أست ، الطرقة النمية ، ص ١٣٠٠

⁽١٨) يوسايدوس العبصرى ، ماربتع الكندسة ، ص ٩٦ _ ٩٩ .

الدفاع عن العقيدة الكاثوليكبة في أسبانيا مسئولينه النسخصية ، وأنه حضر ليقود الاسبان في ميدان المعركة ويذهب الخيال بالملك حتى يقول أن القديس بين له كيف ينظم قواته (١٩) .

اذاع ردمير الاول تلك الرؤيا على جنوده وكانوا منهزمين في اليسوم السابق ، فاندفعوا والقوا بأنفسهم على المسلمين مهللين بأعلى صوتهم "Eantiago Cierra Espana" أي أن القديس يعقوب هو حامى السبانيا ، وهاجموا المسلمين في قوة ، ففر هؤلاء تاركين المدان غاصا بجثث قتالاهم (٢٠) .

حدثت هذه المعركة كما تدعى الرواية النصرانية عام ٢٣٠ ه / ١٤٤ م وتسميها معركة Clavigo ، وفبها تم النصر للملك ردمير الاول بفضل القديس يعتوب ، لكن لم يشر الى تلك المعركة مصدر عربى واحد من مصادرنا القديمة ، فهى تحدثنا عن معارك بين عبد الرحمن الاوسط وبين موسى بن قسى فى تطبلة بأرض الثغر الاعلى (سرقسطة) عام ٢٢٨ م ، وتقول أن عامله على اشبونة ارسل له بظهور سفن المجوس (أى النورمان الشماليين) ثم بتحدث عن غزوة لعبد الرحمن الاوسط فى جليقية عام ٢٣١ ه ١٩٥٥ م ، وأنه حاصر مدينة ليون ، وأنه احرقها ، ولم يتمكن من هدم سورها بسبب عظم مدينة ليون ، وأنه احرقها ، ولم يتمكن من هدم سورها بسبب عظم سمكه ، فتركه وعداد(٢٠٠) .

اذن كانت الاندلس كلها _ شمالها وجنوبها _ مشفولة في هـذا الوقت عام ٢٣٠ ه / ١٤٤٨م بدفع خطر النورمان الذين كانوا يغيرون

Crow, op. cit, p. 84 (19)

Crow, op. cit, p. 84 (۲.)

⁽۲۱) اس عمداری ، البیان المغرب ، ح ۲ ، ص ۱۳۰ ، ۱۳۲ ، ابن خلدون ، العدر ، ج ٤ ، ص ۱۲۹ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٧ ، ص ٩ ٠

المقرى ، سمح الطيب ، ج ١ ، ص ١٦١ ، ١٦٢ ٠

على أراضى النصارى والمسلمب . وكان ردمير مسغولا بالقضاء على حركة الأشراف الذين ظلوا في ثور فسده منذ وفاة والده عام ٢٣٠ ه / ١٤٨ م حتى عام ٢٣٤ ه / ١٤٨ م من وعلى هذا الاساس فاننا نميل الى عدم تصديق المسادر النصرانية الني حدثت بتلك الواقعة عام ٢٣٠ ه / ١٤٨م وأظهرت ما قام به القديس يعقوب حتى تم النصر فيها المسيحيين .

ومنذ ذلك الوقت أعتبر المسيحيون أن القديس يعقوب هو نصير أسبانيا ، وأنه هو الحامى الخاص للجنود المسيحيين ، وأنه قاتل المسلمين Santiago Matamores وأعطى اعتقد المسيحيين في هذا القدديس العقيدة الكاثوليكية الاستبانية وحدة متينة في العصور الوسطى بعد أن كانت قد تعرضت للانشقاق (٢٣) .

فنصارى الشمال اخترعوا الاسطورة عام ١٩٨ ه / ١٨٨ م واخترعوا ذلك النصر المزعوم الذى تم بسبب تلك الاسطورة ، لنحقيق الاهداف التى تحدثنا عنها من قبل . وربما كان أفضل من ذلك فى تحقيق تلك الأهداف ادعاء نصارى الشمال بأن النصارى من أهل الدخمة المقيمين بالاندلس الاسلامية بعانون اضطهادا دينيا ، وأن كنائسهم بهدم ويمنعون من ضرب النواقيس ، ويعاملون معاملة سيئة ، وأنه صار من الواجب انقادهم ، ولاينم ذلك الا باستعادة الارض التى كانوا يعتبرونها أرضا مغتصبة ، قال نصارى الشمال بلك الادعاءات معلا وشجعتهم البابوبة وملوك الفرنجة على ذلك ، ومن هنا جاءت الصفة الدينية النى خلعها البعض على حروب الاسترداد(٢٤) .

Crow, op. cit, p. 84 (77)

⁽٢٢) محمد عبد الله عدان ، المرجع نفسه ، ص ٢٠ ، ١٦٠

⁽٢٤) أنطر ، الفصل الثاني من الداب الأول ، ص

وقد اسرف بعضهم في القول حتى قال بأن « جمع الحروب الني نشبت في أسبانيا لم تشتعل جذوتها الا باسم الدين ، وأن المسيحيين بدأوا حربهم المقدسة نقريبا منذ بداية الغزو الاسلامي وحتى سقوط غرناطة عام ١٨٩٨ه / ١٤٩٢ م ، وأنه لم بكن رائدهم في جهدهم الطهيل لاخراج المسلمين من شبه الجزيرة سوى عواطف دينية يشوبها تعصب عميق لم تألفه الجماعات الاسلامية(٥٠٠) .

وصبغة الحروب الصلبية التى خلعنا هؤلاء وغيرهم على حروب الاسترداد يجبها خلاف ما ذكرنا فى نقض اسطورة القديس بعقوب وما تبعها من اساطير - امر فى غابة الأهمبة ، وهو أن الحرب الصليبية لايعلنها الا البابا فهو الرئيس الأعلى للمسيحية ، فى حين أن اسبانيا النصرانية لم تعترف بسلطة البابوية واشرافها على الكنيسة الاسبانية الاعام ٢٦٤ هـ / ١٠٧٥ م ، فى حين أن أولئك المؤرخين أطلقوا صفة الحرب الصليبية على حروب الاسترداد منذ بدايتها فى النصف الاول من القسرن المثانى الهجرى / الثامن الميلادى (٢٦) .

وهذا بالطبع غير صحيح ، وربما ينطبق هذا الوصف على للك الحروب في عصورها الاخيرة بدءا من القرن الخامس الهجرى حينما صار الصراع بين مسلمي اسبانيا ونصاراها صراع حباة أو موت ، وخاصة بعد ان تدغق على شبه الجزيرة المرابطون والموحدون الذين أثاروا الحماس الديني في هذه المنطقة ، في الوقت الذي أثارت نيه البابوية في روما الحماس الديني المسيحي في أوربا ، وقامت بأولى حملانها الصليبية في المشرق في أواخر القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي(٢٧) .

⁽٢٥) عوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص ٦٠٥ ،

محمد على كرد ، عابر الأندلس وحاصرها ص ١٩٦

محود عبد الله عسال ، ناريح العرب في أسباسيا ص ٢٢

Chapman, op. cit, p. 53

 ⁽۲۲) محمد العروسي المطوى ، الحروب الصليبية في الشرق والغرب ، ص ۱۳۹ .
 (۲۷) محمد العروسي المطوى ، الحروب الصليبية في الشرق والغرب ، ص ۱۳۹ .

هذا مجمل القول في ان حروب الاسترداد كانت حربا صليبية ، اما كونها كانت حربا قومية ، فانها لم تكن كذلك على الاقل حتى بدابة حكم آل شانجه الكبير اكل أسبانيا النصرانية بدءا من عام ٢٦٦ ه . والدليل على ذلك أن نصارى الشمال لم يطلقوا اسم « أسبانيا » على شبه الجزير م كلها ولم يطلقوه على بلادهم التى تقع في شمالى «أسبانيا» فكسانوا لا بعرفون سوى أنهم يميشون على أرض نبرة أو أشتريس أو قشتالله أو لبون أو أرغنة . أما لفظ أسبانيا فكان يطلقونه على الجزء الجنوبى الذى يقع جنوب جبل الشارات . فهذا الجبل كان بقسم شبه الجزيرة الى منطقتين : قشنالة في الشمال وأسبانيا في الجنوب . أما لفظ الأندلس فكانوا يجهلونه جهالا تاما(٢٠) .

وقد سبق أن أشرنا إلى أن الناس كانو متعصبين لاقاليمهم فهذا قشنالى وذلك لبونى والآخر يفخر بأنه من الباسك وهكذا لدرجة أنهم أحبانا كانوا يدخلون في حروب ضد بعضهم البعض متحالفين مع المسلمين فلو كانت تجمعهم قومنة أسنانة لحا حدث هذا ، لانه لم بكن هناك فعلا الهام قومى أو شعور بوطن أسبانى يدفعهم لقتال المسلمين ، ولم يكن هناك الا حرب النبلاء ورجال الاكليروس من أجل استعادة أراضيهم وضياعهم وحرب الملك من أجل استعادة سلطته الملكية على شبه الجزيرة(٢٠) .

لم تكن فكرة القومية ذاتها قد ظهرت فى ذلك الوقت ، وكان يحرك الناس شعورهم باسترداد مافقدوه وشعورهم ببهجة الغزو والفتح وما يأتى بعده من مفانم وأسلاب ، ولقد تطرف البعض حتى قال بأن الاسبان لم بكن قصدهم بتلك الاغارات القصيرة العديدة الا مجرد السلب والنهب

⁽۲۸) الادریسی ، صفه المغرب ، ص ۱۷۳ ، ۱۷۶ ، باقسوت ، معدم البلسدان ، ج ۲ ، ص ۱۲۹ ، ۱۲۱ ، الملقشندی ، صبح الأعلمی ، ح ه ، ص ۲۱۳ .

اس خلسدون ، مصدهنه ، ج ۱ ، ص ۳۱۳ ، ۳۱۷ .

دائره المعارف الاسلامية ، المجلد الثالث ، ص ٣٧ .

Crow, op. cit, p. 79 Chapman, op. cit, p. 54 (79)
Hdle, Spain under the moslems, p. 23

والانتقام ، وليس فتح بلادهم أو استعادتها . وربما بدا هذا القاول صحيحا في العصور الاولى من حركة الاسترداد وخاصة في عصر الاسارة الأموية (٣٠) .

ونحن لاننكر وجود العسامل الدينى او القومى فى حروب الاسترداد ، لكن تلك العوامل لم نظهر منذ بدابة تلك الحروب وانما بدات نعلن عن بفسها بمرور الوقت ، وظهرت بشكل ببن فى القرن الخامس الهجسرى عندما مدت البابوية ومن ورائها اوربا يدها لنصارى الاسبان فى كفاحهم ضد مسلمى الاندلس .

هذا عن اهداف الصراع الذي اندلع بين نصارى الشمال الاسباني وبين مسلمي الاندلس في عصر أمراء بني أمية ، وعن طبيعته ودواعيه عند كلا الجانبين فماذا عن الصراع نفسه ؟

⁽٣٠) روبرتسون ، انحاف الملوك الألبا ، ص ١٣٨٠

ب _ الصراع بين أمراء بني أميسة وبين نصارى الشمال الأسباني:

كان الصراع بينهما في غالبه صراعا عسكريا ، بين الشمال النصراني وبين الجنوب المسلم ، ولنا ملاحظات نبديها تبل الحديث عن ادوار هذا الصراع الطويل .

أما الملاحظة الأولى ، فهى أن هذا الصدام العسكرى اختلف شدة وضعفا حسب الاحوال الداخلية لكل من الجانبين والتى سبق الحديث عنها في الفصلين الأول والثانى من هذا الباب . فعندما تكون هناك مشاكل داخلية في الشمال ، كان الجنوب ينتهز الفرصة ويشدد هجومه والعكس صحيح . وبذلك تبادل الفريستان النصر والهزيمة ، ولم ينل احدهما من الآخر بما يقضى علبه ويزبله من الوجود .

اللحظة الثانية: هى ان معظم الحمالات التى قام بها مسامو الاندلس فى عصر الامارة كانت تتجه أول ماتتجه الى المنطقة الوسطى من الشمال النصراني وهى التى تسمى ألبة والقلاع (قشتالة) وعندها يقرر القائد اما الاتجاه الى الشرق أى الى الثغر الاعلى (سرقسطة) للقضاء على المتمردين من بنى قسى وغيرهم من مولدى الأندلس الذبن أعلنوا العصيان والتمرد بعد عام ٢٢٧ ه وتحالفوا مع أمراء نبرة ، وأما الاتجاه شمالا الى أهل نبرة لعقابهم على ذلك ، أو الاتجاه غربا لمهاجمة مملكة جلنقبة وأشتريس .

اللاحظة الثالثة: هي أن أمراء بني أمسة أدراكا منهم لخطورة الوضع في مناطق التفور أو الحدود مع الشمال النصراني ، قاموا بتنظيم أرسال الحسالت التي كانت نسبي المصوائف والشواتي ، وحفلت عهود معظم أفراد بني أمية بارساز، هذه الغزوات الى نصارى الشمال أما دفاعا أو هجوما أو ردا على هجسوم قد تم أو مرتقبا حدوثه .

الملاحظة الرابعة: هي ان الامارة في عصر الضعف ، وخاصة بعد وفاة الأمير محمد عام ٢٧٣ ه / ٨٨٨ م وانقسام البلاد على النصو الذي اشرنا اليه في الفصل الأول من هذا الباب ، تركت مهمة مقاومة نصارى الشمال لأمراء الشؤور من بني قسى المولدين وبني تجيب العرب ، بل انها قامت بعقد انفاق سلام مع الفونس النالث عام ٢٧٠ ه / ٨٨٣ م ، وتفرغت لقتال ابن حفصون في الجنوب .

اللاحظة الفاهسة: هى أن الأوضاع الداخلية كانت تفرض على طرفى الصراع أحيانا عقد معاهدات الصلح واقرار السلام . حدث هذا في عبد الأبر عبد الرحمن الأوسط ، والأمير عبد الرحمن الأوسط ، والأمير عبد الله بن الأوسط . لكن لا تلبث دوافع الصراع أن تتحرك عند أحد الطرفين ، فينقض العهد فتنتسب الحرب من جديد ، وغالبا كان النصارى هم الناقضون للعهد .

أما الملاحظة الأخيرة: فهى أن محصلة هذا الصراع كانت لمصلحة نصارى الشمال الأسبانى . فقد أصبحت دولتهم تشمل كل ما يقع خلف نهمر دوبره ، ونصف المنطقة التى نقع بين نهمر ابره وجبال البرنات . ولو رسمنا خطا وهميا الحدود ببن الجانبين ، فانه سيكون على شكل نصف دائرة تبدأ من مصب نهمر دويرة في غرب الأندلس ويمشى خط الحدود مع النهر شرقا حنى شمال مدبنة سالم ، ثم يصعد شمالا ويمر جنوب مدينة قلهرة التى تقع جنوب منطقة البة والقلاع ، نم يصعد شمالا ويخترق نهر أبرة ويمسر جنوب مدينة جاقة ثم بأخذ في الهبوط التدريجي مرورا بشمال مدن وشدقة ولاردة حتى يستقر أخسيرا عند نقطه على ساحل البحر المتوسط في منتصف المسافة بين برشلونة التي يسبطر عليها الفرنجة وبين طرطوشة تخسر المنصور النفسور بين برشلونة التي يسبطر عليها الفرنجة وبين طرطوشة تخسر المنصور

بعد هذه الملاحظات السريعة يمكننا أن ننحدث عن العلاقة بين أمراء بنى أمية وبين المسالك النصرانية في الشمال الأسباني كل على حدة.

١ _ علاقة أمراء بني أمية بمملكة جليقية (ليون) :

بدأ عصر الامارة في الأندلس بحكم عبد الرحمن بن معاوية المعروف بالداخل عام ١٣٨ه /٥٥٦م واستمر هذا الأمير يحكم مدة أربعة وثلاثين عاما ، وعاصر بذلك عهدود أربعة من ملوك الجلالقة وهم غرويلا الذي بدأ حكمه عام ١٣٩ هـ / ٧٥٧ م ثم أوريليوس (١٥١ - ١٥٧ هـ) وشيلون (١٥١ - ١٥٦ هـ) ومورقاط الذي انتهى حكمه عام ١٧٢ هـ / ٧٨٩ م ، وهي نفس السنة التي انتهى فيها حكم عبد الرحمن الداخل(٢٠) .

ولم يكن الحكم مستقرا سواء في الأندلس أو في مملكة جليقية طوال هذه الفترة ، وذلك بسبب الفتن الداخلية وحركات التمسرد والطمع في السلطة ، وأدى ذلك الى استباب السلام على الحسدود بين جليقية والأندلس ، ولم يحسد ما يعكر صفو هذا السلام الا في الفسترة من عام ١٦١ هـ / ٢٦٧ م الى عام ١٥٠ ه / م ثم في عام ١٦٢ ه . وكان هذا مدعاه لقول بعض المؤرخين المحدثين بوجود اتفاقية هدنة مدتها خمس سنوات عقسدت عام ١٦١ ه / ٢٥٩ م بين « الأمير الأكرم المعظم عبد الرحمن الأول وبين البطارقة والرهبان وأهل قشتالة » ثم قولهم أيضا بوجود اتفاق بايقاف الأعمال المعدوانية من الجانبين في المسدة ١٤٨ سـ ١٧٧ ه / ١٤١ م ١٧٨ م ٢٨٠ م ١٤٠ م والمحدثين والمحدثين والمحدثين والمحدثين والمحدثين والمحدثين والمحدثين والمحدثين والمحدثين المسلمين والنصارى في هذه الفترة ، وأخسد بعض الباحثين والمحدثين بالحديث عن شروط تلك الاتفساقات واستنتاج النتائج المنرتبة عليها الى غسير ذلك (٢٧) .

اما القول بوجود هدنة مدتها خمس سنوات في بداية حكم عبد الرحمن الداخل فقول يعوزه الدليل ، ولم تشر اليه المصادر

⁽۳۱) القلقشندی ، صبح الأعشی ، ج ه ، ص ۲٦٤ ، عنان ، المرجع نفسه ، ع ۱ ، ج ۱ ، ص ۲۱۵ ، ۲۱۵ ، ۲۱۵ ،

 ⁽٣٢) حسن محمود ، تاريخ الغرب الاسلامي ، ص ٨١ ، السامرائي ، الثغر الأعلى ،
 ص ١٩٤ ــ ١٩٧ -

النصرانية ولا العربية ، وكل ما هنساك هو أن هذه الفترة كانت مملوءة بالفتن ، سواء في الأندلس حيث كان الداخل يواجه هرب عبد الرحمن الفهرى وثورته في طلبطلة وماردة ثم مقتله عام ١٤٢ هـ وثورة أبنائه من بعده ، ثم أن عبد الرحمن الداخل كان يعانى من سقوط أربونة في يد الفرنجة عام ١٤١ هـ / ٧٥٩ م وما تبع ذل كمن نتائج (٣٣) .

اما جليقية فكان الحاكم هو فرويلا (١٣٩ – ١٥٠ ه/٧٥٧ – ٧٦٧ م) وكان هو الآخر يعانى من انتقاض الأشراف عليه حتى أن أخهاه دبر مؤامرة ضده فقتله ، ولم بتركه الأشراف الا بعد أن سيقط فرويلا نفسه قتبلا ، لكنه قبل ذلك ببضع سنوات كان قد انتهز فرصة الثورة الني أعلنها العلم بن مغيث اليحصبي ودعونه للعباسيين عام ١٤٦ هوقام بالاستيلاء على مدينة لك وبرتقال وسمورة وقشتالة وشقوبية وأخرج المسلمين منها وصارت تابعة للجلالقة حتى افتتحها المنصور بن أبي عام مرة ثانية(٢٤) .

وكان هذا هو اللقاء الاول بين الداخل ونصارى الشمال وكان من نتيجة ضياع هذه المعاقل الهامة واستيلاء النصارى عليها ، وقد حاول الداخل استرجاعها فأرسل حملة بقيادة مولاه بدر عام ١٥٠ه الى البة التى تقع شرقى منطقة ليون ، فأذعنت له وأدت اليه الجرية ، ولم تشر الرواية الاسلامية الى شيء أكثر من هذا ، وظل الطرفان في سلام حتى عام ١٦٤ هر٥٣) .

⁽۳۳) ان عداری ، الصدور نفسه ، د ۲ ، ص ۷۷ ، ۸۵ السید عید العزیز سالم ، تاریخ المسلمین .

⁽٣٤) ابن خليدون ، العبر ج ٤ ، ص ١٢٢ ، الفلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ه ، ص ٢٦٤ . . المدى ، نفح الطيب ، ج ١ ، ص ١٥٥ ، المدى ، نفح الطيب ، ج ١ ، ص ١٥٥ ،

⁽۳۵) ابن عدداری ، البیان المغرب ، د ۲ ، ص ۸۰ ، ۱۸ ۰

لكن المراجع النصرانية تشير الى نبا موقعة كبيرة وقعت بين المسلمين والنصارى في بونتومو من أعمال جلبقية ، وتقول لنا أن عبد الرحمن الداخل أرسل في عام ١٥٥ ه / ٧٧٣م جيشا كبيرا الى الشمال بقيادة حاجبه عامن أو تمام بن علقمة على ما يظهر ، فلقيه النصارى بقيادة فرويلا في بونتومو ، ونشبت بين الفريقين معركة هائلة هزم فيها المسلمون وقتل منهم عدد عظيم تقدره الرواية النصرانية بأربعة وخمسين ألفا ، وأسر قائدهم ، أورد هذه الرواية الأستاذ محمد عبد الله عنان واكتفى في نفيها بأن الرواية الاسلمين والنصارى وقتعسة بهذه الخطورة نشبت بين المسلمين والنصارى (٢٦) .

لقد نسى الأستاذ عنان أن الملك غرويلا نفسه كان قد مات ومر على موته حوالى خمس سنوات ، كما أن ظروف جليقية نفسها لم تك تسمح بهدذا النصر العظيم الذى ادعاه مؤرخو النصارى ، فقد كانت الفتنة مشتعلة فى المملكة وكانت منقسمة منذ عام ١٥٠ ه / ٧٥٧ م الى امارتين بين أوريليوس وشيلون ، ولم تمد اليها وحدتها الا عام ١٥٦ ه / ٧٦٧ م وكانت ظروف الداخل نفسها لا تمكنه من القيام بأى نشاط حربى فى تلك الفترة بسبب ذلك التمرد الذى قام به ذلك الدعى الفاطمى البربرى شمتبا بن عبد الواحد منذ عام ١٥١ الى عام ١٦١ ه(٣) .

استمر السلام اذن بين الأندلس ونصارى الشمال من عام ١٥٠ هـ عتى أواخر عهد ملك جليقية المسمى شيلون (١٥٦-١٦٦ هـ/٧٧٣ م) حيث تم توقيع معاهدة الصلح بين الجانبين ، ربما في عام ١٦٥ هـ / ٧٨٢ م . وقد اجبرت الأوضاع الداخلية الطرفين على توقيع تلك المعاهدة ، فقد كانت هناك ثورات محلية في جليقية ضد شيلون ، وكان هنوم شارلمان على سرقسطة عام ١٦١ ه / ٧٧٨ م بسبب تمرد

⁽٣٦) محمد عبد الله عنّان ، دولة الاسلام في الأنطس ، ع ١ ، ج ١ ، ص ٢١.٣٠٠

⁽۳۷) ابن حزم ، المصبدر نقسه ، ۷۸ ، ابن عداری ، المصدر نقسه ، ج ۲ ، ص ۸۲ ، انظر المصل الثانی ، الباب الأول .

حكام برشطونة وسرقسطه واستدعائهم له ، ثم استمرارهم في التصرد والعصيان ضد عبد الرحمن الداخل بعد نشط حملة شرلمان ، مما أجبر الداخل على أن يزحف بنفسه على سرقسطة عام ١٦٤ ه / ٧٨١ م ، فارتدع هؤلاء وصالحوه ، فسار الداخل الى بمبلونة عاصمة نبرة ودخل قلهرة وبلاد البشكنس ، ثم عاد الى قرطبة محملا بالغنائم والأسلاب(٢٨) .

كان هـذا هو اللقاء الثانى بين الداخل وبين نصارى الشمال ، ولم يكن هناك اتفاق سلام واستمر واحدا وعشرين عاما كما قال البعض ، بل ان الأوضاع الداخلية هى التى أجبرت الطرفين على العيش في سلام ، ولم يكن هناك اتفاق سلام الا في عام ١٦٥ ه / ٢٨٦ م فقط قرب نهاية عهدد الملك شيلون الذى أخافته حملة الداخل على بمبلونة في العام السابق ، وبعد ذلك انقسمت مملكة الجلالقة مرة أخرى بعد موت شيلون وفي بداية عهد خليفته مورقاط (١٦٦ – ١٧٢ ه / ٢٨٣ – ٢٨٩ م) الذي حكم جليقية بينما الفونس المطالب بالعرش تمركز في الجزء الشرقي من الدولة في نبرة وحكم هناك واستعان بالفرنجة ، فاستعان مورقاط ضده بالمسلمين الذين يمتون اليه بصلة القرابة ، اذ كانت مورقاط ضده بالمسلمين الذين يمتون اليه بصلة القرابة ، اذ كانت أمه جارية عربية (٢٠١٠) .

وفى الوقت نفسه كان الداخل يواجه عودة حسين الأنصارى حاكم سرقسطة الى التمسرد ، وكان الداخل قد أبرم معاهدة السلام مع نصارى الشمال ، فسار اليه وقتله عام ١٦٧ ه / ٧٨٣ م ، وقضى الداخل بقيسة مدة حكمه في مصارعة أبناء يوسف الفهرى الذين كانوا قد أعلنوا الثورة ضده في قسطلونة وطليطلة عام ١٦٨ ، وظل يحاربهم حتى قتلهم عام ١٩٧٠ ه ، وتوفى الداخل نفسه بعد ذلك في عام ١٧٢ ه (٧٨٨ م)(عام ١٩٧٠ م) وتوفى الداخل نفسه بعد ذلك في عام ١٧٢ ه (٧٨٨ م)(عام ١٩٧٠ م) وتوفى الداخل نفسه بعد ذلك في عام ١٧٢ ه (٧٨٨ م)(عام ١٩٧٠ م) وتوفى الداخل نفسه بعد ذلك في عام ١٧٢ ه (٧٨٨ م) (عام ١٩٧٠ م) وتوفى الداخل نفسه بعد ذلك في عام ١٧٢ ه (١٩٨٨ م) (عام ١٩٧٠ م) وتوفى الداخل نفسه بعد ذلك في عام ١٧٠ ه وتوفى الداخل نفسه بعد ذلك في عام ١٧٠ ه وتوفى الداخل نفسه بعد ذلك في عام ١٧٠ ه وتوفى الداخل نفسه بعد ذلك في عام ١٩٧٠ م وتوفى الداخل نفسه بعد ذلك في عام ١٩٧٠ ه وتوفى الداخل نفسه بعد ذلك في عام ١٩٧٠ ه وتوفى الداخل نفسه بعد ذلك في عام ١٩٧٠ ه وتوفى الداخل نفسه بعد ذلك في عام ١٩٧٠ ه وتوفى الداخل نفسه بعد ذلك في عام ١٩٧٠ ه وتوفى الداخل نفسه بعد ذلك في عام ١٩٧٠ ه وتوفى الداخل نفسه بعد ذلك في عام ١٩٧٠ ه وتوفى الداخل نفسه بعد ذلك في عام ١٩٧٠ ه وتوفى الداخل نفسه بعد ذلك في عام ١٩٧٠ ه وتوفى الداخل نفسه بعد ذلك في عام ١٩٧٠ ه وتوفى الداخل نفسه بعد ذلك في عام ١٩٧٠ ه وتوفى الداخل نفسه بعد ذلك في عام ١٩٧٠ ه وتوفى الداخل نفسه بعد في وتوفى الداخل نفسه بعد في وتوفى الداخل به م وتوفى الداخل به وتوفى الداخل به وتوفى الداخل بعد في وتوفى الداخل به وتوفى الداخل

⁽٣٨) العسدري ، نصوص عن الأندلس ، ص ١١ ، مجهول ، أخبسار مجموعة ، ص ١١٤ ،

ابن خليدون ، العبر ، ج ٤ ، ص ١٢٤ ، 176 Dozy, op, cit, pp. 204 - 206 ، ١٢٤ ، ص الباب الأول ، ص (٣٩)

⁽٤٠) العبدرى ، نصوص عن الأندلس ، ص ٢٥ ، ٢٦ ، ابن خليدون ، العبر ، ج ٤ ، ض ١٢٤ ، ابن عبدارى ، المصيدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٩٢ - ٩٤ ٠

تولى الامارة بعد الداخل ابنه هشام (۱۷۲ – ۱۸۰ ه / ۷۸۸ – ۷۹۱ م) كما نولى الملك في جليقية الملك برمند (۱۷۲ – ۱۷۰ ه / ۷۸۱ – ۷۹۱ م) ومن بعده الفونش الثانى (۱۷۰ – ۲۲۷ ه / ۷۹۱ – ۲۲۷ م) ولم تكن احوال الدولنين في عهد هشام وبرمند تسمح باسنئناف الصراع . ذلك أن هشام كان يواجه تمرد أخويه عبد الله وسليمان ، ذلك التمرد الذي انتهى عام ۱۷۰ ه . كها انتهى في نفس العام تمرد حكام سرقسطة بعد قتل عاملها مطروح بن سليمان بن يقظان ، بعد أن أرسل هشام حملة الله يقبادة قائده أبي عثمان عبيد الله بن عثمان (١٤) .

وكان هناك انقسام فى الببت المسالك فى جليقية ، اذ استقل برمنسد بالجرزء الفربى من المسلكة بتأييد الأشراف ، واستقل الفونش بالجزء الشرقى ، لكنهما تصالحا بعد أن انضحت نية الأمير هشام فى غزو الشمال النصرانى ، ولم يلبث برمند (برمودو) أن مات وتولى الفونش العرش مكانه وعادت الوحدة إلى الملكة مرة أخرى .

وبعد ان استبت الأحوال للأمير هشام تفرغ لقتال اعداء البلاد من النصارى والفرنج لا سيما وانه قد مضى ما يقرب من عشر سنوات لم يحدث أى لقاء بين الجانبين منذ حملة الداخل عام ١٦٥ ه على الشمال النصرانى ، حتى سرت الأقوال بأن المسلمين لا يقدرون الا على قبال بعضهم البعض ، وأفتى بعض الفقهاء بأنه لا يجب دفع الخراج لأمراء لا يعرفون الا قتال مواطنيهم من المسلمين فقط . لذلك وضع الأمير هشام نصب عينبه أن يزبل هذا الاتهام الخطير باستئناف الجهاد ليس في النسمال النصراني وحدد ، ولكن في أرض الغال أيضا(٢٤) .

وقد تكلت ضده قوى الشمال النصرانية من جلالقة ونافاربين ، لذلك كان الأمير هشام يرسل جيشين في وقت واحد ، أحدهما لقتال النافاريين

⁽٤١) العدرى ، المصدر تنفسه ، ص ١١ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٤٤ . ابن خلدون ، العبر ، ج ٤ ، ص ١٢٤ .

⁽٤٢) رينسو ، ناريخ عزوات العرب في فرنسا ، ص ١٢٦٠٠

والثانى لقتال الجلالقة ، وكان يحدث أن يلنقى الجيشان بعد أن يفرغ أحدهما من معاركه ، وتعود الجيوش رافعة أعلام النصر الى قرطبة ،

حدث هذا فى أول معركة بين جبوش هشام ونصار ىالشمال ، فقد ارسل فى عام ١٧٥ ه / ٧٩١ م جيشا بقيادة أبى عنمان عبيد الله بن عثمان تضى على الثورة فى سرقسطة كها ذكرنا ثم زحف على البة والقلاع ، وتمكن من هزيمة أهل نبرة وقتل منهم تسعة الانه .

وفى نفس العسام أرسل هشام جيشا آخر بقيادة يوسف بن بخت الفارسى عن طريق الثغر الأوسط الى جليقية والتقى بالملك برمند على نهر بوربيا Burbia فهزمه جيش يوسف وقتل من جند برمند عشرة آلاف ، وعلى أنر ذلك ننازل برمند عن العرش لألفونش الثانى ولجأ الى الاعتزال بأحد الأديرة كما كان شأنه قبل تولى العرش(⁷²) .

بدأ الصراع بعد ذلك بين هشام وبين الفونش الثانى عقب تولى هــذا المــلك عرش جليقية وأشتريس . وكان اللقــاء الأول بينهما عام ١٧٦ ه حيث ارسل هشام جيشا بقيــادة عبد المــلك بن عبد الواحد بن مغيث وصل الى منطقة البــة والقــلاع واثمن فى العــدو وعاد الى قرطبة غانهـا . ثم كان الزحف الكبير الى بلاد الفرنجة عام ١٧٧ ه / ٧٩٣ م ، وكان بقيــادة القائد السابق الذى استطاع أن يعبر جبال البرنات من ناحية قطلونية وأن يحــرب جيرندة وأن يهــدم سورها ، ثم يزحف على أريونة قاعدة الثفــر الاسلامى القديم فى سبتمانية فى أرض الفرنجة . وكان الفرنجة قد استردوها عام ١٤١ ه / ٧٥٨ م (ئن) .

⁽٣٣) الرازى برواية ابن عدارى ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٩٥ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٢ ، ص ٩٥ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٤٤ ، ابن خاسدون ، العدر ، ج ٤ ، ص ١٢٥ ، العديد عبد العزبز سالم ، ناريخ المسلمين في الأندلس ، ص ٢١ .

⁽٤٤) ابن الأثير الكامل ، ح ٦ ، ص ٤٨ ، المقرى ، نقع الطنب ، ج ١ ص ١٥٨ ٠٠

وتخلط الروايات العربية القديمة والحديثة في استسلام مدينة اربونة لجيش عبد الملك بن عبد الواحد من عدمه ، فبعضها يقول أن هذا القائد استطاع أن يفتحها وكان الفتح عظيما حتى بلغ خمس السبى خمسة وأربعين الفا من الذهب العين ، كما أن ذلك القائد بلغ من تحكمه أن اشترط على المعاهدين من أهل جليقياة نقل عدد من أحمال التراب من سور أربونة حتى قرطبة للمساهمة في بناء مسجد هناك(منا).

لكن الأستاذ عنان بورد رواية نصرانية تنكر استبلاء المسلمين على أربونة ويقول آخرون بأنهم لم يستولوا حنى على جسرندة ويبدو أن هدا هو الرأى الصحبح والأن الروايات العربية لا تقطيع بفتحها الا عند اننين هما المقرى وابن فضل الله العمرى وهمسا من الرواة المتأخرين والما أن المسلمين غنموا المتأخرين وحطموا الأسوار الى آخر تلك العبارات الني يوردونها وبلغ السبى كذا وحطموا الأسوار الى آخر تلك العبارات الني يوردونها دليسلا على قوة جيش المسلمين (٢٠) .

ومما يؤيد الشك في الاستيلاء على أربونة قول ابن فضل الله العمرى نفسه أن المسلمين اشترطوا على المعاهدين من أهل جليقية نقل عدد من أحمال التراب الى قرطبة اذلالا لهم ، وهذا شرط فيما يبدو غير صحيح فأين أهل جليقية الذين يعيشون في قاصية الأندلس في الشمال الغربي ، من أربونة التي تبعد عنها آلاف الأميال وتقع في اقليم سبتمانيا شمالي جبال البرنات بمسافة كبيرة ،

ربما كان هذا الشرط على أهل أربونة أو بالأصح على الأسرى من أهل أربونة الذين أذلهم المسلمون بأن جعلوهم ينقلون هـذا العـدد من

⁽٤٥) ابن فضل الله العمرى ، مَسَالُك الأَبصَسَار ، ج ١٥، مُسمَ ٢ ورقَّــة ٣١١، المقرى تَعْمَ الطيب ، ج ١ ، ص ١٥٨ ، ابن عبدارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ٩٥ .

⁽٢٦) ادن عدداری ، البیان المغرب ، ج ٢ ، ص ٥٥ ، ابن الاثیر ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٤٨ ، عدان ، دولة الاسلام في الأددلس ، العصر الأول ، ح ١ ، ص ٢٢٢ ٠

احمال التراب الى قرطبة ، فهدذا هو المعقول ، يؤيد ذلك ما ذكره ابن عذارى من ان المسلمين غنهوا كثيرا من السبى الذى بلغ خمس قيمته خمسة واربعين الفا من الذهب العين ، وبديهى ان هدذا السبى هو الذى قام بحمل هذا التراب الى قرطبة ، وعدد المسلمون من هناك بعد الاستيلاء على تلك الفنائم الوفيرة ، ولو بقى المسلمون فى اربونة وجرندة عقب هذه الفروة لما تمكن شرلمان من الاستبلاء على برشلونة بعد ذلك بعدة سنوات فى عام ١٨٥ ه بمنتهى السهولة(٤٠) ،

وقد عاد الأمير هشام الى اتباع أسلوب ارسال جيشين في وقت واحد ، ففي عام ١٧٨ ه / ٧٩٤ م سير جيشا بقيادة عبد الكريم ابن عبد الواحد بن مغيث الى البة والقالاع ، فأدى مهمته بنجاح وعاد الجيش محملا بالغنائم والأسلاب . أما الجيش الثانى فكان بقيادة أخيه عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث ، وكانت وجهته جليقية ، ونجح هذا القائد في هزيمة الملك الفونش وخرب دار مملكته (أوغيدو) التي كان قد انتقال اليها والتي يسميها المسلمون (أبياط) ، لكن الجيش ضل الطريق اثناء العودة « فنالتهم مشقة شاديدة ومات منهم بشر كثير ونفقت دوابهم وتلفت آلاتهم ثم سلموا وعادوا » (١٤٠) .

ويبدو ان كهينا للنصارى تعرض لهدذا الجيش عند عودته ، ونال النصارى منه بعض الشيء ، وعاد الجيش بعد أن نقد بعض رجاله ، وكان لذلك رد معل عند المسلمين ، فلم يأت عام ١٧٩ه / ٢٩٥م حتى قام عبد الكريم بن عبد الواحد بن مفيث بهجوم عنيف ضد جليقية ودخل أسترقة ، فاستنجد ألفونش الثاني بأسراء نبرة وغيرهم من سكان تلك النواحي وتقهقر الى مكان بين الصخرة وجليقية في أقصى الشمال على ساحل خليج بسكاية ، فأمر عبد الكريم أهدد قواده وهو فرج بن كنانة باقتفاء أثره في أربعسة آلاف فارس (٢٠) ،

⁽٤٧) ابن عبداري ، المسدر تنسه ، ج ٢ ، ص ٥١٥ إ

⁽٤٨) ابن ألأثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٥٢ ٠

⁽٤٩) ابن عذاري ، البيان المغرب، جـ ٢ ، ص ٩٦ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٥٠ ٠

نجح هــذا القائد في القضاء على فرقة مسيحية مكونة من ثلاثة الاف فارس ، وأسر قائدها المسحى غدشارة ، وتقدم عبد الكريم وطارد الفونش من حصن الى حصن ، وأخرج وراءه فرج بن كنانة هذه المرة في عشرة آلاف فارس ، فهزم الفونش الذي اسلم جميع معدانه وذخائره وفسر هاربا . وبذلك حقق الأمير هشام نصرا كبيرا على الفونش، لكن العمر لم يطل بهشام ، اذ أنه توفي في العام التالي «١٨٠ه/٧٩م»(٥٠).

كان الأمير هشام تقيا ورعا ، خيرا فاضلا ، محبا للجهاد ، محصنا للنفوره وفيا لجنده ، حتى انه كان يلحق أبناء الشهداء منهم فى الدبوان ويجعل لهم رزقا ، وبلغ من قوة الدولة فى عهده ، انه لم يكن هناك اسير مسلم واحد فى بلاد النصارى ، وبالغ الناس فى ذكر مناقبه منى قالوا بأنه كان يشبه فى سيريه عمر بن عبد العزيز رحمهم الله جميعا(٥)

تولى الحكم بعد وفاة هشام ابنه الأمير الحكم الأول المعروف بالربضى (١٨٠-٢٠٦ ه/٧٩٦-٨٢ م) وكان معاصرا للملك الفونش الثانى ملك جليقية وأشنريس ، وقد عنف الصراع بين هذين الرجلين ، حسى اضطر الفونش أن يتحالف مع البشكنس وفرنج أكتبانيا لمواجهة الارادة الصلبة الذي أبداها الأمير الحكم تجاه القضاء على أعدائه في الداخل والخارج .

وفى حين كانت الامور مستبسة لألفونش فى الشمال النصرانى ، كانت الثورات متلاحقة فى الأندلس ضد الأمير الحكم . فقد واجه ثورة عميه عبد الله وسليمان وقضى عليهما عام ١٨٦ هـ ، ثم مؤامرة قامت ضده عام ١٨٩ هـ وقضى عليها أيضا ، ثم ثورة البربر فى ماردة لمدة سبع سنوات

⁽۰۰) ابن عداری ، البیان آلمطرب ، ج ۲ ، ص ۹۲ ، ۹۷ ، ابن الخطیب ، اعمال الاعملام ، ج ۲ ، ص ۱۲ ۰

⁽۱۰) ابن عبد ربه ، العقد القريد ، ج ۲ ، ص ۳۰۸ ، مجهول ، أخبر محموعة ، ص ۱۲۰ ، ابن الأثير ، الكامل ، ح ٦ ، ص ٥٣ ٠

من ١٩٠ الى ١٩٧ ه وقضى عليها . ثم اخيرا ثورة اهل الريف في قرطبة عام ٢٠٣ ه . كل ذلك أشرنا اليه في حدبثنا عن أحوال الأندلس (٢٠) .

وما يعنينا الآن هو أن الفسرنج قد اننهزوا فرصة نورة عمى (الحكم) وتحالفوا مع الفونش الثانى ليضمنوا ولاء البشكنس ومعاونتهم ، ثم زحف لويس أمير اكبيانيا وابن الامبراطور شارلمان على برشلونة عام ١٨٥ه/ ١٠٨ م واستولى عليها بعد حصار دام سبعة أشهر ، والخذ الفرنج من برشلونة قاعدة للثفر القوطى الذى نما فيما بعد وغددا امارة نصرانية قوية هى امارة قطلونية ، وخسر الاسلام بذلك أمنع ثفوره فى قاصية أسبانيا ، وارندت حدود الأندلس الى الثفر الأعلى بعد أن كانت تجاوز جبال البرنات ، (٥٠) .

ويشير بعض المؤرخين الى هزيمة لجبوش الأمير الحكم عقب سقوط برشلونة ، لكن الهزيمة كانت ليوسف بن عمروس عامل تطيلة من قبل والده عمروس بن يوسف زعيم أسرة بنى عمروس المولدين بالنغر والذين استعان بهم (الحكم) مرارا فى القضاء على نورة المسرب فى سرقسطة والمولدين فى طليطلة . وكان الفرنج قسد وصلوا الى تطيلة وأسروا يوسف ابن عمروس وسجنوه بصخرة قيس ، لكن والده أرسل أحسد أقربائه على رأس جيش تمكن من انقاذه بعسد هزيمة الفرنج (30) .

⁽۵۲) الرازی ، بروآیة آن عداری ، المصدر نفسه ، ج ۲ ، ص ۹۲ س ۱۶ ، آبن خلسدون ، العبر ، ج ٤ ، ص ۱۲۶ .

⁽۵۳) ابن الأنبر ، الكامل ، ج 7 ، ص ٥٣ ، أبو الفدا ، تاريخه ، ج ٢ ، ص ١٦ ، ابن خليدون ، العبر ، ج ٤ ، ص ١٢٥ ، كارل بروكلمان ، المرحم نفسه ، ج ٣ ، ص ١٤٥ ، عنان ، المرحم نفسه ، ع ١ ، ج ١ ، ص ٣٣١ .

⁽³⁰⁾ العدرى ، نصوص عن الأندلس ، ص ٢٨ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٨٧ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٨٧ ، ابن خلدون ، العبير ، ج ٤ ، ص ١٢٦ ، السيد عبد العزيز سالم ، الرجسيع نفسه ، ص ٢٢٥ .

وانتهز الفرنج فرصة انشىغال الحكم فى القضاء على مؤامرة ١٨٩ هـ، وثورة ماردة فى نفس العام ، وأغار لوبس التقى على الثفر الأعلى حتى وصل الى طرطوشة عام ١٩٣ه/٨٠٨م فأرسل الحكم ابنه عبد الرحمن على رأس جيش كبير ، وصل الى الثفر وانضمت البه قوات عمروس وعبدون ، عمال النفر هناك ، وتمكنوا من دحر قوات لويس وانقاذ طرطوئسة ، (٥٥)

ومن ناحية أخرى فقد قام الفونش النانى وعبر نهر دويره بقواته عام ١٩٣ه/١٨م وغز! الاراضى الاسلامية ، وتوغل فى سيره حتى قلمرية وانسبونة فى غرب الأندلس ، فرد عليه الامبر الحكم فى العام التالى (١٩٤ه/ ٩٠٨م) وزحف عن طربق مدينة الفرج (وادى الحجارة) وهزم جيوش الفونش ، وأسر الكثير واستبدلهم بأسرى المسلمين ، وقد عاد الحكم بجيشه لفك أسر امرأه كانت قد أسرها النصارى وقالت « وا غوثاه ياحكم، اقد ضيعتنا » مما دفع بالحكم لكى يقود الجيش بنفسه وينقذ تلك المرأة من الأسر ، ويعاقب هؤلاء النصارى على افسادهم فى منطقة الثغور هناك . (٢٥)

وقد حاول الأمير الحكم أن يسترجع برشلونة ، فأرسل عمه عبد الله البلنسي عام ١٩٩هـ/١٨٥م في جيش الى هناك ، ورغم أن عبد الله نجح في هزيمة حامية المدينة وقتل الكثير من جنودها ، الا أنه لم يتمكن من دخولها وعاد الى قرطبة ، وشعر الفرنج كما شعر المسلمون بعقم هذه الحملات المخربة ، وآثر الفريقان التفاهم والمهادنة ، وعقد السلم بذلك بين شارلمان والحكم واسنمر معقودا حيى وفاة شارلمان بعد ذلك بأعوام قلائل في سنة ١٩٨هـ/١٨٥م ، (٥٠)

⁽۵۵) ابن عدداری ، البیان آلمنرب ، ج ۲ ، ص ۱۰۹

⁽٥٦) ابن عبداری ، البیان المغرب ، ج ۲ ، ص ۱۰۹ ، ۱۱۰ ، ابن الأثیر ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٨٠ .

⁽٥٧) عنان ، المرجمع بنسه ، ع ١ ، ج ١ ، ص ٢٣٧ ٠ . . .

لكنه كان لحملة عبد الله البلنسى رد فعسل عند نصارى جليقبة ، اذ أحس الفونش بأن الصائفة المقبلة سوف تنجه الى اراضيه ، خاصة وان (الحكم) كان قسد انتهى من تمرد البربر فى ماردة عام ١٩٧ه/١٨م ، فكانب الفونش جميع ماوك تلك النواحى مستنصرا بهم فاجتمعت اليسه النصرانية من كل صوب ، (٥٠)

وكان عبد الكريم بن مغيث قد وصل بقواته الى وادى نهر ارون بعد أن دمر في طريقه جميع ماوجده ، وأصبحت قوات الجانبين لايفصلها الا النهر ، وبسعى كل طرف الى لقاء الآخر عبر النهر ، ونحاربوا حتى تكسرت السيوف ولجأوا للقدف بالحجارة ، الا أن كثرة الأمطار ونفاد المؤن عند قوات الفونش الثانى ، وضيق الحال بالمسلمين ، جعل توقف القتال أمرا لا مناص منه ، وعاد عبد الملك بجيشه الى قرطبة . (٥٩)

ولم يمض كثير حتى انشغل الامير الحسكم بثورة اصل الربض في قرطبة عام ٢٠٦ه/١٨٨م، ثم نوفي بعد ذلك بقليل، وتولى ابنه عبد الرحمن الثانى المعروف بالأوسط حكم البلاد (٢٠٦هـ/٢٠٨ه/ ١٨٨٠ مركم) . وفي عهد هسذا الأمير كانت امارة نبرة قسد استقلت عن مملكة جليقية وأشتريس . وبدأت تظهر فيها الأسرة المسالكة الجديدة ، كذلك ظهرت امارة قطلونية بعد استيلاء الفرنج على برشلونة في عهد الحكم عام ١٨٥ ه . ولذلك سوف نقصر حديثنا منذ الآن عن مملكة جليقية فقط . وبعدها نفصل القول عن علاقة نبرة بقرطبة وكذلك قطلونية .

كانت الامارة في عهد عبد الرحمن الأوسط لاتزال توية ، فقد واجه ثورات عديدة داخل الدولة ، قضى عليها ، وتفرغ للصراع مع جيرانه من

⁽۸۰) ابن عددآری ، البیان المغرب ، ج ۲ ، ص ۱۱۱ ، ابن سعید ، المغرب فی حلی المغرب ، ج ۱ ، ص ۱۱۱ ، ص ۱۱ ۰

⁽۹۹) ابن عداری ، البیان المغرب ، ج ۲ ، ص ۱۱۱ ، ۱۱۲ ، ابن الاثیر ، الکامل ، ج ۲ ، ص ۱۱۷ ، ابن خلدون ، العبر ، لج ٤ ، ص ۱۲۷ ،

نصارى الشمال الأسبانى ، وقد المتتح عهده بالقيام بغزوة تعرف بغزاة البه والقلاع عام ٢٠٨ه / ٢٨٥م ، وفيها قاد عبد الكريم بن عبد الواحد ابن مغيث جنس الأمير ، ووصل الى الثغر الأعلى ، ثم دخل جليقية من باب البه المحتم Alava من فيح يقال له فيح جرنيق Guernica الواقع بين سيرا دى انثيا Sierra de Encia وجبال اتوريل Sierra de Encia واستولى عبد الكريم على كثير من ذخائر العدو ومؤنه ومعدانه وخرب المدن والقرى التى مدر بها ، مما أجبر أهل تلك الناحية على مصالحة المسلمين وعلى دفيع الجزية واطلاق أسراهم . (١٠)

وكان هـذا مدعاة لأن يظن بعض المؤرخين المحدثين ان صلحا تم بين الفونش الثانى ملك جليقية ، وبين عبد الرحمن الأوسط فى ذلك الوقت عام ٢٠٨ هـ ، مدللين على ذلك بأن الاشتباك قـد توقف بين الطرفين ولم يستأنف الا عام ٢٢٣ه/٨٣٨م ، والواقع أن الحرب استمرت بعـد ذلك حتى عام ٢١١ه/٢٢٨م ولم بوقفها الا ظروف عبد الرحمن نفسه ، فقد ثارت ضده ماردة ، (٢١٣ـ١١٨ه) وطليطلة (٢١٩ـ٢٢٢ه) . (١٠)

ولم یکن هــذا الصلح بسبب اغارة الفونش علی مدینة سالم ، أو بسبب قیام المسلمین بتلك الغزوة عام ۲۰۸ ه التی خربوا فیها مدینة لیون ــ کما قال البعض ، لأن تخربب المسلمین لتلك المدینة لم یکـن الا فی غزوة عام ۲۳۱ه / ۲۸۸ م ولم تکن اغارة الفونش الثانی علی مدینة سالم الا عام ۲۲۲ه / ۲۸۸م ، وربما أتی هذا الصلح بعد عام ۲۱۱ ه ، منها ذلك أن المسلمین قاموا بعـدة حملات متعاقبة بعـد عام ۲۰۸ ه ، منها حملة عبد الله البلنسی عام ۲۰۰ ه / ۲۸۸م ضد اشتریس ، وحملة العباس ابن عبد الله القرشی ضد جلیقیة فی نفس العام آیضا والتی توغلت حتی

⁽٦٠) ابن عـذاری ، البیان المغرب ، ح ۲ ، ص ۱۲۳ ، ابن خلـدون ، العبر ، ج ٤ . ص ۱۲۸ ، المقری ، نفح الطیب ، ج ۱ ، ص ۱٦١ .

⁽٦١) عنان ، المرحم نفسه ، ع ١ ، ج ٢ ، بس ٥٩ ، ٦٠ ،

بازو ، كذلك غزا البلنسى جليقية والقلاع أبضا عام ٢١١ه / ٨٢٦ م . وبعد ذلك لم نعد نسمع عن حملات متبادلة بين عبد الرحمن والفونش حتى عام ٢٢٣ ه (٢٠)

فى ذلك العام كان عبد الرحمن الأوسط قسد فرغ من ثورة مساردة وطليطلة وتفرغ لاستئناف الصراع مع جليقية ، فأرسل حملات متتالية ، واحدة بتيادة أخيه الوليد عام ٢٢٣ه/٨٣٧م دخلت جليقية من جهة الغرب، وأخرى عام ٢٢٤ه / ٨٣٧م بقيادة ابنه الحكم وعم أببه عبد الله البلنسي وهزمت قوات الفونش ، مما جعله يغير على مدينة سالم . فسار اليه فرتون ابن موسى وهزمه وهسدم الحصن الذي كان قسد بناه أهل ألبة هناك (٦٠)

وراى الأمير عبد الرحمن أن يقود الجيش بنفسه الى جليقية عام ٥٢٥ه/ ١٨٥م ، ففتح حصونها ، لكن غزاته طالت وتعب كثيرا ، مما أدى الى أن يعتقد البعض من المؤرخين المصدنين الى أن الأمير لم يلق فى غزواته تلك نجاحا وأنها أتبتت عدم مقدرة الأمير من الناحية العسكرية ، وأنه لم يعد يكتر من الخروج للغزو بنفسه ، وأن خروج المسلمين الى بلاد جليقية أخد بقل منذ ذلك الحين (١٠) .

لم يخرج الأمير بنفسه فعلا في غزاة ضد جليقية بعد ذلك ، وانما خرج بنفسه في غزوتين ضد نبرة في عامى ٢٢٨ه ، ٢٢٩ ه . وكان الموقف في جليقية في ذلك الموقت لا يستدعى خروج المسلمين للفزو ، فقد توفى الفونش الثانى عام ٢٢٧ ه/ ١٤٢ م وتولى بعده ردمير (راميرو) الأول بعد

⁽٦٢) ابن عدارى ، البيان المطرب ، ج ٢ ، ص ١٣٢ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٢ ، ص ١٣٨ ، ١٢٩ ، المترى ، نفسح ص ١٨ ، ج ٧ ، ص ٩ ، ابن خلستون ، العبر ، ج ٤ ، ص ١٢٨ ، ١٢٩ ، المترى ، نفسح العليب ، ج ١ ، ص ١٦١ ، ١٦١ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، المترب ، ج ١ ، ص ١٦١ ، ١٦١ ،

⁽۱۳) ابن عذاری ، البیان، المغرب ، ج ۲ ، ص ۱۲۸ ، ابن الأثیر ، الكامل ، ج ۲ ، ص ۱۲۸ ، ابن خلیدون ، العبر ، ج ۲ ، ص ۱۲۹ ، المقری ، نفح الطبیب ، ج ۱ ، ص ۱۲۱ ،

⁽٦٤) السيد عبد العزيز سالم ، المرجسع نفسه ، ص ٢٤٠ .

ثورة قام بها الأشراف ضده ، ثم نوالت ثوراتهم ضده ابضا في عامى ٢٣٠هـ/٥٨٥م ، ٢٢٣هـ/ ٨٤٨ م / وتوفى هو نفسه عام ٢٣٥هــ.٥٨م، ولذلك كانت جليقية مشخولة بأحداثها الداخلية ، ولم يحدث منها ما يعكر الصغو ، وقد قلنا أن سياسة المسلمين كانت دفاعية في المقام الأول(١٠٠).

ورغم ذلك فقد انتهز المسلمون فرصة الاضطراب الذي اصاب جليقية ، وارسل الأمر عبد الرحمن ابنه محمدا في عام ٢٣١ هـ ٨٤٦م على رأس جيش وصل الى مدينة ليون وضربها بالمنجنيق ، وهرب أهلها الى الحبال ، واحرق المسلمون ما فيها ، وارادوا هدم سورها ، لكنهم لم يتمكنوا من ذلك لسمكه الكبير ، فعادوا الى قرطبة بعد أن أمعنوا في الجلالقة قتلا وسبيا ، وبعد ذلك بأربع سنوات أرسل عبد الرحمن البنه المنذر على رأس حملة أخرى الى جليقية عن طربق ألبة ، فغنم المسلمون وعادوا حيث سمعوا بوفاة الملك ردمر الأول ملك جليقية في نفس العام ، (٢٦)

توفى الأمير عبد الرحمن بعد ذلك بقليل وتولى ابنه الأمير محمد حكم البلاد (٢٣٨-٢٧٣ه / ٢٥٨ – ٢٨٨ م) ، وكان معاصرا له من ملوك جليقية أردون الاول (٢٣٥-٢٥١ ه / ٥٠٨-٢٦٨ م) والفونش الثالث (٢٥٢-٢٥٦ه / ٢٦٨-١٩٥) ، وقد بدأ الامير محمد حكمه بارسال حملتين عام ٢٣٦ ه / ٣٥٨م ، احداهما بقيادة أخيه الحكم بن عبد الرحمن لاصلاح قلعة رباح ، والثانية بقيادة موسى بن موسى بن قسى عامل الثغر الأعلى الى آلبة والقلاع ، حيث أفلح في فتح بعض المحصون ، وكانت الثورة قدد اندلعت في طليطلة ، قام بها المتمردون من المولدين والنصارى واستعانوا في ذلك بالملك أردون الأول ملك جليقية الذي بعث اليهم أخساه

⁽٦٥) العددري ، المصدر نفسه ، ص ٣٠٠ ، ابن عداري ، المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٢٩ ٠

⁽٢٦٦) ابن عدداري ، المصدر فنسه ، ج ٢ ، ص ١٣٢ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٧ ، ص ١٨٠ ٠

غانون عام ٢٤٠ ه / ٨٥٤ م ، فقاد الأمير محمد الجيش بنفسه ، واستطاع أن بهزم الحلفاء في وادى سليط جنوبي طليطلة ، وقتل منهم عشرين الفا(١٠)

وشعل الامير محمد بعد ذلك بظهور النورمان الذين اغاروا على جليقبة والأندلس عام ٢٤٥ ه / ٨٥٩ م ، كما شعله أبضا ظهور قوة نبرة وتحالفها مع امراء بنى قسى الذين عادوا الى التمرد وطلبوا من الامير محمد الا تكون حملاته ضد جليقية عن طريق أراضيهم ، لما نالهم من النصب بسبب ذلك . (٨٠)

وتتابعت حملات الأمير محمد على جليقية في أعوام ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٢ الثمر من مرة ، وعاقمه لمهاجمته الثغر الاعلى عام ٢٤٨ ه وقضائه على قوات موسى بن موسى بن فرتون القسوى ، الذى مات بعد ذلك متأثرا بجراحه ، وأعلن ابنه (لب) خضوعه لأردون وتحالف معه ضد المسلمين ، واستطاع الامير محمد رغم فتنة النصارى في قرطبة أن يعاقب أردون وأن يطارد قواته حتى وادى نهر أبره ، وأن يهزمها هزيمة شديدة ، وأن يستولى على بعض حصونه مثل أمرون ، وأن يقتل في احدى هذه الغزوات عشرين الفا من قوات أردون ، مما هد من قوة النصارى واضعف شوكتهم ، فركنوا الى الهدوء والسكينة (٢٥٠) .

توفى أردون عقب ذلك وتولى العرش ابنه الفونش الثالث (٢٥٢ - ٢٩٦ ه / ٢٩٦ - ٩١٠ م) ، وقد واجه هذا الملك في بداية حكمه ثورة أقاربه وأخوته ضده عدة مرات ، حتى تمكن أخيرا من القبض

⁽٦٧) ابن عداری ، المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٤٢ ، ١٤٣ ، المقری ، نفح الطيب ، ج ١ ، ص ١٦٣ ،

⁽٦٨) ابن عداري ، المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٤٦ ٠

⁽٦٩) ابن عــذاری ، المصدر نفسه ، ج ۲ ، ص ۱٤٧ ــ ١٤٩ ، ابن الأثير ج ٧ ، ص ٢٤٠ ، ٧ه ، ٦٢ ، ٥٠٠ ٠

على اخوته وسمل عيونهم . وكان الأمير محمد مشغولا في نفس الوقت بقمع فتنة النصارى المعاهدين في قرطبة الذين قاموا بحركة الاستشهاد واتصلوا بالنصارى في طليطلة وماردة وغييرها لاعيلان النورة على بنى امية . ولذلك لا نسبم عن حملات عسكرية قامت بها الامارة الأموية لمدة خمسة عشر عاما(٧٠) .

وفي خال هذه المدة كان الفونش الثالث يشجع الثورة الداخليسة ضد قرطبة ، اذ كان يهد يد العون لعبد الرحمن بن مروان الجليقي الذي اعلن الثورة باسم المولدين في ماردة وتحالف مع الفونش الثالث ، فأرسل الله الأمير محمد جيشا بقيادة ابنه المنذر وقائده هاشم بن عبد العزيز ، تمكن الجليقي بمساعدة قوات الفونش من أسر هاشم وارساله الى ليون ، وبعد فك أسره ، أرسله الأمير محمد في حصلة انتقامية الى ماردة ، لكن الجليقي هددهم بحسرق بطليوس اذا تجاوزت قواتهم مدينة لبلة للحالفات المناسم من حيث أتي (١٧) .

وقد فكر الأمير محمد في القضاء على مملكة جليقية بارسال حملة بحرية عام ٢٦٦ ه / ٨٨٠ م بقيادة قائد الأسطول عبد الحميد بن مغيث ، وبعد أن صنع السفن وأرسلها حنى وصلت قرب جليقية من ناحية البحر المحيط (المحيط الأطلسي) هبت عليها عاصفة فحطمت معظمها ولم يعدد منها الا القليال(٢٢) .

ورد الفونش الثالث على ذلك بأن قسام في العام الثاني (٢٦٧ ه / ٨٨١ م) بغرو أراضي المسلمين ٤ وعبر نهر دويره والتساجه ، ووصل

⁽۷۰) ابن عبذاری ، المصدر نفسه ، ح ۲ ، ص ۱۲۲ مر ۱۲۸ ، ۱۳۸ مر ۱۳۹ ۰

⁽V1)

ابن الأثير ، الكامل ، ج ٧ ، ص ١١٠ ، ابن خاصدون ، العبر ، ج ٤ ، ص ١٣١ .

⁽۷۲) ابن عسداری ، المصدر نفسه ، ج ۲ ، ص ۱۵۵ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٧ ، ص ١١٩ ، ادن خلسدون ، العبر ، ج ٤ ، ص ١٣١ رقم ٤ ٠

فى زحفه حتى احواز ماردة ووادى آنة ، وهو مدى لم يبلغه احد من اسلفه . وازاء ذلك ارسل الأمير محمد ابنه المندر وقائده هاشم بن عبد العرزيز فى حملة الى الثغر الأعلى ثم الى جليقية فافتتح حصين روطة ، وحصونا كثيرة فى منطقة البة والقيلاع ، وتأهب الفونش الثالث للقائهم ، وجرت المفاوضات التى انتهت بالهدنة (٣٣) .

وقام الأمير محمد ببناء عدد من الحصون على طول الخط المتد من سرقسطة حتى طليطلة لبمنع تقدم قوات النصارى من هذه الناحية ، فبنى حصن اشتريس لحماية مدينة سالم ، وحصون طلمنكة ومجريط وفراطة لحماية أهلل طلبطلة ، وحصون قنالس Canales ، ودلمدوش Olmos وقلعة الحلفاء Salatalifa على سفوح جبال وادى الرمل الجنوبية(٢٤) .

وكان نصارى جلبقية ابضا قد بنسوا اربع مدن حصينة بعد أن دفعوا حدودهم بعيدا حتى نهر الدورة في النصف الثاني من القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادي ، وهي مدن سمورة Zamora وسمينقة الهجرى / التاسع الميلادي ، وهي مدن سمورة San Steven de Gormaz واوسمة Osma . وقد شكلت هذه المدن حدا قويا ضد المسلمين ، ولذلك فكر الطرفان في السلام ، خاصة بعد أن اندلعت الثورات القبلية في الأندلس الاسلامية ، وتحالف بنو قسى المولدون مع الفونش الثالث(٥٠٠) .

لذلك أرسل الأمير محمد ابنه المنذر عام ٢٧٠ ه / ٨٨٣ م مع جبش بقيادة هاشم بن عبد العسزيز ، استولى على سرقسطة واخترق ألبة لمقاتلة الفونش ، لكسن المفاوضات جرت وانتهت بعقد الهدنة ، وأرسل الفونش القس (دولشديو) سفيرا الى قرطبة لوضع قواعد الصلح مع أمير الأندلس ، ونجحت المفاوضات وعساد السفير الى أفيدو عاصمة

⁽۷۳) ابن عـذاری ، المصدر نفسه ، ج ۲ ، ص ۱۵۷ ، ۱۵۷ ، عنان ، الرجــُع ُ نفسه ، ع ۱ ، ج ۳ ، ص ۱۷ ، ۱۶ ·

ي 🖰 🛴 ٨(٤٪) محمود على مكني ، مدويد العربيه ، ص ٣٨ ، ٣٩ ٠

⁽۷۵) الرازی بروایة بن حیان ، المنتبس.، ج ۳ ، ص ۱۰۹، ،

نيون (جليقية) ، وتفرغ الفونش لعالج مشاكل دولته الداخلية ، وكانت الأزمات والقلاقل السياسية والاجتماعية تتعاقب هناك لبواعث تتعلق بنظم المجتمع النصراني نفسه (٧٠).

ويبدو أن السلام قد استتب بين امراء بنى امية بعد وفاة الأمير محمد وبين الفونش الثالث ، وذلك بسبب الأوضاع الداخلية في كل من البلديين ، الأندلس وجليقية ، وكان أمراء بنى أمبة في خطر داهم بسبب كثرة الثورات والفتن وخاصة ثورة عمدر بن حفصون كبير الثوار واخطرهم، والذى كان يقود الثورة في الجنوب ، كما كان بند قسى وبنو الطويل المولدون وبنو نجيب العرب قد استقلوا بالنفسر الأعلى وتنازعوا فيما بينهم ، واستعان بعضهم على بعض بملوك نبرة وملوك جليقية ، هذا بالاضافة الى الثورات الأخدرى التى اشرنا اليها في الفصسل الأول من هدذا الباب (٧٧) .

لذلك مان قرطبة لم ترسل حملات الى الشمال ، وقام قواد الثغون بتلك المهمة خير قيام ، مقام محمد بن لب بن موسى القسوى في اول سنة من حكم الأمير المنذر (٢٧٣ ـ ٢٧٥ ه / ٨٨٨ ـ ٨٨٨ م) بمهاجمة البة والقسلاع ومنت بعض حصونها ، وبعد أن قتل محمد بن لب هذا أمام أسوار سرقسطة عام ٢٨٥ ه / ٨٩٨ م ، بسبب محاولته الاستيلاء عليها من يد بنى تجيب ، اننهز ألمونش الثالث المرصة وحشد نصارى جليقية والبنة والقسلاع وبمبلونة ، وخسرج للاغسارة على الثغسر الأعلى ، لكن لب بن محمد بن لب الذى خلف أباه على تطيلة وطرسونة ، استطاع أن يدحسر قوات ألمونش عند طرسونة عام ٢٨٥ ه / ٨٩٨ م ، وأن يقتسل منهسا ستة آلاف ، وبنقسذ جميع السبى الذين كانوا موجودين بها(٢٠٠٠) .

⁽۱۲۸) عنان ، الرجع نفسه ، ع ۱ ، ج ۲ ، ص ۱۸ ، کارل بروکلمان ، الرجع نفسه ، ع ۲ ، ص ۱۶۹ ۰

⁽۷۷) ابن حیان ، المنتبس ، ج ۳ ، ص ۵۰ ، ۱۱ ، ۹۶ ، ابن عدداری ، المسدر نفسه ، ج ۳ ، ص ۱۵۷ ـ ۱۷۹ . حس ۱۷۷ ـ ۱۷۹ .

⁽۱۸۸) الزازی بروایة بن عنداری ، البیان المغرب ، ج ۲ ، ص ۱۷۳ ، العنوی ، المسدر نفسه ، ص ۳۷ ،

وفي منطقة الثغر الأوسط استطاع الفونش الثالث أن يعيد بناء سمورة عام ٢٨٠ ه / ٨٩٣ م ، وأن يحصنها تحصينا قويا وبسكنها النصارى ، واتخذها قاعدة للاغارة منها على الأراضى الاسلامية المجاورة ، واشتد احساس تلك المنطقة بالخطر وقالوا « قد كان أذاهم اذى النصارى وطروقهم أرضنا من ليون كالمتوالى عندنا فكيف يكون من سمورة ، وقد اقتربوا منا ودبروا كيدنا ، فأصابوا مقتلنا . . مع اشتغال أهل الثغر بالخلف حتى انقطع الجهاد وكرت الجاهلية ، وصار أهل كل بلد من الثغرور وما جاورها مضطرة الى مسالمة المشركين وملاطفانهم ، لما بينهم وبين جيرانهم من داء الفتنة »(٢٩) .

لذلك ما ان دعاهم احد الثوار الى القيام بمهاجمة تلك المدينة ، حتى استجابوا له ، وخرج معه اهل طليطلة وطلبيرة ووادى الحجارة وشنتبرية ، وكان هذا الثائر يدعى احمد بن معاوية ويعرف بالقط ، وهو من أشراف بنى أمية وكان بريد الدولة لنفسه ، لكنه ادعى الجهاد واعلن أنه المهدى ، وعبا البربر المجاورين لمدينة سمورة وهاجمها (عام ٢٨٨ ه / ١٠١ م ، واكتست قوات الفونش ، لكن زعماد البربر خانوه وارتدوا منهزمين لخوفهم منه اذا تم له النصر واشتدت شوكته ، فكر الفونش على احمد بن معاوية المهدى وقتله وعلق راسه على باب سمورة ، وصار هذا اليوم يعرف بيوم سمورة (٠٠٠) .

واضح اذن أن تلك الاشتباكات كانت بين أمراء الثغر الأعلى وأحمد ابن معاوية القط وبين ألفونش الثالث ، وكانت قرطبة لا سلطان لها على هؤلاء الأمراء ، ولذلك نستطيع القول بأن اتفاق السلام ظل سارى المفعول بين قرطبة وبين الفونش حتى وفاة الأمير عبد الله عام ٣٠٠ ه/ ٩١٢ م وتولى عبد الرحمن الناصر الأمر من بعده . هنا تغير الموقف كما سنرى عند دراستنا في الباب الثاني .

⁽٧٩) ابن حبان ، المسبس ، ح ٣ ، ص ١٣٤ ٠

⁽۱۸۰) ابن حدان المفتنبس ، ج ۳ ، ص ۱۳۳ - ۱۳۹ ، ابن حزم ، جمهرة انسساب العرب ، ص ۸۸ .

٣ ـ عـاللقة أمراء بنى أمية بامارة قطاونية (برشاونة) :

ظهرت نبرة على المسرح السياسي منذ بداية القرن الثالث الهجري / التاسع المبلدي ، وكانت قبل ذلك تسير في فلك ملوك جليقية أو أباطرة الفرنجة ، وما لبثت أن اشتركت مع جليقية في الهجوم على منطقة الثغر الأعلى عام ٢٠٠ ه / ٨١٥ م ، فخرج اليهم الحاجب عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث ، والتقى مع قوات بلشك الجلشقي(١٠) ، وقوات نصاري ليون ، واستمرت المعركة بين الطرفين ثلاثة عشر يوما ، اندحرت فيها قبائل البشكنس ، وقتال أحدد زعمائهم المدعو شانجة فارس ببسلونة(٨٠) .

جندت نبرة الى السلم فى بداية عهد الأمير عبد الرحمن الثانى بسبب قوة الامارة الأموية وقتئذ ونجاحها فى التصدى لملوك جليتية ، هذا فضلا عن تعرض نبرة نفسها لهجوم الجيش الفرنسى على بمبلونة عاصمة نبرة عام ٢٠٩ه / ٨٢٤م بقيادة أزنار Aznar وهو من أصل نافارى ــ وابلو الفرنسى ، فهرعت قوات موسى بن موسى بن فرتون بن قسى حاكم تطيلة ووشقه من مدن التفر الأعلى ، وساعدت البشكنس فى صد هذا الهجوم ، وألحقت القوات المشتركة هزيمة فادحة بالجيش الفرنسى عند باب الشنرى (رونسسفال) وأسرت القائدين (٨٣) .

وفى ضوء هذه المساعدة التى قدمتها قوات الثفر الأعلى ، ارسلت نبرة سفارة الى بلاط عبد الرحمن الثانى وأبرمت معاهدة ببن الطرفين

⁽٨١) بلشك الجلشقى تسمية المرآجع الأخرى فلاسكو Velasco ويبدو اتّه أحد زعماء البشنكنس قبل ظهور الأسرة المالكة في ندرة بعد ذلك مقلمل ، انظر ، خليسل السمرائي ، الثغر الأعلى الأندلسي ، ص ١٦٧ ٠

⁽۸۲) الخرجسع السامق ، ص ۱۹۷ .

⁽۸۳) رينو ، الرجيع نفسه ، ص ١٤٧ ، ١٤٨ ،

Livermore, op. cit., p. 82.

تنضمن مساعدة المسلمين لنبرة في صدد أي اعتداء خارجي ، وتساعد نبرة المسلمين حين يريدون عبور جبال البرنات الي فرنسا ، وكان الكونت أزنار قد استطاع العودة الي نبرة بعد أن فك أسره بمساعدة الفرنجة ، واستمر في حكم نبرة حتى عام ٢٢١ ه / ٨٣٦ م ، وجاء بعده أخوه شانجة وانتزع منه امارة نبرة غرسبة بن ونقة أحد زعماء الباسك الآخرين ، ومنه جاءت الأسرة المالكة التي حكمت نبرة بعد ذلك (١٠٠) .

وبظهور هذه الأسرة تغيرت العلاقات بين نبرة وبين قرطبة ، وبدا أمراء نبرة بمهاجمة الأراضى الاسلامية معتمدين على مصاهرانهم التي البرموها مع أسرة بنى قسى ، وكان أنيجو أرسته Inigo Arista الذى تسميه المصادر الاسلامية « ونقة بن شانجة » قد تزوج أرملة موسى بن غرتون بن قسى حاكم تطيلة في الثغر الأعلى الأندلسي ، ثم توفي حوالي عام ٢٠٥ / ٢٨ م واشتهر أولاده النائلة غرسيه بن ونقدة (٥٠) ، وغرتون بن ونقة أخو موسى بن موسى لأمه ، وغرسيه أنجين وتسميه المسادر الاسلامية ، عرسيه بن ونقة » ، ويبدو أنه هو الذي تولى الأمر بعد وفاة أبيه ، ويظهر في الأحداث السياسية منذ عام ٢٢٧ ه / ١٤٨ م (٢٨) .

فى ضوء هذه العسلاقات بين أسرة نبرة الحاكمة وبين بنى قسى ، مدأت الأسرة الأخيرة تثير المناعب لحكومة قرطبة بعد أن ساعدتها فى حروبها كثيرا ضد نصارى الشمال ، وكان موسى بن موسى القسوى أول من أعلن الخالف من أسرته ضد بنى أمية ، وكان ذلك عقب مشاحنة أو سوء فهم بينه وبين أحد قواد بنى أمية أثناء حملة لهم على سرطانية (سردانية) فى شمال الثغر الأعلى ، فكان ذلك سبب تمرد موسى بن موسى وخاصة بعد أن عين عبد الرحمن الثانى عبد الله بن كليب على سرقسطة ، وقام فى هذا العام بالاغارة على ممتلكات ينقة بن ونقسة أخدو موسى لأمه

⁽٨٤) خليل السمامراشي ، المرجع نَفسه ، ص ٰ ١٦٥ ، ١٦٠ - ١٦٨ .

⁽٨٥) يبدو أن غرسية بن ونقله كان من زوجلة أخرى لان أبن حيا يطلق عليه أذ قرابة موسى ، وليس أخلو ، أنظر ، بن حيان ، مجلة الأندلس ص ٢٩٨ .

⁽٨٦) العذري ، المصدر نفسه ، ص ٢٩ ، السامرائي ، الرجع نفسه ، ص ١٦٠ ، ١٦١ ٠

عام ٢٢٦ ه / ٨٤١ م . وظهر هذا الخلاف واضحا انتاء حملة للأمير عبد الرحمن الثانى على بمبلونة عام ٢٢٧ ه / ٨٤٢ م بتيادة ابنه المطرف ، اذ تخلف موسى عن اللحاق بالمطرف ، فأرسل عبد الرحمن الثانى حارث بن بزيح وولاه سرقسطة وأمره بحرب موسى ، لكن موسى اسره وقضى على جيشه (٨٠) .

ازاء ذلك صمم عبد الرحمن الثانى على القضاء على موسى بن موسى ، فلجا موسى الى التحالف مع نبرة ، فخارج عبد الرحمن الثانى عبد الرحمن النانى على بمبلونة عام ٢٢٧ ه / ١٨٤ م بقيادة ابنه المطرف ، بمبلونة وأثخن فيهم القتل والسبى وعاد الى قرطبة ، ثم عاد في العام التالى لعقاب موسى بن موسى بنطيلة ، وبدأ عبد الرحمن بحصار تطباة فأخضعها ، ثم زحف على بلاد البشكنس مرة أخارى ، ولقيه غرسية وحليفه موسى بن موسى في جموع كبيرة ، فهزمهم عبد الرحمن هزيمة شديدة ، وفار موسى وحليفه جريحين ، ودخل موسى بمبلونة ، فاضطرت نبرة لطلب الأمان والصلح (٨٨) .

وكان عبد الرحمن الثانى ايضا في حاجة الى الصاح مع نبرة ، معد أن أخبره وهب الله بن حسرم عامل أشبونة على البحر المحيط بورود مراكب النورمان لمهاجمة البلاد . فعقد عبد الرحمن الأمان لينقة ابن ونقة أخو موسى لأمه ، وأقسره على بلده ، على شرط أن يؤدى الجزية ومقدارها . ٧٠ دنسار كل عام ، كما عقد الأمان أيضا لكونت سردانية على شرط أن يرد هو وأمير نبرة (ينقه) جمدع ما بقى عندهما من سبى المسلمين من وشسقة (٩٩) .

⁽۸۷) العذري ، المصدر نقسه ، ص ۲۹ ، ۳۰ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ۷ ، ص ٦ ،

⁽۸۸) العبدری ، المصدر نفسه ، ص ۳۰ ، ابن عذاری ، المصدر نفسه ، ج ۲ ، ص ۱۲۹ ، Murphy, op. cit., p. 92. ، ۲۵۳ ، ص ۱۳۰ ، ۱۳۰ ، عنان ، المرجمع نفسه ، ع ۱ ، ج ۱ ، ص ۲۵۳ ، ۱۳۰

^{. (}٨٩) لعذري ، المصدار نفسه ، ص ٣٠ ، ابن عذاري ، المصدر تفسه ، ج ٢ ، ص ١٣٠٠ ٠

وكما قلذا لم يكسن القصد من غزوات امراء بنى اميسة الا ايقساع الرعب فى قلوب نصسارى الشمال حتى يلزموا السكينة والعيش فى سلام مع جيرانهم المسلمين ، لذلك لم يكسن لهذه الغزوات نتائج مستقرة ، وكانت تعقد المعاهدات ثم لا تلبث الحسرب أن ننشب من جديد حسب الأحوال الداخليسة لكل من البلدين .

اذ لم یکد الأمیر محمد (۲۳۸ – ۲۷۳ ه / ۲۸۸ – ۲۸۸ م) الذی تولی السلطة بعد ابیه الأمیر عبد الرحمن الثانی یفسرغ من القضاء علی ثورة طلیطلة عام ۲۶۰ ه / ۲۵۸ م ، وعلی فتنة النصاری المعاهدین فی قرطبة فی العام التالی ، وعلی خطسر النورمان الذین هاجموا شسبه الجزیره عام ۲۶۰ ه / ۲۵۸ م ، والتفسوا مع سواحلها حتی وصلوا الی نهایة نهسر أبرة ، ودخلوا نبرة واسروا ملکها غرسیه ثم اطلقوا سراحه نظسیر فدیة کبیرة ، لم یکد یفسرغ الأمیر محمد من کل تلك المشساکل حتی قام بعدة حمسلات متتابعة علی نبرة ولم تکسن قد افاقت بعد من ضربة النورمان ، ففسزا بمبلونة عام ۲۶۲ ه / ۲۸۰ م ، وخرب بعد من غرسیه أمیر نبرة ، وسجنه فی قرطبة لمدة عشرین عاما ثم اطلقه فرتون بن غرسیه آمیر نبرة ، وسجنه فی قرطبة لمدة عشرین عاما ثم اطلقه الی بلده ، وکان غرسیه فی ذلك الوقت متحالفا مع الملك أردون ملك جلیقیسة ، بینما کان موسی بن موسی القسوی فی طاعة قرطبة (۴) .

لم تكن طاعة موسى لقرطبة الا طاعة اسسمية ، اذ كان هو واولاده يسيطرون على الثغر الأعلى وكانت له علاقات مع ملك نبرة كما اشرنا ، وكانت علاقاته مع اردون ملك ليون ، جاره من الغرب ، تنردد بين الخصومة والتحالف وفقا للظروف . كما كانت علاقات نبرة بمملكة ليون يشوبها التوتر والخوف وعدم النقة ، اذ كانت مملكة نبرة الصغيرة تخشى على نفسها من مطامع جارتها القية في ليون ، ولذلك حدث أن قام موسى بن موسى ببناء حصن يسمى حصن البلدة جنوبي لوجرونيو ، وليون لوجرونيو لوجرونيو . (Logrono)

^{. (}۹۰) ابن عذاري ، المصدر نفسه ، ج ۲ ، ص ۱۶۲ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ۷ ، ص ۲۱ .

أحسد فسروع نهسر أبرة من الجنسوب ، فتقسدم أردون ملك ليسون عام ۲۶۸ ه / ۸۵۹ م وهسدم هذا الحصن وتقابل مع قوات موسى وصهره غرسية في معركة حامية ، هسزم فيهسا موسى وجسرح ، وسقط صهره فرسية قتيسلا ، ثم توفي موسى متأثرا بجراحه عام ۲۵۱ ه / ۲۸۲ م(۱۰) .

وكانت هذه الهزيمة ضربة شديدة اصابت بنى قسى فى الشهال ، وأدت الى قيام (لب بن موسى) بمهادنة أردون ومحالفته على قتال المسلمين ، كما كانت ضربة قاسية لامارة نبرة ، اذ أنها عاشت فترة ضياع لمدة حوالى عشر سنوات ، لم يظهر لها فيها اى نشاط سياسى أو عسكرى .

شغلت حكومة قرطبة بعد ذلك بثورة اولاد موسى بن موسى القسوى واستيلائهم على الثفر الأعلى كله واستعانتهم بنصارى الشمال وخاصة نبرة ونصارى سرطانية . فكان على قوات الأمير محمد أن تقضى على قوات هؤلاء المتمردين ثم تواصل سيرها لقتال نصارى الشمال ، فكانت غزوة عام ٢٥٩ ه حيث قام الأمير محمد بنفسه وحاصر بنى موسى واخضعهم ، ثم سار الى بلاد نبرة فخربها واذل اهلها وعاد الى قرطبة . وتتابعت حملات الأمير محمد على سرقسطة ومنها الى نبرة فى علمى ٢٦٠هــ٧٨م ، / ٢٦٤ هــ ٨٧٨ م ، واستطاعت حكومة قرطبة أن تسنرد مدينة سرقسطة بعد أن اشترتها بالمال من بنى قسى عام ٢٧٠ ه واعطت لكبيرهم محمد ابن لب بن موسى ولاية أرنيط وطرسونة ، فاسنقامت طاعته وقام بدور بارز فى مجاهدة نبرة بعد ذلك (٩٠٠) .

توفى الأمير محمد وتولى ابنه الأمير المندر (٢٧٣ ــ ٢٧٥ هـ / ٨٨٨ ــ ٨٨٨ م) الحكم في قرطبة ، لكن لا تذكر لنا المراجع شيئا

⁽۹۱) عنان ، الرحم نقسه ، ع ۱ ، ح ۲ ، ص ۱۶ . Livermore, op. cit., p. 83.

⁽۹۲) العذري ، المصدر نفسه ، ص ۳۱ - ۳۰ ، آبن عنظاري ، المصدر نفسه ، ج ۲ ، مى ۱۵۲ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ۷ ، ص ۱۱۶ .

عن جهساده ضدة نبرة ، ولعسل ذلك معسود الى قصر مدة حسكمه ، والى انشغاله بحسركة ابن حفصون حيث مات محاصرا له عند قلعسة ببشتر في الجنسوب .

اما الأمر عبد الله (٢٧٥ - ٣٠٠ ه / ٨٨٨ - ٩١٣ م) الذي تولى الحكم بعد أخيه الأمير المنسذر ، كان أميرا على قرطبة فقط ، اذ « لم ببق له الا الاسم فوق ظهر منبر قرطبة والقليل من غيرها » كما قال بذلك ابن الخطيب ، وكانت هناك محاولات أشرنا اليها عند حديئنا عن أحوال الأندلس في الفصل الأول من هذا الباب ، لتوحيد جهود مولدى الشمال والجنوب ضد امارة بني أمية ، وكانت رسل محمد بن لب قد وصلت الى جيان لمقابلة ابن حفصون للاتفاق على ذلك ، لكن محمد بن لب نفسه سقط في ذلك الوقت قتيلا أمام أسوار سرقسطة التي اراد أن وحصن مولة ، وقتيل وسبي (٩٥) .

وكان التجيبيون قد اغتصبوا السلطة في سرقسطة ، ولذلك اعطيت ولاية مدينة تطيلة وطرسونة الى (لب) بعد مقتل والده محمد بن لب على النحو الذي أشرنا اليه ، وقام لب هذا بدور كبر في رد هجوم المفونش الثالث وجيوش نبرة المنحالفة معه عند وادى برجة(أم) ، وهزمهم وقتل منهم الكثير ، وهاجم منطقة البة في عام ٢٩١ ه / ٤٠٩ م وفتح حصن بابش ، وفر ألفونش هاربا بعد أن سمع بقرب قدومه ، ثم صعد لب بن محمد نشاطه في ناحية بليارش شمال الثفر الأعلى في نفس العام ، وفتح هناك حصن لحرونفة وحصن ايلاس وحصن قشييل شنت وحصن مولة ، وقتل وسيبي (٥٩) .

⁽٩٣) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ج ٢ ، ص ٢٧ .

⁽٩٤) وادى برجة حصن يقع الى غربى مدينة طرسونة وهسو غير مدينة Berga التى تقع في شمال شرمى الثغر ، أنظر الخريطة رقم ٤ .

⁽٩٥) العذرى ، المصدر نفسه ، ص ٣٧ ، ابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج ٢ ، ، ص ٢١٢ ، ه

ويبدو أن هذه الانتصارات قد شجعت لب بن محمد على مواصلة النضال ضد نبره التى دخلت فى عهد ملك جديد هو شانجة غرسية الأول (٢٩٣ – ٢٩٣ ه / ٩٠٥ – ٩٢٦ م) ، فواصل لب بسن محمد نشاطه وأخذ فى بناء حصن هرين بالقرب من نبرة ، فجمع له ملك نبرة الجموع واستعان بالسرطانيين ونسبوا له الكهائن واستدرجوه اليها حتى قتلوه عام ٢٩٤ ه / ٩٠٧ م (٨٠٠) .

وقد ظن ملك ندرة أنه تخلص من مقاومة الثغر الأعلى بعد قضائه على لب بن محمد ، لكنه لم يعلم أن هناك من يستطيع رده على أعقابه ، اذ أن محمد بن عبد الملك الطويل ، زعيم أسرة بنى الطويل المولدين أيضا مال الى التعاون مع أسرة بنى قسى ، وقام فى العلم النالى بغرو بريطانية ، تم غرا منطقة بليارش فى على ٢٩٦ ـ ٢٩٧ ه ، وهدم حصونها وقتل وسبى أكثر حتى كان مبلغ الفيء ١٣ ألفاراله) .

وفي عام ٢٩٨ هـ / ٩١١ م ظهر التعاون المسترك بين بنى قسى وبنى الطويل ضد نبرة ، اذ خرج محمد بن عبد الملك الطويل الى أرغونة في طريقه الى بمبلونة حيث يلتقى هناك مع قوات عبد الله بن محمد بن لب الذي كان تد خلف أخاه لب بن محمد في حكم تطيلة عمام ٢٩٤ ه ، ولما أحس ابن الطويل بتحرك قوات ملك نبرة تخاذل وعمد أدراجه ، ولما بلغ عبد الله بن لب ذلك عماد هو الآخر من حيث أتى ، بعد أن كان قد حصن لوازة من حصون شانجة ملك نبرة ، وبذلك لم يتمكن ابن الطويل وابن قسى من القبام بعمل ناجح ضد نبرة في تلك الغزوة ، لكنهما استمرا بعد ذلك في النضال ضد نبرة مؤيدين من حاكم قرطبة الجديد الأمير عبد الرحمن (٩٥) ، الذي نلقب فيما بعد بالخليفة عبد الرحمن الناصر ،

⁽٩٦) المعدري ، المصدر نفسه ، ص ٣٧ ، ٣٨ ، ابن عداري ، المصدر تفسه ، ج ٢ ، ص ٢١٥ .

⁽۹۷) ابن عبداری ، البیان المغرب ، ج ۲ ، ص ۲۱۹ ، ۲۱۹ ،

⁽۹۸) ابن عداری ، المسدئر نفسه ، ج ۲ ، ص ۲۲۱ ۰

٣ _ عــ اللقة مأــراء بني أمية بامارة قطلونيــة (برشلونة) :

بعد سقوط برشلونه في يد لويس التقى بن الامبراطور شرلمان عام ١٨٥ ه / ١٨٨ م ، قامت امارة جديدة نصرانية في الشمال الشرقي للشبه الجنزيرة وسميت هذه الامارة باسم قطلونية وعاصمتها برشلونة ، واصبحت مدخلا للنفوذ الفرنسي الى البلاد من ناحية الشرق ، كما كانت غسقونية مدخلا للنفوذ الفرنسي من ناحبة خلبب بسكاية عند اطراف جبال البرنات الغربية ، وكانت هذه الامارة الصغيرة شوكة في ظهر الثغر الأعلى ، كما انها أصبحت عائقا للشورات الاسلامية اذا ما حاولت التسلل الى جنوب بلاد الفرنجة ، ولم تنس هذه الامارة الصغيرة دورها في مساندة نصاري الشمال الأسباني ضد المسلمين ، فأصبحت تغير بقواتها على أطراف الثغر الأعلى ، وتتصل بنصاري سرطانية بريطانية ، وتشجعهم على غرو أراضي المسلمين في بنصاري المنطقية أو أراضي المسلمين في المنطقة المنطقة المنطقة الشغراد الأعلى ، وتتصل المنطقة المنطقة

وعبثا هاول الأمير الحكم الربضى أن يسنرجع برشلونة وتبادل الهجمات عام ١٨٩ هـ / ٥٠٥ م مع قوات الفرنجة ، وانتهى الأمر بعقد الصلح بين لويس بن شرلمان الذى كان قد خلف أباه على عرش فرنسا (١٩٩ – ٢٢٦ هـ / ١٨٤ – ١٨٠ م) ، وبين الحكم الريضى عام (١٩٠ هـ / ٢١٨ م) ولم يدم هذا الصلح الا أعواما قليلة . ذلك أن الفرنج في قطلونية أو الثغر القوطى كما يسميه البعض أغاروا بعد ذلك بحوالى عشر سذاوت وفي عهد الأمير عبد الرحمن النانى ، على أطراف الثغر الأعلى بقيادة أميرهم برنارد بن جيوم دوق تولوز ، بعد أن ثار ضده أيرون Aison وهو أحد النبلاء المنحدبين من سلالة القوط في اقليم برشلونة سنة سنة ٢٠٩ ه / ١٢٨ م واستولى على عدد من المدن والحصون مثل أوسونة ، واستنجد بالأمير عبد الرحمن الثسانى ضدد الفرنجة المنافية القوط - المدن والحصون مثل أوسونة ، واستنجد بالأمير عبد الرحمن الثسانى

⁽۹۹) رينو ، الرجع نفسه ، ص ۱۳۲ ، الفصل الثانى ، الباب الأول (۹۹) عنان ، تاريخ العرب في أسبانيا ، ص ۸۶ ، ۸۸ .

انتهزت قرطبة الفرصة ، وارسل الأمير عبد الرحمن قريبه عبيد الله ابن عبد الله البلنسى على رأس جبش الى برشلونة عام ٢١٢ ه / ٢٨٧ م ، فاستمات حاكمها برنارد فى الدفاع عنها ولم يمكن المسلمين من فتحها ، فاضطر عبيد الله الى رفع الحصار عنها ، واجتاح ولابة قطلونية حتى وصل الى جرندة فى أقصى المسلمال ، وأقام هناك شهرين ، ثم عاد الى قرطبة بعد أن فرق شمل النصارى فى تلك الأنحاء . لكن لم ينتج عن حملته هذه فتوحات ثابتة ، ولم يعاود الأمير عبد الرحمن مهاجمة برشلونة الاسنة ٢٣٤ ه / ١٨٠ م بعد وفاة الملك لويس التقى بن شراكمان بحوالى ٢ سنوات (١٠٠٠) .

كان الصراع دائرا بين شارل الأصلع (٢٢٦-٢٦٥ ه / ١٨٠-٨٥٨) الذى تولى العرش بعد وفاة والده لويس التقى ، وبين ابن أخيه ببين الثانى ملك أكستانية على عرش البلد ، وطلب ببين مساعدة المسلمين ، وارسل كونت طولوزة (تولوز) المسمى غليوم الى قرطبة ، فأرسل الأمير عبد الرحمن جيشا بقيادة حاجبه عبد الكسريم بن مغيث الى برشلونة تمكن من اخراج عمال شارل الأصلع من معظم مدن قطلونية ، وعين غليوم حاكما لبرشلونة ، واجتاز المسلمون جبال البرنات وحاصروا مدينة جسرندة الواقعة على مدخل تلك الجبال وعائوا في نواحبها ، ثم عادوا الى قرطبة على مدخل تلك الجبال وعائوا في نواحبها ، ثم عادوا الى قرطبة والمينة والمينة وعائوا ألى المينة على مدخل الله المينة وعائوا ألى المينة على مدخل الله المينا وعائوا ألى المينا و المينا

ويبدو أن شارل الأصلع تمكن من انزال الهزيمة بمعارضيه ، اذ أنه استطاع أن يقتل غليوم كونت برشلونة لمساعدته المسلمين وفتح أبواب برشلونة لهم ، فأرسل الأمير عبد الرحمن في أواخر سنى حكمه جيشا لمعاقبة أهل مدينة برشلونة لعدم وقوفهم بجانب غلبوم ومنعه من القتل ، ومع ذلك أخذت برشلونة تنهج خطا معاديا لحكومة قرطبة ، مما جعل الأمير

⁽۱۰۱) ابن عبذااری ، المصدر نفسه ، ج ۲ ، ص ۱۲۶ ، ابن الأثیر ، الكامل ، ج ۲ ، ص ۱۲۶ ، السید عبد العزیز سالم ، المرجسع نفسه ، ص ۲۳۹ .

⁽۱۰۲) المقری ، نفع الطیب ، ج ۱ ، ص ۱۹۲ ، ابن خلدون ، العبو ، ج ٤ ، ص ۱۳۰ ، رینسو الرجمع نفسه ، ص ۱۵۹ ،

مخمسد الذى تولى الحكم فى قرطبة بعسد عبد الرحمن الثسانى يكتب الى موسى بن موسى القسوى عامله على الثفسر الأعلى بأن يحشسد جيشسه ويفسزو برشلونة . فدخلها موسى عام ٢٤٢ ه / ٨٥٦ م وحارب قلاعها ، وتجاوزها الى ما وراءها حتى انتتح حصن طراحة وهو آخسر حصسون برشلونة ، ثم عساد الى سرقسطة غانما منتصرا(١٠٠٠) .

ويبدو أن غرنجة برشلونة عادوا للاغسارة على اطسراف الثغر الأعلى مما أجبر الأمير محمد أن يرسل جبشا ، تخسر عام ٢٤٧ ه / ٨٦١ م تمكن من دخسول برشلونة ، فأرسل أهلها الى ملك الفرنجة يطلبون الغسوش فأمدهم بجبش جسرار ، وكذلك طلب المسلمون المسدد من قرطبة فوصلهم ، واقتال الطسرفان وانهسزم الفرنجة واستولى المسلمون على أرياض المدينة وعلى برجين من أبراجها وقتلوا كثيرا من الفرنجة وعسادوا الى قرطبة غانمين (١٠٠) .

وازاء هذه الحمسلات المتكررة على برشلونة ، اضطر المسلك شارل الأصلع ملك فرنسا أن يوقع الصلح مع الأمير محمد عام ٢٥٠ ه / ٨٦٤ م ، والنزم شارل في هسذا الصلح بألا يعود الى مساعدة من يخسرج عن الطاعة من نصارى أسبانيا ، وتنازل الأمير محمسد عن برشلونة وغسيرها من مدن قطلونية ، ولم يعسد المسلمون يتصدون لمحاربة ملوك فرنسسا منذ ذلك الوقت محاربة مستمرة أو منتظمة ، ذلك أنهم كانسوا يضطرون أحيسانا للاغارة على هذه المنطقة ، واحيانا يصلون الى جبال البرنات ، حتى انه ماجر بعض الأساتفة من هناك خونا على انفسهم من هجمات المسلمين (٥٠٠).

⁽۱۰۳) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٧ ، ص ٢٠ ، الزرابي ، قرة النفسوس ، ج ٢ ، ص ١٩٧ ، البن عداري ، الصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ١٤٤ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٧ ، ص ٢٨ ٠

۱۰ (۱۰۶) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٧ ، ص ٣٧ ٠

⁽۱۰۵) الزرابي ، المرجع نفسه ، ج ۲ ، ص ۱۹۷ .

وقد حدث ما توقعه المسلمون اذ ان اسماعيل بن موسى القسوى صاحب تطيلة كان قد شرع فى بناء مدينة لاردة أو زيادة تحصينها وذلك فى عام ٢٧٠ ه / ٨٨٣ م ، فحاول صاحب برشلونة الفرنجى أن يمنعه من ذلك وتقدم على رأس جيشه لتحقيق هذا الهدف ، لكن اسماعيل هزمه وقتل أكثر رجاله ، ومعروف أن لاردة على مسافة قريبة من برشلونة فخاف كونت برشلونة من هجمات مسلمى لاردة اذا مم لهم تحصين مدينتهم (١٠٠١) .

وكانت امارة بنى أمبة نعانى اثد المعاناة فى تلك الفترة من حياتها بسبب الثورات الداخلية المى أشرنا البها من قبل ، مما أطمع أمراء تلك الامارة الصغيرة فى بلاد المسلمين ، حتى أنهم تجرءوا وأرسلوا حملة بحرية من خمسة عشر سفينة حربية ، أغارت على ساهل المرية عام ٢٧٦ ه واحرقت كثيرا من السفن الاسلامية الراسية هناك ، فخرج أهل بجانة من رجال البحر وقاوموا الغزاة ، حتى تم الصلح على أن يقلع هؤلاء الغزاة وألا يعودوا مرة أخرى(١٠٠٠) .

ويبدو أن قائد الأسطول الفرنجى كان ابنا لكونت برشلونة ، ذلك أن لب بن محمد القسوى صاحب النفر الأعلى كان قد أغار بعد ذلك في عام ٢٨٤ ه / ٢٨٧ م على حصن أورة من أحواز برشلونة ، والتقى هناك بكونت برشلونة عنقديد والد شنير فهرمه وقتله ، وتولى شنير حكم برشلونة ، وكان شينير هذا هو صاحب الحملة البحرية السالفة الذكر (١٠٠٠) .

⁽١٠٦) ابن خلسدون ، المعبر ، ح ٤ ، ص ١٣٢ .

⁽۱۰۷) الدازی بروایة ابن حیان ، المقتبس ، ج ۳ ، ص ۸۸ ، ۸۹ .

⁽۱۰۸) الرازي برواية ابن حيا ، المقتبس ، ج ٣ ، ص ١٢٦٠

ظل شنير Sunler حاكما لبرشلونة حتى عام ٢٩٩ ه / ٩١٢ م حينما أغار عليه محمد بن عبد المسلك الطسويل ، ولمسا وصسل ابن الطويل الى وادى طراحة قرب برشلونة كان شنير قد سبقه وكبن له فى صياصى الجبال ، لكن ابن الطويل تمكن من هزيمته وقثل كثيرا من رجاله ، ثم دارت الدائرة بعسد ذلك على ابن الطسويل حيث قتل فى العسام التالى خسلال غسزوة اخرى قام بهسا فى قطلونية ، فخلفه أولاده فى حسكم أراضيه . وهسكذا بقيت برشلونة وما يليهسا من قطلونية خارجة عن حكم المسلمين ، حتى فى زمن عبد الرحمن الناصر برغم كثرة غسزواته وعظم دولته كمسا سنرى فيمسا بعسد (١٠٩) .

⁽۱۰۹) ابن عداری ، المصدر نفسه ، ج ۲ ، ص ۲۲۶ ، شکیب ارسسلان ، الحلل السندسیة ، ج ۲ ، ص ۲۱۲ ، عنال ، دولة الاسلام فی الانداس ، ع ۱ ، ج ۲ ، ص ۶۹ .

التياب الشافي

العلاقات السياسية بين الأندلس الإسلامية وأسبانيا النصرانية في عضر خلفاء بني أمسية

الفصل الأول: الظروف والعوامل التي أثرت في العالاقات بين الأندلس الاسالامية واسابانيا النصرانية في عصر خلفاء بني أمية .

الفصل الثانى : مظاهر العسلقات السياسية بين الأندلس الاسلامية واسبانيا لانصرانية في عصر خلفاء بنى امية .

الفصل الأولب

الطروف والعوامل التى أثريت فى العلاقات بين الأندلس الإسلامية وأسبانيا النصرانية فى عصر خلفاء بنى أسيّة

أولا ــ ظروف الأندلس الاسلامية وأحوالها المؤثرة في علاقتها باسبانيا النصرانيسة

انتهى عصر الأمير عبد الله عام ٣٠٠٠ ه / ٩١٣ م ، وكانت الأندلس الاسلامية يطبق عليها ملوك جليقية ونبرة وبرشلونة من الشمال ، وابن حفصون من الجنوب ، وابن مروان الجليقى من الغرب ، وقام الشوار الآخرون من المولدين والعرب والبربر بالسيطرة على أجزائها الباقية ، حتى كان الأمير الأموى في بعض الاحيان لا نفوذ له الا على قرطبة وحدها . ومع ذلك جاهد أمراء بنى أمية الأواخر ما وسعهم الجهاد ، وصمدوا حتى نناح لهم الفرصة لصد هذه الموجة العاتية من التمزق والسقوط والضياع ، وتوج كفاحهم بما قام به عبد الرحمن الناصر من المهد هذا الشتات واعادة الوحدة الى البلاد مرة أخرى .

لقد انقد الناصر الأندلس من نفسها ، كما انتذها من براثن السيطرة النصرانية من ملوك جليفية ونبرة ، ورفعها الى مرنبة الدولة العظمى التى يخطب ودها الشرق والغرب ، وحقق لها السلام والازدهار والرفاهية في الداخل ، والانتصار والاحترام في الخارج ، وكان الناصر منذ توليه الحسكم يحارب معركتين في وقت واحد ، معركة مع نصارى الشمال الأسباني الذين راوا أن يجهضوا قوة هذا الأمير الشاب وينالوا منه قبل أن يستكمل قوته ، ويتخلص من مشاكله الداخلية ويستدير لهم ، ومعركة مع ثوار الأندلس الذين ورثهم من عهود من سبقه من الأمراء ، وانتصر الامير عبد الرحمن في المعركتين ، وأعلن قيام الخلافة الأموية في الأندلس في ذي الحجة عام ٣١٦ ه . (')

⁽۱) ابن عداری ، البیان المغرب ، ۲ ، ص ۲۲۰ ،

فقد أحس عبد الرحمن الناصر بالقوة ، وأراد أن بدعم مركزه السباسي أمام أعدائه في الداخل والخارج ، وخاصة بعد أن ترامي اليه ما نال الخلافة العباسية بالمشرق من حجر الموالي واستبدادهم بالخلفاء وقيامهم بعزلهم وقتلهم ، كما لاحظ أيضا قيام الخلافة الفاطمية في المغرب ، وتسرب دعوتها الى الأندلس ذاتها ، مما جعله يعلن قبام الخلافة الأصوبة في قرطبة ، وأمر بالدعاء له على المنابر بأسلم « الاملم الناصر لدين الله عبد الرحمن أمير المؤمنين » وضرب النقود بهذه الألقاب (٢) .

وكما فعلنا في الباب السابق ، والقبنا نظرة عامة على أحوال بلاد الأندلس والشمال الأسباني لنعرف عوامل القسوة والضعف التي أثرت في العلاقات بينهما ومكنت أولئك أو هؤلاء من احراز تقسدم أو كسب انتصار ، علينا أن نفعل الآن نفس الشيء بالنسبة لهسذا العصر ، عصر الخلافة الأموية ، لنعرف كيف تحولت الهزائم في عصر الامارة الاخير الى انتصارات في عصر الخلافة ، وكيف تحولت الأندلس ، من أندلس ابن حفصون وابن مروان الجليقي وبني قسى وغيرهم ممن قطعوا أوصالها ، الى الأندلس الموحدة القوية ، الى أندلس عبد الرحمن الناصر .

١ ـ سمات عصر الخسلافة:

وقد اتسم هذا العصر بسما تمعينة بالنسبة لعلاقات مسلمى الأخدلس بممالك أسبانيا النصرانية ، فقد كان العصر عصر قوة في عهد عبد الرحمن الناصر (٣٥٠ – ٣٦٦ ه) ، وقد استخدم الناصر قدوة الدولة في ارهاب ممالك أسبانيا النصرانية وفي اجبارها على الخضوع وطلب السلام ، لكنه لم يعمل على القضاء عليها أو تدميرها تدميرا تاما ، فقد كان معتدلا في استخدام قوته ، مدركا أنه لا يمكن القضاء على تلك الممالك التي نشأ بعضها منذ أن تواجد المسلمون أنفسهم على أرض تلك البلاد، ومن ثم فقد ساد السلام بسين الأندلس وأسبانيا النصرانية طوال السنوات الاخيرة من حكمه وطوال عهد ابنه الحسكم المستنصر ،

⁽٢) ابن خلسدون ، مفسدمته ، ج ٢ ، ص ٥٨٠ ، ١٨٥ .

وقد استمر عصر القدوة في عهد الدولة العامرية (٣٦٦-٣٩٩ هـ) رغم ما إنتاب الخلافة نفسها من ضعف بسبب استبداد المنصور محمد بن ابى عامر بشئون الحكم وحجره على الخليفة الطفل هشام المؤيد بن الحسكم المستنصر (٣٦٦-٣٩٩ هـ) . لكن المنصور وابنه عبد الملك المظفر اسرفيا في استخدام قدوة الدولة ووجهاها لتحطيم ممالك اسبانيا النصرانية ، وصلت قوات المنصور الى أماكن لم تصل اليها جيوش اسلامية من قبل ، ودك عواصم ممالك نبرة وليون وبرشلونة ، وخرب كثيرا من بلدانهم و مدنهم وقراهم ، وصار سيد الجزيرة كلها بالسيف والقهر وسفك الدماء .

وقد تنفس نصارى الشمال الأسبانى الصعداء عند سماعهم نبأ موته ، وانتهزوا فرصة سقوط دولة بنى عامر عام ٣٩٩ ه ، وقيام الصراع بين خلفاء بنى أمية الأواخر ، وتدخلوا فيما بينهم ، وأعانوا فريقا ضد فريق، الليونية أو البرشلونية . واتسمت هدنه الفترة بتلك الظاهرة ، حتى استقر الأمر لبنى حمود ، وأعلنوا قيام الخلافة العلوية في قرطبة عام ٧٠٤ ه ، حتى صار الخليفة الأموى لا يصل الى كرسى الخلافة الا على أسنة الحراب فترك نصارى الأسبان مسلمى الاندلس يأكل بعضهم بعضا ، ويقتتل بنو حمود مع بنى أمية ، ويقتتل بنو أمية مع بعضهم البعض للوصول الى كرسى الخلافة ، حتى سقطت خلافة بنى أمية نهائيا عام ٢٢٤ ه / ١٠٣٠ م وظهر عصر جديد يعرف بعصر ممالك الطوائف .

وعصر الخلافة الأموية كما رأينا بدأ قوبا فيما يتعلق بالعلاقسات مع أسبانيا النصرانية ، واستمر كذلك طوال القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى ، ومع بداية القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى ، تغيرت الأحوال بسقوط دولة بنى عامر ، وقيام الفتنة البربرية ، وبدء الصراع على كرسى الخلافة ، والتماس المساعدة من ممالك أسبانيا النصرانية التى رأت أن الفرصة مواتية لكى تأخذ بثأرها من أحفاد الناصر والمستنصر والمنصور ، ونشطت للقضاء عليهم ، وتقدمت حركة الاسترداد خطوات واسعة للأمام .

وقد كانت هناك عوامل معينة ادت الى موقف القوة في العلاقات مع نصارى الشمال طوال القرن الرابع الهجرى ، وعوامل أخرى أدت الى موقف الضعف في العلاقات مع هؤلاء النصارى بدءا من القرن الخامس المهجرى وحتى سقوط الخلافة عام ٢٢٦ ه .

٢ _ عوامل القوة وأثرها في العلاقات مع أسبانيا النصرنية:

أما عوامل القوة ، فقد كان أهمها هو وحدة الجبهة الداخلية التى تحققت لأول مرة على يد عبد الرحمن الناصر بعد فترة من التفكك والانقسام أشرنا اليها في حديثنا عن أحوال الاندلس في أواخر عصر الامارة ، وكان النامر قد ورث بلادا مهزقة الاوصال مفتتة القوى ، فالثفر الإعلى لا سرقسطة) تقاسمه بنو تجيب العرب ، وبنو قسى وبنو الطوبل من المولدين ، وماردة وبطليوس والغرب الأندلسي كله كان تحت سيطرة ابن مروان الجليقي ، وجنوب الاندلس كان في قبضة عمر بن حفصون ، وكانت البغضاء بين عنامر السكان من عرب وبربر ومولدين وبين المسلمين والنصارى ، قد هذرت كيان الدولة وزعزعت حكم بنى أمية حتى أوشك على الزوال (") ،

وكانت هــذه الاوضاع تتطلب قائدا حكيما موصوفا بالشجاعة والدهاء، وقسد توافرت تلك الصفات في عبد الرحمن الناصر الذي اتبع تجاه أعدائه في الداخل سياسة تنسم بالاعتدال والمداراة واللين حينا ، وبالقوة والحزم والحسم حينا آخر ، فكان يحاربهم ويحاصرهم ويجبرهم على التسليم ثم يعفو عنهم ، ويسكنهم بجواره في قرطبة ويجزل لهم العطاء ، ويوفر لهم الحياة الكريمة ، حتى لا يفكروا في التمرد والعصيان مرة أخرى ، لم يكن يقتلهم أو يستل عيونهم أو يلقيهم في غياهب السجون كما كان يفعل ملوك ليون ونبرة ، ولكنه كان رحيما حتى بأعدائه ، واذلك أحبوه واحترموه ولم ينكروا في نقض تعهداتهم معه ، ولو حدث ذلك لم يكن الا بتأثير اسبانيا لنصرانية واغرائها لهم بالعودة الى العصيان والتمرد .

⁽٣) لبن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ص ٢٦٤ ، ٥٦٥ ، ١٦٨ ٠

وقد ساعد الناصر أيضا في توحيد الجبهة الداخلية ، ما اتبعد من سباسة حكيمة تجاه الشعب والجيش ، فلم يتبع أسلوب الارهاب والاستبداد المطلق في حكمه للبلاد ، صحيح أنه حتق للدولة منتهى الأبهة والفخامة والقوة والسلطان ، وأصبحت مرهوبة الجانب شديدة البأس ، لكن ذلك لم يكن الا على اعدائها من نصارى الشمال الأسباني الذين بلغت رهبة الخلافة في نفوسهم أن ملوكهم كانوا يقبلون الارض في مجلس الخليفة عندما كانوا يفدون عليه طلبا للسلام () .

اما أفراد الشعب ، فلم يكونوا يحملون في قلوبهم الا شعورا بالحب والهيبة والتقدير نحو خلفائهم الذين حققوا لهم الرفاهية في الداخل ، والنصر على الاعداء في الخارج ، واتبعوا العدالة في حكمهم حتى أن بعض الفقهاء اشتط في نقدهم وتأنيبهم ، لأنهم غالوا في أقامة العمائر والقصور، وفي الاسراف في تزيينها ، فلم يقدم هؤلاء الخلفاء على ايذائهم أو عزلهم ، ليس خوفا منهم كما قال البعض ، ولكنها سنة أخذ بها بنو أمية انفسهم، لعلمهم بأن هذه البلاد المتنوعة المشارب المتعددة العناصر السكانية ، لا تجمعها القوة فقط ، ولكن العدل واحترام الشرع والعمل بأقوال الأثمة والفقهاء واحترامهم هو الذي يحقق وحدتها ، وهو السبيل لبيادتها(")،

وقد أدت تلك السياسة الى امتزاج عناصر السكان تدريجيا ، ووجد ما يسمى بالشعب الأندلسى الذى أصبحت له خصائصه التى تميزه عن غيره من الشعوب الأخرى ، والذى وقر في قلبه حب بنى امية ، واصبحو في نظره هم الحكام الشرعيون ، وكل من حاول أن ينال منهم كان يضع هده الحقيقة في الحسبان . وحدث أن حاول المنصور بن أبى عامر د ذلك الزعيم القوى الذى فرض سلطانه على سكان شبه الجزيرة جميعا ،

⁽٤) المقرى ، نفع الطيب ، ج ١ ، ص ٩٩ ، ج ٢ ، ص ٢٥٨ ، أزاهر الرياض ، ج ٢ ، ٣٠ ٠ ٢٧٢ ٠

⁽٥) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ج ٢ ، ص ١٤٦ ، المفرى ، نفح المطيب ، ج ١ ، ص ٩٩ أزهار الرياض ، ج ٢ ، ص ٢٧٨ ، كامل كيلاني ، نظرات في تناريخ الأدب الأندلسي ، ص ٢١٧ .

مسلمين ونصارى ان يقصى بنى أمية عن كرسى الخلافة الكنه لم يستطع ذلك الأنه خشى غضبة الشبعب وتأييد هلبنى أمية وكان هذا هو السر في أنه أوصى أولاده الا يمتهنوا الخليفة وأن يصونوا حقوقه في الخلافة حتى لا يصطدموا بالشبعب وللسلام الخليفة وأن يصونوا عبد الرحمن شنجول المحيد الخليفة هشام المؤيد على مبايعته بولاية عهده النفرت الثورة ضده وأطاحت برأسه وبدولة بنى عامر معا(١))

لم يكن بنو عامر اذن طفاة مستبدين كما وصفهم البعض مستدلين على ذلك بقتل الناصر لابنه عبد الله الدى تآمر عليه عام ٣٣٩ ه (٧) أو بموقفه من العرب الذين استراب منهم ، واستعانته بالعناصر الأجنبية من الصقالبة الذين وثق بهم وولاهم أهم الوظائف في الجيش والحكومة . لكن فات هؤلاء جميعاً أن يعرفوا طبيعة العصر وطبيعة الشعب ، ووضع الدولة الأندلسية التي كان يحيط بها الأعداء من شمالها وجنوبها ، وفاتهم أيضا ماذا كان يحدث للاندلس لو نجح عبدالله في مؤامرته وقتل أباه ، ذلك الخليفة العظيم الذي رأب الصدع واعلى كلمة الاسلام ، حتى قال البعض أن هذا العصر بدلا من أن يكون من حكام العصور الوسطى (^) .

وكان الناصر مضطرا للاستعانة بالعناصر الاجنبية في الجيش لكي يوازن بهم العرب من ناحية واهل الاندلس من ناحية اخرى ، حتى يضمن ولاء الجميع له ، وحتى لا يطغى عنصر على الآخر ، ولم يخص أى حزب من

⁽٦) ابن الخطيب ، آلمسطر تنسه ، ج ٢ ، ص ٨١ ٠

⁽۷) ذكر ابن الأبار أن تنتل عبد الله كان عام ٣٣٨ ه ، بينما ذكر بن سعد المغربي أنه كان عام ٣٣٩ ه ، وهو التساريخ الذي أحسنها به ، لأن ابن سسعيد يدقل عن ابراهيم بن القاسم المعروي المعروف بالمرفيق ، وهسو من مؤرخي المعرن الراسع المهجري ، مهو معاصر لعسد الرحمسان الناصر ، أنطر ، ابن الابار ، الحلة المسيراء ، ج ١ ، ص ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ابن سسعند ، المغرب في حلى المغرب ، ج ١ ص ١٨٦ ، ١٨٨ .

⁽A) ابن سعید ، المصدر نفسه ، ج ۱ ، ص ۱۸۵ ، ۱۸۸ ، ابن الأبار ، المصدر نفسه ، ح ۱ ، ص ۲۰۲ ، ۲۰۸ ، النصولی ، الدولة الأموية في قرطبة ، ص ۱۲۱ .

هذه الاحزاب بميزة ، أو رفعه دون غره كما قال البعض لكنه شدد الضغط على العرب بسبب ماكانوا يشرونه من عصبية . والحقيقة أن العصبيات كانت سر بلوى الاندلس ومصيبته ، وكانت السبب في اشعال نار الفتنة بين عناصر السكان في عصر الامارة ، وقبله في عصر الولاة كما سبق القصول (^) .

لم يقض الناصر على ناوذ العرب في الجيش قضاء تأما ، وانها أقسام الى جانبهم عنصر الصقالبة حتى يضون نجاح السياسة التى أشرنا اليها ، ولم يقض الناصر على النظام القبلى في الجيش، ولكنه أوجد نظام الجيش الدائم ، الذي كان يرابط دائما في العاصمة ، والذي كان ينكون أساسا من الصقالبة ، أما في الولايات والثغور ، فهناك الجبوش القبلية التى تهب وقت الحاجة عند استنفار الخليفة لها ، تحت قبادة قوادها وتتجمع عند نقطة معينه ، وتنطلق جميعا للفزو أو لرد اعتداءات النصارى ، وبذلك كان لدى الناصر الجبش النابت الدائم الذي يأخذ عطاءه روانب شهرية ، والجيش القبلى الذي عطاءه من ريع ما تحت يده من ارض ، ويهب فقط عند استدعاء الخليفة (۱) .

وأدى هذا النظام الذى أوجده الناصر الغرض منه تماما . اذ لم بستطع العرب انارة المشاكل أمام الناصر ، ومشوا في ركابه مستفيدين مما بتيحه لهم من المغانم والاسلاب ، وما يحقه لهم من الانتصارات والفتوحات، وظلوا مقيمين على الطاعة ، ينهضون للغزو عند أول اشارة غولسم يستطع الصقالبة أن يقوموا بأى تحركات قد تثير الناصر أو تدفعه الى التخلص منهم أو استبدالهم بقيرهم ، بل أقاموا على انطاعة وأخلصوا الطوية ونالوا أرفع المناصب وأعلاها ، مما أثار عليهم حقد العرب ، وجعلهم يتخلون عن الناصر في واحدة من أكبر غزواته عام ٣٢٧ ه / ٩٣٩ م ، وأسلموه للهزيمة ، لانه جعل قيادة الجيش في يد نجدة الصقلبي . وكان هذا

⁽٩) الين بول المرجم نَفسه ، ص ٩٧ ، حسن محمود ، المرجم نفسه ، ص ١٣٦ .

⁽١٠) ابن حسوقل ، صسورة الأرض ، ص ١١٣٠

مؤشرا يدل على الحقد الدنين بين هذين العنمرين ، ولولا قوة شخصية خلفا القرن الرابع الهجرى ، لتحول هذا الحقد الى صراع دموى ، كما حدث في بداية القرن الخامس الهجرى ابان المنتنة البربرية واطاح بالدولة وبالخلافة في النهاية .

بهذه السياسة التى اتبعها الناصر في معاملة أعدائه داخل الاندلس ونحسو الشعب والجيش ، استطاع أن يوحد الجبهة الداخلية (١١) ، وأصبح

(١١) أَقْتَضَى توحيد آلجِبِهة الداخلية أن يقَسوم النّاصر بالقضاء على حيوب المساومة الداخلية والحركات الانفصالية التي شملت معظم أنحاء الاندلس في عصر الامارة •

وكان من أشهر هذه الحركات ثورة بنى حفصون ، وقد تضى عليها الداصر عام ٣١٥ م ٠ أنظر ، ابن عدارى ، الببان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٦٢ ، ٢٦١ ، ٢٧١ - ٢٧٠ ، ٢٧٠ ، ٢٧٠ ، ١٠٠ ، ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ٢ ، ص ٣٦٩ ، ٣٧٤ ، ٣٧٠ . ٣٧٠ .

كما قضى الناصر على ثورة أهمل طبيطة التي كانت قمد استفلت بشئونها وحاولت الثورة في عهد الناصر بتشحيع ملوك ليون ، لكن الناصر قضى على ثورتها عام ٣٢٠ ه ، النظر ، بن عبد ربه ، المصدر عدارى ، المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٣٠٣ م ٣٠٠ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ابن عبد ربه ، المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٣٧٠ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ٣٠١ .

كما عضى الناصر على ثورة ابن مروان الجليمى بغربى الأنطس عام ٣١٨ م ، وكان الجليقى قد استمل بمساردة وبطليوس ، واستعان فى ذلك بملوك ليون ، انظر ، ابن عبد ربه ، المسدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٣٠٥، ، ٣٠٠ ، ٣٠٣ ،

أما المتمردون من المولدين والعرب الذين استقلوا بالشغر الأعلى (سرقسطة) وتقاسموه فيما بينهم ، وتحالفوا مع ملوك نبرة ولايون أحيانا ، ودانوا بالطاعة للامارة الأموية ثم للخلافة أحيانا أخرى ، علم يتركهم الناصر الا بعد أن أخصعهم .

لاخضاع بنى قسى ، انظر ، ابن حزم ، جمهرة انسانب العرب ، ص 373 ، 174 ، المسدرى ، بصوص عن الأبدلس ص ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٤ ، ٤٤ ، ابن عذارى ، المسدر نفسسه ، ٦٣ - ٦٣ ولاخضاع بنى تجيب العرب ، أبظر ، ابن حزم ، المسدر نفسه ، ص ٤٠٤ ، ٥٠٠ ج ٢ ، ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ ولاخضاع بنى الطويل ، أنظر ، المسترى ، المسدر نفسه ، ص ٤٠ ، للمسترى ، المسدر نفسه ، ص ٤٠ ، ٢٠ ٠ ،

في سعة من أن يتفرغ لجهاده ضد ممالك أسبانيا النصرانية الذين لم يتيحوا له فرصة لالتقاط أنفاسه ، وظل يصارعهم حتى صرعهم ، وأملى ارادته عليهم وأتوا اليه خاضعين مستسلمين ، يعلنون الطاعة والولاء ، وصار الناصر بذلك سيد شبه الجزيرة كلها ، شمالها وجنوبها ، مسلميها ونصاراها وصارت الاندلس في عهده قبلة الانظار ، ومحط السفراء من جميع أنحاء العالم .

ومن عوامل توة الأندلس في عهد الخلافة أيضا اخضاع مناطق الثغور للخلافة ، واستخدامها كتواعد لضرب ممالك اسبانيا النصرانية حتى لا توجه الاسرات الحاكمة في نلك النفور ، نشاطها ضد قرطبة كما حدث في عهد الامارة ، وحتى لاتكون سوطا في يد نصارى الشمال ، يلهبون به ظهر قرطبة متى أرادوا .

وكانت مناطق الثغور الاسلامية نقطة ضعف في كيان دولة الاندلس . ففي عصور الضعف ، كان حكام تلك الثغور يستقلون بها ، كما حدث فيأواخر عصر الامارة ، وفي بداية عصر الخلافة ، وكما حدث عقب انهيار دولة بني عامر في القرن الخامس الهجرى فيما يسمى بممالك الطوائف ، وفي عصور القوة كان حكام تلك الثغور يقفون بين حكام قرطبة وبين حكام ليون ونبرة وبرشلونة ، يستعينون باحدهما ضد الاخر ، ويضربون هذاك ، ويتحالفون مع طرف ضد الطرف الاخر ، حفاظا على مصالحهم كما سبق القدول ، ومن هنا كانت سياسة الناصر الحكيمة في مجاهدتهم واخضاعهم بالقوة ، ثم مداراتهم واسترضائهم بتعيينهم حكاما على التاليمهم بعد ان يعلنوا له الطاعة والخضوع .

وقد نجمت تلك السياسة ايما نجاح في تقليم أظافرهم، ، ولجا الناصر في بعض الاحيان الى أسلوب ضربهم ببعض ، وهو أسلوب اتبعه أجداده في عصر الامارة . وبذلك قضى الناصر على أسرة بنى قسى الذين كانوا يحكمون في تطيلة ، بضربهم ببنى تجيب من العرب ، وساعده على ذلك ما تعرض له بنو قسى من هجمات ملك نبرة وملك ليون عام ٣١٠ ه

على ممتلكاتهم ، وأسرهم لزعيم تلك الاسرة محمد بن عبد الله بن لب ، وقتله في سجن بمبلونة (١٢) .

وكذلك فعل الناصر مع بنى الطويل الذين كانوا يحكمون في وشقة وبريشتر ، اذ ضربهم ببنى تجيب أيضا ، وخاصة بعد مقتل زعيمهم محمد ابن عبد الملك الطوبل عام 7.1 ه / ٩١٣ م ، أثناء قتاله ضد جنود برشاونه من الفرنجة . وقام بنو تجيب بمحاولة السيطرة على أملاك بنى الطويل في لاردة وحصن منت شون . وكذلك ضرب الناصر بنى الطويل ببنى قسى أيضا ، فولى عمرو بن الطويل مدينة لاردة التى كانت في حوزة محمد بن لب القسوى ، فقام المراع بين الاسرتين عام ٣٠٩ ه وليس عام ٣١٩ ه كما العذرى ، لأن محمد بن لب كان قد مات عام ٣١٧ ه ، وانهزم عمروس في ذلك الصراع ، والسنولى محمد بن نب على لاردة عام ٣١٠ ه واسر عمروسا وأخاه موسى وأرسلهما الى الناصر عبي صفح عنهما ، والتزم عمروس بالطاعة ، فأعاده الناصر الى وشقة حبث صفح عنهما ، والتزم عمروس بالطاعة ، فأعاده الناصر الى وشقة حبث صفح عنهما ، وظل بها حتى توفى عام ٣٢٣ه / ٩٣٥ م (٣٠)

وبعد اخضاع الناصر لحكام الثغر الاعلى ، اصبحوا اداة في يده ، يذرب بهم ملوك اسبانيا النصرائية ، ويتخذ بلادهم تواعد ينطلق منها لغزو هؤلاء اللوك ، فقد ساعده بنو قسى في غزوة مويش عام ٣٠٧ ه / ٩١٩ م ، وهزموا معا ملوك نبرة وليون وحلفاءهم من بنى الطويل ، ولما تم اخضاع بنى الطويل اشتركوا مع الناصر في غزوة الخندق في عام ٣٢٧ ه / ٣٣٧ ضد ملك ليون ، واشترك بنو تجيب العرب مع جيش

⁽۱۲) ابن حزم ، المصدر نفسه ، ص ٤٦٤ ، العداري المصدر تفسه ، ص ٤٣ ، أبن عداري ، المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٢٦٧ ،

بجعل ابن عدارى ، المسول صو عبد الله بن الله ، وصدا خطأ ، لأن عبد الله صدا مان مسموما عام ٣٠٣ م ، بينما العدري يجعل المقتول صو محمد بن عبد الله بن لب ، وهسو الصحيح ، لأنه معاصر للاحداث ، أنظر ، المصدرين الأخيرين ونفس الصفحات ،

⁽۱۳) العنري ، المصدر منسه ، ص ٦٦ - ٦٨ ·

الناصر لقتال بمبلونة عاصمة نبرة عام ٣١٢ ه ، وكافاهم الناصر وولاهم حكاما لسرقسطة وتطيلة بالاضافة الى قلعة ايوب ودروقة ، وصدوا هجوما لجند نبرة عام ٣١٥ ه / ٩٢٧ م ، وقبل الكثير منهم(١٤٠) .

من هذا يتبين لنا أن عبد الرحمن الناصر صارع أمراء الثغر الاعلى من المولدين والعرب ، واتبع معهم ومع غيرهم من الثوار الاخرين في جنوبي الاندلس وغربها ، أسلوب القوة والحزم ، وأسلوب المداراة والاصطناع والعفسو والمصالحة ، فكان يرحف عليهم بجيوشه اذا ما أظهروا العصيان تم يعنوا عنهم بعد أن يقعوا في يده ، فيخلصون له الود ، ويصبحون أداة يضرب بها أعداء من ممالك أسبانيا النصرانية ، وبذلك أمن الناصر الجبهة الداخلبة ، وانطلق يغالب نصارى الشمال الاسباني ويصارعهم حتى صرعهم ، وأقبلوا علبه خاضعين مستسلمين يطلبون الصفح ويلتمسون سلام الناصر ورضاه ، وحقق الناصر ماكان يصبو اليه من توفير ويلتمسون سلام الناصر ورضاه ، وحقق الناصر ماكان يصبو اليه من توفير المجميع كي يعيشوا في سلام ، ويحققوا الرخاء والرفاهية ، لانفسهم وبالدهم .

ومن عوامل قوة الدولة الاندلسية في عصر الخالفة ، ما قام به المنصور محمد بن أبى عامر من اصلاحات عسكرية ، كانت لها نتائجها الخطيرة على الصراع مع ممالك اسبانيا النصرانية ، وعلى كيان الدولة الاندلسية نفسها بعد زوال حكم بنى عامر عام ٣٩٩ ه ، وكان المنصور يهدف بتلك الاصلاحات الى لحكام السيطرة على مقاليد الامور بعد أن حجر على الخليفة هشام المؤيد ، واستبد بشئون الدولة ولقب نفسه بالملك الكريم (١٠٠).

⁽۱٤) ابن حزم ، المصدر نفسه ، ص 373 ، العنزى ، المصدر نفسه ، ص 37.3 ، 33.3 ، 37.3 ،

ابن عدداری ، المصدر نفسه ، ج ۲ ، ص ۲۹۷ ، ۲۸۸ ۰

⁽١٥) ابن حيان برواية ابن الخطيب ، المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٤٧ ، ٨٤ ، ابن بسام ، الذخيرة ، ق ٤ ، ج ١ ، ص ٤٠ ٠

وكان اهل الاندلس قد رأوا فيه « الشخص القوى الذى رأب الصدع ودافع عن البلاد ووفر لها الامن والسكينة » فوافقوا على كفالته لهشام المؤيد حتى يكبر . لكن المنصور لم يكن مستعدا للتفازل عن سلطانه . ولذلك بنى قواته على نظام جديد ، يكفل له احكام السيطرة عليها من جانب ، ويضمن له حسن استخدامها لارهاب أعدائه فى الداخل ولضرب أعداء البلاد فى شمال أسبانيا من جانب آخر (١١)

ذلك أنه أحس بخطر صقالبة الخلفاء منذ البداية وأحس بالتنافس الموجود بينهم وبين العنصر العربى ، وعرف أن هذين العنصرين لن يفيداه كثيرا في تنفيذ مشروعاته السياسية والحربية ، فالصقالبة عددهم قليل ، ولن يغفروا له قط حجره على ابن خليفنهم ، كما أن العرب كانوا منقسمين على انفسهم ، فاذا أيده المضريون نخلى عنه اليمنيون ، أما المسلمون من أهل البلاد ، فلم يكونوا مهتمين بغير أعمالهم في الزراعة والتجارة ، ولذلك عول المنصور على استخدام عنصر جديد ، ينفذ أوامره دون مناقشية (١٠٠٠)

كان هذا العنصر الجديد هم البربر الذين استقدمهم المنصدور ثم ابنه من بعده عبد الملك المظفر من شمال افريقية ، واغدقا عليهم وبالفا في اكرامهم ، فأخلصوا لبنى عامر ، ودافعوا عن دولتهم وحققوا لها كثيرا من الانتصارات على ممالك اسبانيا النصرانية لدرجة أن المنصور والمظفر لم تهزم لهما راية قط .

وبجانب استخدام البربر في الجيش ، قضى المنصور على العصبيات فيه ووزع الأجناد من العرب والبربر والصقالبة على فرق الجيش بحيث كانت تحتوى كل فرقة على جند من هذه العناصر المتباينة ، ووزع جند القبيلة الواحدة على الفرق المختلفة حتى أصبح الجندى لايعرف القبيلة

⁽١٦) ابن حزم ، نقط العروس ، ص ٧٧ ، ابن سعيد ، المغرب ، ج ١ ، ص ١٩٤ ، ١٩٥ ، ابن خلكان ، وهبات الأعيان ، ج ٤ ، ص ٧ ، ندكل : مختارات من الشعر الأندلسي ، ص ٤٧ .

⁽۱۷٪) ابن عداری ، المصدر نفسه ، ج ۲ ، ص ۲۲۸ ، خالد الصوفانی ، عصر الخصور الأندلیی ، عص ۸۰ ۰

التى كان ينسب اليها ويقاتل معها ، وأصبح ولاؤه للقائد غقط ، وليس لرئيس قبيلته كما كان الوضع أيام خلفاء وأمراء بنى أمية ، وبذلك صار جيشه أشبه بالجيش القومى الذى يدين بالطاعة لرئيسه الاعلى وهو المنصور بن أبى عامر (١٨) .

وكان هذا الاصلاح العسكرى ذا اثر فعال في تحقيق جميسع أهدا فالمنصور بن ابى عامر ، سواء في الداخل أم في الخارج ، وقد ضمن له السيطرة على البلاد ، فحكمها بيد من حديد ، فكانت دولة استبدادية عسكرية من الطراز الاول ، حققت الهدوء في الداخل والانتصارات التي تشبه الخيال في الخارج ، سواء في الشمال ضد ممالك أسبانيا النصرانية أم في الجنوب ضد الفاطميين وغيرهم ممن كانوا يقاومون نفوذه في شهالي أفريقية ، ولولا هذا الجيش المنظم الذي كان لايعرف له قائدا سواه ، أفريقية ، ولولا هذا الجيش المنظم الذي كان لايعرف له قائدا سواه ، وبرشلونة ، وأن يدك عواصم تلك المالك دكا لم يحدث في أي عصر من العصور التي سبقته .

كان المنصور قائدا عسكريا من الطراز الاول ، وكانت له ههة لاتضارعها ههة أخرى في الجهاد ، وربما خرج الى صلاة العيد محدثت له نية في الجهاد ، فلا يعود الى قصره ، بل يخرج توا الى معسكره ، ويأخذ في الزحف شمالا ولاينتظر حتى تكتمل قواته ، بل يأمر قواده أن يوافوه تباعا عند مكان معين ، وكان هذا سببا من أسباب كثرة غزواته ضد ممالك أسبانيا النصرانية ، حتى قيل أنها بلغت أكثر من خما قين غزوة ، ذلك أنه كان يخرج للغزو في العام مرتين ، احداهما في الصيف غيما يعرف بالمائفة ، والاخرى في الشمناء غيما يعرف بالشماتية ، وربما خرج للغزو في العام الواحد أكثر من ذلك (١) .

⁽۱۸) الصفدى ، الوافى بالوفيات ، ج ٣ ، ص ٢١٢ ، ٣١٣ ، النصولى ، الرجسع نفسه ، ص ٣٠ ، ٣٠ ، الرفاعي ، الحاجب المنصور ، ص ١١ ٠

⁽١٩) الضبي ، بغية المتمس ، ص ١٠٦٠

ولم نقنصر عوامل القوه على النواحي السياسية او العسكرية ، بل كان ازدهار الحياة في الأندلس وبلوغها القمة بمقاييس ذلك العصر ، من عوامل القسوة التي أثرت على العلاقات بين الأندلس الاسلامية وممالك اسبانيا النصرانية ، وخاصة في النواحي الحضارية ، ذلك أن الناصر خصص ثلث مبزانية الدولة _ على عظم الجباية في ذلك الوقت _ للبناء والمشروعات العمرانية ، وكنب التاريخ تفيض بذكر ما أنفقه الناصر على بناء مدينة الزهراء التي اسنمر العمل بها منذ عام ٣٢٥ ه حتى وفاة ابنه الحكم المستنصر عام ٣٦٦ ه ، علما بأنه كان ينفق على عمارنها مبلغ ثلاثهائة الف دبنار كل عام من هذه الأعوام الطوال ، كما قام المنصور ببناء مدبنة اخرى نسمى الزاهرة لانتل بهاء وشأنا عن زهراء الناصر(١)

وما ذلك الا مجرد امثلة نذكرها للدلالة على وفرة الدخل ومتانسة الوضع الاقتصادى الذى كان القساعدة الصلبة النى بنى عليها حكسام القرن الرابع الهجرى مشاريعهم العمرانية والعسكرية . وبصفة عامة بلغت الاندلس في ذلك القرن ذروة الرخساء والاندهار ، وتقسدمت فيها الزراعة والنجسارة والصناعة ، وازدهرت فيها العلوم والاداب والفنون حتى أصبحت قرطبة قبلة لطسلاب العلم وتجار ممالك أسبانيا النصرانية الذين وفدوا اليها لشراء ما فاضت به حضارة الاندلس من تحف وروائع فنية وملابس قيمة ، كانت نساء الطبقسة الارستقراطية في الشمال الاسباني تلح في طلبها ، وتجسد سرورا لا حد له في اقتنائها ، ولم يقتصر هذا الامر على نصارى الشمال ، بل وصل تأثير الحضارة الاندلسية الى شتى انحاء أوربا ، حتى أنها وردت ضمن أشعار الراهبة السكمونية المعروسونيتا الني أشادت بها في قصائدها وأشعارها ، ووصفت قرطبة بأنها زينة الدنيا(٢٠) .

ومن ثم وهدت على الاندلس سفارات عديدة من امبراطور القسطنطينية وامبراطور الماهدات وتوطد وامبراطور المانيا وملوك ليون ونبرة وبرشلونة تعقد المعاهدات وتوطد العسلاقات الدلماسية والتجسارية ببنها وبين قرطبة . والجدير بالذكر

ر ۲۰) ابن حوقل ، صوره الأرض ، ص ۱۱۲ ، المقرى ، ازهار الرياض ، ج ۲ ، ص ۲۲۷ ، ۲۷۰ ۰

⁽۲۱) ابن حبوقل ، المصدر نفسه ، ص ۱۱۲ ، المقرى ، أزهار الرياض ، ج ٢ ، ص ٢٧٢ ، عنان ، دولة الاسلام في الأندلس ، العصر الأول ، ج ٢ ، ص ١٠٤ .

ان رسل البابا يوحناً الثاني عشر ، وهدت على الناصر تطلب السلم والمودة بين الاسلام والانصرانية ، ولم يرسل البابا سلمارته تلك ، الا لاعتقاده بأن الناصر يمثل الزعامة الاسلامية في ذلك الوقت ، عقد كانت الخالفة العباسية تسير في طريق الضعف ، والخلافة الفاطمية لم تبلغ بعد قوة ازدهارها وتقدمها السياسي والحضاري (٢٢) .

وما من شك في أن هذه الاحوال المستقرة وتلك السياسة الحكيمة التى اتبعها حكام قرطبة في القرن الرابع الهجرى ، والتى وضحناها خلال دراستنا لعوامل القوة التى توفرت للاندلس في علاقاتها مع ممالك اسبانيا النصرانية ، والتى أشرنا اليها حتى الآن ، كان لها آثارها على الصراع بين مسلمى الاندلس وبين نصارى الشمال الاسبانى ، فأنقلبت الهزائم التى منيت بها البلاد أواخر عصر الامارة الى انتصارات رائعة ، وتحاول تقهقر المسلمين الى الجنوب ، الى تقدم صاعد لهم نحو الشمال حتى أصبحت جميع ممالك اسبانيا النصرانية مجرد أمارات تابعة لحكام قرطبة .

ورغم هذه الصورة الجميلة المشرقة للاندلس في القرن الرابع الهجرى الا انه كان هناك مايشير الى حدوث انقالاب أو ثورة سوف تحدث بمجرد أن ينقضى عصر هؤلاء الحكام الأقوياء من بنى أمية وبنى عامر فقتد كان لسياستهم بعض الجوانب السلبية التي لم تظهر في عهدهم نظرا لقوة شخصيتهم ولقدرتهم الفائقة على القيادة والسيطرة على مقاليد الامور ولا انهارت دولة بنى عامر عام ١٩٩٩ ها وقام الصراع بين خلفاء بنى أمية الاواخر على كرسى الخلفة أثناء مايعرف بالفتنة البربرية عام ١٠٠١ ها ظهرت تلك الجوانب السلبية العوائف البلد الى ذلك المور المدزن الذى انتهت اليه في عصر ملوك الطوائف العدان تسببت في سقوط الخلفة نفسها .

⁽۲۲) ابن خلدون ، العبر ، ج ٤ ، ص ١٤٧ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، المستدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٠٧ - ١١٤ .

٣ _ عوامل الضعف وأثرها في العلاقات مع ممالك أسبانيا النصرانية:

وتلك الجوانب السلبية يمكن آن نقسول عنها آنها كانت عوامل ضعف المت بالأندلس الاسلامية وتمثلت فيما يعرف بالفتئة البربرية التي كانت حقا حقا ستشبه الزلزال وقاد وقف بعض المؤرخين طويلا عند حدوث ذلك الزلزال الذي اقتلع دولة بني عامر ، وقضى في النهاية على الخلافة الاموية وخلع على الاندلس عصرا جديدا يعرف بعصر ممالك الطوائف .

وكان هذا الزلزال مرآة انعكس عليها كل سابيات ونقائص الحكم الأموى والعامرى في الاندلس ، وقاد البلاد الى طريق الضعف والانحال والنوق والانقسام والستوط ، وأعطى الفرصة كاملة لحركة الاسترداد ان تقفز خطوات وخطوات الى الامام ، وجعل مصير البلاد رهن مشيئة ملوك اسبانيا النصرانية الذين أصبحت لهم السيطرة الفعلية على شمه الجزيرة كلها بمسلميها ونصاراها ، وضاعت وحدة الجبهة الداخلية وضاع معها مئات من المعاقل والحصون والمدن الثغرية التى اضاع خلفاء القرن الرابع الهجرى عمرهم في بنائها والحفاظ عليها ، وانقسم الوطن الواحد الى أوطان متعددة ، وانقسم الشعب الواحد الى شمعوب الواحد الى المعوب الموان متعددة ، وانقسم الشعب الواحد الى شمعوب الواحد الى النفور ، وانقسم الشعب الواحد الى الفور ، وطوائف ، تناحرت غيما بينها والتمست العون ضد بعضها من عدو وتدخلوا بين الفرق المتناحرة حتى انهم وضعوا بعض أحفاد الناصر على كرسى الخطائة في قرطبة .

هكذا بين عشية وضحاها ، تحول الفالب الى مغلوب وتحولت الانتصارات الى هزائم ، والسيطرة الاسلامية والعزة القومية الى سيطرة نصرانية فى عهد هذه الدمى من خلفاء بنى امية الاواخر ، كل ذلك فى بضع شمهور من عام . . ؟ ه وهى ماساة لانجد لها تفسيرا الا ان نقول ان اسبابها لم تبرز فجاة ، وانها كانت كامنة فى جسد الامة الاندليسية قبل ذلك بزمن طويل ، ومن اهم تلك الاسباب وقوع الصراع بين بنى أمية وتنازعهم على الخلفة .

وكان الناصر قد اتبع سياسة اسلامه من امراء بنى امية فى تنحيسة المعنصر العربى عن ميدان الزعامة والقيادة ، وجعل البارزين منهم مجرد عمسال او ولاة لأطراف الدولة وثغورها ، مثل بنو تجيب الذين ولاهم على الثغر الأعلى . وسار على نفس الخط ايضا فى الاستعانة بالعناصر الاجنبية فى النجيش والادارة لسهولة السيطرة عليها وعدم تمردها ، وادى ذلك الى حرمان الدولة من ذوى الكفايات من العرب والبربر ، والى زرع الحقد والضغينة ببنهم وبين الصقالبة الذين اصبحوا قوة يخشى بأسها . وكانت هزيمة الناصر الوحسدة عام ٣٢٧ ه مؤشرا يدل على ذلك ابلغ الدلالة(٢٠)

وقد ظهر خطر الاستعانة بهذه العنتصر الاجنبية أثناء غترات الاضطراب وقد برز هذا واضحا أثناء الفتنة البربرية ، فقد أخذ الصقالبة والبربرين ينحكمون في تولية الخلفاء وعزلهم ، وقاموا بالاعتداء عليهم وقتلهم وتشريدهم واستبدوا دونهم بالحكم والسلطان ، وتحالفوا مع ممالك اسبانيا النصرانية لنحقيق أهدافهم ، وساعدوا بذلك على قيام عصر ممالك الطوائف والقضاء على الخلافة الأموية (٢٠) .

كها وقع الأمويون في خطا آخر عندها قام الحكم المستنصر وولى ابنه الطفل هشام ولاية عهده ، ولما مات المستنصر تولى هشام الذي لقسب بالمؤيد الخلافة وهو في سسن العاشرة ، مع انه كان في بنى امية الكثير من الشخصيات البارزة القسادرة على قيدة البلاد في حزم وكفاية لكن الحكم المستنصر نظر الى مصلحته الشخصية ، وارتكب هذا الخطا السياسي مع انه كان يعيبه على العباسيين في المشرق ، وربما كانت نظرية توريث المحكم في عقب الخليفة أو الامير الحساكم وحده دون غيره من أخوته أو بنى عمومته أو أقساريه ، وهي النظرية التي سار عليها بنو أمبة في عصرى الامارة والخسلافة هي المسئولة عن ذلك ، وربما استندوا أمبة في عصرى الامارة والخسلافة هي المسئولة عن ذلك ، وربما استندوا

⁽۲۳) كلبليا سارنبالى ، مجاهد العامرى ، ص ٥ ، ١٥ ، انظر ، الفصل الثالث ، الباب الثانى ، ص

⁽۲۲) ابن عبذاری ، المصدر نفسه ، ج ۳ ، ص ۹۹ ، ابن سبعید ، المصدر نفسه ، ج ۱ ، ص ۱۹۹ ، ۲۰۰ ، ۰

فى تلك النظرية الى تلك النبوءة التى تقدول « لايزال ملك بنى أمبة فى اقبدال ودوام ، ما توارثه الأبناء عن الآباء . هاذا انتقل الى الاخدوة وتوارثوه فيمسا بينهم ، فقدد أدبر وتولى » (٢٠)

ورغم ما حققته تلك السياسة في استقرار اداة الحكم الا انه كان لها ايضا آثارها في زرع الضغينة والحقد في نفوس باقي أفراد البيت الأموى ، وقد تعرض الكثير من أمراء وخلفاء بني أمية الي مؤامرات قام بها أخوتهم أو بنو عمومتهم بسبب الجلوس على العرش ، وربما كان اخطرها ثورة بني اسحاق الأمويين الذين انضموا الي ملك ليون وساعدوه على هزيمة الناصر في موقعة الخندق عام ٣٢٧ هـ ، كما أعطت هذه السياسة الفرصة لرجل مثل المنصور بن أبي عامر لان يستبد بالدولة ويحجر على الخليفة الطفل ، ويعمل في الأمويين سيف التشريد والقتل(٢٦)

اما الخطباً الثالث الذي ارتكبه خلفساء بنى أمية هو أنه عندما سقطت دولة بنى عامر عام ٣٩٩ ه ، تهافتوا على السلطان وانقسموا فريقين ، كل منهما يحاول هزيمة الآخر ويستعين في ذلك بنصاري الشمال الأسباني ليساعدوه على اعتلاء كرسى الخسلافة ، نظير التنازل لهم عن كثير من المدن والحصون الاسلامية وفي غمرة هذا الصراع المقيت على الحسكم تعرضت البلاد للخراب ، والقرى والمزارع للدمار ، وقتل العلماء ونهبت المساجد والدور والقصور ، وهدمت مدن بأكملها وأزيلت وكأنها لم تكن ، وادى ذلك في النهاية الى سقوط الخلافة وزوال حكم بنى أمية وقيسام عصر ممالك الطسوائف (٧٧)

⁽٢٥) ابن حزم ، مقط العروس ، ص ٦٢ ، ابن بسام ، المسدر نفسه ، ق ٤ ، ج ١ ، ص ٤٠ ٠

⁽۲٦) ابن حبان دروایة بن بسام ، المصدر نفسه ، ق ۱ ، ج ۱ ، ص ۱۰۸ ، ابن عداری ، المصدر نفسه ، ج ۳ ، ص ۲۷ .

⁽۲۷) ابن عداری ، المصدر نفسه ، ج ۳ ، ص ۸۲ سه ۹ ، ۱۰۶، ۱۰۷۰

ومن عوامل الضعف التى المت بالاندلس الاسلامية واثرت في مستقبل البلاد وفي علاقتها بنصارى الشمال ، سياسة بنى عامر في اضعاف الخدلافة والاستبداد بالدولة ، وكانت سياسة المنصور بن ابى عامر تنسوم حسبما اشرنا من قبل على مبدأ الاستبداد بحكم الاندلس وانساع دبيع الوسال والسبل لتحقيق تلك الفاية ، وقضى بذلك على جهيع العناصر المناوئة له من الصقائبة والعرب ، ومن القيادات السياسية والعسكرية مثل المصحفى الحاجب ، وغالب الناصرى ، فارس الاندلس وبطلها ، كما قضى أيضا على من يخشى بأسه من بنى أمية ، وكان يوصى ابنه حين حضرته الوفاة ، بألا ينوانى عن هذه الفئة ، وأن يأخذها بالشدة والعنف ، مها أدى الى سقوط هيبة بنى أمية في نفوس الناس والى ضياع مجددهم ونسيان الناس لهم (٢٨) .

وكان لهذه السياسة من اضطهاد بنى أمية وتشريدهم والاستبداد بهم أثر شديد على من جاء بعد ذلك من خلفائهم ، اذ لم يحسنوا السياسة ونسوا اساليب آبائهم فى الحكم واصطناع الانصار والاعوان . فقد تعصب سليمان المستعين للبربر ، واستعان المؤيد بالصقالبة ، واستعان كلاهما بنصارى الشمال ، وبذلك تكرس انقسام الدولة الى حزبين متصارعين وهو الانقسام الذى ساعدت عليه سياسة بنى أمية فى الاستعانة بالصقالبة وسياسة المامريين فى الاستعانة بعنصر البربر (٢٩) .

ومن الأخطاء الفادحة الني ارتكبها بنو عامر وادت الى وقوع الكارثة هو تطلعهم الى منصب الخالفة ذاته . وقد راودت هذه الفكرة المنصور بن أبي عامر ، لكن مستشاريه نصحوه بالعدول عنها لانها سوف تثير

⁽۲۸) اس حیاں بروایة بن بسام ، الذخیرة ، ق ٤ ، ج ١ ، ص ٤٣ ، ٤٤ ، المقرى ، نقح الطیب ، ج ٢ ، ص ۱۲۳ ، ابن الخطب ، اعمال الاعلام ، ج ٢ ، ص ۹۷ .

⁽۲۹) ابن عــــذارى ، المســدر نفسه ، جـ ٣ ، ص ٧٥ ، ١١٣ ، ابن التخطيعي ، الاحاطة ، جـ ١ ، ص ٥٢١ ،

بنى امية وتثير الشعب ضده كما سبق القول . لكن ابنه عبد الرحمن شنجول أقدم على تلك الخطوة وأخذ البيعة لنفسه بولاية عهد هشام المؤيد . وكانت غلطة العمر ، اذ تخلى عنه الجميع عندما قام محمد المهدى الأموى بالثورة ضده عام ٣٩٩ ه . ذلك لان هذا الامر كان يعنى تحدويل الخلافة من المضرية (بنى أمية) الى البهنية (بنى عامر) (٢٠)

وهذا يدل على أن الصراع القبلى لم يكن قد أننهى بعد من الاندلس رغم ما قام به الناصر والمنصور من توجيه ضربات قاسية للعنصر العربى بالذات ، مما يدل على أن المجتمع القبلى القديم لم يكن قد اختفى تماما كسا يقول دوزى ، وما قيام دول الطوائف الا تعبير عن هذا المجتمع الى حد كبير . فقد قامت تلك الدول ملتفة حول أسرات عربية أو بربرية هنا وهناك ، وعادت تلك الأسرات الى سياستها الاولى في الصراع القبلى ضد بعضها البعض ، بعد أن زالت القوة المسيطرة الني كانت تتمثل في بنى أمية ، مما أعطى الفرصة لنصارى الشمال الاسباني للتدخل في شئون الأندلس والسيطرة على ممالكها (٣٠) .

ومن عوامل الضعف أيضا انقسام جند الاندلس وصراعهم على السلطان وقهد وضع الامويون والعامريون بذور هذا الانقسام عندما استعانوا بالموالى والصقالبة والبربر في الجيش والادارة . وأصبحت هذه العناصر تترقب فرصة ضعف أو اضطراب حتى تعمل لمصلحتها الخاصة وتصبح لها السيادة على البلاد . وفيما يبدو لم تكن هذه العناصر مخلصة تماما للامويين أو العامريين ، فكثيرا ما تآمر الصقالبة ضد بنى أمية في عصرى الامارة والخسلافة ، كما تآمروا أيضا ضد بنى عامر وانتهزوا فرصة موت

⁽۳۰) ابن حیان مروایة آمن بسام ، الزخیرة ، ق ٤ ، ح ١ ، ص ٥٦ ، ق ١ ، ج ١ ، ص ٥٦ ، ابن عبداری ، المسدر من ٨٦ ، ابن الکردبوس ، الاکنفاء فی أخبار الخلفاء ، ص ٦٧ ، ابن عبداری ، المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٤٦ ، ابن الخطیب . الاعمال ، ح ٢ ، ص ٩٧ ٠

⁽٣١) ابن حرّم ، جمهرة انساب العرب ، ص ٤٦٦ ، لبن عـدارى ، المصدى نفسه ، ج ٢ ، ص ٤٠٥ ، المترى ، المصدر نفسه ، ح ٢ ، ص ٣٠٠ ، المترى ، المصدر نفسه ، ح ١٠٠٠ ، من ١٩٩ ، المترى ، المصدر نفسه ،

المنصور بن أبى عامر وقال قائلهم « هل كتب علينا أن نبقى في حجر آل أبى عامر الدهر الداهر ؟ » وكان واضحا أن الفتى الصقلبي اسبق الجميع في التخلى عن عبد الرحمن شنجول بن أبى عامر عندما ثار ضده بنو أمية عام ٣٩٩ هـ (٣٢)

أما البربر فقد كانوا اسرع من غيرهم في التخلي عن عبد الرحمن شنجول ، وقال له زعيمهم محمد بن يعلى الزناتي « اياك أن تغتر ، فليس والله يقائل عنك احد من زناته ، والناس تبع لهم » . وادى ذلك الى أن ظفر به محمد المهدى الاموى وقتله وقضى على دولة بنى عامر . وكان تخلى اليربر عن العامريين بهذا الشكل من الأشباء الملفتة للنظر ، فالعامريون هم الذين استقدموا البربر من المغرب الاقصى أو شجعوهم على النزوح الى الاندلس ورفعوا من شأنهم حتى صاروا اكثر اجناد الاندلس واظهرهم نمولة ، واصبحوا قوة رئيسية تعتمد عليها الدولة في حروبها وبقائها ، فها الذى أغرى هؤلاء البربر بالتخلي عن بنى عامر المرس على النرس ورقبها وبقائها ، فها الذى أغرى هؤلاء البربر بالتخلي عن بنى عامر المرس

يبدو أن البربر كانوا مثل الصقالبة غير مخلصين تماما لبنى عامر ، فصنهاجة كانت من الد أعداء بنى أمية وبنى عامر معا ، ولم تلجأ الى الأندلس الا بسبب الصراع بين زعمائها على أرض المغرب الأقصى ، وكانت نضمر الحقد للمنصور بن أبى عامر ، لانه أخذهم بالشدة وطبق أحكام الشرع على من يستحق العقوبة منهم ، أما زناتة فكان ولاؤها للعامريين لكن سياسة بنى عامر في قتل بعض زعمائهم قللت من اخلاصهم لهم ، هذا بالاضافة الى أن البربر جند مرتزقة ، وهذا النوع من الجند لايدافعون عن وطن ينتمون اليه ، بل يدافعون — اذا دافعوا — عن حاكم يضسمن عن وطن ينتمون اليه ، بل يدافعون — اذا دافعوا — عن حاكم يضسمن

لهم مصالحهم وارزاقهم ، فاذا رأوا ان مصلحتهم مع شخص آخر انضموا اليه دون تردد (٣٤)

وهذا ما حدث فعلا ، فعندما رأوا عبد الرحمن شنجول يتخبط في سباسته ، ورأوا قيام أهل قرطبة مع المهدى ضده ، تحول ولاؤهم عنه وأسلموه الى حتفه خوفا على أموالهم وأهليهم الذين يعيشون في قرطبة وبذلك تم القضاء على دولة بنى عامر ، وانقسم جند الاندلس الى حزبين متصارعين على السلطان ، الاندلسيون وعلى رأسهم الصقالبة في جانب ، والبربر في جانب آخر ، وحاول كل فريق أن يصل الى السلطة مستترا وراء أحد الخلفاء من بنى أمية ، مما أوقع البلاد في أتون حرب أهلية جرت عليها الخراب والدمار (٣٥) .

من هذا يتضح لنا مبلغ ما ارتكبه بنو أمية وبنو عامر من خطا ، عندما اعتمدوا اعتمادا كليا على تلك العناصر الاجنبية ، وأهملوا العنصر العربى وأهل البلاد الاصليين من المولدين وغيرهم . وكانت تلك العناصر الأجنبية تلتزم الهدوء والطاعة طالما كان الحاكم قويا ، وعند الضعف أو في غترات الاضطراب كانت تقوم بدورها المخرب وتستبد بالبلاد ، مما هيا الفرصة للاستعانة بملوك اسبانيا النصرانية كي يتدخلوا في شئون الأندلس الداخلية ويبسطوا سلطانهم عليها .

وكان استغلال ملوك اسبانيا النصرانية للصراعات الداخلية في الاندلس من العوامل التي أضعفت الجبهسة الداخلية في تلك البلاد الى حد كبير وقد حدث ذلك منذ وقت مبكر عندما غضب الناصر على أقربائه من بنى اسحاق بن أمية ، وقام بقتل زعيمهم أحمد بن السحاق بسبب تآمره عليه ،

. - 112 -

⁽۳۵) ابن عنذاری ، المصندر نفسه ، ج ۳، ، ص ۲٦۲ ـ ۲٦۳ ، المقری ، المصندر نفسه ، چ ۱ ، ص ۳۲۶ ، المترفلی ، المرجع نفسه ص ۲۹ ، ۳۱ ،

⁽٣٥) ابن بسام ، المصدر نفسه ، ق ٤ ء ج ١ ، ص ٦٢ ، ٦٢ ، ابن عندارى ، المصدر نفسه ، ج ٣ ء ص ٦٧ ٠

واتصاله بالفاطميين وتحريضه لبنى نجيب على الثورة ضد الناصر ، ولما تخلص الناصر من ذلك الثائر ، فر اخوه أمية بن اسحاق الى شنترين في غرب الاندلس ، ورفع لواء الثورة ضد الناصر ، وانتهز ردمير (راميرو) الثانى ملك ليون الفرصة ، واتصل به واستقدمه وعينه وزيرا ، وأشركه في حربه ضد الناصر ، وأعطاه أمية معلومات ثمينة عن قوات الناصر قبل المعركة ، ودله على عورات المسلمين ، مما سهل له النصر على الناصر في موقعة الخندق الشهيرة عام ٣٢٧ ه / ٩٣٨ م (٣١)

ولم تكن ثورات طليطلة المتكررة ضد الخلافة الأموية الا بتشجيع من نصارى الشمال ، كما حاول كونت قشتالة أن يستغل العداء الذى نشب بين المنصور بن أبى عامر وابنه عبد الله . ولما تآمر هذا الابن العاق على أبيه ، وانكشفت مؤامرته وخاف على حياته ، فر الى كونت قشتالة وفي عصر قوة الخلافة الاموية لجأ نصارى الشمال الاسباني الى أسلوب آخر للنيل من قوة الجبهة الداخلية في الاندلس ، وذلك عن طريق المصاهرات التي عقدوها مع الاسرات الحاكمة في الثغور الاسلامية من المولدين من بني قسى وبنى الطويل . وعلى سبيل المثال فقد صاهر فرتون الطويل ماحب وشعة من أعمال الثغر الاعلى ، شانجة بن غريسية ملك نبرة ، واشترك معه في غزوة مطونية عام ٣٠٠٦ ه ضد جيش الناصر (٢٧) .

وطبيعى أن هــذا الرجل وامثاله كان يتمرد على قرطبة لعلمــه أن هناك من يحميه ويمــد له يــد العون والمساعدة من اصهاره ملوك الشمال، وأن هناك من يستقبله لاجئا اليه من هؤلاء الملوك عند الضرورة . وقــد تكرن

[•] ١٢٦ المنذرى ، المصدر نفسه ، ص • ه ، ١ه ي ابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ص ١٣٦) Dozy, op. cit., pp. 426, 427.

⁽٣٧) ابن حزم ، الصدر نفسه ، ص ٩٣ ، الثعالبي ، يتيمة الدهر ، ج ١ ، ص ٢٥٥ ، العبذري ، الصدر نفسه ، ص ٤٥ ، ٦٩ - ٦٨ ، ٤٥ . Dozy, op, cit., pp. 507-508

هــذا كثيرا حتى أن نهابة آخر أمراء بنى قسى حكام تطيلة فى الشغر الاعلى ، كانت عند أصهاره من أمراء أسبانيا النصرانية ، وكان الامير القسوى قــد لجأ الى صهره النصراني عقب اعتداءات بنى تجيب على أملاك أسرته ، لكن صهره هــذا طمع فدما كان معــه ومع أصحابه القسويين من أموال وسلاح وحلى ، ففـدر بهم وقتلهم عام ٣١٧ هـ /٢٩٩م ، (٣٨)

وكان تدخل ملوث اسبانيا النصرانية قسويا واكثر فعالية اثناء الفتنة البربرية في مطلع القرن الخامس الهجرى ، فقسد انتهزوا فرصة الصراع بين امراء بنى أمية الأواخر على تولى منصب الخلافة وساعدوا فريقا ضد الآخر ، واستعانة ملوث بنى أميسة الأواخر بملوث اسبانيا النصرانية لا يدل الا على مدى ما وصلوا اليه من ضعف وهوان وفقسدان للحمية الدينية والعزة القومية ، وكان ندخل ملوث اسبانيا النصرانية على هذا النحو في شئون الأندلس الداخلية ، مما اضعف الجبهسة الداخلية وجعسل مسلمى الأندلس يضرب بعضهم بعضا وادى الى تعميق الانفصال والأحقاد بينهم ، حتى اصبحوا لقمة سهلة يستطيع نصارى الشمال التهامها في اى وقت يريدون ، (٢٩)

ومن عوامل الضعف التي أثرت في الجبهة الداخلية وكانت لها آثارها على العلاقة بين مسلمي الأندلس ونصاري الشمال الأسباني ، طبيعة الأندلسيين انفسهم وتبابن احوالهم الاجتماعية والاقتصادية . فقد كأن هناك ما بشبه الصراع الطبقي بسبب التفاوت الحاد في الدخول . فهناك طبقة ارستقراطية حاكمة مسيطرة ، لها الفني والثروة والنفوذ ، تلتف حولها بعض الأسرات الثرية أمسال أسرة بني عبدة وبني شمهيد وجهور وفطيس . وهناك طبقة متوسطة اغتنت بفضل نشاطها في الزراعة والتجارة والصناعة، وهناك طبقة الحرفيين والعمال والعامة ، وكانت تعيش في مستوى منخفض فالعامل كان يكره صاحب العمل ، والطبقة الوسطى كانت تحصد طبقتة

L

⁽۳۸) العندري المسدر مفسه ، ص ۳۹ ، ۶۰ ،

⁽۳۹) ابن عبداری ، المصدر نفسه ، ج ۳ ، ص ۸۲ ، ۸۲ ، ۸۷ ، ۹۶ ـ ۹۲ ، ابن بسام ، النخيرة ، ق ۱ ، ۱ ، ۱ ، ص ۲۵ ، ۳۱ ، ۳۱ .

الأغنياء والجميع كانوا يكرهون القواد البرابرة والصقالبة . لكن هؤلاء جميعا كانوا لا بظهرون مشاعرهم ويعبشون فى هدوء طالما كان الحاكم قوبا ، غلما ضعف الحكام وتنازعوا على السلطة ، لم يكن أمام هذه الفئات الا الانضمام لأى ثورة نقوم حسبما يتفق مع مصالحها ('') .

من هنا بمكن القول بأن المقوى الاجتماعية التى استند اليها الأمويون والعامريون كانت غير منهاسكة ، ومن ثم انهارت وانهار معها بنو أمية عند أول صدمة ، وكانت هذه الصدمة داخلية ، ولم نكن نتبجة غزو خارجى ، بل انها نبعت من نناقضات ونقائض وعيوب النظام الذى انبعه بنو أمية وبنو عامر في حكم البلاد والتى أشرنا اليها ، تلك التناقضات التى كانت كامنة ولم تظهر الا عندما تراخت قبضة الحكام . فعبد الرحمن شنجول لم يكن في قدرة أبيه أو أخيه ، وهشام المؤيد استطاب الحياة الهادئة وعزف عن توجيه الأمور وتركها لبنى عامر ، لذا ظهرت عيوب النظام وادت الى انهياره وقيام نظام دول الطوائف .

ومما جسم تلك العيوب الاجتماعية طبيعة السعب الأندلسي وتكوينه المعنصري وطبيعة البلاد الجغرافية . فقد كان هذا الشعب يحتوى على عناصر مختلفة ، من عرب وبربر وصقالية وأهل البلاد الاصليين سواء كانوا مسلمين أم نصاري . صحيح أن المصاهرة والمجاورة قربت بين تلك العناصر، الا أنه بقى من مظاهر النناقض ما يكفى لقيام الصراع فيما بينها أذا ما حانت الفرصة ، ساعدها على ذلك الطبيعة الجغرافية وتفتت البلاد إلى أودية نحجز بينها جبال تزخر بالعديد من الحصون والقلاع ، تحمى الثوار وتساعدهم ضدد الحكومة المركزية (13)

فاذا أضفنا الى ذلكطبيعة الناس انفسهم ، لأصبح الأمر ، فقد وصف البعض عامة قرطبة بالذات بأنهم أكثر الناس فضولا واشدهم شغبا ،

٠ ٤٠٧ ، الصدر نفسه ، ج ٤ ص ٤٠٠) ابن خلكان ، الصدر نفسه ، ج ٤ ص ٤٠٠) ابن خلكان ، الصدر نفسه ، ج ٤ ص ٤٠٠) ابن خلكان ، الصدر نفسه ، ج ٤ ص

⁽٤١) لين بول ، المرجسع نفسه ، ص ١٤٧٠

حتى أنهم كانوا يقاتلون مسع هسذا ، ثم بقتتلون معه وربما فى نفس اليوم ، معرضين أنفسم للهلاك ، ولذلك وصفهم بعض المؤرخين بصغر الاحسلام ونقص العقول . ويعسلل المقرى ذلك بأن أهسل الاندلس يميلون الى مساندة كل شخص قسوى أراد الوصول الى السلطان وأنهم كانوا يجرون وراء كل ناعق ، وأن أهل المشرق أصوب رأيا منهم فى مراعاة نظام الملك ، حتى لايحدث الخلل الذى يؤدى الى اختلال الاوضاع وفساد الامور (٢٠) .

وقد اصاب المقرى عين الحقيقة ، فيذكر المؤرخون المعاصرون لتلك الأحداث أن الناس عندما علموا بنبأ الثورة ضد بنى عامر « تهافتوا على المهدى ـ زعي مالنورة ـ تهافت الفراش على النار ، ولم يتوقف عن بيعته احد ، ولم يتخلف عن اخد ماله واستحلال نهبه والدخول في فننته فقيه ولا عالم ولا عدل ولا امام ولا حاج ولا تاجر ، وقام هؤلاء جميعا لنصرته ، رغم انهم ليسوا جندا ولا يحسنون الدفاع عن أنفسهم فضلا عن غيرهم ، ولما رأى المهدى تلك الجموع الزاخرة أثبت منهم خمسين الفا في ديوان العطاء، وحركهم للقضاء على ما بقى من بنى عامر وشيعتهم وترك لهم نهب مدينة الزاهرة ، بما فيها من مال ومتاع ، (٢٠) .

ومما يلفت النظر في هــذا ، هو موقف العلماء والفقهاء ، فهم الذين كانوا قــد أفتــوا بطببعة الحال بجواز ولاية عبد الرحمن شنجول العهد ، وحضروا البيعــة وأيدوها ، وأذاعوا حديثا نسبوه ظلما الى الرسول عليه الصلاة والسلام ، قالوا فيه « لاتقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه » . وكان عبد الرحمن شنجول قحطانيا ، وعندما رأى

⁽٤٢) ابن حزم ، مداواة النفوس ، ص ١٦ ، ابن حومل ، صورة الأرص ، ص ١٠٦ ، المقرى ، مفسح الطيب ج ٢ ، ص ٧٠ ، ٩٨ ، ١٠٠٠

⁽٤٣) ابن حيان بروابة ابن الابار ، المصدر نفسه ، ج ١ ص ١٧٠ - ٢٧٢ ، الرقيق مرواية ابن عدارى ، المصدر نفسه ج ٣ ، ص ٦١ ، ٦٢ ، ف٧ .

هؤلاء الفقهاء انهيار بنى عامر سرعان ما انتهزوا الفرصة واعلنوا تأييد النظام الجديد . اذن الهدف هو المصلحة الشخصية لاغير (11)

وبذلك صارت الانتهازية والنفعية طابع كثير من الحكام والناس فمن يقتلونه اليوم يصيرون في خدمة ابنه غدا وامتلأت حياتهم بقصص الغدر والغش والجبن والبخل والانحلال الخلقى ، كما تسلطت عليهم روح الأنانية والفردية حتى ان الواحد منهم كان يتخذ ازاء داره مسجدا وحماما خاصا به دون غيره من الناس ، وقد لاحظ تلك الصفات السيئة قائد الجيش النصراني الذي ساعد سليمان المستعين في دخون قرطبة ، وهزيمة المهدى في ربيع الاول ..؟ ه ، وقال أنه كان يظن أن الدين والشجاعة والعقل عند أهل قرطبة ، فاذا هم خلو من هذه الصفات (٥٠)

ومجتمع هــذه صفاته لا يمكن أن يستمر في المقاومة ، فقــد تفتت وحــدته أثناء الفتنة البربرية أو الحرب الاهلية التي استمرت منذ مطلع القرن الخامس الهجرى حتى سقطت الخلافة الأموية في عام ٢٢ ه . وأتاحت تلك الفتنة الفرصة لملوك أسبانيا النصرانية من أن يحققوا أهدافهم في السيطرة على الاندلس الاسلامية ، مما لون العلاقة بينهم وبين الخلفاء الأمويين الأواخر بلون جديد لم تألفه الأندلس من قبل ، وقلب موازين القوى لصالح النصارى ، بطريقة لم تحدث منذ أن دخل الاسلام تلك البلاد .

⁽٤٤) ابن حيان براوية ابن الأبار ، المصدر نفسه ج ١ ، ص ٢٧٠ - ٢٧٢ ، ابن عذارى ، المصدر دسمه ، ج ٣ ، ص ٢١ ، ٦٢ ٠

⁽۵۶) ابن حزم ، طوق الحمامة ، ص ۸۰ ، ۱۰۵ ، مذکرات الأمير عبد الله ، ص ۱۸ ، ۱۰۹ ، مذکرات الأمير عبد الله ، ص ۱۸ ، ۱۹ ، ابن الخطب ، معيار الاختيار ، ۲۱ ، ۲۲ ، ابن عداری ، الصدر نفسه ، ح ۳ ، ص ۱۸۹ ، ۹۰ ، الضبی ، المصدر نفسه ، ص ۱۸۹ – ۱۹۱ ، المفری ، نفسح الطیب ، ج ۱ ، ص ۱۰۵ ، ۳۲۳ ، ۳۲۳ ، ۳۲۳ ، ۳۲۳ ،

ثانيا ــ ظروف اسبانيا النصرانية واحوالها المؤثرة في علاقتها بالأندلس الاسسلامية في عصر الضلافة

تحدثنا في الباب الأول والقينا نظرة عامة على احوال بلاد الأندلس وشمالي أسبانيا النصراني وعرفنا عوامل القوة والضعف في كل منهما ووصلنا اللي انه هناك حكومة واحدة نسيطر على الأندلس ختى نهاية عصر عبد الرحمن الثاني (الأوسط) ، وفي الجانب الآخر كانت هناك أيضا دولة واحدة وهي ملكة جليتية واشتربس (ليون) .

وفى اواخر عصر الامارة الأموية نهاوت سلطة أمراء بنى أمية وانقسمت الأندلس الى امارات مستقلة فيمايشبه عصر ملوك الطوائف، وقام الصراع بين هذه الامارات بعضها البعض ، وبينها وبين حكومة قرطبة . كذلك انقسمت دولة جليقية واستقل عنها الباسك أو النافيون وكونوا دولة نبرة (نافار)، كما ظهرت امارة قطلونية في الشيمال الشيرقي لأسبانيا ، وقام الصراع ايضا بين هذه الدويلات الصفيرة واستعان بعضها بالمسلمين ، واستعان البعض الأخر بالفرنجة في صراعهم ضد بعضهم البعضس .

ولهذا التماثل في الأوضاع السياسية لكل من الأندلس الأسلامية وشمال اسبانيا النصراني في عصر الأمارة ، نستطيع ان نقول أنه كان هناك توازن سياسي وعسكرى طوال هذا العصر ، عدا النصف الثاني من القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادي ، حيث اختل التوازن ومال ميزان القوة في جانب أسبانيا النصرانية ، وحقق نصارى الشيمال تقدما في أرض المسلمين ووصلت عدودهم الى نهر دويرة .

كل هــذا رأينـاه فى عصر الامارة ، أما فى عصر الخلافة فقد مال الميزان السياسي والعسكرى طوال القرن المرابع الهجرى / العاشر الميلادى ، فى جانب الأندلس الاسلامية ، وذلك لعدة أسباب ، أولها : أن الأنـدلس

كانت دولة واحده ، وكان لايسبطر على اراضيه الاحكومة خلفاء بنى امية . اما في الشمال النصراني ، فكانت هناك مملكتان ، هما مملكة ليون ومملكة نبرة وامارتان هما امارة قطلونية (برشلونية) وامارة قشمتالة التي لم يكن لها وجود في العصر السابق .

وثانيها: أن الخلافة سيطرت على أشراف الناس ورؤسائهم ، وقضت على نفوذهم سوا كانوا من العرب ام من المولدين ام من البربر ، وجعلت من بقى منهم مجرد ولاة أو عمال ، لا تحفل كتب الناريخ بمجرد الاشارة اليهم وخاصة منذ عهد الحكم المستنصر ، (٣٥٠-٣٦٦ه / ١٦١-١٧٩٩) اما في الشيمال النصراني فكان النبلاء والاشراف لا يزالون يقومون بدورهم المعتاد الذي كانوا بقومون به في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، من مساعدة ملك او أمر ضد آخر ، حتى يضمنوا سيطرتهم ، ويطمئنوا على مصالحهم ونفوذهم تجاه ملوكهم ،

وبذلك كانوا عاملا من عوامل الاضطراب السياسى وخاصة فى مملكة ليون . وبلغ الأمر بأحدهم وهو كونت قشستالة غرنان جونثالث Fernan Gonzalez أن يقيم دولة أو امارة جديدة وهى امارة قشتالة ، وظل يصارع مملكة ليون ومملكة نبرة مرة أخرى طوال القرن الرابع المهجرى ، حتى أجهدهم الصراع جميعا وخضعوا لسلطان الخلافة .

وثالثها: في الأندلس ، انتهت الحروب الأهلية بقضاء الخلفاء على الثوار ، بينما بدأت تلك الحروب بشدة وعنف في الشمال النصراني، وماكانت تهدأ الا لكي تعود اكثر اشتعالا من جديد ، اما بسبب العرش أو بسبب التنازع على الحدود بين دول الشمال ، أو الطمع في ضم امارة الي أخرى بالقوة ، أو انفصال امارة عن أخرى ، وكانت المصاهرات عاملا قوبا في تحقيق هذه الأطماع وفي بعقيد الموقف السياسي ، واضطراب العلاقات بين دول الشمال النصراني بعضها البعض ،

ورابعها: انقطاع مساعدة ملوك الفرنجة لمسيحيى شمال أسبانيا بسبب ما أبرم بين أمراء بنى أمية الأواخر وبين ملوك فرنسا من معاهدات تنص على ألا يتدخل أى منهما في شئون الآخر ، والا يساعد الفرنجسة نصارى الشمال نظير أن يتخلى المسلمون عن برشلونة ، وكذلك انقطسع تحالف أمراء الثفر الأعلى الأندلسي من بنى قسى وغيرهم من نبلاء المسلمين وأمرائهم مع نصارى الشمال ، بسبب قضاء الخلافة على نفوذهم ، وبذلك فقسد مسيحيو الشمال العون الخارجي سواء من المولدين أم من الفرنجة ، مما ساعد على ازدياد ضعفهم وازدياد قوة الخلافة (12) .

كل هذه الأسباب أدت الى سيطرة الخلافة على شهبه جزيرة أيبيريا كلها ، وصارت كلمة الخلفاء هي المعليا ، سواء في الاندلس أو في دول الشمال النصرانية حتى أن كلمة من خليفة قرطبة كانت تعزل ملكا وتعين آخر ، وكان هناك وجهود السلامي في شكل حاميات اندلسية داخل هذه المالك لتحميها من بعضها البعض ولتراقبها في نفس الوقت ولتضمن السيطرة عليها أولا وقبل كل شيء .

وفي الفصل السابق وضعنا ايدينا على عوامل القوة في اندلس الخلفاء ، وعرفنا اسباب تفوقهم . وعلينا الآن ان نتعرف على احسوال ممالك أسبانيا النصرانية في هذا العصر أي في عصر الخلافة الأموية . وسوف نتعرض الى الأسرات الحاكمة في كل دولة أو امارة ، لنتعرف على مدى استقرارها في الحكم ، وعلاقتها بالقوى الداخلية وبخاصة النبلاء أو الطبقة الأرستقراطية وما ثار فيها من حروب أهلية ، وكذلك علاقاتها بجيرانها من دول الشمال الاسبائي الاخرى ، واثر هذا كله في علاقات هذه الدول بخلفاء بنى أمية ، باحثين عن عوامل الضعف والقوة التي أشرنا اليها في بداية هذا الحديث .

⁽٢٦) أنظر ، الفصل الثالث ، الباب الأول ، ص

كان حاكم ليون هو الفونش التالث في نهاية القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادي ، وكما رأينا استفادت الملكة النصرانية مما أصاب المسلمين في الأندس من الفتن والانقسامات ، ولهم يأت القرن الهجرى / العاشر الميلادي الا وكانت هدده الدولة تهدد وجود المملكة الاسلامية ذاته ، واستطاع الفونش الثالث أن يصل بهجمانه التي نهر الناجه ، وأن يبني مدينة سمورة أو يعيد بناءها ويسكنها بالنصاري لتصبح مركز تهديد لقلب الملكة الاسلامية (٧٤)

لكن هسذا الملك القوى تعرض عام ٢٩٨ه/١٩م لثوره أبنسائه وزوجنه الملكة خمينا الفافارية ، وأجبروه على التنازل عن العرش ، وايدهم في ذلك كثير من النبلاء ، فاضطر لنقسيم مملكته بين أبنائه المثلاثة ، وتغازل عن الملك لابنه الأكبر غرسية (٢٩٧هـ/ ٣٠٠ / ١٠٩هـ/ ١٩٥) وأخذ أبنه النانى أردون جليقبة (غاليسيا) ، وأخسذ النالث فروبلا ولابة أشنريس (أستوريا) ، وقنع أبوهم الفونش بمدينة سمورة . وما لبث أن توقى في نفس العام ، ولم بمكث أبنه غرسية في الملك طويلا ، أذ توفي بعده ببضع سنوات ، فتولى عرش ليون من بعده أخوه أردون النانى (٢٠١١هـ/ ٣١٢هـ/ ١٤٥) .

كان أردون الناني ملكا نشيطا ، اذ أنه أنتهز فرصة الاضطراب الذي كان لايزال يسود الأندلس في بداية عهد الناصر ، وأغار على الثفرو الاسبلامية ، متحالفا مسح نبرة عدة مرات ، وما لبث أن توفي وخلفه إخوه فرويلا الثاني (٣١٢–٣١٣ه / ٩٣٤–٩٣٥م) الذي توفي بعد عام من توليه العرش بسبب مرضه ، وبوفاته نشبت نيران الحرب الاهلية الاولى بين شانجة والفونش ابني أردون الثاني بسبب الصراع على العرش ، وانتصر

Chapman, op. cit., p. 57 & Livermore- op. cit., p. 83.

[،] ۳۲۶ مل ۱۹۵۱ (٤۸) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ج γ ، ص ۱۹۰۱ (٤۸) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ج γ ، ص

الفونش على أخيه وتوج ملكا على ليون باسم الفونش الرابع (٣١٣ – ٣٢٠ / ٣٢٠ م) . ويرجع انتصار الفونش الرابع الى المساعدة التى اتته من صهره شانجه غرسية الاول الملك نبره ، الذى كان قد زوج ابنته لألفونس الرابع . كما تلقى مساعدة من بعض أعضاء الاسرة المسالكة الآخرين . (٢٩)

ومهما یکن من آمر ، مان شانجة آخو الملك الجدید ، والذی کان ینازعه علی العرش ، لم ییأس وجمع جیشا جدیدا وفسر الی اطراف جلیقیة الشمالیة ، وهناك توج نفسه ملكا فی سینتیاجو دی كومبوستیلا Santiage de compostela ثم زحف علی لیون وحاصرها واستولی علیها ، واقصی اخاه عن العرش، فعاد ملك نبرة الی مساعدة صهره الفونش الرابع الذی استطاع بعد سنتین آن یسترجع لیون (عام ۳۱۱ه / ۹۲۸م) لكن آخاه شانجة ظل محتفظا بولابة جلیقیة (°)

وبذلك انقسمت مملكة ليون بين الاخوين شانجة والفونش الرابع للدة أربع سنوات، ولم ينته هــذا الانقسام وما صحبة من خرب أهلية الا بوناة شانجة عام ٣١٧ه / ٩٢٩م . وكان هذا الصراع فرصة ذهبية استفلها عبد الرحمن الناصر في تحطيم النوار المارقين عليه في الأندلس ، وفي القضاء على دعوة الفاطميين في المغرب الأقصى .

ولكن الحرب الأهلبة عادت من جديد وبصورة اشد عنفا مما سبق . ذلك أن الفونش الرابع غلبة الحزن الشديد على نقد زوجتة ، وتنازل عن العرش لأخية ردمير (راميرو) الثانى (٣٢٠ – ٣٣٩ه / ٩٣٢ – ١٥٩م) ودخل الدير واعتنق الرهبانية . لكنه عانها بعد قليل وترك الدير ونادى بنفسه لمكا في سيهنقة واعتبر الرهبان هذا العهل عارا

⁽٤٩) ابن حيان برواية ابن خلــدون ، العبر ، جـ لا ، هن ١٤٧ .

Dozy, op. cit., pp. 422-423, Livermore, op. cit., p. 92.

^{﴿(}١٥) طُلَق ، تاريخَ العربِ في اسبانيا من ١٩٢٠ -

كبيرا وهددوه بعقب الله اذا لم يعد الى الدير من جديد ، فاستسلم لهم لانه كان ضعيف الشخصية ، وعاد الى الدير مرة أخرى .(٢٥)

ما لبث الفونش أن حن الى العرش مرة أخرى ، وانتهز فرصة غياب الخيه ردمير الثانى لذهابه الى طليطلة ومساعدتها فى ثورنها ضد عبد الرحمن الناصر ، واستولى على ليون ، وما أن سمع ردمير بذلك ، حتى عاد على الفور ، وبدوره حاصر ليون ، واستولى عليها ، لكى يضع حدا لمحاولات أخيه الفونش فقد قام بسمل عبنيه ، هو وئلائة من أبناء عمه فرويلا النانى ، الذي كانوا قد ساعدوه فى النورة ضده ، وبذلك خلص الحسكم الردمير الثانى الذى كان ملكا شجاعا ، استطاع أن ينتصر على عبد الرحمن الناصر فى موقعة الخندق الشهيرة عام ٣٢٧ه / ٩٣٩م ، (٥٠)

لكن ردمير لم يستمع بهذا النصر طويلا ، لأن الحر بالاهلية نشبت من جديد ، ليس بسبب العرش هذه المرة ، ولكن بسبب حركة انفصالية قادها كونت قشتالة فرنان جونتالث في عام ٣٣١ه/٩٤٣م ، وكان أهل قشتالة يتحرقون شوقا للاستقلال عن ليون ، وللانتقام لمقتل زعمائهم الذي قام به والد الملك ردمير الثاني من قبل ، لكن هذا الملك انتصر أيضا على قشتالة وأسر زعيمها فرنان جونثالث ، وعين لها حاكما آخر ، وما ليث أهل قشتالة أن قاموا بالثورة من جديد وزحفوا على ليون ، فاضطر ردمير الى فك أسر زعيمهم ، وأن يصاهره توثيقا للعلاقات والروابط بينهما ، وقد أدت الاحداث الى ضعف حكومة ليون ، اذ أن ردمير فقصد معاونة أهم

(۲۵) ابن خلسدون ، العبر ، حد ٤ ص ١٤٢ ،

Livermore, op. cit., pp. 94-95

⁽٣٥) يقول ابن خلحون أن ردمير سمل عيون أخسوته وليس ابناء عمه فرويلا الثاني الكن الصحيح حسو ما أشرنا الله في المتن ، لأن الرواية النصرانية لم تشر الى ذلك ، ولان ردمين اللم يكن له أخسوة الا شانجة ، وقسد مات من قبل في عام ٣١٧ هـ/٩٢٩ مكما تقسدم ، والأخ الثاني الم يكن له أخسوة الا شانجة ، أنظر أ أين المورد وسنو النسونش الرابع الذي قام أخسوه ردمير بسمل عينيه مسم أبناء عمه الثلاثة ، أنظر أ أين المدرد ، ج ع ، ص ١٤٢ ،

واشجع تابعيه ، ولذلك شددت الخلافة الاموية الضغط عليه ، ولم لبث أن مات في عام ١٠٤٠ه / ١٩٥١م (١٠٤)

وما ان توفى ردمير التانى حتى نشبت الحر بالاهلية من جديد بسبب وراثة المرش . ذلك آن ردمير الثانى كان قد أنجب من زوجته الغاليسية (الجليقية) ابنه أردون ، ومن زوجته النافارية أوراكة ، أخت غرسيية ملك نبرة ، ولدا آخر هو شانجة . (°°)

ادعى أردون أحقينه في العرش باعتباره أكبر الأخوين (٥٠) ولـكن. شانجة نازعه معتمدا على مساعدة اخواله النافاريين ، وعلى القشىناليين الذين وعدهم بالاستقلال ، وقام هؤلاء جمعا بالزحف على ليون ، لكن أردون هزمهم وتولى العرش (٣٣٩_) ٣ه / ٥٠٠م-٥٠٦م) ، وفسر شانجه الى جدته طوطة (تبودا) ملكة نبرة ، كما اضطر أردون أمام هجمات الناصر الشرسة أن يعقد معه معاهدة اعترف له فبها بالطاعة عام ٤٤٣ه / ٥٠٥م ، وما لبث أن مات في العام النالى ، (٥٠)

ولما كان أردون الثالث قد ترك طفلا رضيعا ، فقد استطاع شانجة ان يلى العرش بعد وماة أخبه أردون ، لكن النبلاء كرهوه لأنه كان طاغية مستندا لا نهدنف الا لتحطيم نفوذهم ، ونقض الهدنة الذي كان قد عقدها

^{(\$}ه) ابن عـذاری ، آلمسدر نفسه ، ج ۳ ، ص ۱۳۵۰ – ۱۳۲۰ ، ابن الخطیب ، اعمال Dozy, op. cit., pp. 435-436

⁽٥٥) يخطىء ابن عندارى ويتول ان آسمه غرسية ، ومندا غير صحيح ، انظر ، آبن. عندارى ، ألصيدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٣٢٥ ٠

⁽٥٦) يقول دوزي أنه لم يكن له حسق في العرش لأنه ابن غير شرعى ، انظر ، Dozr, p. cit., p. 436

ابن عداری ، المصدر نفسته ، تد ۲ ، ص ۱۵۳ ، ۱۳۳۰ ، آبن کلدون ، العبر ،

اخوه مع الناصر ، فهزمته قوات الخلافة ، والنهز كونت قشينالة الطهوح فرنان جونثالت الفرحية ، ونآمر مع النبلاء الآخرين وعزلوه على العرش ، والقاموا الله عنه الدون الرابع (737_{-1} 738_{-1} 738_{-1} الرابع ، ملكا على ليون ، وفر شانجه الى جدته طوطة في نبرة مرة أخرى ($^{\circ}$)

ابيع اردون الرابع سباسه سيئة في معاملة الرعية والنبلاء حتى انه سمى في ازاخر الله باسم اردون الشرير ، وقد احتبر للعرش لأنه لم يكن هناك في الاسره المسالكة من يمكن اختياره بدلا منه ، وقد دعم مركزه بمصاهره خوست قتساله بال بزوج من ابنته اوراكة Urraca ، اردون الثالث ، التي اصبحت ملكة على لبون للمرة الثانبة ، لكن أردون الرابع أن بديه ، العرب طويلا ، اذ أن غربمه شانجة الذي لجأ الى جدته طوله بائه نرد ، رعد هو وجديه هذه وابنها غربية بن شانجة الاول ملك نبرد التي مرحليه ليقديم غرودس الولاء والطاعة ، وليطلبوا مساعدة الخليفة البائد، الذي بريدان مرحليه المقاردة نسانجة الى عرشيه نظر التخلي للخليفة عن بعدس الحدون على بريد هم م وهدرب أردون الرابع الى الشيريس ، (م)

وكانت هــذه التطورات مدعاه لكى بعلن كونت تشتالة استقلاله من ليون ، واحسبدت تشتالة منذ بدالة النصف السانى من الفرن الرابع الهجرى / العسر المبلادى دولة مستقلة . وكان لذلك اثره فى مهلكة لمون ، اذ حاول حسائم جليقية الكونت جنزالهو Gonsalvo أن يقلده وأتسار الاضطاليات عناك ، وانتسبت المه لامحو وغيزوى وقوامبرة ، ونجح الملك شانجه فى السيطرة على الثورة فى المنطقة الني تقع شمال الدويرة ، لكن كونت حايقية طلب مقابلته واعطاه فاكنة مسمومة ، ما أن نذوتها شانجة

رهم) ابن خليدون ، البير ، ح ۽ ، ١٨٠ ، الملتشندي ، صبح الأعثى ، ج ه ، ص ١٦٥ ،. Dozy, op. cit., p. 440 & Livermore, op. cit., p. 96.

ره) ابن خليوں ، لئمر ، ج ٤ ، من ١٨٠ . Dozy, op. cit., p. 440, 444 & Livermore, op. cit., p. 96.

حتى أحس بالموت وطلب العودة الى ليون حيث مات في اليوم الثالث من وصوله اليها عام ٣٥٦ه / ٦٦٦ م . (٦٠)

ترك ثمانجة على عرش ليون طفلا لم يتعدد عمره الخمس سنوات، حكم باسم ردمير الثالث (٢٥٤-٣٧٠ه / ٢٦٠-٩٨٢م) نحت وصاية عمته البيرة Elivira راهبة در سان سلفادور في ليون . واقبلت هذه المرأة مثل طوطة من قبل الى قرطبة لطلب السلام مع الحكم المستنصر ويبدو أن الشروط كانت مجحفة بالنسبة لملك ليون ، مما أثار نبلاء ولاية جليقية ، وخاصة انهم لم يودوا الخضوع لامرأة وطفل ، فأعلنوا استقلالهم وانقسمت الملكة بين عدد من النبلاء الصغار ، وضاعت هيبتها (١٠٠٠)

ولما كبر ردمير الثالث حاول غزو الثغور الاسلامية في عهد المنصور أبي عامر لكنه هزم عدة مرات ، فتمرد أهل ولاية جلبتبة وعزلوا ردمير عن العرش ، اذ اعتقدوا أن سوء الحظ ملازم له ، كما أنه جرح كبرياءهم بادعائه سلطة أوتوقراطية فنشبت النور فنده ، وولى النبلاء أبن عمه برمند (برمودو) الئانى الذي كان مقيما عندهم في شنت يلقب دسنتياجو » ، ، (۳۷۰ ـ ۳۸۷ ه / ۹۸۲ ـ ۹۹۹ م) . (۳۲)

وقامت الحرب بين الملكين ، وزحف ردمير على برمند الثائر ، Portilla de Arenas وعلى الحدود بين ليون وجليقية ، نشبت المعركة وحالف الحظ قواد برمند الذي استطاع في عام ٣٧٤ ه / ٩٨٤ م أن يستولى على مدينة ليون من الملك السابق ردمير وهرب الاخير الى مرينهات استورقة

ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ح ۲ ، ص ۳۲۰ ، عَانَ ، تاريخَ العربِ في اسبانَها الآء. عن الديخ العرب في اسبانَها الآء الحد ١٩٥٠ . Dozy, op. cit., p. 453 & Livermore, op. cit., p. 96.

Dozy, op. cit., pp. 453, 454 & Livermore, op. cit., pp. 96,97.

Over Dozy, op. cit., pp. 500.

Astorga وطلب المساعدة من المنصور ، واعترف به كسيد اعلى له ك الكنه مات بعد ذلك بقليل في عام 70% ه / 30% م / 30%

بعد وفاة ردمير حاولت أمه أن تحكم بواسطة مساعدة اسلامية الكن الحامية الاسلامية انسحبت وتركتها دون تأييد أمام ازدياد قوة برمند المذى أدرك أنه اذا لم يحد حيو ردمير ، فانه سيوف يجد صعوبة كبيرة في أجبار النبلاء المنافسيين على احترامه والاعتراف بسلطانه ، ومن ثم فقيد أعلن خضوعه للمنصور بن أبي عامر ، لكنه مالبث أن تمرد عليم فقيد أعلن خضوعه للمنصور بن أبي عامر ، لكنه مالبث أن تمرد عليم ومات مهزوما عام ٣٨٩ه / ٩٩٩ م ، وخلف طفلا صغيرا أرتقى المرش باسم الفونش الخامس (٣٨٩–١٦) ه / ٩٩٩ سلام المونش الخامس (٣٨٩–١٦) ه م ١٠٢٨ م) . وبسبب الوصاية على هذا الطفل ، قام النزاع بين شانجه غرسية كونت قشتالة وخال الفونش الطفل ، وبين منتدو جونثالث الفونش الطفل ، وبين منتدو جونثالث والتي تسميه الرواية الاسلامية مسد بن عبد شلب أو منتد بن غندشلب (٢٠)

الحتكم الرجلان المتنازعان على الوصاية الى عبد الملك المظفر بن المنصور بن ابى عامر والذى خلف أباه فى حجابة الخليفة هشام المؤيد في الفترة (٣٩٢ ـ ٣٩٩ ه) ، فأوفد اليهما المظفر بعض نصارى قرطبة فحكموا بالوصاية لمنتدو جونثالث الذى ظل يقوم بها حتى مصرعه عام ١٠٠٨ م ، فباشر الفونش الخامس شئون الحكم بنفسه وطلب من النبلاء اعلان الطاعة له ، فأطاعوه واستتب له الامر ، وامتد به الأجل حتى سقطت دولة بنى عامر وتهاوت الخلافة الاموية ، وتوحدت ممالك الشمال الأسباني ونشطت حركة الاسترداد نشاطا كبيرا ، (٥٠)

Dozy, op. cit., p. 500

75

⁽٦٤) ابن خليون ، المدر ، ج ٤ ، ص ١٨١ ، التلتشندي ، صبح الأعشى ج ١ ه ص ٢٦٨ ، ابن الخطيب ، المسيدر نقاسه ، ج ٢ ، ص ٣٢٨ ، من ٢٦٦ ، ابن الخطيب ، المسيدر نقاسه ، ج ٢ ، ص ٣٢٨ ، Dozy, op. cit., p. 500 & Livermore, pp. cit., pp. 97, 98,

⁽١٥) آبن كالمدون ، العبر ، ح ك ، ص ١٨٦ ، ١٨٦ ، التلتشندي ، ألمستر نقسه ،

نيد ته ، چين ۲۳۳ ،

وى هــذا الحديث الذى سقناه حتى الآن عن مملكة ليون رأينا جميع الظواهر النى أوردناها فى بداية حديثنا من قبل ، من صراع على العرش وعلى الأرض ، وندخل النبــلاء بين هــذا وذاك من الملوك والأمراء ، والمصاهرات وأترها فى العلاقات بين مملكه ليون وغيرها من ممالك الشمال الاسبانى ، وما أدى اليه كل ذلك من ضعف ووهن فى جسم دولة ليون ، حتى أن معظم ملوكها لم بحكموا الا بعد اذعانهم لخلفاء بنى أمية ودفع الجزية لهم ، ومحكيمهم فيما نشب بينهم من خلاف ، مما جعل كلمة الخلاف هى العليا فى شئون تسه الجزيرة ، وسوف بيضح هذا كثيرا عند حديثنا عن العلاقات بين مملكة ليون ودولة الخلافة .

٣ ــ أهـوال مملكة نبرة (نافـار) :

بدأ عصر عبد الرحمن الناصر ، وكان في حكم نبرة الملك شانجة بن غرسية الاول (٢٩٢-٣١٣ه / ٩٠٥-٩٢٥م) ، وهو أول من أعلن أنه « ملك ، من أمراء نبرة ، وبه نبدا مملكة نبرة التقبقية ، ومنه خرجت الاسرة الملكية التي حكمت تلك البلاد ، ثم ضمت اليها ليون وقشتالة في الثلث الاول من القرن الخامس الهجرى/الحادى عشر الميلادى ، نتيجة فلمصاهرات والحروب الاهلية .

وتتميز ها الملكه باستقرار الحسكم فيها ، وعدم قيام نبلائها مالتمسرد ضد ملوكها خلافا لمسا رأيناه في مملكة ليسون ، وها يرجع الى طبيعة نظام الذي كان بقسوم على مبدأ الاختيار أو الانتخاب . وكما اربطت الأسرة المسلكية النافارية بعلاقات المصاهرة مع ملوك ليسون وكونتات فشتالة ، فانها أيضا صاهرت أمراء بني قسى المسلمين حكام الشفر الأعلى الاندلسي (سرقسطة) منذ عصر الامارة ، وساعدها ذلك على الوقوف أمام الطماع جيرانها من ملوك ليسون وأمراء بني أمية .

' وكانت مملكة نبرة غالباً ما سماله مع ملوك ليون اذا الساد الخطر عليها من جانب قوات الخلافة ، لذلك ماننا نرى سأسلة من المحالفات بين الجانبين ، بدأت منذ بدابه القسري الرابع الهجرى / العاشر

اللبلدى صد المسلمين . ولم يكنن نشاط شانجة الأول قاصرا على مهاجمة مناطق النفور الاسلامية ، فقد ندخل في الشئون الداخلية لملكة لميون عندما قام الصراع على العرش بين ابنى حلبفه أردون الناسى بن الفوتس التالث ، وكان أحد الآخوين وهو الفونس الرابع زوجا لإبنة شانجة ملك نبره . ورغم هزيمة الفونس الرابع في البداله الا أن جبوس نبرة ساعدته على الصحود أمام أحيسه الذي لم بلبت أن مات عام بعرة مرادي م ٩٢٩ مراد) .

كان شانجة ملك نبرة قد مات أتناء الصراع بين هاني الأخوين الليونيين ونرك على العرش طفال صغيرا يدعى غرسية شانجة Garcia الليونيين ونرك على العرش طفال صغيرا يدعى غرسية شانجة Sanchez (٣١٤ – ٣١٩ م) ، وقامت أماء الملكة طوطة بالوصابة عليه (٣٠ وتصرفت كنائب للملك . وقد حاربت هذه الملكة العنيدة الفلافة حوالي ٣٠ عاما ، تحالفت اثناءها مع ليون وزوجت ابنتها أوراكة من ملك ليون ردمير الثاني ، وانسنركت ممه في هزيمته للناصر في معركة الخندق عام ٣٢٧ ه /٩٣٨ م (٢٠) .

وعن طريق المصاهرات مع ملوك ليون استطاعت ببرة الندخل اكثر من مرة في نرحس الملوك الذين ينسبون النها بالمصاهرة ، ومساعدتهم في الجلوس على عرش ليسون ، اذ أنه بعد وفاة ردمير الثاني عسام ١٣٣٩ هـ / ٩٥١ م ، قامت الحسرب الأهلبة بين ولديه حيث كان أكبرهما وهو أردون من أم من جليقية ، والثاني شانجة من أوراكة النافارية ، ابنة الملكة طوطة . الا أن الابن الأكبر أردون هرم قرات أخبسه

Livermore, op. cit., p. 95.

 (ΛI)

⁽٦٦) ابن عبداری ، المصدر نفسه ، ج ۲ ، ص ۲۵۵ ، ۲۸۱ ، ابن خلیدون ، العدر ، ۱۵۲ . بن خلیدون ، العدر ، ۱۵۲ . بن ۱۵۲ . العدر العدر

⁽٦٧) يضول للمعبور Livermore, انها حدثه وهدا خطأ والصحيح ما اثبتناه - ويقول ابن خطئون العبر ج ٤ ، من ١٤٢) أنها اخته ثم بعود الى تصحيح . تقدمه ومقول أنها أمه •

وعقد الصلح مع الناصر ، وغير شيانجة الى جدته طيوطة في أ. نيرة (١٦) .

ولما عاد شانجة الى حكم ليون بعد وفاة أخيه أردون النسالت، هام ٣٤٤ ه / ٩٥٦ م نازعه العرش ابن عمه أردون الرابع ، وطرده من ليون بمساعدة القشتالين فلجسأ شانجة الى جدته مرة أخرى ، ولما كانت نبرة لاتستطيع مواجهة ليون وقشتالة بمفردها فقد بحثت طوطة عن حليف، قوى ، ولم يكن أماامها الا الخليفة عبد الرحمن الناصر ، وكانت هذه الملكة تحكم مملكة نبرة باسم ابنها شانجة بن غرسيه الاول ، مع أنه بلغ ن العمر ما يمكنه من أن يحكم بمفرده (٧٠) .

وقد كان حبها لحفيدها شانجه الليونى مسيطرا عليها بالدرجة أنها نسيت احقادها وعداءها للمسلمين الذى يزيد عمره عن ثلاثين عاما ، ووفدت على الخليفة عبد الرحمن الناصر ، وتعاقدت معه على أن يعيد حفيدها الى عرشه في ليون ، وتم ذلك عام ٣٤٧ ه / ٩٥٩ م بعد أن. قامت قوات نبرة بمهاجمة قشتالة المتصالفة مع ملك ليون مفتصب العرش ، واستطاعت أن تأخذ أميرها الكونت فرنان جونثالث أسيرا ، وبعد أن نبت هزيمة أردون الرابع فر الى جبال أشتريس (٢٠) .

خلف شانجة الثانى (٣٥٩ ــ ٣٨٤ ه / ٩٦٩ ــ ٩٩٤ م) والده غرسيه بن شانجة الاول وصاهر المنصور بن ابى عامر ، لكنه مات وخلفه ابنا يسمى غرسية (٣٨٤ ــ ٣٩٠ ه / ٩٩٤ ــ ١٠٠٠ م) على عرش نبرة ، لكن يبدو أنه كان ضعيف الشخصية ، لان المراجع النصرانية تشيم اليه وتسميه غرسية المرتجف أو المرتعش ، كما أنه هزم أمام قوات المنصور الذي دمر عاصمته وخرب مملكته (٢٠)

Livermore, op. cit., p. 95.

⁽⁷¹⁾

 $⁽Y \cdot)$

[•] ٦٥ ـ ٦٢ من الخطيب ، أعمال الاعلام ، ج ٣ ، من ٢٦ ـ ٦٥ (٧٢) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ج ٣ ، من ٢٦ ـ ٥٦ (٧٢) الكالم المعالم العالم ا

على الله حال فقد مات غرسية في سن مبكرة وترك ابنا صغيرا السمى شانجة كان يعيش في بلاط قشتالة لأن أمه الملكة خمينة Ximena يسمى شانجة من أصل قشتالى ، وبذلك وضع تحت رعاية كونت قشتالة الثالث، شانجة بن غرسيه بن فرنان جونثالث مؤسس الامارة القشتالية ، وزوجه كونت قشنالة هذا من ابعته الكبرى التي تسمى ألبيرة ، وتولى شانجة هذا عرش نبره باسم شانجة الثالث (٣٩٠ – ٢٦٤ ه / ١٠٠٠ – ١٠٣٩ م).

وبعد اعتلاء شانجة عرش نبرة بقليل دخلت البلاد النصرانية والاسلامية، في أسبأنيا في عصر جديد ، هو عصر ملوك الطوائف مما سنتحدث عنه في الباب الثالث ، لكن ما يهمنا الان هو أن نقبول أن الاسرة المالكة في نبرة كما وضح من هذه الدراسة السريعة كانت فعلا متمنزة عن الأسرة المالكة في لبون ، اذ لم يحدث فيها اطلاقا صراع على العرش ، ولهذا يفرغت نلك المملكة اما لجاهدة المسلمين أو لجاهدة ملوك لبون أو أمراء، قتستالة ، ولكن الصراع الذي دار بين هذه القوى أضعفها أمام هجمات الناصر والمنصور ولم يستطع نبرة أن تتبوأ مكانتها الا بعد أن انهارت الدولة العامرية والخلافة الاموية في مطلع القرن الخامس الهجرى / الحادي عشر الميالادي ،

احدوال امارة قشتالة:

كانت قشتالة احدى ولايات مملكته ليون الشرقية ، فهى بذلك تقع: بينها وبين نبرة كما تطل على الثغور الاسلامبة من ناحبة الشمال الاوسط ونضم تستالة مدبنة برغنس Burgas وأبله Avila وشقوبية Segovia وضورية Soria وأبله Santander وصورية المنت أندر الوم . وهى مدينة بواجه من الثغور الاسلامية قلعة أيوب ومدينة سالم والثفر الاوسط . وبسبب هذا الموقع كانت منطقة قشتالة معبسراً لجنود الامارة والخلافة عند مهاجمتها لملكة ليون أو لمملكة نبرة .

Livermore, op. cit., p. 98

وكانت منطقه بمنطقه البه المسلم و الروايات الاسلامية بمنطقه البه والقسلاع ، وقسد سميت بهذا الاسم نظرا لهذا العبد من القلاع Castles الذي انشأه المقتباليون اتقاء لهجمات القوات الاسلامية ، ومنها جاء ابيم المنطقة نفسها فسمبت قشتالة Castilia ، وظهرت فسيالة نتيجة لتوسيع مملكة ليون جنوبا وشرقا على عهد الملك الفونس التالث (ت ٢٩٦ / ١٠ م) الذي وصل بحدود مملكته جنوبا الى نهر الدويرة مستردا زامورة وسيمنقاس في السنوات الاولى من القرن الناسع الميلادي و (٢٠٠)

وقد عمرت هذه المناطق بنبلاء وأساقفة من الشمال ، واتخذت شمكلا محددا تحت قيادة أحد زعمائها القشنالين الذى وأرث السلطة لابنائه ، وهو الكونت فرنان جونثالت ، وقد امتدت حدود قشتالة فى عهده من حدود الماسك فى الشمال الى النغر الاسلامى عند وادى الرملة Guadarrama

عهاده من المارين فى المجنوب ، وعمرت بهؤلاء الابطال المحاربين الجبليين الذي نتركوا الامان فى بيوسهم وسكنوا هذه القالاع مفامرين المناسهم على أمل احراز المجدد والنصر ضد المسلمين (٥٠)

ولدت قشناله في خطر من حيث الزمان والمكان ، غبسبب موقعها بين اليون ونبرة كان لا يمكن لقشنالة أن تسنمر طويلا كامارة مسنقلة ، غقد كانت مسرحا للصراع بين هانين المملكتين ، وعرضة لهجماتهم ضد بعضهم البعض ، كسا كانت عرضة لهجمات الجبوش الاسلامية في نفس الوقت . ولذلك أتبع أمراء قشتالة أسلوب المساهرات وخاصة مع نبرة ، حتى تضمن حليفا يشدد أزرها في صراعها مع ليون في معركة نعل الاستقلال عنها . كما تسللت قشتالة داخل الإسرة المالكة اللبونبة نفسها عن طريق المصاهرات في المضاهرات في المضاهرات في المضاهرات في المضاهرات في النهابة المي المناط على هذا الاستقلال . وأدت هذه المضاهرات في النهابة الى اتحاد فشيئالة ولدون ونبرة ، واصبحت هذه المنطقة كلها النهابة الى اتحاد فشيئالة ولدون ونبرة ، واصبحت هذه المنطقة كلها المسمى وملكة قشيئالة .

Crow, op. cit., p. 81.

(Y\$)

Livermore, op. ict., p. 93.

Crow, op. cit., p. 81, Livermore, op. cit., p. 93.

(Va)

وقد تهبز الحكم في المارة قشقالة في القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادي عنه في مملكة ليون ، اذ أن الحكم في قشقالة كان وراثيا لايتخلله حراع على الحكم كما حدث في ليون ، فلم يكن هناك نبلاء يتصارعون مع الأمير على السلطة . لأن تلك الفنزة التي كانت تعيشها قشعالة كانت فترة نحقيق الاستفلال ، وفرة الصراع مع لبون ونبرة لتثبيت هذا الاستقلال والدفاع عنه ، وفترة الصراع في نفس الوقت مع الخلافة الاسلامية الصاعدة وكان أميرها المؤسس فرنان جوننالث هو الذي كان يقودها في هذا الصراع الطوبل المرير ، لذلك كان القشتاليون يعتبرونه بطلا قومنا ، لدرجة أنهم خلدوا اسمه في اشتعارهم واستطيرهم ، (٢٠٠)

وهكذا كان امراء تشنالة متفرغين نماما لتحقيق هدفهم أو أملهم في الاستقلال عن ليون ، وفي مجاهدة المسلمين في نفس الوقت . ساعدها على ذلك طبيعتها الجغرافيه وما فيها من عدد هائل من القلاع والحصون ، وموقعها الموسط الذي بجعلها تلجأ الى جارها الشرقي أو الغربي اذا اعتدى عليها وأحد منهما (٧٧) .

وكانت بدامة الاحتكاك بين شعب قشتالة وبين ملوك لبون عندمة وزع الملك الفونس النالث المهلكة بين اولاده الثلاثة في عام ١٩٠ (٢٩٦٥) وقد تضابق أهل قشتالة من ملوك لبون الذبن كانوا يعتبرونهم من سلالة القوط، ولان هؤلاء الملوك كانوا يفرضون انفسهم كحكام على اساس الورائة ، بينها الجنود الاحرار من أهل قشتالة والمرابطون دائما على الحدود كانوا خصارون عادة قضاتهم كحكام لهم وكانوا يحافظون على عاداتهم وحبهم للحربة ، وقد حاول الفونس التالث أن يكسر من شوكتهم وحبهم للاستقلال بنقسيم منطقة قشتالة بين عدد من القوامس أق الكونتات كما احتال النه اردون الثاني (٢٠١ – ٣١٣ ه / ١١٤ – ٢٢٣ م) على.

Crow, op. cit., p. 81

Chapman, op. cit.- p. 57.

(VV)

عدد كبير من بالم قشالة وزعمائها وقبض عليهم واعدمهم فهدات قشالة حينا لهوت زعمائها ، لكنها كانت تنحين الفرصة للانتقام من ليون (٧٠)

وقد حانت هذه الفرصة ووجدت تشتالة بطلها المنتقم في شخص المكونت فرنان جونثالت المكونت فرنان جونثالت الذي كانت حياته مصدرا لالهاب خيال شعراء القرون الوسطى وقد انتهز هذا الكونت فرصة الحرب الاهلية التي نشبت في ليون بين أبناء اردون الناني على العرش ، وقام بنوحيد قشتالة في عام ٣١٩ ه / ٣١٩م وحمل منها امارة لها كيانها وحدودها (٢٠)

اننهت الحرب الاهلية الليونية بموت ابنى اردون احدهما بعد الاخر روبقى ردمير الابن النالث الذى اعتلى العرش عام ٣١٩ ه / ٣٣٢ م ووجد أمامه امارة قشتالية لها أميرها وهو الكونت فرنان جونثالث . لم يقدر ردمير النانى على تجاهل هذا الوضكع واستنفاد منه ، اذ استنعان بالقشتاليين في مسد هجمات الناصر ، ثم في الهجوم عليه وهزيمنه في موقعة الخندق عام ٣٢٧ ه / ٣٣٩ م . وفي نفس الوقت لم يفكر الكونت في التمرد ضد ليون طالما أن جيوش الخالفة كانه تعيث في بلاد النصارى وتنهب الاديرة ونحرقها . ولكن عقب موقعة الخندق ، رأى الكونت انه لم يعدد هناك ما يخشاه من المسلمين ، فأعلن تمرده ضد ملك ليون (^^)

قامت حرب الاستقلال بين ليون وقشتالة ، لكن ردمير الثانى ملك ليون انتصر وأسر عدوه فرنان جونثالث ، وسجنه في ليون ، ومنح ولاية قشتالة لاحد رجاله ، ثم ارسل ابنه شانجه للاقامة هناك في عاصمتها برغش

Dozy, op. cit., p. 432 & Livermore, op. cit., p. 92.

⁽٧٩) ابن للخطيب ١٠١عمال الاعلام ، ج ٢ ، ص ٣٢٥ ٠

Dozy, op. cit., p. 432 & Livermore, op. cit., p. 92.

Dozy, op. cit., p. 432 & Livermore, op. cit., p. 95
Chapman, op. cit., p. 57.

بورغم أنه أحسر معاملة القشتاليين الا أنهم ظلوا مخلصين لاميرهم الماسور ولم تخصد في نفوسهم نيران الوطنية ولما طال اسر زعيمهم شاروا وزحفت قواتهم على ليون ، فخشى ردمير عاقبة هذا الامر ، واطلق سراح فرنان جونشالث بشروط فادحة ، هي أن يقسم يمين الطاعة ، وأن يتنازل عن كل أملاكه ، وأن يزوج ابنته أوراكه بأردون ابن ردمير . قبل الكونت ذلك مكرها ، وظل أهل قشتالة ناقمين على ليون ، ففقد ردمير بذلك مساعده أمهر قواده وأسجع جنوده ، واضمحلت قواه العسكرية واضطر لالتزام خطة الدفاع أمام هجمات المسلمين ، وهو المنتصر عليهم في موقعة الخندق المشهورة (١٠)

وكان للكونت فرنان أمير قشتالة دور خطير في الصراع الذي نشب مين أبني غريمه ردمر ملك ليون ، أردون وشانجه . ورغم أن أردون كان زوجيا لابنة الكونت الا أن الكونت كان لايميل الى مساعديه لان المصاهرة كيانت قهرية كميا تقيدم ، كما أن أردون رفض مطالبه في أن يكون مركيزه في قشتالة أمرا وراثيا ، وأن يعترف بوحيدة قشتالة بحيث لاتجزأ ميرة أخيري . ولذلك فضل الكونت مساعدة شانجه الذي وعده برد الملاكية اليه ، وكذلك الاعتراف باستقلال قشتالة . فحشد الكونت جنده وتقدم المساعدة شانجة . الا أن أردون هزم أعداءه وتولى حكم ليون (٣٣٩ - المساعدة شانجة . الا أن أردون هزم أعداءه وتولى حكم ليون (٣٣٠ -

وتدخل أمير قشتالة مرة أخرى في ليون عندما مات أردون الثالث ، وقام الصراع بين أخبه شانجة الاول وبين ابن عمه أردون الرابع ، ذلك أن أردون الرابع كان قسد تزوج أرملة أردون الثالث ملك ليون السابق ، وهي كما تقسدم أبنة لأمير قشتالة الكونت فرنان جونثالث ، الذي أنتهز فرصة الصراع مبين أنسراد الاسرة المسالكة الليونية وحقق استقلال قشتالة بحيث لم يعد

Dozy, op. cit., pp. 435 & Livermore, op. cit., p. 95

Dozy, op. cit., p. 436 & Livermore, op. cit., p. 95

للك ليون أى سلطة عليها ، بل ان قشناله كانت بفوتها ومصاهرتها هي التي تقرر من يحكم ليون (^^)

قرر امير قشتالة التدخل على الفور في أحدات ليون ، ووقف الى جانب زوج ابنته أردون الرابع وأرسل له جيشا قشناليا ، ففر شانجه الى جسدته الملكسة طوطة ملكة نبرة الدى صحبنه ووفدت على الخليفة عبد الرحمسن الناصر ، وعقدت معه معاهدة اعترفت له فبها بالطاعة ودفع الجزية على أن يساعد حفيدها شانجة على العودة الى عرشه ، وقامت قوات نبرة بمهاجمة قشتالة ، وقامت القوات الاسلامية بمهاجمة ليون ففر أردون الرابع الى جبال استريس ، وأسر الكونت فرنان أمير قشتالة نفسه بواسطة النافاريين وحمل الى بنبلونة ، بينها اتخذ صهره المخلوع أردون الرابع طريقه الى قرطبة لطلب المساعدة (١٨٠)

اطلق النفاريون سراح أمير قشتالة بعدد دلك بقليل ، لكنه لم يلبث أن مات وخلفه في حكمها ، ابنه الأمير غرسية (٣٦٠ – ٣٨٥ ه / ٧٠٠ م ٩٩٥ م) والذي تسميه الروايات الاسلامية غرسيه بن فرذلند أو غرسيه بن فرانه بن عبد شلب . ظل هذا الامير بعيش في هدوء حتى قام الصراع بين القائد غالب والمنصور بن ابي عامر على السلطة في عصر الخليفة هشام المؤيد الطفال ، وحاول غرسيه التدخل في جانب غالب ، لكنه منى بالهزيمة مم اشترك بعد ذلك في نحالف مع راميرو التالث ملك لبون (٣٥٠ – ٣٧٢ ه / ٣٦٠ – ٩٨٢ م) ، لكنهم هزموا ، ومات غريسيه اسيرا في قرطبة على قول احدى الروايات النصرانبة ، وان كانت الرواية الاسلامية لم تشر الى ذلك (٨٥)

⁽٨٣) ابن الخطيب ، أعمال الأعمال ، ج ٢٠ ، ص ٣٢٠ -

⁽٨٤) ابن خليون ، العبر ، ج ٤ ، ص ١٨١ ، ابن خليون ، العبر ، ج ٤ ، ص ١٨١ ، ابن خليون ، العبر ، ج ٤ ، ص ١٨١

۱۹۲ - ۱۹۵ منان ، المجع نفسه ، ص ۱۸۱ منان ، المرجع نفسه ، ص ۱۹۹ - ۱۹۹ منان ، المرجع نفسه ، ص ۱۹۹ - ۱۹۹ المجبر ، ج ٤ ، ص ۱۸۱ منان ، المجبر ، ج ٤ ، ص ۱۹۹ - ۱۹۹ المجبر ، المجبر ، ج ٤ ، ص ۱۹۹ - ۱۹۹ المجبر ، المجبر ، ج ٤ ، ص ۱۹۹ - ۱۹۹ المجبر ، ج ٤ ، ص ۱۹۹ - ۱۹۹ المجبر ، ج ٤ ، ص ۱۹۹ - ۱۹۹ المجبر ، ج ٤ ، ص ۱۹۹ - ۱۹۹ المجبر ، ج ٤ ، ص ۱۹۹ - ۱۹۹ المجبر ، ج ٤ ، ص ۱۹۹ - ۱۹۹ المجبر ، ج ٤ ، ص ۱۹۹ - ۱۹۹ المجبر ، ج ٤ ، ص ۱۹۹ - ۱۹۹ المجبر ، ج ٤ ، ص ۱۹۹ - ۱۹۹ المجبر ، ج ٤ ، ص ۱۹۹ - ۱۹۹ المجبر ، ج ٤ ، ص ۱۹۹ - ۱۹۹ - ۱۹۹ المجبر ، ج ٤ ، ص ۱۹۹ - ۱۹۹

ترك غريسيه ابنه شانجة في حكم قشتالة (٣٨٥ - ٢٠١ ه / ١٠١٧ م) . وقد احتفظ مع سميه غريسية شانجة ملك نبره (٣٨٤ - ٣٩٠ ه / ١٠٠٠ م) بعدلاقات حميمة ، وقد فتح غريسية القشتالي باب قصره لكي ينشأ فيه شانجة ابن صديقه غريسية ملك نبرة ، لأن امه كانت من اصل قشتالي ، ولان والده ملك نبرة كان قد مات في سن مبكرة . وعمل غربسية امير قشتالة على ربط قشتالة بنبرة ، فزوج شانجة الذي صار فيما بعد ملكا على نبرة باسم شانجة الشالث شانجة الذي صار فيما بعد ملكا على نبرة باسم شانجة الشالث البيرة ، كما زوج ابنته الأخرى المسماه طريجة من ملك لبون برمند وكان من نتيجة هذه المصاهرات أن ارتبطت البلاد الثلاثة في وحدة واحدة واحدة في مطلع القرن الخامس الهجرى / الصادي عشر الميالادي بينها كانت في مطلع القرن الخامس الهجرى / الصادي عشر الميالادي بينها كانت الأندلس تعيش عصر التفرق والانقسام والصراع في عهد ملوك الطوائف (٢٨)

وهكذا نرى أن الاوضاع الداخلية فى الدولة النصرانية فى شهرض أسبانيا كانت نساعد خلفهاء بنى أميه على القيهام بدورهم فى فهرض السهام على جميع أجزاء شبه جزيرة أيبيريا ، فقه شغلت مملكة ليهون بالحسروب الاهلية الداخلية المتالية بسبب الصراع على العرش ، وقه أعاقها ذلك بالتأكيد عن القيهام بدور نشط ضهد خلفهاء بنى أميه كمها شغلت هذه الدولة من ناحية أخرى بالصراعات التى أثارتها أمارة تشتالة فى سببل تحقيق استقلالها عنها ، وشغلت تشتالة وليون ونبرة بالصراع ضد بعضها البعض تأييها لهذا الامير أو ذاك ممن تربطه علاقه مصاهرة بأحهد ملوك هذه الدولة أو تلك .

وكان من نتيجــه ذلك أن قــل التعــاون بين ملوك وأمراء هــذه الدول ، وكــان التعــاون لايظهر الا اذا أحست احداها بخطر الفنــاء نتيجة لهجمة شرسة من هجمــات المسلمين المتتالية ، وعندئد تتحد وتتحــالف

۰ ۳۲۸ من ۱ ابن الحطيب ، اعمال الاعلام ، ج ۲ ، ص ۳۲۸ الجن الحطيب ، اعمال الاعلام ، ج ۲ ، ص ۸۲۸ للجن الحطيب ، اعمال الاعلام ، ج ۲ ، ص

وما أن ينتهى الخطر حبى تعود تلك الدول الى محربة بعضها البعض ، بل وتستعين بالخرافة للانتصار على خصومها وتحتبق أهدافها .

كانت الكراهية بينهم موجودة لدرجة انه عندما غزا المنصور ليون المتلا التشتاليون سرورا ، وعندما عانت قشتالة بدورها من نفس المصير كان الليونيون شامتين . وكانت هاتان الملكتان تتيهان فرحا وسرورا عندما اكتسح المسلمون نبرة . وفي تلك الايام كان تعبير أو لفظ أسبانيا معندما اكتسح المسلمون نبرة . وفي تلك الايام كان تعبير أو لفظ أسبانيا شبه الجزيرة الذي اقام فيه المسلمون دولتهم وعندما كان نصارى الشمال شبه الجزيرة الذي اقام فيه المسلمون دولتهم وعندما كان نصارى الشمال يشيرون الى وطنهم الخاص ، كانوا يقولون اسماء ممالكهم التي يعيشون فيها مثل ليون ، تشتالة ، نبرة ، اشتريس . . . الخ ، وكانت هذه الروح الانفصالية هي الني هزمتهم أمام الأندلس الموحدة في عصر الخالفة في التسرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادي(٨٠) ، وسوف نرى أنر هده الأوضاع الداخلية وأثر عوامل القوة والضعف في كل من الأندلس وشمال السبانيا واضعا في تطور العالمة في الفصل الثاني من هذا الباب .

Crow, op. cit., p. 82.

الفصل النشاق

مظاهر العلاقات السياسية بين الأندنس الإسلامية وأسبانيا النصرانية في عصر أمراء بني أمية

١ ــ ملبيعسة العسلاقات بين مسلمي الأندلس ونصاري الشمال الأسباني

قلنا في حديثنا عن العالقة بين امراء بنى امية ونصارى الشمال الأسبانى ان مؤلاء الأمراء لم يكن هدفهم من الصراع مع نصارى الشمال هو ابادتهم او تحطيم دولتهم ، بل كان هدفهم هو التعايش السلمى معهم ، ولم يكن ذلك ممكنا الاعن طريق سلسلة من الغزوات او الحروب ، قد تكون رد فعل لهجمات نصرانية ، وهذا هو الاغلب الاعم او قد تكون حربا بداها المسلمون للنخويف والارهاب ، او درءا لخطر محتمل وهى ما تسمى بالحسرب الوقائية في عصرنا الحسديث .

هذا ماكان في عصر الامارة ، وكان لذلك دواعيه النابعة من الظروف والأوضاع الداخلية لطرفي الصراع ، لكن هذه الأوضاع نغيرت في عصر الخلافة وتطورت لدسالع المسلمين ، ومال ميزان القوة السياسي والعسكري الى جانبه ، وحفق خلفاء بني أمية من امتال الناصر والمستنصر وحجابهم من امتال المنصور بن ابني عامر وابنه المظفر عبد الملك تفوقا ساحقا على دول الشمال النصراني مجتمعه ، حنى انها أتت راكعة تطلب السلم والموادعه . ضهل تغيرت اهداف الصراع عند خلفاء بني أمية عنها في عهد الادارة : وباذا كانت أعدافه ايضا عند نصاري الشمال ؟ وما هي متبحة هذا الديرا و ولمبيعنه بالنسبة للطرفين ؟

ام سعير عدت السراع سواء عند نصارى الشمال ، أو عند مسلمى الأندلس ، نالأولون ونسعوا نصب اعينهم استرداد بلادهم التي استولى

عليها المسلمون والمسلمون كانوا يريدون ردع هؤلاء النصارى وكبح جماحهم وتحقيق هيبة الدولة الاسلامية ، وسحق أى مصاولة نصرانية تنال من أراضيها ، لم يكن فى ذهن خلفاء بنى أمية التوسع فى أراضى الشمال مذلك شيء لايريدونه رغم أنه كانت لديهم القدرة عليه ، فقد احتال الناصر بنبلونة مثلا ، وكان يستطيع الاستمرار فى ذلك والقضاء على مملكة نبرة ، ولكن عندما تقدم ملكها يطلب الصلح ، أخلى الناصر عاصمته وقبل محالفته ، وكذلك فعال مع أمارة قشتالة وكانت ناشئة أذ فاك ، وكان يستطيع القضاء عليها فى مهدها ، ولكن نظرية الناصر كانت الاعتراف بحقوق المالك الاخرى لتعترف هى بحق الخالفة الأموية على أراضيها ،

وكان ما يهم خلفاء بنى أميسة الاتوياء هو تحقيق الأمن والأمان للمواطنين ولديار الاسلام ، هذا كان منتهى املهم ، فهل تركهم مسيحيو الشمال يحققون هذا الهدف، ؟ (')

الواقع أنهم تصدوا للخلافة وهى ما تزال فى مهدها وحاولوا القضاء عليها ، واثارة مشاعر المسلمين بأن الخليفة غير قادر على تحقيق الأمان للرعية وهو المسئول عنها دينيا وسياسيا ، حتى أنه فى احدى الهجمات التى شنها نصارى الشمال ونالوا فيها من المسلمين وقتلوا عددا كبير من زعماء الثغور هاجت الاندلس على الناصر ورموه بالتفريط فى تأمين حياة رعيته من المسلمين (٢) .

اذن أجبر الناصر وهو أول خلفاء بنى أمية على خوض المعارك مع شمال أسبانيا النصرانى أجبارا ، وسوف نرى أنه فى معظم حروبه لم يكن هو البادىء بالعدوان ، وأنما نصارى الشمال بتعصبهم المقيت كانوا وزاء تلك المعارك التى استبرت حوالى أربعين عاما من خلافة الناصر البالغة خمسين عاما ، ولم تكن حروب الناصر الارد فعل لهجمسات

Ó

⁽۲) ابن عدداری ، البیان المغرب ، ج۲ ، ص ۲۷۸ .

الشمال ، او كانت بسبب نقضهم لما أبرموه معه من معاهدات . هذه هي طبيعة العلاقات بينهم وبين الناصر . واستمر ابنه الحكم المستنصر (٣٥٠ - ٣٦٦ ه / ٣٦١ - ٩٨٦ م) بسير على سياسة أبيه ، الا اذا نقض هؤلاء النصارى عهدا كان لهم معه أو مع ابيه الناصر . واستمرت بذلك غترة السلم من أواخر حياة الناصر حتى وغاة الحكم المستنصر فيها يقدرب من حوالى عشرين عاما .

ولما تولى ابنيه هشام المؤيد الخيلانة (٣٦٦ ـ ٣٩٩ ه / ٣٧٠ م) كان لايزال طفيلا فاستحجب رجل الدولة القوى محمد بن أبى عامر الذى اننهز الفرصة وحجر على الخليفة واستبد بالسلطة ، وتغير هدف الصراع وطبيعة العيلاقات مع نصارى الشمال ، فقيد كان هدف هذا الرجل ذى القبضة الحديدية والعزيمة الوثابة والرغبة المتوهجة فى الجهاد هو تحطيم دول الشمال النصرانية ، وتطهير اسبانيا كلها من النصارى ودولهم لو قدر على ذلك (٢)

قرر المنصور اذن أن يقضى على دول الشمال ، وان يخضها جميعا لسلطة الخلفة وقد خالف فى ذلك خطسة من تقدمه من خلفاء بنى أميسة أو أمرائهم ، اذ كان هؤلاء جميعا يحاربون للدفاع ورد الفزوات أما هو فكان يبدأ بالحرب دائما ، تحدوه فى ذلك روح قوية فى الجهاد حتى انه كان يتوق الى الموت فى ميدان المعركة ، وكان دائما يحمل معه اكفان يتوق الى الموت فى ميدان المعركة ، وكان دائما يحمل معه اكفانه كلما خرج يغزو الشمال ، فهو دائما مستعد الشهادة ، وفعلا مات وهو عائد من احدى غزواته ودغن فى مدينة سالم ، وهى أبعد ما تكون عن قرطبة ، فهى من ثغور المسلمين التى تطل على قشتالة ، وكأنه أراد أن يذكر النصارى بوجوده قريبا منهم حتى وهو ميت (1)

A grant with the first of the second

 $f = F_{ij}$

⁽٣) د محسين مؤنس ، مسور من البطولة ، ص ١٦١ ٠

⁽٤) حنى ، تاريخ العرب (المطبول) حـ ٢ - ص ٦٣٥ ،

حطم المنصور كثيرا من بلاد الشمال ودمر عواصمهم الثلاث ، ليون ، وبنبلونة وبرشلونة ، وانزل الخراب والدمار بزراعتهم وبيوتهم وكنائسهم واديرتهم ، حتى أنه دمر في احدى غزواته قدس اقداسهم ، وهي مدينة شانت ياقب ، ذلك المزار الديني الكبير الذي بحيطونه بكل تقديس واجدلال واراد المنصور من وراء ذلك أن يقضى على الرمز الذي بلتفون حوله والذي جعلوه حامى حمى المسيحية في أسبانيا (م)

وهكذا تغبرت طبيعة المعارك بين أسبانيا الاسلامية وأسبانيا النصرانية ، وبدأت الحرب تأخذ صفة الحرب الدينية ، فالنصارى يحرقون المساجد ويمنلون بجثث القتلى . والمسلمون يدمرون الكنائس ويقتلون القسس والرهبان ، ويشنرك هولاء في المعارك لاشارة الحماس الديني في نفوس بني جلدتهم من النصارى ، وبقوم الفقهاء بنفس الشيء في جيوش المسلمين ، ويحاول النصارى سواء في الاندلس أم في الشمال فتنة الناس واغراءهم بالارنداد عن دين الاسلام ، ويقوم المسلمون بقتل من يعرفون عنه ذلك ، ويفد على الاندلس من يفد من المسلمين الراغبين في الجهاد ، وكذلك يفد على شمال أسبانيا من يفد الاسلام أو لجمع عظام الشهداء المسيحيين (٢)

حدث كل ذلك طوال القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى ، وحدث ما هو اكثر منه ، فقد اخذت العوامل الدينية والقومية يظهر تأثيرها على العسلاقات بين مسالك الشمال النصرانية ، ورأت هذه الدول أنه لابد من وحدة الكلمة حتى تستطيع مقاومة الخطر الاسلامى والقضاء عليه . اتحدت ليون ونبرة وقشتالة ، وأحيانا برشلونة ، في كثير من المعارك ، وأحرزوا نصرا في بعضها ، وأصابتهم الهزيمة في معظمها ،

⁽٥) ابن عداري ، الديان آلفرب ، ح ٢ ، ص ٤٤٠ ،

⁽۱) ابن حزم ، جمهرة آنسات العرب ، ص ۹۶ ، ۲۹۸ ، الحميرى ، صغة حزيرة الأنتلس ، ص ۱۷۱ ، السلاوى ، الاستيصا ، ج۱ ، ص ۸۵ ، ۸۸ ،

لكنهم احسوا بفسائدة الكفساح المشترك ضد العدو المشترك ، وكان هذا ارهاعسا لمساتم في القسرن التسالي حبث أصبحوا وحدة واحسدة ، بينما تفرق شمل المسلمين ، وبذلك ظهرت بوادر الوحسدة القومية الاسبانية منذ ذلك الحين ، وكانت أسبق من غيرها في دول أوربا بسبب الحركسة الفريدة التي تميزت بهسا أسبانيا ، وهي حركة الاسترداد (٧) .

هكذا تغيرت أهداف الصراع وتغيرت طبيعته في أوائل القرن الرابع الهجرى / العداشر الميددي ، ولم يكن الا بتأثير المنصور بن أبي عامر الذي يعد من طراز المجاهدين الاوائل أمال موسى بن نصير ، وعبدالرحمن الغافقي ، وكأنه أراد أن يحبى سنة الجهداد التي كانت قد فترت الي حد بعيد بعد انتهاء عصر الولاة . لكن الغريب أن المنصور رغم غنواته الدي بلفت ما ينيف عن الخمسين لم يستطع ازالة هذه الدول من الوجدود ، ولم يقم بحركة استيطان اسلامية لهذه الدول . فهل كانت تنقصه الامكانيات ؟ أم أن الأوضاع الداخلية كانت لاتساعده على ذلك ؟ أم أن الأخطار الخارجية ماشل يده عن تحتيق هذا الهدف ؟

يجب أن نضع في الحسبان أن الوضع الداخلي كان في غير مصلحة بني عامر على المستوى البعيد ، وكان المنصور يعرف ذلك حتى أنه تنبأ بخسراب مدينته الزاهرة التي بناها وتجشم في بنائها الكثير ، وكان في وصاياه لأولاده ومواليه يحذرهم من بني أمية ويقول لهم « لا تغرنكم دوارق بني أمية فاني أعرف ذنبي اليهم » ، فهو اذن كان لديه الاحساس بما سوف تؤول اليه الأمور بعد وفاته ، وصدق احساس الرجل ، اذ لم يمض على وفاته أكثر من سبع سنوات حتى زلزلت الارض زلزالها وصلب ابنه عبد الرحمن وقضي على دولته ، وأزيلت مدينته الزاهرة من الوجود في عدة ساعات ، وقامت دولة أخرى على رأسها البربر الذين كان يقيم ملكه على سواعدهم (^) .

⁽٧) عنان ، نهاية الأندلس ، ص ٥٣ ٠

⁽A) ابن بسام ، النحيرة ، ق ع ، ج ١ ، ص ٨٠٠ ·

اذن كان هنسال انقسام في الجبهسة الداخلية ايام بنى عامر لكنسه كان انقساما مستئرا كالنسار نسرى تحت الرماد ، كان هناك حسزب بنى المية وحزب بنى عامر ، ورغم أن السيطرة السياسية كانت للحسزب الاخير الآ أن الحزبين كانا يتربص كل منهما بالاخر ، لذلك كان اعتماد بنى عامر على البربر والمرتزقة في جيوشهم التي كانت تطيعهم طاعة عميساء والتي حققوا بهسا تلك الانتصارات الرائعة ، كانت شخصية المنصور طاغية ، وكسان لايمكن لحزب بنى أميسة الذي أضناه التشريد والقتسل والمسادرة على يد بنى عامر أن يرفع رأسه في عهسد هذا الرجل القساهر ، تركوا له الميساح ويمرح فيه بمفرده ، تركوه ينبح لهم بدل أن ينبح عليهم كمسا قال بذلك هشام المؤيد (*)

بُجِاني ذلك يجب الاننسى ايضا ان الخطر الخارجى الذى كان يتمثل فى دولة الفاطميين فى شمال افريقيا قد استنزف الكثير من جهود بنى امية وبنى عامر ، ولو أمن الفاطميون الجبهة الجنوبية لبنى أمية لكان لصراعهم مع نصارى الشمال شأن آخر ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فان الاندلس كانت ثغرا نائيا من ثغور المسلمين ، ويالينها كانت لها صلة ببقية الاتطار الاسلامية فى المشرق ، انما استقلت بنفسها واقامت على أرضها خلافة تنافس خلافة بنى العباس فى المشرق وانفاطميين فى المفرب ،

فالأندلس كانت عضوا صغيرا بتر من جسد الأمة الاسلامية المنرامية الأطراف ، وكان عليه أن ينزف دماء الحياة ، وأن يقف وحيدا في هذا المكان القصى يجاهد النصارى ويجالد الثائرين ، معتمدا على قواه الذاتية حتى نضب معين هذه القدوى ، ونالها الاعياء ، فاسترخت واستسلمت بدءا من القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى ، حينما بدأت الخلافة الاموية تدخل مرحلة الضعف والسقوط ، وتغيرت طبيعة العلاقات ومظاهرها مع نصارى الشمال ، ذلك أن خلفاء بنى أمية في تلك الفترة انقسموا على أنفسهم ودخلوا في صراع داخلى عنيف على الفوز بكرسى الخلافة ، واستعانوا في ذلك بنصارى الشمال عنيف على الفوز بكرسى الخلفة ، واستعانوا في ذلك بنصارى الشمال

⁽٩) ابن سميد ، المضرب في حلى المغرب ، چ ١ ، بعي ١٩٤ ، ١٩٥ . -

لتحقيق هذا الهدف ودخلت توات النصارى قرطبة تقهر فريقا لمملحة الآخر وبذلك تغيرت اهداف الصراع وانقلبت الحال وصار الفالب مغلوبا ، وانعكست الاوضاع بالنسبة للعلاقات مع نصارى الشمال عها كان عليه في عصر قوة الخلفاء في القرن الرابع الهجرى / العاشر الميالدي ،

هذا عن طبيعة الصراع واهدافه ودواعيه سواء في عصر تهوة المخطفة أم في عصر ضعفها ، لكن هل كانت العطفة بين الجانبين الاسلامي والمسيحي في شبه الجرزيرة طوال عصر الخطفة حربا وصراعا عسكريا لايخمد أواره ولا يستقر قراره ؟ وهل استبد المسلمون بنصاري الشمال واستخدموا قواهم العسكرية الفائقة في فرض الحرب عليهم وخاصة في عمر قوة الخلافة ؟

لم يفعل المسلمون ذلك ، لأنه كأن يتنافى مع أهداف الصراع ومع طبيعة العسلاقات ، ويمكننا أن نقسم عصر الخسلافة الى أربع فترات ، فترة الصراع المتوازن وتبدأ من بداية عهد عدد الرحمن الناصر في عام ٣٠٠ ه / ٩١٢ م وتنتهي بعام ٣٤٤ ه / ٩٥٥ م ، وهو عام السلام الذى تم فيسه عقد معاهدات السلام بين الناصر وجيرانه من نصارى الشمال والفنرة الثانية ، وهي فترة السلام وتبدأ من هذا العام وتنتهي بوفاة الحكم المستنصر عام ٣٦٦ ه / ٩٧٦ م ، وقيها استخدم الناصر وابنه المسننصر الأساليب الدبلوماسية في معظم الأحيان ، لفض تحالف نصارى الشمال ، حتى أصبح هو السيد الفعلى لشبه الجزيرة كلها . والفترة الثالثة وهي فترة الصراع المتطرف الذي قاده المنصور بن ابي عامر في عنف وشراسة ضد نصارى الشمال ، وحطم فيه دولهم وأذل كبرياءهم . وتأتى بعد ذلك فترة سقوط الخسلافة بدءا من القرن الخامس الهجرى / الحادي عشر الميلادي ، وفيها انقلب ميزان القوى لمسالح نصساري الشسمال، وأصبحوا بتدخلون في تولية الخلفساء وعزلهم . وسوف نتناول علاقة خلفاء بنى أمية بنصارى الشمال في عصر قوة الخالفة وفي عصر ضعفها كل على حسدة .

٢ - علاقات خلفاء بني امية بنصاري الشمال الأسباني في عصر القوة

(١) علاقات خلفاء بني أمية بمملكة ليون:

حكم ليون في القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى عشرة من الملوك عاصر الناصر منهم سبعة ، وقد سبقت دراسة أحوال كل من البلدين ، تلك الأحدوال التي أثرت كثيرا على العلاقة بينهما ، ومكنت الناصر وخلفاءه من أن يقودوا حركة الصراع مع ملوك ليون باقتدار وكفاية وشنجاعة منقطعة النظير ، جعلتهم سادة شبه الجزيرة كلها .

وتبدأ المرحلة الأولى في العلاقات بين ليون وقرطبة بهجوم شسنه الملك اردون (اردونيو) الثاني بن الفونش (الفونسو) الثالث (٢٠١ – ٣١٢ ه / ٢١٤ م على ماردة واستولى ٣١٢ ه / ٢١٤ م على ماردة واستولى على حصن الحنش ووضع السيف في رقاب مدافعيه ، وامند الرعب الى اهل بطليوس الذين افتدوا أنفسهم بالمال ، وقدموا شكواهم الى الناصر ، ورغم أن ماردة كانت من المناطق النائرة ضد الناصر الا أنه أراد أن يكسب قلوب الثوار هناك ، فجرد ضد ملك ليون جيشا بقيادة الحمد بن محمد بن أبي عبدة عام ٢٠١٤ م ، وكانت هذه هي الحملة الأولى ضد ليون في عهد الناصر وكانت ردا على عدوان أردون وسون بتكرر ذلك فيها سيأتي من حملات (١٠)

ولم يهضى على اغارة أردون الثانى على ماردة كثير حتى فاجأ أهل الثغور بهجوم خاطف عام ٣٠٥ ه / ٩١٧ م ، أحرق فيه أرباض طلبيرة (على نهر الناجة) . فأمر الناصر قائده ابن أبى عبدة أن يخرج لاغساتة أهل هذه الناحية ، وحاصر قلعة شنت اشتبين أو قاشتر مورش حسب الرواية العربية وأشرف المسلمون على الظفر لولا أن أردون أقبل لانقاذها ، ففر البردر والجند المرتزقة وتركوا ابن أبى عبدة الذى صمم على الدفاع

⁽١٠) ابن عدداري . المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٢٥٣ ، ابن خلاون ، العبر ، ج ٤ ، ١٤١ .

حبى الموت هو وكثير من جنوده وضباطه . وانتهت المعركة باستشهاده وفر الباقون وعادوا سالمين حسب الرواية الاسلامية . أما الرواية النصرانية فتقول أن المزيمة كانت ساحقة لدرجة أن المرنفعات والقلاع والسهول والغابات من الدويرة حنى أتبنسة كانت مغطاة بجثث المسلمين (١١) .

ازدادت شجاعة اردون الثانى ملك ليون وتحالف مع ملك نبرة شانجة ابن غرسية ، وهاجم ناجرة وتطيلة بالثفر الاعلى ، فأرسل الناصر حاجبه بدرا عام ٣٠٦ ه / ٩١٨ م الى منطقسة ليون للانتقسام لمقنل ابن ابى مبدة وحدثت معركتان على مقربة من مكان يسمى مطونية والذى سميت الغزوة بابسمه . كسب المسلمون اجدى المعركنين حسب رواية دوزى بينما الروايه الاسلامية تقول ان النصر كان تاما ، وأن بدرا هزم ملكى ليون ونبرة ، وأنه أرسل الى الناصر الف رأس من قتلاهم مع كتاب الفتح الذى قرىء على جميع منابر الأندلس (١٣) .

كان بنو تجيب وبنو طويل من أمراء الثغر الاعلى الاندلسى يتحالفون مع نصارى الشمال فى ذلك الوقت ويحاربون الى جانبهم ، ولذلك رأى النساصر انه لابد من الخروج بنفسه لتأديبهم وللانتقام بنفسه لمقتل قائده ابن أبى عبدة ، خاصة وأن ملك ليون قد أغار على حصن القلعة قرب مدينة الفرج (وادى الحجارة) فى المحرم ٣٠٨ ه / ٩٢٠ م ، فأسرع الناصر فى سيره حتى وصل الى طلبطلة ومنها الى مدينة سالم ، وأظهر أنه يربد التوجه الى النفر الأعلى ، لكنه مال ناحية البة والقلاع (قشستالة) من مملكة لبون واسستولى على قلعة أوسمة التى تسميها

⁽۱۱) ابن عداری ، الصدر بنسه ، ج ۲ ، ص ۲۰۵ ، ۲۰۲ ،

الروایات العربیة وخشمة ، واحرقها ، ثم تقدم الی قلعة شنت اشتبین (قاشترمورش) ، وهی التی کانت مسرحا لهزیمة المسلمین المروعة عام ۳۰۵ ه نفرت حامیتها واستولی علیها الناصر وهدمها واجتاح مدینة قاونیة وخربها ، ثم ولی وجهه شطر الثغر الاعلی ونبرة(۱۳) .

اسرع ملك ليون الى نجدة ملك نبرة والحق الملكان بعض الخسائر بالمسلمين اثناء مرورهم بين ممرات الجبال ومضايقها ، لكن الناصر استدرجهم الى سهول جنكيرة وسحق جيوشهم مجتمعة وقتال اكثر من ألف مسيحى كانوا قد لجاوا الى قلعة مويش ، وهى القلعة التى اعطت اسمها لتلك المعركة . وبعد هذه الهزيمة القاسية لم يجرؤ ملك ليون على التعرض للثغور الاسلامية مرة أخرى ، وما لبث أن مات عام ٣١٢ ه / ٩٢٤ م (١٠)

قامت الحرب الأهلية في ليون بسبب وراثة العرش بعد موت اردون الثاني حتى استقر الأمر للملك ردمير (راميرو) الثاني (٣١٩ – ٣٣٩ ه/ ٣١١ – ١٥٩ م) . وكان هذا الملك من أشجع ملوك ليون وأقدرهم وكان أكثهم بغضا للمسلمين ، فقد استطاع أن يحرض طليطلة على الثورة ضد الناصر حتى يشغله عن غزو ليون ، فجرد الناصر عليها جيوشه عام ٣٢٠ ه / ٣٣١ م وحاصرها ، وعبثا حاول ردمير انقادها لكن جيوش الناصر صدته وهزمته قبل الوصول اليها ، فعاد الى بلاده ناركا المدينة لمصيرها المحتوم(١٠٥)

⁽۱۳) ابن عبد ربه ، الصدر نفسه ، ح ۲ ، ص ۲۷۰ ، ۲۷۱ ،

⁽¹²⁾ ابن عـذاری ، المسدر نفسه ، ~ 7 ، $\sim 777 - 777$ ، ابن خلسدوں ، العبر ، ~ 2 ، ~ 121 ،

⁽١٥) اس عبداري ، المستدر نفسه ، چ ٢ ، ص ٣٠٢ ـ ٣١٢ ، ابن عبد ريه ، العقبد العريد ، چ ٢ ، ص ٣٠٧ ـ ٣١٠ ، ابن عبد ريه ، العقبد

وكان ردمير أكثر حظا في العام التالي (٣٢١ ه / ٩٣٣ م) ، اذ الساحة المعام البيان جونشالث كونت قشاحتالة ان يهازم قصوات المسلمين الني كانت نهدد أوسامة . وأخاذ النامر ثأره في العام التالي (٣٢١ ه / ٩٣٤ م) ، وكانت رغبته ان تشهد السهول المحيطة بأوسمة انتصار جبوشه كما شهدت هزيمتها ، وعبثا حاول اخراج ردمير من حصونها التي تحصن فيها ، فترك الناصر قوة لمحاصرته ، وتقدم نحو الشمال ووصل الي برغش ودمرها تدميرا رهيبا ، وقتل كل رهبان دير سان بيدرو دي كاردينيا البالغ عددهم مائنان ، وواجهت كثير من القلاع نفس المصير (٣١) .

لجاً ردمير الى اسلوبه فى اثارة الشيقاق بين المسلمين ، وحرض بنى هاشيم التجيبيين حكام سرقسطة وقلعة أيوب على شق عصا الطاعة على الناصر ، فقام هؤلاء باعلان تمردهم وتحالفوا مع ردمير ، وانضمت اليهم الملكة هوطة (تيودا) ملكة نبرة ، وبذلك اتحد الشمال كله ضد الناصر . واستطاع الناصر فى عام ٣٢٥ ه / ٩٣٧ م أن يهزم بنى تجيب ويقضى على ثورتهم ، وأن يهزم أيضا جيوش نبرة ويخرب كثيرا من حصونهم ، فأعلنت الملكة طاعتها للناصر ودفعت له الجزية (١٧)

وبذلك أخضع الناصر الشمال الشرقى ولم يبق أمامه الا خصمه العتيد ردمير الثانى ملك ليون ، وهو محور النضال الحقيقى ، فأعدد لغزوه جيشا ضخما يبلغ عدده زهاء مائة الف ، وعهد بقيادته الى فتاه نجدة الصقلبى وهنا تختلف الروايات الاسلامية فيما بينها بخصوص زمان المعركة ومكانها

⁽١٦) ابن عبد ربه ، المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٢٧٧ ،

⁽۱۲) السخرى ، نصوص الأنطس ، ص ٤٥ ، ابن عبد ربه ، ج ٢ ، ص ٢٧٧ ، المترى ، نفسح الطبيب ، ج ١ ، ص ١٦٩ ،

فالمقرى ينقل عن المسمودى بأنها كانت عند مدينة سمورة في شوال عام ٣٢٧ ه ويتابعه في ذلك الحميري (١١).

اما بقية الروايات الاسلامية فتثمير الى انها كانت عند مدبنة ثمانت مانكة او ثمانت مانكش أو شانت ماكس ، وهى اسماء متثمابهة لمدينة سلمنقة (سببهانقاس) التى تقع على نهر دويرة حيث حدثت المعركة هناك بين ١١ و ١٧ من شموال ٣٢٧ ه ، وقيها هرزم المسلمون بسبب خيانة الضباط المرب الذين ارادوا الانتقام من الناصر الذي اسند القيادة العلما لنجدة الصقلبي ، فتقهقروا وارتدوا الى مكان بسمى الخندى جنوب سيمنقه ، حيث هزمهم النصاري هزيمة ساحقة ، بسمى الخندى جنوب سيمنقه ، حيث هزمهم النصاري هزيمة ساحقة ، الناصر الى قرطبة قبض على ثلاثمائة من الفرسان وصلبهم ونادى عليهم الناصر الى قرطبة قبض على ثلاثمائة من الفرسان وصلبهم ونادى عليهم هذا جزاء من غش الاسلام وكاد لأهله ، وأخل بمضاف الجهاد » (١٩)

ويبدو أن رواية المسعودى والحمرى غير صحيحة ، لأن المسعودى وأن كان معاصرا للمعركة الا أنه كان يعيش بعيدا عن مكانها ، فهو من مؤرخى المشرق ، وربما نقل عمن لايعرف مكان المعركة الصحيح . أما الحميرى فهو مصدر متأخر لانه عاش في القرن الثامن الهجرى ، كما أن روايته يبدو عليها الاضطراب ، فهو يذكر مثلا أن جيش الناصر كان مائتي الف ثم بعود وفي نفس الروابة ويقول أنه كان مائة ألف .

اما الروايات الأخرى التى اوردناها نهى صحيحة وتتفق فى ذلك مع الروايات النصرانية المتعددة ، كما أنها صدرت من مؤرخين أندلسيين قريبى العهدد بالأحداث ونقلوا عمن شاهدوا ، ويلفت النظر فى رواية

⁽۱۸) الحميري ، صفة جزييرة الأنطس ، ص ۹۸ ، ۹۹ ، المقرى ، نفسح الطيب ، ج ۱ ، ص ۱٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٦ ،

⁽۱۹) ابن حیان، المقتبس ج ۳ ، ص ۱۹ ، ۲۸ ، العسفری ، المسدر نفسنه ، ص ۲۹ ، ابن الخطیب ، اعمال الاعلام ، ح ۲ ، ص ۲۳ ، ۳۷ ، ابن خلسدون ، للعبر ، چ ٤ ، ص ۱۸۰ ،

ابن حيان أنها تذكر المعركة مرة باسم الخندق ومرة تقول أنها « غزوة شنت مانكثس وهى الفزوة المعروفية بالخندق » ويقول أبن خلدون أنها وقعية الخندق المريبة من ودينة شنت ماكس (سيهنقة) . وهو تحديد دقبق جدا لكان المعركة (٢٠) .

وقد عرض الاسناذ محمد عبد الله عنان الرواية الاولى التى أثبتنا خطا عنان عنها انها تقترب من الرواية النصرانية ، وهذا أيضا خطأ ولا بقنرب منها الا الروايات التى أوردناها والتى تتفق معها فى المكان والزمان الذى تجعله فى شوال عام ٣٢٧ ه / يولية ٣٣٩ م ، ولاعبرة أفي هذا ببعض الروايات الاسلامية المتأخرة التي جعلت المعركة فى زمن غير زمانها بنحو عشر سنوات أو أكثر أو أقل (٢١)

وربها أتى الخلط عند بعض الكتاب المسلمين بالنسبة لاسم المعركة وقالوا أنها كانت عند سمورة ، بسبب أن تلك المديئة يحيط بها سبعة أسوار بين كل سور والآخر خندق ملىء بالماء زيادة في تحصين المدينة ، ولما كانت معركة سيمنقة الشتهرت باسم معركة الخندق ، فقد ظن هؤلاء أنه خندق مدينة سمورة . وهنا يقول الدكتور حسين مؤنس بأن المسلمين كانوا قد حفروا خندقا تحت أسوار سيمنقة ، حتى يحصروا عنده قوات المدو الهارية في حالة الهزيمة . لكننا لا ندرى كيف وقع المسلمون في خندق حفروه بانفسهم ، وهل لم يدر بخلدهم أنهم ربما وقعصوا فيه أذا جرت عليهم الهزيمة ؟(٢٢) .

⁽۲۰) ابن حیسسان ، المفتیس ، ج ۳ ، ص ۱۹ : ۲۸ ، ، ابن خلدون ، العیر ، ج ٤ ، ص ۱۸ ،

⁽۱۱) محمد عبد الله عنان (تاريخ الاسلام في الانطلس ع ۱ ، ج ۲ ، ص ۸۰ ، ۲۸) والفلمشندي (صبح الاعشي ، ج ٥ ، ص ٢٦٢) يجعلان المعركة في عام ٣٣٧ م ، ابن خليدون محمل المعركة في عام ٣٣٣ م ، انظر ، العبر ، لعبر ، ح ٤ ، ص ١٣٧ ، صاحب اخبسار محموعة يحعل المعركة عام ٣٣٣ م ، أنظر ، ص ١٥٦ .

⁽٢٢) د٠ حسين مؤنس ، الطة السيراء لابن الأبيار ، ج ١ ، حاشبة ص ٢٧٢ ٠

يبدو أن هــذا القول مغالى فيه ، فالصحيح هو أن الخندق كان اسها لحــلة قريبة من سيمنقة ربما كان فيها خندق سبق للمسلمين أو النصارى حفـره من قبل وسمبت البلدة باسمه ، وهو أمر محنمل لأن المنطقة ثغرية تقــع على الحــدود بين المسلمين والنصارى وهى معرضــة للهجـوم عليها في أي وقت . ونحــديد المكان بهــذا الشكل هو ما اتفقت عليــه الروايات الاسلامية المعتمدة وكذلك الروايات النصرانية أيضا .

ولا تختلف الروايتان الا في نتيجة المعركة غبينها تذكر الرواية الاسلامية بأن المسلمين انسحبوا وعادوا الى قرطبة سالمين بعد أن قتل منهم الكثير ، تقول الرواية النصرانية أن الهزيمة كانت ساحقة وأن الخليقة هرب من سيوف المسيحيين وتكدست الطسرق بالقتلى من المسلمين ، وكانت الهزيمة كارثة لدرجة أن الناصر قسرر الا يغزو بنفسه بعد ذلك . ورأى المسيحيون في نصرهم هذا نصرا لعقيدتهم المسيحية ، مما يشير الى ظهور الروح الصليبية بين جنود المسالك الشمالية منذ ذلك الحين(٢٠) .

ولم يكن غريبا أن يهزم الناصر هذه الهزيمة الساحقة ، فقد كانت الجبهة الداخلية الاسلامية مفككة فى ذلك الوقت ، فقد كانت ثورة التجيبين مشتعلة قبيل المعركة ، ولم يمر وقت طويل على اخمادها بالسيف والنار ، ورغم اشتراك محمد بن هاشم التجيبي مع الناصر فى المعركة ، الا انه فيما يبدو كان غير مخلص له ، فقد قتل الناصر ابن عمه صاحب قلعة أيوب قبل المعركة بعامين ، ونحن نعرف مدى عمق غريزة الثار فى نفوس العسرب(٢٠) .

ولم تكن ثورة بنى تجيب هى الثورة الوحيدة التى شعلت الناصر فى ذلك الوقت ، نقيد كانت هناك ثورة الربائه من بنى اسحاق المروانيين

⁽۲۳) ابن حیان ، المقتبس ، ج ۳ ، ص ۲۹ – ۲۸ ۰

⁽۲۶) العندري ، المصندر مقسه ، ص ۱ه ، ۲۰ ،

انناء حصارهم لسرقسطة عام ٢٣٥ ه ، وقام الناصر بقتل زعيمهم ، ففسر أخوه أهية بن اسحاق وانضم الى المسلك ردمير ملك ليسون وقدم له معلومات ثمينة عن خطط الناصر وأسالببه في القتال ، وعن نقاط الضعف التي يمكن منها مهاجمة البسلاد الاسلامية(٢٠) .

وهناك ما اشرنا اليه عند حديثنا عن الأحوال الداخلية في قرطبية عندما استعان الناصر بالصقالبة في الادارة والجيش ، واهمل العسرب وأبعدهم عن المناصب العليا ، فكان تواطؤهم عليه في هنده المعركة ، ناذا اضفنا الى هنذا كله ، ذلك التحالف الذي كان قد تم قبيل المعركة بين ملك ليون ردمير الناني ، وبين ملكة نبرة المناكة طوطة التي نقضت عهدها مع الناصر ، وبين كونت قشتالة وجنوده الشجعان ، لأدركنا على الفور المكانية هزيمة الناصر في هذه المعركة التي لم يهنزم في غيرها قط(٢٦) .

ولم تكن هدفه الهزيمه بالغة الأثر في قدوة الأندلس ، اذ سرعان ما اعاد الناصر تنظيم قوانه ، وحالفه الحظ بقيام الحرب الأهلية بين ليون وقشيتاله ، فاننهز تلك الفرصة الثمينة وأرسل قواته لمهاجمة أراضي ليون في الأعوام التالية حتى وفاة ردمير عام ٣٣٩ ه ، واستولى قواده على كثير من الحصون والأسرى والسبى ، وقام الناصر باعادة بناء مدينة سالم وشحنها بالمعدا توالرجال في عام ٣٣٥ ه لتكون مركزا للدفاع عما يليها من أراضي المسلمين ، وأضطر ردمير المنتصر أن يأخذ موقف الدفاع وحتى وفاته (٢٧)

⁽۲۵) العدرى ، المصدر نفسه ص ۵۰ ، الحميرى ، المصدر نفسه ، ص ۹۹ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ۸ ، ص ۱۲۸ ، ابن خاصدون ، العبر ، ج ۶ ، ص ۱۲۸ ، مص ۱۲۸ ، مص

ر ۲۲) محبول ، أخبار مجموعة ، ص ۱۵۳ ـ ۱۵٦ ، حتى ، تاريخ العرب ج ۲ ، ص ۲۲۳ ، Dozy, op. cit., p. 431

۲۷) ابن عـذاری ، المسكر نفسه ، ج ۲ ، ص ه ۳۲۰ ـ ۳۲۰ المسكر نفسه ، ج ۲ ، ص ه ۳۲۰ ـ ۲۲۰ المسكر نفسه ، ج ۲ ، ص

انزلقت ليون بعد ذلك في مهاوى الحرب الأهلية بسبب الصراع على العرش بين ولدى ردمير الثانى ، وانتهز المسلمون الفرصة وأغاروا على جليقية وطلبيرة في عامى ٣٤١ ه ، ٣٤٣ ه ، وفي العام التالى ارسل الناساصر عددا كبيرا من قواده البارزين على رأس جيش ضخم فهاجموا ولاية قشتالة ، وخربوا نواحيها وقتلوا ما يقرب من عشرة آلافآ من أهلها ، وكانت الهزيمة نادحة حتى أن ملك ليون أردون الثالث أرسل يطلب الصلح والسلام من عبد الرحمن الناصر (٢٠) .

وكان الناصر يرغب هو الآخر في السلام حتى يتفرغ للجبهة الجنوبية حيث ازدادت توة الفاطمين في ذلك الوقت ، وأيضا لكى يوسع الهوة بين أعضاء الأسرة المسالكة الليونية التي كانت قدد انقسمت على نفسها في ذلك الوقت ، وكان هناك صراع على العرش بين أردون الثالث وبين اخيه شانجه الذي تسانده نبرة ، فرأى النااصر أن يدعم أردون الثالث ، ومن شم وافق الناصر على ما طلبه أردون وأرسل رسوله محمد بن حسين والطبيب اليهودي حسداي بسن شبروط الى ليون عام ١٩٤٤ هـ/٩٥٥ م ، وانتهت المفاوضات بأن تنازل أردون عن حصون معينة للخليفة نظير السسلام ، وفي العام التالى طلب أردون الثالث من الخليفة ادخال كونت قشتالة في اتفاقية السلام ، فرحب الخليفة بذلك وأخسذ يستعد بكل قوته لارسال حملة ضخمة الى المغرب لمواجهة الفاطهيين في معركة حاسمة ، لكن موت أردون الثالث فجأة أوقف كل خططه ، (٢٩)

فقد رفض شانجة الملك الجديد (٣٤٥-٣٥٥ه / ٩٥٦-٩٩٦) تنفيذ المعاهدة التي كان أخوه أردون الثالث قد أبرمها مع الناصر في العام السابق ، بأن رفض نسليم الحصون المتفق عليها في تلك المعاهدة .

⁽۲۸) ابن عبذاری ، المصدر نفسه ، ج ۲ ، ص ۳۲۰ ـ ۳۳۰ ، لين بول ، قصة العرب في أسببانيا ، ص ۱۱۰ ٠

فاضطر الناصر لاستخدام قوانه التى كان قدد أعدها لأفريقية ضد مملكة ليون ، حيث سحق جيوشها فى عام ٢٤٣ه / ١٩٥٧م ، وما لبث كونت قشتالة أن نغلب على شانجة وقام مع النبلاء الآخرين وعزلوه وأقاموا مكانه ابن عمه أردون الرابع الذى كان صهرا لكونت قشتالة ، وفسر شانجه الى بلاط جدته الملكة طوطه فى نبرة (٣٠) .

قدمت الملكة طوطة مع حفيدها شانجة الى قرطبة عام ١٩٥٩مم ومعها ابنها غرسية بن شانجه الاول ملك نبرة ، تطلب المساعدة من الخليفة الناصر لاعادة حفيدها الى عرش ليون ، ولمعالجته من السمنة المفرطة على يد أطباء قرطبة المساهرين ، وذلك نظير التخلى عن عشرة حصون ، وافق الناصر وأرسل قوة اسلامية اعادت شانجة الى عرش مملكته ، وهرب أردون الرابع الى اشتريس ، وقامت نبرة بمهاجمة قشتالة وأسرت حاكمها الكونت فرنان جونثالث صهر أردون . (٣١)

وبذلك أصبح الخليفة عبد الرحمن الناصر السيد الفعلى للمجتمع الأيبيرى كله ،مسلميه ومسيحيه ، فالبلاد الخارجة عن طاعته اخضعها ، والمالك المسيحية حالف بعضها وكسب صداقتهم ، وأجبر الباقين على احترامه ، وجعلهم لا يلجأون أليه كعدو ، بل كصديق ، وتخطى صيته حدود شبه الجزبرة وترامى الى بلاد غالة ، بل وصل الى المانيا والقسطنطينية ، وتوافد الناس من كل انحاء أوربا على قرطبة التى اصبحت ليست عاصمة للاسلام في الفرب الاسلامي كله فقط ، بل انها عاصمة للتمدن والحضارة في أوربا كلها (٢٠)

ابن عبذاری ، المسدر نفسه ، ج ۲ ، ص ۳۳۱ ، القلقشندی ، صبح الأعشی ، حب ۱۳۳۰ ، التقشندی ، صبح الأعشی ، حب ۱۳۳۰ ، المصدر نفسه ، ج ه ، ص ۲۹۵ ، مص ۱۳۹۰ ، Dozy, op. cit., p. 439, Livermore, op. cit., p. 96

⁽۳۱) اابن عـدار ، المصيدر نفسه ، چ ٤ ، ص ۱۸۰ ، Dozy, op. cit., pp. 443,444

⁽٣٢) د عسن محمود ، المرجسع نفسه ، ص ١٣٤ - ١٣٥ ،

وفى الناصر عام ٣٥٠ ه / ٩٦١ م ، وخلفه ابنسه الحكم المستنصر (٣٥٠ / ٣٦١ / ٣٦١ / ٩٦١ / ٩٦١ الذى تابع سياسة أبيسه ازاء نصارى الشمال ، فعمسل على الوقوف أمام سياستهم النوسسعية ، واستعمل الاساليب الدبلوماسية والسيف معا . انتظر أولا حنى يعرف نوابا جيرانه، أما شمانجة ملك ليون ، فقد قد قدم كثيرا من الاعتذارات لتأخر نسليم الحصون التى نصت علبها الاتفاقية بينه وبين الخليفة الراحل وقام غرسية ملك نبرة باطلاق كونت قشتالة من أسره خلافا للاتفاقية أيضا ، وانضم هدذا الكونت الى صهره أردون الرابع الملك المخلوع ، وأخذا يعبئسان في الاراضي الاسلامية ، (٣٠)

أعدد الخليفة الحكم حملة كبرى للقضاء على أردون وكونت قشنالة، فخاف أردون على مصيره ، ووفد الى قرطبة عام ١٥٦ه - ١٩٦٩ ملقيا بنفسه الى (الحكم) ضارعا اليه أن بعبده الى عرشه ، وأنه ليس مثل ابن عمه ثمانجه الذى خالف شروط الاتفاقية ، وأنه يضع نفسه وأرضه وشعبه تحت أمر الخليفة ، فأكرمه المستنصر ووعده باعادته الى عرشه على شرط أن يتعهد بحفظ السلام بينه وبين الخلافة وألا يخالف كونت قشتالة وأن يترك ابنه رهينة ، وبمجرد أن وقدع أردون الاتفاقية ، وضع المستنصر تحت أمرته جيشا على رأسه قائده غالب(٢٠) ،

وبدأ مركز ثمانجة ملك ليون حرجا للفاية ، وعرف النهاية المتوقعة ، فجليقية رفضت أن تعترف به حتى الآن ، وبدأ أنها سوف تؤيد أردون أو عاد بقوة اسلامية ، وحتى الامارات الاخرى التى تتبع شانجة نفسه كانت لا تحبه ، ومن المحتمل أن تعلن تمردها عليه حتى لا تعرض نفسها للفزو الاسلامي ، ومن ثم فقد اتضد شانجة قرارا ،

Dozy, op. cit., p. 448

انظر الوصف الرائع لاستقبال اردون في قرطبة ، المفرى ، ازهار الرياض ج ٢ ، ص ٢٨٨ - ٢٩٢ ، نفسح الطيب ، ج ١ ، ص ١٨١ - ١٨٤ .

Dozy, op. cit., pp. 449-452.

⁽٣٣) السيد عبد العزيز سالم ، المرجع نَّفسه ، ص ٢٩٠ ،

ذلك أنه أسرع على النو بالذهاب الى قرطبة وقابل الخليفة الحكم وتعهد 'بتنفسذ كل بنود الاتفاقية ، فوجد (الحكم) أنه حصل على كل ما يريده والا فائدة من الوعود الني بذلها أردون الرابع اذا ما عاد الى العرش ، وقسد حلت المشكلة بأن مات أردون نفسه بعسد ذلك بقلبل (٥٠)

لكن موت أردون خلق موقفا جديدا ، فقد بدد مخاوف شانجه ، وجعله يطمئن على عرضه ، فقد مات منافسه . وقرر شانجه الاستعانة بطفائه القدامي من أخواله ملوك نبره ، ومن يليهم من كونتات قطلونية بوريل Borrell وميرون Miron ، وكذلك كونت قشتالة العدو اللدود للخلافة ، وأعلن عدم البزامه مرة أخرى بالانفاقبة ، فاضطر الحكم لقنالهم ، وبدأ أولا بقشتاله ، واستولى على قلعة شنت اشتبين عمام لقنالهم ، وبدأ أولا بقشتاله ، واستولى على قلعة شنت اشتبين عمام واستطاع القائد غالب أن يهزم جبوش ليون ونبره في موقعة أتينسة Atienzo واستطاع القائد غالب أن يهزم جبوش ليون ونبره في موقعة أتينسة واستولى على مدينه فلهره الهامة ، وقام قائد وشقة واسنولى على مطونية ، وعائت على مدينه فلهره الهامة ، وقام قائد وشقة واسنولى على مطونية ، وعائت قوات النغور في برشلونة ، وغنم المسلمون في هذه الفزوات من الاموال والسلاح والدواب والاطعمة والسبي مالا يحصى ، وبهذا أجبر المستنصر والسلاح والدواب والاطعمة والسبي مالا يحصى ، وبهذا أجبر المستنصر أعداءه على طلب السلام (٢٠)

حالف الحظ الحكم المستنصر بوغاة شانجة ملك ليون عام ٣٥٥هم/٢٩٦٩م، وخلفه ابنه الطفل ردمير النالث (٣٥٥ هــ٧٧٦هم/٩٦٦ - ٩٨٢هم)، وتولت عمته البيره Elvira الوصاية عليه ، وكان لتولى هذا الطفل الصغير عرش ليون أثر في انتشار الفوضي وانقسام الدولة الى امارات صغيرة ، وأخذ كل أمير من أمرائها يتوجه الى قرطبة للاستعانة بخليفتها ضد خصومه

⁽۳۰) ابن عبذاری ، الصدر نفسه ، چ ۲ ، ص ۳۰۱ ، ص ۳۰۱) Dozy, op. cit., p. 452.

بن عسظاری ، المسدر نفسه ، ج ۲ ، ص، ۲ه۲ - ۳۵۹ ، ابن خلمدون ، العبر ، (۳۱) ابن عسظاری ، المتح ، ج ۱ ، ص ۱۷۸ ، ۱۷۹ ، ۱٤۵ ، ۱٤۵ ، ۱۵۵ ، ۱۵۵ ، المتح ، ج ۱ ، ص ۱۷۸ ، ۱۷۹ ، المتح ، ج ۱ ، ص ۱۷۸ ، ۱۸۹ ، المتح ، ج ۱ ، ص ۱۷۸ ، ۱۸۹ ، المتح ، ج ۱ ، ص ۱۷۸ ، ۱۸۹ ، المتح ، ج ۱ ، ص ۱۷۸ ، ۱۸۹ ، المتح ،

فيما يشبه عصر ملوك الطوائف الذى ظهر فى الاندلس بعد انهيار الخلافة، وتوالت السفارات المسيحية من جميع دول الشمال الاسبانى على بلاط الحكم المستنصر ، تطلب السلام وتجدد معاهدات الصلح منذ عام ٣٥٥ه/ ٩٦٦ م (٣٧)

امتد االسلام حتى توفى الحكم المستنصر فى عام ٣٦٦ه / ٩٧٦ م وكانت وفاته ايذانا ببدء مرحلة جديدة من الصراع غير المتكافىء بين نصارى الشمال وبين المنصور بن أبى عامر ، حاجب هشام المؤيد (٣٦٦–٣٩٩ه/ ٩٧٠ مار، ١م) الذى خلف أباه المستنصر فى الخلافة ، ولما كان هشام لايزال طفلا فقد استبد ابن أبى عامر بالسلطة وحجر على الخليفة ، وقضى على كل معارضيه ، وصار هو الحاكم بأمره ، ودخل مع نصارى الشمال في صراع رهيب ، أجبرهم فيه على طلب السلام وجعلهم مجرد حكام تابعين لسلطانه (٣٨)

ورغم ذلك لم يكن المنصور بن أبى عامر ذلك الرجل الجبار العنيد الذى حطم بلاد العسدو وخربها ، وانها كانت تحدوه روح اصلاحية غلبت على نفسه فى ذلك الوقت ، استمع الى حواره مع حاجبه عندما شعر بدنو اجله حبث قال عن نفسه ، أنه يستحق القتل والاحراق بالنار من المسلمين ، لأنه عندما فتح بلاد الأسبان فى الشمال عمرها بالأقوات من كل مكان ، ووفر لها المؤن ووصلها ببلاد المسلمين وحصنها غاية التحصين ، فاتصلت العمارة بين الأندلس الاسلامية وبين اسبانيا النصرانية ، ثم أخذ يندم على ذلك ويتمنى لو أنه كان قد خرب من تلك البلاد مقدار مسيرة عشرة أيام وجعلها فيافى قفارا حتى لا يصل النصارى الى بلاد المسلمين الا بمشقة أيام وجعلها فيافى قفارا حتى لا يصل النصارى الى بلاد المسلمين الا بمشقة أيام وجعلها فيافى قفارا حتى لا يصل النصارى الى بلاد المسلمين الا بمشقة أيام وجعلها فيافى قفارا حتى لا يصل النصارى الى بلاد المسلمين الا بمشقة أيام وجعلها فيافى قفارا حتى لا يصل النصارى الى بلاد المسلمين الا بمشقة أيام ومن ثم يمكن الدفاع وانقاد البلاد من خطرهم (٢٩) .

[•] ١٤٦، ١٤٥ من ١٤٠، العبز ، ج ٤-، من ٣٧) آبن خاسون ، العبز ، ج ٤-، من ما العبز ، و ٣٧) Dozy, op. cit., p. 453, Livermore, op. cit., p. 97.

⁽٣٨) ابن سعيد ، آلمترنب في نطني المغرب ، ج ١ ، ض ٢١٠ ٠

⁽٣٩) اين الكرد بوس ، الاكتفاء في أخبار البخلفاء ، ص ٦٤ ، ٥٠ ٠

وهذا بالطبع شيء جديد لايعرفه احد عن المنصور من قبل ، واذا كان المنصور قد لجاً في كثير من حروبه الى التدمير ، فلهم يكن ذلك يقسارن بمها كان يفعله نصارى الشمال عندما يتغلبون على مدينة أو قرية أو حصن ولم يكن المتحريب والتقتيل الا أسلوبهم المفضل ، ولم يكن المنصور ليعاملهم الا بأسلوبهم ، حنى يتحقق السلام الذي لا يمكن أن يتحقق الا بالقوة . وسلك المنصور هذا السبيل في شدة وعنف ، وأكثر من الفزوات حتى بلفت ما يزيد عن الخمسين غزوة .

وقد قام الأستاذ خالد الصوفانى الأستاذ بكلية الآداب بدمشق بعمل دراسة على هذه الغزوات ولاحظ اذبها تتفاوت من سنة أو من فترة الى أخرى خلال حكم المنصور وأورد الجدول الآتى للتدليل على صحة كلامه:

التساريخ أرقام الفزوات مجموع الفزوات

من سنة $777 \, a - 177 \, a - 177 \, a - 177 \, a$ ن ر ر ر ر ر ر ر ر ر ر ر ب ب خزوات من سنة $779 \, a - 177 \, a - 177 \, a$ من سنة $779 \, a - 177 \, a - 177 \, a$ من سنة $770 \, a - 177 \, a - 177 \, a$ من سنة $770 \, a - 177 \, a - 177 \, a$ من $770 \, a - 177 \, a$

ئم من سنة ٣٧١ ـ ٣٧٩ ه (٩٨١ ـ ٩٨٩ م) من ٤ ــ ٥٥ ١١ غزوة

ويعلل الأسناذ خالد الصوفانى هذا التفاوت فى عدد الغزوات من فترة الى أخرى ، بأنه رببا عمد المؤرخون الى ذكر المهم من الغزوات ، وأهملوا الغزوات الثانوية ، وربما حسب بعض المؤرخين الغزوات الصغبرة الجانبية التى كانت تتفرع أحيانا عن غزوة كبرى ضمن الغزوات الخمسين ، ثم يختم مقاله بأن ذلك من « باب التخمين ، ولايزيد كونه عن فرضية ليس لها ما يدمعها أو يثبتها سوى جهانا بعدد تلك الغزوات الأساسية، (")

⁽٤٠) خالسد الصوفائي ، عصر المنصور الأنطسي ، ص ١١٧ - ١١٩٠ .

ويبدو أن الأستاذ الصوفانى لم تتوافر لديه المصادر الكافية ، فأضنى نغسه فى هذا البحث الذى قدمه عن التفاوت بين غزوات المنصور من فتسرة لأخرى اثنساء حكمه ، والواقع أنه ليس هناك تفاوت فى عدد الغزوات ، وانمسا كان المنصور يلزم نفسه بغزوتين كل عام ، وكل ما هنالك أن الأستاذ الصوفانى لم تصل اليه أسماء الغزوات ونواريخها ، وقد عثرنا على ثبت كامل بأسماء الغزوات بدءا من عام ٣٧٦ ه الى ٣٧٦ ه فقط ، فكان عددها خلال تلك السنوات العشر فقط أربعا وعشرين غزوة(١٤) ،

وفي الفترة الأولى التي اشار اليها الأسنا ذالصوفاني من ٣٦٦ ه الى ٣٧١ ه والتي جعل فيها ع غزوات فقط ، قام المنصور في هذه الفتسره بالذات بأربع عشرة غزوة وليس بأربع فقط ، ذلك أن المنصور كان بقوم أحيانا بأكثر من غزوتين في العام ، وفي عام ٣٧٠ ه قام بأربع غزوات ، وهذا يفسر سر التفاوت في عدد الغزوات في بعض الفترات(٢٠) .

وفي هذا المقسام نقول أن غزوات المنصور لم تكن موجهة كلها الى تصارى الشمال ، أذ ربما يعتقد البعض ذلك ، وأنما يدخل فيها ماقام به المنصور من غزوات في الأندلس نفسها ضد بعض المنبردبن ، ومن غزوات في شمال أفريقية ضد الفاطميين ، ويحتمل أن يكون المؤرخون قد أسقطوا بعضا من هذه الغزوات ، ومما يؤيد ذلك أن العذرى يذكر خمس غزوات للمنصور حتى عام ٣٦٨ ه ، بينما يقول أبن حيان وهو معاصر للعذرى أن المنصور خرج في غزوته الثامنة عام ٣٦٨ ه لضبط معاصر للعذرى أن المنصور خرج في غزوته الثامنة عام ٣٦٨ ه لضبط شئون جنوب الجزيرة تجاه نشاط الفاطميين هناك (٣٤) .

⁽٤١) العظرى ، المسدر قفسه ، المصدر قفسه ، ص ٧٤ - ٧٨ •

⁽٤٢) المسدري ، المسدر نفسه ، ص ٧٤ ، ٧٤ ، محهول نقسلا عن ابن حبسان ، مفاخر البربر ص ٣ ٠

كسا نلاحظ أيضا أن العذرى حينها يتحدث عن غزوات المنصور بقسول عن بعضها انها كانت شانبة مفردة أو صائفة مفرده . ويقول عن أخرى أنها كانت صائفة ذات بلاث دخلات ، جمع فيها بين بمبلونة وبسيط برشلونة ، وهذا يؤيد الفرض الذى قدمه الدكنور الصوفاني من أن الغزوه الواحده ربما تفرع عنها غزوه أخرى ثانوبة لم تذكرها كنب التاريخ ، ومن ثم أصبح الفرض يقينا لدينا ، وأصبحنا في غنى عن البحث مره أخرى في عدد غزوات المنصور ونوقيتاتها ، وحسبها نقدم فقد قام المنصور بأربع وعشرين غزوه في العشر سنوات الأولى من حكمه ، وعلى ذلك فانه قام بغزواته الباقية وهي حوالي ست وعشرين في السنوات الباقية من حكمه ، وهي سنة عشر عاما على أساس غزوتين كل عام كحد أقصى حسبها أشار الى ذلك معظم المؤرخيين ، فلا داعي اذن للنشكي كفي عدد الغزوات بحجة التفاوت في حدوثها على النحو الذي النشار اليه الأستاذ الصوفاني (3) .

وقد قام المنصور بأولى غزواته عام ٣٦٦ ه / ٩٧٦ م ضد مملكة ليون بعد أن انتهز ملكها ردمير الثالث (٣٥٥ - ٣٧٢ ه / ٩٦٦ - ٩٨٢) فرصة موت الحكم المستنصر ، وأغار على الثغر الجوفي أو الثغر الأوسط ، واسبغاث هناك بالحاجب جعفر المصحفى الذي جبن عن اتخاذ القرار المناسب . حينئذ أعلن المنصور قيامه لمقارعة ردمير بعد أن زوده المسئولون في قرطبة بالجنود والمال والعتاد اللازم ، وخرج الى الحدود وحاصر حصن الحامة في جليقية ، ثم عاد اليها مرة اخرى في الصائفة من نفس العام ، وافتيح حصن موله ، واستولى على سبى كثير ومغانم كثيرة ، وعاد الى قرطبة ، فبعد صيته واشتهر ذكره بين الخاصة والعامة ، ونضاعل شأن المصحفى منذ ذلك الوقت (٥٠)

⁽²⁷⁾ العدرى ، المصدر نفسه ، ص (37) - (37) الحميدى ، جدوة المنتبس ، ص (37) - (37) ابن سعيد ، المصدر نفسه ، ح (37) - (37) - (37) الكامل ، ج (37) -

⁽٤٤) العسنرى ، المصدر نفسه ، ص ٧٤ ، ابن بسام ، النخيرة ، ق ٤ ج ٤ ، ص ٤٤ ، ه ، ابن عسنارى ، المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٣٩٤ ـ ٣٩٦ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، و ٤ ، ابن عسنارى ، المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٣٩٤ - ٣٩٨ ، إلى المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٣١ ، ٣٩٠ - ٢٠ ص ٣١ ،

وقام ابن أبى عامر بغزوتين فى عام ٣٦٧ ه / ٩٧٧ م ، افتتح فى الأولى حصن أرنيق وخرب مدينة سلمنقة من أعمال مملكة ليون ، فكافأه الخليفة بأن رفع راتبه وقلده منصب ذى الوزارتين . وأراد ابن أبى عامر أن يثبت للجميع جدارته ، فقام فى نفس العام بغزوته الثانية الى نبرة وبرشلونة ، وتوالت غزواته بعد ذلك حتى اصطدم بصهره غالب الناصرى قائد الثغر الأوسط ، والذى استعان بنصارى الشمال فى صراعه ضد ابن أبى عامر ، وتقابل الطرفان عند أنتيسة قرب مدينة سالم ، وانتصر ابن أبى عامر عام ٣٧٠ ه ، وقرر معاقبة ليون على مساعدتها لخصمه غالب (٢٠) .

نقدمت قوات المنصور بن أبى عامر ، وعلى مقدمتها عبد الله بن عبد المعزيز الذى استطاع أن يحاصر سمورة (زامورة Zamore) في يولية عام ٩٨١ م / صفر ٣٧١ ه ، ورغم أن المسلمين لم يستطيعوا الاستيلاء على القلعة ، الا أنهم أخذوا ثأرهم تهاما ، فقد أحرقوا أرياف المدينة وقتلو أربعة آلاف مسيحى ، وأخذوا مثل هذا العدد أسرى ، وفي احدى جهاتها دمروا عددا كبيرا من القرى بما فيها من بيع وديارات وكنائس وعادوا الى قرطبة ظافرين (٤٧) .

وعلى الفور دخل ملك ليون ردمير النالث الذي لم يبلغ العشرين بعد في تحالف مع غرسية فرناندوز كونت قشتالة ، ومع ملك نبرة شانجة بن غرسية المعروف بسانشو أباركا Sancho Abarka ، ولذلك يسمى العذري هذه الغزوة بأنها غزوة النلاث أمم ، وزحف الحلفاء الثلاثة على ابن أبي عامر الذي قابلهم عند روطة Rueda الى الجنوب من سيهنقة Simancas قرب أحد فروع نهر دويرة ، في صفر

⁽٤٥) العسترى ، المصدر نفسه ، ص ٧٤ س ٧٧ ، ابن عبدارى ، المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٦٢ س ٦٠ ، ابن الخطيب ، المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٦٢ س ٢٩٨ ، ابن الخطيب ، المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٦٢ س ٢٩٨ .

⁽٢٦) العسنرى ، المصدر نفسه ، ص ٧٧ ، ، ابن الأبار ، المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢١٦ ، العسنرى يجعل المعركة في شهر صفر عام ص ٢١٦ ، ٢١٦ م ، بينما يجعلها ابن الأبار في المحرم ، والأول صحيح لانه أقرب للاحداث ،

من عام 777 ه / يونيه <math>9.17 م . وانتصر ابن أبى عامر واستولى المسلمون على سيهنقة واستورقة ، وعاد المنصور ومعه أحد عشر الفسا من الأسرى حيث احتفل به الخليفة وخلع عليه لقب المنصور (10) .

وفي ربيع الأول من نفس العام (٢٧٢ ه / سبتمبر ٩٨٢ م) زحف المنصور على مدينة ليون نفسها واستطاع ردمير أن يمنع تقدمه . وعندما رأى المنصور تقهقر قوانه ، أعلن غضبه والقى بنفسه على الأرض من فوق منصته التى كان يجلس عليها . وأثار هذا المنظر حماس جنده ، فألقوا بأنفسهم على الأعداء الذين أخذوا في الهرب ، وطاردهم المسلمون حتى أبواب مدينة ليون . لكن عاصفة ثلجية شديدة هبت في ذلك الحين ومنعت المسلمين من الاستيلاء عليها ، وعادوا الى قرطبة ظافرين (٢٩) .

ازاء هذه الهزائم المتكرره ، ساءت الأحوال في ليون وثار النبلاء وعزلوا ردمير الثالث عن العرش ، وتوجوا ابن عمه برمند الثاني (٣٧٢ ـ ٣٨٩ ـ ٩٨٢ م) على العرش ، ونشبت الحرب الأهلية بين الملكين ، ولم توقف الا بوفساة ردمير في عام ٣٧٤ ه / ٩٨٤ م ، وحاولت أمه أن تحكم بمساعدة من المنصور لكنه رفض ذلك ، وتقسدم برمند نفسه تحت حساية المنصور الذي ساعده على مقاومة بعض النبلاء الذين لم يعترفوا بسلطته ، وعقسد له المنصور على سمورة وليون ، وبذلك اصبح نابعا للمنصور وأصبحت ليون امارة تابعة له أيضا (°°)

⁽²⁷⁾ العدائري ، المصدر نفسه ، ص ٧٨ ، ابن الخطيب ، المصدر نفسه ، ج ٢ ص ٢٥) Dozy, op. cit., 497.

⁽٤٨) العندري ، المصدر نفسه ، ص ٧٨ ،

Dozy, op. cit., p. 498.

⁽۹۶) ابن خليدونې ، العبر ، ج ۽ ، ص ۱۸۱ ، الطقشندي ، المسدر نفسه ، ج ه ، مس (77) ،

واننهز المنصور فرصة الحرب الأهلية في ليون ، وقام بعدة حملات على سيمنقة (شنت مانكش) ، وعلى سلمنقة ، وعلى احدى نواحى شتوبية التى نسمى (شقرمنية) ، وعلى زامور (سمورة) ، وكان البربر من صنهاجة قد وصلوا الى الأندلس ووجههم المنصور للغزو في جليقية ، فذهبوا وخربوا كثيرا من النواحى م عادوا الى قرطبة ، نم عادوا مع جبوش المنصور للاغارة على ليون من جدبد ، وهزموا جيوشها وأصابوا من السبى ثلاثين الفا . ويبدو أن هذا النشاط الحربى المكنف هو الذى دفسع ملك ليون الجديد الى وضع نفسه تحت حمابة المنصور كما تقدم (١٥) ،

لم يدم السلم طويلا بين ليو نوقرطبة ، اذ سرعان ماتجددت الحرب بين الجانبين ، فيذكر العذرى ان المنصور قام بحملتين ضد ليون عام ٣٧٦ ه ، صالح في احداها سمورة ، وهاجم في الأخرى قلنبرية Coimbra وهي الني تسمى عادة قلمرية ، وفي نفس الوقت فقد عامل جنود الحامية الاسلامية في ليون أهلها على أنها مدينة محتلة ، واشتكى برمند الثاني من ذلك للمنصور ، لكنه لم يهتم بشكواه ، فنفد صبر الملك وطرد الحامية الاسلامية واعتبر المنصور ذلك اعلانا بالحرب من جانب ملك ليون ، واراد أن يعطيه درسا في الطاعة ، فهاجم قلمرية عام ٣٧٧ ه / ٩٨٧ م واستولى علبها ودمرها تدميرا شديدا لدرجة أنها ظلت مهجورة سبع سنوات (٥٠٠) .

وفى العام التالى (٣٧٨ ه / ١٨٨ م) تقدم المنصور وعبر نهر دويره (الدورو) واستولت جنوده على استرقة ، ثم اقتدموا العاصمة ليون كاعصار ، حالمين معهم الموت والديأر . حطموا المدن والقلاع والأديرة والكنائس والبيع ، وباختصار لم يبقوا على شيء ما ، وكان ردمير الشالث قسد قذف بنفسه الى سموره فقد كان لايشك في أن المسلمين سيبداونها

⁽٥٠) العددرى ، المصدر نفسه ، ص ٧٩ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج٩ ، ص ١٢ ٠ (٥٠) العدرى ، تاريخ علماء الأندلس ،

ج ۲ ، ص ۱٤٩ ،

Dozy, op. cit., p. 505

بالهجوم لأنها في طريقهم ، لكن المنصور مر بها وحطهم ليون اولا ، واقتحمتها قواته بعد مقاومة دامت أربعه أيام بسبب حصائبها ، وجرت مذبحة قتل فبها الكونت الجليقي جونزالفو جونثالث ، الذي كان يتولى الدفاع عن المدبنة ، وانتهت المذبحة ليبدأ التدمير . باختصار لم يبق حجر على حجر في المدينة ، نم انسحب المنصور راجها الى سمورة فهرب منها الملك وقام السكان بتسلم المدبنة للمنصور الذي سلمها بدوره للنهب والسلب ، واعترف جمع كونتات مملكة لبون بالمنصور سيدا لهم(٥٠)

ظل السلام قائما على الجبهسة الليونية الأندلسية حنى قام عبد الله بالناتر على أببه المنصور عام ٣٨٥ ه / ٩٩٥ م ، ولمسا اكتشفت المؤامرة فر عبد الله الى أمبر قشتالة ، وفر زميله عبد الله بن عبد العزيز المرواني هاربا الى برمند الثالث ملك ليون ، وفي هذا الوقت كانت سلطة المسك اسمية ، اذ أن النبلاء كانوا قد استقلوا بمقاطعاتهم ، واقام الملك في مدبنة أستورقة Astorga بعسد تخريب ليون في الغزوة الاسسلامبة السابقة ، وكان المنصور قد خرج على راس قواته لمهاجمة قشتالة وليون حتى تسلم البه المتامرين ، وما أن شعر برمند باقتراب جيوش المنصسور حتى انهسار وتخلى عن المدبنة وطلب السلام الذي حصل عليه نظبر أن صلم عبد الله المرواني ، وأن بدنع الجزية(١٥٥) .

اما اشهر غزوات المنصور بن أبى عامر على الاطلاق ، فهى غزوة شنت ياقب عام ٣٨٧ ـ ٩٩٩م وكانت شنت ياقب بمتابة الكعبة عند المسلمين ، فبها يحلفون والبها بحجون من جميع أنصاء أسبانيا وأوروبا ، بل ومن قسط النوبة ومصر ، وخرج المنصور اليها في غزوته الثامنة والأربعين ، ووصل الى ولاية جليقية حيث وفد اليه عدد كبر من القوامس (الكونتات) المتمسكين بطاعته ، ويبدو أن

⁽۲۰) اس الفرضى ، المصدر نفسه ، ج Υ ، ص ۹۰ ، الضبى ، المصدر نفسه ، ص Υ ، Υ ، Υ

Dozy, op. cit., pp. 505, 506

⁽۵۳) ابن الأمار ، المصدر نفسه ،ج ١ ، ص ٢١٨ - ٢٢٠ ، المصدر نفسه ،ج ١ ، ص ٥٣) Dozy, op. cit., p. 509.

واننهز المنصور فرصة الحرب الأهلية في ليون ، وقسام بعدة حملات على سيمنقة (شنت مانكش) ، وعلى سلمنقة ، وعلى احدى نواحى شقوبية التى نسمى (شقرمنبة) ، وعلى زامور (سموره) . وكان البربر من صنهاجة قد وصلوا الى الأندلس ووجههم المنصور للغزو في جليقية ، فذهبوا وخربوا كثيرا من النواحى نم عادوا الى قرطبة ، نم عادوا مع جيوش المنصور للاغارة على ليون من جديد ، وهزموا جيوشها وأصابوا من السبى ثلاثين الفيا . ويبدو أن هذا النشاط الحربى المكنف هو الذى دفسع ملك ليون الجسديد الى وضع نفسه نصت حماية المنصور كما نقدم (١٥) .

لم يدم السلم طوبلا بين ليو نوقرطبة ، اذ سرعان مانجددت الحرب بين الجانبين ، فيذكر العذرى أن المنصور قام بحملتين ضد ليون عام ٢٧٣ ه ، صالح في احداها سمورة ، وهاجم في الآخرى قلنبرية Combra وهي التي تسمى عادة قلمرية ، وفي نفس الوقت فقد عامل جنسود الحامية الاسلامية في ليون أهلها على أنها مدينة محتلة ، واشتكى برمند الثاني من ذلك للمنصور ، لكنه لم يهتم بشكواه ، فنفد صبر الملك وطرد الحسامية الاسلامية واعتبر المنصور ذلك اعلانا بالحرب من جانب ملك ليون ، وأراد أن يعطيه درسا في الطاعة ، فهاجم قلمرية عام ٣٧٧ ه / ١٩٨٧ م واستولى علبها ودمرها تدميرا شديدا لدرجة أنها ظلت مهجسورة سبع سنوات(٥٠) .

وفى العسام التالى (٣٧٨ ه / ٩٨٨ م) تقسدم المنصور وعبر نهر دويره (الدورو) واستولت جنوده على استرقة ، نم اقتحموا العاصمة ليون كاعصار ، حاملين معهم الموت والدمار . حطموا المدن والقلاع والأديرة والكنائس والبيع . وباختصار لم يبقوا على شيء ما . وكان ردمير الشالث قسد قذف بنفسه الى سمورة فقسد كان لايشك في أن المسلمين سيبدأونها

Dozy, op. cit., p. 505

⁽٥٠) العددرى ، المصدر نفسه ، ص ٧٩ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج٩ ، ص ١٢ ٠ (٥١) العدرى ، تاريخ علماء الأندلس ، ج٢ ، ص ١٤٩ ،

بالهجوم لأنها في طربقهم ، لكن المنصور مر بها وحطم ليون أولا ، والمتحمتها قوانه بعد مقاومة دامت أربعة أيام بسبب حصائنها ، وجرت مذبحة قتل فيها الكونت الجلقي جونزالفو جونثالث ، الذي كان يتولى الدفاع عن المدبنة ، وانتهت المذبحة ليبدأ التدمير ، باختصار لم يبق حجر على حجر في المدينة ، تم انسحب المنصور راجعا الى سمورة فهرب منها الملك وقام السكان بنسليم المدينة للمنصور الذي سلمها بدوره للنهب والسلب ، واعترف جميع كونتات مملكة ليون بالمنصور سيدا لهم (٥٠)

ظل السلام قائما على الجبهــة الليونية الأندلسية حتى قام عبد الله بالتآمر على أبيه المنصور عام ٣٨٥ ه / ٩٩٥ م ، ولمــا اكتشفت المؤامرة فر عبد الله الى أمر قشتالة ، وفر زمبله عبد الله بن عبد العزيز المرواني هاربا الى برمند الثالث ملك ليون ، وفي هذا الوقت كانت سلطة الملــك اسمبة ، اذ أن النبلاء كانوا قد استقلوا بمقاطعاتهم ، واقام الملك في مدبنة استورقة Astorga بعــد تخريب لبون في الغزوة الاســلامية السابقة ، وكان المنصور قد خرج على رأس قواته لمهاجمة قشتالة وليون حتى تسلم اليه المتآمرين ، وما أن شعر برمند باقتراب جيوش المنصـور حتى انهــار وتخلى عن المدبنة وطلب السلام الذي حصل عليه نظير أن سلم عبد الله المرواني ، وأن يدفع الجزية(١٥٥) .

اما اشمر غزوات المنصور بن أبى عامر على الاطلاق ، فهى غزوة شنت باقب عام ٣٨٧ ـ ٩٩٥م وكانت نسنت باقب بمثابة الكعبة عند المسلمين ، فبها بطفون واليها يحجون من جمسع أنحاء أسبانيا وأوروبا ، بل ومن قبط النوبة ومصر ، وخرج المنصور اليها في غزوته الثامنة والأربعين ، ووصل الى ولاية جلبقية حيث وفد اليه عدد كبر من القوامس (الكونتات) المتمسكين بطاعته ، ويبدو أن

⁽۵۲) ابن المرضى ، المصدر نفسه ، ح ۲ ، ص ۹۰ ، الضبى ، المصدر نفسه ، ص ۷۳ ، ۷۲ ،

Dozy, op. cit., pp. 505, 506

⁽٥٣) ابن الأبار ، المصدر نمسه ،ج ١ ، ص ٢١٨ - ٢٢٠ ، المصدر نمسه ،ج ١ ص ٥٣). Dozy, op. cit., p. 509.

سبب الغزوة هو أن برمند انتهز فرصة تمرد زيرى بن عطية في بلاد المغرب وأعلن العصيان ، فأراد المنصور أن يعاةبه عقابا رهيبا بأن يدك تلك المدينة المقسدسة وأن يصل الى أقصى مكان لم يصل اليه مسلم من قبل ، وأن يبرهن لأعدائه في أفريقيا أيضا أنه قادر على القتال في جبهتين في وقت و احد (٤٥) .

وفي يوم السبت لست بقين من جمادي الآخرة من عام ٣٨٧ ه / ٣ بونية ٩٩٧ م أقلع المنصور من قرطبة سالكا طريق قورية وبيزو Vieseu ثم الى أوبورنو Oporto حيث وجسد أسسطوله الذي كان قد أبحر من قصر أبى دانس على ساحل الأنداس الغربي ، وعبر المنصور المنطقة ببن دويرة والمنهو Minho دون صعوبات ، لانها كانت تخص الكونتسات الموالين له . وقد اكتشف المنصور وجود بعض الجواسيس بين النصارى الذين قد وفدوا اليه من قبل كمرتزقة ، فأعدمهم وانطلق وعبر نهر المنهو وحطم بعض المدن التي لاقساها في طريقه ، حتى وصل الى مدينة شنت ياقب والتى يعرف اسمها بسنتياجودى كومبو ستيلا فوجدها خالية من السكان Santiago de Compostela

وأعمل المسلمون فيها يد الهدم وتركوها قاعا صفصفا ، لكنهم لم يمسوا قبر القديس يعقوب بسوء ، بل ان المنصور عين من يحرسه (٥٠).

انسحب المنصور من مدينة شنت ياقب (سنتياجو) ومال في طريقه الى بعضك الأراضى التى تخص الملك برمنسد ، فعاث فيها حتى وصل الى حصن مليقة أو لا ميجو Lamego ، حي شخلع على الكونتات الموالين له ، وانسحب عائدا الى قرطبة ومعه عدد ضخم من المسيحيين يحملون على

⁽٥٤) ابن عداري ، المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٤٤١ ، المقرى ، نفح الطيب ، ج ١ ، ص ١٩٣ ، ١٩٤ ،

Dozy, op. cit., p. 516.

⁽٥٥) ابن الخطبب ، المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٧ ، المترى ، المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٩٤ ، ابن عداري ، المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٩٤ ـ ٤٤٣ ، Dozy, op. cit., pp. 517-519.

اكسافهم بوابات سننياجو واجراس الكنيسة التي عملت مشاعل لاضاءة المسجد الجامع بقرطبة ، وقام المنصور واسكن المسلمين مدبنة سمورة بعد ذلك بعامين ، وولى عليها أبا الأحوص معن بن عبد العزيز النجيبي وصار أهل جليقية جميعا في طاعته ، وكان حكامهم كالعمال لديه (٥٦) .

ولم يلبث أن مات برمند ملك ليون عام ٣٨٩ ه / ٩٩٩ م ، وتسرك حلفلا صغيرا يسمى الفونش حيث قام الصراع بين النبلاء على الوصاية عليه ، وانتقل مركز النقل السياسي الى قشتالة التى أصبح بلاطها أقوى بلاط في شمال أسبانيا النصرانية في ذلك الوقت ، ولم يلبث أن مات المنصور أبضيا عام ٣٩٢ ه / ١٠٠٢ م فننفس ملوك النصار ··· جميعا الصعداء لأنهم كانوا يكرهونه من اعماق قلوبهم لدرجة أن أحسد كهنتهم كتب في حولياته « مات المنصور ودمن في الجحيم » (٥٠) .

(AV)

Dozy, op. cit., p. 520, Crow, op. cit., p. 64.

Murphy, op. cit., p 113.

Crow, op. cit., p. 63.

(۸۵) ابن بسام ، الدخيره ، ق ٤ ، ج ١ ، ص ٢٤ ، ٦٥ ، ابن عـ ذارى ، المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ١١٤ ٠

⁽٦٥) ابن عــذارى ، المصـدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٤٤٣ ، ابن خلـدون ، المبر ، ج ٤ ، در ١٨١ ، المفرى ، المصـدر نفسه ، ح ١ ، ص ١٩٤ ، ١٩٥ ،

مات المظفر بعد ذلك ببضع سنوات (٩٩) ه) وتولى أخدوه عبد الرحمن المسامون المعروف بشنجول ، نسبة الى جده نسانجه ملك نبره ولم يكن عبد الرحمن في مقدرة أخيه أو كفياءة أبيه ، وارتكب غلطة العمر أذ أجبر هشام المؤيد على تعيينه وليا للعهد ، فأثار بذلك الأمويين والشبعب جميعا ، ثم ذهب الى جلبقبة بغزوها وبوغل عنها ، ولم يقده من أبدى القوات الاسلامية الا نبأ الثورة الني قامت في قرطبة ضد عبدالرحمن من أبدى القوات الاسلامية الا نبأ الثورة الني قامت في قرطبة ضد عبدالرحمن الى قرطبة حيث نم صلبه على أحد أبوابها في رجب من عام ٣٩٩ ه ، وبذلك أنتهت دولة بني عامر ، وبدأ أنهيار الخلافة الأموية (٥٩)

بهدا نرى الر الأوضاع الداخلية في كل من الأندلس الاسلامية في عهد الخلفة ، وفي مملكة ليون النصرانية ، على الصراع الذي دار بينهما وما انتهى البه ذلك الصراع من اضعاف لتلك المملكة وتدمر لمعظم مدنها حتى أن جل ملوكها طلبوا السلام والأمان من حكام قرطبة ، ولم يثبت للخلافة في عدائه الا مليكان هما أردون الثاني (٢٠١ – ٣١٢ ه / ١٩٤ – ١٥٥ م) وردمبر الثاني (٣١٩ – ٣٣٩ ه / سك – ١٥٥ م) ، حيث استطاعا أن بحرزا بعض الانتصارات على الخلفة في مستهل قيامها ، وقد تراجعت حدود ليون الى الوراء ، واستولى المسلمون على سمورة وسلمنقة وأسكنوهما بالمسلمين ، واحتلوا مدينة ليون نفسها عدة سنوات ، وبذلك كانت نتيجة الصراع في صف الخلافة(٢٠) .

يب ـ علاقـة خلفـاء بني أمية بمملكة نبرة (نافار) :

عاصر الناصر أول خلفاء بنى أمية (٣٠٠ ــ ٣٥٠ ه / ٩١٢ ــ عاصر الناصر أول خلفاء بنى أمية بن غرسية الأول (٢٩٠ ــ ٩٦٢ م) ملكين من ملوك نبرة هما شانجة بن غرسية الأول (٢٩٠ ــ

⁽٩٩) ابن الخطيب ، المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٩٦ ، ٩٧ ، ابن فضل الله العمرى ، المصدر نفسه ، ص ١٩ . مسالك الأبصار ج ١٥ ، تسم ٢ ورقسة ٣٢٨ ، ٣٣٩ ، الضدى ، المصدر نفسه ، ص ١٩ . Dozy, op. cit., p. 544.

⁽٦٠) أبن خلسدون ، العبر ، ج ٤ ، ص ١٨١ ، القلقشنلدي ، صبح الأعشى ، ج ٥ ، ٢٦٦ .

١٣١٤ ه / ٥٩٠٠ ـ ٩٢٦ م) وابنه غربسيه بن شانجة (٣١٤ ـ ٣٥٩ه / ٩٢٦ ـ ٩٢٩ م) . وكان اولهما من اقدر ملوك نبرة ، اذ استطاع بالمصاهرات التي نشأت بينه وبين امراء الثفر الأعلى (سرقسطة) من المولدبن من بني قسى وغيرهم ، ان يضرب الخلافة بهؤلاء الأمراء وبحقق بعض الانتصارات ، ولو حاول هؤلاء الأمراء أن يتمردوا عليه كان في امكانه اخضاعهم لأن بلادهم تحت قدميه وقربة من بلاده ، وكان في قدرته الاغارة عليها في أي وقت ، لأنها من المناطق البعيدة جدا عن مركسز الخالفة ولذلك كانت معاناتها شديدة من هجمات ملوك نبرة .

استغل ملك نبره انشاال الناصر في ضرب قوى الثوار داخل الأندلس نفسها واغار على مدينة تطيلة عام ٣٠٣ ه / ٩١٥ م ، وقتل من أهلها الف فارس ، وأسر أميرها عبد الله بن محمد بن لب القسوى في أحد الكهائن ، فتولى حكم تطيلة أخوه مطرف ، وافتدى عبد الله نفسه بالتنازل لملك نبرة عن حصن البراة بفالجش وقبروش ، وارتهن ابنته وولده فرتون ، لكنه مات بعد شهربن من اطلاق سراحه بتأثير السم الذي اطعمه له شانجة في بمبلونه أثناء أسره (١٠) .

وقد اشترك ملك نبرة شانجة بن غرسية الأول مع ملك ليون اردون ابن الفونس الثالث عام ٣٠٥ ه / ٩١٧ م فى الهجوم على مدينــة ناجــرة Najera بالثغر الأعلى ، ثم انتقــلا الى تطيلة ، ووصلا الى رافــد كالش ووادى طرسونة جنوب نهر أبره ، ثم انفصل شانجه بقواته وعبر نهر أبره شمالا ، وقاتل حصن بلتيرة وحطم ربضه واحرق مسجـده الجــامع ، ممــا أحفظ الناصر وجعله يرسل الحملة المعروفة بحملــة مطونية ما ١٠٠٣ ه / ٣٠٦ م ، وكتب الى أهل الثغور بضرورة الاشتراك فى هذه الحملة لأهــذ

⁽۱۱) العدوری ، المصدر نفسه ، ص ۳۸ ، ابن عدداری ، المصدر نفسه ، ج ۲ ، ص ۲۶۲ •

ثار قائده ابن أبى عبده الذى استشهد هو ورفاقه في قشتالة في العسام السابق ، ولرد اعتسداء نصارى نبره ولدون على منطقسة الثغر الأعلى(١٦)

ولم یکن تطاول نصاری نبرة بهاذا الشکل الا استغلالا للظروف الداخلیة التی کانت تهر بها الاندلس فی ذلك الوقت ، کها تصالف معهم مولدو الثغر الأعلی من بنی الطویل ، وأعطوهم الفرصة لکی یستولوا علی حصن منت شون عام ۳۰۷ ه . ویبدو آن حملة بدر السابقة لم تشاف غلیله ، نقسام بنفسه علی رأس قواته عام ۳۰۸ ه / ۹۲۰ م فی غزوة نعرف بغزوة مویش ، عن طریق مدینه الفرج ومدینة سالم ، نم عطف علی البة والقلال (تشتالة) ، ودمر المسلمون حصن اوسمه (وخشمة) وحصن شنت اشتبین (قاشتر مورش) ومدینة قلونیة ، ثم زحف الناصر بعد ذلك الی الثغر الأعلی لنجدة مدینة تطیلة من اعتداءات ملك نبرة ، وارسل محمد بن لب القسوی علی راس فرقسة من الفرسان ، فاستولی علی حصن قلقرة ، وفر شانجة معتصما بالجبال بعدد آن هزم هزیمة ساحقة (۱۲) .

استنجد ملك نبرة باردون ملك ليون الذى هب لنجسدته لكنهما هزما معا في سهور جونكيرة Junquera وقضى المسلمون على مقاتلى حصن مويش وساروا الى حصن آخر اتخذه شانجة لمضابقة أهل بقيرة Vijuera واستولوا عليه ، وأخذ الناصر في تفقد حصون المسلمين على حدود نبرة وزاد في تحصينها ، وهدم حصون النصارى المجاورة لها في مساحة تبلغ عشرة أميسال مربعسة ، وحاز المسلمون غنائم وأموالا لايحصيها العسد ، حتى أن القيح كا نيعرض ستة أقفزة بدرهم ، فلا يوجد من بشتريه ، وتخلص المسلمون من الاطعمة بحرقها لكثرتها وعسدم الحاجة اليها ، وبذلك اعطى الناصر درسا قاسيا لملكة نبرة وعاد الى مدينة انتيسة ، حيث خلع على

Dozy, op. cit., p. 420.

⁽٦٢) ابن عداري ، المسدر نفسه ، ح ٢ ، ص ٢٥٨ ٠

⁽۱۳) ابن عداری ، المصدر نفسه ، ج ۲ ، ص ۲۱۵ ، ۲۱۱ .

مماة الشفر ورجاله ، وعاد الى قرطبة بعد أن بلغت غزواته تسمين بوما(٢٩) .

هرغم هذه الضربة القاسية التى نزلت بالنافاريين فى حملة عام ٢٠٨ هحرية / ٢٠٠ م الا انهم عادوا الى التحرش بحصون الثفسر الاعلم، المحساوره لهم . ففى عام ٣١٠ ه / ٩٢٢ م هاجم ملك نبرة حصن بقيرة (فجيرة) Viguera وأسر محمد بن عبد الله بن محمد بن لب القسوى ومطرف بن موسى بن ذى النون وابن عمه محمد بن محمد ، ويحيى بن أبى الفتح وكثيرا من وجوه العرب والمولدين والبربر ، وسجنهم في بهيلونة ثم ذبحهم عن آخرهم ، وسقط حصن فجيرة في يده (٢٠٠) .

وكان قد لهؤلاء الزعماء وسقوط فجيرة مثيرا جدا لدرجة أنه فجسر غضي اهل الاندلس جميعا ، ورموا عبد الرحمن الناصر بالتهاون في الدفاع عن حماة الثغور ، فصمم الناصر على الانتقام لهذه الكارثة ، وزحف بجيوشه على بمبلونة عاصمة مملكة نبرة عام ٣١٢ه / ٣٩٤م ، وهي الغزوة المعروفة بفزوة بمبلونة ، ومر الناصم في طريقه بكورة تدمير وبلنسية ، وقضى على الثوار الموجودين هناك ، ثم دخل تطيلة ، وخرج اليه بنو تجيب وغيرهم من عمال الثغر في جنود وفيرة وعدة كاملة ، وقصدوا جميعا حصن تلقرة (وحصن غاخلاه شانجه وانتقل الناصر الي حصن ببطرة الته Peratla وحصن غالكجش (وحطمها وأحرق أرياضها وسبي أهلها(٢٠) .

اخترق الناصر بعد ذلك فج المركوير قاصدا العاصمة بمبلونة واستولى في طريقه على قرية بشكونسة مسقط رأس شانجة واسرته واحرقها

۲۲۹ ، ۲۲۹ ، ۲۲۹ ، ۲۲۹ ، ۲۲۹ ، ۲۲۹) ابن عداری ، المصدر نفسه ، ج ۲ ، ص ۲۲۹ ، ۲۲۹)
Dozy, op. cit., p. 421.

⁽٦٥) العددري ، المصدر نفسه ، ص ٣٩ ، ابن عداري ، المصدر نفسه ، ج ٢ ، Dozy, op. cit., p. 422.

٠ ٢٧٩ - ٢٧٧ ص ، ٣ ۽ ١٠ المِصدر دنسه ، ج ٣ ، ص ٢٧٧ البن عيذالُري ، المِصدر دنسه ، ج ٣ ، ص ٢٧٧ لام ١٦٥. Dozy, op. cit., p. 422.

واجتاز الناصر مهرات جبلية ضيقة ، حاول فيها شانجة التصدى المسلمين ، لكنه أصيب بهزيمة قاسية ووصل المسلمون الى بمبلونية فوجدوها خالية مقفرة ، قد فر عنها سكانها ، فأمر الناصر بهدم جبيع مبانيها وتخريب كنيستها ، وتلقى شانجه عند ذاك مساعدة من قشتالة وهاجم الجيش الاسلامى انتاء عودته مرتين ، مرة عند شنت اشتبين والأخرى عند قلهرة ، الا أن المسلمين هزموهم واستولوا على حصن قلهرة وهدموه ، ثم دخلوا الأراضى الاسلامية عند حصن بلتية ، وعاد الناصر بعدد أن دمر بمبلونة وسحق قواتها وأخضع حكامها(٢٠) .

لم يعبر ملك نبرة شانجة بن غرسية الأول طويلا بعد هذه الهزيمة القاسية اذ مات بعد عامين ، فتولى ابنه الطفل غرسيه (٢١٤ – ٣٥٩ التي ١٤١ – ٢٢٩ م) عرش نبرة تحت وصاية أمه الملكة تيودا Tueda التي تعرفها الروايات الاسلامية باسم طوطة ، واستتب السلام بين الجانبين المدة عشر سنوات ، انشخل الناصر فيها بقمح المتمردين في الأندلس ، وانشغلت فيها ليون بحرب أهلية بسبب التنازع على العرش ، ولم يكن أمام الملكة طوطة الا أن تستكين حتى نحين الفرصة المناسبة للانتقام من عبد الرحين الناصر (١٨) .

وجاءت الفرصة عندما بهرد بنو بجيب على الخلافة ، وتحالفوا مع ملك ليون ومع الملكة طوطة ، واتحد الشمال كله مسلموه ومسيحيوه ضد الناصر منذ عام ٣٢٢ ه ، فزحف الناصر عليهم في العسام التسالي وتضى على تمرد بني تجيب ، ثم زحف على بمبلونة عام ٣٢٥ ه لعقسابها ، فحاصرها وخرب مبانيها ودمر حصونها وسحق كل مقساومة للملكة طوطة ، فاضطرت الى تقديم ولائها للناصر الذي أقر ولدها غرسية ملكسا على

⁽٦٧) ابن عبد ربه ، المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٣٧٢ ، ابن عبدارى ، المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٣٥٠ ، ابن الفرضى ، المصدر نفسه ، ص ٣٥٠ ، ٢٨٣ ـ ٣٨٠ ، ابن الفرضى ، المصدر نفسه ، ص ٣٥٠ ، ٣٥٠ Dozy, op. cit., p. 422, Murphy, op. cit., p. 96.

⁽٦٨) أنظر ، الفصل الثاني من البياب الثاني ، ص

نبرة . وبذلك انهارت الجبهة الشمالية الشرقية المتحالفة ضد الناصر (١٩)

وحانت فرصه أخرى انتهزتها بلك الملكة العنيدة عندما وقع الصدام ببن عبد الرحمن الناصر وبين ردمير ملك ليون عام ٢٢٧ه / ٩٣٩ م مبنئذ قررت الملكة طوطة اغتنام الفرصة واشتركت بقواتها مع ملك ليسون ناكتة لمهودها مع الناصر ، وبذلك انحدت قرى أسسبانيا النصرانيسة لقساتلة المسلمبن مرة أخرى ، واستطاعت الابقساع بجيش الناصر عام ٢٢٧ ه في واقعة الخندق المشهورة ، حيث منى الناصر فيها بهزيمة ساحقة جعلته يركز كل جهوده ضد مملكة ليون خلال السنوات العشر التالية ، وظلت نبرة في حالة سلام مع الناصر حتى قامت الحرب الأهلية في ليون بسبب التنازع على العرش عام ٣٤٦ ه / ١٩٥٤م (٢٠)

هنا تخرج الروایات الاسلامیة عن صمتها الذی التزمته بالنسبة للکة نبرة ، وذکرت نشاطها فی اعادة حفیدها شانجة ملك لیدون المخلوع وقررت أن ننزل عن كبریائها وتأتی مع ابنها ملك نبرة وحفیدها ملك لیون الی قرطبة عام ۳٤۷ ه / ۹۰۸ م ، لتلنمس من عاهلها مساعدته فی اعادة حفیدها شانجة الی عرشه ، ولتعقد لنفسها عهدا بالصلح والسلام مع الناصر . ذلك أن الخالفة كانت قد أرسلت فی العام السابق القائد غالب الی نبرة ، حیث افتتح عددا من حصونها وخرب كثیرا من قراها ، وبذلك عادت نبرة للطاعة مرة اخری(۱۷)

بعد موت الناصر وجدت الملكة طوطة الفرصة سانحة لأن تشترك في التمرد الذي أعلنه حفيدها ملك ليون ضد الحكم المستنصر ، فزحف اليها القسائد غالب واستطاع أن يدمر جيشها وبستولى على حصن قلهرة عام ١٥٥ ه . فعسادت الملكة الى صوابها وعادت قطلب السلام من جديد ،

⁽٧٠) أنظر ، الفصل الثاني من الباب الفاني ،

ابن خلسدون ، المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ١٤٣ ، المقرى ، النفع ، ج ١ ص ١٧٠) Hole, Spain under the Moslems, pp. 90-39.

وارسل ابنها غرسسيه بن شسانجة ملك نبرة بعثة من الاساقفة والقوامس يطلبون الصلح ويجددون معساهدة السلام ، وظل غرسيه على ولائسه للمستنصر حتى مات وخلفه ابنه شانجه على عرش نبرة (٣٥٩ ــ ٣٨٤ هـ ٩٦٩ ــ ٩٦٩ م) وظل هو الآخر محافظسا على عهد أبيه مع الخلافة حتى مات المستنصر عام ٣٦٦ ه (٧٠) .

تولى الخلافة بعد المستنصر ابنه الطفل هشام المؤيد ، وقام الصراع بين الحاجب المنصور بن أبى عامر وبين القائد غالب على السلطان ، وانتهز نصارى الشمال في ليون الفرصة وأغاروا على الثفور فجرد اليهم المنصور حملة سماها غزوة الغابرة في شوال من عام ٣٦٧ ه ، مايو ٩٧٨ م ، وكانت هذه الغزوة موجهة لضرب ليون وبمبلونة وبرشلونة اذ تفرعت عنها حملات صغبرة اضرب كل جهة من هذه الجهات على حدة ، ويبدو أن هذه الغزوة كانت السبب الذي دعا شانجه ملك نبرة لأن ينقض انفاقه مع الخليفة الراحال ، وبنضام الى ملك ليون المنصور في مساعدته للقائد غالب غريم المنصور بن أبى عامر ، لكن المنصور استطاع أن يهزمهم في ذي القعدة علم ٣٧٠ ه عند أنتيسة قرب قلعة أيوب وأن يقبل ابن ملك نبرة ، فاضطر هذا الملك لأن يرسل رسله للصلح مع المنصور وأرسل معهم احدى بناته لتكون زوجا له (٣٧) ،

ورغم هذا النصر فقد صمم المنصور، على عقاب ليون ونبرة ، أما ليون فقد حطم جيوشها واحرق أرياض سمورة وخرب عددا كبيرا من القرى بلغ ألف قرية في تلك الناحية ، فتحالف ملك ليون مع نبرة وقشتالة ضد المنصور عام ٣٧٢ ه وزحفت جيوشهم للقائه ، فهزمهم جميعا عند روطة جنوب غرب سيمنقه ، وعاد ملك نبرة الى بلاده يجسر

۰. ۱۶۰ آبن خلدون ، آلصدر تنسه ، ج ٤ ، ص ١٤٥ . Livermore, op. cit., p. 97.

⁽۷۳) العسدري ، المصدر نفسه ، ص ۷۷ ، أبن الخطيب ، المصدر نفسه ، ج ۲ ، المحدد نفسه ، ج ۲ ، العسدر نفسه ، ح ۲ ، العسدر نفسه ، ح

اذیال الخیبة والفشل ، و کان علیه اخسیرا آن یأنی الی قرطبه لیقدم اعتذاره ویعان طاعته لصهره المرعب ، المنصور بن أبی عامر ، وقضی بقیسة عمره فی سلام حتی توفی عام $3 \, 7 \, 7 \, 8$ (37) .

لكن الأستاذ عنان يشير الني هزيمة للمنصور تمت على يد شانجة ملك نبرة عام ٣٧٦ ه / ٩٨٧ م ، ولم نجد في مصادرنا ما يشير الى ذلك ، بل ان هنساك من يقسول بأن المنصور غزا نبرة عام ٣٧٩ ه في غزوة تسمى غزوة البياض ، ويبدو أن الأستاذ عنان يشير الى حملة لم يذكر أسمها المؤرخون ، وانها أتوا بوصف لها ، ويقولون بأن المنصور غزا في بلاد الفرنج - وكان بعضهم يسمى الأسبان فرنجا ورؤما وأعاجم - وأخذ ينسف ويدمر ويخرب ويتوغل في بلادهم ، وعند عودته وجد الافرنج شد قطعوا عليه خط الرجعة وكمنوا له عند مضيق بين جبلين لابد له من اجتيازه (٥٠) .

ولما رأى المنصور ذلك ، احتسال عليهم واظهر انه ينوى الاقامة في هذا المكسان ، ففاوضوه حتى يرحل عنهم ، وانتهت المفاوضات بأن يحملوا على دوابهم ما معه من الفنسائم والسبى ، وأن يمسدوه بالميرة حتى يصل الى بلاده ، وأن يطهروا له الطريق من جثث قتلاهم ، ففعلوا ذلك وعاد المنصور الى قرطبة ، ويمكن أن يكون الأستاذ عنان قد اعتبر ذلك هزيمة للمنصور ، لكن المنصور لم يخسر شيئا بل عاد ولفر الكرامة بمسا معه من سبى وغنائم (٢٦) .

تولى عرش نبرة بعد وفساه نسسانجة ابنه غرسسيه (٣٨٤ سـ ٣٩٠ ه / ٩٩٤ سـ ١٠٠٠م) ، ولم يكن هذا الملك في مقدرة أبيه ، فقد اطلقت عليه الرواية النصر اندة لقب غرسيه المرتعد ، ولم يحساول هدذا

Livermore, op. cit., p. 98.

(Y٤)

⁽۷۰) ابن عداری ، المسدر نفسه ، ج ۲ ، ص ۲۲۱ ، آلمتری ، تفسح الطبیب ، ج ۱ .، ص ۲۷۸ ، ۲۷۹ ، ۲۷۸ ، ۲۷۸ ، ۲۷۸ ، ۲۷۸ ، ۲۷۸ ، ۲۷۸ ،

⁽٧٦) نصب المصادر والصفحات في الحاسية السابقة .

المناه المناه المناه المناه المناه المناه المنه المنه المنه المنه الروالة ورخ جراه المراء على الله على المنه المراة المسلمية من رعبه وغزعه عندما سمع بقدوم المنصور لانقساذ امراة المسرد في احدى كنائس نبرة ، لأن أسرها يعتبر اخلالا بانفساق السلام المعتود بين الطرفين ، ساعنها انهسار ملك نبرة وأقسم بأغلظ الايمسان له لا معرف بوجود تلك المراة المسلمة في البلاد ، وقام بهسدم الكنيسة التي المناه المناه في البلاد ، وقام بهسدم الكنيسة التي المناه والمسلمة في البلاد ، فاستحيى المنصور وعاد مراه المناه المناه وعاد مراه المناه المناه و المسلمة في البلاد ، فاستحيى المنصور وعاد مراه المناه و المناه المناه و المناه و

مات ذلك الملك الفعيف وخلف ابنا صغير السن يسمى شانجه أن عرش نبرة ولما كان نسانجة طفالا لم يتجاوز الرابعة من عمره وفعد رحل مع أمه الملكة خبينا ذات الأصل القشتالى الى برغش عاصمة فنات ويت تربى هناك ، وزوجه الكونت شانجه غرسية ابنته الكبرى أرة ونبوا نسانجة عرش نبرة باسم شانجة الأول (٣٩٠ – ٢٦٩ هـ/ ١٠٠٠ – ١٠٣١ م) ولم يلبث أن مات المنصور بعد ذلك بعامين وخنفه في الحجابة ابنه عبد الملك المظفر الذي اتبع سياسة أبيه في القاء شرعب في قلوب نصارى الشمال ، حتى لايفكروا في مهاجهة الثغور النهية (١٠٠٠) .

وننبذا لهذه السياسة قام المظفر بعدة حملات على برشلونة عام ٣٩٦ ه ، وعلى جليقية عام ٣٩٥ ه ، وجاء دور نبرة عام ٣٩٦ ه ، فقد مرح اليها عبد الملك المظفر غازيا الى بمبلونة عاصمة نبرة في شوال من هذا العسام ، وعندما وصل الى أرض الملكة بدأ بالاغارة الى أرياض حمد أبنيونش ، نفر أهله عنه وهدمه المظفر ورحل عنه الى حصن شنت برأنش وأحرق أرياضه أيضا ، لكنه لم يصل الى بهبلونة وعاد الى قرطبة (٢٠)

⁽۷۷) ابن عداری ، المصدر نفسه ، ج ۲ ، ص ۱٤٤ ، المقری ، المصدر تفسه ، ح ۲ ، ص ۱۲۹ ،

⁽٧٨) انظر ، الفصل الثاني من الباب الثاني ،

⁽۷۹) این عداری ، المصدر بدسه ، ج ۳ ، ص ۱۳ .

وبيدو أن المظفر لم يكن موفقا تماما في هذه الغزوة أذ أن العامة قللت من قيمتها والأنه لم يصبهم من ورائها سبى كثر كما عودهم المنصور من قبل وصاهوا «مات الجلاب .. مات الجلاب » يقصدون والده المنصور ويعلل أبن عذارى سبب الاخفاق في هذه الغزوة بظروف طبيعية تتعلق بسوء المناخ وما حدث من عواصف رعدية وثلجية ، وقد سبق أن تسببت وعورة تلك المنطقة في نهديد المنصور بالهزيمة ولولا احتباله على النافاريين كما وضحنا لاننهى الى نفس النتيجة الى اننهى اليها ابنه عبد الملك .

وقد شجع هذا الاخفاق أهل نبره فوضعوا يدهم مع أمير تشتالة الذى استطاع أن توحد جهد أهل النمال جميعا عام ٣٩٧ ه وتدخل بهم في حراع ضد عبد الملك المظفر ، الذى استطاع أن تنتصر عليهم جميعا في غزوته التي قام بها في ذلك العام والني تعرف بغزوة قلونية ، وعاد منها ليخلع علبه الخليفة لقب المظفر سيف الدولة (^^) .

ولم يسفر هذا الصراع الطويل بين مملكة نبرة وبين اندلس القرن الرابع الهجرى الا عن تدمير نسامل المعاصمة بمبلونة ولكتير من المحدن والحصون النافارية ، وسقوط عدد من الحصون في يد المسلمين مثل حسن قلهرة وغيره ، وصارت نبرة مملكة تابعة لقرطبة معظم سنى المقرن الرابع الهجرى ، واذا كان هناك من يقول بقلة النتائج ، الا أن ذلك لم يكن تقصيرا من حكسام الأندلس ، وانها يبرره عمق المقاومة النصرانية التى كانت تتحطم وما تلبث أن تدب فيها الحياة من جديد وترفع لواء الكفاح ، ذلك اللواء الذي نسلمته قشنالة قرب سقوط دولة بنى عامر(١٨)

⁽۸۰) این عبداری ، آلمصور نفسه ، ۳ ، ص ۱۶ - ۱۲ ۰

⁽٨١) د٠ حسن محمود ، تاريخ الغرب الاسلامي ، ص ١٤٥٠

علاقات خلفساء بنى أميسة بامارة قشقالة :

ظهرت قشىناللة على مسرح الحياة السياسية في النصف الأخير من القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى ، وكانت قبل ذلك تجاهد لتحقيق استقلالها عن مملكة ليون حسبما تقدم عند الحديث عن الأوضاع الداخلية لقشالة ، وقدرب نهاية عصر عبد الرحمن الناصر كانت قشتالة هي التي تقرر من يجلس على عرش ليون ، وكانت قشتالة تؤيد أحد الطامعين من الأسرة المالكة الليونية ، بينما تؤيد نبرة أخاه أو ابن عمه ممن ارتبط معها غالبا برباط المصاهرة ، وقسعى الى قرطبة لطلب المساعدة كما حدث عندما تقدمت الملكة طوطة ملكة نبرة مع ابنها ومع حفيدها شانجة ملك ليون المخلوع على يد كونت قشتالة القوى(٨٢) ،

هنا فقط يتردد اسم كونت قشتالة فرنان جوننالث Fernan Gonzalez Fernan Gonzalez في الروايات الاسلامية ، وتقول أنه بعد أن انتصر اردون الثالث على أخيه شانجة وتولى عرش لبون عام ٣٣٩ ه ، تزوج من ابنة كونت قشتالة وعقد صلحا مع الناصر عام ٤٣٤ ه ، فطلب منه الكونت أن يتوسط لدى الخليفة الناصر ليعقد مع قشتالة صلحا مساتلا لصلحه ، ولكن موت أردون الثالث فجأة عام ٥٤٠ ه قلب خطط الكونت ، اذ أن شانجة ارتقى عرش لبون ، ورفض تنفيذ اتفاق أخيه أردون الثالث مع الناصر ، فاننهز كونت قشتالة أقوى القوامس في المملكة الليونية وقام بانقالاب ضدد شانجة ، ووضع ابن عمه أردون الرابع على العرش وزوجه ابنته أرملة أردون النالث(٣٠) .

ووندت الملكة طوطة ملكة نبرة مع حفيدها المخلوع شانجة الى قرطبة وأعانته قوة اسلامية في الرجوع الى عرشه عام ٣٤٩ هـ / ٩٥٩م

⁽٨٢) انظر الفصل الثاني من الباب الثاني ، ص

⁽۸۳) ابن خليدون ، العير ، ج ٤، ص ١٤٢ ، ١٨٠ ، القلقشندى ، المسدر نفسه ، ج ٥ ، ص ١٧٠ ، انظر الفصل الثانى ، للساد الثانى ، ص

وقامت قوات نبرة بالهجوم على قشتالة حسب الفطة الموضوعة وأسرت الهيرها فرنان جونثالث . ولما مات الناصر وتولى الحكم المستنصر عام ٥٠٠ هـ / ٩٦١ م حاولت ممالك الثغور أن تحرر نفسها من اسسار الفسلفة ، فأطلقت نبرة سراح كونت قشتالة الذى أخذ يقوم بالهجوم على ما يجاوره من الثغور الاسلامية وتحالف مع ملك ليون ، لكن المستنصر وجه اليهم حملة عام ٣٥٢ ه / ٩٦٣ م عائت في قشتالة ، واستولت على قلعة شنت اشتبين ، وأجبرت الكونت على طلب السلام (١٠٠) .

لم يلبث أن مات كونت قشتالة فرنان جونثالث عام ٣٥٩ ه / ٩٧٠ ولم وقام ابنه غرسية بحكم الامارة (٣٥٩ – ٣٨٥ ه / ٩٧٠ – ٩٩٥ م) ، ولم تذكر عنه المصادر أى نشاط الا بعد وفاة المستنصر عام ٣٦٦ ه وقيام الصراع بين المنصور بن أبي عامر وبين القائد غالب ، هنا تدخل الكونت الجديد وقاد قواته لمساعدة غالب عام ٣٧٠ ه / ٩٨٠ م ، لكن المنصور هزمهم كما تقدم وقرر عقاب قشتالة ، ولما أحس أميرها بذلك دخل في حلف مع ملك ليون وملك نبرة ، لكن المنصور هزمهم عند روطة جنوبي سيمنقة حسبما تقدم عام ٣٧٠ ه ، وأجبر القشتاليين أن يخلوا أتينسة Sepulveda وسيبولنيد Sepulveda فالتزم غرسية أمير قشتالة جانب الهدوء حتى واتته فرصة جديدة للنيان من المنصور بن أبي عامر (٩٠٠) ،

فقد نآمر عبد الله على أبيه المنصور بن أبى عامر ، وانتهز فرصة انشىغال والده فى حصار مدينة شنت أشتبين بقشتالة عام ٣٧٩ ه ، وفر الى غريسية بن فرنان (غرسية بن فرزلند) صاحب ألبة (قشتالة) بعد انكشاف المؤامرة ، وحاول أمير قشتالة أن يستغل الموقف لصالحه ووعد عبد الله بالحماية من أبيه ، وحافظ على وعده لمدة عام ، لكن المنصور

⁽٨٤) آبن خليدون ، العبر ، ج ٤ ، ص ١٤٥ ، انظر الفصل المثانى ، الباب المثانى ، ص المدون ، العباب المثانى ، العباب المثانى ، ص المدون ، العباب المثانى ، العباب العب

انطر ، للفصل للثااني من للباب الثاني ، ص

جرد عليه الحسلات وهزمه واسنولى منه على حصن أوسمة (وخشمة) وأسكنه بالمسلمين . عندئذ أعلن غرسيه قبوله لكل شروط المنصور وسلم البه ابنه عبد الله λ حبث قام رجال المنصور بقتله عام λ ه λ ه λ و λ

ولم يصفح المنصور لكونت قشانه اعانته لعبد الله ، وأراد أن يجعله يشرب من نفس الكأس ، وقام بسحريض شانجه على التمرد ضد ابيه الكونت عام ٣٨٤ ه / ٩٩٤ م ، فأعلن هذا الابن العاق الثورة ضد ابيه ، وأعلن المنصور مساندت على الفور وحاصر حصون سان ستيفان (شنت أشتبين) وكلونيا ، ولم بحسم الموقف على الوجه الذي أراده المنصور فعاد الى قرطبة ، ولم يلبث أن أتاه الخبر من صاحب مدينة سالم أنه تمكن من أسر غرسية كونت قشتالة في كمين أعد له ، وأنه ساقه أسيرا الى مدينة سالم حث مات مناثرا بجراحه ، وأعطيت جثته لابنه عندما وضد على المنصور يطلب الصلح بعد ذلك (٨٠) .

مات غرسية وتولى ابنه شانجة امارة قشتالة (٣٨٥ - ٤٠٧ ه / ٩٩٥ لم ١٠١٧ م) . وقد كان لشانجة هذا شأن عظيم فيما بعد ، وتلقب بلقب الامبراطور ، لكنه أمام المنصور كان مجرد حاكم يدفع الجزية في هذه الأتناء قام المنصور بأضخم وأشهر حملة ضد نصارى الشمال ، عندما هاجم مدبنتهم المقدسة شانت ياقب (سنتياجو) في أقصى جليقية عام ٣٨٧ ه / ٩٩٧ م ودمرها تدميرا شديدا ، ويبدو أن هذا الاعنداء على المدينة المقدسة وعلى كنيسة القديس يعقوب قد أنار فيهم روح المقاومة على اشد ما تكون ، ونجحت قشتالة في انشاء جبهة موصدة ضد المنصور على اشد ما تكون ، ونجحت قشتالة في انشاء جبهة موصدة ضد المنصور

⁽٨٦) ابن عبذاري ، نفس المصيدر ، ج ٢ ، ص ٤٢٤ ،

Dozy, op. cit., p. 508.

⁽۸۷) الحدديدي ، جنوة المقتبس ، ص ۲۷۷ ، ابن بسام ، النخيرة ، ق ٤ ، ج ١ ،

سى ١٢ ، ٢٠ ـ ٣١ ، الضبى ، المصدر نفسه ، ص ٣١٠ ، ٢١١ ، أبو الفيدا ، تاريخية ، Dozy, op. cit., p. 509.

تشمل جميع ملوك النصرانية من بمبلونة في الشرق ، حنى استرقة في اقصى الغرب (٨٨) .

كانت القيسادة العليا في يد أمير قشمالة ، ذلك أن ملك نبرة كان علفسلا يعيش في بلاط قشمتالة ، والفونش الخامس ملك ليون كان أيصسا طفلا تحت وصاية أحسد كونتسات جليقية ، ولذلك كانت قشمتالة هي محور المقساومة ومركز النقل في الصدام العسكري مع المسلمين منذ ذلك الحين وكان شمانجة قائدا مهنازا الا أنه اختار للمعركة مكانا استرابيجيا هو جبل جربيرة الذي ينوسط امارة قشمالة ويتمتع بحصانة طبيعبة ، فهو شسديد الانحسدار من ناحبة المسلمين ، ومتصل بسهول ونواح عامرة ، تسهل وصول الميرة من الخلف لجنود قشمتالة وحلفائها ، ولمسا وصل المنصور ورأى منعة هذا الجسل ، هاله الأمر وتشماور مع أصحابه ، فاختلفوا وعاجلهم شمانجه بالهجوم ، وركز على الميمنة وأطاح بها ، نم على الميسرة وضربها ، وأيقن الجميع بأنها الهزيمة (أم) .

كان ابن أبى عامر ذاهل العقل حائر اللب ، لكن وطنيته كانت صادقة ، اذ دفع بابنه عبد الملك الى الميمنة بعد أن قبله وهو يبكى ، لانه موقن باستشهاده ، ثم وجه ابنه الاخر عبد الرحمن ناحية الميسرة ، وتغير سير المعركة بعد أن رفع المنصور مركز قيادته الى ربوة عالية يشرف منها على أرض المعركة ، ولما رأى الأعداء شخصه ظنوا أن مددا جديدا أتى المسلمين ، فانهارت قواهم وأخذوا في الهرب نجاة بأنفسهم ، وطاردهم المسلمون قتلا وأسرا مسافة عشرة أميال ، واستولوا على جميع ما معهم من سلاح ومتاع ، وذلك في شعبان سنة ، ٣٩ هر ، () .

كان النصارى قد أقبلوا الى المعركة ومعهم الحبال قد أعدوها لمقرنوا بها أسرى المسلمين ، لكن ثبات جأش المنصور وصبره وقوة

⁽۸۸) ابن الخطيب ، المسدر تَفسه ، ج ۲ ، ص 19 ، Livermore, op. cit., p. 88.

⁽ Λ) ابن الخطيب ، المصدر نسبه ، Λ ، ص Λ ، Λ ، Λ

^(9.) ابن الخطيب ، المسدر نفسه ، +7 ، ص 11-71 .

ايمانه ونفاذ بصبرته وشجاعة المخلصين من جنده ، قلبت الهزيمة نصرا مؤزرا ، ومع ذلك فان المنصور لم بواجه طوال حيانه حربا أشد وأقسى على نفسه من هذه الحرب التي كاد يصاب فيها بالهزبمة ، والتي اشتشهد في بدايتها حوالي الثمانهائة من فرسانه ومن رؤساء الجند ووجوه الناس. وقد امر المنصور عقب عودته الي قرطبة كاتب رسائله أن يكتب منشورا يتلى على كافة جنده الذين كانوا قد اخذوا في الفرار والهرب في بداية المعركة ، وكادوا يتسببون في الهزيمة ، وفيه بلومهم ويؤنبهم ويهددهم باستبدالهم بغيرهم من المخلصين (١٨)

وكان المنصور عقب احراز النصر في الموقعة السابقة التي تسمى بموقعة جربيرة نسبة الى الجبل الذي حدثت عنده 6 قد توغل في ارض قشتالة واخذ يدمر كل ما يجده حتى وصل الى سرقسطة 6 ثم عاد الى قشتالة مرة أخرى وصعد منها الى بمبلونة 6 حيث نسر الجند والسكان رهبة وفزعا من المنصور وأخذ المنصور يواصل هجمانه بعد ذلك على شانجة زعيم الشمال وأمير قشتالة حتى أذعن للطاعة واستأذن المنصور في القدوم بنفسه الى قرطبة 6 وسر المنصور لجيئه سرورا شديدا 6 واعد له استقبالا عظيما أخذ بعقل شانجة 6 وأظهر له قوة الاسلام وأعد خفق قلبه ذعرا ورهبة الى أن وصل الى مجلس المنصور 6 مقبل الأرض بين يديه 6 وعاتبه المنصور وصفح عنه وخلع عليه (٩٢) .

ويبدوان المنصور قد ادرك بثاقب مكره وبعد نظره مدى خطورة هــذا الزعيم النصرانى شانجة أمير قشتالة ، مقـام بآخر غزواته ضده في صفر من عام ٣٩٢ه / ١٠٠٢ م ، وهى الفزوة التي تعرف بغزاة قنالش والدير ، لأن المنصور وصل ميها الى قنالش في مقاطعة ريوجة Rioja على مقربة من ناجرة في أرض قشتالة ، أما الدير فالمرجح أنه دير القديس أمليان

⁽۹۱) النباعي ، تاريخ قضاة الأندلس ، ص ۷۲ ، ۸۶ ، ابن الخطب ، المسدر نفسه ج ۲ ، ص ۱۹ ـ ۷۶ .

⁽۹۲) ابن الخطبب ، المصدر مفسه ، ج ۲ ، ص ۷۲ ، ص ۷۶ .

وقد لازمه المرض في نلك الفزاة ، واشتدت عليه العلة ، واشتدت عليه العلة ، ومات في طربق العودة ، ودغن في مدبنة سالم (٢٩٢ه/أغسطس ١٠٠٢م) (٩٣).

وما أن مات المنصور حتى استدت آمال نصارى الشمال فى غلبسة المسلمين ، وانتظر عبد الملك حتى تستب له الأمور فى قرطبة ، وأرسل فتاه « وافسحا » صاحب مدينة سالم الى شانجة أمير قشتالة وعقد الصلح معه عام ٣٩٣ ه ، وفى العام التالى احمكم اليه ملوك النصرانية بشأن النزاع على الوصاية على الفونس المفامس ملك ليون الذى كان لا يزال طفلا ، وببدو أن حكم عبد الملك باسناد الوصاية الى كونت جليقية قد أغضب كونت قشتالة الذى كان يطمع فى ذلك ، فنقض الصلح الذى كان قسد أبرمه معسه واضح الصقلبي وأعلن عداءه لعبد الملك (١٠) .

لم ينتظر عبد الملك طويلا حتى خرج الى تشتالة واوغل فى اراضيها ، وخاف شانجه من الهزيمة ، ولم يواجه عبد الملك في ميدان القتال ، واخلى له القسلاع والحسون ، فعساد عبد الملك الى قرطبة ، واضطر شانجة ان يأتى وراءه طلبا للسلم واخذ على نفسه العهود بأن يساعده فى غزو قومه فى جليقية . ومعلا سار مع عبد الملك فى العام التالى (٣٩٥ه / ١٠٠٥ م) لغزو بنى غومس الذين اخذوا الوصاية على ملك ليون والتى كان يطمع فيها أمير قشتالة ، وبعد انتهاء المعركة عاد كل منهما الى وطنه ، واخذ شانجة يستعد سرا ليحسارب عبد الملك (٩٥) .

وعندما احس عبد الملك بتدبير شانجة بادره بالخروج غازيا في عام ١٠٠٧ه / ١٠٠٧ م في الغزوة التي تعرف بفزوة تلونية أو غزاة النصر حيث لقى نيها شانجة وجميع زعماء النصرانية في الشمال الأسباني ، وهزمهم

⁽٩٣) ابن بسام ، المصدر نفسه ، ق ٤ ، ج ١ ، ص ٥٥ ، ه ، ابن سعيد ، المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٠١ ، ابن الخطيب ، الاحاطة ، ج ٢ ، ص ٢١ ،

⁽٩٤) ابن يسام ، الدخيره ، ق ٤ ، ج ١ ، ص ٩٤ ، ابن عـذارى ، المسدر نَفسه ، Dozy, op. cit., p. 522.

⁽۹۰) ابن بسام ، المصدر نفسه ، ق ٤ ، ج ١ ، ص ٦٥ ، ٦٦ ، ابن عسدارى ، المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ١١ ٠

هزيمة شنيعة عند حصن قلونية ، واخذ الكثير من الغنائم والأسلاب والسبى ، وعاد الى قرطبة حيث خلع عليه الخليفة كل الوان الدكريم ولقبه بلقب المظفر ، ولم تكن هذه آخر حروبه مع قشنالة ، فقد اضطر الى غزوها مرة اخرى في العام السالى حيث هاجم حصن شنت مرتبن على نهر دويرة ، وافتتحه وحرق ارياضه وقتل مدافعيه ، ووزع السبى على أهل الرباط والجند ، وقفل عائدا الى قرطبة (٢٩) .

قام عبد الملك المظفر بغزوته الأخيرة وهى المعروفة بفزاة « العلة » ضد قشتالة أبضا ، ولم يفصل لنا المؤرخون نتائج هذه الغزوة ، وانما نحدثوا عن علة المظفر ومرضه ومونه ، و بقولون أنه قصد شانجة صاحب قشيالة ، ولكن المرض لم يمكنه من المام الغزوة ، وأحس الجند بدنو أجله ، فنفرق عنه أكثر المتطوعين ، وعاد به الجيش الى قرطبة حيث مات بها في صفر من عام ٣٩٩ه / أكتوبر ١٠٠٨ م ، ونولى الحجابة بعده أخوه عبد الرحمن المعروف بشنجول ، والذى انهدمت دولة بنى عامر على بديه في نفس العام ،

د _ علاقة خلفاء بني أمية بامارة قطلونية (برشلونة) :

كانت امارة قلطونية تتبع دولة الفرنجة ، ولذلك لم تكن على خط واحد مع ممالك الشمال النصرانية فى جهادها ضد مسلمى الأندلس . اذ أن أمراء بنى أمية الأواخر عقدوا مع أباطرة الفرنجة معاهدة تقضى بعدم مساعدتهم لنصارى الشمال ضد المسلمين مقابل اعتراف المسلمين بحكم الفرنجة فى قطلونية . وكانت هذه المعاهدة حجر الزاوية فى العالقة بين قرطبة وبرشلونة عاصمة قطلونية(٩٧) .

ذلك اننا لم نسمع عن معارك حربية في عنف وضراوة المعارك التي رايناها ببن دول أسبانيا النصرانية وبين مسلمي الأندلس ، سواء في عهد

⁽٩٦) ابن عداری ، المسدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٢١ - ٣٣ ٠

⁽٩٧) أنظر الفصل الثالث من الباب الأول ، ص

الامارة أو في عهد الخلافة ، وكل ما هنالك هو أن أمراء الثفر الأعلى الأندلسي من المسلمين كانوا يغيرون أحيانا على برشلونة في بدء عهد الخلافة فقد أغار عبد الملك بن عبد الله الطويل صاحب وشقة وبريشتر من أعمال الشغر الأعلى ، على برشلونة عام ٣٠١ه / ٩١٣ م ، واستشهد في قتاله مع فرنجة برشلونة (٩٨) ولم تسمع شيئا بعد ذلك حتى عام ٣٢٨ ه .

ويبدون أن أهل برشلونة قد الطمعتهم هزيمة المسلمين عام ٣٧٧ه / ٩٣٩ م في موقعة الخندق أمام جيوش ردمير الثاني ملك ليون ، فاعتدوا على الثغر الأعلى ، مصادفع النساصر إلى ارسال حملة بحرية صغيرة لضرب برشلونة من البحر ، أقلعت هذه الحملة من ميناء المرية وعلى رأسها محمد ابن رماحس قائد البحرية ، ووصلت إلى ميناء طرطوشة حيث تسم تدعيمها ببعض السفن الحربية ، ثم واصلت ابحارها حتى وصلت الى ميناء برشلونة ، وهناك وجدوا كونت برشلونة قد أعد بعتة للسفر الى قرطبة لعقد الصلح مع الناصر ، ومن ثم انتنى الغرض من الحملة ، المعادة الى قرطبة حيث تام عقدد الصلح مع الناصر ، ومن ثم انتنى الغرض من الحملة ، الصلح ألى قرطبة حيث تام عقدد الصلح ألى قرطبة حيث المعادة ،

كان امراء او كونتات برشلونه في هذا الوقت مستقلين عن دولة الفرنجة وكانت اسرة بوريل نقصوم بشئون الحكم فيها ، وكانت تعرف مدى بعدها عن فرنسا ، وتعرف ايضا انها قريبة من بلاد المسلمين ، وأن العصر كان عصر الخلافة الةوبة التي لا تألوا جهدا في اخضاع من يرفع رأسه بالعداء او العصيان ضدها ، ولذلك حافظ أمراء برشلونة على معاهدة الصلح ونفذوها بكل دقة ، وعندما رأوا ملوك الأسبان يهرعون الى قرطبة عام ٧٤٣ه / ٨٥٨م بفرض تجديد صلح قديم أر عقد صلح جديد ، وعاء كونت برئلونة الى الناصر راغبا في تجديد الصلح ، لكن الأسناد ٥١٥٠٠

⁽۹۸) ابن عبداری ، التسمير بلسه ،ج ۲،، ص ۲۵۸، انظر ، الفصل الثالث من الباب الأول ، من

⁽٩٩) المسترى ، المستر تغسه ، ص ۸۱ .

يقول ان المناصر عامل البعثة القطلانبة بقسوة استنائية على خلاف العادة ولا ندرى سببا لذلك ، وعادت البعثة بعد أن وقعت السلام وقبلت كل شروطه (۱۰۰) .

وبجوت الناصر عام ٣٥٠ه / ٩٦١م تغير الموقف ، اذ أن نصارى النسمال تلكأوا في تنفيذ معاهدات السلام التي كانوا قد عقدوها مع الخالفة . وقام لملك نبرة مخالفا شروط الصلح المعقودة معه واطلق سراح كونت قتسالة الهرنان جونثالث الذي كان قد أسره عند ننفيذ عملية اعادة ثسانجة الى عرش ليون عام ٣٤٩ ه بمساعدة قوة اسلامية . ربادر هذا الكونت ونحالف مع كونت برشلونة بوريل الناني ، وانضم اليه ملك نبرة أيضا ، ملك ليدون المخلوع أردون الرابع . وظل شانجة ملك ليون بعيدا عن هدا التحالف محافظا على عهده مع ألحكم المستنصر(١٠٠١) .

لكن أردون الرابع خاف على مصير عاقبة هذا التحالف ووقد على الخليفة الحكم ، ووقد في اثره شانجة ، فجدد الحكم الصلح مع شانجة ولم يأبه بما كان قو انفق عليه مع أردون من قبل ، ووعى الأسبان الدرس جيدا وهرع ملوكهم مرة أخرى الى قرطبة بطلبون السلام وتجديد معاهدات الصلح، وكانهن بينهم وقد أهل قطلونية الذبن أرادوا أن يكفروا عن خطئهم فأحضروا للمستنصر هدية قيمة ، عشرون صبيا من الخصيان الصقالبة وعشرين قنطارا من صوف السمور ، وخمسة قناطير من القصدير وعشرة أذرع صقلبية ، ومائنا سيف أفرنجية ، فقبل المستنصر هديتهم وجدد الصلح معهم على شرط أن يهدموا الحصون القريبة من بلاد المسلمين ، وألا ينحالفوا عليه مع نصارى الشمال ، وأن يحذروه منهم اذا عرفوا نيتهم في الهجوم عليه (١٠٠٠) ،

استمر السلام قائما بين فرنجة برشلونة وبين مسلمى الأندلس طوال عهد الحكم المستنصر حتى مات عام ٣٦٦ ه/ ٩٧٦م وتولى ابنه هشام

Hole, op. cit., p. 91.

⁽۱۰۰) أبن خلسدون ، العبر ، جد لا مس ١٤٣ ،

⁽۱۰۱) عنان ، تاريخ العرب في اسبانيا ، ص ١٥٦ .

المؤيد الخيلافة ، وكان لا يزال طفلا ، فطمعت الفرنجة ونصارى الشمال معفة عامة في استئناف النضال ضد الأندلس ، ونقضوا معاهدات المسلح الني كانوا قد أبرهوها مع المستفصر في بداية حكمه ، وكان المسلمون كما ذكرنا بحدرون الفافزم مع أباطرة الفرنجة ولا يغيرون على برشلونة لأنهم اذا فحلوا فسرف منزض التوات الفرنجية لقنالهم لأن برشلونة كانت أمارة نابعة ليم (١٠٣) .

لكن المنصور بن أبى عامر حاجب هشام المؤيد لم بأخذ بهذا المنطق ، وكان هدفه هو اختصاع كل من بعيش في نسبه الجزيرة لسلطانه ، سسواء كان مسلما أم مسبحبا ، من نصارى النسمال أم من فرنجة قطلونية ، وكان المنصور يعرف مدى النوذى السائدة في مملكة الفرنجة في ذلك الوقت بسبب النظام الاقطاعي وقبام النبلاء باستقلالهم في القاليمهم ، ودن هنا فان أمراء قطلونية لن ينجدهم احد اذا طلبوا المساعدة (١٠٠) .

على أيه حال عان العذرى يهدنا دون غيره من سائر المؤرخين القدامى بغزوة مكرة للمنسور بن أبى عادر في القليم قطلونية ، نعود الى السلة الأولى من نوله الحجابة . إذ يذكر له غزوة تسمى بغزوة الغابرة قلم بنا في شوال عام ١٣٦٧ع / مارو ١٧٨م ، ويبدو أن هذه المعلة كان هدفها الأساسى بمبلونة ، بم تفرعت عنها حملة صغيرة الى برشلونة ، أذ يقول هانها صائفة ذات دخالات ، جمع بها بين بمبلونه وبسيط برشلونة . ، ولا يحدثنا عن نسائج هذه الغزوة ولا عن غيرها من الغزوات الأخرى في بلاد نبرة وليون ، أذ أنه كان يكنفى بذكر اسم الغزوة وتاريخها فقط ولا يذكر اسم الدولة التى تمت فيها ولا نتائجها ، ومن هنا جاءت الصعوبة في النعرف على الدولة التى وقعت فيها هذه الغزوة أو تلك. (١٠٠٠) .

Dozy, op. cit., pp. 500-501

Dozy, op. cit., pp. 500,501.

(1+2)

ابن خلمدون ، المسدر بنسه ،ج ٤ ، ص ١٤٥ ، المترى ، نفسح الطيب ، الحال المال الم

⁽١٠٣) ابن خلسدون ، العدر ،، ح ٤ ، ص ١٨٤ .

⁽۱۰۵) المسترى ، المصدر منسنه ، ص ۷۰ -

وهكذا يذكر لنا العذرى قيام المنصور بغزوة تسمى « ثننت بلبق، الثانية وبسيط برشلونة » في المحرم من عام ١٣٧٤ه / يونيه ١٨٨٤ م ٠٠ أما « شنت بلبق الأولى » فكانت قبل ذلك بخمس سنوات اى في المحرم، عام ٢٦٩ه / يولية ٢٩٧٩م . وفي هذه الفترة كان المنصور مشغولا بصراعه مع غالب تم مع نصارى الشمال الذين تحالفوا ضده وحاربوه عام ٢٧٢ هوانتصر عليهم في موقعة سيهنقة ، ودانت له ليون ونبرة بالطاعة ، ولم يبق، الهامه الا برشلونة(٢٠٦) .

ويدو ان حملة شنت ببلبق النانية (٢٧٤ ه) كانت لجس نبض قوات الفرنجة في برشلونة ، اذ انه لم ينته هذا العام حبى قام المنصور في ذي الحجة منه / مايو ٩٨٥م بحملة مدمرة على برشلونة ، فقد اعد المنصور قوة ضخمة ومر بألبيرة وبسطة ومرسية ، ثم اتجه شمالا وسار بحذاء الساحل. الشرقي حتى وصل برشلونة بعد شهرين تقريبا (المحرم ٣٧٥ ه) ، وكانت هذه الفزوة الثالثة والعشرون للمنصور ، وكان يصحبه فيها حوالي أربعون من الشعراء لسجيل انتصاراه (١٠٠٠) ،

اقدم المنصور اقليم قطلونية والتحم مع حاكمه بوربل الثانى في موقعة عرفت باسم وقعة بيفش ، وقعت في الطريق الى برشلونة ، ويبدو أن حاكم قطلونية كان قد تقدم بقوانه لملاقاة المنصور ومنعه من التقدم داخدل. الاقليم ، وبحكى بعض المؤرخين أن المنصور أمر جنده باتضاد قرامد هندية يضعونها على سواعدهم ليحموا بها رؤسهم من سيوف الفرنج البتازة وكانت النتبجة عدة هزائم منلاحقة لحاكم قطلونية ، وبقدم المنصور وزحف على برشلونة العاصمة التى كان الفرنح قد استولوا عليها منذ عهد الحكم بن هشام عام ١٨٥ه / ١٨٠م ، وظلت في حوزتهم حتى ذلك العهد فناستولى عليها المنصور (٣٧٥ ه) ودمرها ثم أضرم فيها النيران ، وقتل،

⁽١٠٦) المنزي ، المستر سنفه ، ص ٧٦ ، ٧٩ ٠

۰ ۸۰ مصدری ، الصدر نفسه ، ص ۰۸۰ مصدری ، الصدری ، الصدری ، الصدر نفسه ، ص ۱۰۷) Dozy,،op. cit., p. 500, Livermore, op. cit., 88.

معظم السكان والجند ، والخد الباقين اسرى ، وعاد الى قرطبة محملا . بالغنائم والأسلاب بعد ان اخضع هذا الاقليم لسلطانه(١٠٨) .

ولم تستمر برشلونة طويلا في يد المسلمين ، اذ ان الفرنجـة انتهزوا منرصة انشفال المنصور في حملة له على بمبلونة عام ٢٧٦ه ، وسار جيش من الفرنجة الى برشلونة تعاونه السفن من البحر واستولى عليها . لذلك منان اول عمل قام به عبد الملك المظفر بعـد توليه الحجابة عام ٢٩٢ه ، هو الاستعداد لحملة كانت وجهتها قطلونية ، بعـد ان عقد الصلح مع شانجة زعيم نصارى الشمال وامير قشتالة في ذلك الوقت في عام ٣٩٣ه(١٠٠).

استعد عبد الملك لحملة برشلونة استعدادا هائلا ، ووفد عليه المنطوعون والمجاهدون من شمال افريقيا ومن سائر انحاء الأندلس حتى ضاقت بهم قرطبة وارباضها ، ووزع عبد الملك عليهم المسال والسسلاح . ويعطينا ابن عذارى وصفا رائعا جميلا لخروجه على رأس قواده ووزرائه وغلمسانه من قرطبة الى برشلونة ، فقد انخذ عبد الملك طريق الثفر الاوسط ثم الأعلى ، حتى وصل الى برشلونة مخالفسا بذلك والده الدى انخد طريق الساحل الشرقى ، وعندما وصل عبد الملك الى مدينة سالم لحق به عدة زعماء من نصارى ليو نوقتيتالة لمساعدته في حرمه حسب لحق به عدة زعماء من نصارى ليو نوقتيتالة لمساعدته في حرمه حسب الحق به عدة زعماء من نصارى ليو نوقتيتالة لمساعدته في حرمه حسب الحق به عدة زعماء من نصارى الهر مورسه مينهم في اول هذا العسام (٣٩٣ه) (١٠٠) .

وصلت قواب المسلوم والندسارى الى سرقسطه واخرج عبد الملك فتاه « واضحا » الصقلبى فى نخبة من جنده وفرسانه لمقارعه حصن مدنيش النبردب من حصن ممقصر ، فافتتحه « واضح » وسار الجميع الى حصىن

⁽۱۰۸) ابن الكرد بوس ، الاكتفاء في أخبار الخلفاء ، ص ٦٣ ، ابن الفرشي ، المصدر من ١٠٨) ابن الخرص ، الخطيب ، أعمال الاعلام ، ح ٢ ، ص ٧٤ ، الاحاطة ، ج ٢ ، ص ١٨٥ ، ص ٧٠ ، ٧١ ، ابن خلدون ، العدر ، ح ٤ ، ص ١٨٥ ، ص ١٨٥ ، ابن خلدون ، العدر ، ح ٤ ، ص ١٨٥ ،

⁽١٠٩) عنان ، تاريخ العرب في الأندلس ، ص ١٦٧ •

⁽۱۱۰) ابن عـذاری ، المصـدر نفسه ، ح ۳ ، ص ٤ ، ه ، ابن الخطیب ، اعمـال دراد) ابن عـداری ، المصـدر نفسه ، ح ۳ ، ص ۸۷ .

مهتصر من أعمال برئسلونة ، وضربوا عليه الحصار . لكن أهسل الحصن كانوا سُجعانا فخرجوا الى المسلمين وعاملوهم . وكانت صولات وجولات بين الجسانيس في كر وغر حتى حجز اللال بينهم ، وعند الفحر استطاع المسلمون دخول الحصن بعسد أن كانوا قد منحوا فيه ثفرة أثناء الليل ، وأخذوا من غيسه بسيا ونزدوا أموالام ، ولجسا بعض مدافعي الحصن الى مكسان منبع ، فأحدق بهم المسلمون وقدارهم عن آخرهم("") ،

وكان الحاجب عبد الملك قد اصدر اوامره انناء القبال بالا يحسرق المسلمون منزلا ولا يهدمون بناء ، عكس ما فعله ابوه في حمله التي دمر قيها برسلونه واحرنها عام ٣٧٥ه. ذلك أن عبد الملك كان يرمى الى استمطان هذا الحصن واسكانه بالمسلمين حي يكون برسلونه نحت سيطرنه وبعد بمسام انفيح احذ في اصلاح الحصن ونادى في المسلمين « من اراد الائبات في الديوان بدينارين في النيهرين على أن يستوطن هذا الحصن وله مع ذلك المنزل والمحرث » مرغب في دلك عدد كبير من المسلمين واستفروا فيه منذ ذلك الحين "١٠") .

ولم يحاك عدد الملك سنة ابنه في النسف، والمخريب ، ويبدو ان الصلاح الحصن ذا الاهمية الكبرى في السيطرة على برنسلونه كان نسيئا استثنائيا حتى لا تصيع منه برنسلونة كما ضاعت، س يسد ابنيه من قبل منقد جال عبد الملك وجنسده في انحاء اقليم قطلونية يخربون ويدمرون وينسفون حتى تركوه بلقعا خرابا وقفرا يبابا على حدد تعبير ابن حيان وقد ورد في كتاب الفنح الذي ارسله عبد الملك الى قرطبة ، أن عدد الحصون التى افتتحها عنوة وقتل جنودها وسبى ذراريهم وغنم اموالهم ستة حصون ، وعدد الحصون التى اخلاها اهلها غضريها ودمرها خمسة وثمانين حصنا ، وبلغ عدد السبى الذي وقد به عبد الملك على قرطبة .٥٧٥ نفرا ، وكان يوما مشهودا احتفلت به الدولة والخسلافة وقام الشسعراء ،

⁽۱۱۱) لبن حيال بروايه ابد عمندي به المعسور نفسه ،، ج ٣. ،، ص ٣ ، ٧. .

⁽۱۱۲) ابن حيان برواية ابن عبذاري ، المصبحر نفسه ، جه ٢ ، ص ٧. ٠٠

والأدباء ، وأنشدوا الأنسعار ، وخلع الخليفة على عبد الملك وبالغ في تكريهه(١١٢) .

كانت هذه الحملة درسا للفرنجة ولغيرهم من نصارى النسمال اذ انهم هافظوا على عهودهم مع عبد الملك ، وأنى رسول برشلونة الى قرطبة بهد يد الطاعة وطلب السلام ، وكالعادة استعد المظفر عبد الملك لاستقباله استقبالا رائما ، وكان هذا آخر بوم من أيام العظمة والمجد في ياريخ بني عامر ، اد لم يهض بضع سنوات حيى مات الطفر وخلفه أخدوه عبد الرحين الذى كانت نهاية الدولة على يديه عام ٣٩٩ه. (١١٤) ،

٣ ــ علاقات خلفاء بنى أمية بنصارى الشمال الأسباني في عصر ضيعف الخيلافة

وكها سبقت الاشارة عند الحديث عن أحوال الأندلس في عصر الفسلانة في الفصل الأول من هذا الباب ، رأينا أن هناك عوامل ضعف المت بالبلاد وآنت أكلها بدءا من القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى فيسا يعرف بالفتنة البربرية . وكان ذلك عقب سقوط دولة بنى عامر عام ١٩٩٨ه ، ذلك السقوط الذي اختم عصر القوة واسلم البلاد لحرب أهلية تأبت مولازين الصراع بين الأندلس ونصارى الشمال رأسا على عقب ، وجعلت هؤلاء النصارى يتحكمون في الخلافة والخلفاء الى حد كبير ، حتى أتى بنو حمود وانقذوا كرسى الخاطفة من هذا الهوان ، لكن الصراع استمر بين خلفاء بنى أمية الأواخر بعضهم البعض حتى تم الكن الصراء عليهم وعلى الخافة نهائيا عام ٢٢٤ه .

وتفصيل ذلك أن المهدى محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبدالرحمن الناصر استطاع أن يتود الثورة ضد بنى عامر ويتضى على دولتهم ، وبويع

⁽۱۱۳) این حیان مهروالیهٔ این عبداری ، المستحد نباسه ، د ۳ ، دس ۷ ، ۸ ، لاینه المستحد نباسه ، د ۲ ، دس ۷۸ ،

١١٤٧) ابن حيان برواية ابن مسام ، الذخيرة ، ق ٤ ، ج ١ ، ص ١٤٠ ،

نه بالخسلافة في جمسادى الآخرة عام ٣٩٩ه / يناير ١٠٠٩م ، لكنه اسساء السيرة وخاصة مع البربر الذين اعلن بعضه لهم واعرى الناس بهم ، وفتح باب الفننة على مصراعيه ، ففسر هؤلاء البربر الى التغر والتئوا حول سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر وقدموه على الفسهم وبايعوه بالخسلامة وتسمى بالمستعبن بالله ، وذلك في شوال عام ٣٩٩ / مابو ١٠٠٩ م . وبدلك انقسمت الاندلس الى حزب او فريقين ، حسزب البربر ويؤيسد سليمان المستعبن ، وحزب الاندلسيين ويدعو لمحمد المهدى(١٠٠٠)

بدأت نذر الكارثة التى حاقت بالأندلس الاسلامية تلوح فى الأفق منذ ذلك الحين ، فقد قرر كل غريق أن يستعلى على خصمه بنصارى النبال ، ومپدوا الطريق لهم لكى يشفوا غليلهم من أحفاد الناصر والمنصور ، وأن يتعرفوا على مواطن الضعف ، وأن ينفذوا سياستهم فى ضرب كل فريق بالآخر ، وأن يستولوا فى النهايه على المعاقل والحصون البي كان الناصر والمنصور قد قضيا حياتهما فى بنائها وشحنها بالسلاح والرجال ، وجعلها درعا يزود عن البلاد ومنطلقا لهجماتهها ضد نصارى الشمال ، كل ذلك حدث ولم يعض على آخر غزوة للمسلمين في أرض النصارى اكثر من عام واحد .

ادرك البربر منذ البداية انهم قلة قليلة المسدد بالنسبة للاندلسيين قابصلوا بالكونت نسانجة بن غرسية بن غرنان ادر قلبتالة والذى كان يعد أقوى أبراء الشمال النصراني في ذلك الوقت ، وطلبوا منه محالفته ضد المهدى وضد حلسه واضح الصقلبي صاحب مدينة سالم الذى كان قد حرض أهسالي الشغور على مقاطعة البرس أقيصاديا حتى اضطروا الى اكل حشائش الأرض (١٦٦) .

⁽۱۱۵) این محذاری ، المصمر نفسه ، ج ۲ ، ص ۸۲ ، الضدی ، المسدر بدسه ، می ۲۰ ، ابن الخطیب ، اعمال الاعلام ، ح ۲ ، ص ۱۱۲ ، ۱۱۳ ، وبدیهی آن حرب الابدلیسین میتکون من باقی سکال الاندلیس ، ای من المعرب وموالی بنی عامر والمولدین والصقالبة .

⁽۱۱٦) اس عداری ، المصدر نفسه ، د ۲ ، ص ۸۲ ، ۲۸ ، ابن سام ، التخيرة أ. ق ۱ ، د ۱ ، ص ۶۲ ،

وكانت رسل المهدى وواضح الصقلبى تطالب فى نفس الوقت محالفة شانجة حد البرير ، على أن يعطياه ما أحب من مدن الثفر وحصونه ، وارسلا اليه هدية قيمة ، فيها من التحف والطرائف ما لا بحصى . لكن شانجة تحالف مع البربر حتى يزيد من شقة الخلاف بين هذين الفريقين من المسلمين ، وأرسل لهم على الفور الف عربة محملة بالدةيق والعقاقير والأطعمة ونمير ذلك من المؤن النيرورية حتى الحبال والأوناد اللازمة لدوابهم ، فقوى البربر وانتعشت روحهم المعنوية(١١٠) .

وقام سليمان وجنوده من البربر تؤازرهم قوات شانجة امير قشتالة بوزهنوا حتى وصلوا مدينة سالم ، وهزموا واضح عند شرنبة ، في ذي الحجه عام ٢٩٩ ه / يولية ١٠٠٩ م ، وحازوا ما كان في معسكره من مال وسلاح ، وزهنوا الى قرطبة وهزموا جند المهدى في موقعة قنتيش بني ربيع الأول عام ٠٠٠ ه / اكتوبر ١٠٠٩ م ، ووصع البربر والنصارى السيف في رقياب أهل قرطبة غابادوا منهم ما بين عشرين الى ثلاثين الله رجل ، كان من بينهم عدد كبير من العلماء وائمة المساجد ، وهرب المهدى وواضح الى طليطلة ، وبويع سليمان المستعين خليفة في قرطبة (١١٨)

وهكذا بمكننا القسول مأن دولة سليمان الأولى قسد اقامها نصارى قشىتالة) أما الخليفة المهزوم فقسد لجساً الى فرنجة برشلونه وأميرها رامون (رايموند) وأرمقندة صاحب أورجل (ارتلة)(١١٨٨) لعله يجد عندهم ما يعينه على استرداد عرشه ، وكان رسوله اليهم حاجبه واضح المستلبى الذى فاوضهم على أساس أن يسلمهم مدينة سسالم قاعسدة النغر الأوسيط ، وأسا أخلاها من المسلمين ووضعوا يدهم عليها ، حولوا مسجدها الى كسسة ، وشرطوا عليه أن يلنزم مدفع مائة دينار لقسائد

⁽۱۱۷) ابن عداری ، المصدر بیسه ، د ۳ ، ص ۸٦ ،

⁽۱۱۸) ابن حدان مروابة ابن نسام ، المصدر نفسه ، ق ۱ ، ج ۱ ، ص ۳۰ ، ۳۱ ،

ابن عنداري ، المصدر نفسه ، ح ٣ ، ص ٨٧ ، الضبي ، المصدر نفس ، ص ٢٠ ، الراكشي ، المحدث ، ص ١١٠ ، من ١١٣ .

⁽۱۱۹) أورجل Urgel احدى كونتيات قطلوبية ٠

الحمله النصرانية ، ودينارين لكل جندى من جنوده ، علوه على. ما يلزمهم من المؤن والأعنية ، ولهم اينسا ما يدوزونه من عسكر البربر من مال وسلاح وسبى ، الى غير ذلك من الشروط الهينه الني تبلهما وانسح والمهدى (١٠) .

قام العرنج في سسمه آلاس رجل وعلى رأسهم أربادة كونت (أورجل) مع واضح الصداسي ووصلوا الى طليطلة حيث انذمهوا الى توات المهدى ووسار الجبيع الى قرطبة وبقابلوا مع جنس سليمان المسدون عند ووضع يسمى عقبه النفر ، على بعد بضعه عسر واللا من شرطبة في شوال عام ... ه مابو ١٠١٠م ، وكان النصر في البداية لمسلوبان والبردر ، حيث همهوا بعنف على الفرنح وقبلوا أمرهم أرمتند وتسر من جنده ، لكن سليمان ظن أن الهزيمة حاقت بالبرير عندما رأى الفرنح يخرقسون منوفهم ، وكان البرير قد أنسوال لهم حتى بتقدموا فيحيطون بهم واقتون عليهم ، لم يفهم سليمان تلك الخطة ، وفر من مبدان المعركة واسحة الى شاطبة ، فعاد البرير الى الزهران راغذوا أمواليم وأولادهم وأدهبوا جنوبا إلى وادى آرة ، ون أحواز مربلة ناحية الجزيرة الخضراء(١٢١)

دخل المهدى قرطبة وبويع له بالخلافه للمره الثانية واعطى الفرنج اعطيابهم وصمم على ملاحقه البربر والقضاء عليهم نهائيا ، والبقى هدو وحلفاؤه من الفرنح بهم عند وادى آره ، لكنهم هزموهم فى ذى القعدة عام ... ه / يونية ١٠١٠ م رغم كترتهم وقله عدد البربر ، وقتل من الغرنج اكثر من ثلاثه آلاف وغرق منهم عدد كبير ، وغنم البربر ما وجدوه معهم من مال وسلاح ودواب ، وعاد المنهزمون الى قرطبه ، حيث رحلل الفرنح على الفور وعادوا الى بلادهم . وكان حزن القرطبيين على رحيلهم

⁽۱۲۰) ان حيان برواية ان بسام ، المصدر نفسه ، ق ۱ ، ج ۱ ، ص ۲۱ ، اين عندارى ، المصدر نفسه ، ح ۲ ، ص ۱۱۲ .
عندارى ، المصدر نفسه ، ح ۲ ، ص ۹۶ ، ابن الخطيب ، المصدر نفسه ، ج ۲ ، ص ۱۱۲ .
(۱۲۱) ابن حيان برواية ابن بسام ، المصدر نفسه ، ص ۳۱ ، ۲۲ ، ابن عندارى ، المصدر نسبه ، ح ۳ ، م الراكثي ، المصدر نسبه ، ح ۳ ، الراكثي ، المصدر نسبه ، ص ۲۲ ، الراكثي ، المصدر نفسه ، ص ۲۲ ،

عظيما حتى انهم كانوا يتبادلون فيها بينهم عبارات العزاء اساعا على رحيلهم وجزعا من سيطرة البربر عليهم بعد مفادرة حهانهم من الفرنج(١٢٠) .

ولم يلبث ان غام واضح وقتل المهدى بعدد ان أحس بتحرج مركزه وأذا منه متناها المؤسد وبايعه بالخلافة ، اعتقادا منه بأن البربر سيمودون الى الطاعه ، ولكنهم نمادوا فى مهاجمة قرطبة ، فلجأ واضح الى شانجه أمير تشتاله وعقد معه باسم هشام المؤيد الفاقية فى صفر عام ١٠١ ه / سبيمبر ١٠١٠ م ، يسلم له بمقنضاها جميع المصون اللي كان فد أسيولي عليها الحكم المستصر والمنصور بن أبي عامر وابنه عبد اللك المظفر ، وكانت لا نقل عن مائني حصن ، وكان دن بنها سان عبد اللك المظفر ، وكانت لا نقل عن مائني حصن ، وكان دن بنها سان وجورهث Gormez واسما Osma وكرونيا

وكان شانجة امير قشتانة قد رأى ان يحالف واضحا وهئاا المؤدد حتى يتمكن من السنلام ما يريده من الحسون على الفور ، ذلك انهما كانا حنئذ في السلطة ، وتدين لهما منطقة الثفور بالطاعة ، الم البربر فكانوا وقنها ينمركزون في جنوب الانداس . وقد فعل شانجة ذلك ايضا حتى يمنع الاندلسيين من اللجوء الى فرنجة برشلونة مره اخرى ، وربما كان يعنقد ان الغلبة سوف تكون في النهاية للاندلسيين على اعتبار انهم تمكنوا من هزيمة البربر واخرجوهم من قرطبة ، بعد أن كان هؤلاء قد سيطروا عليها عقب اننصارهم في قنتيش ، وكان شانجة يتبع ايضا في ذلك سياسة ضرب المسلمين بعضهم ببعض ، فمرة يتحالف مع البربر واخرى مع الأندلسيين ، حتى يطيل امد الصراع يتحالف مع البربر واخرى مع الأندلسيين ، حتى يطيل امد الصراع نيما بينهما ، فتضعف الجبهة الاسلامية في النهاية وتسقط صريعة تحت اقدام النصارى .

⁽۱۲۲) ابن عبداری ، المصبور نظیه ، ج ۳ ، ص ۹۸ ، ۹۹ ، الراکشی ، المصبور نقسه ، ص ۶۲ -

المسجر ا

وبعد ان تسلم شانجة ما اراده من المدن والحصون ترك المسلمين ويكل بعضهم بعضا ولم يعقدم لنجدة هشام ، وخاصلة بعد ان غتك بحاجبه واضح الذى حاول أن يخونه وينضم لأعدائه من البربر ، بعد ان راى تصميمهم على مقاتلة أهل قرطبة الذين رفض فقهاؤها الصلح مع البربر ، واستهانوا بواضح وخرج الجند من تحت سيطرته ممساعد على الفنك به ، وانتهى الصراع بين هشام وسليمان بأن دخل سليمان قرطبة في شوال عام ٢٠٤ه / أبريل ١٠١٣ م ، واستمر في حكمها حتى قام عليه بنى حمود وقتلوه واقاموا الخلافة الحمودية العلوية في قرطبة في الحرم عام ٢٠٤ هر ١٠١٠ .

وما لبث الصراع ان نشب من جدد بين بنى حمود وبين عبد الرحمن المرتضى الأموى الذى أقامه خيران الصقلبى صاحب المرية خليفة في شرق الأندلس ، وفي هذه المرة لجا المرتضى الأموى الى فرنجة برشلونة بلأنه راى غدر نصارى قشتالة بهشام المؤيد وتخليهم عنه رغم العدد الهائل من الحصون التي كان قد سلمها لهم ، فأنى رايموند كونت برشلونة بنفسه مع منذر بن يحيى التجببي صاحب سرقسطة لمساعدة المرتضى في صراعه ضد بنى حمود وحلنائهم من البربر (١٢٠) .

ولكن الأمر انتهى بفدر خيران بالمرتضى ونآمر عليه مع اعدائه ثم تله ، وعاد رايبوند الى بلاده دون ان يشترك في المعركة ، ولم نعد نسمع بعدد ذلك عن تدخل لعرنجة برشلونة أو نصارى الشمال الأسباني في شئون خلفاء بنى لهنة الأواخر ، حتى انبهت خلافنهم نهائيا عام ٢٢٤ ه / ١٠٣٠ م ، ونشب الصراع بعدد ذلك بين نصارى الشمال الأسباني وبين ممالك الطوائف التي خلفت بنى اهية في حكم الأندلس (١٢٦)

الباب الثالث

العلاقات السياسية بين الأنندلس الإسلامنية وأسبانيا النصرانية في عصر ملوك الطوائف

الفصل الأول: الظروف والعوامل التي أثرت في العلاقات بين الأندلس، الاسلامية وأسبانيا النصرانية في عصر ملوك الطوائف

الفصل الثانى: مظاهر العلاقات السياسية بين الأندلس الاسلامية. وأسبانيا النصرانية في عصر ملوك الطوائف

الفصل الأول

الظروف والعوامل التي أثرت في العلاقات بين الأندلس الاسلامية وأسبانيا النصرانية في عصر ملوك الطوائف

أولاً المؤثرة في علاقتها بأسلامية وأهوالها المؤثرة في علاقتها بأسبانيا النصرانيات

أ - المنتنة البربرية وانرها في قيام عصر ملوك الماء انف :

رأدنا غنها سبق من حديث عن الفدنــة البرسية أو الحرب الأهلاــة الني ننسبت بين خلفــاء بني أمية الأواخــر ، أنها تسببت في انقســام أهل الأندلس الى حزبين متصارعين ، استعان كل منهمــا بأحــد ملزك اسبانيا النصرائية ضد الآخر ، كي يعينه على بولى منصب الخلافة في قرطنه وانديز ملها الأسدان الفرصة حتى ينــالها نصيبهم من الننيمــة وفعل نفس السيء ، أولئك القواد الطموحون من الصقالبة والبربر ، ورؤساء الأسرات المردية ، وكونوا لأنفسيم دولا انتشرت بطــول البلاد وعرضها ، وبذلك تجزأ الوطن الواحد الى أوطان متعــددة ، واصبحت كل عشرة أو كل طائفة من طوائف سكان الأندلس لهــا حكومنها ، ولها كيانها السياسي الخــاص بهــا فيما يعرف بهمالك الطوائف .

وسرعان ما اعلى اصحاب هذه الممالك عن حمّهم في الحكم ، وانتحلوا الألقاب السلطانية ، والخدوا الحجاب والوزراء ، وصاروا ملوكا . وساعدهم على ذلك خطآن ارتكبهما بنو امنة اثناء الفتنة البربرية ، اشرنا الى احدهما وهو استعانتهم بملوك اسبانيا النصرانية في الصراع على عرش الخلفة ، مما قضى على هيبة الخلفة ، ودلل على ضعف الحماس الديني والعزة القومية لدى هؤلاء الخلفاء الضعاف ، فاستهان لهم الناس واصبحوا لا ينظرون اليهم كما كانوا ينظرون من قبل الى الناصر او المستنصر ، ومما زاد من هوانهم في نظر الناس ما اتصف

به معظم خلفاء بنى امية الأواخر من استهتار بالفضائل والقيم الدينيسة والخلقية ، ومن سوء سياسة وتخبط في شئون الحكم وادارة البلاد(') .

اما الخطأ الثانى الذى ارتكبه بنو أمية فى فترة الفتنة فهو انهم تركوا القاليم الدولة وولاياتها تقع فى أيدى عناصر الصقائبة والبربر ، بل أن بعضهم, قام بتوزيعها عليهم كها فعل سليهان المستعين ، ولم يلبث حكام, الولايات هؤلاء ، أن استقلوا بها عقب مقتل سلبمان المستعين على يد بنى حمود فى أوائل عام ٧٠٤ ه ، وقال قائلهم « أقيم على ما بيدى حنى, يتعين من يستحق الخروج به اليه » ، وأعلن آحرون استقلالهم عن كل سلطة وقالوا « أحق الناس بالملك من استقل به » (١) .

وكان من ننيجة هذا الاصرار العنبد على المحمك بالحكم والسلطان ان انقسمت الدولة الاسلامية في الأندلس الى دويالت عديدة ، بلغب في مجموعها سنا وعشرين دولة وضاعت جهود قرن كامل في توحيد ملك البلد ، وعادت الى ما كانت عليه قبل الناصر لكنها في هده المرة لن نجد من يجمع ستاتها ويراب صدعها وينقذها من حالة الضياع الدى بعرضت له عقب سقوط الخلافة الأموية ، وتكرست هذه الحمالة نتيجة للسماسة التى اتبعها ملوك الطوائف ، من استمرارهم في الصراع ضد بعضهم البعص ، واستعاننهم بملوك السبانيا النصرانية ، حتى اضطروا لدنع الجزية لهم ، وانتهى الأمر بسقوط كثير من المعاقل والمدن انهامة في ايديهم مثل وانتهى الأمر بسقوط كثير من المعاقل والمدن انهامة في ايديهم مثل ،

⁽١) اس حيان درواية ادن بسام ، الذخيرة ، ق ١ ، ح ١ ، ص ٣٠ ، ٣٠ .

ابن عـذاري ، المسدر نسه ، ج ٣ ، ص ٨٢ ، ٩٤ .

أمن خلمدون ، العبر ، ج ٤ ، ص ١٨٥ .

الصدى ، المسدر نفسه ، ص ٢٠ ٠

⁽۲) اس عداری ، الصدر نفسه ، ۱۱۳ ، ص ۷۷ ، ۱۱۳ •

ابن بسام ، المصدر بفسه ، ق ٤ ، د ١ ، ص ١١١ ، ١١٢ .

اس الحطيب ، اعمال الاعلام ، ج ٢ ، ص ٢٢٨ ٠

اس خلسدون ، العبر ، ج ٤ ، ص ١٥١ .

⁽٣) ابن الخطيب ، المصدر نفسه ، ح ٢ ، ص ١١٤ - ١١٧ .

وسرف بنضح ذلك كله من دراسينا لسمات هـذا العصر ، ولأحوال تلك الممالك الصغيرة ، وعلاقاتها بعضها بالبعض الآخر ، وما حـدث نيها من صراع داخلى على الحكم ، وما الصف به ملوك هذه الممالك من نساد ، وما تنشى بين سكانها من عيوب خلقية واجتماعية واقتصادية .

ب ـ سمات عصر ملوك الطوائف ومظاهر الضعف فيه:

ويتمثل مجتمع الطوائف في تلك الدويلات والامارات التي بلغ عددها ستا وعشرين ، وكان لكل مدينة أو منطقة أميرها المستقل متخذا لقب الملك أو الأمير أو الوالي ، أو القاضي ، أو الحاجب ، تبعسا لحجم المدينة أو المنطقة التي يحكمها . وكان لا يمكن لهذا الوضع أن يستمر نظرا لما يجيش به الجميع من الأطماع ، ولاختفاء المثل الأعلى الذي أوجده الأميون وهو المحافظة على وحدة البلاد . وبدأ القدوي يبطش بالضعيف الذي حاول بدوره أن يتحالف مع جار أقوى ، ونتج عن هذا الصراع الدامي أن تكونت من هذه الدويلات ، أربع دول رئيسية غلبت على جميع الدوبلات الأخرى أو تحالفت معها() .

ففى جنوب الأندلس فى غرناطة ومالقة غلب الحزب الافريتى او البربرى المتمثل فى بنى حمود وحلفائهم من صنهاجة وزناتة من حكام غرناطة وقرمونة وبعض المدن الأخرى . وفى الجنوب الغربى ، كان هناك بندو عبداد العرب امراء اشبيلية ، وكان هؤلاء يخوضون الحرب مع الحزب الأفريقى بلا انقطاع حتى مم لهم الظفر ، كما غلبوا بالحرب والخديعة على جهيع الأمراء والولاة فى جنوب غربى الأندلس ، واضطر اميرا قرطبة وبطليوس الى الانضواء تحت لوائهم حلفاء او مغلوبين (°) .

أما فى وسط اسبانيا المسلمة (الأندلس) مكان هناك بنو ذى النون أمراء طليطلة الأقوياء الذبن وقفوا لمحاولات بنى عباد فى فرض سيطرتهم

⁽٤) يوسف أشباخ ، ناريخ الأنطس ، ص ٣٠ ، ٣١ •

⁽٥) يوسف أشماخ ، المرحم مفسه ، ص ٣١ ٠

على بلاد الأندلس ، وان كان هذا على حساب استقلالهم فقد دعموا الجزية لموك قشتالة لساعدوهم ضد خصومهم من بنى عباد . وكان الفريق الرابع بحكم في شرق الأندلس منمثلا في بقايا العامريين وعبيدهم في بلنسية ومرسية ودانية والمرية ، وفي أسرة بنى تجبب ربنى هاود العربيسة في سرقسطة وتطيلة ووشقة ، وكان هؤلاء يخوضون الصراع مع بنى ذى النون البرس أمراء طليطلة ويستعينون أيضا بملوك شامال أسابانيا النصرانية(١) .

ومن اولى السمات البي انسم بهسا عصر ملوك الطوائف أن هسده النجمعات و الدوبلات ، لم يسيرشيد سواء في علاقاتها ببعضها البعض ، أو في علاقانها بنسموبها بسياسه اسلامية تقسوم على رفع شأن الاسلام ونوسيع نفوذه ، ومحاربه المسيحيين في الشمال ، والتضحية بالأهداف الثانوية تجساه هذا الهدف السامي الذي عاش له أمراء وخلفاء بنو أمنة . . كها أن ملوك الطوائف لم يقيموا سياستهم على اساس التعايش السلمي بين بعضهم البعض ، والاحتفاظ مالأمر الواقع والمحافظه عليه ، كما قال بذلك البعض الذين عللوا هذه السياسة بضعف بعض الدويلات ، وأنه كان لهذه السياسة انصار عديدون بين حكام المقاطعات الصغيرة والحصون المستقلة (٧) . ذلك أن النفاول بين دول الطوائف من حيث القوة والضسعف وانسبتداد الاترة والأطماع الشخصية ، وحب الرياسه عند الجميسع ، واشتداد الخطر النصراني المطل عليهم من الشمال ، كل ذلك جعمل الدويلات القوية ببطش بالضعيفة وتجررها على الانضواء تحت سلطانها متحالفة او مقهورة حسيما تتدم . دلك انه لم يكن هناك الا سياسة واحدة بنى عليها ملوك الطوائف سياستهم ، وهي سياسة البوسع على حساب القوى المجاورة بكل الوسائل الممكنة ، سواء كان دلك عن طريق الحرب أو المؤامرات أو الشراء أو المعاهدات (^) .

⁽٦) يوسف اشباح ، المرجع مفسه ، ص ٣١ ٠

⁽٧) صلاح حالص ، ابن عمار الأندلسي ، ص ٧٤ -

⁽۸) ابن الخطيب ، للصدر نفسه ، ج ۲ ، ص ۱۶۶ · المترى ، ممح الطيب ، ج ۲ ، ص ۷۷۰ ، ۲۰۰ ·

وكان لطبيعة دول الطوائف أثر كبير في انباع تلك السياسة ، فهى في الواقع لم شكن دولا بالمعنى المعروف ، وانها كانت أقرب منها الى وحدات الاقطاع ، والى عصبية الأسرة القوية ذات العصبية أو الجماعة المقبلية في حالات الامارات البربرية ، ومن ثم غانه لم تكن بها حكومات منظمة بالمعنى الصحيح تكون مهمتها العمل لخير الشعوب التي تحكمها ، وانها كانت أسرات أو زعامات تعمل قبل كل شيء لمصلحتها الخاصة ، ولايمة شمانها ، وتنمية ثروانها ، وتدعيم سلطانها وبذخها ، ولا يهمها بعد ذلك أن يسعد الشعب أو أن بعيش في سقاء ، ولا يهمها أن يسمو شمان الدين أو يذل ، وأنها يهمها مصلحتها فقط ، ولو أنها رأت تلك المصلحة في اعتناق النصرانية لبادرت إلى ذلك دون أدنى خوف أو خجل ، أذن فهو عصر الأطماع والأنانية والمصالح والمؤامرات ، عصر كانت فيه الجارية نرفسع الى عرش الملكات ، ويبط الماوك الى درك العسوز والفساقة والسول (٢) .

ولذلك لم يكن الصراع صراعا حزبيا أو قائما على أساس جنسى ، كالصراع بين العرب والبربر أو بين الأسبان المسلمين والبربر ، كما قال بذلك هنرى بيربز وناتشه فيه البعض . ولم يكن صراعا بين فريقين أو حزبين كما قال بذلك ابن عدارى ، لأن الأحداث التاريخيه لا تؤيد ذلك ، بل انها تغول بأن البربر حاربوا بعضهم بعضها وكان بربر زناتة لا يثقون فى بربر صنهاجة ، ولذلك انضم بربر قربونة ورندة وتاكارنا الى بنى عباد العرب فى أحيان كتير، ضد بربر صنهاجة فى غرناطة . كما حارب العرب بعضهم بعصا كما حدب بين بنى عباد فى أشبيلية وبين بنى جهور حكام قرطبة حيث حاربوهم حتى دضهوا علبهم وضهوا قرطبة الى أملاكهم ('') .

^{.}

⁽۹) ابن حیان ، بروایهٔ ابن عبداری ، المستدر نفسه ، ج ۳ ، ص ۱۹۰ ۰ اس حزم ، للرد علی ابن النعربلة للبهودی ، ص ۱۷۷ ۰

عنان ، دول الطوائب ، ص ٤١٨ ٠

⁽۱۰) ابن حیان بروایة اس عبداری ، الصندر نفسه ، ج ۳ ، ص ۲۱۹ . ص صلاح خالص ، المعتمد بن عباد ، ص ۱۰۲ .

ولما كان الصراع شخصبا فقد انبسع الجميع فيه مبدأ الفساية تبرر الوسيلة ، وكان الأخ يغدر باخيه ويستعين فى ذلك بالأمراء المجاورين وربما استعان بنصارى الشمال ، وتاريخ ملوك الطوائف حافل بذلك ، وعلى سبيل المثال لم يتورع المعتضد بن عباد ملك اشبيلية من دعوة جيرانه من امراء البربر واولم لهم وليمة ، ثم دعاهم لدخول الحمام ، ولما دخلوه سد عليهم أبوابه ، وظلوا فيه حتى ماتوا ، بل أنه علق رءوس أعدائه الذين وصلت اليهم يده ، سواء بالحرب أم بالختل والمدر على اشجار حديقة قصره ، وسماها حديقة الموت ، وجعلها رمزا لقوته وبطشه ، وانذارا بالموت لكل من نسول له نفسه من معارضيه بالخروج عن طاعته (١٠) .

اما ابنه المعتمد فقد بلغ فى ذلك شاوا بعيدا ، ويكفى ما فعله وزيره ابن عمار من الاستيلاء على مرسية بالتآمر مع نبلائها ، ثم الاستيلاء على قرطبة التى كان اهلها قد استدعوه ليحميهم من عدوان المأمون ملك طليطلة ، ثم لم يلبث أن استولى عليها بعد أن هزم المأمون وأنزل بنى جهور من قصورهم ، وراحت كمة آخر ملوكهم « نغص علينا كل شيء حتى الموت » دليلا وسمة لهذا العصر المضطرب (١٢) .

وهذا هو عبد العزيز بن المنصور بن ابى عامر حاكم بلنسية الذى نزل الى المربة ليضبط امورها ، بعد قتل اميرها الفتى العامرى زهير عام ٢٩٩ ه اثناء صراعه مع بنى زيرى امراء غرناطة ، فحسده مجاهد العسامرى صاحب دانية ، وخاف من اتساع مملكته التى اسبحت تضم بلنسية والمرية ، واغار على بلنسية اثناء غياب عبد العزيز عنها ، ولما شعر الأخير بذلك استخلف صهره ووزيره معن بن صادح النجيبي على المريه ، وعاد الى مملكته في بلنسية ليدفع عنها خطر مجاهد العامرى . لكن هذا

⁽١١) ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ح ٢ ، ص ٥٠ ، ١٥ .

دوری ، ملوك الطوائف ، ص ۱۳۰ ، ۱۳۱ .

⁽١٢) المصدرين السابمين .

الصهر لم يلنث أن انتهز الفرصة واستولى على الحكم في المريسة وأعلن السيقلاله بها وخان الأمانة (١٣) .

والسمه الأخرى التى اتسم بها هذا العصر ؛ هو عدم وجود اساس نبرعى معين لحكم هؤلاء الملوك والأمراء المتصارعين ، فلم يكونوا من بيت المارة أو خلافة وانها هم متغلبون ، ذهب كل منهم الى ناحية عقب انهيا بنى عامر وبنى أميه واستولى عليها واقام ملكه فيها ، أو كان حاكما لتلك المنطقة قبل الفينة فاستقل بها ، وكل منهم يدعى انه حافظ لما تحت يده حتى يظهر الحاكم السرعى فينزل له عنه طواعية ، وهم فى ذلك كاذبون ، وحسبما تقدم كان يقول قائلهم « أحق بالملك من استقل به ، ولو نازعنى فيه كبار الصحابة والخلفاء الراشدون لضربت عنقهم » (11) .

ولكى يصبغوا على حكمهم صسفة الشرعية ، فقسد اقاموا لأنفسهم خلفاء ، واستتر بعضهم وراء خلفاء بنى امية الأواخر الضعاف ، او خلفاء بنى حمود الذين سماهم بعض ملوك الطوائف بأنهم ادعياء ولاحق لهم فى الخلافة . ففى أثناء الفتنة البربرية ، هرب الموالى العامريون امثال خيران وزهير ومجاهد ومبارك ومظفر الى شرق الأندلس ، واستولوا على بلنسية وشاطبة ودانية والمرية وغيرها ، وقام احدهم وهو مجاهد العسامرى ، واقام أحد افراد أسرة بنى امية ويدعى عبد الله بن عبد الله بن الوليسد واقام أحد افراد أسرة بنى امية ويدعى عبد الله بن عبد الله بن الوليسد غازيا الى سيردانيا والجسزائر الشرقية ففتحوها ، ثم لم يلبث أن غضب غازيا الى سيردانيا والجسزائر الشرقية ففتحوها ، ثم لم يلبث أن غضب عليه مجاهد وخلعه ، ففر المهبطى الى أرض كنامة بالمفرب واستقر بها (١٠)

وقام غير مجاهد من الموالى العامريين بالدعوة الى خلفاء بنى حمود أو بنى أمية ، مثال ذلك خيران الصقلبي الذي أدن مساعدته لبنى حمود

⁽١٣) ابن حيان درواية ابن مسام ، الفخيرة ، ق ١ ، ح ٢ ، ص ٢٣٧

اس خلكان ، وفعبات الأعيان ، ح ٤ ، ص ١٣١ .

⁽١٤) ابن الخطيب ، المسدر نفسه ، ح ٢ ، ص ١٤٤ ٠

⁽۱۰) ابن حزم ، الحمهرة ، ص ۱۰٦ ، ابن عبذارى ، المصللين نفسيه ، ج ٣ ، ص ١١٥ ، ١١٦ ٠

الى قيام خلافتهم فى قرطبة عام ٧٠٤ ه ، ولما خاف حيران على نفسه مى بنى حمود فر الى شرق الأندلس واقام المرتضى الأموى خلبفة ، ثم غدر به وقتله وقام بعد ذلك بالدعوة لهنام المعتمد آخر خلفاء بنى أمية بعد أن ساعد أهل قرطبة فى القضاء على حكم بنى حمود بها عام ١٧٧ ه / ١٠٢١م(٢١) .

ولما سقطت الخسلانة الأموبة نهائيا عام ٢٢٤ ه / ١٠٣٠ م ، قام بنو عبساد ملوك اشبيلية وأظهروا رجلا نسبها بهنام المؤيد ، ودعوا له بالخلافة عام ٢٥٥ ه وبايعسوه ، وارسلوا الى الامارات والممالك الأخرى بالدخول فى دعوته وطاعنه ، فاستجابت له وضربت النقود باسبه فى جميع امارات شرق الأندلس ، مثل دانية وطرطوشة وبلنسية وسرقسطة وتطيلة والمريه ولاردة ومورقة ، وهناك قطعة نقود ضربت باسمه فى سرقسطة عام ٢٥٤ ه فى عهد الحاجب عماد الدولة احبد ، كما اعترفت بخلافته بطليوس وطليطلة وقرمونه وما والاها من الأمراء الصسغار مثل ابن نوح وابن خزون (١٧) .

ونلاحظ انه قد اعترف بخلافة هذا الرجل الحصرى المسبه بهشام عرب وبربر وصقالية ، وكان لكل منهم هدفه الذى يسعى اليه من وراء هذا الاعتراف ، فان عباد مثلا كان يريد ان يناهض خلافة بنى حمود فى مالقة ويريد ان يستقطب اكبر عدد من ملوك الطوائف ضد بنى حمود وحلفائهم من بنى زيرى ملوك غرناطة ، وكان هذا أيضا هو نفس هدف بنى جهور أمراء قرطبة ، وقد استغل البعض تلك الدعوة للاسسنيلاء على الحكم ، مثال ذلك ما فعله عبد الله بن حكيم ابن عم منذر بن يحيى صاحب سرقسطة ، حيث قام عبد الله هذا بقتل ابن عمه منذر عام ، ٢٢ ه و واخرج راسه فوق عصا ونادى عليه « هذا جزاء من عصى أمير المؤمنين هشاما ودافع حقه » وكان (منذر) قد رفض الاعتراف بامامة هشام الحصرى متأسيا فى ذلك

⁽١٦) رجب محمد عبد الحليم ، دوله بني حمود ، من ٦٣ .

⁽۱۷) ابن حزم ، نفط العروس ، ص ۸۳ ، ابن عـذاری ، البیان المغرب ، ج ۲ و می ۲۱۹ . • ۲۱۹ می ۲۱۹ . Codera, Numismatice, pp. 136, 168, 175, 182, 254.

بوالده محسى ومخاله اسماعيل بن ذى النسون ملك طليطلة . وقد اعترف حميد اسماعيل بامامته عام ٣٦٦ ه (١٨) .

وقد أبى وقت على الأندلس وقد أصبح غدها أربعة خلفاء فى وقت واحد ، كلهم يسمى يامره المؤمنين ويخطب لهم يها فى زمن واحد ، وهم خلف المحصرى المنبيه بهسام بأنسبيلية ، ومحمد بن القاسم بن حمود فى الجزيرة الخضراء ، ومحمد بن ادريس بن على بن حمود فى مالقه ، وادريس ابن يحيى بن على بن حمود فى ببنستر وسينة ، وأن دل هذا على شىء عانما بدل على مدى الابتدال الذى وصل اليه هذا المنصب الخطير ، لكنها مصلحة الأمراء الشخصيه التى فرضت هده الأوضياع ، وما أن ينتفى المغرض منها حتى تزول بأدنى أشارة ممن أقاموها ، مثلما معلى المعتضد بن عباد عندما أعلن موت هشام المؤيد عام ١٥١ ه م / ١٠٥٩ م وقطع الدعوة له بعد أن استتب له الأمر ومد سيطرته على جميع جيرانه ، وبعد أن أبنت خيلامة بنى حميود فبيل ذلك بعيامين على يد بنى زيرى أمراء غرناطة (١٠) .

وقد لجأ ملوك الطوائف لتدعيم نفوذهم الى الاستهانة بقوة روحية اخرى ، بلك القوة التى تنمثل في رجال الدين من الفقهاء والعلماء . وقد كان الفقهاء في الواقع في هذا العصر الذى سياد فيه الانحلال والفوضى الأخلاقية والاجتماعية والسياسية أكبر عضد لأمراء الطوائف في تبرير طغيانهم وظلمهم ، وتزكية تصرفاتهم وابنزازهم لأموال الرعية ، وقد كانوا يأكلون على كل مائدة ، ويخدمون هذا أو ذاك من الأمراء والملوك ليحوزوا النفوذ والمال ، ويضعون فتاوبهم الفقهية في خديه السيلاطين ، تأييدا لظلمهم وجورهم باسم الشرع حنى ضبح منهم كتاب ذلك العصر ، منهم ابن حزم وابن حيان وغيرهم ممن وصفوهم في كتاباتهم بأبشيع الصفات (٢٠) .

⁽۱۸) امن حیان دروآیة این عداری ، المصدر بمسه ، د ۳ ، ص ۱۷۸ ، ۱۹۸ ، ۱۹۹ .

⁽١٩) أبن حزم ، نمط العروس ، ص ٨٣ ، ٨٤ ٠

اس عداری ، الصدر نسبه ، د ۳ ، ص ۲٤۶ ، ۲۶۹ ۰

⁽٢٠) اس حزم ، الرد على اس المعريلة اليبودي ، ص ١٧٤ ٠

اس حيان مروامه اس عداري ، الصدر مسه ، ح ٣ ، ص ٢٥٤ ٠

المقرى ، المصدر دنسه ، ج ٣ ، ص ١٤٣ ، ١٤٤ •

فهذا ابن حزم يقول عنهم « لا يغرنكم الفساق والمنتسبون الى الفقه واللابسون جلود الضان على قلوب السماع ، المزيبون لأهل الشر شرهم ، الناصرون لهم على فسقهم » وداك ابن حيان بقول عنهم ايضا أنهم سكتوا عن ظلم الحكام « واصبحوا ببن آكل من حلوائهم وخابط فى أهوائهم وبين مستشعر مخافتهم ، آخذ بالتقية في صدقهم » ، أما المقرى فيتابعهم بقوله أن شر العلماء علماء السلاطين ويذكر أن علماء هذا العصر صاروا يسعون الى الحكام بعد أن كان الحكام هم الدين يسعون اليهم (٢١) .

لكن يبدو ان أسلوب ملوك الطوائف فى الحباة وطريقتهم فى الحكم لم تكن تعجب جميع رجال الدين ، فقد رأينا فريقا مدهم من المخلصين لمبادئهم الدينية ، يفضلون العيش فى عزلة عن الحكام حتى ولو ذاقوا طعم المسغبة ، واعتبروا أن العملة المتداولة فى أيدى الناس أنما نبعت من سحت ، ورفضوا تولى مناصب القضاء والمناصب الأخرى احتجاجا على الفوضى السياسية والدينبة والأخلاقية التى كان معينها الحكام منذ الفتنة البربرية فى مستهل القرن الخامس الهجرى ، وكان أبن حزم واسرته من البربرية فى مستهل القرن الخامس الهجرى ، وكان أبن حزم واسرته من هؤلاء الذين « داقوا مرارة الحرمان وهجر الأوطان وترك الخلان » (٢٠) .

وقد عرض قسم من هؤلاء الفقهاء انفسهم لغضب الحكام وانتقامهم كما حدث للفقبه ابى الحسس الهوزنى الذى قتله المعتضد بيديه عندما تجرا فنبهه الى الخطر الذى يتهدد البلاد نتيجة خطا سياسة ملوك الطوائف كذلك قام حفده الفتح بن محمد بن عباد بقتل الفقيه عمر بن حبان بن خلف ابن حبان بالمدور ومثل بجثته عام ٤٧٤ ه . وكان هذا من عوامل الضعف التى المت بعصر ملوك الطوائف اذا قارناه بعصر خلفاء او أمراء بنى أمية

⁽٢١) المصادر السابقة وتَّفُس اصفحات •

⁽۲۲) النباهي ، المصدر نفسيه ، ص ۸۸ ، ۸۹ ، الحبيدي ، المصدر بفسيه ، ص ۲۵۶ ، ۲۰۵ ۰

ابن بشكوال ، الصلة ، ج ١ ، ص ٣٥ - ٤٢ ، ح ٢ ص ٤٧٦ ، ٤٨٠ ، ١٩١ .

ابن عند البر ، القصيد والأمم ، ص ه .

صلاح خالص ، المزجع نفسه ، ص ۹۹ ، ۷۰ .

الذين كانوا يحترمون العلماء ولا يجرءون على عزلهم حبى لو بالغدوا فى بقريعهم ونصحهم ، وكان لعدم رضا هذا القسم من رجال الدين تأثيره المهم فى انهيار نظام ملوك الطوائف وتداعى دويلاتهم وفى حمل العسامة على النكر لملوكهم وتأبيد المرابطين الشديدي التعصب للدين (٢٠) .

وبذلك انهارت الدعامة الروحية التى استند اليها ملوك الطوائف فى حكمهم لرعاياهم ، فلم يكن الخلفاء الذين اقاموهم سبوى دمى لم تنل احترام الناس وتقديرهم ، وكدلك اولئك الفقهاء الذين ظاهروهم وايدوهم فى سياستهم ، لم يكونوا أيضا محل مقدير الناس أو رضاهم ، وظهور ذلك واضحا فى الأمثلة العامية التى انتشرت بين أفراد الشعب انتقادا لمسلكهم المشبن ، مثال ذلك بعد وضعه فى صيغه عربية سليمة « الق الله العظيم ولا تشارك فى صفقه مع فقيه » (٢٠) .

ولما كان ملوك الطوائف يعرفون حقيقة سياستهم وانها لا يمكن ان تنال رضا الناس مهما اقاموا من خلائف أو قربوا من فقهاء وعلماء . لذلك نراهم قد ركزوا اهتمامهم على اتخاذ قوة مادية عسكرية يستطيعون بها أن يحققوا اهدافهم وتتمثل تلك القوق في العبيد من جهة وفي الجنود المرتزقة من جهة أخرى . وكان الخلفاء يعتمدون اعتمادا كبيرا على اثر الدعوة للجهاد في نفوس الناس ، ولم يكن لملوك الطوائف أن يعلنوا الجهاد لأن جهدادهم أصبح ضد أخوانهم المسلمين في الامارات المجاورة ، كما أنه لم تكن لهم الصفة الشرعية لاعلان نلك الدعوة رغم ما لجاوا الله من أقامه خلافة هنا أو هناك ، ولذلك لجاوا الى استعمال الجند المرتزقة على نطاق واسع بغض النظر عن أصلهم أو دينهم ، وعلى هذا ندفقت عليهم أعداد غفيرة من نصارى الشمال نظير أجور معينة ، ولم بشذ عن ذلك أي مملكة من ممالك الطوائف الرئيسيه ، فكلها استعانت بهم كاتجورين أو حلفاء (٢٠).

⁽۲۳) ابن بشكوال ، الصلة ، هـ ١ ، ص ٣٨١ ، ٣٨٢ ٠

⁽٢٤) صلاح حالص ، المرجع بفسه ، ص ٦٤ ٠

ابن حيان برواية ابن بسام ، المصدر نفسه ، ق ١ ، ج ١ ، ص ٣٩٧ ، ص ٢٧٠ ٠ ابن حيان مرواية ابن بسام ، المصدر نفسه ، ق ١ ، ج ٢ ، ص ١٢٨ ٠

ج - عوامل الضعف وانرها في علاقة ملوك الطوائف بأسبانيا النصرانبة:

تلك هى سمات عصر ملوك الطوائف ومعض مظاهر الضعف فيه . وهناك عواهل عديدة أدت الى ذلك وساءدت عليه ، منها صراع ملوك الطوائف ضد يعضهم المعض ، وصراع حكام كل مملكه على كرسى العرش بها ، وما صاحب ذلك من فساد هؤلاء الملوك وما أدى اليه من فساد طبقة الوزراء والموظفين ، وما نسيج عن ذلك كله من انتنسار العيوب الخلقية والاجتماعية والاقتصاديه بين أفراد الشعب الأندلسي نفسيه في مختلف ممالكه واماراته العديدة المناحرة ، وكي ينضح الصورة تماما ويظهر اتر تلك العوامل العديدة على مستمبل الاسلام في بلاد الاندلس لا بد أن نتحدث على منها في نبيء من التفصيل .

١ - علاقة ملوك الطوائف بعضهم بالبعض الآخر وصراعهم على السلطان:

خاض ملوك الطوائف حروبا مسنور و معضهم ضد البعض بمساعدة المجند المرتزقة من نصارى النسبال أو من البربر ، وقد بذلت محاولات للصلح وجمع الشبل ، ولدينا عدة رسائل من الكاتب أبى عبد الله البزليانى الى صاحبى ساطبة والى غيرهما من امراء شرق الاندلس ، يدعوهما فيها الى النعاون مع المظفر أبى محمد الذى لا يبعد أن يكون هو عبد العزيز بن أبى عامر صاحب بلنسية ، لأنه يدكر أنها تحالما مع الموفق أبى الجيش وهو لقب مجاهد العامرى صاحب دانية ، وأن كلا من الطرفين المتحاربين وهو لقب مجاهد العامرى صاحب دانية ، وأن كلا من الطرفين المتحاربين استعانا بالنصارى ، وكان مجاهد العامرى في صراع مع أبن أبى عامر بسبب السباق على ملك المربه بعد مقتل زهير العامرى حسبما نقدم (٢١) .

والكاتب في هذه الرسائل التي احتفظ لنا 'س بسام ببعضها يعيب على هؤلاء الأعراء الاستعانه بالنصاري وبحذرهم من ذلك حتى لا يقف هؤلاء الأعداء على عورات المسلمين ولا يعرفون مواطل الضعف عندهم ، اذ لو عرفوا دلك واستعانوا بعلوك النصاري الآخرين سواء في اسبانيا او في

⁽٢٦) ابن بسام ، الفخيرة ، ق ١ ، ح ٢ ، صَ ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٥٥ = ٥٥٩ . الملتشندي ، صبح الأعشى ، ح ه ، ص ٢٥٣ .

غيرها وأتوا لمحاربه المسلمين ، حينذ لا يمكن مفاومتهم ، ولا بد أن ينتهى الأمر باخلاء الجزيرة من المسلمين ، ننبأ كانب القرن الحامس الهجرى بما حدث فعسلا بعد عده فرون ، ولم يكن هذا الا بسبب بلك الأحقساد والصراعات العقيمة على السلطة ، والاستعانة بنصارى النمال ضيد بعضهم المعض (٢٠) .

اما عن الصراعات والحروب التى اندلعت بين ملوك الطوائف فانفا نذكر منها ذلك الصراع الذى نشب بين بنى زيرى أمراء غرناطه وبين حكام المربة وخاصة خيران الصقلبى الذى أتى مع المرتضى وهرم عام ٩٠٤ ه، وزهير الذى حكم المرية بعد موت خيران عام ١٩٤ ه. وكان زهير قد طمع في ملك غرناطة ، لكن باديس بى حبوس أمير غرناطة هزمه وقتله عام ٢٩٤ ه، واستولى على المرية معن بن صمادح غدرا من يد صهره المنصور عبد العزيز بن عامر . وقام الأمير عبد الله بن بلقين أمير غرناطة ببناء بعض الحصون لمحاصرة ابن صمادح ، ولما تبين له ضعفه ، هدم بناء بعض الحصون وصالحه واستالفه ، لأن جارا ضيعيفا خير من جار قوى لا يمكن الميش بجواره حسبما اعتقد أمير غرناطة (٢٠) .

وكان هناك صراع آخر بين بنى زيرى الصنهاجيين حكام غرناطة وبين بنى عباد حكام اشبيلية ، وكان بنو عباد فى حرب مستبرة مع هؤلاء البربر من صنهاجة وقاموا بالابقاع بين بربر زنانة فى قرمونة وبين صنهاجة وذلك حتى يصمدوا لنلك القوة الكبيرة التى شكلها بنو حمود وبنى زيرى فى جنوب الأندلس ، واستطاع بنو عباد قتل خليفة بنى حمود يحيى المعتلى فى جنوب الأندلس ، ولما حاول بنو عباد الاستبلاء على قرمونة واشبونة فى كمبن عام ٢٧) ه ، ولما حاول بنو عباد الاستبلاء على قرمونة واشبونة واستحه ، أرسل حكالها من لادربر الى بنى حمود وبنى زيرى الذين اسرعوا لنجدتهم ، وممكوا مى هزيمه جيوش بنى عباد وقتال قائده اسماعيل بى عماد عام ٣٠) ه (٢٠) .

⁽٢٧) آدن بسام ، آلصدر نفسه ، ق ١ ، ٨ ، ص ٧٥٤ ، ٨٥٨ ٠

⁽٢٨) أبن بلقين ، منكرات الأمير عدد الله ، ص ٢٢ ، ٢٣ ، ٣٤ ، ٨٩ ، ٩٠ .

⁽٢٩) ابن حيان برواية ابن بسام ، النخيرة ، ق ١ ، ح ١ ، ص ٢٧٢ ٠

ابن الأثير ، للكامل ، ج ٩ ، ١٠٤ .

استمر الصراع بين الفريقين حتى استولى بنى زيرى على مالقة وقضوا على بنى حهود عام ٤٩٤ ه / ١٠٥٧ م ، ثم استطاع بنو عبد الاستيلاء منهم على جيان عام ٢٦٦ ه / ١٠٧٤ م ، فاضطر أمير غرناطة للاستعانة بقوات النونش السادس ملك قنستالة ، لكن المعتمد بن عباد ارسل وزيره أبا بكر بن عمار إلى النونش السادس وعقد معه حلفا ضد غرناطة نظير خمسين الف دينار ، وكان أبن ذى النون أمير طليطله قد توسيط لدى النونتين حتى يرضى بمحالفه غرناطة ، ويتمكن هو من الاستيلاء على قرطبة ، وقد أراد الفونش أن يصعد الخلاف وبكرس العداوة بين على قرطبة ، وترك أبن ذى النون يستولى على قرطبة عام المسلمين فحالف غرناطة ، وترك أبن ذى النون يستولى على قرطبة عام ١٨٠٤ ه ، وكانت قرطبة في الواقع تحت سيطرة بنى عياد (٢٠) .

ولما اسرع بنو عياد لانقاذ قرطبة من يد ابن ذى النون وكان كلاهما يستعين بالنصارى المرتزقة ، ادرك الأخير صحوبة بقائه على حصار قرطبة وعاد الى طليطلة ، وانبهز بنو عباد الفرصه واستولوا على قرطبة من يد حلفائهم بنى جهور ، وان كان ابن عذارى يقول ان ذلك تم باتفاق اهلها مع بنى عباد ، بسبب سوء سيرة عبد الرحمن الذى كان أبوه أبو الوليد بن جهور قد تنازل له عن حكم المدينة . وتم القبض على بنى جهور ، اما شيخهم أبو الوليد نقد اختبا فى مقصورة هو وبناته ونساؤه بنى جهور ، اما شيخهم أبو الوليد نقد اختبا فى مقصورة هو وبناته ونساؤه شلطيش . وهكذا انتهى ملك بنى جهور فى قرطبة على يد بنى عباد شام ٢٦٧ ه (٣) .

وكانت علاقة اشبيلية بجيرانها من بنى الأفطس حكام بطليوس سيئة أيضا ، بسبب ألصراع على مدينة لبله التى تقع بينهما ، وقامت الحروب،

⁽۳۰) ابن بلقين ، آلمستر تفسه ، ص ٦٩ - ٧٦ ، ابن بسام ، المستر تفسيه ، ق ١ ، ح ٢ ، ص ١٢٤ ،

⁽۳۱) اس حیاں دروایة ابن بسام ، الدخیرة ، ق ۱ ، ه ۲ ، ص ۱۲۶ ، ۱۲۵ ، ۱۲۸ ۰ ابن عبداری ، المصدر نفسه ، ح ۲ ، ص س ۲۵۸ ــ ۲۶۱ ۰

ابن سعد ، المصدر نفسه ، د ۱ ، ص ٥٦ ، ٥٧ .

بسبب ذلك ، واستعال بنو الأمطس ببنى جلدتهم من البربر حكام قرمونة ، ولكن الهزيمة كانت من نصبهم عام ٢٦١ه / ١٠٣٠ م وقتل المسير قرمونسة كلسا قتل عبيد الله الخراز صلحب بابرة وابن عم حاكم بطليسوس ، ونجا ابن الأفطس نفسه بصعوبة بالغة ، وبلغ عدد قتلاه ما لا يقل عن تلائة آلاف ، وكانت الخسارة كبيرة لدرجة أن بطليوس بقيت مدة من الزمن خالية من سكانها الا من الشيوخ والأطفال والنساء (٢٦) .

واننقم ابن الأفطس لنفسه من بنى عبساد بطريقة غير شرعية ، لكنها تدل على روح العصر وعلى ماساده من صراع لا يحكمه اى مبدأ من مبادىء الأخلاق . ذلك أنه في عام ٢٥) ه / ١٠٣٤ م سمح عبد الله بن الأفطس أمير بطليوس لجيش بنى عباد أن يمر عبر أراضيه لقتال مملكة ليون ، وأثناء عودته هاجمه أن الأفطس بغتة ، وقتل من جنود اشبيلية عددا كبيرا ، وفر اسماعيل بن عباد ونجا من الموت بصعوبة ، ومنذ ذلك الحبن تأصلت العداوة والبغضاء ببن بنى عباد وبنى الأفطس (٣٠) .

وكان هناك صراع ببن بنى ذى النون العرب حكام طليطله ، وبين بنى هود الجذاميين العرب حكام سرقسطة ، ودانية (بعد أن استولوا عليها من على ابن مجاهد العامرى) وطرطوشة (بعد أن مات صاحبها لبيب ثم متساتل الفتى العسامرى) . وكان الصراع ببن بنى ذى النون وبنى هود بسبب تنافسهم على امتلاك مدينة وادى الحجارة ، ولما استولى عليها سليمان بن هود قامت قيامة المأمون بن ذى النون ، واستعان بنصارى الشمال ، ودعته الضرورة أيضسا إلى محالفه المعتضد بن عبساد والدخول فى دعوته لخلف الحصرى المشبه بهشام عام ٢٣٦ ه (عنه) .

ازاء ذلك استعان ابن هود بملك آخر من نصارى الشمال ، واستطاع ان يعنث في طليطلة وأعمالها ، وأن يدمر زرعها ، فأرسل اليه أهلها يطلبون

⁽٣٢) اس حدان بروانة ابن بسام ، الصيدر نفسه ، ق ١ ، ه ١ ، ص ١٣٦١ ، ٣٦٢ .

⁽۳۳) ابن عبداری ، المصدر بفسه ، جـ ۳ ، ص ۲۰۳ ۰

دوزی ، ملوك الطوائف ، ص ۲۸ ، ۲۹ .

⁽٣٤) اس بلقــــي ، مدكراته ، ص ٧٧ ، ابن عــدارى ، المـــدر بسيــــه ، ج ٣ ، ص ٢٢٤ ، ٧٧٧ •

الصلح ، غنظاهر ابن هود سواعقتهم الى ما طلبوا ، تم لم يلبث أن سار هو وحلفاؤه من النصارى ، واحتلوا مدينة سالم النابعة لبنى دى النون ، وساعده على ذلك عبد الرحمن بن اسماعيل بن ذى النون الذى كان بنازع اخاه يحيى صاحب طليطلة فى حكمها . ودامت المنسخة بين ابن هود وابن ذى النون من عام ٥٣٤ ه الى آخر عام ٣٨٤ ه ولم تنته الا بوفاة سليمان بن هود . ولما زال خطر سرقسطة عن طليطلة ، بدا اميرها يسنعد لمنسازعة ابن الأغطس صاحب بطليوس وبنى جهور اصحاب قرطبة (٣٠) .

وما ان أحس بنو جهور بذلك حتى عقدوا حلفا مع أمراء بطليوس وانسبليه درد بنى ذى الندون أمراء طليطلة ، وتحالف هؤلاء بدورهم مع بلندية ومع تستالة النصرانى ، واستطاعوا أن يوقعوا بقوات قرطبة ، لكن العباديين أنقذوها واستولوا عليها حسبما تقدم ، وعاد الطليطليون مهزومين عام ٢٥١ ه / ١٠٦٠ م (٣٩) .

وقام الدور النانى من الصراع بين بنى عباد في عهد المعتمد بعد وفاة والده المعتضد عام ٢٦٦ ه / ١٠٧٠ م وبين المأمون بن ذى النون ، وكانا أقوى ملكبن في الأندلس في ذلك الوقت بعد ان حطمت الحروب الأهليسة الدويلات الاسلامية الأخرى . ولما راى المأمون أن اشبيلية مشيفولة بحروبها مع بنى حمود وبنى زيرى ، وأن بنى الأفطس يقتطون فيما بينهم على كرسى الحكم عقب وفاة محمد بن عبد الله المظفر ، وأن بنى هود حكام سرقسطة يتسنبكون مع جيرانهم النصارى في حروب دموية مسنمرة ، رأى الفرصية سانحة للعمل ، وانقض على المعامريين اصحاب بدمير ومرسية وانتزعها منهم ، وكان هؤلاء حلماء لبنى عباد (٧٠) ،

وما كاد المعنهد بن عباد بقف على فعله المأمون حتى أرسل وزيره اس عمار الى رموند برنجار امير قطلونيه (برشلونه) ، وحالفه على

⁽۳۵) ابن عداری ، المصدر دفسه ، ۵ ، ص ۲۸۰ - ۲۸۳ .

⁽٣٦) يوسف أشباح ، ماريخ الأمدلس ، ص ٤٩ ، ٥١ .

⁽٣٧) يوسف أشباخ ، المرجع نفسه ، ص ٥٤ ، ٥٥ .

مساعدته ضد طليطله ، وما ان وصل رسوند الى مرسية ، حتى وجد قوات طليطلة وبلنسسيه وقونقه ودانبه ومربطر وشساطبه وشنتمريه الشرق والسهلة ، سعاونها فرقة من المرتزئة من قشتالة وجليقية ، فأدرك استحالة الهجوم ، لكن قوات طليطلة وحلفاءها أجبرته على دخول المعركة ، وهزمته هو وحلفاءه الأشبيليين هزيمة ساحقة ، وأستولى المأمون على مرسسية وأربولة وعدة مدن أخرى (٢٨) .

ولم يصيع المأمون وقعه سدى ، اذ وجه بعد دلك عدة جيوش تجساه سرةسطة وبطليوس وجيان حتى لا يترك لهسا فرصه التحالف مع اشبيلية ، وانقض جيشه على قرطبة بفية ، فسقطت دون مقاومة ، ثم واصل جيش المأءون زحفه الى اسبيليه ذابها واقتحمها عام ٢٦٨ هـ / ١٠٧٥ م ، منتهزا فرصسة غياب المعنمد في حربه لنني زيرى في غرناطه . لكن المأمون أطال البفاء في انسيليه حتى اختم المعتمد حربه في الجنوب بنجساح ، وعاد الى عاصمته واستردها منتهزا عرصه وفاة المأمون عام ٢٦٧ هـ / ١٠٧٦ م (٢٩) .

السنمر الصراع بين ملوك الطوائف حتى سقطت طليطلة في يد الفونش السادس ملك قشتالة عام ٧٨١ ه / ١٠٨٥ م ، فأتوا اليه مهنئين ، يحملون الهدايا ويملذون الطاعه ، وبلغ من سخريه القدر أن احدهم كافأه المونش على هدينه بقرد ، غصار دفخر به على سائر زملائه من ملوك الطوائف . وكان سقوط طلطله بهذا الشكل المخدى دليلا واضحا على فشك حكم ملوك الطوائف وننيجة طيعيه لذلك الصراع الذي أسيمر بينهم ولم يهدا لحظه واحدة (٤٠) .

٢ ـ الصراع الداخلي في كل مملكة على الحكم:

ولم يكن ملوك الطوائف موفقين أيضا في علاقالهم مع شعوبهم أو في سياسيهم الداخلية . ويبدو أنهم كانوا يقبضون على السلطان بأيد مرتعشمة ،

⁽٣٨) يوسم أشماخ ، المرجع يفسه ، ص ٥٥ ٠

⁽٣٩) ابن الكرديوس ، المصدر نيسه ، صد ٧٨ ، ٧٩ ٠

يوسف أشماح ، المرجع نفسه ، ص ٥٦ ، ٥٧ ٠

⁽٤٠) ابن الكردبوس ، المصدر بعسه ، ص ٨٧ ، ٨٨ ٠

اذ لم تنح اسرة واحدة من الأسرات الحاكمة من الصراع الداخلى بين افرادها على كرسى الحكم ، ولذلك لم يكن هناك استقرار سياسى يمكنهم من العمل لخير شعوبهم ، وقد كان هناك امل فى ان يقوم بنو حمود بصفتهم أدارسة حسنيون من آل البيت ، ان يسدوا الفراغ السياسى الذى نجسم عن تهاوى خلافة بنى أميسة ، الا أن الصراع الداخلى بين افراد الأسرة الحمودية لم يمكنها من تحقيق هذا الهدف .

نمن البداية وعقب مقعل اول خلفاء بنى حمود تنسازع ولداه يحيى وادريس مع عمهما على الخلافة ، وتبادلا حكم قرطبة عدة مرات ، وكان يحيى بن على بن حمود مؤيدا من العربر ، وعمه القاسم بن حمود مؤيدا من السودان ، وتسبب هذا الصراع فى انفصال أشبيلية واستقلالها تحت حكم بنى عباد منذ عام ١١٤ ه / ١٠٢٣ م ، كما سقطت الخلافة الحمودية نفسها فى قرطبة ، وعادت الخلافة الأموية الهزيلة ثم اختفت ، وقام فيها حكم بنى جهور منذ عام ٣٣٤ ه / ١٠٣٠ م ، واستمر الصراع داخل الأسرة الحمودية مما اضعفها وجعلها تسقط فى ايدى حلفائها من بنى ريرى حكام غرناطة عام مما اضعفها وجعلها تسقط فى ايدى حلفائها من بنى ريرى حكام غرناطة عام الحمودي فى الجسزبرة الخضراء ، وبذلك انتهت دولة بنى حمدود نتيجة الحمودي فى الجسزبرة الخضراء ، وبذلك انتهت دولة بنى حمدود نتيجة لانقسامهم على انفسهم ولضعف خلفائهم الأواخر (١٠٤) .

ولم ينج بنو زيرى أمراء غرناطه من هذا المرض أيضا ، اذ ظهر الانقسام ببن أفراد الأسرة الزيرية عقب وفاة حبوس بن ماكسن الذي كان قد تولى حكم غرناطة عقب رحيل زاوى بن زيرى عنها في عام ١٠٤ ه . وكان حبوس قد قسم أعمال غرناطة على أقاربه وبنى عمومته من بربر صنهاجة ، حتى أصبح كل منهم سلطانا على ما يليه ، له أجناده وحكومته ، وكان حبوس يستشيرهم في أموره ولا ينفسرد بأمر دونهم ، فلما توفي قام أحدهم وهو يدير بن حباسة وحاول الاستيلاء على مقاليد الحكم في غرناطة من يد باديس الذي نولى الحكم بعد وفاة والده حبوس ، وعرف الوزير

⁽٤١) رجب محمد عبد الحليم ، دولة سى حمود فى مالقسة الأنطس ، ص ٨٤ ، ٨٥ ، ١٠١ ، ١٠١ ،

المهودى ابن النغرالة بذلك ونصح باديس باخذ المتآمرين بالحيلة ، حتى لا ينهار حكم بنى زيرى ، نفبل النصيحة وضرب المتآمرين بعضهم بعض ، فخلص له الحكم (٢٠) .

ورغم ذلك كان مادىس محتاطا لنفسه ولابنه بلقين غبنى له قصيبة مالقة بعد أن استولى عليها من بنى حمود عام ٢٩) ه ، بنيانا لم يقدر على مثله أحد فى زمانه ، وخبأ فيها أمواله وجميع ما ورثه ، وجعله ذخرا لابنه اذا ما ساءت الأحوال فى غرناطة ، سواء بنآمر بنى عمومته أو بمحاربة ملوك الطوائف . كما أخذ أقاربه بالشدة والعنف ، فاذا أحس من أحدهم بما يريبه ، حكم عليه بالنفى والمصادرة حتى لا يبقى لابنه بلقين من يناوئه سعد وفاته (٢٠) .

وقد اتت سياسة باديس بثمارها ، وحكم بلقين غرناطة بعيدا عن الصراع الأسرى ، وترك ولدين هما تميم وعبد الله ، وحكم الأول مالقة ، وتولى الثانى حكم غرناطة نفسها ، وكالعادة قام الصراع بين الأخوين ، وحاول تميم سلب مدينة المنكب من أخيه ، وقام عبد الله بحربه وحصاره ، لكنه لم يلبث أن عقد معه الصلح حتى لا تذهب به العداوة أن يفرط في مدينته وسلمها لأعداء بنى زيرى ، كما فعل عمه ماكسن من قبل بجيان ، واكتفى عبد الله تأديبه وأخلى له قلعه جطرون بدل المنكب ، لأن رعبتها نصارى ، فهم على الحباد بينه وبين أخيه تميم ، ورغم ذلك فقد قام تميم هذا بدور مخجل عند قدوم المرابطين ، اذ أنه شكا أخأه النهم وتسبب في أضعاف مركز بنى زيرى والقضاء عليهم في النهاية (ئنا) .

ولم یکن بنو ذی النون است حظا من بنی زبری ، اذ أن يحبى المامون بن اسماعيل بن ذی النون (٣٥) ــ ٢٦٧ ه / ١٠٤٣ / ١٠٧٤) خرح عليه أخوه عبد الرحمن وعمه (أرقم) ، أما أخوه فقد حاول الاستيلاء

⁽٤٢) ابن بلقين ، مذكرات الأمير عبد الله ، ص ٢٦ ، ٣٤ ،

⁽٤٣) ابن بلمن ، المصدر نفسه ص ٣٦ ، ٤٣ .

⁽٤٤) ابن بلقين ، المصدر بمسه ص ٩٠ ، ٩٤ ٠

على السلطة من المامون واتصل بأعداء البلاد من بنى هود حكام سرقسطة والمثفر الأعلى ، ودلهم على عورات البلاد . اما عمه (ارقم) فقد كان أدبيا لامعا ، فحسده ابن أخيه المأمون على ذلك وأظهر له البغض ، فخاف الأمير أرقم ومر الى الثفر الأعلى ، ثم شد رحاله الى فردناند ملك جليقية وحليف بنى هود ، الذين كانوا أعداء ابن أخيه المأمون بن ذى النون ، وأتى معه لمعاقبة طليطلة والانتقام منها لما فعله حليفها شانجة ملك قشتالة بأراضى بنى هود ، ولينتقم أرقم لنفسه من أبن أخيه المأمون (6) .

وكان المامون غائبا عن طلبطلة ومقيما بمدينة سالم حتى يمنع عنها هجوم بنى هود المتوقع ، وأدى الأمر الى شراء أهل طليطلة حريتهم وحياتهم من فرديناند (فرذلند حسب الرواية العربية) بالأموال . واستطاع المامون بعد ذلك أن يتخلص من عمه بالحيله والخديعة ، أذ أنه دس الى فرديناند من أوعز اليه بأن أرقم ما هو الا جاسوس لابن أخبه المأمون ، فقتله ، وغرح بذلك المأمون وقال « الحمد لله : هذه نعمة من جهين ، فقد عدو ، ووجوب بأر نطلب به » (٢١) .

وكانت اسرة بنى هود ملوك سرةسطة والثغر الأعلى مثالا آخر للصراع الأسرى المقيت ، ولم تع هذه الأسرة الدرس الذى نالت به حكم سرقسطة من يد بنى تجيب عام ٣٣٤ ه / ١٠٣٩ م ، اذ ان صراعا نسب داخل الأسرة التجيبية عام ٣٠٤ ه ، انتهى بقنل أميرها واسنيلاء سليمان بن هود حاكم لاردة والملقب بالمسنعين عليها ، وارتكب سلبمان المستعين خطأ سياسيا عندما قسم بلاده على أولاده المخيسة قبل مونه ، وما لبث الصراع ان نشب بين الاخوة بعد وناة والدهم ، واستطاع أحدهم وهو أحمد عماد الدولة المقتدر (١١٤ ساولي على املاك اخوته عدا يوسف عماد الدولة المظفر صاحب لاردة (١٠٠) .

ص ۱۵) ابن عاداری ، المصادر نفسه ، ۱۵ ، ص ۲۸۱ ، ابن سعد ، المعرب ، ۲ ، ص ۱۵ ،

⁽ $\{\xi^{7}\}$) ابن عبداری ، المصدر بمسه ، ح $\{\xi^{7}\}$ ، ص $\{\xi^{7}\}$ ، ابن سعید المعرب ج ξ^{7} ، ص ξ^{7} ،

⁽٤٧) ابن عبذالی ، المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٢٢٢ ، ح ٤ ، ص ٥٥ ، ٥٥ . أبو للفيدا ، تاريخيه ، ج ٢ ، ص ١٥٥ .

وقد تسبب اسلوب احبد المقتدر في اغنصاب الملاك اخوته ، ان كرهه الناس ومالوا الى أخيه يوسف المظفر . فحالف المقتدر ملوك اسبانيا النصرانبة ضد اخيه حنى انه تواطأ في احدى المرات على قافلة تحمل الميرة والطعام نجدة لأهل نطيلة ، الذين كانوا قد اصابهم الجهد والغلاء ، وراسلوا لأميرهم يوسف المظفر يسننجدون به . وكان يوسف قد دفع الأموال لابن ردمير حتى تمر القافلة عبر أراضيه الى تطيلة ، لأنها لا يمكن أن تمر عبر أراضي أخيه المقتدر . لكن المقتدر بخسة ونذالة أرسل لابن ردمير من المال أضعاف ما أعطاه بوسف ، على أن يسمح له بمهاجمة القافلة ومن يحمبها من جند يوسف . وانتهى الأمر بكارثة . اذ ضاعت القافلة وأخذ النصارى أغلب رجالها وجنودها أسرى وفتكوا بالآخرين (١٠٠) .

وازاء ذلك احس الناس بأنه لا فائدة من بقائهم على طاعة يوسفة ، وراوا انه لا أمان لهم الا بالاعتراف بطاعة اخيه المقتدر ، وانتهى الأمر بالقبض على يوسف وسجنه في قلعة روطة ، وظل بها سجبنا حتى مات أخوه المقتدر وتولى الامارة ابنه يوسف المؤتمن (٤٧٤ – ٤٧٨ ه / ١٠٨١ – ١٠٨٥ م) وتمكن بوسف المظفر من الفرار من سجنه ، ولجأ الى الفونش السادس ملك قشتالة عام ٤٧٧ ه / ١٠٨٤ م واحتمى به وما لبث أن مات عنده بعد قليل ، وأتى الفونش بجيوشه الى سرقسطة زاعما أن مات عنده بعد قليل ، وأتى الفونش بجيوشه الى سرقسطة زاعما أن كان يوسف المؤتمن تمكن من هزيمة الفونش ، ونجأ بامارته من هذا المازق الخطير (٤١) .

احتدم الصراع بين بوسف المؤتمن وبين أخسه المنذر ، وكانا قد اقتسما المملكة ، ورغم هذا استمر المنذر ينازع أخاه يوسف المؤتمن ، ثم الن أخيه أحمد المستعين بن بوسف المؤتمن (٧٨) ... ٥ هـ / ١٠٨٥ ... وكان كل من الطرغبن يستعبن بملوك النصارى في صراعه ضد

⁽٤٨) اس عـذاري ، المصدر بدسه ، ح ٣ ، ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ ٠

⁽٤٩) ابن عداری ، المصدر بدسه ، ح ٣ ، ص ٢٢٣ ٠

د - حسين مؤسس ، الثغر الأعلى الأندلسي ، ص ١٠١ ، ١٠٣ •

الطرف الآخر ، مما نسب في ضعف حكم بنى هود لهذه المنطقة الهامة من الأندلس والتى كانت حاجزا بين المسلمين وما يلبها من ممالك النصارى . وانتهز الفونش السادس فرصه الصراع بين المستعبن وعمه المنذر وحاصر سرقسطة ، وكادت تسقط في يده لولا مفاجأته بنزول المرابطيين بلاد الأندلس عام ٧٩٤ ه ، فبقيت أسرة بنى هود في الحكم مدة أخرى حتى سقطت في يد النصارى عام ٥١٢ ه (٥٠) .

٣ - فساد ملوك الطوائف:

وفى غمرة هذا الصراع الدامى على الحكم داخل كل اسرة من الأسرات الملكية التى توزعت الأندلس فيما بينها ، وببن هذه الأسرات بعضها البعض ، ازداد فساد الحكام والأمراء والملوك ، وقاسى الشعب الأندلسى فى ظل حكمهم كثيرا من ضرورب الاضطهاد والظلم ، فقد كان هؤلاء الحكام يعتبرون ممالكهم ضياعا خاصة سستفلونها كيفها يشاءون ويجعلون من شعوبهم عبيدا ليس عليهم الا الكد والكدح ودفع ما بطلب منهم من الضرائب الباهظة والغرامات الثقيلة ، حتى ساءت حال الرعية وبلغ الحال بالناس أن أكلوا البقل والحشائش ولبسوا الجلود والحصر ، وفر أكثرهم عن قراهم (٥) .

وقد أدت هذه الحال الى أن قام الناس يبتهلون الى الله بالخلاص من هؤلاء الحكام الظلمة ، وسجلوا ذلك على لسان كتابهم المعاصرين أمثال ابن حزم وابن حيان ، فهذا ابن حزم برقع يديه الى السماء ويقول « اللهم انا نشكو اليك تشاغل أهل المالك من أهل ملننا بدنياهم عن اقامة دينهم ، وبعمارة قصور يتركونها عما قربب عن عمارة شريعتهم اللازمة لهم في معادهم ودار قرارهم ، وبجمع أموال ربما كانت سببا في انقراض أعمارهم وعونا لأعدائنا عليهم عن حياطة ملتهم . . . النح » (٥٠) .

٥٠٠ أبو الفدا ، تاريخه ، ج ٢ ، ١٥٥ ٠

الفلفشندي ، صبح الأعنى ، ج ه ، ص ٢٥٥ .

د حسين مؤنس ، المرجع بفسه ، ص ١٠٢ ٠

⁽١٥١) ابن حبال بروانة أنن عنذاري ، المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ١٦٢ ٠

⁽٥٢) ابن حزم ، الرد على ابن المغريلة اليهودي ، ص ٤٥٠

وقد وصل انسفال الحكام بامورهم الخاصة عن الكوارث التى كانت تصحيب المسلمين على ابدى نصارى النسمال درجة ندل على انهم لحم يكونوا حكاما بالمعنى المعروف ، بل زعماء أو رؤساء جماعات اعتبروا النسعب والأرض غنيمة لا تستحق حنى مجرد العناية بها والذب عنها . فقد اغار غردناند ملك ليون على بطليوس ودمرها واستباح حريمها وفعل بها الأناعيل ، وورد الخبر على المامون صاحب طليطلة ، ولما دخل عليه وزيره ابن مثنى وجده شديد الاطراق والضيق ، فأخد يفرج عنه معتقدا أن ذلك لما سمعه مما أصاب المسلمين في بطلبوس ، لكن ابن مثنى ذهل عندما التنت اليه المأمون وقال له « الا ترى هذا الصانع الحقير الذي يتولى بنيان قصرى انه لا يمتتل لأمرى وينغص على لذتى ويستخف بامرتى » (٥٠) ،

هكذا كان المامون يهتم ببناء قصره ولا يهمه ان يذهب مسلمو بطليوس الى الجحيم ، وقد أدى ذلك الى أن يقول ابن حزم عن هؤلاء الحكام « ان كل مدبر مدينة أو حصن في شيء من اندلسنا هذه ، أولها عن آخرها ، محارب لله تعالى ورسوله ، وساع في الأرض بفساد ، والذي ترونه عيانا من شنهم الفارات على أموال المسلمين ، وضربهم المكوس والجزية على رفاب المسلمين ، وتسليطهم اليهود لتحصيلها ، كل ذلك بموافقة رجال من أهل الفقه والدبن المنافقين الذين لا بهمهم الا مصلحتهم الشخصية ، ليدل دلالة مؤكدة على ضروره التخلص من مؤلاء الحكام ، وقد أتت الفرصة عنسدما قدم المرابطون فطالبت الرعبة في صراحة ووضوح بضرورة عزلهم حتى يتخلصوا من هذا الظلم الذي عاشوا فيه ثمانين عاما » (**) ،

وقد ادى هدا الظلم فى جمع الأموال من الرعبة ونحصيلها بغير الطريق الشرعى ، الى قول المعاصرين « انه لبس فى الأندلس فى ذلك الوقت درهم حلال ولا دينار طيب يمكن القطع بأنه حلال عدا ما يستخرج من وادى لارده من ذهب » . وكان أسلوب الحكام فى جمع تلك الأموال من القسوة

⁽٥٣) ابن بسام، اللخيرة، ت ٤، ح١، ص ١١٤، ١١٥٠

⁽٥٤) ابن حرم ، المصدر بفسه ، ص ۱۷۳ ، ابن بلدي ، مذكراته ، ص ۱۲۰ ، ۲۱۰ . ابن خليدون ، العدر ، ح ٤ ، ص ١٥٨ .

والعنف أن غر الناس وتركوا ديارهم وقراهم حسدما يقدم ، هذا في الوقت الذي كان غيه ملوك نصارى الشيمال الأسباني يوزعون ما تصل الله أيديهم من أموال ، سواء من الجزية المفروضة على المسلمين أو غير ذلك على رجالهم ، فكانوا يدخلون الكنيسة ويقسمها سلطانهم على رجاله بالطاس ، ويأخذ مثلما يأخذون ، وربما يتنازل عن نصيبه لهم ، وبدلك كانوا يصطنعون الرجال ، بينما كان سلاطين الاندلس يخزنون الاموال ويضبعون الرجال ، فكان للنصارى بيوت رجال وللمسلمين بيوت أموال ، وبذلك انتصروا وقهروا المسلمين وأذلوهم(°°) .

وكما كان النناقض بين ملوك الطوائف على الحدود وحيازة المدن والقلاع ، كان تنافسهم شديدا في بناء القصور ، والمتنزهات وانخاذ الألقاب ، فهذا نقش عثر عليه بمدينة قونكة سجل عليه القاب اسماعيل بن ذى النون ويصفه بأنه « حسام الدولة ابو احمد اسماعيل بن المأمون ذى المجدين بن الظافر ذى الرئاستين » ولم يقنصر الأمر على ذلك فقد تلقبوا بالقاب الخلفاء حتى قال في ذلك بعض الشعراء : (٢٥)

مها يزهددنى فى أرض أندلس لقيب معتضد فيها ومعتمد القاب مملكة فى غدير موضعها كالهر يحكى انتفاخا صولة الأسد

وفى الحقيقة لم تكن لهذه الألقاب قيمة ، وقد صرح بذلك المعاصرون وعابها عليهم ملوك الشمال ، لكنها كانت لازمة لاسدال مظهر العرزة السلطانية والأبهة الملوكية على بلاط هؤلاء الحكام الذين غرقوا فى النميم حتى الثمالة ، ويكفينا وصف حياة عبدين خصيين من عبيد آل عامر كانا يديران ساقية فى بلنسية ، نم توليا اماره بلنسية وشاطبة زمان الفتنه ، وبلغت جبايتهما لأول ولايتهما مائة وعشرين الف دينار سسنويا ، فاتخدذا

Levi - Provencal, Inscriptiones, pp. 190, 191.

⁽۵۰) أبن حرّم ، المصدر تفسه ، ص ۱۷۵ ، الطرطوشي ، سراج الملوك ص ۱۰۸ ۰ اس حيان بروابة ابن عداري ، المصدر نفسه ، ح ۳ ، ص ۱۹۲ ۰

⁽٥٦) المترى ، منم الطيب ، ج ١ ، ص ٩٩ ٠

الساس الزاهرة ، والروض الناضرة وأجريا بها الحياة المتدفقه وبنيا القصور ، وانغمسا في النعم الى قمم راسبهما ، وأخلدا الى الدعة ، وسارعا في انبهاب اللذه حنى أربيا على من تقدم وبأخر ، وكان موكبهما يوم خروجهما الى المسحد للصلاة بوم المجعة ، يفوق موكب مولاهما المظفر عبد الملك بن أبى عامر (٥٠) .

وكان ملوك الطوائف لا يتركون شيئا يدعمون به ملكهم ويظهر هيبتهم ، الا حرصوا عليه واغتنموه ، من ذلك بذلهم العطاء الوافر للشعراء والأدباء واسرافهم في ذلك اسرافا لا مثيل له ، وعلى سبيل المثال فقد منح المعتمد ابن عباد الشاعر عبد الجليل بن وهبون الفين من الدنانير على بيتين اثنين من الشعر ، بينما منح المعتصم بن صمادح قرية باكملها للشاعر ابى الفضل جعفر بن أبى عبد الله بن شرف البرجى ، عندما أتى اليه يشتكى من عامل تلك القرية وانشده رائيته الشهيرة الني مطلعها:

قامت تجر ذيول العصب والحبر ضعيفة الخصر والميناق والنظر

ولما بلغ منها قوله:

لم يبسق للجسور في أيامهم أثر الا الذي في عيون الفيد من حور

قال له المعتصم : « لقد أعطبتك هذه القرية نظم هذا البيت الواحد ، ووقع له بها وعزل عنها نظر كل وال $^{(h)}$.

وكان كثير من ملوك الطوائف يقولون الشعر ويبرعون فيسه . وقد شعلهم دلك وشعلهم حيامهم الخاصة عن سياسة ملكهم وادارة حكمهم على النهج السلم ، حنى قال البعض من المستشرقين أن عبقرية مسلمى اسبانيا

⁽۷ه) ابن حيان مروايته ابن عبداري ، الصيد النسبه ، ج ٣ ، ص ١٥٨ ـ ١٦١ ٠ ابن سعيد ، المغرب ، ح ٢ ، ص ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ابن الكردبوس ، الاكتفاء ، ص ٨٩٠ .

⁽٥٨) اس سام ، الذخيرة ، ق ٤ ، ح ١ ، ص ١٩٢٠

بالبثيا ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٩٧ ، ١١١ ·

كانت من الطراز الأول ، لكن نبوغهم السياسي لم ببلغ الكمال ، وماذا ينيد الشيعر والأدب في رد اعتداءات النصاري أو في رد المظالم عن الرعية ؟ وبكمي ما قاله احد البدو حينما سمع نسعرا وعرف أنه للمعنهد بن عباد فقال « أظن هذا الملك لم يكن له من الملك الاحظ بسير ، ونصبت حقير ، عمثل هذا الشيعر لا يقوله من شيغل بشيء دونه » (٥٠) .

اما المجون والخلاعة وشرب الخمر والاستغراق فى الملذات الجسدبة والاكثار من الجوارى والنساء فكان قاسما مشتركا بين جميع ملوك الطوائف، فهذا هو المعتضد بن عباد ، يقولون عنه انه « كان له كلف بالنساء وخلط فى اجناسهن فانتهى فى ذلك الى مدى لم يبلغه احد نظرائه » ، وهذا ابنه المعتمد يقولون انه خلع ثمانمائة امراة من اعهات الأولاد وجوارى المنعه واماء الخدمة بالاضسافة الى ولوعه بالخمر وانغماسه فى الملذات ، أما بنو زيرى حكام عرناطة فكان الوزراء لا يرون وسيلة يشغلونهم بها حتى يستبدوا هم بالحكم والسلطان الا باغراقهم فى الملذات واشغالهم بالنساء اللائمي كثرى وكون فريقا ، كل فرقة منهن كانت تطمح فى ولاية من تربيه من أبناء السلطان حتى يكون لها الحظوة والغلبة ، فكثرت مؤامرات البلاط لهذا السبب (٢) .

وهذا هو يحيى المأمون ملك طليطله الذى اشتغل بالخلاعة والمجون واكثر مهادنة النصارى ومصانعتهم ، حتى يكون لديه منسع للهو وانلعب واقتناص أموال الرعيسة . أما على بن مجاهد صاحب دانية فقد « طلب السلم واغمد السيف وكانت همنه في خراج بجبيه ، ومتجر ينميه » وكان بعض خلفاء بنى حمود يسيرون أيضا على هذا النهج علم يقع يحيى بن على بن حمود قتيلا عام ٢٧٤ ه الا لأنه نزل ميدان المعركة مخمورا لم بفق بعد من سكره . ولم يكن كل هذا التهتك الا ننبجه لضعف الوازع الدينى

⁽٥٩) بالنَّثيا ، الرجع نَّفسه ، ص ١٠٦ ، لوبون ، حضارة العرب ، ص ٢٩٠ ٠

⁽٦٠) ابن الأبار ، الطه السيرا ، ج ٢ ، ص ٢٤ ، ٥٥ ، ٥٥ · ابن بلقين ، منكرات الأمير عبد للله ، ص ٥٠ ، ٨٤ ، ٨٥ ·

وضياع القدم الأخلاقية واسبئيار أخسلاق اللذة والمنفعة الشخصية بكل شيء (٦١) .

إلى المناف المنا

وقد انتثرت البلوى بى الموظفين والحكام الصحفار الذين اخذوا بدورهم تقلدون ملوكهم وأمراءهم ، وبدلون بدلوهم فى نهب الرعيسة وظلم الناس . وكانت هذه الطبقة من جامعى الضرائب ورجال الشرطة وغيرهم من الموظفين محل الشكوى ، وكثرت اوصاغهم بأنهم « مرتثاون اسرار ظالمون فجار لا أممان لهم ولا دين ولا ورع ولا يقبن » ، وأنه يجب على القاضى أن لا يتركهم يظلمون الناس ويجب أن يكونوا تحت سلطانه ورقابته ، وعليه أيضا أن يدبر أمور الرعية مع السلطان الذى لا يجب أن يغلق بأبه ويكثر حجابه ، الى آخر نلك الآمال التى كانت تداعب عقول الناس فى هذا العصر ، والتى لم تتحقق على الاطلاق (٢٠) .

ولم يكن هذا الانحلال والفساد قاصرا على صغار الموظفين بل انه كان ممثلا في أعلى منصب بعد منصب الملك أو الأمير ، وهو منصب الوزير ، وقد حفل هذا العصر بطائفة من الوزراء الذين يمكن أن نسميهم بالوزراء المفامرين ، انسهرهم الشاعر ابن عمار وزير المعتمد بن عباد الأشبيلي . وبكاد بجمع معظم المؤرخين على أنه كانت له صلة خاصة بالملك الفونش السادس ملك قشتالة وليون ، وأنه كان فيما يبدو صنيعة من صنائعه وأداة من أدواله يحركه لتسهيل مشروعانه ضد ملوك الطوائف ، وقد استعان هي الايقاع بغرناطه ، واعدمد عليه ابن عمار في حركته الانفصاليه ضد المعنهد بن عباد (٣٠) .

⁽٦١) العدني ، عقد المجملان ، ق ٤ ، ح ١٩ ورقمة ٦٤٣ ، ٦٤٣ .

ابن سام ، الذخيره ، ق ٤ ، ج ١ ، ص ١٠٦ .

ابن الكردبوس • الاكتفاء في أحدار الخلفاء • ص ٧٧ •

رحب عبد الطيم ، دولة بن حمود ، ص ١١٣ .

⁽۱۹۲) ادن عندون ، ثلاث رسائل اندلیسیة فی آداب الحسبة ، ص ۳ ، ۵ م ص ۷ ، ۱۵ م ۱۸ ، ۳۰ ۰

⁽٦٣) صلاح حالص ، المعمد س عباد ، ص ١٣٥٠

كان ابن عمار لا يعمل الا لمصلحته السخصيه معدديا في ذلك بحكام وساسه عصره ، وقد ظهر ذلك اتناء حملته على مرسعه ، وبدل أن يخضعها لحساب مليكه المعتمد ، استولى عليها لنفسه ، وأحذ بقول النسعر في هجاء المعتمد وأسرته ، وجلس للناس كما يحلس الملوك ، وأظهر الاستخفاف بالناس ، ثم دخل طليطلة كرسول من قبل الفونش السادس ، وبآمر مع اشرافها في عام ٥٧٥ ه / ١٠٨٣ م على النورة ضد ملكها القادر بن دى النون ، وحرضهم على أن يحكموا انفسهم ويعطوا الجزيه لالمونش حتى يتقوا شره ، ولما أحس القادر بذلك قبض على المنآمرين وفر بعضهم الى الفونش ، وفر ابن عمار وعاد الى سرقسطة (٢٠) .

ولم يتمكن من العودة الى مرسيه ، لأن مساعده ابن رئسيق الذى كان قد تركه فى حكمها ، عامله بأسلوبه واغتصب حكم المدينة لنفسه ، واستولى على ثروة ابن عمار وطرد اسرته من المدينة . وبذلك فنسل ابن عمار سواء فى طليطلة أو فى مرسية . فاتجه حينئذ لتقديم خدماته الى بنى هود حكام سرقسطة ، فأثار فيها الفتنة أيضا ، وتمكن من اخماد ثوره فى أحد الحصون التابعة لبنى هود ، ولما حاول تكرار ذلك فى قلعة شسقورة فشل واسره صاحبها وسلمه للمعتمد بن عباد ، وباع له القلعة أيضا ، وكان نصيب ابن عمار المفامر الجرىء القتل على يدى ابن عباد نفسه (٢٠) .

وهناك من أمثال ابن عمار ، وزير يهودى يسمى اسماعيل بن نغرالة اليهودى ، وكان وزيرا لبنى زيرى الصنهاجيين حكام غرناطة . ولم يحدث في دولة اسلامية أن صار أحد اليهود رئيسا للوزراء كما حدث في غرناطة ، ذلك لأن التقليد الاسلامي لا يقبل ذلك مطلقا ، لكن المدينة كانت غاصة باليهود وكانوا كنرة حتى سميت بأنها مدينة اليهود ، وكان هذا العنصر لا يشره الى الولاية ولا يطمع في السلطان منلما يفعل العرب أو البربر ، زد على ذلك أن البربر أنفسهم لا يصلحون لنولى هذه المهمة فهم لا يفهمون الا في الحرب وليسوا من أهل القلم أو من أهل الأدب ، كما أن العرب كانوا

⁽١٤) النَّ بِلْقَيْنِ • منكرآتَ الأمير عبد الله ، ض ٧٩ ، ٨٠ •

⁽٦٥) ابن طقين ، المسدر مفسه ، ص ٨٠ ، ٨٠ ٠

ىأنفون من الحدمة نحت رئاسة أمير بربرى ، لذلك الحذه بنو زيرى وزيرا ومشجرا لهم (٦٦) .

وفى عهد هذا الوزير صارت لليهود صولة واشستد نفذهم وكترت الموالهم ، ولما أحس بقرب تغير نفس باديس بن حبوس ملك غرناطة عليه ، بادر بتدبير مؤامرة بالاشنراك مع ابن صمادح صاحب المربة على أن تكون للأخير غرناطة ، ويكون لليهود دولة بالمرية ، لكن بنى زبرى عرفوا بالمؤامرة وقتلوا الوزير اليهودى وأجروا مذبحة بشعة ضد بنى جلدته عام ٥٩ ه (٧٠)

وكانت سياسة المفامرة هذه ، والاستئثار بالسلطة والعمل للمصلحه الشخصية ، وراء النهايات المفجعة الني انتهت بها حياة معظم وزراء ذلك العصر ، مثال ذلك أبن الحديدى في طليطلة وقتله على يد القادر ، وابن جحاف في بلنسية وقنله للقادر ثم قتله هو نفسه على يد السيد القمبيطور ، وابن السقا مدبر حكم آل جهور في قرطبة ثم قتله ودفنه في مسجده الذي نهب وعطلت فيه الصلاة ، وسماحة وزير الأمبر عبد الله بن بلقين صاحب غرناطة وصاحب المذكرات الرائعة التي سجل فيها أحداث عصره ، وقد شكا هذا الوزير من قيام الأمير عبد الله بتسيير دفة الأمور بنفسه ، فنصحه أقرائه باشيفال الأمير بالنساء ، وانتهى الأمر بعزل هذا الوزير ونفيه الى المرية (١٨)

وهناك أيضا ابن الريولة وزير على بن مجاهد صاحب دانية ، وقد تآمر هذا الوزير على أميره وسلم المدينسة للمقتدر بن هود صاحب سرقسطة ، فكافأه ابن هود بأن عينه وزيرا له ، ولما مات المقتدر (٤٧٤ ه / ١٠٨١ م) شعر ابنه يوسف المؤتمن بتآمر هذا الوزير مع الفونش السادس مقتديا في ذلك بابن عمار ، حتى يصير له ما صار لابن عمار من نفوذ وسلطان وأموال ، فعاجله المؤتمن بالقتل ، وهناك أيضا الوزير الصقلبي نجاء وزير بني حمود

Dozy, op. cit. p. 608.

⁽٦٧) آبن عـذاری ، آلمسدر تنسه ، ج ٣ ، ص ٢٦٤ ـ ٢٦٦ .

المقرى ، نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ٥٠٨ ٠

⁽٦٨) ابن حيان برواية ابن سمام ، النخيرة ، ق ٤ ، ج ١ ، ص ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٩٩ . ابن ملقين ، مذكراته ، ص ٨٤ ، ٥٥ ، ابن سعيد ، المترب ، ج ٢ ، ص ١٣ .

الدى رام أن يقضى علىهم ومسنولى على الدولة ، وكان مصيره القبل على يد البربر عام 373 ه / 1.87 م (7).

ه - انتشار العيوب الخلقية والاجتماعية والاقتصادية بين أفراد الشعب:

واذا كانت هذه هى أخلاق الحكام والملوك والوزراء والموظفين غهاذا ننوقع من جهاهير النسعب المغلوبة على أمرها لا بد أنه سينسود فيها نفس الأخلاق والعيسوب والرذائل ، والناس على دين ملوكهم كما يقولون ، فانتشرت الاباهية وشرب الخمر بين أفراد النسعب ، حنى كانت الخمريات هى أكثر فنون الشعر ذيوعا بين شعراء الأندلس ، وقد أغمش أحدهم فى وصفها وذكرها حنى قطع الحاكم لسانه ، وكان كثير من الناس يقضون لياليهم أيقاظا يجتمعون على الكئوس حتى الصباح لدرجة أن بعض من وقد على الأندلس من المشارقة اشتكى من عدم استطاعتهم النوم هناك . ورغم ما في هذا القول من مبالغة واضحة الا أنه يدل على سوء الحال (٧٠) .

اما الاباحية والرزائل الخلقبة فقد انتشرت انتشارا رهيبا حتى أننسا نرى ولادة القرطببة بنت المستكفى الأموى ، والتى عاشيت عصر ملوك الطوائف ، وكانت أديبة لها باع طويل فى الأدب والشسعر ، وتقيم ندوة يجنمع فيها مشاهير الأدب والشبعراء ، كتبت بالذهب على ردائها : (۱۷)

انا والله اصلح للمعالى أمشى مشيتى وأتبه فيها وأمكن عاشقى من صحى خدى وأعطى قبلتى من يشتهيها

وقد بلغت الاباحية والاستخفاف بالدين أو النزوع منه نهائيا ، أن عشق ابراهيم بن سبار النظام رأس المعتزلة في الأندلس فني نحرانيا

⁽٦٩) ابن بلقن ، مذكراته ، ص ٧٧ ، ٧٧ ، رجب عبــــد الطيم ، المرجع نفسه ، ص ٩٤ ، ٩٠ .

⁽۷۰) ابن عبدون ، المصدر نفسه ، ص ۲۹ ، ابن سعبد ، المغرب ، ح ۱ ، ص ۳٦٩ . اميليو غرسيه عومس ، السعر الأسداسي ، ص ۸۸ ، ۸۹ ، ۹۲ ، ۰

⁽٧١) سكل ، مضارت من السعر الأسلسي ، ص ٦٢ ، ٦٢ .

ووضع له كنابا فى تفضيل التثليث على التوحيد تقربا اليه . وهناك من مات من النسعراء لآنه لم بنل محبوبه من الفنيان . وكما يقول ابن خلدون « اذا يأذن الله بانقراض الملك من أمه ، حملهم على ارتكاب المذمومات وانتحال الرذائل وسلوك طربقها » ، وهذا ما حدث فى الاندلنس وادى غبها أدى الى ضياعه (٧٢) .

كما انتشر الربا بين الناس الذبن تحايلوا على منع الزكاة ، وقاموا باحنكار السلع والمواد الغذائية حتى يثروا على حساب الفير كما اثرى غيرهم من الحكام ، وجرهم هذا الى اتقان تزييف العملة حتى أن بعض الناس كان يشترط قبل البيع والشراء أن يكون التعامل بنقود طيبة غير مغشوشة ، مما يدل على انتشار هذا النوع من الجرائم الاقتصادية . أما الرشوة والسمسرة وأكل أموال اليتامى ، والنجسس والجبن والجهل والكذب وغش الأطعمة والأغذبة ، وانتشار السرقات واللصوصية وغير ذلك من الرذائل والعيوب الاجتماعية ، فقد انتشرت بين الناس انتشارا واسعا حتى قال بعض المعاصرين « أن تلك الحال لا يصلحها الا نبى » (٣) .

وانعكس هذا كله في ميادين القتال بين مسلمي الأندلس ونصاري النسمال ورأينا النتيجة ، وهي أن زمام الموقف أصبح في يد تشتالة وليون ، وأن المسلمين أصبحوا مجرد سجناء في شبه الجزبرة ولن يطلق سراحهم

س ۶۸ ، ۶۸ ۰

ابن خاقان ، مطمح الأنفس ، ص ۸۰ ، ابن خاسدوں ، مقسدمته ، ح ۲ ، ص ۲۶۲ . (۷۳) ابن حزم ، مداواة النفسوس ، ص ۲۲ ، ۶۶ .

ابن عبدون ، المصدر نفسه ، ص ٣٣ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٨٠ ، ٠٠ ٠

ابن بسام ، المصدر نفسه ، ق ۱ ، ج ۲ ، ص ۹۹ ، ۱۰۲ ، ۱۰۳ ، ۱۰۲ ، ۱۰۲ ، ۱۰۲ ، ۱۰۲ ، ۱۰۲ ، ۱۰۲ ، ۲۳ ، السقارطي ، المصدر نفسه ، ص ۲۳ ، ۳۷ ،

الا بالموت أو بالفسرار منها الى ارض أخرى ، وما كان هذا كله ألا نتيجة لتلك العوامل وتلك السمات التى أتسم بها عصر ملوك الطوائف ، وهى سمات لا تنطوى الا على ضعف واضطراب سياسى واجتماعى واقتصادى ، شمل الأندلس من أدناها إلى أقصاما ، وبذلك فشل ملوك الطوائف في قيادة الصراع ضد نصارى الشمال ، وكانت نتيجة فشلهم هذا هو ضياع بريشتر وطليطلة وغير ذلك من المدن والحصون إلى الأبد ، وضياعهم هم أنفسهم بعد ذلك حينها قدم المرابطون عام ٢٧٩ ه وراوا بأعينهم مدى التفسخ الذى أصاب هذا النظام فقضوا عليه غير آسفين انقاذا للبلاد والاسلام من الضباع .

ثانيا س طروف أسبانيا النصرانية واحوالها المؤثرة في علاقتها بالأنداس الاسلامية في عصر ملوك الطوائف

شهد القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى انقلابا في ميزان القوى السياسي والمسكرى لصالح المالك النصرانيه في شمال اسبانيا ، وفي الفصل السابق وضحنا أحوال ممالك الطوائف في الأندلس وبينا عوامل الضعف التي جعلت تلك المالك تدفع الجزية لملوك الأسبان ، وتستعبن بهم في صراعها ضد بعضها البعض ، مما هيأ الفرصة لكن سيطر اسبانيا النصرانبة على الأندلس الاسلامية حتى وصول المرابطين عام ٧٩ هم / ١٠٨٦ م .

ولا بد أن أحوال ممالك أسبانيا النصرانية كانت تسمح لها بذلك النفوق ، ولا بد ن هناك عوامل أتاحت لها بلك السبطرة ، وأن من يلقى نظرة عابرة على خريطة أسبانيا النصرانية ، يظن أنها كانت ممالك منقسمة على نفسها ، وأن قشتالة وليون ونبرة وأرغونة كانت تتصارع فيما بينها طوال القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى ، لكن الواقع أن الوحدة كانت بجمعها طوال معظم ذلك القرن ، فملك قشتالة كان ينجح في المغالب في ضم ليون الى مملكته — وربما يحدث العكس وتضم ليون مملكة منسالة — ثم ببسط سلطانه على نبرة وأرغونة ، وبذلك أصبحت تلك الممالك الأربعة جبهة واحدة أمام ممالك الطوائف المبعددة المتطاحنة ، وكانت هناك مملكة قطلونبة (برشلونة) الفرنجية ، وكانت نتنافس أحيانا مع ملوك فشنالة لكنها كانت تسير في نفس الخط فيما يبعلق بالعلاقة مع ممالك الطوائف ، فالكل كان هدفه ضرب المسلمين واخراجهم من البلاد ، يتبين ذلك من دراستنا لأحوال ممالك أسبانيا النصرانبة ولعوامل القوة والضعف التي أثرت في علاقانها بمسلمي الأندلس .

(١) أحوال ممالك أسيانيا النصرانية:

١ __ مملكة قشتالة وليون:

کانت مملکة تشتالهٔ من قوی دول شمال اسبانیا النصرانیة فی نهایة القرن الرابع الهجری / العاشر المیلادی ، وکان یعیش فی بلاطها فی برغش شانجة (سانشو) ملك نبرة (نافار) 791 - 771 ه / 700 - 100 لأنه کان طفلا وکانت آمه من أصل تشتالی ، ولما کبر ملك نبرة زوجه شانجه غرسیه آمیر قشتالة می ابنته (البیرة) ، وعن طریق تلك المصاهرة ورث شمانجه ملك نبرة آمارة قشتالة بعد أن تم اغتیال آخر آمرائها غرسیة بن شمانجه بن غرسیة عام 700 - 700 ه / 700 - 700 م دون أن یترك وریثا للعرش ، وعین شمانجه الکبیر ملك نبرة ابنه غردیناند (غرناندو) حاکما لها واسبغ علیه لقب ملك ، فكان أول ملوك قشتالة (700 - 700 ه 700 - 700 م

وبذلك ولدت مملكة تئتالة ، نلك المملكة التى كان لها دور كبير فى الصراع مع الأندلس الاسسلامية ، لكنه لم بتهيأ لها هذا الدور الا بسبب قوتها وكفاحها مع جاراتها من ممالك أسبانيا النصرانية طلبا لوحدة الجبهة النصرانية ضد مسلمى الأندلس ، وكان أول عمل قام به فردبناند الأول ملك قشتالة هو ضم مملكة ليون بالقوة وتوحيد المملكتين في مملكة واحدة ، وكان فردبناند قد نزوج من أخت برمند (برمودو) الثالث آخر ملوك ليون وجليقية ، لعله بصل الى عرشها عن طربق هذه المصاهرة كما حدث مع قشستالة ، الا أنه لم يصبر حتى موت برمودو ، وقام على رأس قواته بمساعدة أبله شمانجه الكبير ملك نبرة ، وافعتحها وأعلن نفسه ملكا عليها ، وهر برمند التالث ينظر فرصة يعود فبها الى عرشمه (٢) .

⁽١) أشياخ ، تاريخ الأندلس ، ص ١١ ٠

⁽٢) عنان ، دول الطوائف ، ص ٣٧٧ ٠

انظر الفصل الثاني من الباب الثاني ،

⁽٣) عنان ، المصدر نفسه ، ص ٣٧٧ ، ٣٧٨ ٠

ولما توفى شانجه الكبير فى عام ٢٦٦ ه / ١٠٣٥ م ، استطاع برمنسد الثالث أن يسترد جزءا من أملاكه ، وأن يقيم فى بلاطه ، وثارت بينه وبين صهره فرديناند ملك قشىنالة الحرب ، واستمرت مدى عامين . ثم تم اللقاء الحاسم بينهما فى موقعة تامارون عام ٢٨٨ ه / ١٠٣٧ م ، وفيها لقى برمند مصرعه ، ونظرا لوفاته دون عقب ، فقد استولى فرديناند على مملكة لبون بحكم المصاهرة والوراثة ، وغدا ملكا فى قشىتاله ولبون الموحدة ، وانبهى بمقتل برمند الثالث انتهاء نسل ملوك ليون وجليقية الذين استمروا يحكمون تلك المملكة منذ أن قامت فى أوائل الترن النانى الهجرى / الثامن الميلادى (١)

وبذلك تمت أول وحدة فى الناريخ بمن مملكة تشتالة ومملكة ليون التى كانت نشمل أبضا جليقية وأشترس ، وصار الشمال الأسبانى فى منطقة الوسط والفرب تحت قيادة فرديناند . وكان هذا هو السر فى تلك السياسة الناجحة التى قادها ذلك الملك ضحد أعدائه من مسلمى الأندلس ، اذ أجرهم على دفع الجزية ، واستولى على كثر من مدنهم ، وتمكن بمساعدة التوى الصلسة الأخرى من اسقاط مدينة بريشتر التابعة لمملكة سرقسطة الاسلامية عام ٥٦) ه ، مما سنعرض له بالنصيل فبما بمد (°) .

وتد الر انساع مملكة تشتاله على هذا النحو المقدد في نفس غرسته ملك نبرة ، وحاول أن يفسزو أخاه فرديناند ملك تشنالة ولبون ، ولكنه هزم أيضا وقبل عام ٢٤٤ ه / ١٠٥٤ م ، وقام بنفس المحاولة أخوه راميرو ملك أرغونه ، لكنه هزم أيضا وقبل هو الآخر عام ٥٥٥ه / ١٠٦٣ م وهكذا استطاع فرديناند أن بظفر في جميع الحروب التي خاضها ضد أخويه من ملوك نبره وأرغونه ، وصار بذلك من أعظم ملوك أسبانيا النصرانية ، حتى أنه أتخدذ لقب « القيصر » كي نظهر أنه أصبيح سيدا الأستانيا كلها ، وحنى بمكن ون معارضة دعوى القيصر هنرى الثالث أمبراطور

Levermore, op. cit., 101.

⁽٤) عنان ، الصدر نفسه ، ص ٣٧٨ ٠

[•] ٣١٢ - ٣١٣ من ١٠ ، المرجع نفسه ، ص ٢٠ ، ٢١ ، عنان ، المرجع نفسه ، ص ٣١٣ من ١٠ المرجع نفسه ، ص ١٠٥٠, op. cit., p. 25 ' Livermone, op. cit., p. 103

الدولة الرومانية المقدسة في السيطرة على كل العالم المسيحى الفسربى الفلات تدخل في لعبسة اختيار بابا رومة ، قايد البابا اسكندر الثاني ضد منانسه هونريوس الثاني الذي كان يؤيده المبراطور الدولة الرومانيسة المتدسة (٦).

وبذلك لم تكتف مملكة قشتالة وليون بمد نفوذها على جاراتها من سمسالك أسبانيا النصرانية وممالك الطوائف الأندلسبة ، ولكن نفوذها تخطى حدود شبه الجزيرة حتى وصل الى مدينة رومة ، وصارت بذلك أعظم قوة بيحسب حسابها على أرض شسبه الجزيرة الأسبانية ، ومن التوى المعدودة في أوربا الغربية ، لكن فرديناند وقع في نفس الخطا الذى وقع فيه أبوه شانجه الكبير من قبل ، وعمل قبيل وفاته على تقسيم مملكته المترامية الأطراف بين أولاده الشالانة ، مما عرضها للضعف ولفترة من الحروب الأهلية (٧) .

فقد عقد فرديناند مجلس النبلاء والأساقفة عام ٥٦ ه / ١٠٦٤ م وفبه قرر بموافقتهم تقسيم الملكة على أن يخبص أكبر أولاده نسانجه بمملكة قشتالة وحق الجزية على مملكة سرقسطة ، ويخبص ادغنش (الفونش السادس فيما بعد) بمملكة ليون وانستريس وحق الجسزية على مملكة طليطلة ، واختص أصغرهم غرضيه باقليم جليقية والبرتفال في غرب ليون ، وحق الجزية على مملكتى اشبيلبة وبطليوس ، وأعطى فرديناند حق الاشراف على الأديرة في سائر المملكة لابنتيه أوراكه والبيره ، وخصت أوراكه ممدينة سمورة الحصينة وخصت البيرة بمدينة تورنو(^) .

وكانت تشتالة على هذا النحو اصغر في المساحة بكثير من مملكة ليون وأستريس ، كما كان نصيب أوراكه والبيرة أقل بكثير مما كان

۰ ۳۸۰ مثباخ ، الرحم تقسه ، ص ۲۱ ـ ۲۲ ، عنان ، الرحم بفسه ، ص ۳۸۰ الابحات ، الرحم تقسه ، ص ۳۸۰ الابحات ، الابحات ، الابحات ، الابحات ، ۱۵۲ الابحات ، ۱۸۳۰ الابحات ، ۱۸۳۱ ال

⁽٧) أشياح ، المرحم نعسه ، ص ٢٦ ، عنانَ ، المرحم لُقَسه ، من ٣٨٩ .

٠ ٣٨٩ ، المرجع نفسه ، عن ٢٣ ، عنان ، المرجع نفسه ، ص ٣٨٩ . Livermone, op. cit., p.: 103.

بيستجتانه، ومن شان هذه القسمة الجائرة ان تفضى الى الحرب الأهلية ، كما ان تلك القسمة فصلت مملكة ليون عن مملكة قشتالة ، وكان هدذا خطا سياسيا كبيرا من فريدناند ، وقد استمر الوئام الظاهرى بين الاخوة حتى مات أبوهم في العام السالي (٥٧) ه / ١٠٦٥ م) وحتى مات أمهم الملكة سانشا بعد ذلك بعامين آخرين ، ثم بدأت الحرب الأهلية بين الاخوة على نحو مريع (٩) .

وكان شانجة ملك قشتالة يضطرم سخطا لأنه وهو اكبر اخوته ، لم يضع يده على مملكة أبيه كلها ، وكان يرى أن الولايات والممالك التى المتص بها أخوته كما لو كانت قد أغتصبت منه شخصيا ، وصمم على مهاجمة مملكة ليون وضمها الى قشستاله بالقوة حتى تعود الوحدة ببن قشتالة وليون مرة أخرى ، ونشبت بينه وبين أخيه الفونش ملك ليون مرب ضروس ، خرب توديان ليون وقشتالة ، واستمرت ثلاثة أعوام ، التحم الفريقان النساءها في موقعتين دمويتين ، الأولى في بلاننادا Plantada في ليون (رمضان ١٦٠ه م / ١٨ يوليه ١٠٨٨ م) ، والثانية في جلبيارش أو جلبخرة (شوال ٢٦٠ ه / ١٥ يوليه ١٠٧١) ، وتكبد شانجه خلالها خسائر نادحة وهزم القشتاليون في المعركة الأخيرة وفروا تاركين خيامهم ، وأغضى الفونش ملك ليون عن مطاردتهم حقنا للدماء(١٠) .

ترك الفونش (الفونسو) جنوده يحتفلون بالنصر دون اتخاذ الحيطة والحذر ، ففوجئوا بهجوم شانجة من جديد حسب نصيحة قائده السيد القمبيطور ، واوقع بهم هزيمة ساحقة ، وتمكن من اسر الفونش نفسه ، فنزل لأخيه شانجه عن عرش ليون ، وذهب نقيم في ظلمات دير مساهاجون ، وهناك استطاعت اخته أوراكه الماكرة أن تدبر أمر فراره

⁽٩) أنسياح ، المرجع بنيسه ، يص ١١٤ ، ١٤٤ ع

⁽١٠) ابن الخطيب ، المصدر نفسه ، ح ٢ ، ص ٣٣٠ ، أشباخ ، المرجع نفسه ، ص ٢٠ ، و ١٧٦ ، الإسلام في المغرب والأندلس ، ص ١٧٥ ، ١٧٥ • الإسلام في المغرب والأندلس ، ص ١٧٥ ، ١٧٥ • المعرب في المغرب والأندلس ، ص ١٧٥ ، المعرب في المغرب والأندلس ، ص ١٧٥ ، المعرب في المغرب في المغرب والأندلس ، ص ١٧٥ ، المعرب في المعرب ف

مُلجِاً الى ابن ذى النون صاحب، مملكة طليطلة الاسلامية الذى استقبله بكل ترحاب وسرور ، واستضافه عنده حوالى ثمانية اشمر (١١) .

لم يقنع شانجه ملك قشتالة بما تم له من الاستيلاء على مملكة ليسون ، بل اراد ان ينزع أخاه الصغير غرسيه عن ملك جليقية والبرتغال منتهزا نرصة الصراع الذي كان ناشبا بينه وبين نبلاء جليقية بسبب طغيانه وسوء سيرة وزيره ، وما كاد شانجة يظهر على حدود جليقية حتى بادر الجميع الى لقائه والانضمام اليه ، ففر غرسيه وغاهر المملكة سرا الى اشبيلية حيث لجا الى ابن عباد في أواخر عام ١٠٧١ ، وهكذا تم لشانجة ملك قشمالة الاستيلاء على مملكتى أخويه الفونش وغرسيه وتوحدت قشمال فوليون وجليقبة تحت لوائه(١٠) ،

لم يبق خارجا عن سلطان نسانجه سوى مدينتى سمورة وتورو اللتين تحكمهما اختساه أوراكه والبيرة . وكان سُانجه يحقد على اخيه هاسي لعطفهما على أخيه المونس ولأنه كان يخشى دسائسهما ومساعيهما الخفية لاعادته الى عرشه ، فعول على الاسسيلاء على المدينتين ، وتمكن من الاستيلاء على قلعة تورو ، لكنه سقط قبيلا عند أسوار ملعة سمورة الحصينة على يد فارس طعنه بحربة وارداه قنيلا عام ١٠٧١ه / ١٠٧٢م ولم تكن هذه الجريمة بعيدة عن ندبير اخته أوراكه(١٠) .

ارتد جيش تشتالة عقب مقبل مليكه ، وبادرت أوراكه وأرسلت في الحال الى أخيها الفونش المنيم في طليطلة تنبئه بخلو العرش وبدعوه الى العودة تأسرع ما ممك ، وفي برغش اجتمع الأشراف وكبار رجال الدولة ، وواعقوا على بولى الفونش الحكم مكان أخيه ، على أن يقسم أنه برىء من دم أخيه ، وأنه لم يشترك بأى حال في ندبير منيله ، فنزل

⁽١١) اشداح ، المرجع نفسه ، ص ٢٤ ، عنَّان ، المرحم نفسه ، ص ٣٩٠ ٠

⁽١٢) اشماخ ، المرجع نفسه ، ص ٢٥ ، عبان المرجع نفسه ، ص ٣٩١ ، ٣٩١ ٠

[•] ٣٩٢ ، من المرجع نفسه ، ص ٢٥ ، ٢٦ ، عنان ، المرجع نفسه ، من ١٣٩ الكانوية ، من ١٣٩ لكانوية المرجع للمانوية ، من ١٣٩٨ لكانوية المرجع للمانوية المرجع للمانوية

"لفونش عند رغبتهم ٤ وقام الفارس ردريجوديات (السيد القبيطور) مقائد الملك للقتيل ومستشاره بتحليفه اليمين بنفسه(١٤) .

وهكذا عادت المهلكة الأسبانية الكبرى الى تماسكها ووحدتها ، كمسا كانت في عهد أبسه خرديناند ، وخاصة بعد ان استطاع أن يأسر عن طريق الفسدر والذيسانة أخاه الثالث غرسية ، الذي كان قد عاد الى ملكه في جليقية ، وزح بنه في حصن « لونا » في جمادي الثاني ٢٦٤ ه / فبراير 1.٧٢ ، حيث قضى هناك بتية عمره حتى توفي عام ٨١١ / ١٠٩٠ (١٠٠) .

وهكذا استطاع الفونش (الفونسو السادس) بالخيانة والجريمة والحرب ال سجمع الممالك الئلاث ، قشنالة ولنون وجلنقية بحت سلطانه ، واستطاع بعدد اعوام قلائل ان يضم الى مملكة الشاسعة بعض اراضى مملكة نبرة الواقعة على نهر ابرة ، ثم تفرغ بعدد ذلك لاستئناف حركة الاسترداد ومتال المسلمس ، وبوج جهاد نصارى الأسبان في هذا الميدان باستيلائه على مملكة طليطلة أول صفر ٧٨ ه / ١٠٨٥ م ، رغم الصداقة والكرم الذى أدداه صاحبها الفادر بن ذى النول لذلك الملك الفادر ، حينها لجا الله نرارا من بطش اخيه شاذجه كما سيق القول. وحقق الفونش بذلك حلم النسارى في استرداد عاصمتهم التديمه واصبح نصف شبه الجزيرة في الديهم ، وصار تفوق اسبانيا النصرانية السياسي والعسكرى على الأندلس الاسلامية أمرا ثابتا ومطرد! منذ ذلك الحن ، والخدذ هذا اللك على التوليد المهراطور(۱۰) .

⁽۱٤) ابن عـذارى ، المصدر نقسه ، ج ٤ ، ص ٢٥١ ، ابن الخطيب ، المصدر نقسه ، ج ٢ ، ص ٣٣٠ ٠

اشباخ ، المرجع نفسه ، ص ٣٦ ، برفنسال ، المرحع نفسه ، ص ١٧٧ - ١٧٨ · عنان ، المرحع نفسه ، ص ٢٩٢ ، ٣٩٤ ·

Livermore, op. cit., p. 106.

⁽۱۵) ابن عـذاری ، المصدر نفسه ، ح ٤ ، ص ٥١ ، ٥٢ ، أشعاخ ، الرجع نفسه ، ص ٢٦ ، عدان ، الرحع نفسه ، ص ٣٩٤ ٠

⁽١٦) ابن الخطيب ، المصدر نفسه ، ح ٢ ، ص ٣٣٠ ، القلقشندي ، صبع الأعثى ، ١٨٠ • ١٨٢ ، ابن خليون ، العبر ، ج ٤ ، ص ١٨٢ ، ابن خليون ، العبر ، ج ٤ ، ص ١٨٢ للعبر ، ج ٥ ، ص ٢٦٧ ، ابن خليون ، العبر ، ج ٤ ، ص ١٨٢ للعبر ، ج ٥ ، ص ١٨٢ ، ابن خليون ، العبر ، ج ٤ ، ص ١٨٢ للعبر ، ج ٥ ، ص

وهكذانرى ان الاسرة النافاريه القشتائية حكمت سُمال اسبانيا كله ، وادارت الصراع ضند المسلمين بنجاح بعدد ان حققت وحدة الجبهة النصرانيه ، ولم يكن ما قام ببن أفراد بلك الأسرة من صراع على العرس مستمرا ودا طبيعه عنصريه او قبله كها كان عند ملوك الطوائف ، فكساد يضفى بمجرد سبطرة اقوى المصارعين ، وعادت الوحدة والقوة والرغبه في قيال المسلمين بأنيد وأعنم ما يكون ، وكانت مملكه فنساله ولينون المحدة هي حجر الزاويه سواء في الدعوة الى الوحدة او في قتال المسلمين ،

٢ ــ مملكة نيرة (نامار) :

کانت مملکة نبرة من اکبر الممالك النصرانیة فی شمال اسبائیا مسعة ،

اذ کانت بشمل مضلا عن الوطن الأصلی نبرة ، ولابات کنبربة وسوبراب

obrarba

obrarba

obrarba

الخامس الهجری / الحادی عشر المیلادی ، شانجة (سانشو) الثالث اللقب بالکبیر (۳۹۱ – ۲۲)ه / ۱۰۰۰ – ۱۰۳۵ م) ، وقد استطاع هذا الملك ان یسبط سلطانه علی اسبانیا النصرانیة کلها عدا امارة برشلونة المی کانت نقع فی اغمی الشمال النبرةی ، والتی یسیطر علیها آل برنجیر النابعین اسمیا الموك الفرنجیة فی فرنسا .

وكان شانجه الكبير قبيل وفائه عام ٢٦١ه / ١٠٣٥ م قد قسم المملكة بين أننائه الأربعة ، فخص أكبر أولاده غرسته بالوطن الأصلى نيرة ، وخص فردبناند بقنستالة وضم البه ليون وجليقية بالقوة حسيما راينا من قبل ، وخص ولده غير الشرعى راميرو برقعة ضبقة تمسد بحداء غبرة من مات شيزروا جنوبا ، وتشمل أعالى حوض أبره ، وتسمى بمملكة أرغونة ، وهي مملكة تظهر للوحود لأول مرة وسيكون لها نيأن عظيم فيمنا بعد ، وخص ولده الرابع كونزالو بمنطقة صغيرة أخرى في أواسطا أقليم البرنات وهي ولايه سوبراب وباجورسة(١٠٠) .

(٩٧) اشداخ ، المرجع تنسه ، ص ١٢ ، عنَّان ، المزجم ننسه ، ص ٣٨٨٠ •

وبهذه القسمة الجائرة بدات سلسلة من الحروب الأهلية بين الإخوة الأربعة . وكان غرسيه ملك نبرة يضطرم حسدا وحقدا لرؤية اخيه الأصغر فرديناند يفوز بمملكة قشتالة وليون وجليقية الشاسعة ويطمح الى امتكلاكها او امتلاك جزء منها ، وعول فى ذلك على الفتك والمغدر بأخيه ليرقى عرش اسبانيا النصرانية كلها ويوحدها كما فعل ابوه شانجة الكبير من قبل . وكانت الوحدة هى الضمان انوحيد لاستمرار ممالك اسبانيا النصرانية فى الكناح ضد مسلمى الأندلس ، خاصة وأن ممالك الطوائف كان الصراع قد بدأ فيها بينها ، وبدأت مظاهر انهيارها تبدو واضحة فى الشمال الثلاثة نبرة وقشتالة وليون تحت سلطانه ، حتى يحقق حلم آبائه واجداده فى السيطرة على كل شبه الجزيرة .

وبدا شانجة ملك نبرة بمحاولة الفدر بأخيه فرديناند ملك قشتالة وليون ، وأوعز اليه أنه مريض وأنه على فراش الموت وبود رؤيته ، لكن فرديناند اكبشف الحيلة وصمم على الانتقام من أخيه الذي نسى روابط الدم وحقوق الضيافة ، ولم يفطن غرسيه الى أن أخاه قد وقف على مؤامرته ، فلما دعاه فرديناند لزيارته بعد ذلك بأعوام قلائل ، ووصل غرسية الى أرض قشتالة ، نم اعتقاله وأسره ، لكنه استطاع الفرار وعاد الى نبره ، وتحالف مع أخيه راميرو ملك أرغونة ، وزحف المقاتلة فرديناند مرة أخرى ، ووصل داخل قشتالة الى أباريوركا المحالة ، حيث دارت رحى يقع على مقربة من شرقى برغش عاصمة قشاتالة ، حيث دارت رحى معركة أننهت بمقدل غرسية عام ٢٤٤ه / ١٠٥٤ م (١٠) .

ونتیجهٔ لهذه الهزیمهٔ استولی فردیناند علی بعض النواحی الواقعهٔ علی ضغهٔ نهر آبری الیمنی فی منطقهٔ ریوخهٔ Riola وبوریا Bureba لکنه آبقی علی مملکهٔ نبرهٔ واعترف بابن اخیه شانجهٔ بن غرسیه ملکا علیها باسم شابجه الرابع (۲۶۱ – ۲۲۸ ه / ۱۰۵۲ – ۱۰۷۱ م) ، واعلن

۰ ۲۸۰ مناخ ۱ الرجع نفسه ، ص ۱۷ ، ۱۷ ، عبان ۱ الملاحج نفسه ، ص ۱۸۰) Livremore, op. cit., p. 101.

الملك الجديد الطاعة لعصه الظافر ، ثم لم يلبث ان عقد حلف مع عصه ردمير (راميرو) ملك ارغونه في عام ٢٤٩ه / ١٠٥٧م ، خوفا على مملكته من الطماع عهه فرديناند ، وان كان هذا الحلف موجها في الظاهر خسد مسلمي الأندلس ، واستطاع شانجه الرابع أن يستفيد من الصراع بين عميه ردمير وفرديناند في الابقاء على مملكته (نبرة) ، رغم ما ابداه فرديناند من محاولة السيطرة على لقب «القيصر» للدلالة على سيادته على جهيع اسبانيا النصرانية(١٩٠) .

م تعرض شاذجة الرابع ملك نبرة مرة اخرى الى اطماع ابن عمله شانجة ، الذى خلف اباه فرديناند في حكم قنسالة عقب وفاله عام ٥٩٩ ه / ١٠٦٧ م . وكان ملك قنستالة الجديديرى أن يأخذ مكانة والده ، وأن يصير أمبراطورا لكل أسبانيا النصرانية حتى تتاح له فرصة المساهمة في الكفاح ضد ممالك الاندلس المتناحرة . وراى هذا الملك أن ببدأ بابني عميه شانجة الرابع ملك نبرة ، وتسانجة الأول ملك أرغونة . فنصالف هذا الملكان ضده وهزماه في موقعة فيانا عام ٥٩٤ه / ١٠٦٧م ، واضطر ملك قشتالة أن يوجه اطماعه شطر مملكة ليون حسبما تقدم ، وبذلك نجت نبرة من أمطاعه (٢) .

اسنمر شانجة الرابع ملكا على نبرة اثنين وعشرين عاما . وفي عهده توطد مركز الملكة بين جاراتها ، واقر المعدر بن هود ملكا لسرقسطة وان يدفع له الجزية في عام ٦٦ ه / ١٠٦٩م ولم يمض على ذلك بضعة اعوام حتى قتل شانجه الرابع عام ٦٨ ه / ١٠٧٦م في كهبن غادر دبره له أخدوه ريموند واخته ارمزندة ، أسوة بما فعله الفونش السادس واخته أوراكه بأحيهما شانجه ملك قشتالة . وغضب النسمب لهذه الجريهة وقرر حرمان ذلك القالم من مولى عرش نبرة ، واسمدعى شانجه راميرز ملك الرغونة لمعتلى المعرش بدلا منه (١٠) .

⁽١٩) أشباخ ، المرجع نفسه ، ص ١٨ ـ ٢٢ ، عنَّال ، المرجع نَفسه ، ص ١٨١ .٠

⁽٢٠) أشباخ ، المرجع نفسه ، ص ٢٤ ، عنان ، المرحع بفسه ، ص ٣٨٩ .

به دروس ۱۰ الرجع نفسه ، ص ۲۷ ، عنان ، الرجع نفسه ، ص ۲۰۵ . Livermore, op. cit., p. 156.

ونتيجة لذلك استغاث ريموند بالملك الفونس السادس ملك تشتالة وليون كى بعينه على نولى عرش نبرة . فسار الفونس الى نبرة من باحيتها الفربيه ، وسار اليها شانجة راميرز من ناحينها الشرقية ، وتفاهم الملكان على اقتسامها وحرمان القاتل وكذلك ولدى القتيل من تولى العرش . واستولى الفونس على القسم المحاذى لنهر ابره المشتمل على ولايتى ربوبا وبسكوينا ، واستولى تمانجة راميرز على الجزء الواقع في منطقة البرنات ، وفيه العاصمة بنبلونة ، وفر ربوند القابل الى أمير سرقسطة حيث قضى هناك بقيام عمره في غمرة النسيان(٢٠) .

وبدلك اختفت مملكة نبرة المستقلة الى حين بعد ان استطاعت أن تنود عن استقلالها خدد اطماع ليون وقشتالة عصورا باصرار وبسالة ولم تؤد دورها في الصراع ضد ممالك الأندلس في تلك الفترة كما ينبغى بسبب المنافسة التي نشبت بينهما وبين مملكة قشتالة على نبوا مركز القيادة والزعامة لكل أنحاء أسبانيا النصرانية ، وادى اختفاؤهما في الوقت نفسه الى نمو مملكة أرغونة والساع رقعتها اتساعا كبيرا ، مما مكنها ممن أن تسقط مملكة سرتسطة الاسلامية ، وأن تلعب دورها العظيم في توحيد الجبها النصرانية ، وقيادة الكفاح ضد مسلمي الأندلس(٢٠)

۳ _ مملكـة أرغونة Aragon :(١٤):

ظهرت ملك الملكة لأول مرة كما اشرنا من قبل نتيجة لنقسيم الممكة الذي قام به شانجه الكبير على أولاده عام ٢٦٦ه / ١٠٣٥م وكانت نلك

⁽۲۲) اشباخ ، المرجع تَفسه ، ص ۲۷ ، عنان ، المرجع نفسه ، ص ۲۰۱ . (۲۳) ابن الخطيب ، المصدر نفسه ، ح ۲ ، ص ۳۷۷ ، عنان ، المرجع نفسه م

ر٢٣) ابن الخطيب ، المصدر نفسه ، ح ١ ، ص ١٧٧ ، عال ، الرجع نفسه يو ص ٢٠٦ .

⁽٢٤) كليب، Aragon عربها العرب على وجهين ، الأول (ارحبون) ، والثانى (ارعبون) ، والثانى (ارعبون) الأول (ارحبون) ، والثانى المحرد الرعبون الدولة وبين مدينة ارحبوبة المحرد التثنيات الألفظي ، فإن ارحبونة بليد ناحبة جيان بالأبدلس اى في البصف الجبوبي من استانيا ، أما أرغبونة معى اقتبى البصف المشمالين منها ، اد تبصل حدودها الشمالية سجبال المدرايس من عير ماصل ، وأرعبوبة في الأصل اسم نهر يتحدد من بلك الحبال ويصب في نهر ابره ،

المملكة الصغيرة من نصيب ابنه غير الشرعى ردمير (راميرو) (٢٦١ -- ٤٥١ هـ/ ١٠٣٥ هـ/ ١٠٣٥ مـ ١٠٣٥ هـ/ ١٠٣٥ مـ ١٠٣٥ مـ مملكة ارغونة باتحادها؛ مع مملكة او امارة سوبراب الصغيرة بعدد اغتيال ملكها كونزالو في كمين. دبره احد اتباعه عام ٢٦٩ه / ١٠٣٨م ، واختار اهلها ملك ارغونة ليخلفه في حكم المملكة ، وبذلك صارت سوبراب وارغونة مملكة واحدة ، فزادت قوتها ، ولم يعارض نلك الوحدة احد من اخوة راميرو ، اذ كانوا مشغولين بتنظيم شئون ممالكهم(٢٠) .

ولم يقنع ردمير ملك أرغونة بالاستيلاء على ولابة سوبراب ، بل اخذ يطمح الى الاستيلاء على مملكة نبرة نفسها وتحالف مع ابن هود ملك سرقسطة لكن يمده ببعض قسوانه ، وزحف ردمير الى نبرة واقتحم حدودها فجأة ، ولكن قلعة نافالا اعترضت سيره المظفر ، وانقض عليه أخوه غرسية بجيشه فجأة ، فانهزم جيش أرغونة ولم يتهكن ردمير من الخالص الا بصعوبة ، وفر ناجيا بنفسه ، وأبيد معظم جيشه عام الذكلاس الا بصعوبة ، وفر ناجيا بنفسه ، وأبيد معظم جيشه عام الأرجح (٢٦) .

ونتيجة لهذه المعركة الخاسرة فقد ردمير معظم مملكته ، واضطر الى ان للجا الى شعب الجبال الوعوة فى رباجورسة وسوبراب ، وقضى هناك بضعة اعوام فى تنظيم شئونه والنهوض من عثرته ، وانشأ جيشا جديدا اسنطاع به ان يسترد كل اراضيه ، وتحالف بعد ذلك فى عام ٢٤٦ه / ١٠٥٤ م مع أخيه وعدوه القديم غرسية ملك نبرة حينها

هسمى وادبه الأعلى باسمه الذي سرى هيما بعد على الأراضى الفسيحة والولايات الكبيرة التي انضمت الى مدذا الوادى ، وتالفت منها مملكة ارغونة وامتدت من حدال البرانس شمالا الى جبال كونكة للعامد منال على مناسبه شرقا ، عير أدبا لم تلدت على مر الأحيال. أن تجزأت الى ولايات ومقاطعات ، نذكر منها مقاطعة وشقة ومقاطعة سرقسطة وغيرهما ، انظر ، دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد المثالث ، ص ٣٧ .

⁽٢٥) أشداخ ، المرجع بنسبه ، ص ١٣٠٠

عدان ، المرجع مفسنة ، ص ۲۷۸ ، ۲۷۹ .

⁽٢٦) أشماخ ، الرجع نفسه ، ص ١٤ -

عنان ، الرجع نفسه ، ص ۲۷۹ .

ساءت العلاقات ببن غرسية هذا واخبه فريدناند ملك قشتالة ولبون وانضم للطيفين ابن هود ملك سرقسطة ، لكنهم هزهوا قرب برغش ، وقبل غرسية ملك نبرة عام ١٩٨٨ه / ١٠٧٦ م(٢٠) .

لم ينس ردمير هزيمته المام اخيه فرددناند ملك قشتالة ، وصمم على .
الانتقام منه ، وتحالف مع ابن اخيه الذى حل محل ابيه في حكم نبرة ،
ونظرا لخريه من اردياد قوة فرديناند ، فقد عقد مؤسرا في مدينة جاقة عام ٥٣٥ه / ١٠٦٠م ووضع نفسه تحت حماية بابا رومة ، ثم بدا التحرثس بأخمه وانتهر فرصه غمابه لغزو انسلية ، وسار لمهاجمة حلفائه من المسلمين الذبن كانوا دفعون له الجزيه ، فارسل فردناند جبشا قشتاليا زحف على قلعه جرادوس التي كان يحاصرها الأرغونيين ، ونشبت بهن الفريقين معركة على مقربة من نلك القلعه ، انتهت بهزيمة ردمير ومقبله عام ٥٥٥ه / ١٠٦٠م ، فيولى ابنه شانحة عرش أرغونة (٥٥٠ – ١٨٨) هم المناورة شعبه أن يحمى حدود مملكته ضد النصاري والمسلمين على السواء(١٠٠٠) .

ونبيجة لتطور الصراع بين مملكه نبرة ومملكة قشمالة وليون حسبها تفسدم ، اسمطاعت مملكة أرغونه أن نزيد من مساحتها وقويها ، واستولت على اجزاء من نبره حينها تم اقتسابها بينها وبين مملكة قشمتالة ، فاتسعت مساحه ارغونه وبدات بلعب دورها الباريحى في بلك المنطقة ، وقسدر لابن شانجه وهو المويش الأرغوني المعسروف باغونش المحارب ، أن ينزوج من أوراحه ، بيه الفونش السادس ملك قنسناله وليون ، وأن يرث بلك الممالك الواسعة بسبب هذه المصاهرة ، وبذلك تمكن من أن بحكم سائر المسالك الأسبانية وبوحدها بحت لوائه ، ويغدو من أعظم ملوك اسبانيا النصرانيه (٢٩) .

⁽٢٧) اشداح ، المرجع نفسه ، ص ١٧ ، عنان ، المرحم نفسه ، ص ٣٨٠ ، ٣٨١ ،

⁽۲۸) أشباخ ، المرجع نفسه ، ص ۱۸ - ۲۰ •

⁽٢٩) ابن الخطيب ، المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٣٧٧ ، عبان ، الرجع نفسه ، ص ٤٠٦ --

لكن هذا الصراع الذي نشب بين مملكة ارغونة منذ نشاتها عام ٢٦٩ه «١٠٣٥ م ، وبين مملكة نبرة ومملكة قشتاله وليون ، لا شك انه لم يمكنها من أن تلعب دورا مؤثرا ضد ممالك الطوائف الأندلسية ، وهذا ما يفسر سر التحالف الذي تم أحيانا ببن أرغونة وبين سرقسطة ، كما يفسر سر بقاء سرقسطة رغم ستوط معظم الممالك الاسلامية المحيطة بها في يد نصارى قشتالة وليون .

ومع هذا لم تنس مملكة ارغونة دورها كقوة نصرانية ضد مسلمى الأندلس بوجه عام ، اذ انها اشتركت مع تشنالة وليون وسائر المالك النصرانية في موقعة الزلاقة ضد مسلمى الأندلس والمرابطين معا عام ٢٧٩ه/ ١٠٨٦ م ، وهذا معناه ان الصراع بين افراد الأسرة النافارية التشتالية على السلطان في مختلف ممالك اسبانيا النصرانية لم بكن عائقا للكفاح ضد مسلمى الأندلس كما اشرنا من قبل ، اذ ان هذا الصراع كان لا يليث ان ينتهى وتستقر الأمور ، وتعود الوحدة ، وتعود معها القوة والرغبة في استئناف حركة الاسترداد من جديد .

هذا هو السر في انتصار نصاري الشمال على مسلمي الأندلس وسقوط بريشتر في أيديهم وفي أيدي القوى الصلبية الأخرى عام ٥٦ هـ / ١٠٩٥ م. ثم سقوط طلبطلة بعد ذلك في أيديهم عام ٧٨ هـ / ١٠٨٥ م. أذ أن نصاري الشمال كانت تسودهم وحدة الصف في تلك الأثناء . وكان من حسن حظ الأندلس الاسلامية وقدوع الفلانات بين ملوك أسبانيا النصرانية بعض الوقت خلال القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، عقب وفاة شانجة الكبر عام ٢٦ هـ / ١٠٦٥ م ، وفريدناند عام ٥٨ هـ / ١٠٦٥ م، وقيام الصراع بين أولاد كل منهما على السلطان .

وقد أطال ذلك الدراع عمر ممالك الطوائف واعطاها الفرصية الله للناه للفاهر فيما ببنهما ، ولبس للوصدة والتنائن كما كان بفعل ملوك السبانيا النصرانية ، وبذلك لم يستقد ملوك الطوائف مما ومع ببن ملوك السبانيا النصرانية من نزاع ، وكان ملوك الأسبان هؤلاء ، اذكى منهم بكثير أذ أنهم كانوا يتقاتلون فيما بينهم حتى ينتصر القواهم نم لا يبلثون جميعا أن

يسخروا تواهم لضرب المسلمين وتشتيت قواهم واستنزاف اموالهم والسيطرة، على بلادهم .

إمارة برشاونة : (قطاونية) :

كان يحكم هذه الامارة آل بوريل في اوائل القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر المبلادى وبدو انه كان هناك تنافس بين برشلونة وبين تشتالة وليون على السيادة والسيطرة على مسلمى الأندلس ، اذ أن كلا منها كانت تساعد نريقا من المسلمين المتنازعين على الخالفة الأموية في ذلك الوقت ضد الآخر ، ولم يمنع هذا التنافس من أن تكون أمارة برشلونة (قطلونية) عونا لأسبانيا النصرانية في صراعها ضد مسلمى الأندلس ، وخاصة في عهد أميرها الكونت برنجار رامور الأول (٢٠١) - ١٠٣٠ه / ١٠٣٠ م) وابنه رامون برنجار (٢٧) - ٢٦٩ه / ١٠٣٠ م) وابنه رامون برنجار (٢٧) - ٢٩٤ه / ١٠٣٠ م) وابنه رامون برنجار (٢٧) - ٢٠١٠٠ م) وابنه رامون برنجار (٢٧) - ٢٠١٥ م) وابنه رامون برنجار ورامون برنون برنجار ورامون برنجار ورامون برنون برنون برنون ورامون برنون برنون برنون برنون

وقد استطاع رامون (ربموند) أن يزبد من قوة أمارته ، بأن ضم السها ولامه أرقله وولاية سرطانية ، ثم ولاية قرقشونة الواقعة في الناحية الأخرى من جبال الدرنات (البرانس) عام ٥٩٨ه / ١٠٦٧م ، وكان لضم هذا الجزء الهام من أراضى أقلم لانجدوك الفرنسي الى قطلونية نتيجة هامة ، وهي أعادة الصلة بين فرنسا وقطلونية بعد أن انقطعت منسذ استقلال قطلونية ، والتمهيد بذلك لنزوح الفرسان الفرنسيين المفامرين الذين تحدوهم روح صليبة إلى استبانبا ، والالتحاق بالجيوش النصرانية هناك لمتابلة المعلمين (١٠٠٠) ،

وقام رامون انضا بعدة اصلاحات جعلت قطلونية مثالا بحتذى في شمال اسبانيا النصراني ، اذ أنه عقد مجلسا من النبلاء في برشلونة عام

⁽٣٠) ابن خلدون ، العبر ، ج ٤ ، ص ٥٨٦ ٤

عدان ، المرجع دفسه ،ص ٤٠٧ ، أشساخ ، المرجع نفسه ، ص ٢٨ .

⁽٣١) أشياخ ، المرجع نفسه ، ص ٢٨ ، ٢٩ كا

عنان ، المرجع نفسه ، ص ٤٠١٧ ع

العياة الداخلية ، يسمى ه بعرف برشلونة ، Usages de Barcalona ، بعرف برشلونة ، الحياة الداخلية ، يسمى ه بعرف برشلونة ، ليطبق الى جانب القانون القوطى . كما عقد مجلسا آخر اقر فيه عدة قرارات لصالح الكنيسة وصالح الفلاحين وحماينهم من ظلم الأقوياء ، ولم يلبث رامون أن توفى وخلفه ولداه برنجار الثانى وريموند الثانى في حكم الامارة معا ، وفقا لوصيته . ولكن الخالف ما لبث أن ننسب بينهما ، وانتهى الأمر بالانفاق على أن يتسمى كل منهما بكونت برشاونة وأن يتناربا الحكم كل شتة أشهر . لكنه في عام ٧٥٤ ه / ١٠٨٢ م قدل ربموند الثانى غيلة ، وحكم أخوه برنجار الامارة منفردا ، بالأصابة عن نفسه ، وبصفيه وصيا على أن أخيه القاصر (١٠) .

وقد لعب امراء برشلونة في ذلك الوقت الدور الذي لعبه معظم ماوك اسبانيا النصرانية في ضرب المسلمين بعضهم ببعض ، وفي مساعدتهم ضد اعدائهم من نصارى الشمال ، وذلك في مجال المانسة الذي كان قائما ببن برشلونة وغيرها من مسالك اسبانيا النصرانيه ، ولكن برنجار امير برشلونة ايمانا منه بمعركة النصارى الكبرى ضد المسلمين ، اشترك مع قوات الفونس السادس في موقعة الزلاقة عام ٢٩١ه / ١٠٨٦م ، الى جانب ملوك النصارى الآخرين في اسبانيا ، لأن انجميع كانوا بؤمنون بأنهم ياللون في معركة صلبية عامة (١٠٨٠) .

استمر الكونت برنجار الثانى أو (برنجر) فى حكم امارة برشلونة حتى عام ١٠٩٥ه / ١٠٩٢م ، ثم ترك الحكم لابن اخيه الفنى ريموند الثالث (١٠٥٠ – ١٠٩٥ه / ١٠٩١ – ١٠٣١م) وسافر حاجا الى المنسرق ، وحكم هذا الفتى نحت حماية الفونش السادس ملك قشتالة وليون ، وتزوح من ابنا السادس القمبيطور وكان يلتب بالبرشلوني وابدى في محاربه مسلمي الأندلس والمرابطين مهارة فائقة ، خلدت اسمه في التاريخ(٢٠) .

⁽٣٢) السباخ ، الرجع تفسه ، ص ٢٩ ، عنان ، الرجع نفسه ، ص ٤٠٨٠ ٠

⁽٣٣) أشباخ ، المرجم نفسه ، ص ١٤٤ ، عنان ، المرجم نفسه ، ص ٤٠٨ ٠

⁽٣٤) نعس الرجعين السابقين ونفس الصفحات ٠

وهكذا يتبي لنا انه في الوقت الذي كانت الممالك الاسسلامية ، في الأندلس غارقة حتى اذنيها في بحار الخلافات والأحقاد والحروب كانت الممالك النصرانية في الشمال الأسسباني نتجاوز كل خلافانها باستثناء بعض الحروب الأسرية بسبب النزاع على العرش ، ثم لا تلبث أن توحد قواها وتلم شعنها لتحقيق الهدف الأكبر ، وهو طرد المسلمين من الجزبرة .

عب ـ عوامل القوة والضعف:

يتضح لنا من هذا العرض السريع لأحوال ممالك اسبانيا النصرانية ان هناك عوامل قوة وعوامل ضعف اثرت كل منها في موقفها من ممالك الطوائف وعلى علاقاتها بهذه الممالك . وكانت عوامل الضعف هي ما اشرنا اليه من صراع ملوك اسبانيا النصرانية فيما بينهم على السلطان ، لكن مسلمي الأندلس لم يسنفيدوا من هذا الصراع كما سبق القول بسبب التناحر فيما ببنهم ، وضعفهم واستعانتهم بنصاري الشمال لمقائلة بعضهم المعض ، وبذلك ضاعت على المسلمين فرصة كان يمكن أن بنهزوها ليوحدوا جبهتهم وسدردوا ما فقدوه ، لكنهم للأسف لم يفعلوا .

أما عوامل القوة في ممالك اسبانيا النصرانية فكانت اكثر فعالية وابقى دواما واستمرارا من عوامل الضعف ، وهيات لنصارى الشمال الفرصة لفرض سيطرتهم على نبه الجزيرة كلها ، حتى قدوم المرابطين عام ٧٩ ه / ١٠٨٦ م ، وهذه العوامل نكمن في ازدياد قوة الملكية ، وضعف طبقة النبلاء ، ودور الكنيسة الأسبانية والبابوية في اذكاء الحروب الصليبية على ارض شبه الجزيرة .

١ س ازدياد قوة الملكية:

نبع ازدياد قوة الملكية في القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى من أن ممالك أسبانيا النصرانية أصبحت تحكمها أسرة واحدة هي المسرة شانجة الكبير ملك نبرة الذي توفي عام ٢٦٦ هـ / ١٠٣٥ م ٤٠ بينما كانت

تلك الممالك في القرن الرابع تحكمها ثلاث اسرات منفصلة ، واحدة في نبرة » والثانية في قشتالة ، والثالثة في ليون ، بالاضاعة الى برشلونة التي كان يحكمها آل برنجار من قبل ملوك فرنسا . وراينا أن هذه الاسرات كانت تعيش في حالة من الصراع والتناحر ، فكانت قشتالة تصارع جارتيها نبرة وليون حتى تفوز باستقلالها عنهما ، مما مكن الخلافة الأموية طوال القرن الرابع الهجرى / العاشر المالادى من الضغط بعنف على ممالك الشمال النصرانية واجبارها على الاستسلام ودفع الجزية .

الها في هذا القرن (الخامس الهجرى / الحادى عتر الميلادى) فقد حكمت تلك المالك ، اسرة واحدة من اصل ناغارى قشتالى ، استطاعت ان توحد ممالك الشمال ونخضعبا لسيدلرتها وتقود الكفاح ضد دول الطوائف المنهالكة بعنف وشراسة بالغة ، حتى اخضعتها وأجبرتها على دفع الجزية ، وانقلب ميزان القوة كما قلنا لصالح اسبانيا النصرانبة ، وكانت وحدة الجبهة الصرانية مسنمرة معظم ذلك انقرن تحت حكم اشهم ملوك هذه الأسرة النافارية ، مثل شانجة الكبير (١٩١١-٢١) ه. / ١٠٠٠-١٠٥ م) ملك نبرة ، الذي اسنطاع أن يوحد نبرة وتشتالة ، ويخضع ليون لسلطانه عن طريق المصاهرة ، ومثل ابنه فرديناند (٢١٦-٧٥) ه/ ١٠٦٥-١٠١ م) الذي استطاع أن يوحد ببن قشالة وليون وجليقية ، وأن بخضع نبرة وارغونة لسلطانه بعد نترة من الحروب الأهلية ، وقام الفونش بن فرديناند (٧٥٤-٢٠٠ ه / ١٠٠٥-١٠١ م) بنفس العمل واعاد الوحدة الى الملكة كما سبق القول بعد فترة من الحروب الأهلية ايضا .

هذا في الوقت الذي كانت تحكم الأندلس الاسلامية سعت وعشرون. اسرة ، ابرزها اسرة بني عباد في اشبيلية وبني ذي النون في طلبطلة ، وبني هود في سرقسطة وبني الأفطس في بطنيوس ، وبني حمود في مالقة ، وبني زيرى في غرناطة ، وكان أكثر تلك الأسر التي تعرضت لضغط مملكة اسبانيا النصرانية ، هي التي تحكم مناطق الثغيور في بطلبوس وطليطلة وسرقسطة ، بحكم اشتراكها في الحدود مع نصارى الشمال ، وكانت هذه المالك الثلاث تتنافس للأسف ندما بينها ولا تنواني عن القتال ضد بعضها البعض وتستعين في ذلك بنصارى الشمال ، حتى ضعفت واصبحت تمد لهم البعض ويدا أخرى تحمل الجزية .

وليس معنى ذلك أن أسرة شانجة الكبير وأولاده وأحفاده الذين حكموا الممالك الأسبانية طوال ذلك القرن لم تقع بينهم خلافات أو حروب ، فقد شهد هذا العصر حروبا دموية نشبت بينهم لا تقل في عنفها عما كان موجودا بين ملوك الطوائف ، واستخدمت فبها شتى الأساليب وأحط الوسائل ، من تآمر، وخداع وغش وقتل ونفى واعتقال وحروب ، ويكفى أن ثلاثة من أولاد شانجة الكبير الأربعة سقطوا صرعى في حروبهم ضد بعضهم البعض ، بينما ابنه الرابع فرديناند الذى أعاد الوحدة الى الملكة تنازع أولاده الثلاثة أيضا بعد وفاته ، فقتل أحدهم وسجن الثاني حتى مات وهو يرسف في أغلاله .

وهذا دليل واضح على حدة الصراع بين ابناء الأسرة الواحدة ، وهم في ذلك لا يختلفون كثيرا عن ملوك الطوائف في صراعهم واحقدهم ، لكن صراعات هؤلاء النصارى كانت صراعات أسرية ، معظمها ان لم تكن كلها بسبب النزاع على العرش والسلطان ، لأن هذا الأخ اخذ مملكة اكبر من اخيه ، ولأن ذلك اكبر سنا من أخبه وكان يستحق أن تكون له معظم المملكة . فكانت نشب الحرب ببن الاخوة بسبب ذلك ، لكنها لا تلبث أن تنتهى بهزيمة أحد الطرفين واستسلامه لأخيه ودخوله في طاعته أو بقتله أو بنفيه . وعلى أى الحالات كانت السكينه تعود الى البلاد ، ونعود معها الوحدة وتعود معها القوة والرغبة في اسعئناف حركة الاسترداد من جديد .

اما فى دول الطوائف فكانت الحروب مستمرة فيما بينهم ولم يكن هناك من يعمل لتوحيد الصف الاسلامى ، وانطلقت دعوة خافتة من بنى حمود العلويين وبنى جهور لاعادة الوحدة ببن هذا الشتات من دول الطوائف ، لكنها لم تؤد الى نتيجة ، ولم يكلف امراء المسلمين انفسهم مشقة الاستماع لها ، وقال قائلهم « أحق الناس بالملك من استقل به » (3) .

كان نصارى الشمال يحاربون بعضهم حتى يحققوا الوحدة لبلادهم كويقضوا على مظاهر الانفصال الذى كان بوقعهم فيه نظام وراثة العرش الذى كان دازم الملك بتقسيم المملكة على أبنائه قبل وفاته ، تجنبا لأى تزاع

⁽٣٥) ابن يسام ، الذخيرة ، ق ٤ ، ج ١ ، ص ١١١ ، ١١٢ ·

قد يحدث نيما بينهم في المستقبل ، وكان ذلك هو السبب الرئيسي في النزاع كما راينا عند دراستنا لأحوال ممالك اسسبانيا النصرانية ، أما في توثل الطوائف الاسلامية ، فكانوا يتقاتلون ليس لتحقيق الوحدة كهؤلاء النصاري كا ولكن بهدف التوسع على حساب الغير ، كانت الأطماع والأحقاد والشهوات والتنافس والحسد تهلأ نفوس الجميع ، وكل منهم كان لا يتمنى ألا أن يقضى على جاره وينوز بملكه ، ويستعين في ذلك بنصارى الشمال .

ورغم حروبهم الكثيرة لم يصلوا الى أى نوع من انواع الوحدة لأن عدد ممالكهم كان كبيرا (, ٢٦ مملكة) . ولا يمكن للقوة المحدودة لكل منهم ان متغلب على هذا العدد الكبير من الممالك وتحقق الوحده لهذا الشنات . فضلا عن أن معظم تلك الممالك كانت وحدات اقتصادبه لها حدود طبيعية وتتع وسط مناطق زراعية مستقلة ، ويمكنها أن تعمد على نفسها وتعيشي مدة قد بطول أو تقصر حسبما تنعرض له من تهديد جاراتها . وهذا بالطبع لم يكن موجودا في النسمال الأسسباني . صحيح انه كان ينكون من أربع حمالك ، ليون وقتستالة ، ونبره ، وأرغونة ، وبرشلونه ، الا أن هدده الممالك كانت بحت سيطرة أسرة واحدة ، عدا امارة برشلونة ، وكانت حتع بينهما الحروب احياما لكنها كانت تبحد في جبهة واحده ضسد مسلمي الأندلس ، كما انها لم تكن مناطق جغرانية منفصلة ، ولم تكن وحدات المتصاديه يمكن أن تعيس بذاتها مثل دول الطوائف ، وانها كانت عدارة عن القاليم قاطه فقيرة الدربة قليلة المياه صحبة المناخ ، بجمع بينها حرفة الرعى ، ويندر فنها بنوع الغلات والمحاصيل ، ولذلك لم بكن في المكان اي واحدة منها أن نعده على نفسها وأن تستقل بشئونها طويلا ، فكانت تميلي ألى الوحدة مع جاراتها محكم ظروفها الطبيعية والاقتصادبة . ماذا أضمننا علك الحقيقه الى كون أن ممالك أسبانيا النصرانية كانت تحكمها أسرة واحدة الأدركذا على الفور مدى القوة التي تمتعت بها الملكية الأسبانية في ذلك الوقت ، مها أتاح لها غرصة التفوق على ممالك الطوائف المنعددة المتغادرة (٤٠).

Livermore, op. cit., p. 91.

" ـ ضعف طبقة النبلاء ـ "

اما الدعامة الثانية التى كان يستند عليها نظام الحكم فى دول اسبانيا النصرانية بجانب الملكية فهى طبقة النبلاء ومدى خضوعهم للعرش أو تمردهم عليه . وقد رأينا فى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى وفى ظل الأسرات الثلاث الحاكمة فى نبرة وقشتاله وليون ، مدى النفوذ الواسع الذى تمتع به النبلاء فى ذلك العصر ، ويكنى أن احدهم وهو الكونت فرنان جونثالث ، أقام دولة قشتالة ، واستطاع أن يفرض شخصيته ونفوذه على جاريه ملكى نبرة وليون ، بل أنه كان بحق كما سماه ستانلى لبون بول « صانع الملوك » (٢٠) .

هذا في ظل الأسرات الثلاث ، أما في ظل الأسرة الواحدة التي حكمت شمال أسبانيا النصرانية في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي ، فقد أصبح الوضع مختلفا ، كان النبلاء في السابق يستطيعون أن يضربوا الأمراء والملوك بعضهم ببعض ، ويستطيعون أن يقدموا خدماتهم لملك آخر اذا لم يتالوا ما يبتغون من ملكيهم ، وكثيرا ما تآمروا على ملوكهم وفرضوا من يرضونه للعرش ، أما الآن وبعد أن أصبح حكم الشمال كله في يد أسرة واحدة فقد تم القضاء على نفوذهم الى حد كبير .

ونظرا للسلطات الضخمة التى كانت فى يد النبلاء ، فقد استعان ملوك الأسبان برجال الدين الأقوياء وبالمخلصين من الشعب واصحاب الاقطاع ، واستطاعوا الحد من هذه السلطات الى حد كبير ، كما قاموا بعدة اصلاحات مدنية وكنسية ، كان لها أثر كبير فى اضعاف نفوذ هذه الطبقة . فقد الفى الفونش (الفونسو) السادس « حق القوة » . وهو العرف الذى كان يسمح للقوى بأن يقتضى بنفسه ، وبالعنف ، ما يزعم انه حق له ، وفرض على الدوقات والقوامس أن يعاقبوا مرتكبى الجرائم دون تمييز أو محاباة ، مقضى بذلك على نشاط بعض النبلاء الذين كانوا أحيانا يمارسون عمليات

⁽١٧٧) لمين جول : حصه "العرب في السباسيا ص ٢١٥ .

اللصوصية ، كسرقة التجار والمسانوين. والحجابَج تحت، ينعوى المُكوسين. والضرائب (٢٠) .

كما عقد ملوك الأسبان عدة مجالس Cortes تشبه المجالس. النيابية الآن ، من الأشراف والأساتفة ، والزمت الأشراف أور النبلاء بتحرى العداله وفقا لأحكام الشرائع القوطية ، وأن تطبق في مملكة ليون قوانين. الفونسو المساماة « القوانين الطيبة » Buenes Fueros وفي مملكة تشتالة تطبق لوائح الكونت سانشو المسماة bene Factorias ، وأن يقضى على المجرمين والعصاة من النبلاء وغيرهم بفقد الشرف والمناصب وبالطرد. من الكنيسة وبالنفى من البلاد (^^) ،

وقد ادت نلك الاصلاحات والقوانين الى اضعاف شان طبقة النبلاء ، ولم يمودوا مصدر خطر على الملوك كما، كانوا في العصور السابقة ، وزاد . من ضعف هذه الطبقة ما حدث بينهم من انقسام واحقاد ، ذلك أن ظروف الصراع المستمر مع المسلمين ، وصراع الأخوة من ملوك اسبانيا النصرانية ,على العرش ، اجبرهم على الاستعانة بأولاد المزارعين وصفار الناس ، ورفعهم الى مرتبة « الفارس ، فنحولون الى نبلاء ، وكان النبلاء القدامى . الذين كانوا برثون النباله عن آبائهم وأجدادهم يحتقرون هؤلاء النبلاء المجدد ويعادونهم ، ويعملون على القضاء عليهم ، فضلا عما كان بوجد من . الجدد ويعادونهم ، ويعملون على القضاء عليهم ، فضلا عما كان برنفع عداء ببن نبلاء كل مملكة وأخرى ، فعندما يرتفع شأن مملكة ، كان يرنفع . الأحقاد والعداوات ، وكان الملوك يحلولون أن يقللوا من هذه الأحقاد ، حتى لا تكون عائقا في سببل الوحدة وفي سببل الكفاح ضد مسلمى .

[•] بالرجع نفسه ، ص ١٣٥ ، عنان ، الرجع نفسه ، ص ٤٠٣. أشباخ ، المرجع نفسه ، ص ٤٠٣. Livermore, op. cit., pp. 61-63.

⁽٣٩) اشداخ ، المرحم نفسه ، ص ١٦ ، عنَّان ، المرجم نفسه ، ص ٣٨٧ ٠

⁽٤٠) د. حسين مؤسس ، السيد القهبيطور ، ص ٤١ ، ٢٤ .

وعلى سبيل المثال ، نقد محدث عند اعتلاء الفونش السادس عرش المتالة ، أن علا تجم طبقة الأشراف الليونيين ، لأن الفونش كان ملكا على ليون قبل أن يحكم المملكة الموحدة ، وثارت الاحقاد بينهم وبين أشراف تشمتالة ، فعذل هذا الملك محاولة الاقامة الصلح بين أشراف ليون وقشتالة ، وبأن قام بتزويج فارسه السيد القمبيطور من نبيله قشتالية حفيدة الألونش الخامس ملك ليون الأسعق ، واننة عم الملك الجالس على العرش (°) .

وهكذا متعاونت العبواهل الني اشرنا اليها حيى الآن على اضعاف منفوذ طبقة النبلاء ، مما مكن الاسرة الحاكمة في اسبانيا النصرانية من ان اسبيطر عليهم الى حد كبير ، وأن توجهم الى خدمة القضية الكبرى ، وهي استرداد الأرض ، وكإن ذلك عامل قوة يحتسب لأسبانيا النصرانية في تلك الفترة ، مكنها من ادارة الصراع ضد مسلمي الأندلس بنجاح .

" ـ دور الكنيسة الأسبانية والبابوية في الصراع مع مسلمي الأندلس:

وكانت الهيئة الثالنه التي كان لها وزنها في حساب عوامل الفوه في الشمال المصراني في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي

(٤١) بورونسال ، المرجع نعسه ، ص ١٧٩ .

رابة) مبروستان المربع الله الأصلى ودريحوديات دى سيمار Rodrigo

هى الكنيسة الأسبانية ، وتطور موقف البابوية وازهاد تدخلها في شئون... أضبانيا الدينية ، ومساعدتها لها في حربها ضد مسلمي الأنعلس، ٠٠

ومن المشكوك غيه أنه كانت توجد علاقة قوية بين اسبانيا النصرانية والكرسى الرسولى بعد سقوط أسبانيا في مد موسى بن نصير وحتى بداية القسرن الخامس الهجرى ، أذ أنشغلت البابوية في روما بصراعها على السلطة الزمنية مع ملوك أوربا ، وأنشغل الأسبان في صراعهم ضد مسلمى الأندلس ، لكن تغير ذلك كله في القرن الخامس الهجرى ، أذ أن شانجة الكبير ملك نبرة وصاحب الكلمة على شمال أسبانيل كله ، أعاد فتح غربى، شبه الجزيرة للتأثيرات الأوربيه (١٠) .

مقد فنح ابواب مملكته للاصلاحات البندكتية ، ويندفق الآباء الكلونيون وافتتحوا كل المسالك المغلقه في ممالك قشتاله وليون وجلبقية وأشتريس ، وملأوا جميع اديرة اسبانيا ، ووصلوا الى اسمى المناصب الكنسية ، حتى ان احدهم وهو برنارد ، صار مطرانا لطليطلة ، ورئيسا للكنيسة المسيحية في اسبانيا كلها . ومن ثم نقد عمل هؤلاء الرهبان على توطيد السسادة للبابوية في اسبانيا ، ودفعوا حركة الاسترداد خطوات كبيرة اللي الأمام (٥٠) م

وقد استخدم ملوك اسبانيا النصرانية الكنيسة في بدعيم هيبتهم واقرار نفوذهم على رعاياهم ، كذلك استخدموها في صراعهم ضد بعضهم البعض ، وفي صراعهم ضد المسلمين ، فقد دعا فرديناند ملك تشتالة وليون في عام ، ١٠٥٠ م الى عقد اجتماع كنسى في جويانسا ، شهده الأساقفة والنبلاء واقر هذا المجمع الكنسى العمل بدعوة القديس بندكت في جميع الكنائس والأدبرة ، وحصول الكنيسة على بعض الامنبازات ، كما امر هذا المؤتمر سكان ليون وقشتالة بأن يلزموا الولاء والطاعة لفرديناند ، كما كان شانهم من قبل مع الفونش الخامس وشانجة الكبير ، وهكذا نرى ان الكنيسة كانت تعمل على توطيد هيئة السلطة الملكية على رعاباها ، وهذا

Livermore,op. cit., p. 105 هن ۱۸ کارند ، اسپانیا والبرنغال ، ص ۱۸ کارند کارند ، اسپانیا والبرنغال ، ص ۱۸ کارند کا

ما تؤیده أیضسا القرارات التی صدرت فی اجتماع شانت یاقب فی عام ۱۰۵۲ م (۳۰) ۰

وقد لجأ ردمير (راميرو) الأول ملك أرغونة (٢٦) ــ ٥٥٦ ه / ١٠٣٥ ــ ١٠٦٥ م) الى استخدام البابوية والكنيسة في صراعه ضد أخيه فرديناند ملك قشــتالة وليون ، فقد عقد مؤتمرا في جاقة عام ٢٥٦ ه / ١٠٦٠ م ، تقرر فيه اعتبار جاقة مركزا اسقفيا ، وارسال عشر ايراد الدولة وعشر الجزية الني يحصل علبها من مسلمي سرقسطة وتطليطلة الى رومة ، والظاهر أن الذي حمل ردمير على التزامه بهذه الجزية لرومة هو نخوفه من أخيه فرديناند ، اذ نصبح أرغونة بذلك تحت حماية زعيم الكنيسة العالمية ، وهي وسيلة لجأت اليها مملكة البرتغال فيما بعد لنحمي استقلالها من عدوان قشنتالة (٤٠٥) .

وقد زار ردمير ملك أرغونة رومه عام ٢٠١ ه / ١٠٦٨ م واعلن نفسه فارس القدس (بتر Peter,) ثم أرسل البابا اسكندر الثانى سفيره الى أرغونة ، ليعمل على وضع جميع الأديرة تحت سلطة البابا ، وأن تحل الطقوس الرومانية والقوطية او القوطية او المستعربية ، ونظير ذلك حصل ردمر من البابا على الاذن بأن يستعمل في محاربة المسلمين دخل الكنائس الواقعة في مناطق كانت تابعة للمسلمين ، وعاد البابا جريجورى السابع وارسل سفيره الى أسبانيا عام ٢٧٤ ه / وعاد البابا جريجورى السابع وارسل سفيره الى أسبانيا عام ٢٧٤ ه / الرومانية في الصلاة ، ورغم معارضة أهالى قشتالة لهذه الاجراءات ، الا أن الفونش السادس أعلن قبولها نظير موافقة البابا على طلاقه من زوجته أجنيسيا وزواجه من الأميرة كونستانس الفرنسية الأصل (°°) ،

⁽³⁵⁾ الشعاخ ، آلمرجم تقسه ، ص ١٥ ، ١٦ ، عنّانَ ، آلمرحم تقسه ، ص ٣٨٧ ٠

⁽٤٥) أشداح ، المرجع بفسه ، ص ١٨ ، ١٩ ٠

٠ ٤٩٨ ، الرحم بعسه ، ص ١٢٧ ، مؤنس ، بحر الأبدلس ، ص ١٩٨ (٤٦) لشماخ ، المرحم بعسه ، ص ١٢٧ ، مؤنس ، بحر الأبدلس ، ص

وبزواج الفونش السادس من الأميرة كونسستانس عام ٧١ هـ / ١٠٧٩ م ، ننبطت الحركة الكلونية ، وازداد وفود الرهبان الفرنسيين على اسبانيا ازديادا كبيرا ، وابدى دير ساهاجون في قشتالة ورهبانه البندكتيون غيرة وهاسا شديدا في تحقيق اهداف البابوية في القضاء على مسلمي الأندلس ، ولما حدثت هزيمة الزلاقة في رجب ٢٧٩ هـ / ٢٨٠١ م عقد النونش السادس مجمع طليطلة الديني في رمضان ٢٧٩ هـ / ديسمبر ٢٨٠١ م ، وانتخب فيه هؤلاء الرهبان رئيسهم برنارد مطرانا لطليطلة ، وبحثوا امر اعداد العدة لاستئناف الجهاد ضد المسلمين من حديد (٢٥) .

ومن المحقق ان الكونت هنرى والكونت ريبوند البرجونيين ، غريبى الملكة كونستانس وصهرى الملك الفونش السادس ، كانا يومئذ فى اسبانيا ، واليهما والى نشاط المطران برنارد يرجع الفضل فى وغود جماعات كبيرة من المحاربين الفرنسيين الى اسبانيا ، كما وقد اليها ايضا عدد كبير من قرسان جنوبى فرنسا نتيجة لنداء البابا أوربان الثانى عام ١٨٨ ه / ١٠٨٩ م ، لساندة الأسمان فى حروبهم ضد مسلمى الأندلس . وكان هذا النشاط النصراني امتدادا للحروب الصليبية اللى كانت قد بدأت فى تلك المنطقة منذ سقوط جززيرة سردينية فى يد قوات البابا والقوى النصرانية الفرنجبة والأسبانية عام ٢٠٠ ه ، والني استمرت طوال ذلك القرن وبهنات فى سقوط بربئستر عام ٥٦٠ ه ، وطليطلة عام ٧٨٤ ه فى يد القوى الصلسة (٥٠) .

وكانت ظروف الحرب المستمرة بين النصارى والمسلمين فى اسبانيا كه قد حملت رجال الدين على أن ينزلوا هذا الميدان ، شانهم فى ذلك شهان الأشراف والكونتات ، وكانوا يدعون عند الحرب الى مرافقة الجبش ، ولم يكن أحد ص أفراد الشعب ورحال الدين يحظى بالتقدير والاحترام الا أذا

⁽٤٧) أشباح ، الرحم نفسه ، ص ١٢٧ ، ١٢٨ ٠

⁽٤٨) أسساخ ، المرجع بمسه ، ص ١٣١ .

محمد العروسي المطوي ، الحروب الصليبية في المشرق والمعرب ، ص ١٤٠ .

أبدى شجاعة في محاربة أعداء البلاد والدين من المسلمين . لذلك جندت الكنيسة نفسها لخدمة هذا الهدف الذي كانت تسعى اليه البابوية والملكية الأسبانية وجماهير الشعب الأسباني ، ومن ثم يمكن اعتبار الكنيسة الأسبانية كنيسة لها وضعها الخاص ، فهي كنيسة محاربة ، تخدم في ميدان القتال كما تخدم في ميدان الدعوة الى المسيحية (^^) .

ومن الاشياء التى خلعت العسفة الحربية على الكنيسه الأسبانية تلك الفرق من الفرسان التى كانت نابعة للأديرة والقلاع ، مثل فرسان سنتياجو ، وقلعة رباح Calatraba و كان واجب فرسان سننياجو (شنت ياقب) في النداية ، هو الحفاظ على طريق الحج الى مزار القديس يعقوب خالسا من قطاع الطرق والأشرار ، ثم أصبحوا ضمن الجيوش المحاربة ضد المسلمين (°°) .

ولم يكن هدف جهيع المحاربين هو العمل على خدمة الدين او رفع الراية المسيحية على ارض الاسلام في الأندلس ، فقد كان هدف المحاربين العاديين هو الاستحواز على الغنائم والتخلص من حالة الفقر التي كانوا بيعيتسونها في الشمال القاحل ، بالمقارنة الى رغد العيش الذي كان يعيشه المسلمون في الأندلس ، ودليلنا على ذلك هو النداء الدى وجهه التمبيطور عند السنعداده للهجوم على بلنسية عام ١٨٩٤ ه / ١٠٩٤ م ، الى أهالي ارغونة وتشتالة ونبرة ، يدعوهم للحضور والاستراك في الفزو فيقول : «هؤلاء الذين بودون أن يقضوا على نقرهم وبصبحوا أغنياء ، فليأتوا معى للغزو ولتعمم تلك الأرض » (٢) .

وند وردت هده العبارة ضم القصيدة التي قبلت في وصف حياته ، والتي مطهر أن الدين لم يكن وحده هر العامل الرئيسي في هذه المعدارك

Crow, cit., p. 88.

Crow, cit., p. 91.

[•] ٤٠٢ م المرجع نفسه ، ص ١٣٠ ، ١٣١ ، عنان ، المرجع نفسه ، ص ٤٠٢ (٤٩) (٤٩) Crow, cit , p. 88.

وهذه الانتصارات المسيحية ، وتبين لنا القصيدة فرحة المسيحيين الذين. استولوا على بلنسية ، وتؤكد ما ذهبنا اليه فتقول « هؤلاء الذين أتوا على. اقدامهم أصبحوا الآن يركبون الخيال ، وحازوا الذهب والفضاة أكثر مما يستطيع ن يتخيله انسان ، لقد أصبح الجميع أغنياء . . » (١٦)

وهناك من المؤرخين من يشيرون الى انتشار الرذائل الخلقية بين المراد الطبقة الأرستقراطية ؛ وإلى انحطاط الكنيسة في ذلك الوقعة ، ويقولون بأن البطاركة كانوا يشتركون في المؤامرات ضد ملوكهم ، وأن الأساقفة كانوا يقضون أوقاتهم في العاصمة بدل أن يهنموا بادارة أبروشياتهم ، وأن الكهنة لم يهتموا ببث الروح المسيحية بين الناس ، وأن الرهبان أهملوا قوانين الرهبنة وسننها ، وأنه لم تكن هناك الا قلة من رجال الكنيسة ممن رفعوا أصواتهم بضرورة الاصلاح (٢٢) .

ومن هنا كان ضغط البابوية وقرارات المجامع الكنسية التى أشرنا اليها ، وسياسة الاصلاح التى اتبعها ملوك اسبانيا النصرانية وقيامهم باظهار التقوى والورع فى معاملتهم للناس ، وببناء الكثير من الكنائس والأديرة ، واغداقهم عليها الكثير من المنح والعطايا والهبات ، كما خصص هؤلاء الملوك قدرا كبيرا من المغنائم التى حصلوا عليها من حروبهم مع المسلمين للبر بالفقراء وتخفيف الامهم ، واهتموا أيضا بتحسين الطرق الكبرى وانشاء القناطر على الأنهار ، وغير ذلك من الاصلاحات الاقتصادية ، مما حل كثيرا من المشاكل ، وادى الى توفير الأمن والحياة المستمرة لجماهير الشعب (٦٠) .

من هذا كله نرى أن أحوال ممالك أسبانيا النصرانية في القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى ، كانت تساعد على قياده الصراع ضد مسلمى الأندلس في ثبات ونجاح ، وتساعد على التقدم المطرد للقوى النصرانية

(70)

Crow, op. cit., pp. 90,91.

⁽۵۳) اس عبداری ، البدان حد ٤ ، ص ٥١ ، لبن الخطيب ، المصدر دفسه ، حد ٢ ، ص ٢٢٠٠ عدمى أسعد ، الطريقة الذهبة ، من نارج الكندسة المديحية ، ص ٢٤٣ .

⁽٥٥) أشياخ ، المرجع نفسه ، ص ٢٢ ، ١٣٥ ، عنان ، المرجع نفسه ، ص ٣٨٧ -

داخل الأراضى الاسلامية ، مالملكية الأسبانية صارت موحدة وفى يد اسرةة واحدة ، وطبقة النبلاء ضعف شائها عن ذى قبل ، وأصبحت أداة فى يد الملوك وعونا لهم على تحقيق سياستهم فى الداخل والخارج . أما الكنيسة عقد ازداد نفوذها وانفتحت أسبانيا على أوربا التى دعمتها فى صراعها ضد مسلمى الأندلس ، وأعلنت البابوية الحرب الصليبية فى الأندلس قبل. اعلانها فى المشرق حتى استرد الأسبان طلبطلة عاصمتهم الأولى .

وبستوط طليطلة في يد نصارى الشمال عام ٧٨٤ ه / ١٠٨٥ م ١٠ انتقل الصراع الى قلب الأندلس ، من نهر دويرة الى نهر تاجة ، وأصبحت، ممالك الشمال النصرانية تحوز حوالى نصف شبه الجزيرة الأسبانية ، وتمكنت من فرض الجزية على أقوى ملوك الطوائف ، وبذلك أصبحت شبه الجزيرة كلها اما تحت حكمهم المباشر ، أو تحت حكم تابعيهم من ملوك الطوائف ، ابتداء من النصف الثاني من القرن الخامس الهجرى / الحادى ، عشر الميلادى ، ولم ينقذ أسبانيا الاسلامية من هذا الوضع المهين الا قدوم المرابطين الذي أخر ستوط الاسلام هناك الى حين .

المفهلالمشاتي

مظاهر العلاقات السياسية بين الأندلس الإسلامية وأسبانيا النصرانية في عصرماوك الطواه.

رأينا في حديثنا عن الأحوال أو الأوضاع الداخلية في كل من الأندلس، الاسلامية ، وأسبانيا النصرانية مدى ما كان في الأولى من ضعف وما كان في الثانية من قوة ، ولم يكن صعف الأولى نابجا عن نقص في الأموال والأنفس والثمرات ، بل أنها كانت غنيسة بكل ذلك ، وكانت تلمع في سماء الفسس والأدب والثقافة ، لكن الضعف والوهن أتاها من انقسامها إلى ممالك عديدة ، ومن تباغض زعمائها وصراعهم المقيت على السلطان ، ومن ترف حكامها وأشرافها وخلودهم لحباة الدعة والانغماس في النعيم لدرجة أنهم كانوا بجبنون عن مواجهة النصارى ، ولذلك استقدموا المرابطين الأشداء ، لذين لم تفسدهم بعد حضارة أو ترف (۱) .

ولم تكن قوة اسبانيا النصرانية ناتجة عن ازدياد الأموال أو الجبوش ، ولكنها كانت ناتجة عن روح المقاومة الصلبة والحيوية والطاقة التى لم تهن المام ضربات الناصر والمنصور ، صحيح انها استكانت في عصر الخلافة ، لكنها ما لبثت ان خرجت كالمارد من قمقمها عقب انهبار دولة بنى عامر مباشرة ، وفرضت نفسها على أروع ما تكون (١) .

استطاعت اسبانيا النصرانية أن تستثمر عناصر الاضطراب والفوضى التى المت بالأندلس في عصر دول الطوائف ، وأن تطيل أمد هذا الاضطراب ، وأن تضرب لك الدول بعضها ببعض ، وأن تجعل من زعمائها مجرد تابعين يدفعون الجزية عن يد وهم ضاغرون ، واستولت على الكشير من المدن والحصون حنى أنها في لحظة واحدة من لحظات الصراع بين خلفاء بنى أمية

Crwo, op.cit., p. 96.

157

⁽١) ابن الخطبب ، الحلل الموشية ، من ٥٩ ٦٠

'الأواخر اثناء الفتنة البربرية عام 7.7 ه / 1018 م اسبولت على أزيد من مائنى حصن تسلمتها من يد هشام المؤيد ، نظير تأييده في صراعه ضد غريمه سليمان المستعين في الصراع على كرسى الخلافة في قرطبة ، واستمر النتهقر الاسلامي حتى وصل ذروته سيقوط بربشيتر وطلمنكة عام 70.7 ه / 10.78 م / 0.

وكانت النذريرن صداها في اذن الشعب الأندلسي ، وكان لا يفتا ويحذر ملوكه وأمراءه مغبة الاستمرار في هذا الصراع المحزن على السلطة ، لكنهم لم يفيقوا الا على سقوط طليطلة ، اعظم قواعد النفر الاسلمي عام ٢٧٨ ه / ١٠٨٥ م . حينئذ واتتهم لحظة نبذوا فيها خلافاتهم واستعانوا بالقوة الاسلاميه الناشئة ، وهم المرابطون ، وحققوا معا أضخم نصر في ذلك القرن على ملوك اسبانيا النصرانية في موقعة الزلاقة في العام التالى .

لكن ملوك الطوائف لم يحسنوا استغلال هذا النصر ، ولم يخفوا خلافاتهم وانقساماتهم عن يوسف بن تاشفين زعيم المرابطين وأمير المسلمين ، فصمم على القضاء عليهم ، وعلى ضم الأندلس لدوله الشاسعة . أما اسبانيا النصرانية لم نلبث أن لمت شعثها عقب الزلاقة ، ونظمت جبوشها واستأنفت النضال من جديد ، وصمدت أمام جيوش الأندلسيين والمرابطين اثناء حصارهم لحصن لبيط (اليدو) في العام التالي لموقعة الزلاقة ، وأجبرتهم على فك الحصار والتقهقر الى بلادهم . وعلى ذلك فان هزيمة التصارى في الزلاقة لم تزدهم الا تمسكا واتحادا ، بينما كشفت النقاب عن الخلل الكامن في جسد الشعب الأندلسي الذي زادت خلافاله وانقسامانه عن ذي قبل .

ولبس معنى ذلك ان اسبانيا النصرانية لم تعرف الخلاف الداخلى . لقد حدث ذلك كما راينا في دراستنا لأحوالها الداخلية في الفصل السابق

⁽۳) ابن بلفین ، مذکراته ، ص ۱۰۱ ، ابن الخطیب ، أعمال الاعلام ، ح ۲ ، ص ۱۱۷ ، هللتری ، النمح ، ج ۲ ، ص ۱۰۰ ، بروننسال ، الاسلام فی المعرب والانتلس ، مِب ۱۷۱ ..

"أكثر من مرة ، وخاصة عقب وفاة الملك الحاكم ، وقيام ابنائه من بعده وصراعهم على السلطان وتصفيتهم لبعضهم ، حتى يخلص الملك لأقواهم ، حينئذ بعود الوحدة من جديد ، وبذلك فان ملوكهم كانوا يفرضون الوحدة بالقدوة على اخوتهم من الملوك الآخرين ان لم يقروها بالمسللة واعلان الطاعة ، وحنى مع تعدد ملوكهم فانهم كانوا ينسون خلافاتهم الداخليسة امام الشعور العام بالخطر ، او اذا لمحوا فرصة في احد البلدان الاسلامية لعلهم يصبون منها مغنها ، حينئذ كانوا يتكانفون ويحاربون وينتصرون ، ويأخذ كل منهم نصيبه من الغنيمة ، وكانت الفنيمة انهم حازوا حوالي نصف ارض نبه الجزيره في القرن الخامس الهجرى (٤) .

وبذلك فان اهداف الصراع وطبيعته قد تطورت كثيرا عما كان موجودا في عصر الخلافة . فقد اصبح نصارى الشمال في وضح جعلهم يصرحون علانيه بطرد مسلمى الأندلس وبقولون لهم لا مقام لكم بيننا ، واصبحت الحرب بين الطرفين حربا صليبية من الدرجة الأولى ، أما مسلمو الأندلس فلم يكن لهم هدف الا مجرد الدفاع عما في ايديهم رينما تتحسن الأحوال ، وكانوا يرقبون تقدم النصارى وازدياد قوتهم في رعب وهلع ، وقصائد شعرهم تفيض حزنا وبكاء على ما اصاب المسلمين في هذا العصر من كوارث ودمار ، واسر وقتل ونفى وتشريد ، وضياع للبلد والعباد ، حتى قال قائلهم :

حثوا رواحلكم ما أهل اندلس فما المقام فيها الا من الغلط

وحسى انسرت روح الهزيمة والرضا بالأمر الواقع ، فألف مفكروهم في ذلك الكتب ، مثل كتاب « جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى ، اللوزير أبو يحيى بن عاصم (°) .

لقد كان هذا العصر عصر التتهقر التعياسي للاستلام في نواح كثيرة ، فقد سقطت صقلية عام ٦٦٤ ه / ١٠٧١ م ، وانتزع الروم السيادة

 ⁽٤) العدرى ، نصوص عن الأنكاس ، ص ۱۲۱ ،

⁽٥) المقرى ، نمع الطبب ، ج ٢ ، ص ٢٠٥ ٠

البحرية من المسلمين ، حتى ان المعتمد صاحب اشبيلية اراد ان يستقدم احد الشعراء المسلمين من صقلية وآخر من القيروان ، فلم يمكنه ذلك ، وكتب اليه الأول يقول :

البحر للروم لا يجرى السفين به الا على غرر والبر للعرب وكتب الثاني يقول:

ما انت نوح فتنجيني سفينته ولا المسيح انا أمشى على المساء

وانتهى ذلك القرن كما نعرف بنشوب الحرب الصليبيه من الغرب، المسيحى والشرق الاسلامى (٦) .

كل ذلك وما درسناه في الأحوال الداخلية لمسلمي اسبانيا ونصاراها ، سوف نراه ، ونرى نتائجه واضحة اثناء دراستنا للعلاقة ببن دول الطوائف وبين الممالك النصرانية في اسبانيا . وفي هذا المقام لا بد أن نشير الى اننا سوف ندرس نلك العلاقة بدءا من سقوط الخلافة الأموية عام ٢٢ ه ، حتى موقعة الزلاقة عام ٢٧ ه م / ١٠٨٦ م ، ثم نتابع دراسة العلاقات بين دول الطوائف وبين اسسانيا النصرانية حتى سقوط هذه الدول في يد المرابطين . ذلك أنها لم تسقط جمعا دفعة واحدة ، فقد اسمر بعضها بعد الطوائف والقضاء عليها في ذلك الوقت (٧) .

1 ـ علاقات مملكة سرقسطة بالمالك النصرانية في اسبانيا:

عندما انفرط عقد الخلافة الأموية فى بداية القرن الخامس الهجرى ، كان يحكم سرقسطة رجل من انصار المنصور بن أبى عامر ، يسمى منذر بن

⁽٦) آدن خلکان ، ومیات آلاعیان ، ج ۲ ، ص ۸٪ ، ح ۳ ، ص ۲۰ ، ۲۲ ۰

Dozy, A History of the Moslems in Spain, pp. 567,569.

يحيى بن مطرف النجيبى ، من سلالة الاسر و التى استمرت في حكم تلك الناحية مستقلة أو تابعة للخلافة منذ عام ٢٧٦ ه . وقد سبق ان وضحنا موقفه من مساندة المرتضى الأموى ثم بخليه عنه هو وحليفه رامون بوريل ملك برشلونة عام ٩٠٤ ه / ١٠١٨ م . وقد توثقت عرى الصداقة بين المنذر وملوك النصارى المجاورين له ولا سيما رامون وشائجة الكبير ملك نبرة ، وبالغ المنذر في التودد الى أمراء النصارى حتى أنه نظم في قصره بسرقسطة حفلا لعقد مصاهرة بين ملبكين من ملوك النصارى ، هما شائحة ملك نبرة ورامون بوريل ملك برشلونة ، حضره الفقهاء والقساوسة واعيان الملتين (^) .

ورغم ما أثارته هذه العلاقة من النقد الحاد ، الا انها في النهاية وفرت السلام والهدوء لاقليم سرقسطة وكفت اطهاع النصارى عنه ، ولم يدرك الناس أثر تلك السياسة الا بعد وفاة المنذر عام ١١٤ ه / ١٠٢٣ م ، وخلفه ابنه يحيى المظفر (١٤١٤ ـ ١٠٢٠ ه / ١٠٢٣ ـ ١٠٢٩ م) في حكم سرقسطة ، ويبدو أن يحيى لم يحكم سياسة الصداقة التي كان سبعها أبوه مع جيرانه أمراء برشلونة ، حيث أغار صاحبها الكونت رامون بوريل على بعض أطراف مملكته ، واضطر أن ينزل له عن بعض القلاع الحصون (٩) .

خلف المنذر أباه يحيى المنافر في حكم سرةسطة (٢٠] ـ ٢٠ ه / ١٠٢٩ م) وفي عهده بدأ سلطان المسلمين في هذا الركن القصى يتزعزع ، وبدأت اطماع امراء ارغونة وكونتات برشلونة تتجه نحو سرةسطة ونواحيها ، وكان هذا الاقليم يشمل من الحصون وكبار المدن عدا سرقسطة ، قلعة أيوب ودروقة وبريشتر ووشقة ومدينة سالم ولوجرونيؤ Logrono وصورية Soria وترويل Teruel والمراغة Frage ، وكان بذلك من أوسع امارات الطوائف المدادا وعمرانا ، لكن الخلاف دب بين المراد اسرة بنى تجيب على السلطان ، وادى ذلك الى القضاء عليهم وقيام

⁽A) ابن بسام ، الذخيرة ، ق ١ ، ج ١ ، ص ١٥٢ -- ١٥٤ ، ابن عـذارى ، البدان ، ح ٣ ، ص ١٧٧ ، ١٧٧ ·

⁽٩) ابن الخطيب ، المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٩٧ ، عنان ، دول الطوائف ، ص ٢٦٨ ٠

بنى هود فى حكم مملكة سرقسطة منذ عام ٣١) ه ، حتى سقطت فى يعد المنصارى عام ٥١٣ هـ (١٠) .

وباستيلاء سليمان المستعين بن محمد بن هود على سرقسطة (17 } - 1 } ه / 1.79 م ، واستعان كل ابن ذى النون ملك طليطلة منذ عام ٣٥ ه ه / ١٠٤٧ م ، واستعان كل منهما بملوك النصارى ضد الآخر ، وكان مثار النزاع بينهما استيلاء بنى هود على وادى الحجارة برغبة اهلها عام ٣٦ ه ه / ١٠٤٤ م ، فهرع المأمون مقوامه حيث هزم وتحصن في طلبيرة ، ثم فاوض فرديناند الأول ملك قشتالة ، وطلب العون منه نظير أن يؤدى له الجزية ويعترف له بالطاعة ، فاستجاب له فرديناند وأرسل تواته الني عاتت في أرض بنى هود المجاورة لملكته ، فاضطر ابن هود أن يسلك سبيل أن ذى النون ، وأرسل إلى فرديناند أموالا وحفا كثيرة على أن يغير على أراضي طليطلة (١٠٠) .

وقام غرديناند بالمهمة خير قيام وخرب ضياع طليطلة واريافها حتى جلا عنها الكثير من سكانها ولجأوا الى العاصمة ، واضطر اهلها الى طلب الصلح من سليمان المسعين بن هود ، لكنه مكر بهم واننهز الفرصة واستولى على مدينة سالم الدى كانت تحت سيطرة بنى ذى النون ، وكانت الأسرة النونيه منقسمة على نفسها مما سهل مهمة بنى هود الى حد كبير ، لكن المامون بن ذى النون لم يستسلم وتوجه الى غرسسية ملك نبرة واخو غرديناند ملك قنستالة ، وتحالف معه ضد بنى هود ، فاغار غرسية بتواته

⁽۱۰) ابن عذاری ، للبیان ، ج ۳ ، ص ۱۷۷ ، ۲۲۲ ، آب الخطیب ، المصدر نمسه ، ج ۲ ، ص ۱۷۰ .

⁽۱۱) تذكر المصادر العربية القديمة كلها ان سليمان المستعين مات عام ٤٣٨ ه ، لكننا وحددنا درهما صرب في سرقسطة عام ٤٤٠ م مدونا عليه اسم و الامام مشام امير المؤمنين المؤيد الله ، والحاحب تاح الدولة سليمان ، · ومعنى دلك أن سليمان المستعين لم يمت عام ٤٣٨ م حس ٢٨٨) ودادعه عيره من المؤرجين ، ولكسه حسبما قال ابن عدارى (البيان المغرب عام ٤٤٠ ه أو بعده بقليل ، انظر . . . Codera, Numismatica, p. 167.

⁽۱۲) ابن عبداری ، المسدر نفسه ، ج ۳ ، ص ۲۷۷ - ۲۷۹ .

على راضى بنى هود المجاورة له نيما بين تطيلة ووشقة ، وانتتح قلعة قلهرة عام ٣٧١ ه / ١٠٤٥ م ، نقام نرديناند بدوره بالاغارة على اراضى طليطلة وخربها (٣٠) .

وهكذا ادى التناحر بين هذين الملكين المسلمين ، المسستعين بن هود والمامون بن ذى النون ، الى اعطاء الفرصة لملوك النصارى الأسبان لكى يقوموا بتخريب اراضى الملكتين ونهب اموالهما واشعار المسلمين بالضعف ، حتى انهم صاروا جبناء لدرجة انهم كانوا يولون الادبار بمجرد رؤية جنود النصارى ، ولما ازداد اضطراب الأحوال في طليطله ، سعى اهلها الى فرديناند ملك تشنالة لعللب الصلح ، على ان يؤدوا له ما يريد من الأموال ويرحل عنهم ، لكنه انسنرط عليهم شروطا من العسير تنفيذها ، ورفض السلم معهم وقال لهم « اننا نطلب بلادنا التى غلبنمونا عليها قديما في اول أمركم ، فقد سكنتموها ما قضى لكم ، وقد نصرنا الله عليكم برداعتكم ، أمركم ، فقد سكنتموها ما قضى لكم ، وقد نصرنا الله عليكم برداعتكم ، فارحلوا الى عدوتكم (يقصد بلاد المغرب واغريقية) ، واتركوا لنا بلادنا فلا خير لكم في سكناكم معنا بعد البوم ، ولن نرجع عنكم أو يحكم الله بيننا وبينكم » (١٤) .

وهى عبارة على درجة كبيرة من الأهمية ، اذ ترينا سياسة النصارى وتبين لنا أهدافهم في استرداد اراضيهم ، وأنهم كانوا يعتبرون المسلمين اجانب دخلاء مهما عمروا من السنين واقاموا من الدول والمنشآت ، واستمر فرديناند وأخوه غرسية يعيثان في أراضى الدولتين حتى مات سليمان المستعين عام ٠٤٤ ه أو ١٤٤ ه ، فتنفس المأمون بن ذى النون الصعداء ، وتوجه بعدوانه الى جاره الآخر ابن الأفطس صاحب بطليوس ، وقام أولاد سليمان المستعين الخمسة بالصراع فيما بينهم على عرش سرقسطة وما يتبعها من القاليم ومدن ، وانتهى الصراع بفوز أحمد المقدر على باتى اخوته عدا يوسف المظفر حاكم لاردة (٥٠) .

⁽۱۳) ابن عـذاری ، المسحر نفسه ، ج ۳ ، ص ۲۸۰ ـ ۲۸۲ ۰

ابن الخطيب ، المسدر نسبه ، ج ٥ ، ص ١٧٨ ٠

⁽۱۷) این عبداری ، المسدر نفسه ، ح ۳ ، ص ۲۸۲ ۰

⁽۱۵) ابن عدداری ، المسدر نفسه ، ج ۳ ، ص ۲۲۲ ٠

وقد انعقم احمد المقتدر من اخيه يوسف المظفر انتقاما غير اخلاقي. حينما أرسل الأخير نجدة غذائية لمدينة طليطلة التابعة له عبر راضي شانجة ملك ارغونة دوليس سانجة ملك نبرة كما قال البعض دفيفا من مرورها عبر أراضي اخيه في سرقسطة ، ورغم ذلك نقد رشا المقتدر ملك ارغونة وأرسل له الكثير من الأموال حتى يمكنه من قافلة اخيه ، وانتهى الأمر بضياع القافلة واسر رجالها وقتل جنودها على يد رجال المقتدر وملك الرغونه (١٦) .

ولما هاجم ردمير الأول ملك ارغونة اراضي مملكة سرقسطة عام ٥٥٥ ه / ٦٠١٣ م استعان المقدد بملك قشتالة فرديناند الأول واقر له بالطاعة ، عبعش اليه ولده شانجة في بعض قواته برفقة القائد ردربجو دياز المسمى بالقمبطور ، ودارت رحى الحرب عند اسوار حصن جرادوس ، وانهزم ردمير الأول وقتل في هذه المعركة ، وأثار مقتله الشعور الديني ضد مسلمى الثغر الأعلى ، وأدى ذلك بالاضافة الى صراع الأخوين الهوديين الى ضياع مدينة بربشتر على يد النصارى عام ٥٦٦ ه / ١٠٦٤ م (١٠٠) .

يعد سقوط بريشتر اعظم كارثة اصابت المسلمين في عهد المقدر بن هود ، نظرا لما صاحبها من تدمير وسفك وقتل وانتهاك للحرمات علنا امام الناس ، ولما كانت تحمله من طابع صليبي واضح ، ويؤيد البحث الحديث الصفة الصليبيه لتلك الحملة التي قام بها أهل غاليس (غالة) والأردمانيون أو الروذمانون أو الأردمليش ، وكلها اسماء للنورمان الذين كان ملك فرنسا شمارل البسيط سمح لهم بالاقامة في الاقليم الذي عرف باسمهم في فرنسا يعد ذلك باسم (نورماندي) Normandie ، واشترك في الحملة ايضا غليوم دى منترى كبير قواد البابا اسكندر الثاني ، الذي بشر لها في ايطاليا عليوم دى منترى كبير قواد البابا اسكندر الثاني ، الذي بشر لها في ايطاليا عليه المناس المنا

⁽۱۹) ابن عبذاری ، المصدر نفسه ، ج π ، ص π ۲۲۲ - ۲۲۵ ،

السامرائي ، علاقات المرابطيي ، ص ٨١ .٠

⁽١٧) الطرطوشي ، سراج الملوك ، ص ١٥٦ ، انظر النصل الثاني ، الباب الثالث

وفرنسا وأسبانيا ، بالاضافة الى قوات شانجة راميرز ملك أرغونه وابن الملك الذى قتله ابن هود عند جرادوس عام ٥٥٥ ه / ١٠٦٣ م (١٠) .

وقد اختلفت المراجع الحديثة حول شخصية قائد الحملة الذى ورد السمه في المصادر الاسلاميه باسم (البيطبين أو البيطبين أو البيطش) ، خالىعض يرى أنه كان النبيل الفرنسي Elbesde Roucy أو الكونت المعض يرى أنه كان النبيل الفرنسي Robert Crespin أو الكونت بلدوين دى فلاندس Robert Crespin الذى كان وصيا على فيليب الأول ملك فرنسا ، وربما حرف الكتاب المسلمون اسم بلدوين الى (البيطين). على أية حال وصلت تلك الحملة الصليبة التي سبقت الحملة الصليبية الأولى على المشرق بحوالى نصف قرن ، في جمادى الأولى عام ٢٥٦ ه / ابريل ١٠٦٤ م الى بريشتر وضربت حولها النصارى الحصار مدة أربعين يوما ، واستسلمت المدينة في النهابة ودخلها النصارى وعاثوا فيها فسادا (١٠٩) .

وبلع عدد التتلى والاسرى من اهل المدينة ما بين الخمسين والمائة الف وهذا دليل على كبر حجم الكارثة ، وقد تخير قائد الحملة خمسة آلاف من الجمل فتيات بريستر وارسلمن هدية الى صاحب القسطنطينية والى بايا روما اعلانا وابتهاجا بفوزه على المسلمين ، وظل الصليبيون في بريشتر لمدة عام حتى نهض المقتدر بن هود يعاونه المعنضد بن عباد وأهل الثغور واعادوا المدينة الى حورة الاسلام من حديد ، وفناوا كل انجابية الصليبية التى كان

⁽۱۸) ابن حیان بروایة المقری ، نفع الطیب ، ج ۲ ، ص ۷۷ .

ابن عداری ، البیان ، ح ۳ ، ص ۲۲۰ ، الحمیری ، المصدر نفسه ، ص ۳۹ ، ۵۰ ه حسین مؤس ، الحله المسیراء لابن الأبار ، ح ۲ ص ۲۵۷ .

العبادي ، الاكتماء لابن الكردبوس ، ص ٧٠ ٠

دورى ، ملوك الطوائف ، ص ١٧٧ ، ، ١٧٧ موك الطوائف ، ص ١٧٧ ، ، ملوك الطاوائف ، ص

 ⁽١٩) اس حدان دروایة المهری ، المصدر نفسه ، ح ۲ ، ص ۷۶ه ... ۵۷۵ .
 اس عداری ، الدیان ، ح ۳ ، ص ۲۲۰ .

ابى الكردبوس ، المصدر بمسه ، ص ٧٠ ، الحميرى ، المصدر نفسه ، ص ٣٩ ، ٤١ • أما عن احداث تلك الحملة ، انظر الصادر المشار اليها اعلام •

هد خلفها قائد الحملة عند مغادرته المدينة ، وتقدر بخمسة آلاف جندى. وفارس (٢٠) .

وتصور حادثة بريشتر مدى الضعف والخلل الذى اصاب الحياة الاسلامية في ذلك الوقت ، وخاصة فيما يتعلق بأمراء المسلمين وفقهائهم الذين يصفهم ابن حيان بأبسع الأوصاف وسهمهم بالجهل والتقصير ومفضيل الأهواء الشخصية على المصلحة الاسلامية العليا . فلم يكن همهم حسين سماعهم خبر الكارثة الا أن بوقعوا قرب حلول الكارثة بينهم ، فأخذوا في حفر الخنادق ونعلسة الأسوار وسد الأركان وتوئيق البنيان ، اما عامة الناس فقد اظهروا اللامبالاة والسلبية الشسديدة ، ولم يساندوا ملوكهم وأمراءهم في درء هذا الخطر الزاحف عليهم من الشمال النصراني ، ولم يعرفوا أن هذه الكارثة سوف نتلوها كوارث اعظم منها واخطر (٢٠) .

وقد علا نجم المقتدر بن هود بعد استرداده بریشتر من ایدی الصلیبین فی جمادی الأولی عام ۱۵۷ ه / ۱۰٦٥ م ، واستطاع آن یضبف الی مملکته اراضی جدیده انتزعها می جیرانه النصاری والمسلمین علی السواء ، فاستولی علی طرطوشه ودانبة وجزء من کورة طرکونة واطراف من بمبلونة ، وطمع فی بلنسیه ، استعان بملك قشتاله الفونش السادس فی الاستیلاء علیها ، وفرض علی شعبه ضریبة لتحصیل الجزیة ودفعها له ، وقد حاول احد الفقهاء الصالحین الاعتراض علی دفع الجزیة للنصاری ، فما كان جزاؤه الا القنل علی بد المقتدر بن هود نفسه (۲۲) .

ولما توفى فرديناند الأول ملك منستالة عام ٥٧) ه ، ماهت الحرب الأهلية من جديد بين أولاده ، وكانت مشتالة وحتوق الجزية على سرمسطة

⁽۲۰) ابن حیان بروایة المقری ، النفع ح ۲ ، ص ۷۷ه ، ۷۷ه ، ابن عـذاری ، البیان ، ـ ج ۲ ، ص ۲۲۷ ، ۲۲۸ .

⁽۲۱) ابس حدان بروایة اس عداری ، المصدر مفسه ، ح ۳ ، ص ۲۵۶ ، ۲۵۰ .

⁽۲۲) ابن عبداری ، الدیسسان ، ح ۳ ، ص ۲۲۶ ، ۲۲۹ ، ابن بلقین ، مدکراته ، ص ۷۷ ، ۷۷ ، ۷۷ ، ۷۷

ادن الحطيب ، المصمدر بمسه ، ح ٢ ، ص ١٧١ ، مؤسس ، النعر الاعلى ، ص ١٠٠٠ ..

من نصيب ولده الأكبر شانجة ، الذى بادر بارسسال قواته الى سرقسطة بقيادة السيد القمبيطور للحصول على الجزية المطلوبة ، فاضطر ابن هود ان يرسل اليه الكثير من الأموال ، والهدايا فرفع الحصار عن المدينة ، ولما خلص عرش قشتالة لألفونش السادس بعد قتله لأخيه شانجة عاد وطالب بالجزية التى كانت لأخيه ، وكان يطالب بها أيضا شانجة وميزر ملك ارغونة الذى كان يستعين به المقندر في محاربة اخيه يوسف المظفر صاحب لاردة ، وظل يحاربه حتى ظفر به وسجنه في حصن ملتشون عام ؟٧٤ ه ، ولم يلبث أن مات المقندر في نفس العام أو في العام التالى (٢٠٠) .

انقسمت الامارة بوفاة المقتدر من جديد بين ولديه يوسف المؤتمن الذي اختص بسرقسطة وأعمالها ، والمنذر عماد الدولة الذي اختص بشرقي الامارة (لاردة وطرطوشة ودانية) ، وكان من جراء هذه القسمة أن قامت الحرب الأهلية بين الأخوين ، واستعان كل منهما بالنصاري ، فاستعان يوسفة المؤتمن بالسيد الطمبيطور الذي كان قد لجأ الى أبيه المقتدر من قبل بعد أن ساءت العلاقة بنه وبين الفونش السادس ملك قشاتالة ، واستعان المنذر الذي كان من ألد أعداء القمبطور بشانجة راميريز ملك أرغونة ، وبرامون برنجير الثاني أمير برشلونة (٢٠) .

ووقعت أول معركة بين الأخوين عند قلعة المنار بالقرب من لاردة ، وهزم المنذر ، وأسر أمير برشاونة رامون بيرنجير عام ٧٥ ه / ١٠٨٢ م ، وفي نفس الوقت كان عمهما يوسف المظفر سجين قلعة روطة قد فر ولجأ الى الفونش السادس وما لبث أن مات هناك ، وانتهز الفونش السادس الفرصة وهاجم سرقسطة بحجة أن المظفر قد تنازل له عن حقه المفتصب من أراضى الامارة ، لكن حملته باءت بالفشل وقتل جميع جنودها وقائدها ، فصهم الفونش على الانتقام (٢٠٠) .

⁽۲۳) ابن عبذاری ، البیان ، ح ۳ ، ۲۲۳ ، ج ٤ ، ص ٥٥ ، آه ، آبن الخطیب ، المصدر . نفسه ، ح ۲ ، ص ۱۷۱ ، السامرائی ، الرحم نسبه ، ص ۸۹ ، ۹۰ .

⁽۲٤) ادن عداری ، المصدر دفسه ، ۱۳۰ م ۲۲۳ ۰

أنظر ، الفصل الأول من الباب الثالث ، ص

⁽٢٦) عمان ، المرجع مصمه ، ص ٧٨٥ ، أنظر القصل الأول من العاب الثالث من

لم يلبث المنذر ان قام هو وحليفه ملك ارغونه وسارا في قوامهما لمحاربة المقمبيطور والتقى الطرفان عند موريلا على مقربة من طرطوشة ، فانتصر القهبيطور واستولى على ما في معسكرهما من مال ومتاع وعلى كثير من الأسرى ، وعاد الى سرقسطة حيث استقبال الأبطال ، وعلا نجمه واشتد نفوذه حتى كان المؤنمن لا ببرم أمرا من أعمال الحرب أو السياسة دون مشاورته ، وغدا بذلك تحت حمايته مها دعا الناس الى تحميل المؤتمن مسئوليه بغى القمبيطور وغساده في نواهى نعرق الأندلس (٢٦) .

لم يلبث أن مات المؤتمن عام ٧٨ هـ / ١٠٨٥ مم وخلفه أبنه أحمد المستعبن (٧٨ ك - ٥٠٣ هـ / ١٠٨٥ - ١١٠٩ م) في حكم سرقسطة وبقى الشق الآخر من المملكة بيد عمه المنذر الذي استأنف الصراع مع أبن أخيه وتحالف كل منهما مع النصاري ضد الآخر . لكن حدث أن سقطت طليطلة في نفس المعام في يد الفونش المسادس واختل ميزان القسوى بين المسلمين والنصاري في نسبه الجزيرة اختلالا خطيرا ، وبات واضحا أن أيام الاسلام في الأندلس معدودة ، ولم يلبث الفونش أن قام الى سرقسطة مصمما على الاستيلاء عليها مسنغلا تطرفها وعزلتها عن باقي الممالك الاسلامية ، وحاول المسنعين أن يرده بالمال ، لكنه أبي وأصر على أخذ المدينة ، ولم ينقذها منه ألا انتسار الألباء بنزول المرابطين أرض الأندلس ، فاضطر المونش الي رفع الحسار عن سرقسطة وعاد الى قشسنالة ليعبيء قوانه استعدادا للمعركة الكبرى ضد المرابطين (٢٠) .

ثم كانت وقعة الزلاقه في رجب سينة ٧٩ هـ / اكتوبر ١٠٨٦ م ، وفيها هزم الفونش هزيمة ساحقة وضعف امر قشتالة ، لكن المستعبن واجه خطرا آخر لا يقل خطورة عن خطر نصارى قشتالة . فقد بدأ شانجة راميرزا ملك أرغونة بالاستيلاء على منتشون في سنة ٨١ هـ / ١٠٨٩ م ، واضطن المستعبى عندئذ أن منضوى بحت حمابة الفونش السادس ملك قشتالة وان

۲۲) عدان ، المرجع نفسه ، ص ۲۸۵ ، ۲۸۲ ٠
 ۲۷۷) عذان ، المرجم نفسه ، ص ۲۸۷ .

مدنع له الجزية التي كان قد أباها من قبل . وكانت هذه المحالفة تهم المفونش ، لأنه كان ينظر الى توسع مملكة أرغونة بعين الحسد (٢٨) .

ذلك أن شانجة ملك أرغونة زحف الى مدينة واشسقة ، وهى ثانى مدينة في مملكه سرةسطة وضرب حولها الحصار ، لكنه مات محاصرا لها عام ١٨٧ ه / ١٠٩٤ م فمضى ابنه بدرو الأول (١٨٧ – ١٩٨ ه / ١٠٠٥ م المحتار حتى أستولى عليها في ذى الحجة ١٩٨ ه / المحتار حتى أستولى عليها في ذى الحجة ١٩٨ ه / المحتار حتى أستولى عليها في ذى الحجة ١٩٨ ه موفقه مركة ما معد معركة حاميسة تسمى معركة الكوراز عنها المستعين وحلفاءه القنستاليين ، وقتل من المسلمين حوالى اثنى عشر الفا ، وكان بين القتلى غرسية ردونيز قائد جند قشتالة ، واستسلمت عشر الفا ، وكان بين القتلى غرسية ردونيز قائد جند قشتالة ، واستسلمت كنيسة وجعلها عاصمة لملكنه ارغونة (٢٩) .

وفى تلك الاثناء كان السيد القبيطور الذى كان يعمل لحسابه الخاص فى تلك المنرة قد استولى على بلنسية عام ١٨٧ ه / ١٠٩٤ م ، وانشغل بالحفاظ علمها أمام هجمات المرابطل وازدياد نفوذهم وفونهم فى الجزيرة ، كدلك كان الفونش السادس مشغولا هو الآخر بدنع خطر المرابطين عن مملكته ، ومن تم أصبح من الواضح أنه لا يمكن للمستعن بن عود أن يطلب العون منهما ضد خطر ملك أرغونة ، فولى وجهه شطر المرابطين وأرسل لهم أبنه عبد الملك عام ٢٩٦ ه / ١١٠٣ م ومعه هدية ماخرة لطلب محالفتهم (٣٠) .

وكان هدا ينفق مع سياسة المرابطين الذبن كانوا يرون ترك الثغور المواجهة لبلاد العدو في حكم الأندلسيين ، لكونهم أدرى بأحوالها وبأحوال

⁽۲۸) عبان ، اأرجع يفسنه ، ص ۲۸۸ ٠

⁽٢٩) اس الحطيب ، المسجر نفسه ، ح ٢ ، ص ١٧٢ ٠

الطططوسي ، سراح الملوك ، ص ١٥٢ المقرى ، النصع هـ ١ ، ص ٢٠٦ ٠

⁽٣٠) يطرس المصماني ، معارك العرب في الأنطس ، ص ٥٣ ، ٥٤ ، عنان ، المرجسم نصبه ، ص ٢٨٨ .

العدو اكثر منهم ، ولتكون حاجرا بينهم وبين نصارى الشمال ، وخوفا من ان يقوم بنو هود بتسليم المملكة الى اعداء الاسلام اذا ما هاجمهم المرابطون ، واستفل ابن هود هذا الموقف واطمأن على بقائه فى الحكم بعد أن اخذ يهدد نصارى الشمال والمرابطين كلا منهما بالآخر (٢١) .

اطمأن المستعين الى محالفة المرابطين واخذ يسعد لمقارعة ملوك ارغونة ، وكان بدرو قد توفى وخلفه فى الملك اخوه الفونسو المحارب عام ١١٠٥ هـ / ١١٠٥ م ، وكان ملكا مقداما شديد البأس ، ولم يكن قد بقى من قواعد مملكة سرقسطة الهامة فى شمال نهر أبرة بعد سقوط وشقة سوى تطيلة ، نسار اليها الفونس المحارب فى قواته ، وزحف المستعين لنجدتها ووقعت بين الفريقين معركد شدبدة عند بلدة تدعى بلتيرة (فالتيرا) ، هزم فيها المسلمون وقدل المستعين ، وذلك فى رجب سنة ٥٠٣ هـ / يناير ١١١٠ م ولم تلبث الملكة كلها ان سقطت فى يد النصارى بعد ذلك بعشر سنوات (٢٠٠) .

٢ _ علاقة مملكة بلنسية بممالك اسبانيا النصرانية:

تمثل بلنسية نموذجا للفوضى السياسية التى كانت سمة من سمات هذا العصر ، اذ تعاقب على حكميها الفتيان العامريان (مبارك ومظفر) حتى عام ١١٦ ه تم استقل بها أحفاد المنصور بن أبى عامر حتى عام ٥٧ ه / ١٠٦٥ م ، تم صارت تابعة لبنى ذى النون ويحكمها أحد أبباعهم ، ثم صار تحت حكمهم مباشرة بعد أن طرد القادر من طليطلة وملكه الفونش السادس على بلنسية عام ٨٧٤ ه ، ولم تلبث أن استقلت المدينة تحت حكم قاضيها أبن جحاف عام ٥٨٤ ه بعد أن قتل القادر الذى كان فى الواقع ظلا لسلطان ملك قشتالة أو لذلك القائد القشتالي المغامر المسمى القمبيطور ، ولم يستمر حكم هذا القاضى طويلا فقد تمكن القمبيطور من الاستيلاء عليها ولم يستمر حكم هذا القاضى طويلا فقد تمكن القمبيطور من الاستيلاء عليها

⁽۳۱) ابن عبذاری ، المسدر نسبه ، ح ٤ ، ص د١٤٠

اس الحطيب ، المصدر يفسه ، حـ ٢ ، ص ١٧٣ ، الحلل الموشية ، ص ٥٩ ، ٠٠ .

⁽٣٢) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ح ٢ ، ص ١٧٤ .

المقرى ، النفع ، ح ١ ، ص ٢٠٦ ، عدان ، المرجع بمسه ، ص ٢٩١ .

بعد عامين (۸۷) ه) عندما لم تجد من يساعدها فى الصمود أمام حصار استمر عشرين شهرا كالملا ، اكل الناس فيها لحوم الموتى من البشر ، واستطاع المرابطون أن يستعيدوها بعد ذلك بثمانية أعوام (١٩٥ ه / ١١٠٢ م) .

وخلال هذه التقلبات السياسية التى مرت على تلك المدينة ، ظهرت الأطماع فى الرغبة فى السيطرة عليها سواء من جانب المسلمبن (بنى هود بنو ذى النون) او من جانب المسيحيين (ملوك ارغونة للقطونية للشيالة) . وناربخ نلك المدينة خير مثال بمكن ان نضربه للتعرف على حقيقة العلاقات السياسية التى كانت موجودة على ارض شلبه الجزيرة فى ذلك الوقت .

واول من استولى على بلنسية بعد قيسام الفتنة البربرية في بدابة القرن الخامس الهجرى هم الفتيان العامريون ، فقد حكمها منهم مظفر ومبارك وانتهى حكمهما عام ٢٠١٨ ه / ١٠١٧ م ، وتولى امر بلنسية بعدهما الفنى لبب العامرى صاحب طرطوشة بموافقة اهلها ، لكنه اساء السرة وسخط عليه أهل بلنسية للصداقة التي عقدها مع ملك برشلونة رامون بوربل الثالث ، مما اعطى الفرصة لهذا الملك من التدخل في شئون بلنسية بصورة واضحة . فقام اهل بلنسية وعقدوا البيعة لأحد احفاد المنصور بن أبي عامر ، وهو عبد العزبز بن عبد الرحمن شنجول (١١١ سـ ٢٥٢ ه / ١٠٢١ م) (٣٠) .

استقر عبد العزيز في بلنسية وتلقب بالمنصور ، ووسع نفوذه واستولى على المرية بعد مقتل حاكمها زهير العامري عام ٢٩١ ه / ١٠٣٨ م ، وكذلك استولى على مرسية وأوريولة ، وبذلك صارت مملكة مجاهد العامري في داندة محصورة بين أطراف مملكة بلنسية الشمالية والجنوبية ، فخرج على داندة

⁽۱۳۳) اس عنزی ، المسطر نقسه ، ج ۳ ، ص ۱۹۳ ، ۱۹۶ . اس ۱۳۳ ، ۱۹۶ . اس الحطنب ، المصدر نعسه ، ج ۲ ، ص ۱۹۰ .

حليل الساهرائي ، المرجع نفسه ، ص ١٠٧ ، ١٠٨ ٠

، رأس قوانه عام ٣٤ ه / ١٠٤١ م لكنسه منى بالهزيمه على بد قوات المنصور عبد العزيز الذى ساعدته قوات مرتزقة امده بها ملك قشستالة فرديناند الأول ، ولم تتعرض بلنسية في عهد عبد العزيز لهجمات من نصارى الشمال ، ربما لصلة القرابة التي تربطهم ، جيث أن جدته كانت من نصارى نبرة أو قشتاله (٢٠) .

وفى عهد ابنه وخلفه عدد الملك المظفر (٢٥١ - ٢٥٧ ه / ١٠٦١ - ١٠٦٥ م) تعرضت مملكة بلنسية لهجمة شرسة من مرديناند ملك قنسالة عام ٢٥٧ م . ويبدو أن تلك الهجمة كانت رد فعل لاسترداد بريشسر على يد المقتدر بن هود من يد الصليبيين بعد أن كانوا قد استولوا علبها في بدابة عام ٢٥١ ه ، ونتيجه لسوء معاملة النصاري التي صحبت القضاء على آثار تلك الحملة الصليبية المدمره التي تعرضت لها بربشتر .

وكان ابن هود قد رفص دفع الجزية لفردبناند ، فقام الأخير بمهاجمة اراضى سرقسطة ، ثم اشرف على بلنسية وضرب حولها الحصار ، وأعمل الحلة في القضاء على أهلها ، فتظاهر بالارتداد صوب الشمال الى قرية تسمى بطرنة ، فخرج سكان بلنسية مع ملكهم عبد الملك لمطاردتهم وهم بلبسون أفخم الثياب والزينة وكأنهم في يوم عيد ، وهنا خرج عليهم الكمين واخذهم قتلا وأسرا ، ولم ينج منهم الا العدد القليل ، وفي ذلك يقول الشاعر (٣٠):

لبسوا الحديد الى الوغى ولبستم حلل الحرير على الواسا ما كان القبحهم وأحسى بها لولم يكن ببطيونه ما كانا

بعد هذا النصر الذي حققه فرديناند عاد الى محاصرة المدينــة من حديد ، فاستفاث عبد الملك المظفر بصهره المأمون صاحب طلاطلة . ورغم

⁽٣٤) عنان ، دول الطوائف ، ص ١٩٧ ، ٢٢٢ ، ٢٢٢ .

⁽٣٥) اس بسام مرواية الن عـذاري ، ح ٣ ، ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ .

ابن بسام بروایة المتری ، المصدر نفسه ، ج ۱ . ص ۸۵ ، ج ۲ ، ص ۷۵ .

ان الماءوں كان يدعع الجـزية لفردبناند الا انه هرع لانقـاد المدينة املا في، استخلاصها منه لنفسه ، وقد ساعدته الظروف على ذلك ، اذ أن فردينانـد لم يلبث أن أحس بدبيب المرض والموت يسرى في جسـده فرفع الحصـار وعاد الى بلاده حيث مات هناك بعد فترة قصيرة ، واننهز المأمون الفرصة ودخل بلنســنة وعزل صـهره عن حكمها وضمها الى مملكنه طليطلة في ذي الحجة عام ٥٧ ه / ١٠٦٥ م (٣) .

ترك المأمون حكم بلنسية في يد أحد وزرائها وهو أبو بكر أحمد بن أبى عبد الله بن عبد العزيز (٤٥٧ – ٤٧٨ ه / ١٠٦٥ – ١٠٨٥ م) فأحسن ادارتها واستقل بها بعد وفاة المأمون عام ٤٦٧ ه / ١٠٧٥ م كلكنه واجه خطر أطماع بنى هود فيها ، ذلك أن المقتدر بن هود كان قد اسنولى على دانبة في العامل التالى (٤٦٨ ه / ١٠٧٦ م) من يد اقبال الدولة على بن مجاهد العامرى ، وأصبحت بلنسية محصورة بين أطراف ملكنه ، فنوجس أبو بكر بن عبد العزيز خفية من المقتدر بن هود ، فخاطب المفونش السادس ملك قشنالة وانضوى تحت حمايته ، وتعهد له بأداء الجزية ، وفي الوقت نفسه كان المؤتمن بن المقتدر يتطلع الى امتلاك بلنسية المجية موقعها ووفرة خبراتها ، فخاطب بدوره الفونش السادس ودفع اليه مائة الف دبنار لمعاونته في السيطرة عليها (٣٧) .

وبالفمل زحف ملك قشتالة الى بلنسية ، فخرج اليه ملكها أبو بكر وخاطبه برقة ولباقة وأقنعه بالرجوع ، فانصرف الفونش ووعده بحمايته . ذلك أن الفونش كان معجبا بأبى بكر ويعده واحدا من رجالات الأندلسي . الثلاثة في نظره ، وهم أبو بكر بن عبد العزيز هذا ، وأبو بكر بن عمار وزير المعتهد بن عباد ، وششنانده أحد قواده البارزين ، وفي نفس

⁽٣٦) أبو الفدا ، تاريخه ، ح ٢ ، ص ١٥٦ ، القلقشندى ، المصدر نفسه ، ج ٥ هـ ص ٢٥٣ .

عنان ، المرجع نفسه ، ص ۲۲۰ ، دوزی ، المرجع نفسه ، ص ۱۷۸ ، ۱۷۹ .

⁽۳۷) الفلفشندي ، المصدر نفسه ، ج ه ، ص ۲۵۳ .

خليل السامرائي ، المرجع نفسه ، ص ١١٠ ، عنان ، المرجع نفسه ، ص ٢٦٦ •

الوقت النمس أبو بكر حماية المؤتمن بن هود ، وقدم أبنته لتكون عروسا لابنه أحمد المستعين ، واحتفل بهذا الزواج احتفالا كبيرا وذلك في رمضان 700 = 100 ه / فبراير 100 = 100 م ، ولم يعش أبو بكر طويلا أذ ما لبث أن توفى في صفر 700 = 100 ه / يونية 1000 = 100 م ، وخلفه في حكم الملكة أبنه أبو عمر عثمان (صفر 700 = 100 سوال 700 = 100 م) .

وفي هذه الأثناء حدثت اكبر كارثه حاقت بالمسلمين في ذلك العصر اذ سقطت طليطلة في يد الفونش السادس في صغر ٧٨ ه / ١٠٨٥ م وكان لسقوطها آثار خطيرة على مستقبل مملكة بلنسية . ذلك أن الفونش كان قد المفق مع المقادر بن ذي النون ملك طليطلة المعرول على اعطائه بلنسية ، أو مساعدته في استردادها من يد ابن وزيرهم الذي كان بنو ذي النون قد ولوه اياها بعد القضاء على حكم العامريين بها عام ٥٦ ه كما سبق القول ، وانقسم شعب بلنسية على نفسه ، فكان البعض يرى الانضواء تحت حماية المستعين بن هود ، ببنما الآخرون يرون أن لبني ذي النون حقوقا في المدينة وهم أحق بها (١٣) .

وتحقيقا لاتفاق الفونش مع القادر ، فقد قدم الأخير مع قوة تشتالية بقيادة البارفانيس الذى تسميه الرواية الاسلامية (البرهانس)، وتمكن من دخول بلنسية في شوال ٢٧٨ ه/فبراير ١٠٨٦ م، وقامت دولة بنى ذى النون مرة اخرى في شرقى الأندلس بعد ان كانت قد اننهت في طليطلة ، وقامت على يد ملكها الشريد الخانع الضعيف القادر بالله في مثل الظروف التى كانت قائمة عليها من قبل في اواخر ايامها بطليطلة بالله في مثل الظروف التى كانت قائمة عليها من قبل في اواخر ايامها بطليطلة دولة ضعيفة تابعة ، تدين بو جودها لقشاتالة ، وتعيش في ظل الحراب النصرانية ، وما لبث القادر أن أبدى صولة الضعيف اذا تحكم ، ففرض عليهم الغرامات ، على المدينة حكم طغيان شامل ، وصادر الأغنياء وفرض عليهم الغرامات ،

 ⁽٣٨) القلقشندى ، نفسه ، ج ه ، ص ٢٥٣ ، ٢٥٣ ، عنان ، الرجع نفسه ، ص ٢٢٦ ٠
 (٣٩) عنان ، الرحم نفسه ، ص ٢٢٧ ٠

وعاث النصارى في المدينة ، واصبحوا الحاكمين الحقيقيين لها ، وخاف الناس من القادر أن يسلمها لألفونش كما سلم من قبل طليطلة (1) .

ولما رأى المنذر بن هود صاحب طرطوشة ودانية والجزء الشرقى من منعكة سرقسطة والذى كان يناوىء ابن اخيه احمد المستعين اضطراب الأحوال فى بلنسية ، طمع فيها خاصة وانها تشطر مملكته ، فسار اليها فى قواته ومعه سرية من المرتزقة القطلان وحاصرها . وفكر القادر فى التسليم ، لكنه ارسل الفونت ملك قشنالة يستغيث به ، كما ارسل بنفس الصريخ الى المستعين بن هود صاحب سرقسطة وخصم المنذر الذى اراد ان يحقق حلم ابيه المؤتمن فى السيطرة على بلنسية ، وان يعوض الأموال التى كان قد دفعها ابوه الى ملك قشستالة لتحقيق ذلك ، وبادر بالاستجابة لصريخ المقادر ، وهرع الى بلنسية فى اربعة آلاف فارس ، ومعه حليفه القمبيطور فى ثلانة آلاف فارس عام ١٨١ ه / ١٠٨٨ م (١٤) .

ويقال ان المستعين قد اتفق مع القبيطور على ان تكون الأسلاب كلها من نصيب القمبيطور ورجاله ، وأن تكون المدينة ذاتها من نصيب المستعين . وكانت هذه هى النية الحقيقية فى اسراع المستعين لنجدة بلنسية ، ولما اشرف على بلنسية ادرك المنذر انه لا فائدة من الانتظار ، وكان القادر يعرف نوايا هؤلاء الذين هرعوا لمساعدته ، فحاول أن يضربهم ببعضهم وتحالف مع القبيطور سرا ، وأرسل اليه الأموال والهدايا ، فلما وصل القمبيطور والمستعين الى بلنسية ، ظهرت حقيقة القبيطور ، وانكشف غدره بمن آواه ، وبانت خلاله الأصلية التى اباحت له أن يبيع العدو الصديق معا ، وأن ينتهز الفرصة بأى ثمن ، فكان يوعز للقادر والمستعين أنه مساعد لكل هنهما فى وقت واحد (٢٠) .

⁽٤٠) ابن عبداری ، البیان ، ج ۳ ، ص ۳۰۰ ، القلقشندی ، المسدر نفسه ، ج ۰ ، حس ۲۰۱ ،

عنان ، الرحم نفسه ، ص ۲۲۸ • ۲۲۸ Dozy, op. cit, p 693

⁽٤١) ابن الكردبوس ، الاكتفاء ، ص ٩٨ ، عنان ، المرجع نفسه ، ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ .

⁽٤٢) ابن الكؤردبوس ، الاكتفاء ، ص ٩٨ ، عنان ، الرجع نفسه ، ص ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

واراد القمبيطور الا يعرض نفسه لغضب الفونش السادس مك قشتالة ، فارسل اليه يخبره انه فيها بعمله ويغنمه انها هو تابع له ، وذهب بنفسه الى قشتالة وحصل من الفونش على وثيقة تبيح له امنلاك وتوريث ها يحصل عليه من اراضى المسلمين لأولاده من بعده . ولما ادرك المستعين مدى نفاق التمبيطور وغدره وانصرافه الى العمل لصالحه وصالح قشتالة ، قطع علاقته به واتجه الى محالفة برنجير كونت برشلونة ، وكان من الد اعداء القمبيطور ، ودفع اليه اموالا طائلة وارسله الى محاصرة بلنسية ، ولكن القادر صهد للحصار حتى عاد القمبيطور من قشتالة وتقابل مع قوات كونت برشلونة في معركة هزم فيها الكونت واسر ، واطلق القمبيطور سراحه لقاء فدية كبيرة ، وانتهى الأمر بينهما الى التفاهم وعاد الكونت بجيشه شمالا الى برشلونة (٣٠) .

اسنطاع القمبطور بعد ذلك أن يفرض نفوذه وسيطرته على شرق الأندلس ، فدغع له الجزية أصحاب البونت والسئلة ومربطر وشنتمرية الشرق علاوة على نلنسة التى تعهد صاحبها القادر أن يدفع له مائة الف دينسار سنوما نظير حمايته له ، وقد أثار ازدياد نفوذ القمبطور على هذا النحو أعداءه في قشتالة ، فأثاروا الملك عليه ، وصوروا له نصرفات القمبيطور بصفة الغدر والخيانة ، وخاصة بعد أن كان القمبيطور قد تخلف عن مساعدته في حصار حصن لبيط ، فقبض على زوجته وأولاده وعزم على مهاجمة بلنسية في الوقت الذي كان فيه القمبيطور في سرقسطة لنظم الدفاع عنها ازاء ازدياد خطر المرابطين ، ولعقد محالفات مع هاوك النصارى المجاورين مثل ملك ارغونة وملك نبرة (ئن) ،

وتحالف الفونش السادس مع جمهوريتى جنسوة وبيزة على مهاجمة بلنسية بحرا ، على أن يهاجمها فى نفس الوقت من البر ، وتقدم الفونش الى بلنسية لكن السفن الحليفة لم تصل فى الوقت المناسب ، فرفع الفونش الحصار بعد أن أخذت المؤن فى النفاد ، وبعد أن سمع أن القمبيطور قد أغار

⁽٤٣) عنان ، المرجع نفسه ، ص ٢٣٧ ٠

⁽٤٤) ابن الكردبوس ، الاكتفاء ، ص ١٠٠ ، عنان ، المرجع نفسه ، ص ٣٣٩ ٠٠

على اراضى قشتالة انتقاما لما فعله النونش بمنطقة نفوذه فى بلنسبة ، فعاد الفونش الى سياسة اللين واصدر عفوه عن القهبيطور فى أوائل عام ١٨٥ هـ ١٠٩٢ م وعاد الى بلاده (٥٠) .

انتهز الحزب المعارض للقادر والقبيطور ولنفوذ نصارى الأسبان بصفة عامة الفرصة ، وكان على راس هذا الحزب عاضى المدينة ابو احمد جعفر بن عبد الله بن جحاف المعافرى الذى تفاوض مع المرابطين على ان يمدوه بقوة تساعده على الوقوف فى وجه الأسبان والقادر بن ذى النون على أن يسلم لهم المدينة ، ولما وصلت القوة المطلوبة ، قامت النورة ضد القادر وتم قتله فى رمضان ١٨٥ ه / اكتوبر ١٠٩٢ م ، والت السلطة الى جماعة الفقهاء والأشراف وعلى راسها ابن جحاف (٢٠) .

ولما علم القمبيطور بهذه التطورات المزعجة اسرع بالسير الى بلنسية ، واعمل الحبله حنى ينفرد بابن جحاف ، وفاوضه على اساس ان يطرد جند المرابطين من المدينة وأن يبقيه حاكما لها مكان القادر ، على أن يؤدى الجزية المنق عليها من قبل وهي الف دينار في الأسبوع ، ونجحت الخطة ، لكن القيبيطور سرعان ما نقض وعوده واخذ يضابق المدينة ويطالب اهلها بالأموال ، وطالب ابن جحاف بتسليم ابنه رهينة ، عندئذ رفض ابن جحاف وإرسل ستصرخ بالمرابطين والمستعين ملك سرقسطة والفونش السادس ملك قشينالة ، وصمد ابن جحاف لحصار القمبيطور عشرين شهرا حتى اكل الناس لدوم البشر ، وصاروا اشباحا كالموتى ، وارتفعت الأسعار بشكل الإيحنمل وانتهى الأمر باستسلام المدنة في ٢٨ جمادى الأولى ١٠٩٤ ه / .

وبذلك سقطت بلنسية فى يد القمببطور وضاعت كما ضاعت طليطلة ، وكان لسقوطها دوى كبير فى انحاء أسبانيا ، لا سيما بعد المذابح التى اجراها القبيطور لزعمائها وخاصة لابن جحاف الذى احرقه حيا ، عقابا له على

١ (٥٥) ابن الكردبوس ، الاكتفاء ، ص ٩٩ ، ١٠٠ ، عنَّان ، المرجع نفسه ، ص ٢٤٠ ٠

⁽٤٦) ابن الكردبوس ، الاكتفاء ، ص ١٠٣ ، ابن عـذارى ، المغرب ، ٣ ، ص ٢٠٥ ٠

٠ ١ (٤٧٠) ابن الخطيب ، المضدر نفسه ، د ٢ ، ص ٢٠٢ ٠

⁽٤٨) الن للكرديوس ، الاكتفآء ، ص ١٠٣ ، ابن علقاري ، المغرب ح ٣ ، ص ٣٠٥ ، ٣٠٦

[•] المِنْ المخطيب ، المصدار نفسه ، ص ٢٠٣ - ٢٠٤ •

صموده الطويل ، ولاستنجاده بالمرابطين ، ولاغتياله للقادر احد أتباع القمبيطور ، ولاستيلائه على المواله وانكار ذلك عند لمطالبته بها ، ولبث المتمبيطور يقاوم المرابطين ويدنع تقدلهم على شرق الأندلس حتى مرض وقتل ابنه الوحيد في معركة لألفونش مع المرابطين الذين تمكنوا أيضا من هزيمة قواته عام ٩٠٠ هـ / ١٠٩٧ م ، غالمه الخطب واشتد عليه المرض ومات غما وحزنا في رمضان ٩٠١ هـ / يولية ١٠٩٩ م (٢٠) .

حسودت زرجنسه خمينا لهجمات المرابطين عامن آخرين ، وأخيرا السندعت النوندس السادس الذي جاء اليها في قوانه ، ودخل بلنسية في جمادي الثاني ٩٥ ه / مارس ١١٠٢ م ، ووجد الفونش أنه لا فائدة المقام في هذه المدبنة ، فخرج ومعه خمينا وجميع النصاري ومديم أموالهم وأولادهم ورفات المتمبيطور واحرقوا المدينة ، ودخلها المرابطون واعادوها الى حوزة الاسلام في شعبان ٩٥ ه / مابو ١١٠٢ م وبذلك أنهى الصراع حول هذه الملكة (٥٠) .

٣ ـ علاقة مملكة دانية والجزائر الشرقية بالمالك النصرانية في اسبانيا:

بعد قيام البربرية وانتثار عقد الخلافة في اوائل الترن الخامس الهجرى ، تغلب مجاهد بن عبد الله العامرى مولى عبد الرحمن شنجول بن أبي عامر على دانبة والجزائر الشرقية (ميورقة ، منورقة ، يابسة) والتي تعرف بجزائر البليار ، واقام المعيطى خليفة عام ٥٠٤ هـ ، وغزا معه جزيرد سردينيا في ربية الأول عام ٢٠٤ هـ / اغسطس ١٠١٥ م ، وكان أول فنح اسلامى لهذه الجزبرة الكبيرة ، واخذ مجاهد بنظم شئونها وبدا في بناء مدينة كبيرة بها ونقل اليها اسرته ، ولما كانت نلك الجزيرة تريبة من سسواحل ايمائيا ، اعلن البابا بندكتوس الثابن في الحال الحرب من سسواحل ايمائيا ، اعلن البابا بندكتوس الثابن في الحال الحرب من الحزيرة (١٠٥) .

⁽٤٩) ابن عــذارى ، العيان ، ج ؛ ، ص ٣٧ ، ٣٨ ، الضبى ، بغية المتمس ، ص ١٨٦ ، المرى ، المفجى - ٢ ، ص ٧٧٥ ،

⁽۵۰) ابن عنذاری ، البیان ، ج ٤ ، ص ٤١ ، ٤٢ ، عنان ، المرجع دنسه ، ص ٢٤٨ ه: (۵۱) الضبی ، المصدر تنسه ، ص ٤٥٧ ، ١٩٥٨ ،

لعن الأثير الكامل حد ٩ ، ص ١٠٨ ، لبن خليدون ، المصيدر بفسه ، ج ٤ ، ص ١٦٤ ٠

ولا تعظینا المصادر الاسالامیة معلومات مفصلة عن دور نصاری الشمال الاسبانی فی هذه الحرب الصلیبیة ، ولکنها تکتفی بالاشارة الی الروم والفرنح ساروا الیها واخرجوا المسلمین منها فی نهایه عام ۷۰ ه مل الروم و الفرنح ساروا الیها واخرجوا المسلمین منها فی نهایه عام ۱۰۱۸ م ، ولعل المقصود بالروم هنا هم جنود البابا ومدن ایطالیا من الرومان ، اما الفرنج فلعهم فرنجة برشلونة ومما یقوی هذا الاعتقاد موقع مبرشلونة المواجه لجزيرة سردينا ومهاجمة مجاهد العامری لها ای لبرشلونة فیما بعد (۲۰) ،

على اية حال فقد فشل مشروع مجاهد في احتلال سردينيا نظرا لمقاومة اهل الجزيرة من الداخل ، وتمرد الجند المرتزقة النصارى في اسطوله ، وتوالى العواصف العنبفة الني كانت تقذف بسفن المسلمين ناحية الأسطول البابوى ، فدفننمها هؤلاء ويفنكون بهن فيها أو يأسرونهم ، وانتهت المعركة بهروب مجاهد في قلة من جنده بعد أن استولى العدو على أهله وحريمه وابنه (على) وأمه النصرانية (جود) وذلك في عام ١٠١٧ ه / ١٠١٦ م وقد السطاع مجاهد أن يفتدى زوجه وبناته وابنه (على) فيها بعدد ورفضت أمه واختها العسودة وفضلتا العيش في أرض نصرانية فأعرض عنهما (٥٠) .

وفي عام ١٠١٨ هـ / ١٠١٨ م هاجم مجاهد العامرى منطقة قطلونية ويبدو انه هزم امام قوات قطلونية واضطر الى طلب الهدنه ودفع الجزيه ، ولو كان مجاهد قد سخر مجهوده كله لجهاد نصارى أسبانيا ولم يقم بمشروعه الفاشل في سردينيا لكان ذلك مفيدا وذا جدوى ، ولكنه اثار البابوية اكبر زعامة مسيحية موجودة في ذلك الوقت بفروه الطائش لسردينيا وبعض المدن الايطالية . وقد قضى مجاهد بقبة عمره حتى وناته عام ٣٦٤ هـ / ١٠٤٥ م في علاقات طيبة مع كونت برئلونة ومع فرديناند ملك قشتالة على عكس علاقاته بحدانه المسلمين في المربة ومرسمة وبلنسية (١٠٥٠) .

⁽۱) الضيني ، المصنفر نفسه ، ص ٤٥٨ ، ابن الأثير ، الكامل حـ ٩ ، ص ١٠٨ ٠

١٩٥٣) الصبي ، المصدر نفسه ص ٤٥٨ ، ابن خلدون ، المصدر نفسه ح ٤ ، ص ١٦٤ .

١(٥٥) ابن عطدون ، المصدر بعسه ، حدة ، ص ١٦٤ ، عنان ، المرجع نفسه ، ص ٢٠٢٠ •

تولى حكم مملكة دانية والجزائر الشرقية اقبال الدولة على بن مجاهد. العامرى (٣٦٤-٢٨٤هم/١٤٠١م) ٤ وتميز عصره بالعلاقة الحسنة مغ ملوك النصارى والتسامح المطلق مع نصارى مملكنه ٤ وربما كان ذلك راجعا الى نشاته بين نصارى سردينيا خلال اسره الطويل ٤ واعنناقه دينهم قبل أن يعود الى الاسلام ودياره ، وقد اطمأن (على) على موقع مملكته الحصين والنائى عن اطماع ملوك النصارى ٤ وعاش في سلام مع جيرانه ٤ لا يهتم الا بتنمية ثرونه أو زيادة خراجه ٤ وصاهر ملوك الطوائف بتزويجهم من بناته الخمس الرائعات الجمال ٤ واللاتى كن في الواقع عيدونا له على أزواجهن (٥٠) .

ومما يدل على علاقته الطيبة بملوك النصارى الأسبان انه وضع كنائس مملكنه في دانيا والجزائر تحت رعاية اسقفية برشلونة ، على ان يتولى (على) بعيين رجال الدبن الذين يعملون بهذه الكنائس ، وهناك وثيقة بالفاتيكان تفيد بذلك ، ووثيقة ثانية يستمح فيها (على) للنصارى. المحاهدبن في أعمال مملكته بأن يذكروا اسم أسقفهم في خطبهم وهواعظهم وقد أورد الأسناذ عنان النص العربي لهذه الوثبقة جاء فيه « اثبهده اقبال الدولة أيده الله على أنه أجاب غلبرت الأسقف ببرشلونة الى أن بكون مذكورا في خطب النصارى في بيعهم بجميع أعماله ، وهو مها انعقد بالخط الأعلى ، وذلك في شوال سنة تسع وأربعين وأربعمائة » ثم يلى ذلك أسهاء الشهود (٥٠) .

وكان على بن مجاهد يهتم بشكون الجزائر الشرقية ويعنبرها اهم القسام مملكته ، وكان حاكم الجزائر على عهد والده مجاهد ، هو غالب مولاه . (٢٨٤ — ٣٦٦ ه) ، وكان غالب هذا جنديا وبحارا قديرا دائم الاغارة بسفنه على الشواطىء النصرانية القريبة سواء في قطالونية او على ساحل بروفانس ، وحكم الجزائر من بعده صهر على بن مجاهد ، وهو سليمان .

⁽po) ابن نسام ، الصدر نفسه ، ق لا ، ج ۱ ، ص ۲۰٦ .

[،] عدان ، الخرجع نفسه ، صن ۲۱۳ .

[.] ١٠٠/ (٥٦) عنان ، الرجع نفسه ، ص ٣٠٣ .

ابن مشكيان (٣٦١ ـ ٢٤٢ ه) الذي غزا جزيرة سردبنيا مرة ثانيئة عام ٤١١ ه / ١٠٥٠ م ومتحها ، الا أن البابا (ليو) التاسع وجه حملة صليبية اخرى أخرجت المسلمين منها نهائيا (٥٠) .

ثم حكم الجزائر بعده عبد الله المرتضى (٢١٤ – ٨٨٤ ه) ، وفي عهده سقطت دانيه في يد أحمد المقتدر بن هود صاحب سرقسطة عام ١٠٧٦ ه / ١٠٧١ م ، فاستقل عبد الله المرتضى بحكم الجزائر الشرقية . وقد كان عبد الله هذا تربطه بملك برشلونة رامون بيرنجير الأول (٢٧٤ – ٢٦٤ ه) وولديه من بعده ، برنجير ورامون ، علاقات ود وصداقة ، وترددت بينهما البعوث والسفارات ، وفي احداها تعرف رسول المرتضى على (مبشر بن سليمان) الذي كان نصارى برشلونة قد أسروه من احدى قلاع لاردة وعاش هناك وظهرت مواهبه (٥٠٠) .

قدر سفير المرتضى مواهب (مىشر) واستقدمه الى الجزائر الشرقية حيث تولى حكمها بعد وفاة المريضى ، وارسل الى دانية يطلب تسليم اهل على ابن مجاهد ، فبعثوهم اليه ، واخذ يكرر غزواته على ارض قطلونية ، حتى جمع له كونت برشلونة جموعه وأبحر اليه ونازله بميورقة عشرة اشهر استنجد اثناءها مبشر بعلى بن يوسف بن تاشفين فلم يصل الأسطول المرابطى الا بعد فوات الأوان ، فقد استسلمت الجزيرة لكونت برشلونة ، لكن المرابطين تمكنوا من استعادتها اخيرا ، وبذلك انتهت دولة بنى مجاهد العامرى في الجزائر الشرقية (٥٠) .

أما فى دانية فقد سبق القول بسقوطها فى يد بنى هود عام ٢٨ ه / ١٠٧٦ م ، وبذلك انتهى عهد بنى مجاهد العامريبن على أرض اسبانيا . وقد حاول سراج الدبن بن على بن مجاهد حاكم حصن شقورة استرداد

⁽٥٧) ابن خلدون ، المسعر بفسه ، ح ٤ ، ص ١٦٥ ٠

خلال السامرائي ، المرجع نقسه ، ص ٧٤ -

⁽٨٨) ابن خلدون ، المصدر نقسنة ، ح ٤ ، ص ١٦٥ ، عنان ، المرجع نفسه ، ص ٢١٠ ٠

⁽٥٩) ابن خلدون ، المصمدر قفسه ، ص ١٦٥ ، عنان ، المرجع نفسه ، ص ٢١٠ .

عرش أبيسه المغتصب ، نسار الى برشاونه واستفاث بصاحبها رامون، برنجير الأول ، فاستجاب له بعد شروط اشترطها عليه ، وأمده بتوات تمكن بها سراج الدين من استرداد بعض الحصون. ، لكن المتتدر بن هود "مكن من هزيمته والتخلص منه بأن دس له السم فمات سراج الدين عام ٢٩ ه / ١٠٧٧ م (٢٠) .

علقة شنتمرية الشرق وبعض المدن الأخرى بالمالك النصرانية في اسبانيا:

سمبت نلك المدينة بهذا الاسم تمييزا لها عن شعنتمرية الفرب التى تقع. على نهر تاجة وبنبع مملكة بطليوس ، وكانت شعنتمرية الشرق نسمى ايضا (السهله) وهي بقع بين مملكني سرتسطة وطلبطلة ، ونظرا لهذا الموقع نقد سار حاكمها عبد الملك بن هذيل بن رزين (٣٦١ – ١٠٤٩ ه / ١١٠٢ – ١١٠٣ م) بعيدا عن المشاحنات والمنازعات التي حنل بها هذا العصر ، وعاش عبشة البذخ واللهو حتى أنه اشعتري ذات مرة جارية بتلاثة آلاف دينار (١٠) .

سد أنه لما سقطت طايطلة في يد الفونش السمادس ملك قشنالة عام ١٠٨٥ ه / ١٠٨٥ م ، اضطر عبد الملك أن يدفع لمه الجزية كسائر ملوك الطوائف وأن بذهب بنفسه مهنئا على انتصاره ، حاملا معه هدية جليلة القتر ، مكافأه الملك النصراني عليها بقرد كان عبد الملك يفخر به ويتبه على سائر ملوك الطوائف ، لأنه الوحيد الذي نال هدبة المقونش ، ولو أن هناك رواية تنسب هذه الحادثة الى ولده سحيى بن عبد الملك وأن كأن هسذا مستبعدا لأنه لم بحكم الا بعد سقوط طلبطلة بحوالى عشرين علما (١٣) .

وبعد هزيمة الغونش السادس في موقعية الزلاقة على يد المرابطين المنع عبد الملك عن اداء الجزية ، لكن القمبيطور كان يحمل الراية النصرانية:

⁽٦٠) ابن خليدون ، المسيدر نعسه ، ص ١٦٥ .

⁽٦١) أرسلان ، للحل السندسنة ، ٢٠ ، ص ٩٠١ .

⁽۹۲) ابن عداری ، المصدر بنسه ، ح ۳ ، ص ۳۱۰ ، ۳۱۱ .

ويقوم ببث الرعب والفزع في شرقى الأندلس ، واضطر عبد الملك بن هزيل الن الخضوع له ، واتفق معه عام ١٨٨ ه / ١٠٨٩ م على أن يتركه يعيش في سلام ، على أن يؤدى الجزية للملك الفونش كما كان الشأن قبل الزلاقة ، وأن يدفع في الحال الى القبيطور بصفته نائبا عن الملك مبلغ عشرة آلاف دينار ، عندئذ غادر القبيطور أراضي شنتمرية عائدا الى بلنسية (١٣) .

ولما اشتدت وطأة القمبيطور على بلنسية والأنحاء المجاورة لها ، شعر القائد أبو عيسى بن لبون صاحب حصن مربيطر أنه لا يستطيع الصمود لهذا الارهاق ، وأنف من مفاوضة القمبيطور ووضع نفسه تحت حماية أبى مروان عبد الملك بن هذيل ، وسلمه الحصن وذهب الى شنتمرية للعيش فيها في أواخر عام ٨٦٦ ه / نوفمبر ١٠٩١ م ، وسار عبد الملك الى القمبيطور وفاوضه في عقد المودة والابقاء على الحصن في يديه ، على أن تكون سائر حصونه مفتوحة لجنود القمبيطور نزودهم بالمؤن ، ويبيعون ويشترون مفها ما يحتاجون اليه من لوازم الحياة (٢٠٠٠) .

لكن ابن هزيل لم يلبت ان طمع في الاستقلال عن القبيطور وامتنع عن داء الجزية له ، وفاوض بدرو (بطره) ملك أرغونة لكي يعاونه في تحقيق مشروعه ، وعرض عليه مبلغا كبيرا من المال . فلما وقف القبيطور على هذه العطورات انقض بقواته على أرض شنتمرية (السهلة) وعاث فيها ، ونسف الزرع وساق الماسسية وسبى جموعا كثيرة ، وبعث الجميع الى د جبالة ، على مقربة من بلنسية حيث كان معسكره الرئيسي . عندئذ اضطن دبد الملك الى الخضوع له مرة أخرى ، اجتنابا لهذا السيل المدمر ، وصونا فراضبه ورعيته ، وذلك عام ١٨٦ ه / ١٠٩٣ م ، ولم يلبث أن توفي عبد الملك بعد ذلك بحوالي عشر سنوات وخلغه أبنه يحيى المقب بحسام الدولة (١٠٥) .

وكان يحيى هذا اميرا ضعيفا مدمنا للشراب ، وكان يسعى الى مصانعة ملك تشتالة الفونش السادس وبلتمس عودته ويجتنب سطوته . والواقع أن

⁽٦٣) عنان ، المرحم نفسه ، ص ٢٥٧ .

⁽۱٤) عنان ، الرجع بنسه ، ص ۲۰۷ .

⁽۱۵) عنان ، الرجع ننسه ، ص ۲۰۸ •

الله بنى رزين كان يدبو حينند من نهايبه بسرعة ، ذلك ان المرابطين كانوا ند اجتاحوا يومئذ شرقي الأندلس كله ، وتوجوا سلطانهم في نلك المنطقة الاستيلاء على بلنسية في عام ٩٥ ه / ١١٠٢ م ، ورغيم أن عبد الملك قد علن قبيل وفاته طاعته لأمير المسلمين يوسف بن تاشفين الا أن هذا الاعتراف نم يكن كافيا لتحقيق خطة المرابطين في القضاء على سائر ملوك الطوائف مين ثم فقد تابع المرابطون زحفهم نحو الشمال ، وفي اليوم الثامن من رجب عام ٧٧) ه / ابريل ١١٠٤ م دخل المرابطون مدينسة شندرية ، وخلعوا أميرها يحيى بن عبد الملك بن رزين ، واندهت بذلك دولة بنى رزين بعد أن عاشت زهاء ستبن عاما ، ولم يبق بعدها من دول الطوائف العديدة سوى مملكة سرقسطة التى تحدثنا عنها من قبل (١٦) .

وتقع جنوبى شنتمربة الشرق المارة البونت ، واستمر عبد الله بن محمد أبن قاسم يحكمها لأكتر من اربعين عاما ، ولم تقع في عهده حوادث ذات شأن الاحينما أصبحت هذه المنطقة فريسة لأطماع القمبيطور ومغامراته ، ففى عام ٥٨٥ ه / ١٠٨٩ م زحف اليها بقواته وعاث فيها وخرب اراضيها ، واضطر صاحبها الى الدخول في طاعته ودفع الجزية ومقدارها عشرة آلاف دينار السوة بما فرض على جاره عبد الملك بن رزبن صاحب شنتمرية الشرق ، ولما استولى المرابطون على بلنسية عام ٥٩٥ ه / ١١٠١ م استولوا بسرعة على القواعد والحصون المجاورة لها ومن ضمنها المارة البنت ، ويبدو أن خلك تم في العام التالى (١٧٠) .

والى الجنوب من البونت تقع امارة مرسمة القريبة من حصن ليبط ، وكانت هذه الامارة تحت حكم خيران الصقلبى العامرى منسد عام ٧٠٠ هـ ١٠١٧ م خس مملكته الواسعة التى كانت تشمل بالاضافة الى مرسية جيان والمرية . ولما هلك عام ١٩١٤ ه صارت مملكه لأبى القاسم زهير الصقلبى العسامرى ، ولما مات زهير عام ٢٩٤ ه استقل بنو طاهر بملك مرسسية على يد أبى عبد الرحمن بن طاهر (٥٥٥ – ٧١) ه / ١٠٦٧ – ١٠٧٨ م) وظلت تحت حكمهم حنى طمع غيها المعتمد بن عباد ، غارسل المنها حيلة بقيادة

⁽٦٦) ابن عـذاری ، البیان ، ح ۳ ، ص ۳۱۱ ، عنان ، الرحع نفسه ، ص ۲۵۹ ،

⁽٦٧) عنان ، الرجع نفسه ، ص ٣٦١ ، ٣٦٢ .

وزیره ابن عمار الذی انقلب علی ملیکه واستبد بحکم مرسیة ، وفرض حکمها التابعه ابن رشیق عند ما نوی الذهاب الی سرقسطه لیقوم بمفسامرهٔ آخری هنساك ($^{\uparrow}$) .

لكن ابن رشبق عامل ابن عمار باسلوبه واعلن استقلاله بالامارة ، ماد واعلن ببعيبه للمعتمد بن عباد ، ولما جاء المرابطون لحصار حصن لييط القريب من حدود امارته ، انتهز ابن رشيق الفرصة وتمرد على المعتمد وتقرب الى ابن ناشفين ، وفي نفس الوقت كان يتصل بالنصارى المحاصرين في الحصن ويزودهم بالمؤن حتى يصمدوا للحصار ، لأنه كان يعتقد أن وجودهم أمان له ضد خطر ابن عباد والمرابطين ، ولم يكنف ابن رشيق بهذا القدر من الخيانة ، بل انه دفع جباية بلده مرسية لأنفونش مصانعة وتقربا اليه (٢٩) .

حينئذ المتى المقهاء بتسليمه لابن عباد ، وكان هذا سببا في تمرد رجاله المرسبين وعوديهم الى مرسية وقطعهم الميرة عن المسلمين المحاصرين لحصن لييط ، فوقع المفلاء واشستد الحال بهم حتى اضطروا اخيرا لرفع الحصار عن الحصن خصوصا عندما علموا بمجىء المفونش لانقاذه . وقد خدم موقف ابن رشيق جنود قشتالة وادى الى تقويتهم واسنمرار صمودهم ، وكانت نتيجة ذلك حدوث اول فشل يصيب الجبهة الاسلامية بعد انتصار الزلاقة الشهير والذى لم يكن قد مضى عليه أكثر من عابين (٧٠) .

والى الجنوب من مرسية تقع امارة او مملكة المرية ، وكانت ايضا تحت حكم خيران الفتى العامرى بعد فراره من قرطبة عام ١٠؟ ه خوفا من على بن حمود ، وظل في حكمها حتى وفاته عام ١٩} ه ثم حكمها من بعده زهير الصقابي العامرى حتى مقتله عام ٢٩} ه انناء صراعه مع بنى زيرى حكام غرناطة ، فصارت مملكته للمنصور عبد العزيز حفيد بنى زيرى حكام غرناطة ، فصارت مملكته للمنصور عبد العزيز حفيد المنصور بن ابى عامر ، فولى عليها قائده وصهره معن بن صمادح التجيبى عام ٣٣) ه ، لكنه خان سيده واعلن استقلاله وتسمى بذى الوزارتين ،

⁽۱۸۸) ابن بلقن ، مذکراته ، ص ۷۹ ، ابو الفدا ، تاریخه ، د ۲ ، ص ۱۵۱ ۰ الفلقشندی ، صبح الأعثی ، د ه ، ص ۲۵۳ ۰

⁽۱۹۹) اس بلقي ، منكراته ص ۱۱۰ ــ ۱۱۲ ، ابن عــذارى ، البيان ، ج ٤ ، ص ١٤٢ ، ٢٩٠ ، ١٤٢ ، ابن الخطيب ، الحلل الموشية ، ص ٤٩ ، ٥٠ ٠

⁽٧٠) ابن عداري ، المسدر نفسه ، ج ٤ ، ص ١٤٢ .٠

وظل يحكم المرية حتى وفاته عام 333 ه وتولاها من بعده ابنه المعتصم البو يحيى محمد بن معن بن صحمادح (333-348) ه / 1.01 - / (10) .

ورغم موقع المرية المتطرف في جنوب الأندلس الا انها لم تنسيح من هجمات توات تشتالة وخاصة بعد سقوط طليطلة عام ٧٨٨ هـ / ١٠٨٥ م وقد قام حصن لييط الذي شحنه الفونش بالعتاد والرجال بدور خطير في اثارة الرعب والفزع في تلك المنطقة (مرسية ، ولورقة والمرية) فقد قام جنوده النصاري بهجمات على المرية ، والمناطق المجاورة حتى ضاق الناس بهذا الحال ولم يعودوا يامنون على انفسهم اذا ما حاولوا الانتقال من بلدة الى اخرى . وقد ذهب احد شعراء مرسية البارزين وهو عبد الجليل ابن وهبون ضحبة هجمة لاحدى فرق نسارى هذا المنسن انناء انتقاله بين لورقة والمرية عام ٥٨٠ ه / ١٠٨٧ م (٢٠) .

ويبدو ان المعتصم بن صمادح قد اتصل بنصارى الشمال يطاب محالفتهم قبل سقوط طليطلة ، وذلك اثناء صراعه مع بنى زيرى اصحاب غرناطة ، اذ يشير مؤرخ بنى زيرى وهو آخر امرائهم عبد الله بن بلقين الى ان المعتصم قد غدر بهم واستولى على وادى آئس من باديس صاحب غرناطة ، وداخل الافرنج ووعدهم بالمال الكثير اذا ساعدوه في صراعه مع بربر غرناطة ، فاضطر باديس الى ملاطفنه والابتاء علبه ، حتى لا يفتح بربر غرناطة ، فاضطر باديس الى ملاطفنه والابتاء علبه ، حتى لا يفتح الباب لانشار نفوذ نصارى الشمال في هدذا الركن القصى من شها

لكن الفونش لم يتركه هادىء البال بعد سقوط طلبطلة كما قلنا ، وبالاضافة الى نشاط حصن لييط الذى اشرنا اليه فقد أرسل الفونش حملة مسفيرة مكونة من ثمانين فارسا الى المربة ، فنصدى لها المعتصم على رأس أربعمائة فارس ، ورغم عدم التكافؤ بين القوتين الا أن المعتصم عاد يجر أخيال الهزيمة ، فقد جبن فرسانه عن اللقاء وولوا العدو ظهورهم ، ومع

⁽۷۱) ابن حباق ، بروایة ابن بسام ، المسدر نفسه ، ن ، ، د ۲ ، ۲۳۷ ، ۲۳۸ . الطقسندي ، المصدر نفسه ، ج ۰ ، ص ۲۰۲ ، ۲۰۲ .

⁽۷۲) ابن دحدة ، المطرب ، ص ۱۲۲ ، ۱۲۳ ، الضبى المصدر نفسه ، ص ۳۷۶ ، ۳۷۵ . (۷۳) ابن بلقين ، مذكراته ، ص ٤٤ ، ٤٠ ٠

ذلك لم يكن المعتصم من المتحمسين لاستقدام المرابطين الذين لم يلبثوا أن, استولوا على امارته وخلعوه عنها عام ١٨٤ ه (٧٤).

ه _ علاقة مملكة غرناطة بالمالك النصرانية في اسبانيا:

استولى بنو زيرى الصنهاجيون على غرناطة بعد أن نجح سليمان. المستعين في تولى عرش الخلافة للمرة الثانية عام ٢٠٥ هـ ٥ فقد وزع على قواده ولايات الأندلس ، واختص بنو زيرى بغرناطة ، ولم تزودنا المصادر الاسلامية أو النصرانية بمعلومات عن علاقة بنى زيرى بالممالك النصرانية الا ابتداء من عهد آخر ملوك أمرائها عبد الله بن بلقين (٢٥٥ – ٨٨٥ ه / الا ابتداء من عهد آخر ملوك أمرائها عبد الله بن بلقين (١٠٩٠ – ١٠٩٠ ه / كان له دخل في ذلك ، فقد ركز نصارى الشمال هجماتهم على ما يجاورهم من الثغور الاسلامية .

وقد أدى تطور المراع بين الأمير عبد الله وبين المعنمد بن عباد صاحب أشبيلية ، الى استنجاد الأول بألفونش السادس ملك قشتالة ، ذلك أن المعتمد استولى على مدينة جيان أهم قواعد مملكة غرناطة الشمالية عام ٢٦٦ ه / ١٠٧٤ م ، نم سار بعد ذلك في قوات كميرة وبنى بعض الحصون على مقربة من غرناطة حتى يجبرها على الخضوع والاستسلام ، لكن الوزير سماجة حشد قوات صنهاجة وأبدى شجاعة فائقة في الدفاع عن المدينة ، فاضطر ابن عباد أن يعود بخفى حنين (٥٠) .

وازاء تزايد اطماع المعتهد بن عباد في غرناطة ، قرر الأمير عبد الله بتوجيه من وزيره سماجة أن يعقد حلفا مع الفونش السادس ملك قشتالة على نهط معظم ملوك الطوائف ، يتعهد له فيه بتأدية جزية قدرها عشرون الف دينار ، وبعد توقيع المعاهدة أمده الفونش ببعض قواته ، وقام الأمير عبد الله عام ٢٦٦ ه / ١٠٧٤ م بالاغارة على أراضي أشبيلية المجاورة لملكته ، واستطاع أن يسترد حصن قبرة في جنوب غربي جيان (٢١) .

⁽٧٤) ابن الكردبوس ، آلاكتفاء في أخبار الخلفاء ، ص ٨٩ • خليل السامرائي ، المرجع نفسه ، ص ١٤٨ -

رد٧، ابن دا س ، دوكرانه ، ص ٦٩ ـ ٧٦ ، عنان ، المرجع نفسه ، ص ١٤٢ .

⁽٧٦) ابن بلقين ، المصدر نفسه ، ص ٦٩ - ٧٦ ، عنان ، الرجع نفسه ، ص ١١٨ ه.

وفى العام التالى (٢٧) ه /١٠٧٥ م) سار الفونش السادس الى مملكة اشبيلية وغرناطة ومعه وزيره (ششنند) مطالبا بالجزية ، فرغض ملك غرناطة دفعها ، لاستبعاد مهاجمة النصارى له لبعد بلاده وحصانتها . واننهز المعنمذ بن عباد ووزيره ابن عمار الفرصة ، وبعثا الى الفونش السادس وعقدا معه حلفا على أن يتعاون الطرفان فى افتناح غرناطة ، وأن تكون المدبنة للمعتمد وأن يكون سائر ما فيها من الأموال لملك قشتالة ، وأن يؤدى المعتمد اليه فوق ذلك جزية قدرها خمسون الف دينار . هكذا بلغ التردى والنذالة بين ملوك الطوائف (٧٧) .

وقد بانت نتیجة هذا الحلف او هذه المؤامره علی الفور ، اذ قامت قوات من النصاری وعمدت الی تخریب بسانط غرناطة ولا سیما اراضی مرجها المشبور . وساعدت الظروف غرناطة علی الصمود عند ما تم نوجیه ضربة قاسمة لابن عباد بسقوط قرطبه التی كانت فی حوزنه فی ید المأمون بن ذی النون عام ۲۷ ه ، واننهزت غرناطه الفرصه واحتلت الحصن الذی بناه ابن عمار بمساعدة النصاری بالقرب من غرناطة (۲۸) .

ولكن ابن عمار وزير المعتمد بن عباد لم يياس ، وحاول مرة اخرى تحريض الفونش السادس على غزو أراضى غرناطة وزين له ساولة السيطرة عليها ، وعندئذ رأى عبد الله بن بلقين أمير غرناطة أن يتفاهم من جديد مع الملك النصراني الفونش السادس ملك قشتالة ، فسار اليه بنفسه ، وأسفرت المفاوضات ببنهما عن نعهد عبد الله بأن يؤدى جزية مسنوية مقدارها عشرة آلاف منقال من الذهب ، وأن يسلم له بعض الحصون الواقعة جنوب غربي جيان ، وهذه باعها الملك النصراني بدوره لابن عباد (٢٩) .

وقد قلنا في حديثنا عن الأحوال الداخلية الملكة اشبيلية ان ابن عمار وزيره المعتمد كان وزيرا مغامرا ولا يعمل الالمصلحته الخاصة ، وانه كان

⁽۷۷) ابن بلقين ، المصدر نفسه ، ص ٦٩ - ٧١ ، ابن بسام ، النخيرة ، ق ١ ، ح ٢ ، ص ١٢٤ ٠

عنان ، المرجع نفسه ، ص ۱۱۸ .

⁽۷۸) ابن بلقبن ، المصدر نفسه ، ص ۲۹ ـ ۷۸ .

عنان ، المرجع نفسه ، ص ١٤٣ .

⁽٧٩) ابن بلقين ، المصدر نفسه . ص ٦٩ _ ٧٦ .

عدان ، المرحم بمسه ، ص ١٤٣ ، ١٤٤ .

على اتصال بملك قشتالة ويعمل لحسابه في أحيان كثيرة . ولذلك فبمجرد أن نمكن المعتمد من قتل ابن عمار عقب خيانته وتمرده عليه ، تم الصلح بين مملكة غرناطة ومملكة أشبيلية وسويت جميع الخلافات بينهما عام ١٠٨٤ ه / ١٠٨٤ م ، لكنهما لم يتخذا موقفا موحدا ازاء تهديد نصارى الشمال بسبب ضعف المملكتين ، واقنصر الأمر على مجرد التشاور وتحذير كل منهما الأخرى اذا ما أحست باقتراب النصارى (^^) .

ولما كانت كارثة عام ٢٧٨ ه / ١٠٨٥ م بسقوط طليطلة في يد الفونش السادس ملك تشتالة ، كان عبد الله بن بلقين من المحبذين لاستدعاء المرابطين ، وشارك في الحملة الأندلسية المرابطية المشتركة التي حققت النصر في موقعة الزلاقة في العام التالي على الفونش السادس وهزمته هزيمة ساحقة ، لكن الفونش استطاع أن يجمع شنات جنده وأن ينهض من عثرته ، وساعدته دول أوروبا والبابوية على التصدى من جديد للمسلمين ، ولم يمض عامان حتى منى المسلمون بالفشل أمام حصن لييط ، وهو حصن زرعه الفونش في قلب الدولة الاسلامية جنوبي الأندلس ، وقام المؤنش وهدد سرقسطة ، فقام صاحبها ومن يليه من حكام شرقي الأندلس بدفع الجزية له من جديد (١٨) .

بعد عودة ابن تاشفين الى بلاده عقب فشله أمام لييط عام ١٨١ ه / ١٠٨٨ م ، امتد تهديد الفونش السادس الى جنوبى الأندلس وارسل قائده (البرهانس) لقبض الجزية من غرناطة والمرية ، وكان نائبا له فى هذه المنطقة ، فخاف ابن بلقين خصوصا بعد أن هدده البرهانس بالاستيلاء على وادى اش ، فأرضاه ابن بلقين ببعض الأموال ، وعاد البرهانس يطلب ارضاء الفونش ، ولما امتنع ابن بلقين بحجة ضيق ذات اليد ، تحرك الفونش على الفور وأرسل رسوله لطلب الجزية عن ثلاثة اعوام مضت ، منذ أن امننع المسلمون عن دفعها بعد الزلاقة عام ٢٧٤ ه (٢٠) .

اضطر ابن بلقين أن يدفع ثلاثين ألفا من قطع الذهب من ماله الخاص حتى لا تشكوه الرعية لابن تأشفين ، وجدد مع الفونش معاهدة التحالف ، على الا متعرض له ولا يهدد بلاده بعد ذلك ، وأن يحميه من خطر المرابطين.

⁽٨٠) ابن ملقن ، المصدر نفسهم و ص ٨٢ ، انظر ، الغصل الأول من الباس الثالث ص .

⁽۸۱) ابن بلقن ، المصحر تفسع ، مي مي ۱۲۲ م

⁽۸۲) ابن بلقين ، المصدر نفسه ، مرم ١٢٠ - ١٢٥

بوان يقوم بالدناع عنه ضدهم . وحاول رسول الفونش ان يضرب غرناطة باشبيلية وأن يحرضها على غزوها ، ولما لم تنجح محاولته عزم الفونش على مهاجمتها بنفسه اذا لم تدفع الجزية . ورغم تحذير ابن بلقين للمعتمد ابن عباد حتى يحتاط لنفسه ، الا أنه اسماء الظن واعتقد أنه أتفق مع المؤنش على ذلك (٨٣) .

وكان ملوك الطوائف قد احسوا بتغير نفس يوسف بن ناشفبن لما لاحظه من ندهور احوالهم وازدياد خلافاتهم ، وظلمهم لرعيتهم وعيشهم عيشسة الترف ، مع تقصيرهم في نفس الوقت عن الدفاع عن بلادهم ، لذلك سوغوا لأنفسهم الاتصال بالغونش السادس سرا واتفقوا معه على مدافعة المرابطين عن الجزيرة ، وان يصيروهم له طعمة اذا ما عادوا اليها مرة ثالثة ، على انبتركهم على مابايدتهم عمالا تجبونله من الرعية الأموال وبدفعونله الجزبة وما ان عبر ابن تاشفين البحر الى الاندلس في جوازه الثالث ، حتى قاموا باغرائه بالهجوم على غرناطة ومالقة والمرية ، وشغلوه بها عن النقصدر بلورة على النصارى خطة الفصدر بقوات المرابطين (١٠٠) .

وكان ابن تاشفين يدرك ذلك تماما ويعرف نواياهم ، وانصاع لما يريدون وهاجم تلك البلاد حتى يكشفهم لجمهور المسلمين ، ويقيم الحجة على غدرهم وخيانتهم بما سسوغ له القضاء عليهم جميعا . وحدد ابن تاشفين اهدافه بقوله ، انما كان غرضنا في ملك هذه الجزيرة ان نستنقذها من ابدى الروم ، لما راينا استبلاءهم على اكثرها ، وغفلة ملوكهم واهمالهم للفزو ، وتواكلهم وتخافلهم وابنارهم الراحة ، وانما همة احدهم كأس يشربها ، وقبنة تسمعه ، ولهو يقطع به أيامه . ولئن عشت لأعيدن جميع البلاد التي ملكها الروم في طول هذه الفتنة الى المسلمين ولأملائها عليهم لليوم ليوم ليوم كالروم للا عهد لهم بالدعة ، ولا علم عندهم برغد العيش ، انما هم احدهم فرس يروضه ويسنفرهه ، أو سلاح يستجيده ، أو صريخ يلبي دعوته » (٥٠) .

وقد بين ابن تاشفين سر مصيبة الأندلس في هذه العبارة الموجزة ، كما بين طرق العلاج ، وكان العلاج هو خلع جبيع ملوك الطوائف واعادة الوحدة

⁽٨٣) ابن بلقين ، المسدر نفسه ، ص ١٢٥ - ١٢٨ ٠

⁽٨٤) ابن الكردبوس ، المسدر تفسه ، ص ١٠٤٠ ٠

٠(٥٨) المراكشي ، المعجب ، ص ١٦٢ ، ١٦٣.٠

السياسية والعسكرية الى البلد من جديد ، حتى تسنطيع الصهود امام التصارى الذين نهضوا من جديد ومرضوا الجزية على مسلمى الأندلس ، وكأن الزلاقة لم تكن ، وكانت النية متجهة الى غرناطة ، فوقع اميرها ابن بيلقين في حيرة كبيرة بعد أن عرف تصميم ابن تاشفين على خلعه (٨٦) .

وقد دافع ابن بلقين عن نفسه في كتابه « مذكرات الأمير عبد الله ، وقال انه لم ينصل بألفونش لأنه لا يستطيع مقاومة المرابطين حتى تصله مساعدة ألفونش ، وحنى على فرض وصول المساعدة ، فان ألفونش يمكن أن يتركه دون قوة نحميه ، حينئذ سيكون لقمة سلئفة للمرابطين الذين يحل لهم قتله بالكناب والسنة ، حسب أقواله ، ورغم هذا الدفاع فقد أجمع كثير من المؤرخين الموثوق بهم على خيانته وخداعه ، ويقولون أنه أول من أعلن العصيان على أبن ناشفين بعد أن سجن أحد أتباعه الذي كان قد دعاه في الحصن الذي كان يتولاه أبن تاشفين (٨٠) .

ونصرفات ابن بلقين نفسها دليل على نيته في مقاومة المرابطين ، فقد الخذ يعمل الأخران الأقوات ، وجدد الأسوار واعلى الأبراج وشحنها بالرجال والمسلاح ، وأودع أمواله وذخائره قصبة المنكب لمناعتها وحصانتها . ثم أرسل الى الفرنش أموالا وهدايا نفيسة ، مستصرخا به ضد المرابطين ، مرتميا تحت قدميه ، ففرح بذلك ألفونش وقبل المال والهدايا وأقسم بأوكد الايمان أنه لن يتركه يقع فريسة للمرابطين ، وأنه سيسعى اليه بنفسه ويدافع عن ملكه ، فقويت نفس ابن بلقين وزاد أمله في بقاء ملكه ، وفي ذلك يقول السمسارى أحد الشعراء : (^^)

صاحب غرناطة سسفیه صانع الفونش والنصاری وشساد بنیانه خلافا یبنی علی نفسه سفاها دعود بننی فسوف یدری

وأعلم الناس بالأمور فانظر الى رأيه الدبير لطاعة الله والأسير كأنه دودة الحارير اذا أتت تدرة القدير

⁽٨٦) ابن بلقين ، المصدر نفسه ، ص ١٢٠ ٠

⁽۸۷) المن بلقين ، المصدر نفسه ، ص ۱۲۰ ، ۱۲۱ ، ابن عبداري ، المسدر نقسه ،

مج ٣ ، ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ابن الخطيب ، المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٢٢٥ ٠

⁽٨٨) ابن بلقين ، المصدر نفسه ، ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ ·

لبن خلكان ، المصدر نفسه ، ج ٦ ، ص ١٢٧ ، ١٢٨ ، ابن الخطيب ، ج ٢ ، ص ٢٢٥ ، ا

ورغم هذه التدابير التي اتخذها أمير غرناطة الا انها لم تلبث ان ستطت، في يد المرابطين عام $٨٨٥ ه / ١٠٩٠ م وانتهت بذلك دولة بني زيرى في، غرناطة <math>(^{\Lambda_1})$.

٦ ــ علاقة مملكة بطليوس بالمالك النصرانية في اسبانيا:

كان يحكم هذه المملكة عقب انهيار الدولة العامرية في بداية القرن الخامس الهجرى احد فتيان الحكم المستنصر ويسمى سابور ، وكان يدبر أمره وزير يسمى عبد الله بن محمد بن مسلمة المعروف بابن الأفطس ، ولما مات سابور قام ابن مسلمة بتدبير الأمر لولديه الصفيرين ، وفي تلك الأثناء تعرضيت المملكة الى هجمات الفونس الخامس ملك ليون

(٣٨٩٠ – ١٠٢٧ه / ٩٩٩ – ١٠٢٧ م) ، ففي عام ١١٨ ه ، / ١٠٢٧ م هاجم هــذا المــلك النصراني أراضي المسلمين المجــاورة له في شــمال بطليوس. التي تعــرف الآن بالبرتفال ، والهنتج بعض حصونها ، ثم حاصر مدينة بازو ، فدافع عنها سكانها بشــدة ، واستطاع احــد رماتها المســلمين أن يصوب سهمه المسموم الى الملك النصراني فأصــابه ومات متــانرا بجراحه(٢٠) .

اننهز الوزير ابن مسلمة بن الأفطس الفرصة واستقل بالمملكة وخلع ابنى سابور عن المعرش ، وظل يحكمها حتى توفى عام ٢٣٧ هـ / ١٠٤٥ م ، فخلفه في حكمها ابنه المظفر محمد (٣٧١ ــ ٢٦١ هـ / ١٠٤٥ ــ ١٠٦٨ م) ، وهو صاحب الناليف الكبير المسمى « المظفرى » الذي يقع في نحو خمسين مجلدا . وقد تعرض المظفر الى هجمات جاريه ، من الشمال بنو ذى الذون في طليطلة ، ومن الجنوب بنو عباد في أشبيلية ، لكن أخطر ما تعرض له المظفر هو ما قام به فرديناند الأول ملك قشتالة وليون من هجمات (١٠) .

وكان فرديناند (فرناندو) يرقب تطور الأحداث لدى جيرانه المسلمين باهتمام وبتحين فرص العمل ، وكانت اطراف مملكة بطليوس الشمالية الواقعة بين نهر التاجة ودويرة تشمل منطقة نائية مجردة من وسائل الدفاع القوية وتكاد تكون معتمدة في الدفاع على نفسها، فاتجهت انظار فرديناند اليهاو اخترقها المناع على نفسها، فاتجهت انظار فرديناند اليهاو اخترقها المناع على نفسها، فاتجهت انظار فرديناند اليهاو اخترقها المناع على نفسها، فاتحه النظار فرديناند اليهاو اخترقها المناع على نفسها، فاتحه النظار فرديناند اليهاو اخترقها المناع على نفسها، في النفاع المناع على نفسها، في النفاع المناع على نفسها، في النفاع المناع الم

⁽۸۹) الضبي ، المسدر تنسه ، ص ۳۲ ،

 ⁽٩٠) امن حيان بروابة ابن الخطيب ، اعمال الاعلام . ج ٢ ، ص ١٨٢ ، ١٨٣ .
 عنان ، المرجع نفسه ، ص ٣٨٣ .

⁽٩١) لبن حيان دروامة ابن الخطيب ، المصدك نفسه ، ج ٢ ، ص ١٨٧ ، ١٨٤

بقواته عام ٩٩٤ ه / ١٠٥٧ م ، واستولى اولا على مدينتى لايجو (مليقة)، و (بازو) الواقعتين في شمال البرتغال الحالية ، واللتين كان المسلمون قد عمروهما منذ أيام المنصور بن أبى عامر . ولم يلق الغزاة دفاعا يذكر ، ولم يعن ابن الأفطس بنجدتها ليقينه من عقم المحاولة . واسترق فرديناند سكان، الدينتين الاسلاميتين وأسكنهما بالنصارى (٢٠) .

ويبدو أن تلك الكارثة لم تذهب بشجاعة المظفر الذى رفض دفع الجزية لفرديناند ، مما جعله يرسل حملة قوية من ثلاثين الف جندى منهم عشرة آلاف فارس ، وهى قوة كبيرة جدا بمقياس العصر ، واتجهت نلك الحملة الى شنترين أو شنتمرية الغرب وهى من أهم وأفضل مدائن ذلك الشغر ، وكان المظفر قد علم سلفا بمقدم الحملة فسبقها الى هناك ونظم الدفاع عن المدينة حتى لا تسقط مثل بازو ولاميجو من قبل ، ولما وصلت قوات فرناند اسقط في ايديهم ، واضطر قائدهم التفاوض مع المظفر ، وانتهت المفاوضات بعقد الصلح على أن يدفع المظفر جزية مقدارها خمسة آلاف دينار كل عام (٩٣) .

على أن أعظم خطب نزل بالمسلمين وبمملكة بطليوس يومد ، هو ضباع مدبنة قلمرية أعظم مدن البرتفال الشمالية عام ٥٦٦ ه / ١٠٦٤ م ، وكان قد المتتحها المنصور بن أبى عامر منذ ثمانين عاما في سنة ٣٧٥ ه . وكانت يومئذ تحت حكم مولى من موالى ابن الأفطس يسمى (رانده) . وكان رانده لديه من الفرسان حوالى خمسة آلاف . ولما وصل فرديناند الى المدبنة وضرب حولها حصارا استمر ستة أشهر ، وتباطأ ابن الافطس عن ارسال النجدة الى المدينة ، تفاوض حاكمها رانده سرا مع فرديناند على أن يسلمه المدينة ويؤمنه على نفسه واهله (٤٠) .

وبموجب هذا الاتفاق غادر رانده وأهله المدينة ليلا واستمر أهلها في الدفاع حتى نفدت أقواتهم فطلبوا التسليم والأمان ، فرفض فرديناند واقتحم المدينة عنوة ، فقتل الرجال وسبى النساء والذرية ، وعين مستشاره

⁽۹۲) عنان ، الرجع تقسه ، س ۸۰ ٠

⁽۹۳) ابن عـذاري ، المصدر نفسه ، ح ۳ ، ص ۲۳۸ -

⁽٦٤) ابن حدان برواية ابن الخطيب ، المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٨٤ ٠

ابن عنذاری ، المصدر نفسه ، ج ۳ ، ص ۲۳۸ ، ۲۳۹ ۰

شسنندو حاكما لها ومنحه لقب الكونت ، وعمد فرديناند بعد ذلك الى اخراج السكان المسلمين من سسائر الأراضى الواقعة بين نهرى دويرة ومنيو (منديجو) ، تنفيذا لخطته في اخلاء المسلمين من الأراضى المجاورة لمملكته شيئا فسيئا (°°) .

وقد وقعت كارثة سقوط قلمرية فى غربى الأندلس فى نفس العام الذى سقطت فيه بريشتر فى أقصى الشمال الشرقى للأندلس على يد حملة صليبية دعا لها بابا رومة حسبما فصلنا من قبل . ولم يتم سقوط قلمرية الا بعد أن قدم رهبان دير لورفان المؤنة والميرة المخزونة عندهم لجيش فرديناند الذى نفدت ميرته نظرا لطول الحمسار حتى أنه فكر فى فك الحصار عن المدينة . وهذا بالطبع يؤكد أن الحرب كانت تتسم بالصفة الدينية منذ ضياع سردينية من يد مجاهد العامرى عام ٢٠٠) .

ازداد ضغط فرديناند على الثغور الغربية ، وضرب على اهلها الجزية حتى ضعفت ، لكن من الله عليها بفترة من الهدوء عقب وفاة فرديناند بعد ذلك بعامين في سنة ٨٥٤ ه / ١٠٦٥ م ، وقيام الحروب الأهلية بين أولاده حسبما فصلنا من قبل حول العرش ، والتي شغلتهم عن التفكير في العدوان على اراضي المسلمين ، ولما خلص عرش قشتالة وليون الى ولده الفونشي السادس اتجهت أطماعه ناحية مملكني طليطلة وأشبيلية حسبما نفصل فيما بعد (١٧) .

ولم يلبث المظفر بن الأفطس أن توفى هو الآخر عام 71 ه / 1.79 م وهام الصراع بين ولديه يحيى المنصور (71 سـ 37) ه / 1.70 سـ 1.71 م) وعمر المتوكل (37) سـ 38) ه / 1.71 سـ 1.91 م) واستعان لولهما بالمأمون بن ذي النون صاحب طليطلة ، واستعان الثاني بالمعتمد بن عباد صاحب أشبيلية ، وخربت البلاد بسبب تلك الفتنة التي زادها ألفونشي المنتعالا بضرب الأخوين كل بالآخر ، ولم تنته تلك المتنة الا بموت يحيى كالمنتفد المتوكل بحكم المملكة التي تمتعت في عهده بفترة من السلم والأمن والرخاء (١٠٠٠).

⁽٩٥) ابن عدداری ، المسدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٢٣٩ ، ابن الخطيب ، ج ٢ ، ص ١٨٥ مز

⁽٩٦) عنان ، المرجع نفسه ، ص ٣٨٤ ، ه٣٨ .

⁽٩٧) ابن حيان برواية ابن الخطيب ، المسمر نفسه ، چر ٢ ، ص ١٨٤ ٠

⁽٩٨) الله حيان برواية ابن الخطيب ، المصدر نفسه ، ج ٢ ، ١٨٤ ٠

وقد تدخل عم المتوكل في شئون مملكة طليطلة حيث حكمها حوالي عشرة اشمهر من عام ٤٧٣ ه / ١٠٨٠ م ، عندما ثارت طليطلة على ملكها الضعيف القادر بن ذي النون عقب قبله لوزيرها المحبوب ابن الحديدي . غير أن القادر استعان بألفونش السادس ملك قشتالة الذي عاونه في الرجوع الى عرشمه ، وعاد المتوكل الى بطليوس بعد أن وضع يده على الكثير من أموال القادر وذخائره (٩٩) .

وببدو أن الفونش أراد أن ينتقم من المتوكل لمساعدته اهل طليطلة على الثورة ضد القادر الذي كان يعتبره تابعا له ، فجرد حملة على مدينة قورية في أطراف مملكة بطليوس الشمالية وحصنها المنبع على نهر تاجة ، واستولى عليها في نفس العام (٧٧٦ ه / ١٠٨٠ م) وبذلك أصبح الطريق مفتوحا أمامه لكى بجتاح أراضى بطليوس بسهولة ، وجرت بينه وبين المنوكل مصادمات كثيرة اننهت الى ضعف بلاده واستيلاء الفونش على بعضها ، فشعر المتوكل بدنو الكارثة وكان أول من كتب الى المرابطين عام ٧٤٤ ه / فشعر المتوكل بدنو الكارثة وكان أول من كتب الى المرابطين عام ٧٤٤ ه /

ولما قرب سقوط طليطلة في يد الفونش السادس عام ٧٧٤ ه ، لم يذهب المتوكل اليها محاولا انقاذها من يد النصارى بناء على طلب صاحبها القادر حسبها أشار البعض (١٠١) اذ تروى اوتق المصادر أن القادر تخلى عنها عندما عجز عن البقاء في حكمها ازاء التهديد المستمر لها من قبل الفونش ، واتفق معه على تعويضه ببلنسية ، وحدث هذا فعلا كما فصلنا حين الحديث عن بلنسية ، وكانت اغاثة المتوكل بن الأفطس لأهل طليطلة الذين أرسلوا له صريخ الاستغاثة ، فأرسل ولده الفضه والى ماردة في جيش قوى محاولا رد النصارى عن مدينة طليطلة ، ولكنه لم يستطع مغالبة جيوشهم المنفوقة عليه في العدد والعدة ، فارتدت جيوش بطليوس بعد أن خاضت بعض المعارك التي لم توفق فيها (١٠٢) ،

⁽٩٩) ابن الكردبوس ، الاكتفاء ، ص ٨٢ ، ٨٣ ، ابن بسام ، النخيرة ، ق ٤ ، ج ٩ ، ص ٢٣ ، ١٣٣ ، ١٣٣ .

⁽١٠٠١) ابن الخطيب ، الحلل الموشية ، ص ٢٠ ، عنان ، المرجع نفسه ، ص ٩١ •

⁽١٠١) قال بذلك الأستاذ/محمد عبد الله عنان (انظر ، دول الطوائف ، صي ٩٠) ،

وتابعه على ذلك خليل ادراهيم السمرس (انظر ، علاقات المرابطين ، ص ١١٦ ٤ .

⁽١٠٠٣) ابن الكردبوس ، المسعر نفسه ، ص ٨٤ ، ٨٥ ، عنان ، الحرجم ففسه ، ص ١٩٩١ .

وبعد ستوط طليطة في يد الفونش السادس ملك قشتالة عام ١٠٨٥ هـ ١٠٨٥ م شعر انه أصبح قادرا على تحدى دول الطوائف جهيعا وعلى القضاء عليها ، فأرسل الى المتوكل بن الأنطس يطلب منه تسليم بعض قلاعه وحصونه ، وأن يؤدى له الجزية ، ويتوعده بشر العواقب اذا رفض . ولم يك ثمة شك في خطورة هذا التهديد بعد أن سقطت طليطلة حصن المسلمين الأول على نهر التاجة الذي عبره النصاري لأول مرة ، وأصبحوا قاب قوسين أو أدنى من القواعد الأخرى مثل أشبيلية وبطليوس وقرطبة (١٠٠٠) .

ولم يخضع المتوكل ابن الأفطس لنهديد الفونش السادس ورد عليه برسالة قوية كلها اباء وشمم ، وندب قاضيه أبا الوليد الباجى ليطوف بحواضر الأندلس ويتصل بالرؤساء ويدعوهم الى لم الشعث وتوحيد الكلمة ومدافعة العدو ، فقام بالمهمة لكنه لم يجد منهم أذنا صاغية ، وكان عم كل واحد منهم أن يرضى عنه ملك النصارى والا يفكر في خلعه وازالته ، وازاء ذلك اتخذ المتوكل وزميله المعتمد بن عباد كان هو الآخر عرضة للامتهان والعدوان المتصل من جانب الفونش اخطر قرار سياسى في تاريخ البلاد في ذلك الوقت وهو استدعاء المرابطين ، وقد انتهت الينا رسالة من هذا الأمير المعالم الشجاع ابن الأفطس كان قد ارسلها لأمير المعلمين يوسف بن الأمير العالم الشجاع ابن الأفطس كان قد ارسلها لأمير المعلمين يوسف بن تأسفين يصف له فيها الى الجهاد (١٠٤) .

وقد نشبت المعركة الفاصلة بين الفونش السادس وبين الأندلسيين والمرابطين على ارض بطليوس في مكان قريب منها يعرف بالزلاقة ، وحقق المسلمون نصرا عظيما على قوات النصارى مجتمعة ، واختفى تهديد الفونش السادس للمتوكل وغيره من ملوك الطوائف الى حين ولما فشل المسلمون في حصار حصن لبيط بعد الزلاقة بعامين (١٨١ ه / ١٠٨٧ م) شعر المرابطون بضرورة خلع ملوك الطوائف جميعا اذا ما أرادوا انقاذ البلاد من التهديد النصراني ، لأن هؤلاء الملوك هم الذين مكنوا بسياساتهم الخرقاء المنادي من السيطرة والتحكم في مصير شبه الحزيرة (١٠٠٠) .

⁽١٠٣) ابن الخطيب ، المصدر مفسه ، ص ٢٠ ، ٢١ ، عنان ، المرجع مفسه ، ص ٩٠ .

⁽١٠٤) ابن الخطيب ، المصدر نفسه ، ص ٢١ ، عنان ، الرجع نفسه ، ص ٩٠ ـ ٩٣ -

⁽۱۰۰) السلاوي ، الاستقصا ، د ۱ ، ص ۱۱۹ ، ۱۲۰ ،

وكما اصابت الحيرة من قبل الأمير عبد الله بن بلقين صاحب غرناطة ، فقد اصابت أيضا المتوكل بن الأفطس صاحب بطليوس ، وصار كما يتول زميله الامبر عبد الله ، يخلط في سياسته ، فطورا يخاطب امير المسلمين ويظهر له الطاعة وتارة يرسل لألفونش يعرب له عن صداقته ويطلب مساعدته ضد المرابطين ، وكان قرب بلاده من النصارى يشجعه على ذلك . اكنه عندما رأى ما نزل بالأمير عبد الله عام ٨٨٤ ه على يد المرابطين ، راسل الفونش وسلم له مدينة شنترين على أن يدافع معه ضدد هذا الخطر الزاحف ، فانحرفت الرعية عنده وراسلوا المرابطين يطلبون منهم سرعة الحضور حتى لا يستولى النصارى على بطليوس نفسها (١٠٠) .

وصلت جيوش المرابطين الى بطليوس وقبضوا على المتوكل واهله وعبيده ، وقتلوا ابنيه صبرا أمام عينيه ثم قتلوه هو الأخر ، وبذلك تم القضاء على دولة بنى الأفطس فى بطليوس وغربى الأندلس عام ١٨٧ ه / ١٠٩٤ م ، ولم يبق منهم الا ابن للمتوكل يسمى المنصور ، وكان هو الذى نصح أباه بالارتماء فى أحضان الفونش وترك البلد واللجوء اليه ، أو الاخلاص لابن تاشيفين الذى لا بد عازله عن ملكه (٧٠٠) .

وكان المنوكل قد احناط قبل قتله وارسل ابنه المنصور بذخائره الى حصن شانجش القريب من قشتالة ، فتحصن فيه المنصور ، ولما رأى ما حل بأبيه وأخويه توجه بأهله الى ألنونش ، وسلم له الحصن وأقام في قشتالة ، وصار يدا من أيادى النصارى ، يساعدهم على مهاجه بلاد المسلمين ، وقيل انه دخل في دينهم حنقا لما جرى لأسرته على يدد المرابطين (١٠٨) .

٧٠ ـ علاقة مملكة طليطلة بالمالك النصرانية في اسبانيا :

كان يحكم ملكة مُلايطلة بنو ذى النون من البربر ، وكانت تلك الأسرة البربرية تحكم فى مدينة شنت برية Santaver من مقاطعة كونكة جنوبى

⁽١٠٦) ابن بلقين ، المصدر نفسه ، ص ١٧٢ ، ابن خدون ، العبر ، ج ٦ ، ص ١٨٧٠ . ابن حبيان بروانية ابن الخطب ، اعمال الاعلام ، ح ٢ ، ١٨٥ ، ١٨٦ .

⁽١٠٧) ابن بلقين ، المسدر نفسه ، ص ١٧٤ ٠

ابن حيان برواية ابن الخطيب ، المسدر نفسه ، ح ٢ ، ض ١٨٦ ٠

⁽١٠٨) ابن بلقين ، المسكر نفسه ، ص ١٧٤ ٠

طليطلة . وبعد سقوط الخلافة الأموية بخبس سنوات ارسل أهل طليطلة الى عبد الرحمن بن ذى النون حاكم شنت برية يعرضون عليه ولاية بلدهم كفارسل اليهم ابنه اسماعيل فنولى حكم طليطلة ومنحقاتها (٢٧٤ — ٤٣٥ هـ/ ١٠٣٥ – ١٠٤٠ م) وتسمى بالظافر واعتمد على احد اعيسانها المسمى أبو بكر بن الحديدى ، وعاصر بداية الحروب الأهلية الني نشبت بين أولاد شانجة الكبير عقب وفانه عام ٢٦٤ه / ١٠٣٥ م . وكان فرديناند ملك قشنالة يخوض الصراع ضد اخوته التلاث الباقين ، حتى يفوز بحكم المملكة منفردا ، ولذك لم محدسا المراجع والمصادر عن علاقة بين فرديناند وبين الظافر اسماعيل بن ذى النون (٢٠٠٠) .

تولى حكم طليطة بعد وناة الظافر ابنه يحيى بن اسماعيل وتلقب بالمامون (70 كان من السهر ملوك بنى ذى النون ، وفي عهده اتسعت المملكة وبلغ الترف والنعيم اقصاه . ويتبثل ذلك في اعذار (ختان) المسامون لأولاده ، هسذا الاعذار الذي يلغ مضرب الأمنال في الاسراف وشدة الاحمفال حتى سمى بالاعذار الذنوبي . ولم عن علاقة المامون بجيرانه المسلمين نقد سبق الحديث عن صدامه المستمر مع سليمان بن هود ملك سرقسطة ، ذلك الصراع الذي اشتد مدة ثلاث سنوات (70 كاسلام على الحرث والنسل واجبر كلا منهم على الاستعانة بملوك تشنالة ونبرة وأمراء برشلونة ودفعوا لهم الجزية (١٠٠٠) . وفي تلك الأثناء كان غرديناند قد استطاع أن يعيد الوحدة الى المملكة الأسبانية النصرانية ووجه اهتمامه الى جيرانه المسلمين ، وكان يطمح الى اخضاعهم جميعا لا سيما ابن عباد وابن ذى النون ، وهما يومئذ اتموى ملوك الطوائف جميعهم واعظمهم شانا ، وكان عنده من الروح الحربية والحمية القومية والغيرة الدينية ما لم يكن عند هؤلاء الملوك (١٠٠٠) .

وقد اعد جيوشه عام ٥٥٤ ه / ١٠٦٢ م وهاجم اخيرا مملكة طليطلة في اقاليمها الشمالية والشرقية ، ولا سيما مدينة سالم وطلنكه ووادى الحجارة وقلعة النهر (الكالا دى هنارس) ، وعات في نواحيها تخريبة

⁽١٠٩) ارسلان ، الحل السندسية ، ج ١ ، ص ٢٦١ -

⁽١١٠) أنظر ، الفصل الأول من الباب المثالث ، مي

النصل الثالث من الداب الثالث ، ص

⁽١١١) عشان ، المرجع نفسه ، ص ٣٨٣ ، دوزي ، ملوك الطوائف ، ص ١٧٠ -

وسبيا ، فطلب أهل هذه المدن النجدة من المأمون ملك طليطلة ، نجمع بدور مقادير كبيرة من الذهب والفضة والأقمشة الفاخرة ، وسار بنفسه الى معسكر الملك النصرانى ، وقدم اليه الهدايا واعلن اعترامه بطاعته وتعهد له بأداء الجزية (١١٢) .

وقد أشرت هذه التبعية لملك قشتالة عند ما قام المأمون بعد ذلك بثلاثة اعوام ، واسنولى على مملكة بلنسية (٤٥٧ ه / ١٠٦٥ م) من يد صهره عبد الملك بن عبد المعزيز بن عامر الذى كان قد أساء معاملة ابنته ، ورفض مساعدته بالجند في حروبه ضد ملوك الطوائف الآخرين ، وتشسير بعض الروايات الى أن المأمون استعد سرا لغزو بلنسية ، واستعان بقوة من الجند النصارى أمده بها حليفه فرديناند الأول وصاحب السيادة عليه ، وأن القوات المتحالفة داهمت بلنسية فجأة وهزمت جيوشها وأهلها في معركة بطرنة وأسرت ملكها في ذي الحجة من ٤٥٧ ه أكتوبر ١٠٦٥ م (١٠١٠) .

وهذا لا يناقض ما سبق أن اشرنا اليه من هجوم فرديناند على اطراف بلنسية بعد هجومه على سرقسطة عند امتناعها عن دفع الجزية ، واستدعاء ملك بلنسية لصهره المأمون لمساعدته في الدفاع عن مملكته ، ذلك أن المأمون نفسه كأن تحت حماية فرديناند وليس هناك ما يمنع من استعانته بفرقة تشتالية لتحقيق أطماعه في مملكة بلنسية . اذ كان الفدر والخيانة طابع للعصر سواء عند مسلى الأندلس أم عند نصارى الشمال (١١٤) .

ولم يمض على وقعة بطرنة قليل حتى توفى فرديناند ملك تشستالة (٥٨) ه / ديسمبر ١٠٦٥ م) ، وثارت بين أولاده الثلاثة شانجة ملك قشستالة والفونش ملك ليون وغرسية ملك جليقية ، حرب أهلية استمرت أعواما وانتهت مرحلتها الأولى في سنة ٢٣ ه / ١٠٧١ م بانتصار شائجة واغتصاب ملك أخويه ، وهرب الفونش (الفونسو السادس فيما بعد ، وهو الذي استولى طلى طليطلة عام ٧٨ ه) الى طليطلة والتجا عند ملكها المامون بن ذي النون ، وهرب غرسية عند ملك أشبيلية وذلك عام ٢٦٣ ه ، وعاش الفونش في بلاط المامون زهاء تسعة أشبهر حتى قتل أخوه شانجة وعاش الفونش في بلاط المامون زهاء تسعة أشبهر حتى قتل أخوه شانجة

⁽١١٢) نفس المصدرين السابقين -

⁽۱۱۳) عنان ، الرجع نفسه ، ص ۲۸۲ - ۲۸۳ ٠

⁽١١٤) أنظر ، القصل الثالث من الباب الثالث ، ص

عام ٤٦٤ ه / ١٠٧٢ م مرجع الفونش الى بلاده مزودا بكثير من التحف والهدايا ، وبعد أن قطع للمأمون عهدا باحترام مملكنه ودوام علاقات الصداقة بين الملكتين ، وأن يعاونه ضد خصومه من ملوك الطوائف (١٠٠) .

وتحدثنا بعض الروايات بأن الفونش السادس ما كاد يعتلى عرش ليون وقشتالة حتى أراد أن يعرب عن عرفانه للمأمون بن ذى النون ، وذلك بأن يساعده في حربه ضد أبن عباد ، وأمده ببعض قواته ، وسار معه الى قرطبة ، واستطاع المأمون بذلك أن بستولى عليها ، ولكن الروايات الاسلامية توضح أن سيطرة المأمون على قرطبة كانت بتدبير مبعوثه (حكم أبن عكاشة) الذى اتصل بجندها ودبر مؤامرة تمكن فيها من قتل أبن المعتمد والاستيلاء على المدينة عام ٢٦٧ ه / ١٠٧٥ م (٢١١) .

بهذا النصر الذى حققه المأمون ضد قرطبة والذى لا يحمل فى طياته الا الغدر والسقوط السياسى ختم حياته ، فقد مات فى نفس العام (٢٦ ه) وخلفه حفيده يحيى الملقب بالقادر والذى وصفته المصادر بضعف الارادة والخنوع والاستسلام ، لأنه « ربى فى أحجار النساء والدايات ونشأ بين الخصيان والغانيات ، فملك أمره العبيد ، وحكم عليه كل خصى ومولود ، كل يدبر ملكه بارادته ، وينفرد بوزارته » فطمع فى بلاده ملوك الطوائف الأقوياء ، فاستولى المعتمد بن عباد على قرطبة وسائر أعمالها ما بين طلبيرة وغافق (١١٠) ، أما المقتدر بن هود صاحب سرقسطة ، فقد استعان بالملك شمال شرقى طليطلة (١١٠) ، الواقعتان شمال شرقى طليطلة (١١٠) .

وفى نفس الوقت فقد ثار ابو بكر بن عبد العزيز فى بلنسية واعلن استقلاله عن طليطلة ، وخلع طاعة القادر بن ذى النون ، وتحالف مع

⁽١١٥) عنان ، الرجع نفسه ، ص ٣٩٣ ٠

⁽١١٦) عنان ، المرجع نفسه ، ص ٣٩٤ ، دوزي ، ملوك الطوائف ، ص ٢٢٥ - ٢٣٠ .

^{&#}x27;(١١٧) طلبيرة مدينة على نهر التاجة غربي طليطلة ، أما غافق فهو حصن من اعمسال

قرطبة في شمائها على مسافة ١٠٤ ك٠م ، أنظر ، ابن الكردبوس ، المصدر نفسه ، ص A٠٠ ٠

⁽۱۱۸) يوجد عدة اماكن في اسبانيا باسم (ملينة) ، ولكن المنصود هنا حصن في مقاطعة كونكة Cuenca مقاطعة كونكة الجون Momino

dearagon أنظر ، ابن الكردبوس ، المسدر نفسه ، ص ٨٠٠

⁽١١٩) ابن الكرديوس ، المسجر نفسه ، ص ٨٠٠

المستعين بن هود صاحب سرقسطة الذي خطب منه ابنته املا في ان يتملك بها بلنسية ، وقام شانجة راميرز حليف المستعين بالاغارة على حصن كونكة(١٢٠) من أعمال طليطلة ، وكاد يسقط في يد شانجة لولا أن افتداه أهله منه بمال وفير ، وحاول القادر أن يرد هجمات أعدائه ، فأرسل حملة تحت قيادة بشير الفتى وأمره بمناجزة ابن هود وابن راميرز ، فانصرفا ، وعاد بشير دون قنال (١٢١) .

ومما أضعف من حكم القادر وادى الى ثورة اهل طليطلة ضده ، وادى ذلك في النهاية الى سقوط طليطلة نفسها في يد النصارى ، قيام القسادر باغتيال وزير جده الفقيه أبى بكر الحديدى عام ٢٦٨ هـ / ١٠٧٦ م . وقد أدى هذا العمل الآثم الى قيام الفتنة في طليطلة وتحزب أهلها أحزابا ، وقام أبو بكر بن عبد العزيز حاكم بلنسية حسبها أشرنا من قبل بخلع القسادر ، ولما اشتدعى الفائد الفونش السادس ليعينه على قمعها فأرسل له بقول « ان كنت تريد الدفاع عن أنحائك ، وجه الى مالا ، والا سامتك لأعدائك (١٠٢) » .

وكان هدف الفونش هو اضعاف الحكام والرعية من المسلمين اقتصاديا حتى يسلموا بلادهم ويخربوا بيوتهم بأيديهم ، وهذا ما حدث . فقد جمع القادر اهل المدينة ، رعية واعيانا ، اهل بدو وحضر ، وهددهم بجعلهم هم وأبناءهم رهينة عند الفونش اذا لم يجهعوا له المال المطلوب . فلم يجد اهل طليطلة مناصا من الثورة عليه عام ٢٧٢ ه / ١٠٧٩ م ، ففر من المدينة ليلا وقصد حصن وبذة (١٣٣) ، فصده صاحبه ، فلجأ القادر الى مدينة كونكة وأرسل الى الفونش وكنب اليه يستصرخه ويستعين به في اعادنه الى طليطلة . فأسرع اليه واتفقا على محاصرة طلعطلة حتى بخرج عنها المتوكل

راد) كونكة او قدونكة Cuenca حصن من امنع حصون منطقة الثغر الأدنى طليطلة ، شمالي السهلة حيث يحكم بندو رزين ، وهي اليوم قاعدة مبيرية تحمل نفس الاسم ،

أنظر ، ابن الكردبوس ، المصدر نفسه ، ص ٨١ •

⁽١٢١) ابن الكردبوس المصدر نفسه ، ص ٨١ ٠

⁽۱۲۲) ابن الكردبوس ، المسدر نفسه ، ص ۸۲ ٠

⁽٢٣) وبرد Huete مديده على بعدد ٥٠ ك٠م غربى كودكه ، وكانت من المحصون الشمالية الشرقية لملكة طليطلة ، واليها كان فرار القادر بأسرته مرة ثانية عام ٤٧٨ م ٠

انظر ، لين الكردبوس ، المصدر نفسه ، ص ٨٣٠٠

ابن الافطس صاحب بطليوس والذي كان أهل طليطلة قد استدعوه لحكم، المدينة بعد فرار القادر عنها (١٢٤) .

وكان اتفاق القادر مع الفونش على أن يعطيه جميع أموال المدينة بعد استعادتها ، لكن الفونش لم يكفه ذلك وحصل على حصون صورية وقورية ، وقام معه بحصار المدينة ، ولما لم يجد ابن الأفطس من يعينه على دفع الحصار فر هاربا ، فدخلها القادر تحت حماية الحراب القشاتالية عام ٧٧٤ ه / ١٠٨٠ م ، وقام القادر وجمع أموالا عظيمة أضافها إلى أمواله الخاصة وقدمها إلى الفينش ، ولما لم تف بما اتفق عليه ، أخذ منه حصن قنالش (١٠٥٠) رهنا ، وعاد إلى بلاده محملا بأموال المسلمين التي أخذها القادر غصبا وظلما ، مما أدى إلى كره الناس له ومحاولتهم قتله (١٠٠٠) .

حدث ذلك يوم عيد الأضحى عام ٤٧٤ ه / ١٠٨٢ م ، فقد ثار الناس ضد القادر مرة أخرى بسبب استنزافه لأموالهم واعطائها لألفونش ، حتى انه اعطاه نظير الحصن المرنهن لديه مائة وخمسين الف مثقال من الذهب وخمسمائة مد من الطعام ، ضهيائة له كل ليلة طوال مدة بقائه في هذا الحصن ، اخذها القادر من أموال رعيته ومؤنهم حتى ضعفوا ، ولم يكن أمامهم الا أن يزحفوا الى قصره من جديد ، فقابلهم الجنود بالسبوف فذهبوا الى الفونش يلتمسون عنده السلوى ويشكون اليه القهادر ، فأهانهم وطردهم ، فيئس الناس من البقاء في هذه الملكة ، واخذوا في الهجرة الى سرقسطة وغيرها من البلدان المجاورة (١٢٧) .

⁽۱۲۶) ابن حيان برواية ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ج ٢ ، ص ١٧٨ ــ ١٨٠ . ابن الكردبوس ، المصدر نفسه ، ص ٨٣ .

تطلق على عدة اماكن في مختلف انحاء اسسبانيا ومعناها واضح ، وهدو جمع قناة أو قنال ، ولحل المتصود هنا هدو قرية قنالش التي تقدع في شمال طليطلة في منطقة وادى الحجارة على المحدود القشتالية • ومن المعروف أن الأمير محمد لبن الأوسط قد بنى عدة حصون ومنها حصن قنالش في منطقة الثغر الأدنى لحماية المسلمين عن جيرانهم النصداري •

أنظر ، ابن الكردبوس ، المصدر نفسه ، ص ٨٣ ٠

⁽١٢٦) ابن الكردبوس ، المصدر نفسه ، ص ٨٣ ، ابن بسام ، الذخيرة ، ق ٤ ، ج ١ ص ١٢٥ .

⁽۱۲۷) آبن بلتين ، منكراته ، ص ۷۷ ، ابن الكردبوس ، المسحر نفسه ، ص ۸۳ ٪. ۸٤ ، ابن بسام ، الفخيرة ، ق ٤ ، ج ١ ، ص ۹۳٦ ،

ازداد الاضطراب في طليطة وعمت البأساء وازداد الطمع في المتلك المدينة ، وصار ابن عباد يشبن عليها هجماته من الفرب ، وابن هود يذيقها العذاب من الشرق ، فأيقن القسادر أنه لا طاقة له على الدفاع عن ملكسه ولا سبيل أمامه الا تسليم طليطلة الى الفونش ، فكنب اليه وتخلى له عنها وعما يتبعها من مدن وحصون ، على أن يعينه على أخذ بلنسية وأقطارها عوضا عنها ، لكن الفونش لم يرض الا بأن يدخل البلاد وهو سيدها ، فأخذ في حصارها وضيق الخناق على أهلها ، فوفسد اليسه وفسد من أشرافها ، وحاولوا مساومته وأغراءه بالأموال ، لكنه أبى الا أن يبنلع المدينة كلها ، ولما هددوه بأن هناك من ملوك الطوائف من يمكنه القيام معهم ضده سخر منهم وأبرز لهم سفراء من ذكروهم من الملوك وكلهم خنوع واستسلام ، فسقط في أيدى وقد طليطلة وعادوا وقد أيقنوا بسقوطها (١١٨) .

وكان موقف ملوك الطسوائف الآخرين لا يدل على أدنى احتهال مالمساعدة ، فالمعنهد بن عباد بدل أن يبذل عونه للقادر عقد حلفا مع الفونش. السادس ، يتعهد فيه بأداء الجزية وباطلاق يد الفونش في طليطلة ، على أن يساعده الأخير في نزاعه على سائر أعدائه من المسلمين ، وملك سرقسطة المقتدر بن هود ، كان مشغولا بنضاله المستمر ضد هجهات ملوك أرغونة وأمراء برشلونة الذين استولوا هنه على قلاع الحدود في ولبه وجرادوس وموزن ، وكانت بلنسية قد عادت بعد وماة أميرها أبى بكر الى ولائها لطليطلة ، ولكن شغلها أمير دانية ، أما بطليوس فقد شغلها المعتمد بن عباد بزحفه عليها ، فلم تستطع بطليوس مساعدة طليطلة مساعدة جدية ، أذ أن ابن الأفطس أرسل ولده الفضل على رأس بعض الجند ، لكنهم هزموا أمام تفوق قوات الفونش ، وعادوا الى بطليوس تاركين المدينة تنعى حظها المشئوم (۱۲۹) ،

ومما ساعد الفونش على اخضاع المدينة واتتحامها ، هو انشقاق اهلها الذين اضناهم الحصار الذي دام تسعة أشهر ، وبعد عودة وفدها بثلاثة أيام من مقابلتهم لألفونش دون اتفاق أو صلح معه ، عرضت المدينة التسليم بالشروط الآتية :

⁽۱۲۸) ابن الكردبوس ، المسدر تنفسه ، سن ۸۱ .

ابن حيان برواية ادن الخطيب ، المصدر نفسه ، ح ٢ ، ص ١٨١ .

أبن يسام ، المسدر نفسه ، ق ٤ ، ج ١ ، ص ١٢٩ ، ١٣٠ •

⁽١٢٩) أشباخ ، ناويخ الأنطس ، ص ٦٢ ، ٦٣ ، عنان ، الرجع ناسه ، ص ١١١ -

- ١٠ ـ تأمين المسلمين على انفسهم وأموالهم وعقاراتهم ٠
- ٢ -- من شاء منهم الهجرة هاجر ومن شاء منهم الاقامة أقام ، على أن يدفع الجزية على عدد ما عنده من الأشخاص .
- ٣٠ ــ كل من يرجع بعد الهجرة الى المدينة ثانية ، مله عقاره دون ادنى معارضة .
 - ٤ ـ يبقى المسجد الجامع في حوزة المسلمين .
 - - يتعهد الفونش للقادر بأن يكون ملكا على بلنسية بدلا من طليطلة •

تم الإتفاق على هذه الشروط وتظاهر الفونش السادس بقبولها ، وفي المحرم من عام ٧٨٤ ه / مايو ١٠٨٥ م دخل المدينة على رأس قوات قشتالة وليون ، وجنود من أرغونة ، ومتطوعين ومفامرين من فرنسا وغيرها كانوا قد أتو للاشتراك في حملة تهم النصرانية كلها ، مما يؤكد الطابع الصليبي في استرداد طليطلة (١٣٠) .

وبعد دخوله المدينة تسمى بالامبراطور ذى الملتين (الاسسلام والنصرانبة) وأقسم ألا يدع أحدا من ملوك الطوائف الا من أعلن خضوعه له ، وقال لرسول أحدهم وهن ابن مشعل اليهودى ورسول المعتهد بن عياد مد كيف أترك قوما مجانين تسمى كل واحد منهم باسم خلفائهم وملوكهم وأمرائهم ، المعنضد والمعتهد والمعتصم والمتوكل والمستعين والمقتدر والأمين أوالمأمون ، كل واحد منهم لا يستطيع الدفاع عن نفسه ، ولا يرفع عن رعيته ضيما ولا حيفا ، قد أظهروا الفسوق والعصيان ، واعتكفوا على المغانى والمعبدان ؟! وكيف يحل لبشر أن يقر منهم على رعيته أحدا ، وأن يدعها ببن أيديهم سدى ؟ » (١٣١) .

لم يلبث ألفونش الا قليلاحتى شن غاراته على جميع النواحى واستحوذ على جميع أعمال مملكة طليطلة من وادى الحجارة الى طلبيرة ، ثمانين حصنا سوى القرى والمدن العامرة ، عند ذلك تهانت عليه رسل ملوك الطرائف مهنئين ومباركين وواضعبن أنفسهم وأعوالهم في خدمته ،

⁽۱۳۰) ابن الكردبوس ، المصدر نفسه ، ص ۸۵ ، دوزى ، ملوك الطوائف ص ۲۷۱ · (۱۳۰) ابن الكردبوس ، المصدر نفسه ، ص ۸۹ ·

وأنهم ليسوا الا جباه لامواله ونابعين لسلطانه ، وبلغ من تهافتهم وتخاذلهم والمستسلامهم وضعف حميتهم أنِ أهدى احدهم الى الفونش هدية تيمة فأعطاه بدلها قردا ، فصار يفخر بذلك على جميع ملوك الطوائف ، ويعتقد أنه حاز قبول الفونش ورضاه (٢٣١) .

أما القادر بن ذى النون ، فقد وصفه المؤرخون بما يستحقه من ابشع الصفات . فهذا أحدهم يقول : « وخرج ابن ذى النون خائبا مما تمناه ، شرقا بعقبى ما جناه » والأرض تضبح من مقامه ، وتستأذن فى انتقامه . واستقر بمحلة ادفونش (الفونسو) مخفور الذمة ، مذال الهمة ، ليس دونه باب ، ولا دون حرمه ستر ولا حجاب ، حدثنى من رآه يومئذ بتلك الحال وبيده اصطرلاب يرصد فيه أى وقت يرحل وقد أطاف به النصارى والمسلمون ، أولئك يضحكون من فعله ، وهؤلاء يتعجبون من جهله » (١٣٣) المعلمون ،

وفى الفونش بعهده للقادر ومكنه من السيطرة على بلنسية ، وهو على أى الحالات لن يكون الا تابعا له ، وبذلك مد الفونش سيطرته على جزء من شرق الأندلس ودخل في صراع مع السيد القمبيطور حسبها غصلنا حبين الحديث عن بلنسية ، أما طليطلة نفسها فقد عين لحكمها وادارتها وزيره المستعرب ششنند Sisnando Davidis الذي كان يتبع سياسة اللبن والتسامح واظهار العدل لأهلها ، « مما هون عليهم الرزية وحبب اليهم اعطاء الدنية ، حتى تنصر بعضهم سواء من العامة أم من ضعاف النفوس من الفقهاء أمثال الفقيه أبي القاسم بن الخياط (١٣٤) .

وكان من رأى ششنند أن يلتزم سيده الفونش بالاعتدال فى معاملة المدينة المفتوحة ، والا يستثير أهلها لأنهم غالبية السكان ، والا يلح بالغزو على ملوك الجيزيرة لأنه ان يجد عمالا أطوع منهم وحتى لا يضطرهم الى التهاس المساعدة من خارج الجزيرة ، ويبدو أن الفونش قد غره الظفر ، وأعماه الطمع ، فشمخ بأنفه ورفض لبس التاج الذى قدمه له

⁽۱۳۲) ابن كرديوس ، المصدئر نفسه ، ص ۸۸ •

⁽١٣٣) ابن بسام ، المصدر نفسه ، ق ٤ ، ج ١ ، ص ١٣٠ ٠

⁽۱۳۶) ابن سام ، الذخيرة ، ق ٤ ، ج ١ ، ص ١٣١ ، ابن سسميد ، المغرب مـ ج ٢ ، ص ١٣١ ، ابن سسميد ، المغرب مـ

"اتباعه قائلا أنه لن يفعل ذلك الا بعد أن يستولى على قرطبة وعلى المسلمين في الأندلس(١٣٠) .

وكان موقفه من تحويل مسجد طليطلة الى كنيسة بعد شهرين من استرداد المدينة ، يدل على نقضه لانفاقه مع أهلها في هذا الشأن ، فقد تظماهر بمقاب الملكه والمطران برنارد اللذين قاما بهذا العمل أثناء غيابه في ليون ، لكنه لم يفعل نسيئا بل أنه أعد ناقوسا تأنق في ابداعه وتجاوز الحدد في سناعته لوضعه في المسجد بعد تحويله الى كنيسة مصا يدحض كل رواية بغير ذلك ، وهذا ابن بسام وهو من ثقات المؤرخين الذين نقلوا عمن شاهدوا بالعبان أو استمعوا لهم ، يقدول أن الفونش قد شرع لوقته بعد ستوط طليطلة في يده دفي تغيير المسجد الجامع بها » (١٣٦)

وهكذا سقطت الحاضرة الأندلسية الكبرى وخرجت من قبضة الاسلام اللي الأبيد ، وارندت الى النصرانية بعيد أن حكمها الاسلام أربعية قرون الا قليلا ، وأصبحت حاضرة لملكة قشتالة ، وغدا قصرها منسزلا للبيلاط القشتالى ، وجاء سقوطها على هذا النحو ضربة عنيفة للاندلس وسلامتها ، نظرا لموقعها المتوسط فى شبه الجزيرة والذى تستطيع منه أن تهيد جميع دول الطوائف ، وبذلك انقلب ميزان القوى وأصبح تفوق النصرانية أمرا لا شك فيه ، وقد عبر عن ذلك شعراء المسلمين فقال أحدهم شعراء بفيض بالأسى والحزن على فقد طليطله وضياع البلاد .(١٣٧) .

ومن جهة اخرى نقد كان لتلك النكبة انتى حلت بالاسلام والمسلمين عميق الأثر في الأندلس والمعالم الاسلامي ، نقد ارتاع ملوك الطوائف جميعا وادركوا بعد نوات الأوان انها نذير بالقضاء عليهم واحدا بعد الآخر ، ولأول مرة نبذوا خلافاتهم واتجهوا بأنظارهم جميعا الى ما وراء البحر

⁽١٣٥) ابن نسام ، الذخيرة ، ص ٤ ، ج ١ ، ص ١٣١ ، ١٣٢ . (١٣٥) ابن نسام ، الذخيرة ، ق ٤ ، ح ١ ، ص ١٣١ ، ١٣٢ . -برنسال ، الاسلام في المنزب والأتناس ، ص ١٤٧ ، ١٤٨ . (١٣٧) شكيب ارسلان ، المثل السننسية ، ج ١ ، ص ٤٤٩ ، ٥٠٠.

بيلتمسون عون الخوانهم من المرابطين الذين كان لتدخلهم في سير الحوادث بالأندلس أعظم الآثار ، وكان رائدهم في دعوة المرابطين لانقاذ الاسلام هو المعتمد بن عباد صاحب أشبيلية (١٢٨) .

٨ ــ علاقة مملكة أشبيلية بالمالك النصرانية في اسبانيا:

اندهت الفنة البربرية التى قامت فى مطلع القرن الخامس الهجرى / الصادى عشر المبلادى بقيام الخلافة الحمودبة العلوبة فى قرطعة عام ٧٠٤ هـ والتى بسطت سلطانها على الجنوب الأندلسى ، وظلت اشبيلية خاضعة لها حتى استقلت عنها عام ١١٤ه / ١٠٢٣م الر الصراع الذى مقام بين القاسم بن حمود وابن أخيه يحيى بن على بن حمود على كرسى الخالفة فى ذلك الوقت . وكان عماد استقلالها تلك الأسرة القاوية من بنى عباد اللخميين وعميدها القاضى أبو القاسم محمد بن اسماعيل أبن عباد اللخمى الذى كان وحده يملك ثلث كورة اشبيلية(١٣٩) .

وفي عهد أبى القاسم بن عباد الذى استبر حتى عام ٣٣٦ ه / ١٠٤٢ كان الصراع محتدما بين أشبيلية وبين جيرانها في الجنوب من بنى زيرى حكام غرناطة وبنى حمود خلفاء مالقة ، لذلك كان السلام مخيما على العالاقات بين أشبيلية وبين ممالك الشمال النصرانية الأسبانية في هذه الفترة ، سبوى ما سبق أن أشرنا اليه من قيام أبى القاسم بارسال ابنه اسماعيل على رأس حملة الى مملكة نيون النصرانية ، عبر أراضى بطليوس التي قام أميرها ابن الأنطس بضرب مؤخرة الجيش الاشبيلي ، فحوصر الجيش بين عدوين ، الليونيون من الشمال وجنود بطليوس من الجنوب ، وجرت مذبحة قتل فيها الكثير من جند اسماعيل بن عباد ، ولىم ينج مو الا باعجوبة ، وعاد مع من نجا من رجاله الى أشبيلية بصعوبة ، بالمغة (١٠٤٠) ،

انظر ، الفعمل الأول من الماب الثالث ، ص

وفي عهد خلفه المعتضد بن عبداد (٣٣) - ١٠ ٢ ه / ١٠٧٣ م) تطورت العدلاتات بين أشبيلية وبين نصارى الأسبان ، فقد كان فرديناند الأول ملك قشمتالة يطمح في أن يبسط سيادته على أسبانيا كلها ، وتمكن من اخضاع بطليوس وسرقسطة وطليطلة لسلطانه ودفعت له الجزية ، وجاء الدور على بنى عباد حكمام أشبيلية ، ففي عام ٥٥ ٤ ه / ١٠٦٣ م قاد جيشه وهاجم أراضى أشبيلية وأحرق قراها فرأى المعتضد أنه من الحكمة أن يحذو حذو الممامون صاحب طليطلة في اعطماء الجمدزية لفريدناند ، فمضى الى معسكره ، وقدم اليه الهدايا الثمينة وتم الاتفاق بينهما على دفع جزية سنوية لم تقدرها المراجع ، أو المصادر ، وعلى نيقموم المعتضد بتسليم رفسات القديسة « خوسنا » التي استشهدت في عصر الاضطهاد الروماني (١٠٠١) .

قام المعتضد بتنفيذ هذين الشرطين ، ويطنب دوزى في وصف ما أظهره المعتضد من أسى وحزن ازاء نقل رفات القديس أزيدور الذى ظهر في المنام لرسول فرديناند الأستف « الفينوس » أستف برغش ، ودله على قبره حينما فشل هذا الأستف في العثور على جثمان القديسة خوستا ، ولم يكن هذا الا دهاء ومكرا من المعتضد الذى حاول أن يستفيد من اثارة شفقة المسيحيين وعطفهم عليه ، مع أنه كان يسخر من ذلك اذا ما خلل الى فقسه ، على أية حال فقد توفي فردبناند بعد ذلك بثلاث سنوات وخلفه ولده شانجه في حكم مملكة قشتالة ، وكان المعنضد بدنع له الجزية واستمر في تأديتها حتى وفاته عام ٢٦٤ه (١٠٧١م ، (١٤٠٢))

وكان المعتضد قبيل وفاته قد استقبل غرسبة ملك جلبقية الذى هرب من طفيان أخيه شانجة ملك قشتالة ، اثناء الحرب الأهلية التى اندلعت بين أبناء فرديناند عقب وفانه عام ١٠٦٥ م ، ويبدو أن هذا كان من الأسباب التى أدت الى موت المعتضد مسموما عام ٢٦٤ ه ، من شات مسمومة أرسلها اليه أخد إبناء فرديناند الذين لهم مصلحة في ذلك ،

⁽۱٤١) عنان ، المرجم نفسه ، ص ۸۸ ، دوزي ، المرجع نفسه ، ص ۱۷۱ ٠

⁽١٤٢) عنان ، المرجع نفسه ، ص ٤٨ ، دوزي ، المرجم نفسه ، ص ١٧٤ ، ١٧٥ •

اذ لم تحدد لنا الروايات الاسلامية اسم هذا الملك ، واكنفت بتولها ملك الروم أو ملك الافرنج ، ولعل هذا الملك هو شانجة نفسه الذي لم يلبث أن مات مفتالا في نفس العام على يد أخته أوراكة ، التي كانت تعمل لحساب أخيها الفونش الذي كان قد فر هو الآخر الى بالاط المامون في طليطانا (۱۲۳).

تولى حكم أشبيلية بعد المعنضد ابنه المعتمد (٦٤ ك ١٠٧١ ه / الدي استطاع الدي الدي الدي استطاع ان يوحد ممالك ليون وقشتالة وجليقية تحت سلطانه في تلك الفترة ، قد عزم على اتباع سياسة أبيه فريدناند في طرد المسلمين من بلاد الأندلس مستغلا في ذلك الخلافات المدمرة فيما بينهم ، وكان الصراع قائما ببن اشبيلبة وغرناطة بعد أن استولى بنو عباد على جيان التابعة لغرناطة عام ٢٦٤ ه ، وقد سبق الحديث عن الحلف الذي عقدته غرناطة مع الفونش السادس ضد أشبيلية عام ٢٦٤ ه

ثم قيام الفونش السادس بحلت على غرناطة وأشبيلية في العام التالى (٣٧) هـ) المطالبة بدفع الجزية ، وقيام ابن عمار وزير المعتمد بن عباد بعقد حلف مع الفونش لفتح غرناطة على ان تكون أموالها له والمدينة لابن عباد . ولم يأت هذا الحلف بنتيجة لأن الأمير عبد الله بن بلقين ملك غرناطة اتفق مع الفونش على دفع الجزية وعلى دفع ما كان قد امتنع عن دفعه منها في السنوات الماضية ، ولأنه لو تركت غرناطة تسقط في يد بنى عباد فسوف، تتضخم دولتهم وربها غرناطة نفسه الطاعة ويتمردون ضد الفونش حسبما نصحه مساحب غرناطة نفسه (١٤٠٠) .

ولما فشل ابن عمار والمعتبد بن عباد صاحب أشبيلية في تحريض النونش ضد غرناطة ، اتجه نشاطهما الى السيطرة على المارة مرسية

⁽۱۶۲) المراکشی ، المجب ، هی،۱۰۱ ، ابن شاکر الکتبی ، المسدر نمسه ، د ا ص ۱۹۹ ، . . (۱۶۵) ابن دلتین ، مذکراته ، ص ۷۷ ، ۷۷ ، ۵۷ ، انظر ، الفصل نفسه ، ص

لا تدمير) التى كانت تحت حكم آل طاهر القيسيين (أبو عبد الرحمن بن اطاهر ٥٥) ــ ٧١١ هـ هـ ١٠٦٣ ــ ١٠٧٨م) .

ورغم غنى أبى عدد الرحمن الا أنه لم يكن كنير الخيل والجند ممسا جعسل الاستيلاء على بلاده سهلا ميسورا . وقد لاحظ أبن عمار ذلك عندما مر بمرسية في طريقه لمقسابلة الكونت ربمون بيرنجبر الناني ملك برشلونة ولم نكن مقسابلة هذا الكونت الا يفطبة لأهداف ابن عمسار الحقيقبسة في السبطرة على المدبنة(١٤٠) .

وقد بدا ابن عمار مشروعه اتناء اقامنه فيها بانصاله ببعض الزعماء الناقمين على بنى طاهر ، مم خرج منها الى برشاونة حيث عقد حلفا مع ملكها الكونت رامون عام ٧١ه هم / ١٠٧٨ م ، على اساس أن بدفع له المعمد مبلغ عشره آلاف منقال من الذهب ، نظيم معاونته على فنح مرسية ، وأن يقدم كل من الطرفين الى الآخر رهبنه لضمان التنفيذ ، فقدم المعتمد ولده الرشيد ، وقدم ملك برشلونة ابن اخبه . وبقول دوزى أن المعتمد كان يجهل تفاصيل هذا برشلونة ابن اخبه . وبقول دوزى أن المعتمد كان يجهل تفاصيل هذا الاتفاق ، لكن بسلسل الأحداث نفسها لا يدل على ذلك ولا يمكن لابن عسار أن يعقد حلفا أو يقوم بمشروع كبير كهذا دون رأى المعتمد أو عله الهرادي المعتمد أو عله المناهد أو المناه

ولتنفيذ هذا المشروع تمام ابن عباد بارسال جيش بقبادة ابن عمال تصحبه فرقة من جنود برشلونة وحاصروا المدينة ، ولكن المعتمد ترك الميعاد المتفق عليه لتسليم المبلغ المطلوب يمر دون دفعه ، فارتاب ملك برشلونة في الأمر وظن أنه قد غرر به ، فسحب قوانه من مرسية وقبض على ابن عمار والرشيد ، وهام المعتمد بالقاء ابن اخى ملك برشلونة هو الآخر في السجن ، وبعد مفاوصات ، دفع المعنمد المبلغ المطلوب ، وتم الافراج عن الرشيد وابن عمار ، وافرج المعتمد بدوره عن الرهينة النصراني الذي سافر الى بلاده (۲۵۷) .

⁽١٤٥) بالمنبيا ، ساريخ الفكر الأتعلس ، عي ٩١ م ٢٠٠٠

⁽۱۹۲) دوزی ، الرجع منصمه ، ص ۲۶۳ ، ۲۶۲ ، دوزی ، الرجع نفسه ، ص ۲۶۰ _ ۱۳۸۹

سحب المعتمد قوائه من مرسية ، لكن وزيره ابن عمار أغراه مرة ثانية بغزوها ، فجهز المعتمد حمله أخرى بقدادة ابن عمار وعينه حاكما لمرسية ، وقد عاونت ابن عمار قوات من قرطبة أمده بها حاكمها الفتح بن المعتمد ، كما عاونه عبد الرحمن بن رشيق حاكم حصن بليج الذى أوكل اليه ابن عمار بمهمة فتح مرسبة ، فنجح في ذلك في عام ٧١١ ه / ١٠٧٨ م وقبض على ابن طاهر ، ودخلها ابن عمار في موكب فخم ، وأخذ يظهر بمظهر الأمراء ويوقع بتوقبعاتهم ، مما أثار عليه المعنمد بن عباد ، ولما شعر ابن عمار بالخطر وأيقن بالهلاك ، لجأ الى ألفونش ليحتمى به بعد أن أعلن ابن رشيق استقلاله بمرسبة أنناء غبابه في طليطلة لتحريضها ضد حاكمها لمسالح المنونش (١٤٨٠) ،

ولما فشل ابن عمار فى طليطلة لجأ الى الفونش ليحتمى به وليجد منه عونا على فتح مرسية ، لكن ابن رشيق أرسل الأموال والهدابا لألفونش فأعرض عن ابن عمار وقال له « أنا لا ارى فيكم ألا أنكم جماعة من اللصوص ، فاللص الأول قد سرق ، وجاء الثانى فسرق من الأول ما سرقه ، وجاء الثالث

فسلب من النانى ما سرقه من الأول » . وعلى ذلك تحول ابن عهار الى سرقسطة حيث خدم بنى هود » وحيث انتهى به المطاف الى القبض عليه وارساله الى المعتمد بن عياد » فتولى قتله بنفسه (١٤٩) .

وفي العام التالى لفتح مرسية على يد ابن رشيق وابن عمار ، أى في عام ٧٧٦ ه / ١٠٧٩ م ، أرسل الفونش ملك قشيالة الفارس القشتالى الشهير بالسيد القمببطور ، لاسيتلام الجزية من المعتمد ملك أشبيلية . وصادف أثناء وصوله الى بلاط المعتمد أن قوات الأمير عبد الله ملك غرناطة كانت تهاجم أراضي أشبيلية مع غرقة من الفرسيان النصاري ، بموجب معاهدة الصداقة التي عقدها صاحب غرناطة مع الفونش السيادس عام ٢٦٦ ه / ١٠٧٤ م ، فطلب رسول ملك قشيتالة من النصاري الكف عن مهاجمة أراضي ابن عباد ، تحقيقا لمقتضيات الصداقة التي تربط الفونش بملك أشبيلية ابن عباد ، تحقيقا لمقتضيات الصداقة التي تربط الفونش بملك أشبيلية أيضا ، ولما رفض هؤلاء هذا النداء قام القمببطور بمهاجمتهم وهزيمتهم وأسر

⁽١٤٧) الن الأبار ، الحلة السيرآء ، ج ٧ ، مِن 631 ف

دوزي، المرلمح نفسه ، ص ۲۵۷ ، صلاح خالص ، ابن عمار الأبدلسي ، ص ۱۲۰ – ۱۲۳ ۰ (۱٤۸) دوزي ، المرجع بنفسه ، ص ۲۵۸ ، ابن الأبار ، المصدر نفسه ، ۱۶۲ ۰

قائدهم النكونت عرسبه آوردينبز . فسر المعتمد وأعطاه عدا الجزيه طائفة كبيرة من الهدايا والتحف (١٠٠) .

وهكذا حارب جنود قشتالة بعضها بعضا لحساب ملكى أشبيلية وغرناطة . وليس هذا بغريب اذا عرفنا أن الدولتين كانتا في حلف وصداقة مع تشتالة ، ويبدو أن جيش غرناطة كان يضم في ذلك الحين نسبة كبيرة من جند قشتالة ، ولعل الفونش السادس قد وضعهم هناك رغبة منه في اقامة توازن بين الجيوش الاسلامية المتعادية في جنوب شبه الجزيرة ، وفي الحد من أطماع ملك أشبيلية الذي كان يرنو دائما الى توسيع رقعة مملكته على حساب جيرانه من ملوك الطوائف ، وهذا لا يتمشى مع سياسة ألفونش التي تهدف الى اضحاع وضربهم ببعض واطالة أمد المراع فيها بينهم (١٥٠) ،

ولما كانت القوة القشتالية الموجودة في غرناطة على رأسها الكونت غرسيه أردينيز ، خصم السيد القبيطور واحد منافسيه في بلاط قشتالة ، فقد تحركت الأحقاد الشخصية الدفينة في نفس كلا القائدين القشتاليين ، ووجداها فرصة لتصفية الحساب ، وتمكن القبيطور من أسر خصمه ثم اطلاق سراحه ، فعاد الى برفش ذليلا مهانا مما كان له أثره في علاقة ألفونشي بالقمبيطور فيما بعد ، اذ لم يلبث أن نفاه بعد ذلك بعامين ٤٧٤ ه / ١٠٨١ م بعد أن أوغر صدره عليه من ناحية نبلاء ليون الذين كانوا يكرهون نبلاء بعث الذين ينتسب اليهم السيد القمبيطور (٢٥٠١) .

ويبدو أن المعتمد بعد أن سقطت في يده مرسية عام ٧١ ه كما فصلناه من قبل ، أراد أن يؤكد عودته وصداقته وتبعيته لألفونش السادس خصوصا بعد أن امتدت مملكته ووصلت الى هذا المدى الشاسع من الاتساع ، حتى وصلت الى مرسية على ساحل البحر المنوسط في شرقى الأندلس فعقد حلفا، مع الفونش السادس ، ويتول الأستاذ عنان أن الرواية القشتالية تقدم، الينا موضوع ذلك الحلف ولكنها لا تذكر تاريخه وتقول لنا أن الوزير ابن.

⁽۱٤۹) عنان ، المرجع نفسه ، ص ۷۲ ، ليفى بروفسسال ، المرجع نفسه ، ص ۱۸۱ مـ خلبل ابراميم ، المرجع نفسه ، ص ۱۰۱ .

⁽١٥٠) ليفي بروننسال ، المرجع تُفسه ، ص ١٨١ ٠

⁽١٥١) ليفي بروفنسال ، الرحم نفسه ، ص ١٨١ .

لين بول ، قصة العرب في أسبانيا ، ص ١٦٧ .

عمار ذهب الى ليون وتولى المفاوضة فى عقده ، وخلاصته أن يقوم ملك انتستالة بمعاونة المعتمد فى حروبه ضد اعدائه من المسلمين ، على أن يقوم المعتمد بأداء الجزية ويغزو أراضى مملكة طليطلة الجنوبية وأن يسلم منها الى ملك قشتالة الأراضى الواقعة شمال جبال سيرامورنيا (جبل الشارات حسب الرواية المربية) (١٥٣) .

وتزيد الرواية القشتالية على ذلك بان المعتمد قدم في هذه المناسبة الحدى بناته لمكون زوجة أو حظية لملك قشتالة ، وهى التى تعرفها الرواية القشنالية باسم « زابدة » وهذا بالطبع لا يمكن أن يحدث من ملك مسلم ، والصحيح أنها كانت زوجة ابنه الفتح الذى قتله المرابطون اثناء استيلائهم على قرطبة من يده عام ١٨٣ ه ، فذهبت الزوجة مفضبة الى اعداء المرابطين على سبيل الانتقام ، حيث أصبحت ضمن حظايا الفونش السادس ، والتى انجب منها ولده الوحيد شانجة الذى قتل في معركة اقليش عام ٥٠١ ه / ١١٠٧

اما تاریخ الحلف المذکور بین الفونش وبین المعتبد والذی عقده ابن عمار فی لیون فیبدو أنه کان فی عام ۱۷۱ ه / ۱۰۷۸ م وبعد استیلاء ابن عمار علی مرسیة بقلیل ، ذلك أن العلاقة ما لبثت أن توترت وساعت بین ابن عمار وملیکه المعتبد بن عباد ، بعد أن استولی ابن رشیق علی مرسیة ، ولجوء ابن عمار الی الفونش ثم هجرته الی القادر صاحب سرقسطة ، حیث عمل فی خدمته وحدمة ابنه المؤتمن الذی تولی الحکم عام ۷۷۶ ه ، مما یؤکد لنا أن حلف ابن عمار مع الفونش کان قبل هذا التاریخ بالتأکید ، وظل ابن عمار فی سرقسطة حتی تم اعتقاله بواسطة أحد أصحاب الحصون الذین کان ابن عمار یروم خلعهم لمصلحة ابن هود ، ثم أرسل الی اشبیلیة فقتله ابن عبار بیده عام ۷۷۶ ه (۱۰۵۰) .

ويربط البعض بين هروب ابن عمار ومن مرقف المعتمد بن عباد الشجاع من سفارة ابن شاليب المهدى التي ارسلها الفونش الى اشبيلية لاستلام

⁽١٥٢) عنان ، الرجع سفسه .. ص ٧٣٠

⁽١٥٢) الضمي ، سفعه الملتمس ، ص ٣٣ ، عنان ، المرجع نفسه ، ص ٧٧ .

^{، (}١٥٤) أنظر المصل الأول ، الباب الثالث ، ص

الجزية (١٠٠١)، ، بينها يجعل الأستاذ عنان قصة هذه السفارة قالية للحلف الذي أشرنا اليه من قبل ويحدد لها تاريخا وهو عام ٧٤٥ هـ (١٠٠١) . وهذا ليس بصحيح على الاطلاق وسوف نناقشه بعد أن نأتي على موضوع السفارة نفسه .

ذلك أن ألفونش السادس وجه سعاريه المعتادة الى المعتمد بطلب الجزية وعلى رأسها أحد قادته ، ووزيره اليهودى اس شاليب ، الخبير في معرفة الزائف من الصحيح من العملة . وعسكرت البعثة بجنودها الذين يبلغون الخمسمائة فارس خارج مدينة اشبيلية ، غوجه اليهم المعتمد المال مع بعض أشياخ المدينة ، وفي مقدمتهم الوزير ابن زيدون ، فلما شـاهد ابن شاليب المال والسيائك رفض تسلمها بفلظة بحجة أنها من عيار زائف ، وهدد بأنه اذا لم يقدم له المال من عبار حسن ، فسوف بحتل الفونش مدائن مملكة أشبيلية حتى يتم الدنع على الوجه المرغوب (١٥٨) . وفي بعض الروايات أنه زاد على طلبه السماح لزوجة الفونش أن تلد في الجانب الغربي من المسجد الأعظم بقرطبة حسبما أشار بذلك القساوسه ، لأنه كان جزءا من كنيسةكانت معظمة عندهم ، على أن تنزل امرأته المذكورة بمدينة الزهراء غربي مدينة قرطبة ، وزعم أن الأطباء قد أشاروا بذلك لاعندال مناخها . وزاد في أثارته للمعتمد مطلب منه التخلى عن بعض الحصون التي كان الموت عنده أولى من اعطائها . ولما وقف المعتمد على كل ذلك بعث رجاله فقبضوا على ابن شاليب ومن معه من الفرسان القشناليين ، وأمر باليهودي قصلب والقي مالفريسان في السجن (١٥٩)، ٠

(١٥٥). خليل ابراهيم السامرائي ، علاقات المرابطين ، ص ١٠٤ ، ١٠٤

(١٥٦) محمد عبد الله عنان ، المرحم نفسه ، ص ٧٧ ٠

(۱۵۷) ابن الأثبر ، المصدر نفسه ، ج ۱ ، ص ٥٢ ، ابن الخطيب ، أعمال اعلام ح ٢ ، ٢٤٤ ، الحلل الموشيه ، ص ٢٥ ، المعدر دسسه ، ح ٢ ، ص ٤٧٠ .

(۱۵۸) ابن الأثمر ، المصدر نفسه ، ح ۱ ، حن ٥٦ ، ابن خلكان ، المصدر نفسه ، ح ٤ ، ص ١١٩ ٠

امن طقین ، المصدر نفسه ، ص ۱۰۲ ، ۱۰۲ ، ابن الحطیب ، اعمال الاعلام ، ح ۲ ، ص ۲۶۶ ، ۱۸ ، المصیری ، المصدر دهسه ، ص ۲۶۸ ، ص ۲۶۶ ، المصدر دهسه ، ص ۲۶۸ ، مصر ۲۶۶ ، المصدران الأولان في آن المعنمد تسل الرسول والبعثة كلها ، سياما تذكر المسادر

الباغية أنه تقل الرسول البهودي معط ويسجى بأقيى أقواد سعننه -

ولما علم ملك قشستالة بها وقع لسفرائه اضطر أن برد حصن المدون المقريب من قرطبة الى المعتمد ثبنا لاطلاق سراحهم ، لكنه اقسم أن بنتقم منه أروع انتقام ، وأن يخرب أراضى مملكته كلها حتى يصل الى نهاية الأندلس عند جزيرة طريف ، وبادر ألفونش وقام على رأس جيوشه من الجلالقة والمقشمتاليين والبشكنس وعاث في أحواز باجة ولبلة ، نم وصل الى أرض أشبيلية وهو يحرق القرى وبنسف الزروع ، ويسبى كل من وقع في يده من المسلمين ، وعسكر هناك على ضفة النهر الأعظم أو الوادى الكبير في مواجهة قصر المعتمد بن عياد (١٠٠) .

مكث ألفونش في مقامه هناك بلاتة أيام أرسل عبها رسالة الى المعتمد سياخرا منه زاريا به مذلا له ، يقول غيها « كثر بطول مقامى في مجلسى الذبان (الذباب) واتستد على الحر ، فالقنى من قصرك بمروحة أروح بها على نفسى ، وأطرد بها الذباب عنى » فكتب له أبن عياد في ظهر رسالته وبخطا يده « قرأت كتابك ، وفهمت خيلاءك واعجابك ، وسانظر لك في مراوح من الجلود اللمطية في أبدى الجيوش المرابطية ، نروح منك لا نروح عليك أن شماء الله » . واستمر ألفونش في حملته حتى وصل الى جزيرة طريف على بحر الزقاق أو على مضيق جبل طارق (١٦١) .

وكان نهديد المعتمد لألفونش بالمرابطين قد انتشر في الأندلس، فاستنبشر الناس وفتحت امامهم أبواب الآمال، ويم ارسال البعية الأندلسسية الى يوسف بن ناشفين تستصرخه لغوث الأندلس ونجدنها من بد هذا الطاغية اللعين الفونش السادس، الذي شق الأندلس من اقصاها الى ادناها، وخاض بقوائم فرسه في بحر الزقاق معلنا أن الأندلس كلها أصبحت طوع يهينه وتحت سلطانه، وقد احتفظ لنا ابن الخطيب بالرسائل المتادلة بين الفونش السادس وبين ابن تاشفين حينما وصل الأول الى بحر الزقاق وأرسل رسالة لابن تاشفين يتحداه فيها بالعبور البه أو بقوم هو بذلك، وبالرسائل المتبادلة بين المعتمد بن عباد وابن تاشفين يستصرخه فيها بالاسراع في العبور ونجدة الاسلام (١٦٠).

⁽١٥٩) الحميري ، المصدر تنفسه ، من ٨٠ ٠

ابن الخطيب الحلل الموشية ، ص ٢٦ ، ابن جلدون ، العبر ، حـ ٦ ، ص ١٨٦ .

⁽١٦٠) الحمدي ، المصدر ننسه ، ص ٨٥ ، ابن الخطيب ، الحل الموشية ، ص ٢٦ ٠

⁽١٦٦١) الحمدى ، المصدر نفسه ، ص ٨٥ ، ابن الخطيب ، الحسال المرشسية ، ص ٢٧ ، ٣٢ .

اسن خلكان ، المصدر نفسه ، ج ٦ ، مس ١١٤ ٠

هذه هى قسة رساله ابن شاليب وما اننهت اليه . ومن الواضح أن تسلسل الأحداث لا يدل مطلقا على أنها كانت عام ٤٧٥ هـ هما يتول بذلك المقرى ومن تابعه من المؤرخين المحدثين (١٦٠) ، ولا يمكن أن نأخذ بهذا التاريخ ونرجح أن السفارة نهت عقب سقوط طليطلة . أما رفضنا التاريخ المشار اليه فللأسباب الآسة :

أولا: لأنه لا يتفاسب مطلقا مع الترتيب المنطقى للأحداث حسبما اشار المقرى نفسه ، فقد سقطت طليطلة وابن عباد فى تحالف مع الفونش السادس ، ولا يمكن أن تأتى سفارة ابن شاليب التى افسدت العلاقات بينها بدرجة خطيرة ، وجعلت ابن عباد يستصرخ بالمرابطين رسميا قبل سقوط طليطلة .

ثانيا: لو كانت أحداث سهارة ابن شاليب حدثت عام ١٠٨٢ هـ / ١٠٨٢ م لكان هناك متسع من الوقت لألفونش لأن يفزو أشبيلية ذاتها ، ولسقطت في يده قبل طليطلة عام ٤٧٨ هـ . لكن كان هناك حلف بينه وبين أشبيلية عقده معها منذ عام ٤٧١ هـ ، وبموجبه أطلق المعتمد يد الفونش في طليطلة ، فاستمر على حصارها ومضايقنها حتى سقطت في يده .

ثلثا: لا يمكن للمعتمد بن عياد أن يقوم بقتل سسفير ألفونش عام ٧٥ هـ / ١٠٨٢ م وهو يعلم تماما أنه لا طاقة له بمواجهة ألفونش بمفرده ، خصوصا وأن ابن تاشفين لم يكن قد استولى بعد على سبقة الني لا يمكن العبور الى الأندلس دون السيطرة عليها ، ولم يتم ذلك الا عام ٨٦٦ هـ أو عام ٧٧٧ هـ ولذلك لم يكن هناك أمل في مساعدة المرابطين قبل هذا الناريخ ، ومن هنا لا يجزؤ المعتمد على تحدى ألفونش بالشكل الذي أظهرته أحداث السفارة عام ٧٥٤ هـ (١٠٠) .

(۱۹۲۷) انظر المقرى ، المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٤٧٠ ، السلاوى ، الاسستقصاء يز ج ١ ، ص ١١٠ ٠

علان ، المرجع نفسه ، ص ٧٣ ، دوزى ، طوك الطوائف ، ص ٢٦٧ ... ٢٧٠ خليل ابراهيم ، المرجع نفسه ، ص ١٠٣ . و ١٠٥ .

Livermore, op., cit. pp. 122, 123

(١٦٣) الضبي، مغية المتمس، ص ٣١٠

السلاوی ، المصدر ففسه ، ج ۱ ، ص ۱۱۱

Livermore, op. cit, p. 123

رابعا: الحملة الذي قام بها الفونش السادس حتى وصل الى جزيرة طريف لا يمكن أن يقوم بها عام ٧٥٥ ه ، لأنه كان مشعولا في أحداث طلبطلة وثوراتها المنعلقبة ضد القادر والسيطرة التشتالية ، وكان الفونش يضع نصب عينبه في ذلك الوقمت الاستيلاء على طلبطلة ، وكان لا بمكن أن يغضب ابن عباد أو يدفعه للعداء معه حتى لا ينجد طلبطلة ، بل أنه على العكس من ذلك ، عقد معه حلفا يقسمان بموجبه الغنيمة عند سقوط طليطلة ، ومن ثم تنتفى أحداث سفارة ابن شاليب بالصورة التى تمت بها كلية عام ٤٧٥ ه .

فاهسا: استند الأسسناذ عنسان ودوزى ومن تابعهم من المؤرخين المحدثين والمستشرقين على مصسدرين متأخرين جدا ، فالمقرى توفى عام ١٠٤١ هـ / ١٦٢١ م وهو ينقل عن ابن اللبانة الذى لا نجد له مكانا بين المؤرخين أو الأدباء المشهورين الجديرين بالثقة ، فضلا عن أنه غير معاصر للأحداث أو قريب منها . أما السلاوى فهو من مؤرخى القرن الرابع عشر الهجرى (ت ١٣١٥ ه) ، ولا يبين المصدر الذى نقل عنه ، زد على ذلك أن روابته مضطربة ويخطىء فى ترتيب الأحداث التاريخية ويجعل أقدمها أحدثها كما أنه لم يذكر السفارة ذاتها وانما يذكر ما ترتب عليها من غزو الفونش وزحفه حتى جزيرة طريف فى جنوب الأندلس ويجعل ذلك عام المؤنش وزحفه حتى جزيرة طريف فى جنوب الأندلس ويجعل ذلك عام

والصحيح كما أشرنا أن سفارة أبن شاليب تمت عقب سقوط طليطلة بقليل عام ٧٨} ه (١٠٨٥ م) للأسباب الآتية :

اولا: ان هذا التاريخ يتفق مع التسلسل الناريخي الأحداث فقد ازدادت بالطبع أطباع الفونش بعد سقوط طليطلة واراد اسقاط جميع ملوك الطوائف كما صرح بذلك لسفير ابن عبساد نفسه ، واشتط في طلباته ، حتى يدفع المعتمد الى الرفض ، وهنا يجد الفونش نفسه في حل من حلفه معه ، وتتهيأ لمه الفرصة لافنراسه . ولما أدرك المعتمد ذلك وراى هجوم ألفونش حتى موصل طريف ، أدرك الحقيقة وأرسل الى المرابطين يستصرخهم ، رغم معارضة بعض ملوك الأندلس (١٦٦) .

⁽۱٦٤) السلاوي ، الاستنقصا ، ج ١ ، ص ١١٠ ٠

⁽١٦٥) ابن الكرديوس ، الصمحر نفسه ، ص ٨٩ ، ٩٠ ، اس خلكان ، المصدر نفسه حج ٣ ، ص ١١٤ ٠

ابن أبي دبنار ، الموسى ، ص ٩٨ ، ٩٩ ، ابن المحطيب ، أعمال الاعلام ، ج ٢ ، ص ٢٥٠ - ابن الأدار ، المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٩٩ .

ثانيا: كان لا يمكن لألفونش أن يقوم بالغزو حتى جزيره طريف أذ كانت، قاعدة الفزو في مكان يبعد كثيرا ، فبرغش وليون تقعان في اقصى شمال شبه المجزيرة ، ولا يمكن أن تقوم من أي منهما حملة نسخر في الزحف حتى جزيرة طريف بهذه السرعة التي تمت بها حملة ألفونش ، ولا يمكن أن تكون القاعدة الا طليطلة التي تقع وسط شبه الجزيرة ، ويمكن لمن يسيطر عليها أن يرسل جيوشه في أي اتجاه ، ويذكر بعض المؤرخين صراحة أنه عاد من غزوته تلك الى طليطلة ، وهذا يؤكد ما ذهبنا اليه (١٦٧) .

ثالثا: صحيح أن الحميرى وهو مهن نستند اليهم في ندعبم رأينا لم يذكر تاريخا محددا للسفارة ، لكنه جعلها سببا مباشرا للزلاقة التي حدثت بعد سقوط طليطلة بعام ، وليس قبلها ، ويقول ان السفارة أفسدت الصلح والحلف المنعقد بين الفونش والمعتمد . وبالطبع فان هذا الصلح كان قبل سقوط طليطلة حسبما فصلنا ، وليس بعدها ، اذ أأنا لم نسمع عن أحسلاف عقدت بعد سقوط طليطلة ، ولكنا سمعنا عن تحركات ملوك الطوائف واتفاق كثير منهم وخاصة كبراءهم ، مثل ابن عباد وابن الأفطس وابن بلقبن ، على استدعاء المرابطين الذي تم بعد سقوط طليطلة (١٦٨) .

وهناك غير الحميرى من ذكروا بالنص وقالوا صراحة أن سفارة ابن شاليب حدثت بعد سقوط طليطلة . متال ذلك ابن الائير الذى قال « غلما ملك الأنفونش (الفونسو) طليطلة ارسل الى المعتمد . . . الخ » . ولسان الدين ابن الخطيب الذى يذكر هو الآخر صراحة أنها كانت بعد سقوط طليطلة ، وأن الفونش « مال على جهة ابن عباد كبيرهم ، يحصل شوكته ويخطب مملكته ويطرق حماه متناهيا في الوعد ، متراميا الى المرمى البعيد ، ووصله رسوله اليهودى المعين لقبض الضرائب . . . الخ » وأنه لما استولى على طليطلة أرسل ابن عباد يطلب منه تسليم اعماله الى رسله وعماله ، يؤيدهم في ذلك ابن خلدون الذى يقول ان الفونش « أخذ طليطلة صلحا عام ٧٨) ه ، هم سار في ملاد الأندلس حتى وصل بفرقته المجاز من طريف » (١٦٩) .

⁽١٦٦) ابن خلكان ، آلمسدر نفسه ، ج ٤ ، س ١١٩ ، ابن الأثير ، المسدر نفسه ، ج ٦ ، ص ٥٠ ٠

⁽۱٦٧) الحميري ، مسفة حزيرة الأندلس ، ص ٨٣ ، ٨٤ ٠

⁽١٦٨) ابن الأثير ، المصدر منسه ، ج ١٠ ، ص ٥٦ ، ابن الحطيب ، اعمال الاعلام ،- ج ١٠ ، ص ٢٤٤ .٠

الحلل الموسَّمية ، ص ٢٢ ، ابن خلدون ، للصيدر نعسه ، ص ١٨٦٠ .

وغنى عن البيان أن هذه المصادر ــ ابن الأثير (ت ٦٣٠ ه) وابن الخطيب (ت ٧٧٦ ه) وابن خلدون (ت ٨٠٨ ه) والحميرى (عاش في القرن التاسع الهجرى) ، أقرب الى الأحداث بكثير من المقرى (ت ١٠١١ ه) والسلاوى (ت ١٠١٥ ه) كما أنها أجدر بالثقة وأدعى للاطمئنان بدرجة كبيرة ، أذ أن أبن الخطيب ينقل عن مؤرخ معاصر هو أبن حيان ، بينها المقرى ينقل عن مؤلف مغمور لا يعتد به ، فضلا عن أن المقرى نفسه يتفق مع مصادرنا في التسلسل التاريخي للأحداث ، ويجعلها تننهي باستدعاء المرابطين ، ويتفق معنا السلاوى أيضا في أن الفونش بعد وصوله الى طريف ارتد وحاصر سرقسطة « وأراد أن يقدمها بالفتح على غرها » وهذا بالطبع لم يحدث الا بعد سقوط طليطلة (٧٠٠) .

على أية حال فقد كان سسقوط طليطلة وما تبعها من حملة الفونش. السادس التى اخترق بها الأندلس من شمالها الى أقصى جنوبها من الكوارث الخطيرة التى جعلت ملوك الطوائف يعيدون حسابانهم ، وعند الشسعور بالخطر تقاربت أهواؤهم واتحدت مصلحتهم فى استدعاء المرابطين ، صحبح أن بعضهم رفض ذلك بدعوى خوفهم على ملكهم من المرابطين ، لكن ابن عباد حسم الموقف بقوله لهم « رعى الجمال عند ابن تاشفين خير من رعى المخازير في قشتالة » . ولم تكن فكرة الاستعانة بالمرابطين وليدة ذلك اليوم ، بل كانت سابقة على ذلك بعدة أعوام ، لكنها لم تأخذ الطابع الرسمى الا عندما أبو بكر عبيد الله بن أدهم قاضى قرطبة ، وأبو اسحاق بن بقانة قاضى. بطليوس وأبو جعفسر القليعي قاضى غرناطة ، وأبو بكر بن زيدون وزير المعتهد (۱۷۰) ،

وما حدث بعد ذلك من عبور ابن تاشينين الى الأندلس في ربيع الأول، عام (٢٧٩ ه يونية ١٠٨٦ م) ، ثم زحمه الى أشببليه ، ثم تجمع التوات،

⁽١٦٩) المترى ، المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٤٧٠ ، السلاوى ، المصدر نفسه ، ص ١١٠ ٠

⁽١٧٠) ابن خلكان ، المصدر نفسه ، ج ٦ ، ص ١١٤ ، ابن الأثير ، المسدر بفسه ،

حد ۱۰ مس ۵۰ -

ابن الأبار ، المسدر تنسه ، ج ٢ ، ص ٩٩ ، ابن الخطيب ، اعسال الاعساليم ، . ج ٢ ، ص ٤٢٥ ،

الحميري ، العسور نفسه ، من ٧٠ ، ٨٦ ٠

الأندلسية في الزلاقة من اعمال بطليوس وملاقاتها لجيش الفونش الذي ضم كثيرا من الجند الفرنسيين وغيرهم بالاسماعة للي جنود قشتالة وليون ونبرة وبرشلونة ، ثم قبام المعركة في ١٢ رجب عام ٧٩ ه / ٢٣ اكتوبر ١٠٨٦ م وانتهائها بذلك الانتصار السماحق للقوات المتحدة من الأندلسيين والمرابطين ، وفرار الفونش الى طلبطلة مع حوالي خمسمائة من فرسمانه ، كل ذلك معروف وتذخر به كنب الناريخ وما يعنينا هنا هو مناقشة بعض القضايا التي تتعلق بهذه المعركة الفاصلة في تاريخ الصراع بين الاسلام والنصرانية في شسبه الجزيرة (١٠٢) .

وأول هذه القضايا أن المعتمد وغيره من ملوك الطوائف لم يكونوا باستدعائهم للمرابطين يتبنون القضية الاسلامية ، أو يتبعون سياسة اسلامية ، وأنها كانت تدفعهم مصالحهم الشخصية وخوفهم على عروشهم بمن الزوال ، بالرغم مما أثاره استدعاء المرابطين من فورة دينية على كلا الماتبين الاسلمى والمسيحى ، فقد كان طابع الحرب صليبيا بالنسبة للمسيحيين وكانت حرب جهاد مقدس من جانب المسلمين ، واستفل ملوك الطوائف تلك الفسورة الدينية لملحتهم فاستدعوا المرابطين ، ولما تناقض ذلك مع آمالهم وخططهم ، انقلبوا على المرابطين ووضعوا يدهم مرة أخرى في يد نصارى الشمال (٧٣) .

نهذا هو الأمير عبد الله بن بلنين وصاحب غرناطة واحد المعاصرين والمستركين في الأحداث نفسها ، يتول في مذكراته ، وجرت بين المعتمد

⁽۱۷۱) من آستدعاه المرابطين وعبرهم وموقعة الزلاتية بنفاصيلها ، أبطر ، ابن بلعين ، مذكرات الأمير عبد الله ، ص ۱۰۱ ، ۱۰۱ ، ابن الكردبوس ، الاكتفاء في أحبار الخلفسساء ، مص ۸۹ م وه .

لبن الأثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٥٦ ، ١٠ ، ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ج ٢ ، - ص ٩٩ - ١٠١ .

لدن خلکان ، وهیلت الأعیان ، ج 3 ، ص 114 \dots 17 ، ج 7 ، ∞ 117 \dots 117

المقرى ، نفع الطيب ، ج ٢ ، ص ٢٣٥ ــ ٣٢ه • . Moslems in Spain on 694 - 608

Dozy, A History of the Moslems in Spain, pp. 694 - 608 Murphy, Mohamedan Empire, pp. 125 - 139.

[﴿]١٧٢) لَبِنَ لِلْكُرِدِبُوسِ ، المصدر نفسه ، ص ٩٢ ، النجيري ، المصدر نفسه ، ص ٨٨ ٠

والفونت (الفونسو) محالفات كتيرة ، وسأله أن يتخلى له عن معاقل كان. الموت عنده أولى به من اعطائها ، فوجست (خانت) نفسه منه بالجملة ، ورام كسره بطـوائف المرابطين وضرب بعضهم ببعض » . كانت هذه استراتيجية المعتمد بن عباد وهي أن يضرب المسلمين بالنصاري ويخوف هؤلاء بأولئك حتى يبقى له عرشه (١٧٠).

وقد أعطى المعنيد لاسندعائه المرابطين صفة الفيرة على الدين وعلى المسلمين ، حينما أرسل لألفونش رسالة يندم على التفريط في حق اخوانه من أهل طليطلة ومساعدته له في أخذ بلدهم ، لكن دخيلة نفسه تنكشف تهاما بعد أن عاد للتحالف مع الفونش عندما رأى أن المرابطين بداوا في خلع ملوك الطوائف ، وبرر فعلته نلك بقوله « اضطرنني الضرورة الى ذلك للمدافعة (عن نفسي وبلدى) ولو يوما واحدا » (١٧٠) .

اذن فيم كان قوله « رعى الجمال خير من رعى الخنازير » انها المصلحة الشخصية لا غير ، ونؤكد لنا بعض الروايات بأن رسوله الى ابن تاشفين مانع فى اعطائه الجزيرة الخضراء لتكون قاعدة للجيوش والمرابطين ، وحتى بعد أن وافق على اعطائها أمسك رسل أبن ناشفين عنده فى انسبيلية مدة طويلة ، ثم أطلقهم وأرسل معهم رسالة يطلب فيها من ابن تاشفين النعهد بعدم الجواز الى الأندلس الا بعد مرور ثلاثين يوما حتى يتهكنوا من اخلاء الجزيرة الخضراء له ، لكن هذه الحيلة لم تفت على ابن تاشفين الذى فهم أن المعتمد يريد أن يلعب على الحبلين ، فيخبر الفونش بقدوم المرابطين ويرغبه باعطاء الجزية ومحالفته على عدم الاعتداء على مملكته ، واذا لم يتمكن من ذلك سمح للمرابطين بالجواز (١٧٦) .

ولذلك أسرع ابن تاشفين وأرسل بعضا من جنده في الحال اثر عودة، رسل ابن عباد ، واحتلوا أجزاء من الجزيرة الخضراء لوضع ابن عباد امام, الأمر الواقع ، ذلك أن ملوك المطوائف كاتوا يكرهون نزول المرابطيين بجزيرتهم ، ولم يكن هناك اجماع على استدعائهم ، لكنهم كرهوا ان يكونوا، بين عدوين ، النصارى من شمالهم والمرابطون من جنوبهم، ولما كان لاسم

⁽۱۷۳) ابن بلقین ، منگرآته ، ص ۱۰۱ ، ۱۰۲ •

⁽۱۷۶) ابن الخطيب ، الحلل المرشية ، ص ٢٥ ، الحميرى ، المسعد نفسه ، ص ٨٥ ، ٨٦ منا ابن بلقين ، المسعد نفسه ، ص ١٦٩ .

⁽۱۷٦) ابن باتین ، منکرات ، ص ۱۰۲ ، ۲۰۸ •

ابن تاشفين دوى يلقى الرعب فى قلوب الأعداء فقد أراد ملوك الطوائف ان يرهبوا ملوك النصارى باظهار موالاتهم لملك المفرب يوسف بن تاشفين(١٧٧) .

ولما تأكد لهم أن ابن ناشفين ينوى نزول الجزيرة لمدافعة النصارى استجابة للنداءات المتكرة من الفقهاء والادباء والوفود الاهلية المتكررة التى كانت تذهب اليه باكية مسنصرخة ، اجتمعوا الى زعيمهم ابن عبد وفوضوه في مكاتبة ابن تاشفين يسألونه الابقاء عليهم ، على أن يكونوا عصت طاعته ، وقد احتفظ لنا ابن خلكان برسالة من المعتمد بهذا المعنى واحتفظ لنا أيضا برد ابناشفين ، وفيه طمأنهم بأنه حافظ لعروشهم ومبقيهم على بلادهم ، فأحبوه وعظموه وقرت أنفسهم ورأوا الوقوف معه ضد الفونش(١٧٨) .

هنا لابد أن نذكر أيضا أن ابن تأشفين مع تقواه وتدينه وحبه للجهاد ودفاعه عن المسلمين ، لم يكن أيضا هو الاخر خاليا من الاطماع الشخصية في ملك الاندلس ، وهناك موقفان يدلان على ذلك ، أما الموقف الأول فبحكبه لنا ابن الكرديوس الذي كان معاصرا للاحداث أو على الأقل مسمع ممن عاصرها ، فيقول أنه أثناء المعركة اشتد القتل في جيوش الأندلس واستبطأ المعتمد وصول قوات المرابطين وبدأ ينراجع هو بقواته ، ونبعهم الفونش قتلا وأسرا مسافة ثمانية عشر ميلا ، وكانت خطة الموكةمرسومة على أساس أن الجيش الأندلسي في المقدمة وأن الجيش المرابطي يتبعه بمسافة قليلة على شكل كمائن متفرقة بحيث ينقض على العدو في الوقت المناسب (١٧٩) .

ولما بدت هزيمة الجيش الأندلسى وأحيط ابن تائسفين بذلك قال : « اتركوهم قلىلا للفناء ، فكلا الفريقين من الأعداء » . وهناك من الروايات ما تذكر أن ابن تائسفين كان يتمنى عدم لقاء العدو في أرض لا يعرمها ،

⁽۱۷۷) ابر خلکان ، المصدر مفسه ، ج ٦ ، ۱۱۲ ،

⁽۱۷۸) ابن حلكان ، الصدر نصبه . ح ٢ ، ص ١١٢ ، ١١٣ ٠

الحميري ، المسدر نفسه ، ص ٨٦ .

⁽١٧٩) ادن الكرددوس ، المصدر نفسه ، ص ٩٤ ، ابن الخطيب ، المثل ، ص ١٤ ٠

مووسط أناس لا يعرف غيهم المدو من الصديق . ويبدو أنه كان محقا في ذلك بعدد أن رأى فرار ملوك الطوائف من المعركة وهي ما تزال في بدايتها عدا أبن عباد الذي صمد والذي اختصه أبن تاشفين في رسائله بالمدح والثناء(١٨٠) .

هذا هو الموقف الأول ، أما الموقف الثانى فيبرز من خلل الخلف الذى نشب بين المعتمد وابن تاشفين غداة احراز النصر على الفونش في الزلاقة ، فقد رأى المعتمد ضرورة مطاردة الأعداء وملاحقتهم حتى ينقطع دابرهم ، لكن ابن تاشفين رفض ذلك متعللا بالخوف على الذين انهزموا من المسلمين في بداية المعركة ، فريما قام الفونش بالقضاء عليهم اذا رأى مطاردة المرابطين له ، وهو تعليل لا يحمل طابع الجدية ، وقد فنده المعتمد وقال له ان هؤلاء المنهزمين لن يعجزوا أمام الفونش الذى فر في شرذمة قليلة العدد ، لكن يوسف أصر على موقفه ، وساعده على ذلك وصول نبأ موت ابنه الأكبر الذى كان قد تركه في حكم المغرب أثناء غيابه ،

وقد تحدث المعاصرون وفندوا هذا الخدلاف الدى نشب بين القدائدين: ابن تاشفين وابن عباد ، فقدال أنصار ابن عباد أن يوسف كان يعرف أن ابن عباد كان على حق ، لكنه «خاف أن يهلك المعدو الذى من أجله استدعاه ، فيحدث الاستغناء عنه » ، وقال أنصار يوسف « أن ابن عباد أراد أن يقطع حبال يوسف من العودة الى جزيرة الأندلس » ، وقال فريق ثالث أن الرجلين كانا غير مخلصين كل للآخر ، وان كان ابن عباد أحرى بالصواب » ، (١٨٢)

وهذان الموقفان يوضحان تماما أهداف ملوك الطوائف واهداف المرابطين من تلك الحرب التي أضرموها مع نصاري أسبانبا وغيرهم من

⁽۱۸۰) ابن الكرديوس ، المصدير بقيمه ، ص ٩٤ ، ابن بلفين ، مذكراته ، ص ١٠٥ ، المحميري ، المصدر نفسه ، ص ٩٢ ٠

٠ (١٨١) الحمري ، المصدر نفسه ، ص ٩٣ ، ابن الكردبوس ، المصدر نفسه ، ص ٩٥ ٠

⁽١٨٢) المحميري ، صفة جزيرة الاتطلس ، ص ٩٣ ، أنسبانج المرجع نفسه ، ص ٩٢ ٠

نصارى فرنسا والبابوية . وفي الحقيقة فان يوسف بن تاشفين لم يفعل منلا مثلما فعل طارق بن زياد وموسى بن نصير اللذان لم يكفسا عن القتسال حتى أجهزا على قوة القوط ، بل ان طارق بن زباد بعد أن هزمهم في موقعة وادى لكة (شريش) ، لم ينتظر وصول تعليمات من قائده الاعلى موسى أبن نصير ، فواصل الزحف حتى وقعت العاصمة طليطلة في قبضته معرضا نفسه لعقاب موسى وتأنيبه .

وربما فعل ابن تاشفين مثلما فعل شارل مارتل في موقعة بلاط الشهداء (١١٤ه) التي هزم فيها المسلمون بقيادة عبد الرحمن الغافقي . ورغم هزيمة المسلمين في هذه المعركة ومقتل قائدهم فيها ، الا أن شارل لم يطاردهم واكنفي بمسا أحرزه من نصر وبما أصابه من الغنائم والأسلاب. ويأتي الشبه ببن بلاط الشهداء وبين الزلاقة من ناحية أخرى ، فقد اتبع كل من شارل ويوسف تقريبا أسلوبا أو خطة مشابهة عادت بالنصر على كليهما ذلك أن كلا منهما كان منهزما في البديلة ، وان كانت الهزيمة في حالة يوسف تعود على الأندلسيين وليس المرابطين ، لكن شارل ويوسف فاجأ العدو من الخلف بالاغارة على معسكره ومؤنه وذخائره ، وبالضرورة العدو من الخلف بالاغارة على معسكره ومؤنه وذخائره ، وبالضرورة فلا بد أن يرتد الجبش المهاجم ويسارع بانقاذ معسكره ومؤنه لا محالة .

ولمذلك مان نتيجة المعركتين تكاد تكون متشابهة ، ملم يتمكن شارل وكذلك يوسف من القضاء على خصمه قضاء تاما . اذ أن المسلمين ما لبثوا ان عادوا الى الانتفاض على جنوب فرنسا ولم يكن قد مر عامان على هزيمتهم في بلاط الشهداء . وكذلك فعل الفونش السادس ملم يكد يمر عامان أيضا حتى كان قد استرد أنفاسه ونظم جيوشه وبدا يشن الفارات على المسلمين من جديد ، وبستلم منهم الجزية بل ويفرض عليهم وعلى المرابطين مجتمعين الانسحاب من أمام حصن صغير ، مقرين بالعجز والفشل امامه ، وهو حصن ليبط عام ١٨١ه .

وتأنى المسابهة بين المعركتين من ناحية أخرى ، ذلك أن المسلمين في بلاط الشهداء ، والنصارى في الزلاقة ، قد نقد المعركة الى أرض الأعداء،

وقد رأى الفونش السادس أن تكون المعركة بعيدة عن بسلاده ، فساذا هزم لا تتعرض بلاده للتخسريب والتدمير وانها يكتفى أعداؤه بها ينالوه من أسلاب المعركة وغنائها ، وإذا انتصر تكون الفرصة مناهة أمامه لتخريب بلادهم وفرض شروطه عليهم(١٨٣) .

وكان ذلك أيضا يناسب ظروف المرابطين الذين لا يعرفون الارض الني يحاربون عليها ولا يدرون من أمر دروبها ومسالكها وأنهارها شيئا ، ولذلك اطمأنوا الى قربهم من بطليوس الني كانت حماية لظهرهم ، ويمكن أن يلجئوا اليها والى حصونها اذا ما نالنهم الهزيمة ، وتتول بعض الروايات « بأن المعتمد كان يبث عيونه بين الصحراويين (المرابطين) خوفا عليهم من مكائد الفونش ، اذ هم غرباء لا علم لهم بالبلاد ، وكان يتولى ذلك بنفسه » ، (١٨٠) .

واذا كانت الخطة التى رسمها ابن تاشفين والمعتمد جلبت النصر ، فهناك شجاعة المعنمد وجنده ، وشجاعة المرابطين وصبرهم ، حتى انهم كانوا يطلبون الموت والشهادة كها يقول بعض المؤرخين . وكان هناك ذكاء المعتمد وعدم انخداعه بحيلة الفونش ودهائه عندما اتق على ميعاد محدد للمعركة ثم قام بالهجوم في غير وقته ، فكان المعتمد مسنعدا للقائه ودافع دفاع الابطال حتى أنض بالجراح ، ولم يتقهقر الا نتبجة للخطة التى رسمها يوسف ، وتقضى بجر الاعداء داخل بلاد المسلمين مسافة كافية فيتمكن من الاجهاز عليهم جميعا(١٨٠٠) .

وهناك السلاح الجديد الذى ظنه الفونش منجلا ، وهو عبارة عن خناجر مقوسة لم يعهدها الأسبان من قبل ، وقد تمكن أحدم المرابطين من اللحاق بالفونش وضربه بهذا السلاح الذى كانوا يسمونه « الأطاس » ضربة جعلته يعرج باتى عمره ، وكان هناك أيضا ذلك الطبل

⁽۱۸۳) الحميري ، الصدر تفسه ، ص ۸۸ -

⁽١٨٤) الحماري ، المصدر نفسه ، ٩٠ ، ابن الكردبوس ، المصدر دسمه ، ص ٩٤ .

ابن ملفیز ، مذکراته ، ص ۱۰۵ .

⁽١٨٥) للحميري ، المسسع بسبه ، ص ٩٠ . ١٩ ٠

المدوى الذى غجع الأسبان وغاجأهم من خلف ظهورهم ، وكان المرابطون قد صحبوا معهم عددا وغيرا من الجمسال التى لم يكن للجزيرة بهسا عهد من قبل ، فكسانت الخيل تفر من رؤيتها ، هذا علاوة على الدروع اللمطية وسيوف الهنسد ومزاريق الزان ، التى كانت فى أيدى المرابطين ، والتى كانت ذات شهرة واسعة كسلاح دى قبمة كبيرة فى حروب ذلك الوقت (١٨٦) .

ويذكر لدا ابن بلقين المنداك في المعركة سببا آخر للنصر ، وهو أن جنود الفونتس بعدد أن طاردوا الجيش الأندلسي في بداية المعركة ، النشغلوا بالاستحواد على الفنائم والأسلاب ، وظنوا أن ابن ناشفين من جملة المنهزمين ، واذا بهم يسمعون طبول المرابطين تدوى بعنف من خلفهم ، فاستداروا لملاقانهم ، وعاد ابن عباد ومن معه وهاجموهم من خلف ، فكثر القتل في النصارى ولم بنقذهم الا حلول الظللم ، ووقعت عليهم الهزيمة رغم نفوقهم في العدد على جيوش المسلمين (١٨٧) .

وهكذا حسب المسلمون الجولة في هذه المعركة الفاصلة التي غيرت من مجرى الساريخ الاندلسي والنصراني في شبه الجزيرة لفترة طوبلسة وحققوا نعرا أعاد أمجساد عبد الرحمن الناصر والمنصور بن أبي عامر ، ويكفي أن تلك المعركة قسد اعادت التقة والأمل الذي كاد يخبو في نفوس الشسعب الاندلسي ، واعادب اليه الحماس الديني الذي كاد يقضى عليه ملوك الطوائف بسياستهم الخرقاء ، واعنت هؤلاء الملوك من المذلة والخضوع لنصاري الشمال وعدم دغع الجزية لهم ، كما أن لك المعركة قسد ردت سيل النصرانية الجارف أو أوقفته في مكانه ، وكتبت الحياة للاسلام على أرض شبه الجزيرة لمدة أربعة قرون أخرى وتمخضت عن نتيجة هامة ، وهي التمهيد لنم الأندلس الى المغرب وتحقيق الوحده بين الدولتين وهي التمهيد لنم الأندلس الى المغرب وتحقيق الوحده بين الدولتين الاسلاميتين العظيمتين في ظل دولة المرابطين الكبرى(١٨٨٠) .

⁽١٨٦) ابر حلكان ، المتسدر نفسه ، ح 7 ، ص ١١٥ ـ ١١٨ ، اس الحطيب ، المصلل الموالي ، المراكب ، المراكب ، المراكب ، ص ١٤٠ .

⁽۱۸۷) ابن بلمس ، منگرانه ، صن ۱۰۵ ، ۱۰۳ •

 $[\]cdot$ ۱۱۷ ، الصدر سسه ، ج $^{-}$ ، ص

⁽۱۱۸۸ عشان ، دول الطسوائم ، ص ۲۳۲ .

استغل المعتمد الضعف الذي اصاب الفونش عقب الزلاقة وزحف في عقوة كبيرة من الفرسان على ولاية طليطلة ، واستولى على ولاية طليطلة ، واستولى على ولاية طليطلة ، واستولى على عدة مدن ، من بينها اقليش وقونقة ونبرة وغيرها ثم قفز الى أرض مرسيه حيث كان السيد القمبيطور يهاجمها ، ومنى المعتمد بهزيمة ساحقة ، وتراجع الى لورقة واحتمى بقلعتها ، وغادرها الى قرطبة ثم الى اشبيلية تاركا مرسية لمصيرها ، وكان حصن ليبط (اليدو) الذي سبق الحديث عنه ، شوكة في جنب الامارات الاسلامية في الجنوب الشرقي من الأندلس وقد شحنه الفونس من قبل بالخيول والفرسان الذين كانوا لا يتوانون عن مهاجمة مرسبة ولورقة ويابسة وأوريولة (١٨٩) .

وكان الفونش قدد استطاع أن يلم سعت جبشه بسرعة كبيرة ، ووقد عليه سيل من الفرسان والمحاربين الفرنسيين والنومانيين الدنين كانوا يدركون أبعد المعركة الصليبية التي بجرى على الارض ضد الاسلام ، ولم يمض عام حتى كان ملك قشمتالة قدد استعد لمحاربة أعدائه ، وتؤكد الرواية النصرانية أنه خرج لغزو المسلمين مرة أخرى عام ٨٠٤ه / ١٠٨٧ م ، وأنه في غزوته وصل الى قرب أشبيلية ، بينما قامت قوات حصن لييط بمؤازرة بعض الجنود القشناليين وأغارت على المناطق المجاورة حتى المرية ، التي فر جنودها الأربعمائة جبنا أمام ثمانين فارسا نصرانيا(١٩٠٠) .

وعاد ملوك الطوائف الى الننافس والانقسام واضطروا للاستنجاد بالمرابطين مرة أخرى ، فعبر اليهم يوسف للمرة الثانية وحاصر معهم حصن لييط لكنهم فشلوا في فتحه بسبب احقادهم وتآمرهم ضد بعضهم البعض ، وخيانة بعضهم بامدادهم نصارى الحصن بالمؤمن ، مما أطال أمد الحصار، وأعطى الفرصة لألفونش لكى يقوم وينقذه ، ولما عرف أمير المسلمين ابن تاشفين بكل ذلك ولمسه بنفسه ، رفع الحصار عن الحصن وعاد الى بلاده ، وقسد استقر في نفسه ضروره خلع هؤلاء الملوك عن عروشهم(١٠٠٠) .

⁽۱۸۹) ابن خلكان ، قلائد العنبان ، ص ۳۷ ، ۳۸ -

⁽١٩٠) أشباح ، المرجع نفسه ، ص ٩٣ ، أنظر الفصل نفسه ، ص ٢٦٤ - ٢٦٦ •

⁽۱۹۱) اس حلكان ، المصدر بنسه ، ج ٦ ، ص ١٢٣ ، السمسلاوي ، الاستنصاء ،

حج ١١٩ ص ١١٩١ ٠

ولما احس منه ملوك الطوائف بذلك القوا بأبديهم الى النونش وحالفود، ضحد المرابطين نصيم ابن تاشفين على القضاء عليهم وعبرت الجيوش المرابطية اليهم للمرة الثالثة عام ١٨٧ ه / ١٠٩٠ م ، حيث أخذت في انزالهم عن عروشهم واحدا بعد الآخر ، وكانت نهابة دولة بنى عباد في رجب عام ١٨٤ه ، حيث تم اعتقال المعتمد بن عباد آخر ملوكهم وارساله هو واسرته الى اغماث بالمغرب ، لكى يموت هناك في ذل وفاقه لم تجر على أحد غيره من ملوك الطوائيف (١٩٢) .

ولكن لا يغيب عن الذهن أن ملوك الطوائف لم يقض عليهم المرابطون. جميعا في ذلك العام وانها بقى بعضهم وخاصة في شرقى الأندلس ولم يتم القضاء عليهم جميا الا قرب نهاية القرن الخامس الهجرى وقد تناولنا علاقاتهم مع نصارى الشمال حتى سقوطهم في يحد المرابطين ولم تكن حروب الأندلس والمرابطين ضد هؤلاء النصارى منذ الزلاقة وحتى نهاية القرن الخامس الهجرى ، الا اعادة للتوازن السياسي والعسكرى على أرض شبه الجزيرة ، ذلك التوازن الذي كان قدد اختل بدرجة كبيرة منذ بداية ذلك القرن وحتى عام الزلاقة (٤٧٩ه / ١٠٨٦) .

ذلك أن أيا من القوتين لم تستطع القضاء على الاخرى ، ولذلك فقد ابستمر الصراع بينهما بعد ذلك وطال حتى سقط الاسلام صريعاً أمام ضربات النصرانية المتتالية الدائبة في صبر ونبات . تلك الضربات التي امتدت منذ موقعة كوفا دونجا التي حقق فيها نصارى الاسبان أول نصر الهم على مسلمى الأندلس في عام ١٣٣ه / ٢٥٠م ، والتي استمرت حتى هزيمة المسلمين في آخر معركة لهم مع نصارى الاسبان في عام ١٩٨٨ه / ١٤٩٠، واستطاع النصارى أن يحققوا هدفهم في استرداد بالادهم من أيدى المسلمين وأن يختموا الحروب الصليبية الاسبانية بهذا النصر المبين ، رغم الكهام والعناء الذي كابده المسلمون هناك طوال هذه القرون .

⁽۱۹۲) الصدى ، المصدر نفسه ص ۳۲ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ۱۰ ، ۷۰ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ۱۰ ، ۷۰ ، ابن خلكان ، المصدر نفسه ، ح ۲ ، ص ۱۲۷ ، ۱۲۸ م

الباب الرابع

أهم التأثيرات الحضارية بين الأندلس الإسلامية وأسبانيا النصرانية في عصربني أمية وملوك الطوائف

- ــ العوامل التي ادت الى التأثير الحضاري بين الأندلس الاسلامية وأسبانيا النصرانية
- ــ قنوات وأساليب التأثيرات الحضارية بين الأندلس الاسلامية وأسبانيا النصرانيــة ·
 - ــ مظاهر التأثيرات المضارية في ميدان الحياة الاجتماعية
 - ــ مظاهر التاثيرات العضارية في ميدان الديساة الثقافية -
 - مظاهر التأثيرات المضارية في ميدان الحياة الاقتصادية ٠

البساب الرابع

أهم التأثيرات الحضارية بين الأندلس الاسلامية وأسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف

العوامل التي أدت الى التأايرات الحضارية بين الأندلس وبين أسبانيا النصرانيسة:

لم يكد العرب يتمون فتح أسبانبا حتى بدأوا يقومون برسالتهم المعهودة فى بناء مجتمع جديد ، واستطاعوا فى أقدل من قرن أن يقيموا دولة فتيدة ، وأن ينشئوا المدن والقدرى ، ويقيموا أفخم المبانى ويوطدوا وثيق الصلات التجارية بالدول الأخرى ، ثم شرعوا يتنافسون فى تحصيل العلوم والآداب ، وفى نقل كتب البونان والرومان الى اللغدة العربية ، ومنشئون المدارس والجامعات النى كانت وحدها مصدر للثقافة فى أوروبا كلها(١) .

كانت ترطبة فى ذلك العهد تجلس على عرش الحضارة فى أوربا كأكبر واغنى مدينة ، كانت شوراعها الرئيسية مضاءة ومعبدة ، وكان فيها كثير من الحمامات العامة ، وكانت المياه تجلب اليها من الجبال خلال أنابيب الرصاص . أما منازلها فكانت جميلة ، ومساجدها كثيرة رائعة ، ولا يوجد فى أوربا كلها مدينة تقارن بها الا القسطنطينية ذاتها . . كانت قرطبة هى الملاذ لملوك أسبانيا النصرانية ونبلائها وأمرائها ، اذا ما عن لهم الاسننشاء من مرض خطير ، أو أرادوا اجراء عمليات جراحية صعبة (٢) .

[•] ۲۹۳ ، ۲۹۲ ، صمارة العرب ، صمارة العرب ، صربتال لموبون ، حضارة العرب ، صربتال لموبون ، حضارة العرب ، صربتال العرب ، حضارة العر

⁽٢) حسى ، تاريخ العرب (المطول) ، ح ١٦ ص ١٦٢ ، ربدو ، ناريخ غزوات العرب .

وقد وفدال بها نسانجة ملك ليون عام ٢٩٩ه / ٢٠٠ م طالبا الاستشاء على يد اطبائها ، كما وفد البها الراهب جلبرت الذى اصبح فيما بعد البابا سلفستر الثانى يطلب تعلم العلوم الطبيعية والرياضية ، فبلغ فيهما مبلفا خيل لعامة رومة أن ذلك ضرب من السحر ، وعلى الجهلة فكلما احتاج أحد ملوك ليون أو نبرة أو برشلونة جراحا أو مهندسا أو مغنيا أو خياطا أو بناء وجهوا طلبهم الى قرطبة عاصمة الحضارة في شبه الجزيرة ، وهكذا وجه شانجه (سانشو) الكبير ملك نبرة (٢٩١ - ٢٦ هم البني علماء المسلمين لتعليم ابنه أوولى عهده ، فأرسلت له قرطبة لجلب بعض علماء المسلمين لتعليم ابنه

كان هذا في الوقت الذي كانت تعيش فيه أسبانيا النصرانية ، بسل اوربا كلها في جو قروى فقير ، غارقة في حمأة الجهل وخشونة الحياة والأخلاق ، ولم يكن بها شيء من آثار المدنية الاما بقي من الامبراطورية الرومانية من أطيات في القسطنطينية وبعض أجزاء ايطاليا() ..

كان نصارى الشمال الأسبانى جفاة غير مثقفين ، وقليل من امرائهم من كان له حظ من العلم ، وكانوا من الفقسر وعسر الحسال بحيث أنهم كانوا أعجز من أن يتمتعوا بفنسون الرفاهية التي ينمتع بها العرب ، وفي الوقت الذي كان المسلمون يعتبرون فبه النظافة من الايمان ، وشرطا لازما لأداء الصلوات والعبادات ، كان مسيحيو الأسبان في الشمال ينهون عن النظافة ويعدونها من أعمال الوثنيين ، وكان الرهبان والراهبات يفخرون بقذارتهم حتى أن راهبة دونت في مذكراتها في صلف وتيه ، أنها الى سسن الستين لم يمس الماء منها الا أناملها عنسدما كانت تفهسها في ماء الكنيسة المقسدس ، وحينما عادت الأندلس الى الحكم المسيحى ، كان أول الكنيسة المقسد ملوكها أن اصدر الأوامر بهدم كل الحمامات العامة لأنها من آثار المسلمين (°) .

⁽٣) في فرنسا ، ص ه٣٠ ، ٢٣٦ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ .

⁽٤) لين دول ، تخصمة العرب في اسمانيا ، ض ١١٦ ، الملبو غرسمبة الومس ، الشمو الاندلسي ، ص ٣٦ ،

⁽٥) لمين دول ، المرجع مقشه . صن ١٩٩ ، ١٢٠، ١٦٥ . ٠

وبرغم هذا النافر الحضارى الذى كان يعيشه نصارى شمال اسبانيا الا أنهم كانوا رجال حرب وجلد ، لا يقل نزوعهم الى القتال عن نزوع اعدائهم المسامين ، وتد بنوقونهم في ذلك أحيانا ، وطالما دفعهم الفقر وحفزتهم الحاجة الى خدمة أى انسان من مايك المسلمين ، وتاريخ القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى لأسبانيا ملىء بالوقائع التى حارب فبها جنود النصارى تحت راية المسلمين ، واشهر مثال على ذلك هو السيد التوبيطور الذى كانت أولى معاركه في صف المسلمين وضد بنى جلدته من نصارى الأسبان() .

والأسبان كأمة مفلوبة لابد أن يتطلعوا الى الأمة المقالبة وباخذوا منها ، وخاصة أن ظلت الأم، الفالبة كاثبت أعلى حضارة وارتى حياة وأكنسر تسامحا ممن سبقها من الأمم التى عاشبت على أرض شبه الجزيرة الأسبانية ، لا سيما وأن الأسبان النصارى والمسلمين كانوا يعبشون في الواقع على أرض واحدة ، ولا توجد بينهم حدود طبيعية عازلة أو فاصلة ، وكان الأفراد يتردد كل منهم على الآخر ويتعرف عليه (٢) .

وكانت الخدسوم، مع العباسيين والفاطميين تجعل الأندلس الاسلامية ودائما أترب الى النفاهم مع نصارى الشمال ، وقد راينا في عرضنا للعلاقات بينهم ما يؤكد أن المسلمين لم يكن هدفهم أبدا تدمير هؤلاء أو تحطيمهم ، وانما كان الهدف من غزواتهم لهم هو فرض السلام والهدور على الحدود حتى يعيش الجميع في أمان وهدوء . وهكذا فان موقع الأندلس وانفصالها عن العالم الاسلامي معظم عصر الأمويين وملوك الطوائف واتصالها بالشعوب المسيحية جعل مجال النقل الحضارى ببنهما واسمعا (^) .

ولم تكن شبه الجزيرة الا قطرا اسلاميا نصرانيا بتحالف فيه أمراء مساري مع نصاري ، كما حدث في عصر

⁽٦) لبن بول ، الرحم نفسه ، ص ١٦٥ ٠

⁽۷) ابن حلدون ، مقدمته ، ح ۲ ، ص ٤٥٠ ، ١٥١ .

⁽٨) لمبعى دروغنسال ، السرق الاسلامى ، ص ٣٩ ، ٤٠ ، بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسي سم ٩٠ .

ملوك الطوائف ، وكانت المحالفات والمصاهرات والسفارات تنم جنبا الى, جنب ، فتقوى الوشائج وتدوم المودة ويعم السلام ، وحتى فى أوقات الحرب ، لم يكن هناك ما يمنع الاتصال بين الشعبين ، بسبب التجاور والملاصقة والعيش على أرض واحدة ، وبسبب التداخل السياسي والعسكري والبشري, في شبه الجزيرة في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي بالذات ، ورغم قلة ما أخذته الأندلس عن أسبانيا النصرانية ، الا أن جميع ما ذكرناه. بؤيد قيام التأثير الحضاري بينهما (٩) .

وفى هذا المضمار لا بد أن نشبر ألى أن هناك مؤرخى الأسبان المحدثبن ممن ينكرون دور المسلمين الحضارى فى أسبانيا ، بل سرجعون تأخر أسبانيا عن دول أوربا الأخرى فى الوقت الحاضر الى وجود هؤلاء المسلمين أنفسهم على أرض شبه الجزيرة ، لكن هذا الزعم يخف تأثيره اذا ما عرفت أن غيرهم من مؤرخى الأسبان أيضا قاموا بالرد على هؤلاء وقالوا أن التعلق بالحياة الاسلامية كان هو الاتجاه الغالب يومئذ فى أسبانيا ، وأن ملوكها كانوا يتوخون العادات العربية ويلبسون الثياب العربية (١٠) .

ويبدو أن هذا التأخر يعود الى نظام المجتمع النصرانى نفسه ، الذى كان قائما على سيطرة الاقطاعيين والتاج والكنيسة على الأراضى ، بينما كانت جماهير النسعب فى منزلة الخدم والعبيد . على أى حال كانت هذه الأوضاع من العوامل الداعبة لحدوث ذلك التأثير الحضارى وانتقاله من الجنوب المسلم الى الشمال النصرانى ، لكن ما هى القنوات التى سلكها هذا التأثير لا هذا ما سوف نتناوله بالبحث الآن .

⁽٩) بروفتسال ، آلمرجع نفسه ، ص ٤٠ .

لين بول ، الرحم نُفسه ، ص ١٦٤ ٠

شكبت ارسالان ، الحلل السندسته ، ج ١ ص ٢٦ ٠

حسين مؤنس ، بطور العمارة ، ص ٢١٨ - ٢٢٢ .

⁽۱۰) بيدال ، أسبانيا حلفه انصال من المسيحية وألاسلام ، ص ١٦ ، ١٧ ، ترنت ،. أسبانيا والدرمغال ، ص ٣ ، ٤ ٠

٢ ـ قنوات التاثيرات الحضارية بين الأندلس واسبانيا النصرانية:

أهم هذه القنوات هم اليهود والمستعربون والمدجنون والزواج المختلط والتجارة وأسواق الرقبق والحروب ذانها وما ينتج عنها من الأسرى والرهائن والسبى ، ثم المحالفات السياسية والعسكرية ، ومعاهدات السلام ، واللجوء السياسي ، والمرتزقة .

(1) أما اليهود فكان نشاطهم مؤثراً وعظيما في نقل التأثيرات الحضاربة بين الأندلس الاسلامبة وأسبانيا النصرانية في جميسع مجالات الحياة سواء كانت اجتماعبة أم ثقافية أم اقتصادية ، وذلك لأنهم كانوا يجيدون اللغتين العرببة واللاتينية ، فكانوا لهذا السبب هم وسيلة من أهم وسائل الاتصال بين الدولتين الاسلامية والنصرانية في شبه الجزيرة .

كان المهود تجارا ومترجمين وسفراء ووزراء وحرفيين ، ينقلون التجارة بين الدولتين وخاصة الرقيق ، ويترجمون الكتب الاسسلامية العربيسة الى اللاتينية والعبربة ، وينشرونها في شمال اسبانيا وأوربا ، نبغ منهم الكثير في الطب والفلسفة والفلك والكيمياء ، أمنسال حسداى بن شبروط طببب عبد الرحمن الناصر ووزيره وسفيره الى الملكة طوطة ملكة نبرة (١١) .

وفى هذا المجال لا بد أن نشير الى الدور السياسى الذى لعبه اليهود بين الدولة الاسلامية والنصرانية فى الأندلس ، فقد قاموا بدور السفراء والوزراء والمستثمارين فى كلمهما ، وقد سبق القول عن سفارة ابن ثماليب اليهودى الذى اوفده الفونش السادس ملك قشتالة وليون الى المعتمد بن عباد ملك أشبيلية لاستلام الجزيرة ، وما نتج عن وقاحته من قتله وقيام النزاع بين الملكين مها أدى الى استدعاء المرابطين وما نتج عن ذلك من آثار غيرت تاريخ شبه الجزيرة كلها (١٠) .

وكان اليهود يعملون في أسبانيا النصرانية وزراء وسفراء وكتابا وخدما للعسكر ، وفي جميع الحرف من نساجين وناسخين للكتب ، وصاغة ومجدى كتب ، وخياطين الى غير ذلك من المهن بسبب أن القشتاليين وأهل

⁽١١) أبطر ، الفصل النالب ، الباب الثاني ، ص

⁽١٢) انظر ، المصل الثالث الداب الثالث ، ص

الشمال بصفة عامة كانوا يأنفون من الأعمال اليدوية ، ويسعون لأن يكونوا جندا أو حكاما فقط ، أما في الأندلس الاسلامية فقد كان حال اليهود احسن وانفوذهم أوسع وثروتهم أكبر من ذلك بكئير (١٣) .

ذلك أنهم وصلوا الى منصب الوزارة والكتابة فى كثير من دول الطوائف ك ققد كان وزير المعتصم صاحب ألمرية يهودبا ، وكذلك بنو هود اصحاب سرقسطة وبنو رزين أحصاب السهلة (شتمرية الشرق) يستعينون بالبهود فى مناصب الوزارة ، أما فى غرناطة فقد تمتع اليهود فيها بنفوذ كبير ، فقد كان رئيس الوزراء أو المحاجب هو اسماعيل بن نغزالة البهودى الذى استمر فى هذا المنصب طوال عهد دولة بنى زيرى فى غرناطة تقريبا (١٠) .

وقد سبق القول عن الأسباب التى دعت حكام المسلمين للاستعانة بهذا العنصر ، وكانت الاستعانة بهم منذ الفتح ذاته اذ اتخذهم المسلمون حراسا المدن التى يتم فتحها ، ووثقوا فبهم ثقة مطلقة لأنهم اعانوهم على الفتسح وساعدوهم عليه ، بسبب ما تعرضوا له من اضطهاد على ايدى الدولة البائدة (القوط) ، لكن عند ما انقلب ميزان القوى لمسالح نصارى الشمال . في القرن الخامس الهجرى ، نراهم ينحازون البهم ضد المسلمين ويساعدونهم على استعادة البلاد ، ولا ندرى لذلك سببا ، اللهم الا الخبانة التى تجرى في عروقهم ، والا جريا وراء المسالح التى راوا انها تتحقق مع المنتصرين الأقوباء من حكام شمال اسبانيا (۱۰) .

كان اليهود يصاحبون جيوش نبرة وقشتالة ولبون تجارا ، ببيعون ويشترون نبما تصل اليه يد الجند من مغانم الحرب وأسلابها ، وما أكثرها في ذلك الحين ، خصوصا وأن الحرب كانت لا تكاد تنقطع بين المسلمين بعضهم وبعض ، وبينهم وبين النصارى منذ الفتح وحتى نهاية القرون الخامس الهجرى الالفترات قليلة ، وكانت لهم مدن أو مراكز تجارية يتمركزون فيها ،

Crow, op; cit, p. 111.

⁽۱۳) الراكشي ، المعجب ، ص ۱۳۶ ٠٠

⁽۱٤) آبن بثقین ، مذکراته ، ص ۳۲ ، ۳۲ .

ادن سعبد ، المغرب في حلى المغرب جـ ٢ ، ص ٤٤١ . ٤٤٤ .

الضبى ، بغية الملنمس ، ص ٣٣٢ ، ٣٣٣ ،

⁽١٥) حسين مؤنس ، فجر الاندلس ، ص ٢٦٥ ، ٢٦٥ .

ففى النسرق وعلى ساحل البحر الموسط كانت مدينة طركونة مدينة البهود كأ وفى الجنوب كانت مدينة غرناطة أيضا مدينة اليهود بسب كثرتهم فيها كوهناك مدينة اليسانة التى كان يشكل اليهود غالبية سكانها وكانوا من أغنى يهود شبه الحزيرة (١٦) .

وبسبب نفوذهم وكثرة ثرونهم وخيانتهم للمسلمين في نفس الوقت كم قامت بعض الانتفاضات ضدهم في أشبيلية ، لكن المعتمد بن عباد تمكن من اخبادها على الفور ، وفي غرناطة قامت مذبحة هلك فيها منهم الآلاف وتم قبل زعبمهم السماعيل بن نفرالة اليهودي ، وفر ابنه يوسف الى افريقية ومن هناك أرسل شعرا لا يدل الا على العداء والكراهية المتأصلة في نفوس اليهود ضد المسلمين والمسيحيين على السواء (١٧) .

ورغم ذلك فقد أدى اليهود دورهم فى نقـل التأثيرات الحضاربة بين مسلمى الأندلس ونصارى شمال اسبانيا ، وكانوا حلقة من حلقات الاتصال بين الجانبين ، اذ كانوا كتبرى التنقل بينهما بحجة الأعمال ، وكانوا كثـبرا ما يتجاوزون شمال أسبانبا الى فرنسا ، حيث كان يجذبهم هنـاك وجود طوائف يهودية كبيرة فى مقاطعتى اللانجدوك والبروفانس (١٨) .

(ب) ولقد لعب النصارى المعاهدون أو ما أطلق عليهم فيما بعد المستعربون (۱۹) دورا مشابها لدور اليهود ، وان كان هذا الدور لم يظهر الا ابتداء من القرن الخامس الهجرى ، حيث نشطت حركة الاسترداد نشاطا كبيرا ، واستطاع ملوك قشتالة ونبرة وأرغونة وقطلونية أن يسسردوا عددا كبيرا من الحصون والمدن الاسلامية ، مثل طلمنكة وطليطلة ومجريط (مدريد)، ووشيقة ، وجبيع مدن الثغر الأوسط مثل مدينة سالم ووادى الحجارة وسمورة وغيرها . وكانت هناك أقلية كبيرة العدد في تلك المدن من النصارى

⁽١٦) ابن بلقين ، مذكر آته ، ص ٣٢ ، الادريسي ، صفة المغرب ، ص ٢٩١ ، ١٠٠٠ ۾ حدد يامات ، مجالي الاسلام ، ص ٢٩٧ ٠

⁽۱۷) اس حبان بروابة ابن بسام ، الدخيرة ، ق ۱ ، ج ۱ ، ص ۳٥٤ ، ٣٥٥ ، ابن. صعيد ، المغرب ، ج ۲ ، ص ۱۱۵ ،

⁽۱۸) لىمى دروفنلسال ، تراث الانطس ، ص ٦٢٢ ٠

⁽١٩) المستعربون هم نصارى الاسبان الذين أهاموا في دولة الاندلس الاسلامية وتعتلمولا، العرب وطحوم في أسلوب معينسهم فاستعربوا لسانا واسلوب حياة ،

المعاهدين (المستعربين) ، فكانوا بذلك حلقة من حلقات الانصال ووسيلة لنقل الحضارة الأندلسية الى دول شمال اسبانيا النصرانية .

وقد سبق الحديث عن المعاملة الطيبة التي لاقاها نصارى الأندلس من المحكام المسلمين ، لذلك أقبل مسيحيو البلاد على مناصرتهم والعيش معهم في هدوء ، واستعربوا لسانا وأسلوب حياة ، عدا ما قام به بعض متعمسيهم أحيانا من فتن دينية وطائفبة ، كما حدث أيام عبد الرحمن الأوسط من فتنة يولوجبوس ، وفي نفس الوقت حرص نصارى الأندلس أو المستعربون حرصا شديدا على اسنمرار علاقانهم مع اخوانهم في الشمال ، وساعدوهم أنناء حكم ملوك الطوائف بدرجة متزايدة في حروب الاسترداد ، ولذلك كان ملوك الشمال يأخذونهم معهم عند ما يعودون من غزوانهم ، لا لأن بقاءهم في الأراضى الاسلامية كان بؤدى الى معاملتهم بطريقة فظة كما يقول (تشابمان) ، ولكن لأن ملوك التسمال كانوا في حاجة الى تعمير المدن المسستردة بمزيد ولكن لأن ملوك السلامية من أسبانيا النصرانية أم من الأندلس الاسلامية (٢٠) .

وقد سبقت الاشارة الى استهانة أمراء بنى أمية وخلفائهم ومن أتى بعدهم من ملوك الطوائف بنصارى المعاهدين (المستعربين) في المناصب الاداربة والجيش ووظائف القصر والبلط ، بل انهم استخدموهم كسفراء منذ عصر مبكر وعقب الفتح بحوالى عنىربن عاما فقط ، وهناك رواية تقول بأن علقمة عند ما قام بغزو جليقية وأشنرسس ووصل الى كوفادونجا ، وهو الكهف الذى اتخذه الأشتوريون مأوى لهم بقيادة زعيمهم بلاى ، أرسل أحد القساوسة الى هذا الزعيم كى ينصحه بعدم جدوى المقاومة . كذلك كانت سفارة عبد الرحمن الثانى والثالث والحكم المستنصر الى شمال أسبانيا وبقية دول أوربا تتكون من نصارى الأندلس المعاهدين (١٠) .

وأبرز مثال بمكن أن نضربه على ذلك هو المستعرب ششنندو دافيدس Sisnando Davides الذي كان من وزراء المعتضد بن عباد صاحب 'أشبيلية ' وكان قد أسر حدثا في غارة قام بها القاضى أبن عباد والد المعتضد . في منطقة قلمرية عام ٢٠ ﴾ ه ، ثم أخذه الى أشبيلية وربى مع فتيان القصر ، ولما برزت مواهسه نال ثقة المعتضد ، وجعله ضمن وزرائه أو معاونيه ،

Chapman, A History of Spain, pp. 84, 85 (7-)
Crow, Spain, p. 49.

وقد اثار ذلك حقد بعض رجال البلاط ، غفشى ششنفدو على نفسه وفر الى بلاط فرناندو ملك قشتالة حيث رحب به واتخذه مستشارا له ، وكان له دور كبير فيما بعد فى تكييف سياسة ابنه الملك الفونش السادس تجاه مسلعى الأندلس حسبما وضحنا من قبل (٢٠) .

كان هذا الرجل نصرانيا مستعربا تربى فى بلاط حاكم مسلم ، ولا شك النه نقل الكثير مما الفسه ورآه الى بلاط الغونش السادس ، ويقول بعض المؤرخين انه التزم سياسة المهادنة واللين والمودة تجاه مسلمى طليطلة ، ونصبح مليكه بعدم التطرف فى معاملتهم مما جعل المسلمين يطمئنون ، وادى ببعضهم الى الارتداد الى النصرانية (٣) .

ولم تكن الاستعانة به ولاد المستعربين الا لأنهم يعرفون لفة بنى جلدتهم ، وكانوا بذلك أقدر من غيرهم على النفاهم معهم ، كما أن الحدود كانت منتوحة بين الثفور الاسلامية وبين نصارى الشمال ، ولم يكن هناك ما يمنع من انتقال السكان الى كلا الجانبين ، فكانت الفرصة متاحة للمستعربين للاتصال بالخوانهم من نصسارى الشمال ، فاذا عرفنا أن المستعربين كانوا يحملون في مظهرهم ولباسهم وعاداتهم ولسانهم وثقافتهم ما تعلموه في الاندلس الاسلامية ، لأدركنا على الفور عمق الصلة وقوة التأثير الذي وصل المدن النصرانية في ممالك الشمال النصراني على أيدى هؤلاء المستعربين .

وكنتيجة لحروب الاسترداد التى بدأت فى وقت مبكر وعقب موقعة كونما دونجا عام ١٣٣ ه / ٧٥٠ م واستمرت حتى نهاية القرن الخامس الهجرى وما بعده ، وجدت طبقة أو نئة أخرى من فئات السكان على أرض الملكة الأسبانية النصرانية ، وهم المدجنون لكنهم لم يظهروا كعامل اجتماعى حضارى الا فى القرن الخامس الهجرى أذ تزايدت أعدادهم نتيجة لسقوط عدد كبير من المدن الاسلامية فى بد نصارى الشمال كما سبق القول (٢٠) .

ا (۲۲) عدان ، دول الطبوائف ، ص ۹۸ ٠

⁽٢٣) أيظر ، الفصل العالب ، الباب المثالث ، ص

٨٤٢) ببروندسال ، الاسلام في المغرب والانتشس ، ص ١٧٣٠ .

(ج) والمدجنون Mudejares هم المسلمون الذين دجنوا أي أقاموا في: الأراضى المستردة نتيجة لحروب الاسترداد المسنمرة ، وقد عومل هؤلاء في، البداية معاملة جيدة بصفة عامة حسب معاهدات الاستيلاء ، مراعاة للظروف، السياسية والاقتصادية الني جعلت من الأفضل عمل حساب لهؤلاء المسلمين المدجنين بسبب الحاجة الى السكان والى الممال الزراعيين ، ولم يبدا التضبيق عليهم بشكل واضح الاعقب موقعة الزلاقة عام ٧٩ ه / ١٠٨٦ م وبعد أن أصبح الصراع بين الأندلس الاسلامية وبين نصارى أسبانيا الشمالية صراع حياة أو موت وأصبحت الحرب حرب افناء (٢٠) .

فقد تدخل رجال الدين مى كلا الجانبين وأصبحت الحرب حربا صليبية من الدرجة الأولى 6 سابقة بذلك الحروب الصليبية في السرق 6 ووفد كنير من الرهبان والمنعصبين من شتى أنحاء أوربا وأتاروها حربا صليبية ضد الاسلام لا هوادة فيها ، ويكفى أن تعرف أن نحويل مسجد طليطلة الى كنيسة تم رغم معاهدة الاسترداد على يد نفر من ؤلاء المتعصبين بمساعدة كونستانس ملكة قشتالة الفرنسية الأصل . ومنذ ذلك الحين بدأ النضييق على المسلمين واضطهادهم والزامهم بلبس لباس مميز ، والعيش في اقسام معينة في المدينة ، والزامهم بدفع ضرائب ثقيلة جدا لمصلحة الكنيسة (٢٦) .

ورغم نلك المعاملة فقد بقى في تلك المدن المستردة آلاف من المسلمين المدجنين ، يدل على ذلك صكوك البيسع والشراء التي وجدت في كندرائية وشسقة وبرشلونة وسرقسطة وطليطلة وغيرها ، اذ أنها تدل على ذيوع استعمال اللغة العربية في الوثائق والعقود لا بين المدجنين بعضهم وبعض أو بينهم وبين النصارى فقط ، بل كان اليهود يستعملونها أيضا في وثائقهم ، وربما كتبوها بحروف عبرية ، كما أشار بذلك (خثنتو بوسك بيلا) (٢٧) .

وتثبت هذه النصوص بقاء كثير من جماعات المسلمين المدجنين في طليطلة وغيرها من المدن المستردة الى وقت طويل جدا ، ثم اخذت في الاضمحلال شيئا فشيئا حتى تلاشعت اما بالموت واما بالتنصر واما بالطرد من بلاد الأندلس ، ولم يكن اضمحلالها كما قال الدكتور حسين مؤنس بسبب.

Champan, op. cit, pp. 86-87.

⁽⁵⁾

Chapman, op. cit, p. 87. (77)

Vila, Los Documants arabes, pp. 24, 307. **(۲۷)**

غتوى الونسريشى او غيره ممن افنوا بتكفير من استمر في الاقامة في المدن المستردة من المسلمين ، خوفا من غلبة عادات النصارى ولغتهم ولباسهم عليهم ، كما حدث لأهل أبلة Avila (٢٨) وغيرهم ممن نقدوا اللسان العربي جملة ، بل ربما أعان هؤلاء المدجنون حكامهم النصارى في حروبهم ضد المسلمين ، كما حدث من مسلمي برشلونة بعد أن عادت الى بوريل المثاني بعد عام من غزو المنصور بن أبي عامر لها عام ٣٩٠ هـ/١٠٠٠ م (٢٩).

لم تكن فتوى الونشريشى وحدها كافعة في اضمحلال جماعات المدجنين ، بل ان السبب الرئيسى في ذلك كما أعتقد ، هو عدم وجود تنظيمات دبنية اسلامية أو مؤسسات السلامية على غرار المؤسسات الكنسية المسيحية ، فالاسلام لا يعرف الكهنوت أو رجال الاكليروس أو نظام الرهبنة والديرية ، فقد التف النصارى المعاهدون في الأندلس حول هذه المؤسسات التي صارت هي الملاذ الذي يحميهم ويدافع عنهم ، بل تبوأ رئيسهم منصبا في الحكومة الاسلامية ، ثم وصل صوتهم الى أعلى سلطة في الدولة مها ساعدهم على البقاء وعدم الذوبان كلية في جسم الأمة الاسسلامية الأندلسية كها حدث لجماعات المدجنين .

فاذا أضننا الى عدم وجود مؤسسات اسلامية تدافع عن المدجنسين وتحميهم من تلك المعاملة السيئة ، والاضطهاد الذى تعرضوا له خاصة بعد الزلاقة عام ٧٩ هم / ١٠٨٦ م ، انهم لم بجدوا من يشد أزرهم ، سواء من داخل الجزبرة أم من خارجها من الدول الاسلامية في الشرق والغرب ، بل ان فقهاء الأندلس لم يرحموهم وأفتوا بتحريم اقامتهم في المدن المستردة ، لعرفنا العلة في اضمحلال جماعات المدجنين الذين لم يفعلوا فعل النصارى المستعربين الذين ضحى بعضهم بحياته فيما يعرف بحركة الاستشهاد ، دفعا للآخرين على الثبات والصمود .

على أى حال فقد كان هؤلاء المدجنون سواء طالت اقامتهم أم قصرت ، من قنوات الاتصال بين الحضارة الاسلامية الزاهرة في الأندلس وبين أسبانيا

⁽١٢٨) مدينة ابلة فتحها المسلمون عام ١٤٥ م ثم انتزعها الفونش الثالث عام ٢٥٠ م، ثم عادت للاسلام بعد فترة قصيرة حتى استردها الفوناش السادس عام ٤٨١ م، ١٠٨٨ م الفظر ، حسن مؤسس ، أسنى المتاجر للونشريشي ، ص ١٩٠٠ ٠

^{- &}quot; (۲۹) الونشريشي ، أسنى المتاجر ، ١٤٣ ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٨٧ ، ١٩٠ ،

النصرانية المتخلفة ، وكان لهم تأثير كبير في الحياة هناك منذ نهاية القرن الثالث المهجرى ، عندما استولى الفونش الثالث على المدن الاسلامية التى تقسع شمال وادى دويرة مثل سمورة وشقوبية وسيمنقة وأبلة وأوسمة واسترقة وغيرها ، واسمر بعض مسلمى بلك المدن في الاقامة بها ، وكانوا يؤلنون اليد العاملة فبها ، وازداد نشاطهم وضوحا في القرن الخامس الهجرى ووفد على علمائهم وخاصه في طليطلة طلاب العلم من أنحاء أسسبانيا وأوربا ، لينهلوا من الثقافة الاسلامية التى ترجمت الى اللاتينبة وما تفرع عنها من اللهجات الأسبانية (٢٠) .

ويشير بعض المؤرخين المحدثين الى ان جماعات من المسلمين وخاصة من البربر قد بقبت في اقاصى جليقية واشعريس عقب حركة الهجرة التي قاموا بها في عصر الولاة من نلك المناطق بسبب الحرب الأهلبة العربية البربربه وبسبب القحط الذي أصاب شبه الجزيرة في ذلك الوقت ، وقد تكاثرت نلك الجماعات ونركت اسماءها على بعض المواضع في تلك الجهات النائية ، وهذا يدل على أن تاريخ المدجنين لم ببدأ منذ سقوط طليطلة في يد النصارى عام ٢٧٨ ه / ١٠٨٥ م ، وانما بدأ منذ بداية حرب الاسترداد في عصر الولاة (٩٥ - ١٣٨ م) (٣) .

(د) الزواج المفتلط:

اما الفناة الثالنة من قنوات الاتصال بين نصارى الشمال ومسلمى الجنوب ، فهى الزواج المختلط ليس بين مسلمى الأندلس ونصاراها ولكن بين مسلمى الأندلس ونصارى المالك النصرانية فى شمال أسبانيا غوقد بدأ بذلك ملوك الاندلس وأمراؤهم ، وكان زواجهم بالأسبانيات والبرتغاليات أجمل صلة لامتزاج الفاتحين بخصومهم ، والتحام القرابة بينهم على نحو لا تنقصم عراه ، وأصبح ذلك الوافد جديرا بأن يسمى بين عشية وضحاها صهرا ونسيبا (۲۰) .

Crow, op. cit, pp. 97 - 98.

^{14.1}

السهد عد العرمز سالم ، عسجد المحمد في طليطلة ، ص ٨٠ .

⁽٣١) مؤنس ، فجر الاندلس ، ص ٣٥٠ ٠

أنسس ركريها النصولي ، التولة الامومة في قرطبه ، عس ١٠٨ .

⁽۳۲) مورینو ، الفن الاسلامی فی أسدادیا ، ص ۳ ، محمد کرد علی ، غابر الاندلس و حاصرها ، ص ۳۹ .

وكان أول ولاة الأندلس مهرا للبيت المالك السابق ، فقد تزوج عبد العزيز بن موسى بن نصير من ايلونا Egilona ارملة ردريك (لزريق) ملك القسوط عند الفتسح ، وهي التي يسميها العرب « بأم عاصم » وكان نفوذها وتأثيرها على زوجها وتحايلها عليه بأن يتخذ التاج ، من الأسباب التي ادت الى مقتله عام ٩٧ه (٢١٦م)، وكانت هناك أيضا لامبيجا Lampegie الفرنسية الحسناء ، ابنة المدوق (أودو) أمير أكوتين ، التي تزوجها عنمان ابن أبي نسعة ، وأثرت عليه وجعلته يتحالف مع أبيها ، لكن عبد الرحمن الغافقي قاتله وقتله عام ١١٣ ه (٣٠) .

أما أمراء بنى أمية وخلفاؤهم فلم بكن منهم من كانت أمه حرة أصلا ، اذ كانت أمهاتهم من نصارى الشمال الأسبانى أو من البربر أو من رقيق الصقلب ، وقد سبقت الاسسارة الى طروب ، الجارية الصقلبية زوجة عبد الرحمن الثانى (٢٠٦ – ٢٣٨ هـ) وما كان لها من سلطان وتأثير عليه ، كذلك كانت أم عبد الرحمن الثالث الناصر (٣٠٠ – ٣٥٠ هـ) نافارية ندعى ماريا ونسميها الرواية العربية (مزنة) وهناك رواية أخرى تقول أن أسمها أونيكا Oneca وهي أننة الكونت التالث لبمبلونة المسمى فرتون بن غرسية والمعروف بالأنقر ، وقد كان هذا الأمير أسيرا في قرطبة لمدة طوبلة ، ثم رحل إلى بلاده في أواخر عهد الأمير عبد الله جد الناصر ، ويبدو أنه اتفق معه على المحالفة والمصاهرة بأن تتزوج ابنته من أبنه محمد والد الناصر (٤٠) .

كذلك كانت زوجة ابنه وخليفته الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦ ه) أرورا Aurora والتى تسميها الرواية العربية باسم (صبح) نافارية الأصل أو بشكنسية ، وكانت ذات نفوذ وسلطان كبير فى عهد زوجها ثم بداية عهد ابنها هشام المؤيد ، حتى استبد المنصور بن أبى عامر بالسلطة دونهما . وتزوج هذا الحاجب المنصور أبضا بفتاة نافارية كانت ابنة لشانجة الثانى

⁽۳۳٪). الوازي برواية آبن عسدآری ، البيان المنرب ، ج ۲، ، ص ۳۰، ، ۳، ۰ الرازی بروایة المتری ، نفح الطیب ، ج ۱ ، ص ۱۳۲ ۰

على ، براجم اسلامية ، ص ۷۷۲ ، حدر نامات ، مجالي الاسلام ، ص ۱۰۶ دلوبا، Prevencal, La Civisatom Arabe en Espagne, p. 109.

ر ۳٤) عنان ، دولة الاسلام في الاندلس ، العصر الاول ، ج ٢ ، ص ٧٠ . Live more, A History of Spain, p. 84.

ملك نبرة ، وآنجب منها ابنه عبد الرحمن المأمون الذى كانت أمه تسميه-شنجول نسبة الى جده الذى كان يشبهه تماما (٣٠) -

وقد كانت المصاهرات كثيرة بين امراء النغور الاسلامية مثل بنى قسى، وبنى الطويل المولدين وحكام سرقسطة ، وبين ملوك أسبانيا النصرانية فى، مملكة نبرة وقشتالة ، حتى أن بعض ملوك نبرة كانوا اخوة لبعض أمراء، بعى قسى المولدين من جهة الأمهات ، وبذلك كان هؤلاء الأصهار يقفون يدا واحدة ضد اعدائهم سواء كانوا من المسلمين أم من النصارى ، وقد سار بعض ملوك الطوائف على هذا النمط وتزوجوا من أميرات الشمال النصرانيات، فكانت زوجة مجاهد العامرى صاحب دانبة والجزائر الشرقية هى الأميرة (جود) النصرانية الاسبانية، وكانت لها خمس بنات تزوجن من ملوك الطوائف وكن جواسبس لأبيهن على أزواجهن (٣) .

ولم يقتصر الأمر على الزواج من أميرات الشمال النصرانيات ، فقد كان التسرى بفتيات الشمال الأسباني الواردات ضمن السبى أو الجزية عادة مالوفة في بيوت حكام الأندلس الاسلامية طوال الفترة محل البحث ، وكان كثير من الأمراء والخلفاء الأمويين مشترطون أن تحتوى الجزية على بعض فتيات الجاليجاز gallegas الغاليسبات الشقراوات وكان الطلب على هذا النوع مي الفتيات عظيما ، وأدى ذلك الى وجود العيون الزرقاء والشعر الأحمر والبشرة البيضاء في بعض الخلفاء مثل عبد الرحمن الناصر ، وكان في قصر اشبيلية رواق يدعى رواق الصبايا ، كان يستقبل الفتيات اللاتي كان على نصارى الشمال أن يقدموا مائة منهن كل عام الى بعض ملوك.

Dozy, A History of the Moslems in Spain, p. 400 (70) Provencal, op. cit, p. 110.
Livermore, op. cit, p. 86.

 ⁽٣٦) البن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ص ٤٦٨ ، المسدرى ، نصوص عن الاندلسي.
 ص ٢٩ ، انن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ج ٢ ، ص ٢١٩ ، ٢٢١ .

⁽۳۷) غوستاف لوپون ، حضارة العرب ، ص ۲۸۹ . Crow, هه. cit, p. 61.

ولم ينفرد الأمراء والخلفاء والحكام بهذا الزواج المختلط، بل فعل فعلهم كبار العرب وغيرهم من الموسرين ، لأن هؤلاء جميعا وفدوا الى الأندلس دون أن يصحبوا معهم نساءهم ، فقد دخلوها جيوشا منظمة ، ولم يكن يدخلوها دخول البرابرة أفواجا وقبائل بنسائهم واطفالهم ، ومن تم لم يكن هناك بد من اتخاذ النساء من أهل البلاد ، وأمسبح الزواج المختلط أمرا لا مفر منه ، وأدى ذلك الى أن الجيل التانى من مسلمى الأندلس كان هجينا ، بل ربما جاز اعتبارهم مولدين ، حيث أن البيت الأموى نفسه كان بيتا مولدا ، وأنما كانوا عربا بالاحساس والاتجاه واللفة ، وأخذ الدم العربى الصريح يتلاثى في هذا القطر شيئا نشيئا (٨١) .

وكان لهذا الزواج المختلط أتر كبير عند الجانبين ، فقد كان الأطفسال ويتكلمون لغة أمهاتهم بجانب اللغة العربية ، ولا شك فقد نشر هؤلاء النسوة عاداتهن وتقاليدهن وأسلوب حياتهن داخل قصور الملوك والأمراء وغيرهم من الناس ، وأدى ذلك الى انتشار لغة شعبية تسمى عجمية أهل الأندلس ، أو اللطينية ، وهى مزيج من اللاتينية والعربية والبربرية ، يتكلمها الناس ، في حيانهم العادية . وقد نعجب ابن حزم من أهل دار (بلى) بشمال قرطبة لأن نساءهم ورجالهم لا يحسنون الكلم باللطينية لكن بالعربيسة فقط ، مما نفهم منه أن تلك اللغة كانت منتشرة بين أهل الأندلس ، بل هنساك من يقول بأن اللهجة التي كانت تسمع في القصور الملكية ، هي لهجة عاليسيا رجايقية) (٢٩) .

وقد لعبت هؤلاء الزوجات والسرائر من الجسوارى المسيحيات الأسبانيات وغير الأسبانيات دورا خطيرا فى الحياة الاجتماعية والسياسية فى الأندلس ، نقد كن ينقلن انكار نصارى الشمال الأسباني ، ومن تعلمت العربية منهن كانت تنقل الأفكار والأقاصيص الأسبانية والأوربية الى اللغة العربية ، وانقسمت البيوت العربية الى قسمن ، قسم من أولاد السرارى ، وقسم من أولاد المرائر ، والأولاد تبع لأمهاتهم ، ينقسمن بدورهم وبتعصبون

⁽۳۸۳) بالنشا ، تاریخ الفکر الاتلاسی ، ص ۱ ، حسین مؤنس ، فحر الاندلس ، ص

۳۷۷ مؤسس ، فجر الانجلس ، ص ۱۹۵ مؤسس ، فجر الانجلس ، ص ۳۷۷ .
 Crow, op. cit, p. 61.

Hole, Spain under the Moslems, p. 23

لأمهانهم ، وكثيرا ما دبرت المؤامرات بسبب ذلك ، ورغم ما كن يتظاهرن به من حب العروبة والاسلام الا أن كثيرا منهن كن جاسوسات على حكام الأندلس ، أذ لم ينسبن نصرانيتهن ولا اسبانيتهن (13) .

وقد اننقل نظام الحريم هذا الى بلاط ملوك اسبانيا النصرانية ، ضعلى عهد ملوك الطوائف كان هناك ثلاثة أنواع من الزواج فى الشمال الأسبانى ، أولاها ، هو الزواج المعنسرف به من الكنيسسة ويسمى Yuras وهو زواج وكان زواجا مباركا تعقبه حفلة دينية ، والثانى يسمى Yuras وهو زواج يتم باتفاق بسبط بين طرفين ، وكانت لا نمنعه الكنيسة ، أما الثالث فهو مثلبه للنوع الأخير لكنه غير معترف به كارتباط قانونى ، وكان يسمى Barragania أى السرى أو الزواج بالسرائر ، وكلا الطرفين فى هذا الزواج يعتبران غير مرتبطين ، وقد بمنه هذا النوع من الزواج ليشمل الرجال المتزوجين زواجا شرعيا ، والى كثير من رجال الاكليروس بالرغم من منعهم لهذا النوع من الزواج ، والنوعان الأخيران من هذا الزواج يمكن ان منعهم لهذا النوع من الزواج ، والنوعان الأخيران من هذا الزواج يمكن ان نعتبرهما تقليدا مسيحيا للتقاليد الاسلامية فى انخاذ السرايا والحظايا (١٠).

وبذلك غان تقاليد المسلمين وأساليب حياتهم وان تبرأ منها النصارى كان لها تأثير في حياة أمراء الشمال النصراني ، فقد كان عدد من ملوك ليون وقشتالة فضلا عن الزوجة الشرعية يحتفظون بسرب من الحظايا (الحريم) . ومع أن هؤلاء الحظايا لم يبلغن من الكثرة مبلغهن عند أمراء المسلمين في الأندلس ، فقد كن يعاملن معاملة الزوجات تقريبا ، وكان أولادهن بالرغم من حرمانهم من الارث الشرعي ، يرنون أحبانا بعض الأراضي (١٤) .

وقد تعدى الأمر أن تزوج بعض ملوك قشتالة وليون من مسلمات ، مثال ذلك مورجات بن الفونس الأول (مورقاط عند العرب) ملك ليون (١٦٦ – ١٧١ ه / ٧٨٤ – ٧٨٩ م)، والذي كانت أمه مسلمة ، وتحالف مع المسلمين ضد أعدائه من نبلاء النصارى . كما تزوج أشهر ملوك قشتالة وليون في القرن الخامس الهجرى وهو الفونش السادس من كنة المعتمد بن عباد منك أسبلة وتسمى (زايدة) أو (سيدة) ، وذلك بعد أن قتسل المرابطون زوجها المأمون بن المعنمد س عباد ، نم ساروا الى أشبيلية وأسروا

⁽٤٠) أحمد أمس . طور الاسادم ، ح ٣ ، ص ٣٠ ، ١٣ . ٣٠٣ .

Chapman, op. cit. p. 88 (EV)

⁽٤٢) دوسه أسداح ، سارمخ الادهلمي ، ص ٠٤٠ .

المعتمد نفسه ، فامتلأت نفسها حقدا على قاتلى زوجها وسجانى أبيه ، وأم تلبث أن رحلت باحثة عن ملاذ لها فى مملكة الفونس السادس العدو اللدود للمرابطين ، وهناك أصبحت زوجة شرعبة له بعد أن ارتدت الى النصرانية وانجبت له ابنه الوحيد شانجة (٣٠) .

ولا شك أن المدن المستردة قد نحول جانب من سكانها الى النصرانية ، ولا بد أن تكون المصاهرات قد عقدت بين هؤلاء النصارى الجدد وبين المنصارى القدامى ، وغنى عن القول ما ينتج عن ذلك من نشر للحضارة الاسلامية ، بل أن بعض ملوك الطوائف في القرن الخامس الهجرى كانوا بتوددون الى ملوك أسبانبا النصرانية ، بأن يجعلوا من بلادهم مكانا للاحتفال بمصاهرة ملوك النصارى الأسدان بعضهم من بعض .

فقد حدث أن ومد شانجة غرسبة امير قشتالة (٣٨٥ – ٤٠٧ ه / ٩٩٥ م ١٠١٧ م) وريبوند صاحب برشلونة الى سرقسطة فى عهد ملكها منذر بن يحيى (٤٠٠ – ١١٤ ه) وتصاهر الأميران المسيحيان على يديه كوكتب عقد النكاح بينهما بمدينة سرقسطة فى حفل من أهل الملتين ، ويخطىء ابن حبان فى جعل هذا الزواح بتم فى عهد المنذر (الثانى) ابن يحيى الذى تولى حكم سرقسطة عام ٢٠٤ ه ، والصحيح أنه تم فى عهد المنذر (الأول) ابن يحيى الذى استقل بسرقسطة فى بداية عهد الفتنة البربرية واستمر فى حكمها حيى عام ١٤٤ ه ، لأنه هو الذى كان معاصرا لشائجة غرسية كونت قشتالة الذى توفى عام ٢٠٤ ه (الأول)

وان دل هذا الزواج الذى تم فى سرقسطة على تىء غانها يدل على المتداخل بين الشعبين المسلم والمسيحى على أرض شبه الجزيرة ، غلم تكن هروب الاسترداد مستمرة ومتصلة ، ولم يكن الناس يقدرون على ذلك كثيرا ، بل كانت هناك غترات أو سنوات ربما تطول أو تقصر حسب الأوضاع الداخلية لكل من البلدين ، تهدا غبها الحروب ويسود السلام ، وتمثل انصهارا فى النواهى الثقافية والاجتماعية بين الجانبين المسيحى والاسلامى ، اللذان كانا بعيشان حياة الحرب والحب معا وفى وقت واحد ، رغم التناقض

⁽٤٣) الونشريشي ، أستنى المناحر ، ص ١٨٩ ٠

ليهي برونسال ، الاسلام في المعرب والاندلس ، ص ١٦٠ . ١٦٠ .

⁽٤٤) أنظر ، الباب الناني ، الفصل الناني ، س

الموجود بينهما . فالحرب تمثلها تلك الفزوات والهجمات التي لا نتئهى بين الجانبين ، والحب يمثله هذا الزواج المختلط ، ونلك القرابة والمصاهرة الدائبة ، والجوار والتلاحم الذي لا بنتهى أيضا ("،) ،

حقيقة أن البيت الاسلامي كانت ندبره سبدة نصرانبة أسبانبة أو فرنجية وبما نعتنق الاسلام أو نبقى علي دينها القديم ، وانك لو تخيلت ربة القصر من هذا النوع ، فهاذا تتوقع لا بد أنه كان هناك خدم وحشم وجوارى وعبيد من نفس النوع ، وخاصـة من هؤلاء النسوة البيض الجميلات من الشمال النصراني ، اللائي كن يوصفن دائما بأنهن جليقيات (غاليسيات) ، ولا يأنفن من العمل في قصور أمراء وخلفاء مسلمي الأندلس ، بهدف المحسول على الثروة والغني وربما المركز السامي ، فقد وصلت بعضهن الى منصب الملكات كما سبق القول (٢٠) .

(هـ) سوق الرقيق:

ولذلك نشطت سوق الرقيق نشاطا كبيرا ، وكان تجار اليهود هم الذين يتومون بتلك التجارة الرابحة ويجلبون الى الأندلس اعدادا هائلة من الفتيان والفتيات الأسبانيات والفرنجبات ، وتشير كثير من الروايات الى استخدام المسلمين للفتيان الخرس الذين لا يفصحون فى منازلهم ، وكان كثير منهم ذا كلف بالفتيات أو الفتيان من النصارى هؤلاء ، وربما وقعوا فى حبهن متى قالوا فيهن الكثير من الشعر ، بل ان عبد الرحمن الناصر بنى مدينة وسماها على اسم حظيته المحبوبة الزهراء ، فكانت مدينة الزهراء الجميلة ، وبذلك كانت سوق الرقيق سبيلا من سبل الاتصال الحضارى بين نصارى ومسلمى شعه الجزيرة (٧٤) .

Crow, op. cit, p. 80. (20)

(٤٦) أبن خلدون ، مقسدمته ، ج ٢ ، ص ٢٥٢ ، ٤٥٣ .

ياتسوت الحموى ، معجم البلىدآن ، ح ٣ ص ١٠٤ . . المحموى ، معجم البليدآن ، ح ٣ ص

(٤٧) ابن حیان بروایة ابن بسام ، ق ۱ ، ج ۲ ، ص ۲۰۱ ، ۲۰۲ ، ۴۰۳ ، ق ۶ ، ه چ ۱ ص ٦٠ ، ابن حیان بروابة المتری ، نفتخ الطب ، ح ۲ ، ص ۳٦٣ .

ابن خاقان ، قلائد العقيان ، ص ٩٥ ، ٩٦ ، مطمح الانفس ، ص ٨٠ ٠

ابن غالب ، تعليق منتقى من فرحة الانمس ، ص ٣٩٩ ، ٢٠٠ .

ابن خلکان ، وفسان الاعبان ، ج ۲ ، ص ۲۹۲ .

ابن العطيب ، الاحاطه ، ح ٢ ، حس ٢٥١ ، ٢٥٢ ٠

ا (و) الحرب المستمرة:

وكانت الحرب المستمرة بين الطرفين سبيلا من سبل الْماثير الحضارى اليضا اذ كانت المعارك نسفر دائما عن اسرى وسبى كثير سواء من هدا الجانب أو ذاك و ينتقل هؤلاء الأسرى وذاك السبى الى الشمال أو الجنوب وممارسون حيانهم واساليبهم فى الحياة ، وفى الغالب كانوا ينعلمون لغة البلد الذى أجبروا على العينس فيه ، وربا اعننقوا دبانته ، وربا تحرر هؤلاء الأسرى وعانوا الى بلادهم ، فقد كانت هناك جمعيات فى أسبانيا النصرانية والأندلس الاسلامية مهمها العمل على تحريرهم (١٠) .

ولما كان المسلمون هم الفائزون في معظم المعارك الحربية في عصرى الامارة والخلفة ، فقد كان معظم الأسرى والسبى من أهل الشلمال النصراني ، وقد سبقت الاشارة الى أنه في عهد الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل (۱۷۲ – ۱۸۰ هـ) بحثوا عن أسرى يمكن افتداؤهم بالمال فلم يجدوا أسيرا مسلما ، وهناك رواية تقول بأن الأمير الحكم الربضى (۱۸۰ – ۱۸۰ هـ) وأن الحاجب المنصور بن أبى عامر (۳۲۱ – ۳۹۲ هـ) قاما بحرب لأن كلا منهما سمع بأن نصارى الشمال احتجزوا عندهم امرأة مسلمة اسيرة دون أن يعيدوها الى ديار الاسلام حسب اتفاقيات الصلح (٢٠٥) .

لذلك فقد كثر الأسرى المسيحيون في عصرى الامارة والخلافة (١٣٨ – ٢٢ هـ) ، وكان كثير منهم يفك أسره ويعود الى وطنه ، سواء بواسطة أهله أو بواسطة أغنياء المسلمين أنفسهم الذين كانوا بحررونهم ويطلقون سراحهم شكرا لله على توفيقه لهم في شيء ما . وقد حدث عام ٣٨٧ ه / ١٩٩٧ م أن علم المنسور بن أبى عامر بانتصار جنوده في واقعة كبيرة في أفريقية ، فأسرع بتحرير نحو ١٨٠٠ أسير مسيحي من ذكور واناث تقربا الى الله وشكرا على نعمة النصر (٥٠) .

واذا ما عاد هؤلاء الى أوطانهم وقد تعلموا العربية وعاشوا حياة المسلمين الأكثر منهم حضارة ومدنبة ، نشروا ما عرفوه من أساليب الحياة والمعيشة الاسسلامية بين مواطنيهم ، وزاد على ذلك اثر الأسرى المسلمين

⁽٤٨) رينو ، نارسخ عزوات العرب في فريسا ، ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ ٠

⁽٤٩) أنظر ، الفصل الثالث ، الباب الاول ، ص

⁽٥٠) رينو ، المصدر دفسه ، ص ٢١٩ ٠

الذين كانوا يقعون في أيدى النصارى في أواخر عصر الامارة وفي عصر دولهُ. الطوائف ، وكان هؤلاء بالطبع يزيدون في عملية النقل الحضارى بين الأندلسي. الاسلامية وبين اسباتيا النصرانية .

وفي الأندلس كان أسرى نصارى الأسبان ينحولون الى موالى وعبيد اذا لم يجدوا من يحررهم أو اذا لم يعتنقوا الاسلام ، وكانوا بخدمون في القصور ، وكان منهم الحرس الخاص للخلفاء والملوث الذن كانوا يعولون عليهم في الحروب ، حتى أن عددا كبيرا من جنود المنصور كان من سبى الشيال . أما الرقيق من النساء فكن يشتغلن في قصور الأمراء والأغنياء ، ومن نتبغ منهن كانت نباع بسن درنفع ، أو يهديها صاحبها إلى الأمير ، أو بتزوجها قتصير حرة وتسمى أم واد ، وكانت قصور نرطبة ويتبة حواضر الأندلس ملاى بأمهات الأولاد (٥٠) .

وكانت تساء معاملة الأسرى احياتا ويكلفون بالأعمال الشاةة ، وقد سبقت الاشارة الى أسرى قطلونية (برشلونة) الذين كلفوا بنقل عدد معين من احمال التراب الى قرطبة ، وهناك رواية تقول بأن المنصور بن ابى عامر كان يستخدمهم أيضا فى بناء مدينة الزاهرة بدلا من البنائين المسلمين ، وهم مقيدون فى الأصغاد ، اذلالا للشرك واظهارا لقوة الاسسلام . وخلا هذين الحادثين لم نعثر على ما بدل على الاساءة الى اسرى النصسارى فى بلاد الأندلس ، وواضح أن ذلك تم فى عهد المنصور بن أبى عامر الذى خرج عن سياسة الاعتدال فى علاقته بنصارى الشمال حسبما تقدم (٥٠) .

اما الأسرى المسلمون الذين كانوا يقعون فى يد نصارى اسبانيا النصرانة ، فلم يتمتعوا بما تمنع به اقرائهم النصارى فى الأندلس الاسلامية ، اذ كانت نساء معاملتهم ولا يمشون الا فى الأصاف خوا من هروبهم ، ولا يتحررون من العبودية الا اذا تنصروا ، وكانوا يكلفون بأعمال المزراعة والحراثة ، وحتى لو تنصروا وتحرروا فاتهم يبتون فى درجة اجتماعية اقل من سائر المواطنين ولم بكن يحق لهم التزوج من المسيحيات ولو كن من

⁽١٥) اس الآمار ، الحلة السيراء ، د ١ ، ص ٢٧٦ .

لس سعدد ، المغرب ، ح ۲ ، ص ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، المدرى ، النفيج ، ح ۱ ، ص ۳۷۹ ، وينو ، الرحم نفسه ، ص ۲۱۸ ، ۳۲۳ ، ۲۲۶ .

⁽۵۲) المقرى ، بفح الطب ، حدا ، ص ۲۵۵ ، ۲۵۳ ،

المحوادم ، ولم يكن يؤذن للعبد بالزواج من الأمة ولو كانا من ملة واحدة ، وانما يسمح لهما بالسكن في مكان واحد على أن يكون الأولاد ملكا لسيدهما (٣٠) ،

وكان للحرب فى ذاتها نأئيرات اجتماعية واقتصادية على نصارى اسعانيا النصرانية ، وخاصة المقيمين منهم فى مناطق الحدود ، فقد أدت الى رفع محانة العامة من الشعب النصراني نظرا لاحنياج الملوك اليهم فى كفاحهم ضد مسلمى الأندلس ، وقد كانت ممالك أسبانيا النصرانية تعيش اجتماعبا وسياسيا عصر سياده الاقطاع وينقسم الناس فيها الى طبقات ، وكانت طبقة النبلاء تستعبد بقبة افراد الشعب سواء كانوا زراعا فى الحقول ام عمالا فى المسانع الحرفية أم خدما فى القصور ، وقد صار هؤلاء الخدم والعبيد سادة احرارا بفضل حروب الاسترداد التى هيأت لهم تلك الفرصة الذهبية ، وهكذا أصبحوا جنودا بمتطون الخيل ، وأصبحوا فرسانا ونبلاء صغارا أو رؤساء قرى صغيرة ، دون أن يكون عندهم أراضى واسعة أو ثروة كبيرة ، اذ كانت ، قروتهم نكمن فى قوة سواعدهم (٥٠) .

وفي بعض الفترات كانت نهدأ الحروب ويعم السلام وتعقد معاهدات المصلح والسلام ، كما حدث عام ٢٧٠ ه في عهد الأمير محمد (٢٣٨ – ٢٧٢ ه) ، وكما حدث في عهد الخلبفة عبد الرحمن الناصر عام ٣٤٤ ه ، وفي عهد ابنه وخلفه الحكم المستنصر عام ٣٥١ – ٣٥٥ ه ، وقد سبقت الاشمارة التي هذه المعاهدات في مكانها من الدراسة ، وما نود أن نقوله هو أن تلك المعاهدات كان يتبعها أخذ للرهائن من نصارى الشمال في عصر الخلافة ، تبادل الرهائن في عصر ملوك الطوائف ، وبديهي أن هؤلاء الرهائن ما تعلمون العربية ويعيشون حياة المسلمين ، فاذا عادوا نقلوا ونشروا ما تعلموه في بلاط ملوكهم وأهليهم وأضيفوا التي جملة الأسبان الذين يعرفون العربية ويعيشون حياة أهلها (٥٠٠) .

وكان أول زعيم من زعماء جليقية وأشتريس وهو بلاى فيما نقول بعض الروابات رهبنة في قرطبة ، ثم هرب منها وفر الى الشمال وبدأ حرب الدماع

⁽٥٣) الصدي ، يعيه الملنمس ، ص ٢٣١ ، ٢٣٢ ٠

ريشو ، المرجع بمسه ، ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ ٠

Chapman, op. cit, p. 122

⁽٥٥) ربدو ، الرحم بدسته ، في ٢٣٣٠ .

والمقاومة ضد مسلى الأندلس منذ عام ٩٨ هـ ، نلك الحرب التى تحولت عيما بعد الى ما يسمى بحرب الاسترداد . وقد انتشر أسلوب تبادل الرهائن في عصر ملوك الطوائف بالذات بسبب كثرة عدد الدول الاسلامية وتهافتها على محالفه ملوك أسبانيا النصرانية ، وقد سبقت الاشارة الى ما قام به ابن عمار نبابة عن مليكه المعتمد بن عباد من تبادل للرهائن مع أمير برشلونة حتى يتم تنفيذ المعاهدة التى عقدها معه بخصوص الاستيلاء على مرسية (٥٠).

وغير الرهائن فقد كانت معاهدات السلام تتيح الفرصة لنبادل السفارات الدبلوماسية والتجارة والطلاب والأطباء ، ونمكن أصحاب المصالح من الاننقال بين طرفى شبه الجزيرة ، وقد عرفنا أن يولوجيوس زعيم الفننة الدينبة فى قرطبة فى منتصف القرن الثالث الهجرى قد ذهب الى بمبلونة عاصمة نبرة عدة مرات ، ثم عاد محملا بكتب الأدب اللاتيني ، علاوة على الكنب الدبنبية المسيحبة وبعض الكتب التي تحتوى على خرافات كثيرة ملفقة تحط من شان المسيحبة وبعض الكتب التي تحتوى على خرافات كثيرة ملفقة تحط من شان الدين الاسلامي ، وسبقت الاشارة أبضا الى وفود كثير من الرهبان الى قرطبة للدراسة والعلم ، منهم من صار أحد بابوات روما (٧٠) ،

كما سبقت الاشسارة ايضسا الى البعثسات التى كان بوغدها ملوك اسبانيا النصرانية الى ملوك الطوائف لجمع رغات القديسين النصارى فى بلاد الأندلس أو لأخذ الجزية أو لتجديد معاهدة . وكانت السفارات الاسلامية تذهب الى ليون أو برغش أو بمبلونة أو برشلونة تعقد معاهدات التحالف ضد ملوك الطوائف الآخرين ، أو لتحديد ما يلزم دفعه من الجزية أو لتجديد الصداقة والتحالف (^^) .

كل هذا النشاط الدبلوماسى ، لا بد انه كان عظيم الأثر فى دفع عملية المزج الحضارى والتقريب المادى والفكرى بين الأندلس الاسلامية المتحضرة وبين الشمال النصرانى المتخلف ، وما ساعد على ذلك أبضا عملبة اللجوء السياسى ، واستخدام الجند المرتزقة عند الجانبين ،

⁽٥٦) أنظر ، القصل الثالث ، الباب الثالث ، ص

⁽٥٧) أنظر ، الفصل الاول ، الساب الاول ، ص

⁽٥٨) أنظر ، الفصل الثالث ، الباب الثالث ، ص

(ز) اللجوء السياسي:

أما اللجوء السياسي فقد كإن ذائعا ومنتشراً ٤ وسبقت الاشبارة الي ما قام به أفراد من البيت المالك سواء في الأندلس الاسلامية أم في الممالك النصرانية في شمال أسبانيا ، من اللجوء الى الجانب الآخر طلبا للمساعدة ضد الحاكم أو هربا من استبداده وظلمه . فقد اتصل اخوة هشـام بن عبد الرحمن الداخل بنسرلمان امبراطور الفرنجة ، طالبين منه العون ضد هشام ، ثم ضد ابنه الحكم فيما بعد . ولجأ ابن لعبد الرحمن الناصر الي. ملك ليون ، ولجأ ابن للحاجب المنصور بن أبي عامر الى ملك قشتالة (٥٩) ، وكثر ذلك بين حكام النغور الاسلامية سواء في عصر الامارة أو الخلافة ، فقد لجأ ابن مروان الجليقي الى الفونش الثالث ، كما لجأ افراد من أسرة بنى قس وبنى الطوبل في عهد الامارة الى ملوك نبرة وليون . ولجأ أفراد من بنى تجيب الى ملوك لبون وتحالفوا معهم ضد عبد الرحمن الناصر . كثر ذلك في عهد ملوك الطوائف أيضا 6 فقد لجا افراد من اسرة بني ذي النون. أصحاب طليطلة ، ومن أسرة بني هود أصحاب سرقسطة وكذلك بعض الوزراء مثل ابن عمار وغيره الى ملوك اسبانيا النصرانية . وكان هؤلاء في النهالب يعيشون في ممالك الشمال هم وأنصارهم آمادا طويلة ، وربما ماتوا هناك ، ولا شك أنه كان لهم تأثيرهم الحضاري (٦) .

وكان هناك أيضا اللاجئون من ممالك الشمال الأسباني الى الأنداس الاسلامية نقد لجأ شانجة (سانشو) ملك ليون الى حماية عبد الرحمن الناصر حينما استأثر أخوه أردون (اردونيو) بالحكم واتى اردونيو الى قرطبة يلتمس حمايتها وتأبيدها ضدد الفونسو في عصر الحكم المستنصر ، ولجأ الفونسو السادس الى المأمون بن ذى النون صاحب طليلطة ، فأكرمه ورعاه حتى عاد الى ليون عقب مقتل أخيه سانشو الثانى ، وتولى ملك ليون وقشتاله ورد الجميل للمسلمين فأستولى منهم على طليلطة ذاتها ، وقضى على ملك بنى ذى النون أنفسهم .

⁽۹۹) الرازی بروایة ابن عبداری ، المصبطر بسته ج ۲ ، ص ۹۲ ـ ۹۶ ۰

الن الاذير ، ج ٦ ، ص ٢٤ ، ابن خلسدون ، العبر ، ج ٤ ، ص ١٢٤ .

أنظر الفصل الذالث ، الداب الثاني ، ص

⁽۱۰) العددری ، المصدر شفسه ، س ۱۰ ، ۶۵ ، ۵۱ ، ۱۰ ، ابن عداری ، المصدر نفسه ، ج ۲ ، ص ۱۰۸ ، ابن سعید ، المصدر نفسه ، ح ۱ ص ۶۸ .

كذلك لجأ اخوه الى بلاط بنى عباد فى اشبيلية (١١) ، ومما هو جدير بالملاحظة ما تقوله بعض الروايات من أن الفونسو السادس عند ما كان لاجئا فى طلطلة سمع أمراءها يتجادلون فى كيفية الدفاع عن المدينة وعن كيفية استسلامها ، غادخر الفونسو هذا الحديث فى نفسه واننفع به عند استلائه على المدينة ، وما نود أن نقوله هو أن الفونسو لا بد أنه كان يعرف العربية حتى بفهم كلام الأمراء ، اذ تقول الرواية انه كان راقدا متظاهرا بالنوم وانه استرق السمع ، فلم يكن هناك مترجم ، وام يكن هناك من بشرح له معنى الكلام ، أو ربما كان هؤلاء بتكلمون بالعجمية التى أشرنا اليها من قبل ، وهى قريبة من اللاتبنية ، فاستطاع الفونسو أن يفهم ما فهم (١٦) .

(ح) اما المجنود المرتزقة من نصارى الشمال الأسبانى وان كان بدا استخدامهم منف عصر عبد الرحمن الداخلى (١٣٨ – ١٧٢ ه) ثم فى عهود من بلاه من أمراء وخلفاء بنى أمية ، الا انه كثر استخدامها فى عصر دول الطوائف ، وابنداء من القرن الخامس الهجرى على يد خلفاء بنى أمية الأواخر كها سبقت دراستنه فى الأبواب السابقة ، وكان هؤلاء الجند لا شك يعبشون بين ظهرانى المسلمين ويقتبسون من أساليبهم فى الحياة ويعودون الى بلادهم وبنشرون ما بعلموه أو عرفوه ، وأبرز متال على ذلك هو السبد القمبيطور وجنده المرتزقة الذين خدموا أمراء المسلمين أكثر ما خدموا أمراء المسلمين أكثر ما خدموا أمراء النصارى ، ولو لم بمت القمبيطور وهو فى خدمة الجانب النصرانى ، لما حفلت به الأساطير الأسبانية ورفعته الى مرتبة الأبطال القديسين (١٠٠٠) .

وبالمثل كانت جنود الممالك الاسلامية تعمل أيضا متحالفة في خدمة ملوك نبرة وتنسالة كي بعين هذا على ذاك ، أو تساعد أحدهم في الهجوم على دولة اسلاميه معسادية . وقد سبقت دراسة ذلك في الأبواب السابقة، مما يدل على أنه كان هناك تداخل سباسي وعسكرى واجتماعي بين ممالك

Dozy, op. cit, pp. 422 - 426

أسطر الفصل الذالث ، الباب الثالث ، ص

⁽٦٢) أنظر ، الفصل النالث ، الباب الثالث ، ص

⁽٦٣) أنظر ، الفصل الدّللث ، البات الثالث ، ص

'أسبانيا النصرانية وبين حكام الأندنس الاسلامية ، مما اتاح الفرصة لنقل النانبرات الحضارية بين الجانيين بطريقة طبيعية ومؤثرة .

هذا عن قنوات الاتصال بين نصارى شمال أسبانيا وبين مسلمى الأندلس وهى قنوات كما راينا متعددة ومؤثرة وفعالة ولا بد أنها نقلت الكثير والكثير من المؤرات الحنسارية سواء كانت اجتماعية أو ثقافية أو اقنصادية المى الممالك الأسبانية النصرانية . كما نقلت أيضا بعض التأثيرات الى الحياة الاسلامية في الأندلس . وقد تعددت المجالات والميادين التى نام قيها هذا النابير أو ذاك ، سواء في ميدان الحياة الاجتماعية أم الثقافية أم الاقتصادية .

٣ ـ وظاهر التأثيرات العضارية في ويدان الحياة الاجتماعية :

وفى هذا الميدان ظهر التأثير فى نواح عديدة ، فى روح التسامح التى تحلى بها المسلمون تجاه أصحاب الأديان الأخرى فى شبه الجزيرة ، وفى الأخالات والعادات والتقاليد ، وفى الموسيقى والحفلات والأعياد ، وفى المبس والماكل والمشرب والمسكن ، أو فى ميدان العمارة وفن البناء .

أما روح التسامح فقد ظهرت عند مسلمى الأندلس بشكل وانهح ، وقد وفينا الحديث عن هذا الموضوع أثناء الكلام عن الفتنة الدينية التى سميت بحركة الاستشهاد المسيحى التى حدثت فى منتصف القرن الثالث الهجرى ، وما نود أن نقوله هنا هو أن الكنائس كانت مفتحة الأبواب للمارة سواء من النصارى والمسلمين ، تفدق عليهم من كرمها وأطايب طعامها وشرابها حتى أن يعض المسلمين كانوا يبيتون بها(١٤) .

وقد بلغ التسامح الى حد أن كان المسلمون يزورون كنسائس النحسارى ويزور النصارى قبور أولداء المسلمين لنيل البركة ، كما انهم

⁽١٤) آبن سمام ، الدهدر ، ق ١ ، ح ٢ ، ص ١٩٠ ، ١٩٢٠ .

ابن خامّان ، معامع الاسفس ، ص ۲۱ .

الادويسي ، حسقة المغرب ، ص ١٨٠ ، ١٨١ •

انظر النصل الاول ، الداب الاول ، عن •

امتنعوا عن اكل لحم الخنزير وقاموا بختان أطفالهم تفليدا للمسلمين. بل كانت اسماؤهم في غالبها أسماء عربية ، كما تنقب بعض المسلمين بالقاب النصارى ، فهناك الأديب أبو جعفر بن عبد الله ، وكان بعرف، بابن شانجة ، ولا شك أن روح السماحة هذه قد انتقلت الى نصارى الشمال وأخذوها عن المسلمين (٢٠) .

فقد كان ملوك قشتالة وليون يحبطون انفسهم بعلماء المسلمين، ويستخدمون مهندسيهم ، ويستمعون الى موسيقيبهم ، وينتفعون بخير ما فى الثقافة الاسلمية دون ادنى لوم او حرج ، ولم يتحول شعورهم الا عند ما اتخذت الحرب الصفة الدينبة الصليبية فى عصر ملوك الطوائف ، ورغم تحقيق نصر حاسم على المسلمين بعد ستوط طلبطلة فى يد الفونسو عام ١٨٥٨ه / ١٨٨٦م ، فقد قرر هذا الملك فى البداية الا يتعرض لمقدسات المسلمين وان يظلوا مشرفين على مسجدهم وأن يقيموا فيه شعائرهم دون.

لكن المتعصبين من رهبان الأديرة مع مطران طليطلة بمساعدة اللكة كونستانس ــ وكان هؤلاء جميعا من الفرنسيين ــ تمكنوا في غبية الفونسو السادس في ليون من تحويل مسجد طليطلة المي كنيسة ، ولما عاد الفونسو وعرف بالامر غضب غضبا شديدا واعترم عقاب هؤلاء المعتدين بالموت حرقا ، لكن مسلمي طليطلة تشهوا لديه حتى لا ينفذ وعيده اعتقداد منهم بأن هذا غير مفيد ، وربما اثار عليهم المسيحيين الآخرين وأتى بنتيجة عكسية ، وكان تدخل البابوية وأتباعها من الرهبان الفرنسيين هو الذي مساعد في احداث موجات التعصب ، كما أدى الى اشتداد ساعد رجال الدبن المسيحيين في أسبانيا ، بدرجة فاقت غيرها من البلد

⁽٥٥) ابن بسام ، الذخيرة ، ق ١ ، ج ٢ ، ص ٢١١. •

ابن عذاري ، البيان ، ص ٢٣ ، ص ٢٣ ٣

اين بشكوال ، الصلة ، ج ١ ، ص ١٩٦٠

رينو ، المرجع نفسه ، ص ۱۸۰ ۰

⁽٦٦) انظر ، الفصل الثالث ، الباب الثالث ، ص

الأوربية الأخرى حتى قيل « ان اسبانيا صَحت بحريتها وبعظهدها كشعبه في سبيل الكاثوليكية » (٧٠) .

وتد أخذ ندسارى الشمال الأسبانى عن المسلمين الكرم وحسن الخلق وتخلصوا من همجيتهم بفضل اتصالهم بالمسلمين واقتباسهم منهم طعاعهم النبيلة ، ومبادىء فروسيتهم التى منها مراعاة النساء والشبوخ والاطفال واحترام العهود والوفساء بالوعود ، ورقة العواطف ولين الطباع ، حتى قال بعض مؤرخى النصارى ومتدبنبهم أنه « يشك فى أن المسبحية كانت تستطيع وحدها أن تأتى بمثل ذلك التاثير مهما بولغ فى كرمها وتأثيرها ، فلم يكن المسلم مدمرا أو مخربا ، وانها كان مبدعا منشئا للمدن والقصور والبساتين ، ورغم أصله البدوى القاسى ، الا أنه كان يحب اللين والترف ويستطرف الجمال فى شتى صوره ويستطيب الحياة الناعهة (١٨) .

ولذلك رأينا أن أشد المسلمين غزوا وايغالا في بلاد النصرانبة في شمال أسبانبا وهو المنصور بن أبي عامر وابنه عبد الملك المظفر (٣٦٦ ــ ٣٩٩ هـ) رأيناه ينصح بعدم احراق الدور وعدم هدم المنازل ، بل انه كان يصل بلاد الشمال ببلاده بالعمل على تعميرها وتوغير الاقوات والمدن لها ، حتى أنه ندم في أواخر أيامه على ذلك ، لأنه لم يخرب ويدمر من البلاد الأسبانية مسافة تجعل غزو النصارى لمسلمى الأندلس أمرا صعبا(١٩٠) .

وكان مسلمو الأندلس اصحاب غضل في انتشار الغناء والموسيقى بين الشعب النصراني في شمال اسبانيا . فقد كان البيت الأموى يرعى هده الفنون رعاية عظيمة لدرجة أن بعضا من أمراء بنى أمية أنفسهم كانوا يعرفون الغناء ، فضلا عن أن معظمهم كانوا شعراء . وكانوا يستقدمون الفتيات

⁽٧٧) ترند ، اسدانيا والبرتغال ، ص آ ، ٩ ٠

⁽AA) غوستان لوبون ، حضارة العرب ، ص ۹۷ه ·

حييد بامات ، مجالي الاسلام ، ص ٣١٢ ، ٣١٢ .

حسين مؤنس ، مجر الاندلس ، ص ١٩٩ .

⁽⁷⁹⁾ انظر الفصل الثالث ، الباب الثاني ، ص

والمغنين من بغداد والمدينة المنورة ، وقصة زرياب المغنى، ووصوله الى الأندلس في عهد عبد الرحمن الثاني (٢٠٦ – ٢٣٨ ه) واثره الكبير في رقى هذا الفن وفي الحياة الاجتماعية عامة ، تغنى عن البيان(٧٠) .

وتقول بعض الروايات انه قدم الى الأندلس أيضا في عهد هذا الأمير ثلاث مغنيات هن ، غضل وعلم وقلم المدنبات ، وكانت احداهن وهى (قلم) وومية نافارية الأصل ، أسرت وهى صغيرة ، وأرسلت الى المدينة ثم اتت مع فضل وعلم الى قرطبة بعد أن اشتراهن الأمير عبد الرحمن الثانى ، ويزيد ليفى بروفنسال بانه تزوجهن ورزق من كل واحدة منهن بولد واصبحن أمهات أولاد ، ولم بأت هؤلاء المغنيات الى الأندلس في عهد عبد الرحمن الناصر كما قال بذلك الاستاذ عبد الرحمن البرقوقي صاحب «حضارة العرب » في الأندلس « اذ أن المقرى يذكر أن (فضل) المدنىة كانت أصللا لاحدى بنات هارون الرشيد ، ولم بكن الرشيد معاصرا لعبد الرحمن الناصر (٧) .

ما يهمنا هنا هو أن بعض الفتيات من سبى نصارى شمال الأندلس كن يذهبن إلى المشرق الاسلامى ، ويتعلمن الفناء والموسيقى ويبرعن فيه ، ثم يعدن إلى الاندلس وردما عدن إلى بلاط ملوك نصارى شهمال أسبانيا أيضا ، وهو شيء معتول أذا عرفنا أن كثيرا من المغنين والموسيقيين المسلمين كانوا يذهبون إلى نبره وقشتالة وليون وأرغون ابتداء من عصر دول الطوائف بعد أن تجزأت الدولة الأموية ، وأصبحت بدل قرطبة عدة قرطبات ، وتهافت ملوكها على الشهراء والموسيقيين والمغنين الذين كان يوجد من بينهم بعض النصارى والمستعربين ، أى أن التأثير كان متبادلا ، ولدينا شواهد كثيرة تدل على ميل نصارى الشمال إلى أغانى العرب وموسيقاهم (٢٠) .

⁽٧٠) ابن خزم ، حمهرة أنساب آلعرب ، ص ٩١ .

⁽۷۱) المقرى ، نفيح الطبب ، حـ ۲ ، ص ۱۱۸ .

لبعى جروفسسال السرق الاسلامي ، ص ٢٤ ٠

البرنسونيي . حصارة العرب في الاندلس ، ص ٧٠ ، ٧١ .

ترند ، أسبانيا والبرنغال ، ص ٣١ .

فمعظم أسماء الآلات الموسيقية عند نصارى الأسبان مشتق من اسمه العربى هو الاسم العربى نفسته منطوقا في صورة اسسبانية ، فالعود كاتوا ينطقونه Laud والقيثارة Guitarra والرباب Rabel والنفير Anafil والبندير Pandera والصنج Sonajas ، والبوق Elboque والطبل Atambal

ولازالت العادات التي ورثوها عن المسلمين كطريقة العزف المعروفة عند الموسيقيين باسم Zambra (وبالعربية زمر) ، وسلوك السامعين اثناء العزف ومقاطعتهم له بصياحهم Ole Ole (الله . . الله) لازالت هذه باقياة تدل على ما كان يحدث ايام المسلمين ، حتى ان كلمة يا ليل Leli Leli . .

وهناك أيضا ما يدل على تفهم نصارى شمال أسبانيا لموسيقى الأندلس وغنائها ، فقد حدث حبنما سقطت مدبنة بربشتر الاسلامبة في يد النصارى عام ٥٦٦ ه واستولوا على ديارها بما فيها من متاع وخدم وعبيد وجوارى ، أن جلس أحدهم وطلب من احدى الجاريات العربيات أن تمسك عودها ونسمه هو وضيفه اليهودى المستعرب بعض ما عندها ، فقامت وعزفت وغنت ، ورغم أن البهودى يقول أنه لم يفهم من أشعارها شيئا ، الا أنه استغرب ما قام به ذلك النصراني من حثمه الشرب ، واظهاره الطرب لسماع تلك الأشعار وهذه الموسيتي (٢٠)

وربما لم يفهم ذلك النصرانى ما قالته الجارية ، لكنه بالطبع قد فهم اللحن الموسيقى ، فالموسيقى لغة عالمية ، زد على ذلك انه كان هناك شعر أندلسى يسمى بالزجل ، قد انتشر فى شبه الجزيرة فى ذلك الوقت ، وكانت موسيقاه شعبية ، واازجل نفسه كان خليطا من العربيسة والأسبانية مها ستناوله بالدراسة فى الصفحات النالية ، وربما كان غناء والجارية من هذا النوع من الشعر ، ففهمه النصراني وطرب منه .

⁽٧٣) ترند ، المرجع تنفسه ، ص ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ .

حتى ، الرجع نفسه ، ج ٢ ، حس ٧١٣ ٠

⁽٧٤) اين حبان بروابة المقرى ، نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ٥٧٥ •

وكان من الطبيعى وقد تفوق مسلمو الأندلس في أساليب الحياة والحضارة أن يأخذ عنهم الأسبان وغير الأسبان ، ليس في الموسيقى والغناء فقط بل في مجالات اللهو الأخرى ، مثال ذلك ، الشطرنج الذي أخذه نصارى شمال أسبانيا عن مسلمى الأندلس ، وجاء ذكره للمرة الأولى في وحسيتين لفردين من أسرة نبلاء برشلونة ، يرجع عهدهما الى ما بين سنتى ٣٩٨ ه ، ٧٠٤ ه (١٠١٨ م) ١٠١٧ م) يهبان فيهما ما لهما من شطرنج الى أشخاص معينين (٧٠) .

وكان لابن عمار وزبر المعتمد بن عباد صاحب أشبيلية مع الفونسو السادس قصة طريفة تتعلق بالشطرنج ، فقد جاء ذلك اللك مهددا أشبيلية وعسكر بجيوشه خارج حدودها ، فأرسل المعتمد وزيره المساوضته ومنع هجومه على البلاد ، واحتال ابن عمار على الفونسو واسنغل اعجابه بما كان معه من شطرنج كان في غاية الجمال والاداع والاتقان ، ودس الى بعض نبلائه بعد أن رشاهم أن يقنعوا الملك باللعب مع ابن عمار ، بشرط اذا فاز الملك كان له الشطرنج ، واذا فاز الملك عمار كان له ما يريد(٢١) .

ولما فاز ابن عمار أظهر شرطه ، ولم يكن الا عودة الفونسو الى يلاده دون هجوم على أشبيلية ، ففضب الفونسو ، ولم يرجع الا بعد أن أخد جزيد عامين مقدما ، وان كانت القصة فيها شيء من الخيال الا أننا لا نستبعد حدوثها خاصة وقد أجمع المؤرخون المعاصرون على أنه كان لابن عمار علاقة خاصة بالملك الفونسو السادس ، وقد سبق الحديث عن ذلك بالنفصيل ، لكن القصة تدل على تلك الروح الودية وعلى العالقات الاجتماعية التي كانت تسود الحياة بين مسلمي شبه الجزيرة ونصاراهم رغم ما كان بينهما من حروب شبه دائمة (٧٧) ,

[·] ٦٤ _ ٦٢ ص در نفسه ، ص ٦٢ _ ٦٤ -

محمد كرد على ، الاسلام والحضارة العربية ، ج ١ ، ص ٢٣٧ .

⁽٧٦) الراكسي ، المعجب ، ص ، ١١٩ ، ١٢٠ .

⁽۷۷) الراکسی ، المسدر نصبه ، ص ۱۲۰ ، ۱۲۱ -

دوزى ، ملوك للطسوائف ، ص ٢٣٨ ـ ٣٤٢ -

أما الأعياد والاحتفال بها فقد كان معرفا عن مسلمى الأندلس انهم كانوا يحتفلون بالأعياد غير الاسلامية ، خاصة وانها تأتى فى نفس الفصل من السنة ، لانها تتبع التقويم الشمسى ، ولذلك كانت أعياد شابتة فأخنت صفة الشعبية لدرجة أن بعض الأمراء كان ينزوجون في هذه المناسبات الدينية المسيحية ، فقد احتفل بزواج المنصور بن أبى عامر من أسماء بنت غالب الناصرى فى أول أيام السنة المسلادية الجديدة ، وهو العياد السنوى الذي كان المسلمون يشاركون فيه وفى غيره على أسة صور «(١٨٠) .

وتذكر بعض الروايات أن بعض أكابر المسلمين واغنيائهم كانسوا «يصنعون ما يشبه (التورتة) في عصرنا الحاضر ، في عيد النيروز ، اذ كانوا يصنون في مثل هذا اليوم « مدائن من العجين لها صور مستحسنة » ...ورها أحد الشعراء فتسال (٧٩) :

كذلك كان التأتير منبادلا فيما يحنص بالزى والملابس . أما المسلمون اعتسد كانوا في أوائل أيام الفتح بتقلدون المسيوف ويتأبطون الرماح ويتنكبون القسى ، وكانوا يلبسون المسائم ، وبعضى الوقت صاروا يتشبهون

Dozy, op. cit, p. 483. Hole, op. cit, p. 141.

(۷۹) المقرى ، نفس المطيب ، حد ٢ ، ص ٢٧٦ ٠

(٨٠) الدرمك ، دوع من أدواع الدنيية ، يستعمل في صنع الخدز وخلاف ، أنظر ، «الطبيخ في المغرب والاندلس ، ص ٨٢ ·

⁽٧٨) بالنشا ، تاريخ الفكر الانداسي ، ص ٢١ ٠

بالنصارى فى ازيائهم واسلحتهم ، يلبسن الدروع ويغوصون فى الزرد ، ويقتنون. ميوف د بوردو» وقسى الافرنجة التى كانوا يتدربون عليها طوال الوقت وتركوا العمائم وصاروا يلبسون الكمة الهندية . أما أمراء المسلمين وشيوخهم وقضاتهم فكانوا يلبسون القلانس وبتجنبون العمائم ، ولا يلبسها الاما شد منهم (٨) .

وكان تأتبر المسلمين على نصارى الشمال الأسبانى كبرا في هسذا المجسال ، ذلك انه اعنبارا من القرن الرابع الهجرى / العاشر المبلادى على على الأقل ، دخلت ازباء قرطبة واشبيلية وطليطلة وسرقسطة الاسلامية في دور امراء المسيحيين في شمال البلاد ، وكانت سفارات ملوك نبرة وليون وقشنالة وبرشلونة تفد الى بلاط قرطبة أبام الناصر والمستنصر وابن أبى عامر وابنه عبد الملك ، ونعود محملة بأغضر الملابس والأزباء والهدايا والتحف التى كان نساء البلاط في مهالك الشمال يتلهفن علبها وينظرن اليها على انها « موضة » العصر ، وكن يكنرن من الأسئلة عن الأقهشة والألوان والأزياء ، وعن النحف من العام والكهرمان والزجاج الملون الني كان يعرضها الباعة والتجار في أسواق غرطنة (١٨) .

وبحكى لنا ابن حيان عن شاهد عبان أن ملوك أسبانا في القرن الخامس الهجرى كانوا يرتدون من ثياب المسلمين ويقلدونهم في اتخال الفرش المستخدمة للجلوس ، وقد حدث عندما فنح التابوت الذي كان يحتوى على رفات السند القمبطور بعد ذلك بمدة طويلة وفي أيام الامبراطور شارلكان ، وفي سنة ١٥٤١م على وجه التحديد ، أن وجدت

⁽١٨) النباهي ، تاريخ قضاه الادالس ، ص ٩٣ ، ٢٥ .

امن فضل الله العمري ، وصف أفريضة والمفرب والإنتالس ، ص ٢٦ -

ابن الخطيب ، الاحاطة ، ج ١ ، ص ١٤٢ .

رينو ، المرحم نفسه ، ص ٢١٦ .

عنان ، نهاية الايدلس ، ص ٣٣٠ .

⁽۸۲) ليفي دروفيسال ، تراب الاندلس ، ص ٦٢١ .

Levi - Provencal, La civilisation Arabe en Espagne pp. 127-129.

جثته ملفسوفة فى رداء عربى ومعها سيف ورمح ، وقد عاش القمبيطور فى القرن الخامس الهجرى وكان يعيش مع المسلمين والنصارى ، فلا غرابة فى الخساذه الملابس العربية عندما كان حيا أو تكنينه بها بعد وفاته (٨٣)

أما الطعام والشراب ، فقد تفنن مسلمو الأندلس في الاكثار من انواعه ، حتى أن النوع الواحد كان يطهى بطرق مختلفة ، واشتهرت فئسات السكان بأطعمة خاصة بها ، فلليهود أون خاص بهم يسمى « حجلة يهودية » ونوع آخر يسمى « لون من فروخ يهودى » ، وللصقالبة لون يسمى « صنعه مسلوق الصقالبة » واننقل الى الأندلس أكلات عديدة من مختلف البلدان ، من مصر وبغداد واليمن والمغرب وفارس ، ومن نصارى شمال أسبانيا ، فقد أخذوا من أسبانيا النصرانية أكلة « الحوت المروج » أو « صفة لون من الحوت الكبير الجرم » وكذلك ذر الفلفل المسحوق على الطعام (٤٠٠) .

وقد انتقل الى المطبخ المسيحى فى شهمال أسبانيا العديد من الأكهات عن المطبخ الأندلسى لا سبما فى عصر ملوك الطوائف ، حيث زاد الاختلاط بين الجهانبين ، وحبث كان التفوق الحضارى لمسلمى الأندلس فى القهة فى ذلك الوقت ، وقد انتقلت عهدة الشرب الى المسلمين والاستفراق فيها من مجاورتهم واختلاطهم سواء بنصارى المستعربين الم بنصارى الشمال الأسبانى ،

وقد تأثر الجانبان أبضا بما كان عند كل منهما من نظم البناء وفن العمارة . وهنا لابدأن نشير الى أن الأديرة والكنائس التى بناها الرهبان المستعربون الذين فروا من الأندلس الاسلامية ، أو كانوا يعيشون في المدن المستردة كانت مركزا يشع بالثقافة والحياة الاجتماعية التى عاشمها

⁽٨٣) ابن حبان دروانة اس بسام ، فخيرة ، ق ١ ، ح ١ . ص ١٥٤ ، ١٥٥ -

سان ، دول الطوائف ، ص ۲٤٩ .

Levi, Provencal op. cit, pp. 130, 137

⁽۸٤) محورل ، الطبيخ في المغرب والانطس ، ص ٢٥ ، ٥٤ ، ٦٧ ، ٦٨ . $\chi \chi$ ، ۷۷ ، ۸۱ ، ۱۱۹ ، ۱۲۸ ، ۱۲

. أولئك الرهبان داخل المجتمع الاسلامى ، ومن ثم فقد كانت تلك الأديرة عاملا من عوامل التقرب بين الشعبين المسيحى والمسلم ، وعاملا من عوامل المزيرة . المزج بين الحضارنين الاسلامية والنصرانية على أرض شبه الجزيرة .

وقد نشأ من العمارة الاسلامية في الأندلس ونطور في أحضان المن المسبحى الاسباني ، أخذ عنه صورته الأولى من أعهدة الكنائس وأقواسها وأحجسارها المنحوتة ، ثم أفاض عليه الطسابع الاسلامي شيئا فشيئا . ومر هذا المن خسلال العصور الاسلامية في أدوار مختلفة ، لكل منها طابعه الأصيل وخصائصه الممبزة ، وما يهمنسا منها هو الدور الأول الذي يسمى بالطراز المستعرب ، والذي ساد في عصر بني أمبة ، والدور الأندلسي للذي ساد في عصر دول الطوائف والمرابطين والموحدين (٨٠٠) .

ولم يطلق اسم الطراز المستعرب على الدور الأول الالأن الذين قاموا بالبناء والانشاء والزخرفة كانوا من الأسبان الذين اسلموا أو من النصارى المعاهدين (المستعربين) أو من غيرهم من نصارى ليون وقشتالة ونبرة وبرشلونة ، ولذلك فان المؤفرات الاسبانية النصرانية تبرز في العمارة الاسلامية في الأندلس في عصر بني أمية ، خذ على ذلك ما يتوله الفساتي أن المنصور بن أبي عامر زاد في المسجد الجامع في قرطبة عام ١٨١ هـ ، واستخدم في البناء الأعلاج (نصارى الشمال) ووجووه فرسان الخلافة والفرنج (نصارى برشلونة) ، وما يقوله أبن فضل الله العبرى ثم نقل عنه الحميرى أنه كان « على وجه المحراب سبع قسى قائمة على عمد ، طول كل قوس أزيد من قامة ، وكل هذه القسى مزججة بصبغة القوط (اى بأسلوبهم في الفن) ، قد أعجزت المسلمين والروم بغريب أعمالها ودقيق تكوينها ورصنها » (٢٨) .

⁽٨٥) مؤنس ، تطور العمارة الاندلسبة ، ص ١٨٦٠ .

⁽٨٦) الغسائى ، رحلة الوزير فى الهتكاك الاسير ، ص ٢٢ . ابن فضل الله العمرى ، مسالك الايصار ، ح ١ ، ص ٣١٣ .

الحميري ، صقة جزيرة الاندلس ، ص ١٥٤ .

وهذه النصوس واضحة الدلالة على تأنير الفسن القسوطى فى الفن المعمارى الأندلسى ، نتيجة لاشستراك الفرنج والقوط من نصسارى شمال اسسبانيا فى أعمال البنساء والزخرفة ، وكان من الطبيعى أن يتركوا بصماتهم على هذا اللون من اعمسال الحضارة . يزيد ذلك وضوحا ما يقوله ابن الوردى من أن لهذا المسجد ثلاتة أعمسدة حمراء اللون مكتوب على احسدها اسم محمد ، وعلى الآخر صورة عصا موسى وأهل الكهف ، وعلى الثالث صورة غراب نوح ، وهى اشارات صريحة الى استعانة المزخرفين بالرسوم والصور مما يخالف التقليد الاسسلامى الذى اقتصر على الزخرفة النباتيسة فقط ، مما يدل على أن (النصسارى) الذين كانوا يعملون فى زخرفة المسجد أفسافوها جريا على عادنهم فى زخرفة الكنائس النصرانية ، ولم يسمح لهم الفسافتها الا لأنها وردت فى القرآن الكريم (٨٠) .

ولم يلبت مسلمو الأندلس أن تحرروا من النفوذ البيزنطى في من العمارة أو من الأساليب القوطية واستبدلوا النقوش العربية المزوجة بالكتابة بالزخرمة الذهبية ، واستروا من الأقواس الصغيرة البارزة التي يعلو بعضها بعضا ، واستخدموا العقود المستدبرة على صورة نعل الفرس (حدوة الفرس) والتي تربط الأعمدة بعضها ببعض بواسطة اقواس ، فبها سمى بالفن المستعرب الذي شاع في الأندلس الاسلامية طوال عصر بني أمية ، وخاصة في عصر الخالفة (٨٠) .

انتقل الفن المستعرب الى اسبانيا النصرانية في الشمال ، في غاليسية (جليقية) على يد الرهبان المستعربين بدءا من القسرن الثاني الهجرى / الثامن الميلادي ، وفي اشتورية (اشتريس) وليون في عهد الفونش الثالث (٢٥٠ – ٢٩٤ ه / ٢٦٨ – ٢١٥م) وكانت أشتريس قد تخلصت من الوصاية الكارولنجية في ذلك الوقت ، ولم تجد مناصا من التغذي بحركة المستعربين ، خصوصا وأن تيار الخلفة الثقافي كان يحدث تأثيره

⁽۸۷) ابن الموردي ، حريده العجائب عن ۲۱ ، مؤنس ، تطور العمارة ، ص ۲۰۳ ،

⁽٨٨) عوستامه لمودون ، حضارة العرب ، ص ٣٠٠ ، جميل نخلة المدور ، حضارة الاسلام على دار السلام ، ص ٣٦ .

القدوى في منطقة جبال البرنات (البرانس) بحيث طفى على الا الكارونجي ، وعقد حدوة الفرس رمز لهذه التفاعلات (٨٩) .

وكذلك تأثرت قطلونية (برشلونة) والتى كانت منطقة نفوذ فرنس بالفن المسنعرب فى العمارة والبناء ، وأكثر الابنبة من حيث الضخامة قطلونية هو بازيليكا سان ميجل دى كوشة Miguel de Cuxa وهى ذات طابع مستعرب وعلى النحو القرطبى ، ذلك أن عقودها على شحدوة الفرس ، وتنداخل فى بناء حنباتها مع امتداد يبلغ ثلاثة أرباع القعلى النحو القرطبى أيضا ، وقد تم بناء هذه البازيلبكا عام ٢٧٤ه / ٣٥ على أيدى القس أوليفا . وقد تم بناء هذه البازيلبكا عام ٢٧٤ه / ٣٥ على أيدى القس أوليفا . (٩٠) .

وفى ليون وهى المركز الرئيسى لحركة الاسترداد نجد أنفسنا اكثر مناطق المستعربين ازدهارا ، حيث أقام الرهبان الأندلسيون منشآ فى كنف الفونسو العظيم وأبنائه ، فنما الطابع المستعرب المتكامل وفروائع معمارية ، بحيث كان القرن الرابع الهجرى / المعاشر الميلاء بمتل ذروة النفوق الاسلامى النصراني الأسباني على العائم الفركافة(١٠) .

وفى قشستالة ، اصطبغ أسلوب عهد الخلافة بصديفة الطبيعة د ان مفقسد أصالته ، وشبد الكنبر من الكنائس على بد قسس ورهبان قدر من قرطبة وسائر أحواض الأندلس الاسلامية ، منل كنيسة اسكالادا الا برجع تنسدها في نتش تاريخي الى عام ٣٠٠ ه / ٩١٣ م على يد القالفونسو وأصحابه الذبن قدموا من قرطبة ، وكذلك هناك نقش يتصب بدس سان مارتن دى كاسننيدا

⁽٨٩) مانويل حوميث مورينو ، القن الاسلامي في اسدانها ، ص ٤٢٤ .

⁽٩٠) موريدو ، المرجع دفسه ، ص ٤٣٢ .

⁽٩١) موربدو ، المرجع بفسه ، ص ٤٣٩ .

يتضمن أنه من انشاء القس خوان الذي جاء أيضا من قرطبة بتاريخ عام الله مر (٩٢) . ٣٠٩ هـ / ٩٢١ م (٩٢) .

وفى عصر دول الطوائف ، اى الدور الأندلسى وهو الدور السذى الكتمل فيه نضج الطراز المستعرب فى الأندلس الاسلامى وبعض نواحى أسبانيا النصرانية ، كان طراز العمارة المعروف بالرومانى قد وجد طريقه الى امارات أسبانيا النصرانية الشمالية الشرقبة ، ثم نسرب منها الى امارات الشمال الغربى فى ليون وقشتالة وجلقبة ، ونشأت كنائس ازدانت بالتماثيل الرومانية البدائية بدلا من الزخارف المستعربة ذات العناصر النباتية أو الهندسية ، مثل كنيسة شانت باقب ، وكنيسة جاقه (٩٢) .

ولم يلبث هذا الطراز الرومانى فى أسبانيا النصرانية أن تأثر بمؤثرات مستعربة اسلامية ، يتجلى ذلك فى الزخارف العربية الباةية على الجدران وعلى الصناديق التى تحفظ فيها بقايا القديسين ، بل ان بعض هذه الصناديق يحمل كنابات عرببة كوفية ، كما نجد فى صندوق البقايا فى كنيسة أبيط « أوفيدو Oviedo ، بل نراها فى العقود ، كما نرى فى دير سانتو دو منجو دى سبلوس Santo Domingo de Silos (ثا)

ولما انتثر عقد الخدلافة الأموبة وتفرق الأندلسبين في امارات الطوائف ، وكثر اختلاط المسلمين بالنصارى ، وتداخل بعضهم في بعض على النحو الذي عرفناه طوال القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر المسلمون طراز الفن الروماني في منشآتهم الى جانب الطراز المستعرب ومزجوا الطرازين مزجا كاملا ، ويظهر هذا المزج بوضه ح في القصور الزاهرة التي أنشأها ملوك الطوائف في أشببلية وبطلاوس وسرقسطة وقد كشفت الحفائر عن أجزاء من عقد في قصر الجعفرية الذي بناه.

⁽۹۲) موربذو ، المرجع نفسه ، ص ٤٤٠ ـ ٤٤٢ ، ترند ، المرحع نفسه ، ص ٣٣ ٠ مؤدس ، المرحم نفسه ، ص ٣١٢ ، ٢١٣ ٠

⁽۹۳) مؤدس ، المرجع دنسه ، ص ۲۱۵ ، ۲۱۸ •

⁽٩٤) مؤنس ، المرجع مفسه ، ص ٢١٦ -

المستعين بن هود ذات طراز مستعرب ، وأجزاء أخرى ذات طراز رومانى ، أما الزخارف كلها فمستعربة (٩٠٠) .

كذلك كانت القصور التى بناها ملوك نصارى الشمال فى قشتالة ولبون تقسوم على طراز تلك القصور العربية فى دول الطوائف ومن أمثلة ذلك قصر شقوبية الذى أمر بانشائه الفونسو السادس على نمط قصر طليطلة العربى الذى كان قد عاش فيه لاجئا سباسيا حوالى تسعة أشهر من عام ١٠٧١ م . ومما يزيد فى قيمة ذلك القصر امكان اعتباره مثالا للقصور العربية المحصنة التى أقيمت فى بلاد أسبانيا النصرانبة ثم عفارسمها (٢٠) .

وكان لفن العمارة الأندلسى اثره أيضا فى الأبنية الأخرى مثل الكبارى والجسور والقنوات المائية المعلقة والحمامات التى تقول بعض الروايات النصرانية انها لم تعد مقصورة على أسبانيا الاسلامية ، بل تعدتها الى المدن الاخرى فى أسبانيا النصرانية ، مثل برغش ، ونيوداد ، وصورية وغيرها . وقد تلاثبت هذه الحمامات مع اشتداد حروب الاسترداد وتعصب الكنيسة التى قامت بمحو كل أثر للمسلمين من البلاد(٩٧) .

على أن أعظم ما ابتكرته قرطبة وقدمته لفن العمارة هو طريقة عمسل الأقبية التى تقوم على عقود متقاطعة وأضلاع متعارضة ظاهرة ، وهذه الطريقة تحل المعضلة الأساسية في فن العمارة ، ونعنى بذلك معضلة عمل الأسقف ، وذلك بنفس الطريقة التى اتبعت في العمارة القوطية التى ازدهرت بعد ذلك التاريخ بقرنين من الزمان (٩٨) .

وبرغم أن حركة الاسترداد في ذاتها كانت تمثل مظهرا لتعارض الثقافتين الاسلامية والنصرانية في شبه الجزيرة ، أكثر منها كفاحا دينيا

⁽٩٥) مؤنس ، المرجع نفسه ، ص ٢١٦ ٠

⁽٩٦) عوستان لوبون ، المرجع نفسه ، ص ٩٩٦. ٠.

Levi Provencal, op. cit, p. 136.

Balbas, Los edifios, pp. 110, 111

٠ (٩٨) ترفد ، الرجع نفسه ، ص ٢٤ ٠

اقليميا ، وادت الى اتجاه البسلاط الأشتورى او القشتالى فى بعض الأحيان نحو أوربا باحنا عن حلفاء له غير المستعربين ، وبالتالى الى عدم الاستقرار فى الفن الأسبانى ، فمرة يكون غربيا ومرة يكون عربيا ، الا ان غشتالة وأرغونة كاننا ميالتين للاساليب الفنية العربية لاسباب عدة ، أولاها الجنس ، فيكاد يكون سكان شبه الجزيرة الايبيية كلهم من جنس واحد ، وثانيهما ذلك الانسجام بين النسعبين نتيجة هجرة كثير من جماعات المستعربين اليهما ، الأمر الذى كان له أثره فى حياة كثير من الناس والشخصيات البارزة حتى الملوك ، وفى تطور العمارة وغيرها من اساليب المضارة (١٩) .

Aznar, Los constants de arte espanol, pp. 4 - 8.

إ - مظاهرات التاثيرات الحضارية ف ميدان الحياة الثقافية

كان أهم ماتركه مسلمو الأندلس من اثر في شبه الجزيرة هو الأثر الثقافي ، همنذ عصر الخلافة الأموبة امتدت شملة النور التي أضاءت سماء الأندلس الاسلامية الى شمال البلاد في أسبانيا النصرانية ، ومنها الى بقية انحاء أوربا ، كانت الأندلس اذن هي الجسر أو المعبر الذي عبرت عليه حضارة الاسلام الزاهرة الى شمال أسبانيا وأوربا ، فعملت على ارساء أسس حضارتهم وتخليصهم من حالة السحقوط الشنيع الذي أصابهم أبان القرن المعاشر الميلادي ، وأعطتهم قطوفها الدانية في علوم الطب والفلسفة والفلك والكيمباء والرباضيات ، الى غير ذلك من المعلوم التي لم تكن تعرفها اسبانيا النصرانية ولا أوربا في ذلك الوقت الذي كان لا يعرف القراءة والكتابة فيه هناك الا قلبل من الرهبان والقسيس والنبلاء (۱) .

ولقد كان لهذا السمو النقافي للأندلس الاسلامية رد فعل عند رجال الدين المسيحيين سواء في قرطبة أم في شمال أسبانيا النصرانية ، وان اختلفت طبيعة رد الفعل هذا عند الجانبين ، أما في قرطبة ، فقد دار الصراع الفكرى بين رجال الدين المسلمين والمسيحين واليهود ، وكانت حركة الاستشهاد المسيحي في قرطبة في منتصف القرن الثالث الهجرى / رفضا للثقافة الاسلامية الزاحفة ، يتضح ذلك من شكوى الفارو وغيره من القسس من اقبال مسيحيى الأندلس على الأدب والثقافة العربية واهمالهم الثقافة والأدب اللاتيني ، حتى أن الواحد منهم لا يستطيع أن يكتب رسالة بتلك اللغة ، بينها كان يتبحر في دراسة العربية وآدابها (") .

⁽۱) موربنو ، الرحم مقسه ، ض ۷ ، ۸ ، بالنثیا ، الرجم نفسه ، ص ۱۰ ، ۹۵ ، حتی آلرجم نفسه ، ص ۲۳۰ ، ۱۳۳ ، ربنو ، الرجم نفسه ، ص ۲۳۰ ،

⁽۲) بالنثبا ، تاریخ الفکر الاندلسی ، ص ه۸۶ ، ۱۸۸ ، دوری ، ملوك الطـــوانف ، سجم ۱۸ سـ ۹ •

كذلك كانت هناك أيضا شكوى من أدباء اليهود ، من أنصراف أهل ملتهم عن اللغة العبرية فقد جأر أبن جبيرول (11 ك - 37 ه - 1.11 - 1.70 م) بالشكوى من ذلك ، وأخذ يتحسر على أنصراف أخوانه في الدين من أهل سرقطة عن لغتهم المقدسة ويسميهم الجماعة العمياء ، أذ كان بعضهم يتكلم - على حد تعبيره - لغة أيدوم (Edom = عجمبة أهل الأندلس) ، وبعضهم الآخر يستعمل لغة كيدار (Kedar = اللفة العربية) ، وقد حاول غبره من كتاب اليهود الذين اسخطهم تكلم اليهود العربية وتفضيلهم لها على العبرية ، أن يثبت أن هذه الأخيرة لا نقل عن العربية ثروة وجمالا ، فأقبل على مقامات الحريرى وترجمها الى العبرية (") .

وقام اليهود والنصارى بعمل دراسات تستهدف النيل من الاسسلام والحطمن شانه فقام ابن حزم وغيره ، وهو من أعظم مفكرى الأندلس الاسلامبة وأثراهم وأغناهم فكرا وتأليفا وخاصة فى الأديان والمقارنة بينها ، والف، فى ذلك كنابا مشهورا يسمى « الفصل فى اختلاف الملل والأهواء والنحل » ، وقام هذا المفكر العظيم بخوض المعركة الفكرية الدائرة على أرض الأندلس مع اليهود والنصارى ، واستخدم معرفته للغة اللاتينية فى التعمق فى قراءة الانجيل والتوراة حتى أن خصومه اننقدوا عليه دراسته لهما ومناظرته لأصحابهما ، لكنه لم يعبأ بذلك وألف الكتب للرد على النصارى واليهود ، من اشهرها كناب « الرد على ابن النفريلة اليهودى » كما الف قصبدة طويلة من اشهرها كناب « الرد على ابن النفريلة اليهودى » كما الف قصبدة طويلة .

هذا في الأندلس الاسلامية ، أما في أسبانيا النصرانية فقد أهذا أهلها عن العرب واليهود — كما يقول كتاب النصارى المحدثين — الشعور الحساس بالدبانة ، وأصبح الدبن عاطفة وفنا ، يدل على ذلك ظك الطقوس الكنسية في أي مكان في أسبانيا ، والحماس الدبني لكثير من المكرين الدبنيين الأسبان ، وأعطى المسلم واليهودي الأسبان أبضا فكرة الاهتمام بالدين، كطريق للقومية ، وام بكن هناك رابط قبل ذلك بين الدبن والقومية ، ومن،

⁽٣) بالنثيا ، المرجع نفسه ، ص ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ١٠٥ .

⁽٤) محمد الراهيم الكناني ، اثر ابن حزم في الفكر المسيحي ، ص ٧٠ ، ٧١ ، ٧٩ ، ٠ .

ثم فان دول اسبانيا النصرانية جعلت من هيئة الصليب علامتها الحربية. ودليلها القومى ، وخاضت حربا صليبية ناجحة ضد مسلمي الأندلس (°) .

وفى الواقع فان البابوية والكنيسة الأسبانية ، لا المسلمين ، هما اللتان اعطتا هذا الشعور لنصارى الأسبان ، وهما اللتان دنعتاهم دنعا لخوض غمار حرب صليبية ضد مسلمى الأندلس ، وحرمتا عليهم الاشتراك فى الحروب الصليبية بالشرق الاسلامى حتى ينتهوامن أمر مسلمى الاندلس ، لأن حربهم معهم لا تقل شانا عن الحروب الصليبية بالمشرق ، حدث هذا عقب موقعة الزلاقة مباشرة واثناء استعداد أوربا للحروب الصليبة .

وقد ظهر تأثير الاسلام فيما يخنص بفكرة التوهيد في دول اسبانيا النصرانية بطريقة اخرى ، اذ قامت هناك بعض الحركات التجديدية في تعاليم الدين المسبحى وطقوسه ، وقد اعتبرها البعض حركات الحادية فيما آنار اسلامبة ، ففى القرن الثامن قامت حركة الحادية حسب تعبيرهم — في سبتمانية وبلاد الغالة القوطية تنكر فكرة الاعتراف المسيحية ، وتنادى بأن الاعتراف لا يكون الا لله وحده ولبس للقس ، ومن المعروف جيدا أن الاسلام لبست فيه هذه الفكرة ولم تكن المناداة بالغائها عند مسيحيى الشمال الا نتيجة للتأثر بالأفكار الاسلامية المنتشرة ، وقد اعتبر ذلك عداء للكانوليكية التي تجعل الاعتراف احد اركانها (١) .

وبالاضافه لهذه الحركة الهامة قام ميجينوس Migetus وبث الكرا ينكر التثليث ويقدرب بذلك من الاسلام ، وأهم من ذلك هو الحركة الخاصة بالتبنى والتى تقول بأن المسيح فيما يختص بناسوته انما هن ابن الله بالتبنى ، وكان الهدف من هذه النظرية هو الحط من شخصية المسيح لتمهيد المطريق للاتحاد بين المسيحيين والمسلمين بزعمهم ، وربما تعود هذه الحركة المحريق للاتحاد بين المسيحيين والمسلمين بزعمهم ، وربما تعود هذه الحركة الى آراء مطران طليطلة اليباندوس Elipandus وصديق فيلكس Felix السقف مدينة أو حل التوال التابعة لامارة قطلونية ، التى نادى بها

Crow, op. cit, pp. 14, 15.

٦١) نسون كريمر ، الحضيارة الاسلامية ، ص ٢٨ ٠

عام ١٦٤ ه / ٧٨٠ م وقال أن المسيح كان رجلا امتلا بالروح المقدسة ٤ وهكذا تبناه الله واختاره ، مما تسبب في حدوث انشــقاق داخل الكنيسة الأسبانية ، بسبب مناقضة تلك الفكرة للمقيدة الكاثوليكية التي تؤمن بعقيدة الثالوث المقدس وبأن المسيح هو الله (٢) .

وقد ذهب تأثير الفكرة الاسلامية في التوحيد الى نواح بعيدة في أوربا ، فلم تكن حركة تحطيم الأصنام بما حوته من أشأم النتائج ــ هكذا يقول أحد كتاب المسيحية ـ على الامبراطورية البيزنطية خالية كل الخلو من الأثر الاسلامي ويمكن أن نذكر بهذا الصدد أن كلوديوس الذي عين اسقفا لتورين عام ٢٢٠ ه / ٨٢٨ م والذي قام بطمس واحراق وازالة جميع التمائيل والصلبان في أسقيته قد ولد وتربى في أسبانيا الاسلامية (^) .

ولم بنابر العقيدة الاسلامية في جوهرها بالعقيدة المسيحية وان كانت هناك بعض الأفكار التي تسربت الى المسلمين في الأندلس نتيجة مجاورتهم المسيحيين وعيشهم معا في مكان واحد وعلى أرض واحدة . فيردد أحد كتاب المسلمين فكرة « الخلاص » — وهي فكرة مسيحية — في كناباته ، اذ يقول حينما ينحدت عن فساد الأديان ، ان حال الناس لا يصلحه الا نبي ، فان لم يكن زمن نبي ، فالقاضي مسئول عن ذلك كله « فعليه أن يصرح بالحق ، ويجرى الى الصلاح والعدل والتخلص ، وينظر لنفسه فعسى يتخلص ، مما يتسير على الأرجح الى فكرة الخلاص المسيحية (أ) .

كما أثرت حركة الاستعراب فى ذلك الصراع الذى قام بين النصارى المستعربين والنصارى غير المستعربين من قشتاليين والمرنج بخصوص مسألة الصلوات فى القرن الحادى عشر المبلادى . وكان الأخيرون يريدون حمل الأولين على استعمال الطقوس الرومانية فى الصلاة بدلا من المستعربة ذات

انظر ، الممسل الذاني ، الباب الاول ، ص

⁽٨) مسون كردمر ، المرجع مفسه ، ص ٢٩ •

⁽٩) ابن صدون ، ثلاث رسائل أندلسيه في الحسبه ، ص ٦٠ ٠

الطابع القوطى ، ولجأوا الى التحكيم ، ورغم أن النتيجة كانت فى صالح اللذهب المستعرب ، الا أن الملكة كونستانس زوجة الفونس السادس ملك قشيالة وليون ، وما يحيط بها من رهبان فرنسيو الأصل ، أصروا على استعمال الطقوس الرومانية ، انتصارا لارادة بابا رومة ، وقام النصارى المستعربون مدافعين عن طقوسهم فيما يشبه الثورة ، ونادوا بعزل الفونسو السادس الذي لا يحمى طقوسهم ، فابقى الفونسو على الطقسين معا ، وان كانت هناك رواية أخرى تقول بأنه استجاب لطلب البابا وقرر العمل بالطقوس الرومانية فقط (۱) .

وكان الفونسو السادس قد اتخذ طليطلة عاصمة لملكة ليون وقشتالة بعد أن سقطت في يده عام ٧٨ ه / ١٠٨٥ م . وكانت تلك المدينة أنهامة وعاصمة القوط القدامي قد أصبحت شيئا فشيئا مركزا للثقافة الاسلامية في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، بعد أن ضرب البربر قرطبة في أوائل ذلك القرن ، وبقى لها هذا المقام بعد الغزو المسيحي لها عام ٧٧٨ ه / ١٠٨٥ م ، فكان بلاط الفونسو السادس مصطبغا بالثقافة الاسسلامية ، بل أن الفونسو هذا أعلن نفسه « أمبراطور الملتين ، أو المعتبدتين ، وأصبحت طليطلة محجة يفد اليها طلاب العلم من شمال أسبانيا ومن كل أنحاء أوربا (١٠) .

وكان كنير من أذكياء الجلالقة والقشستاليين والليونيين والناغاربين يتعلمون العرببة ويقصدون حكام الأندلس ليعملوا في الادارات المختلفة وبختلطون بأشراف العرب ، وتجرى عليهم أحكام الاسلام ، ومن ظل منهم محتفظا بدينه نسى مبادئه وصار يحجب نساءه كالمسلمين ويقتدى بأزبائهم وألسنتهم وعاداتهم في مآدبهم ورفاهيتهم وأنسهم ولهوهم ، وقد نبغ نفر منهم ووصلوا الى منصب الوزارة (١٠) .

⁽١٠) روبرتسون ، أتحاف الملوك ، ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

شكيب أرسالان ، الحلل ، حد ١ ، ص ٣٨٨ ٠

⁽١١) ابن صاعد ، طبقات الامم ، ص ١٧ ، نرند ، الرجع نفسه ، ص ٥٤ ، ٥٥ •

⁽١٢) محمد كرد على ، المرجع نفسه ، ص ٣٩ ٠

ولم يقتصر الأمر على قدوم نصارى الشمال الأسبانى الى قرطبة التلقى العلم أو للعمل فيها ٤ بل وغد اليها كثير من أبناء أوربا كما أشرنا من على عبل ، وكان من أوائل هؤلاء الوافدين جربرت (البابا سلفستر الثانى) عام ٣٨٩ ه / ٩٩٩ م ، وقد ظل فى قرطبة مدة ثلاث سنوات (٣٥٦ – ٥٠٣ ه / ٣٩٠ م) يستقى العلم والمعرفة ٤ ولما عاد الى أوربا كأول سفير للعلم العربى أدهش الناس بما حمله اليهم من عجائب الفلك والزياضيات والحساب وعدوا ذلك من أعمال السحر والشعوذة (٣) .

وقد سبقت الاشارة الى استعراب السيد القبيطور ، وقيامه بالاستيلاء على بلنسية العربية عام ١٨٧ ه ، ومن المرجح جدا أن السيد كان يتكلم العربية بطلاقة في حفالت القصر في بلنسية ، وأن السامراء المسلمين والنصاري كانوا يتنافسون بين يديه — كل بلغته — في انشاد اشعارهم ، وهناك ملك آخر من ملوك الشمال الأسباني ، وهو بدور الأول ابن النونسو ملك أرغونة المنوفي عام ١١٠٤ م ، وكان هذا الملك من دعاة العنوم العربية ، وكان لا يحسن الا العربية كتابة ولا يوقع رسائله الايها (١٤) .

وسبقت الاشارة أيضا الى طلب الفونسو بايفاد اثنين من علماء فرطبة لنأديب ابنه وولى عهده شانجة (سانشو) ، وكان بلاط الملك يحتوى على أدباء من المسلمين واليهود المستعربين يكتبون له خطاباته الى ملوك دول الطوائف ويتخذ منهم سفراء اليهم ، بل انه كان يصحب في جيشه عددا منهم جريا على عادة الملوك في الأندلس ، وقد قام بعضهم يموحه في قصائد.

Pidal, Espanay la introduccion de la cincia arabe en (15)
*Occidente, p. 13.

Vellicrosa, El quebacer astronomico de la Espana Arabe, p. 312.

غوستان لوبون ، المرجع بنسه ، ص ه٩٠ . Pidal, op. cit, p. 14. (١٤) من الشعر ، وال على هذا على شيء قانما يدل على تفوق الثقافة الاسلامية وانتشارها في جميع ارجاء شبه للجزيرة (١٠) .

وكانت هناك حركة للترجمة نشأت في عدة بدن اسلامية ، ولكن أهم هذه المدن كانت طليطلة وخاصة بعد سقوطها في يد الفونسو السادس عام ١٠٨٠ ه / ١٠٨٥ م ، كانت هدنه المدينة عامرة بالمكتبات العربية ، وكان يقطنها جماعات ثلاث : المسيحيون والعرب واليهود ، وقد قام الأخيرون بيور الوساطة بين المسيحيين والعرب ، ثم بدأت حركة الترجمة من الفربية اللى اللاتينية ثم الى الأسلانية ، وذلك بدءا من أواخر القدرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى (١٦) ،

وكان مسلمو الأندلس قد نشطوا قبل ذلك في ترجمة الكتب الاغريقية مواللاتينية الى العربية ، ومن أمثلة ذلك كتاب ديو ستوريدس في الطب الذي أرسله الامبراطور البيزنطى قسطنطين الرابع الى الخليفة عبد الرحمن الناصر ، وقام نفر من عجم الأندلس بنقله الى العربية ، كما قاموا أيضا بنقل كتاب هورشيوس Horasius الروماني في التاريخ الى العربية في عهد الحكم المستنصر بن الناصر (٣٥٠ – ٣٣٦ ه) على يد أحد فقهاء قرطبة وأحد قساوستها المستعربين ، وبنى عليه أحمد بن محمد الرازى ما كتبه في الجغرافية التاريخية فيما بعد (١٧) .

ومما ساعد على رواج حركه الترجمة الى العربية ومنها الى اللغات الأخرى ، وجود عدد وافر من العلماء والأدباء المسلمين كانوا على معرقة باللغات الأجنبية ، وخاصة في القرن الخامس الهجرى الذى ازدهرت عيه العلوم والآداب الاسلامية ازدهارا كبيرا . من هؤلاء عبد الدايم بن مروان ابن جبر اللغوى نزيل ألمرية (ت ٢٦) ه) وعاصم بن أيوب الأدبب ، من

Pidal, op. cit, p. 14, Crow, op. cit, p. 96.

Vailierosa op. eit, 310.

مؤنس ، الحفر النبة والجغر السون في الاندس ، ص ٢١٦ ، ٢٣٤ ، ٢٥١ .

' إهل بطليوس (ت ٢٩٤ه) ومحمد بن موسى بن مُتح الأتصارى من أهل مطليوس (ت ٢٠٤ه) هشام بن محمد بن هشام بن محمد القيسى المعروف بابن الصحفى ، من أهل قرطبة ، (ت ٤٤٠ه) ، ويوسف بن عيسى بن مسليمان المنحوى من أهل شنتمرية الغرب (ت ٢٧٤ه) .

وليس بغريب ان يعرف ادباء قرطبسة وغيرها من حواضر الأندلس الأخرى اللغة اللاتينية أو لهجاتها الأخرى التى عرفت بالقشتالية أو البرتفائية أو القطلونية ، والتى دخلت فيها آلاف وآلاف من الكلمات العربية ، فقد كانت بلاد الأندلس وطنا تتعايش على أرضه اللغة العربية واللاتينية ، وأصبح الناس هناك ينكلمون الى جانب العربية التى كانت لفة رسمية ، رطانه لاتينية دارجة بسميها ابن حزم اللطبنية ، ويصفها البعض بعجمية أهسل الأنذلس ، كانوا يستخدمونها في شئونهم اليومية وأحاديثهم فيما بينهم ، بل أنها كانت شائعة حتى في بلاط الخلفاء (١٦) .

وكان بعض القضاة يعرفون تلك اللغة ويتكلمون بها ، كما تلقب كثير من الناس بألقاب أعجبية مثل البطرة شسقه أو البطرشك ، وهى كلمة مأخوذة من Petra Sica ومعناها الحجر البابس باللاتينية أو Petra Sica والأسبانية ، وهناك من تلقب بابن البائش أو البينش ، وقال ابن الأبار أن معناها بالعربيسة الرجلان لكننسا وجدنا أن الكلمة مأخوذة من لفظ أن معناها بالعربيسة ومعناها الأديب ، يؤيد ذلك أن لفظ البائش كان لقبا لعلى بن أحمد بن خلف الأنصارى ، وكان نحويا أدبسا ، مات بغرناطة ٥٢٨ ه (٢٠) .

⁽١٨) ابن بشكوال ، الصلة ، ح ١ ، ص ٢٧٪ ، ح ٢ ، ص ٤٢٧ ، ١١٥ ، ١٦٣ ، ٦٤٣ :

⁽۱۹) ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص ٤١٥ ، بالنثيا ، المرجع نفسه ، ص ٥٩ ٠ مورينو ، الرجع بفسه ، ص ٢ ، ١٤ ٠

⁽٣٠) ابن حزم المصدر بعسه ، ص ٨٩ ، ٩٠ ، الخشدي ، قضاة مرطبة ، ص ٩٦ ، ١١٨ ٠

ابن الآبار ، الحلة السيراء ، ح ١ ، ص ٢١٥ ، المعجم في أصحاب أبي على الصيرفي ،

خس 772 ، 77

Diccionario Espanol Arabic, p. 352.

وقد بلغت معرفة الناس باللغة العجمية الأندلسية مبلغا جعلهم يستخدمونها في الاحتيال لكسب المال أو في الحرب ، فقد كان بعض تجار الرقيق الغشاشين يستخدمون بعض النسوة الأندلسيات اللائي يجدن الكلام بالعجمية ويلبسوهن ملابس سبايا الروم ويبيعونهن على أنهن كذلك . كما حدث في أحد حروب إلمقتدر بن هود مع راميرو ملك أرغونة أن تعرض للهزيمة في أحدى المواقع لكن فتاه المسمى سعداره ، وكان رجلا شجاعا ، لبس زى الروم واستخدم مهارته اللغوية في الرومية والعجمية ، أذ كان يتكلم نفس لفتهم لمجاورتهم وكثرة مخالطنهم واحتال حنى دخل بين جنود ياميرو ، واقترب منه حتى تمكن من طعنه ، وصاح بالرومية : قنل السلطان يا معشر الروم ، فتخاذل عسكره وولوا منهزمين ، وانتصر المقتدر بتلك الحيلة اللغوية (٢) .

وكما اشتكى اليهود والنصارى من أهل ملتهم أنهم قد تركوا لغتهم وانكبوا على العربية ، كذلك كان لبعض كتاب المسلمين نفس الشكوى ، فقد رقع أبن شهيد (ت ٢٦٦ هـ) عقيرته لائما على المسلمين عيهم في الكلام بالعربية وأن لغنهم « ليس لسيبويه فيها عمل ، ولا للفراهيدي اليها طريق ، ولا للبيان عليها سمة ، انها هي لكنة أعجمية يؤدون بها المعاني تأدية المجوس والنبط ، وأنهم نحولوا الى العامية الصريحة وغلبت عليهم العجمة » (٢٠) .

ورغم أن علم النحو كان من العلوم الهامة في الأندلس الا أن كلام أهلها الشمائع سواء عند العامة أو الخاصة ، كان كثير البعد عما يقنضيه الأسلوب العربى السليم ، حتى لو أن أحدا سمع كلام الشلوبيني الذي كان يشهد له بتفوقه في علم النحو في مشارق الأرض ومغاربها ، لضحك بملء فيه لما في كلامه من شدة التحريف ، ولذلك اقتصر استعمال العربية الفصحي على الأدب والمكاتبات الرسمية ، ولم يعد من الناس من يتكلمها الا استثناؤه

⁽۲۱) الطرطوشي ، سراج اللوك ، ص ۱۰۱ ، السقطي ، آداب الحسية ، ص ٥٥ ، ٥٥ ، و٢٦) ابن شهيد برواية ابن بسام ، النخيرة ، ق ١ ، ح ١ ، ص ٢٢٩ ، ابن حيسان درواد ابن بسام ، النخيرة ، ق ١ ، ح ١ ، ص ٠٠٠٠

ا واستبردوه ، ولم يكن ذلك الا بسبب مجاورتهم ومخالطتهم للفرنج والأسبان - الذين أثروا في لفتهم وفي طريقة أدائها ، فقد كانوا يكثرون من الامالة والترقيق والتفخيم ، ولا يعقدون حرف القاف وانها ينطقونه « كانا » (٢٠) .

وقد أشار ابن حزم الى ذلك وقال عن أهل (بلى) شمال قرطبة أنهم لا يحسنون الكلام باللطينية ، وكأن الكلام بها كان شيئا عاديا ، كما قال عن أهل فحص البلوط ، وهم على بعد ليلة واحدة من قرطبة أن « من سمع للفتهم يقول أنها لفة أخرى غير لفة أهل قرطبة » ويعلل ذلك قائلا : « وهكذا في كثير من البلاد ، فأنه بمجاورة أهل تلك البلدة بأمة أخرى تتبدل لفتها قبسديلا لا يخفى على من تأمله » مما يؤيد ما ذهبنا اليه من أثر الجوار والاختلاط في اللغة والأدب (٢٠) .

وقد ظهر تأثیر عجمیة أهل الأندلس أو الأسبانیة المحلیة فی فنین أدبیین عظیمین قلما علی ید أهل الأندلس وأولهما وهو الموشحات التی ابتكرها مقدم بن معافر القبری الضریر (۲۲۰ ــ ۲۹۹ ه / ۸۶۰ ـ ۸۱۲ م) ، والزمادی وثأنیهما الرجل الذی ظهر علی ید ابن عبد ربه (ت ۳۵۳) والرمادی (ت ۱۱۲ ه) ، لكنه ذاع وانتشر علی ید ابن قزمان (۲۰ سال ۱۰۳ م) ، ورغم أن الموشحات كانت الفاظها عربیة فصیحة الا أنها تخلصت من القافیة الموحدة للقصیدة ، وكان التبری « یأخذ اللفظ العامی والعجمی ویسمیه المركز ویضع علیه الموشحة » (°) .

وللركز هذا كان يسمى الخرجة أو (التفسل) وهي أهم جزء في الموشح ، وواضح أن الخرجة كانت تكنب في لفة عامية أو عجمية ، ووجود الخرجات الأعجمية في مخطوطات الموشحات الأندلسية دون شرح لمعساني الفاظها ، دليل على أن هذه اللغة الأعجمية كانت معروفة لدى قراء الموشحات ، وهي تساوى في الدلالة الخرجات العامية ، مما دعا البعض الى القول بوجود اصل مشترك بنيت علبه الموشحات ، وهذا الأصل يعود

⁽۲۳) المقرى ، الصسدر بعسه ، د ۱ ، ص ۱۰۳ ، ۹۲ ، ۹۲ ، ۹۳ .

⁽٢٤) لين حزم ، الاستام ، ح ١ ، ص ٣١ ، جمهرة انساب العرب ، ص ٤١٥ .

⁽٣٥) ابن بسام ، الذخيرة ، ق ١ ، ح ٢. ، ص ١ ، ٢ ٠

الى أغانى فى العامبة العربية وفى العامية الأعجمية ، لأن اللغتين عاشتا . فى الببئة الأندلسية جنبا الى جنب ، وواضح أن تلك الخرجات أخذت من وتلك الأغانى العجمية التى امتد تأثيرها الى العامية العربية فى أغانيها ، ثم الى العربية الفصيحة فى موشحاتها (٢٦) .

اما الزجل فقد كسان كله باللغة العامية المختلطة باللغة الأعجمية أو الأسبانية ، وكان تطورا نتج عن الموشعطات التى شاع استعمالها فى الأندلس فى ذلك الوقت ، فقد نسبج العامة على منوالها واستحدثوا فن الزجل الذى لم يلتزموا فيه بالقافية ، وانما التزموا فيه بالنظم على مناحيهم وحسب لفتهم بالمستعجمة (٢٠) .

ومن المحقق - أخبرا - أن الزجل اسبانى ، لأنه يتحدث عن اعياد ومواسم لانوجد الا فى التقويم اللاتينى ، ولاستعماله الفاظا وعبارات من عجمية الأندلس مختلطة بلغته العربية الدراجة ، السى جانب اهماله للموضوعات الأدبية العربية التقليدية كوصف الرحلات فى القفار المهجورة وحياة البداوة والمتنقل والارتحال والبكاء على الأطلال الى غير ذلك ، واهتمامه بتصوير الحياة اليومية لمسلسى الأندلس والتى فيها ذكر كثير لعادات المستعربين وحياتهم(٢٨) .

وكما تأتر أدب الأندلس في لغته وزجله ومشحاته باللغة الأعجبية أو الرومانية أو الأسبانية وهي لغة مشتقة من اللاتينية كما سبق القول ، فقد أثر الأدب الأندلسي نفسه ولغته العربية في لغة المالك النصرانية في شمال أسبانيا و آدابها أيضا .

ذلك أنه عقب ظهور الموشحات والأزجال في الأندلس ، ظهر شمور يشبه عند الأسبال في الشمال وفي مقاطعة بروفاني في حنوب فرنسا ،

⁽٢٦) عبد المزدز الإهراني ، الزجل في الانطلس ، ص ٦ ، ٧ ، ٧٤ ، ١٥ ٠

⁽۲۷) المندي ، نمح الطلب ، ح ٤ ، ص ٢٠٠ ، أزهار الرياص ، ح ٢ ، ص ٢١٦ ٠

⁽١٨١) بالقديد ، الرجع دفسه ، ص، ١٥٥ ، ١٥٦ -

وسمى هذا الشعر عندهم باسم شعر التروبادور او التروغير جسب اللهجات. الفرنسية ، وباسم الجو جلاديس حسب لغية أهل تشتالة من الأسبان . ويمتاز هذا الشعر بأنه شبعر عاطفى يوقع على الآلات الموسيقية مثل الزجل ، ويقصدون به البيوت الأرستقراطية والبلاط الملكى(٢٩) .

وقد اختلف المستشرقون والباحتون كثيرا في منشأ هذا الشعر ، هل هم اخذوه عن مسلمي الأندلس ، أم أنه نطور طبيعي للشعر عندهم ؟ والأرجح عند كثير منهم أنه مأخوذ عن مسلمي الأندلس ، أو أن هناك قرابة بينهما على الأقل ، ذلك أن هناك تشابه في موضوعات هذا الشيط وشعر الزجل الأندلسي ، كها أن بعض أوزان هذا النعر الأفرنجي قشتالي يساوي أوزان الموشحات والأزجال الأندلسية ، أضف الى ذلك ، التمائل في تريب الأبيات وتعاقب القوافي ، مها يدل على التأثر الذي لا شلك فيه بين هذين النوعين من الشعر (٣٠) .

وقد لعبت سرقسطة في هذا المجال دورا كبيرا ، ذلك انها كانت مهبطا افرسان النصارى من كل جنس ، يجدون في بنى هود وفي بلاطهم الباذخ ساحة رحبة ، في الوقت الذي كانت فيه سرقسطة مركزا لأشعار الفروسية والشعر الغنائي الذي كان ينشر يومئذ في أرجاء قلطونية وارغونة ونيرة ، ومنها كانت تنتقل المقطوعات الغنائية الأندلسية الى المجتمعات النصرانية المجاورة ، فتؤثر في الملاحم والاناشيد التومية ، وقد انتقلت هذه المؤثرات فيها بعد بمضى الزمن عبر حبال البرنات الى جنوبي فرنسا ثم الى غيرها من المجتمعات النصرانية (٣) .

كذلك يرجع ظهور فن شعر الحب العذرى في اللغة الاسبانية منذ القرن الثاني الهجري / القرن الثامن الميلادي الى تأثير الشميعر العربي ، كما أن

⁽٢٩) ليفى بروفنسال ، أدب الإندلس وتاريخها ، ص ٢٤ ، ٤٥ ، الاسلام في المغرب والاندلس ، ص ٢٨٣ ٠

Pidal, Espana coma Elebon entre el cristianismo el Islam, pp7-10

⁽٣٠) أحمد أمين ، طهر الاسلام ، هد ٢ ، صن ٢٠٩ .

⁽٣١) عنان ، دول الطوائف ، ص ٢٩٦ ، لين بول ، قصة العرب في أسبانيا ، ص ١٢٧ .

الشمر القصصى الأسبانى الذى يتمثل فى قصيدة السيد القبيطور ذو اثر اسلامى واضح ، فمن المحتمل أن قائلها كان راهبا أسبانيا يعيش فى مملكة سرقسطة الاسلامية أو مستعربا من بلدة مدينة سالم ، وقد فرغ منها عام ٥٣٥ه / ١١٤٠م أى بمدوفاة القمبيطور بأربعين عاما ، وهى تدور حول حياة ذلك الفارس المغامرالذى كان يتقلب بين ماوك أسبانيا النصرانية وملوك الأندلس الاسلامية واصبحت بطولته ومغامراته مادة خصعة تثير خبال الشعراء والأدباء منذ ذلك الحين (٢٢) .

أما في ميدان اللغة والمغردات اللغوية ، فيتول بعض الباحنين المحدين المفردات العربية التي دخلت الى الأسبانية تقدر بربع محنوبات القاموس الأسباني ، بينما دخلت الى البرتغالية حوالى ثلاثة آلاف كلمة عربية ، واللغة القطلانية أيضا فيها الكثير من الألفاظ العربية ، ولم يكن ذلك الا بسبب أن طوائف من المسلمين انفسهم اتخذوها في لغتهم واطلقوها على أشياء سموها بها ، وانتقلت هذه الأشياء بمسمباتها الى نصارى الشمال ودخلت في لغتهم (٢٣) .

وعلى سببل المشال ولبس على سببل الحصر ، فان كلمة فندق هي. Fonda وطاحونة Tahona وتعريف Tarifa والأرز El Erros والسكر El Azucar والخزانة Alacena والساقية Acequia والمضدة Almohada والكرى (الابجار) والدكان Adoqurin Alquiler والقاضي Alcoba والقية Alcoba والبناء Alcalde • ومن الكلبات وفلان Fulano Alquitran والقطران التي دخلت البرتغالية ولم نستعمل أصلا في الأسبانية الحديثة ، القطيفة A lcatifa الفندق Alfandaga الخياط Alfaiate والرطل Arretel الى غير ذلك (٣٠) Safara وصحراء

⁽٣٢) حتى ، المرجع نفسه ، حـ ٢ ، ص ٦٦٨ ، بالنكيا ، المرجع نفسه ، ص ٥٠ .

⁽٣٣) ترند ، المرجع نفسه ، ص ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٩ ، محمد کرد علی ، ا λ ، المرجع بفسه ح ١ ه. ص λ ، λ ، λ ، المرحع بفسه ، ح ٢ ، ص λ ،

⁽٣٤) فريد ، الرجع نفسه ، ص ٣٧ ، ٤٠ ، ١١ ، ٢١ .

وبشكل عام فان اسماء الجبال والبلال والجزر والشواطىء الرملية والأنهار والبحيرات والينابيع الحارة ، والسهول والحقول ، والغابات ، والحدائقوالا زهار والأشجار ثم الكهوف والمناجم ، والألوان ومنشآت الانسان كالمزارع والقرى والمدن رالأسواق والمساجد ، والطرق المرصوفة ، والقناطر والقالاع والحصون والمطاحن والأبراج ، كل هذه أصبحت اعلاما جغرافية مأخوذة عن العربية (٣٠) .

وجبرالين Gibralbin غلفظة جبل تظهر في جبلكون Jabalcon وكلهة المدور اصبحت اسها Gibralfaro العجبال الفارو ونظهر كلمة وادى للمدينة المسماة Aimoda var del Rio Guadalquivir ووادي في معظم اسماء الاودية مثل الوادى الكبير المجارة Guadalajara ووادى المدينة Guadalajara ووادى ، ومجموعة مصطلحات الري Guadarrama الرملة ءوالهندسة المعمارية والحلى كلها ذات أسماء عربسة وعلى الجملة فقد أخذت الاسبانية من العربية الكثير ، واذا كان التأثير الأسباني والروماني على اللغة العربية عميقا فقد كان تأثير العربية على الاسبانية لا بقل عمقا بل كان أعمق منه يكثير (٣٦) .

واذا كان المستعربون واليهود هم اداة الاتصال بين الثقافة الاسلامية والثقافة المسيحية الاسبانية ، أو بتعبير آخر كانوا هم الذبن دفعوا حركة الاستعراب دفعا الى الشمال الاسبانى ، فان المدن التى سقطت فى يسد نصارى الاسبان مثل طلمنكة وطليطلة وبرشلونة وغيرها بقبت مدنا بعيش فيها العربية التى كان يتكلمها المدجنون والمستعربون لعدة قرون بعد فيها العربية التى كان يتكلمها المدجنون والمستعربون لعدة قرون بعد فنسلوا البقاء فيها ، ربما لمغنم قصد يصيبونه من العسلاقة الجديدة

⁽٣٥) درند ، الرحع دفسه ، ص ٤٧ ، ٥٠ ٠

⁽٣٦) ترند ، المرجع بمسه ، ص ٤٧ ، ٥٠ ، محمد الماسي ، الإعلام الحغرافيه الاندلسية ، مص ١٤ ، عبد العربر بن عبد الله ، العربية لغية العلم والحصارة ، ص ٢٦١ .

التى يمكن أن تنشا بينهم وبين الحكام الجدد ، أو حفاظا على أملاكهم م وعقاراتهم وعدم التخلى عنها (٣٧) .

وقد التزمت كتب الطبقات بالصمت عن ذكر هؤلاء العلماء والأدباء الا في القليل النادر جدا ، لأن نلك المدن لم تعدد ديار اسلام حسب تعبير أحدد اصحاب الطبقات، ولم نعثر في طليطلة مثلا الا على ترجمة لاثنين من عامائها بعد سقوطها في يد الفونسو السادس عام ٧٨٨ه / ١٠٨٥ م أولهما هو أحمد بن عبد الرحمن بن مطاهر الأنصاري ، وله كتاب في تاريخ فقهاء طليطلة وقضاتها أخبر به الحاكم أبو الحسن بن بقي وغيره ، ونقال عنه ابن بشكوال في كتاب « الصلة » كل ما نسبه اليه ، ويقدول عنه انه كان نقة فيما رواه ونقله ، وتوفى ابن مطاهر هذا في طليطلة عام ٩٨٨ ه ، أي بعد سقوطها في يدد النصاري باحدى عشرة سنة (٢٨) .

أما النانى فهو محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن جماهر الحجرى ، من أهل طليطلة وكان من أهل العلم والفكر ، رحل الى الحج عام ٥٥٢ هوسمح العلم بهكة ومصر ثم عاد الى وطنه وبقى فى طليطلة حنى نوفى بها عام ٨٨٤ ه أيام حكم النصارى لها ، من هذا نفهم ، أنه لم يكن هناك مانع من عودة المسلمين الى البلاد التى استردها نصارى الشمال اذا ما خرجوا منها للحج أو خلافه ، وظل هؤلاء يعيشون بين ظهرانى النصارى وسموا بالمدجنين ، وكانوا عاملا أو رافدا أو قناة من قنوات الاتصال بين الثقافة الاسبانية الناشئة (٢٩)،

لم يقتصر التأثير والتأثر على مجالات اللغة والأدب والأفكار والمعتقدات الدينية كها سبق القدول ، بل كان هناك تأثير في مجال العلوم الأخرى متل الطب والرياضيات والفلك ، فالأسقف Recisnundo والذي

⁽٣٧) مالنشيا ، المرجع نقسه ، ص ٨٨٤٠٠

⁽٣٨) ابن بشكوال ، الصله ، د ١ ص ٧٧ ، ٧٧ .

⁽٣٩) ابن بشكوال ، الصنة ، ح ٢ ص ٣١٥ ، ٣٣٥ •

يسميه العرب بربيع بن زيد والذى كان فى خدمة عبد الرحمن الناصر وكان سفيره الى الامبراطور أوتو أمبراطور المانيا ، وضع كتابا فى التقويم الفلكى نشره دوزى ، ووجد أن هذا التقدويم الذى كتبه ربيع باللاتينية ما هو الا ترجمة لتقويم عريب بن سعد مع بعض الزيادات ، ولاشك أن هذا الكتاب الفلكى اللاتيني قد وجد طريقه الى اسبانيا النصرانية (٤٠)

وكانت الثقافة اللاتينية حتى القرن الخامس الهجرى / الحادي عشر الميلادي ، بعيدة عن ذلك النشاط العلمي ، ولم يكن لأصحابها عام واسمع بالحساب أو الرياضة كالعرب ، وما كانوا يعرفونه في هذا المجال لا بعدو الا أن يكون جهودا أولية بجانب ما ظهر عند مسلمي الأندلس في ذلك الوقت ، ولذلك فليس من الفريب أن يحمل مستعربو الأندلس هذا العلم الى ممالك أرغونة وليون وكونتية برشلونة (1) .

وقد عتر الأستاذ بييكروسا على مخطوط هو الآن أحد مخطوطات مكتبة ريبول في محافظة برشلونة ، ويحمل رقم ٢٢٥ ، وهو مجموع عظبم من المقالات في الفلك والرياضيات مترجمة من العربية الى اللانبنية والترجمة اللاتينية نفسها حافلة بالمصطلحات العربية واستنتج هذا الباحث من دراسة ذلك المخطوط ان الفلك والرباضبات كانت مزدهرة في الأندلس قبل أيام الحكم المستنصر ٢٠٠٠ — ٣٦٦ هـ ، وازداد هذا الازدهار بعد ذلك على يد مسلمة المجريطي ومدرسته التي ازدهرت على يدها تلك العلوم في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، كما ظهر أيضا في ذلك الوقت في طليلطة الزرقالي الطليطلي والذي يعد اعظم فلكي عرفته أوربا قبل يوحنا كبلر (٢٠) .

أما الطب فقد نبغ فيه كثير من الأطباء النصارى واليهود في الأندلس الاسلامية ، وكانوا في البداية يعتمدون على بعض الكتب النصرانية المؤلفة

Villicrosa, op. cit., p. 312

Villicrosa, op. cit., p. 312 (£1)

Villicrosa, op. cit., pp. 312,313 (£7)

⁽٤٠) بالنثيا ، المرجع نَفسه ، صَ ٤٨٧ ، 4٨٨ ،

في غروع الطب وليس في اصوله ، الى أن ظهر بينهم من اعتمد على الأصول مثل كتب أبقراط وجالينوس وغيرهم ، ومن اشهر الأطبساء في الأندلس حسداى بن اسحاق ، الذي كان وزيرا وسفيرا لعبد الرحمن الناصر ، ولازلنا نذكر سفارته الى الملكة طوطة ملكة (نبرة) وعلاجه لحفيدها سانشو ملك ليدون ، معد أن عجز اطباء الشمال النصراني عن ذلك (٢٠)

وهناك مجال ظهر فيه مسلمو الأندلس الاسلامية وهو الفنون الزخرفية من نحت ورسم ونصوير وزخرفة على العاج والمعادن وقد تأثروا فبها بانفن النصراني ، فقد اقتبسوا من فنون القوط والفرنج والبيزنطيين والبنادقة لكنهم كانوا مبتكرين منشئين لفن اسلامي زخرفي محض أنر في غيرهم سواء في دول أسبانيا النصرانية أم في غيرها من دول أوربا ، وكان الاحتكاك مستمرا في هذا المجال بين الفنانين الأندلسيين وبين الفنانين البيزنطيين الذين أوفدهم أباطرة بيزنطة للاشتراك في تزيين ونقش المساجد والقصور والحمامات الاندلسية على عهد الخاذة ، ونتج عن ذلك أن بلغ الفن الاسلامي الأندلسي أوج ازدهاره في القرن الرابع الهجري (3) *

وكان عرب الأندلس أسبق الأمم الاسلامية في صنع التمانيل والصور وقد زينوا قصورهم ومعاهدهم منذ القرن الثالث الهجرى بالتمائيل والصور والنقوش التي تمثل الحيوان والنبات والطير ، أما التماتيل والصور البشرية مكانت نلقى نوعا من التحريم العمام ، لكنمه في عصر عبد الرحمن النماصر (. . ٣٠٠ س . ٣٥٠ ه) خطما الفن الأنداسي خطرة أخرى ، أذ صنعت التمائيل والصور البشرية ، فقد أمر الناصر برسم صورة جاربته وخظيته « الزهراء » على باب قصر الدينة التي سماها باسمها ، كما زينت أبهاء قصورها بتماتيل وصور بشرية فكانت ظاهرة فنية جديدة (٥٠) ،

⁽٤٣) ابن صاعد ، طبقات الامم ، ص ٧٨ ، أنظر الفصل الثالث ، الباب الثاني ص

⁽³³⁾ عنان ، نهابة الاندلس ، العصر الراسع ، ص ٣٨٣ ، أحصد أمين ، ظهر الاسلام ١٠

حد ۲۲ ، ص ۲۲ ۰

⁽٤٥) عنان ، المرجع منسه ، المصر الرابع ، ص ٣٧٨ ، أحمد أمين ، المرجع نفسه ، . ح ٣ ، ص ٢٠٠٠ ، المرجع نفسه ،

وفى ميدان التصوير ، يمكن أن نميز بين ثلانة أساليب ، الأول الأندلسى الطليطلى ذو الصفات الاسلامية الشرقية ، والثانى القطونى ، وهو صدى للاوربى والثالث القشتالى الليونى ، وهو مزيج من الاننين مع احتفاظه ببعض خصائصه ، والمقصود بالتصوير هنا هو « صور المخطوطات » وقد. ظهر فى هذا الفن أثر المستعربين بصورة قوية جدا على يد ماخيو الدى ترك اسمه مدونا فى خاتمة تفسير الكتاب اللاخير من المهدد الجديد المعروف بكتاب الرؤيا الذى أتمه فى عام ١٢١٤ه / ٩٢٦ م .

وقد أصاب هذا الفنان نجاها عظيما حتى أن مصورى لياون وقشالة ظلوا يسيرون على منواله حتى أواخر القرن الخامس الهجرى / الحادي عشر الميلادي(٢٠) .

وبتحليل فن (ماخيو) نلاحظ أن كل ما يتعلق بهمن أساليب فنية فى العماره والزخرفسة قسد ورد كاملا من الأندلس وهو مستعرب ، ولعله تعلم طريقسة النلوين بالمساء من هنساك ، كمسا يستدل على ذلك من اشار تاريخية في الانجيل الاشبيلي ، ولم يأخذ شيئا من الزخسارف المشمالية ، ولا من تلك التكوينسات الموجسودة في البوابات والأشكال ذأت الأنر الاوربي ، وانهسا استوحى فنه من الفن المستعرب (٤٠) .

واذا كان ماخو قد أحدث نورة فى تنسيق المخطوطات بأراضى ليون ، فان هناك راهبا آخر فى قشتالة أضفى على الخط المستعرب رشاقة وجمالا يجعل من خطوطه ألمع خط فى عصر الخالفة ذلك هو ملورنثبو » الدى ولد عام ٣٠٦ه / ١٨٨ م واخذت تظهر براعته منذ عام ٣٣١ه / ٣٤٣م ، وكان فنه الزذرفي مشرب بالروح المستعربة خاصة فى استخدام عقود حدوة الفرس والتوريقات والنقوش العربية الكونية (١٠٠)،

1.7

[•] ۱۹۷۹ ، ۱۹۷ ، ۱

⁽٤٧) مورينو ، المرجع يفسه ، ص ٤٨٣ ٠

⁽۲۸) مورديو ، المرجع بنسبه ، ص ۲۸۲ ٠

وكان الخزف المزخرف في عصر الخلافة قد ازدهر ازدهارا كبيرا ، بحيث تجاوز في قيمته الفن المسيحى الأوربى بما في ذلك الفن البيزنطى ، وقد ادى ذلك الى نشاط تجارة الصادرات من هذا النوع من الصناعات الفنية الى شمال أسبانيا والى دول حوض البحر المتوسط كها أدى الى ظهور مصانع للخزف في أسبانيا النصرانية في ترويل Toruel وقطلونية Paterna وكذلك في بروفانس بجنوب فرنسا(٢٠) .

وكانت هناك بعض التحف الفنية التى تصنع من العالج ، وتوجد منها اثنتان محفوظتان بسان ميان دى لاكوجيا San Millan de la cogolla تهنل تغلفل الطابع الأندلسى بشكل واسع وتتسم بتأثير من قرطبة ، ومن المكن ارجاع صناعتهما الى عام ٣٣٦ ه / ٩٤٨ م وهو تاريخ تدشسين هذه الكنيسة . والتحفة الأولى عبسارة عن صليب للاحتفالات الدينية ذى حجم كبير ، والثانية مذبح متنقل عليه نقش بلغة مستعربة ورسوم حيوانات صغيرة الحجم بين توريقات مثلما كان موجودا في الآثار الماضية التى ترجع الى عصر الخلافة (٥٠) ولا يزال في الفن الروماني الاسسباني ما يدل على صلته بالفن الأندلسي ممثلا في المعادن الثمينة المزخرفة بالميناء السوداء ، والذي ظهر في المتنان بقش مضغوط لكتابات كوفية كما في الصندوق المقدس ، وثمة قطع أخرى مماثلة بصعب قراءة ما بها من نقوش مثل العلبة الصغيرة المنسوبة الى المطران أريانو Oviedo ، وكلاهما محفوظ في أبيط Oviedo وترجعان الى حوالي سنة Ovialo ، وكلاهما محفوظ في أبيط Oviedo وترجعان الي الفنون كان محببا ولم شر نفور المسبحيين ، نقصد هذب الذوق الفنى في دول أسبانيا النصرانبة في ذلك الوقت (٥٠) ،

⁽٤٩) مورينو ، الرجع نفسه ، ص ٣٦٩ .

⁽٥٠) مورينو ، المرجع نقسه ، ص ٤٨٦ ، ٤٨٧٠

⁽١٥) مورينو ، المرجع نفسه ، ص ٤٨٧ ٠

ه ـ التأثرات الحضارية في ميسدان الحيساة الاقتصادية

أ ـ الزراعـة:

بلغت الزراعة والصناعة والتجارة فى الأندلس الاسلامية ، وخاصة فى عصر الخلافة الأموية شاوا عظيما من التقدم والازدهار ، نظرا لعامل الاستقرار والأمان الذى حققه عبد الرحمن الناحم وخلفاؤه من بعده بعد أن أخضعوا نصارى الشمال وعقدوا معهم معاهدات السلام .

والأندلس بطبيعتها قطر يمكن ان يحقق الاكتفساء الذاتى لسكانه ، بسبب تنوع موارده وتباين اقاليمه المفاخية واختلاف مواسم سقوط المطسر في شرق الأندلس عن غربه ، لذلك تنوعت المحاصيل الزراعية واستمر ظهور الفاكهة على مدار العسام ، وكثرت محاصيله وفاكهته حتى صدرت الى ممالك اسبانيا النصرانية وغيرها من دول العسالم الأخرى .

وقد عبر عن هذه النظرية في الاكتفاء الذاتي الذي تتمتع به الأندلس الخليفة المنصور بالله العباسي عندما قال عن عبد الرحمن الداخل « ماذا يقال في رجل يركب من انتاجه ويلبس من ديباجه ، وينفق من خراجه (١) .

وكان هذا الاكتفاء امرا ضروريا لمن يقيم سياسته على الاسقلال بتلك البسلاد ، وعلى جهاد اعدائها سواء من نصارى الشمال ام مسلمى المغرب وافريقية من الفاطميين والعباسييين ، ولهذا فقد عمل حكام الأندلس اقصى ما في وسعهم لاستغلال ثروات البلاد ، فاستصلحوا الأراضى وأقاموا المصانع وتبادلوا التجارة مع اقطار أسبانيا النصرانية ومع بالد أوربا ودل حوض البحر المتوسط الأخرى ، حتى أن أحد كتاب

⁽۱) الرازى برواية المقرى ، نفح الطيب ، ح ۱ ، ص ، ٦ ، ٦٦ ، ابن الخطيب ، اعمال Chapman, A history of spain, p. 3 ، ص ، ٢ ، ص ، ٢ ، ص

المغرب وهو أبو على بن الربيب القروى ، ارسل الى احد وزراء الأندلس أبو المغيرة عبد الوهاب بن حزم رسالة يشير فيها الى رواج الحالة الاقتصادية بالأندلس ويقول « انها مقصد كل طرفة ومورد كل تحفة ، ان بارت تجارة أو صناعة فاليها تجلب ، وأن كسدت بضاعة فليها تنفق »(") .

وقد اقام مسلمو الأندلس زراعتهم لأراضيهم وضياعهم على اساس من التوانين الزراعية التى اختصت بها دون غيرها من البلاد ، وعلى اساس نظام جيد للرى ، من شف للترع والقنوات وبناء للنواعير أو السواقى التى نقلها عنهم نصارى أسبانيا الشمالية ، يدل على ذلك أن اللفظ المستخدم في الأسبانية للتعبير عن هذه الآلة وهو Noria مأخوذ عن اللفظ العربى (ناعورة) و accadus من لفظ (الساقية) العربى ، و accadus هو القادوس الذي يستخدم لنقل الماء من جوف الأرض وصبه على سطحها(") .

وقد أدخل العرب أيضا إلى الأندلس زراعة الأرز والقطن وقصب السكر والتوت والنخيل ، وأنواع الزهور التى انتشرت زراعتها أيضا في شمال أسبانبا النصرانية بل في أوربا كلها ، يدل على ذلك أسهاء تلك الزهور وغيرها مها استعارته اللغة الأسبانية ، وكذلك الحال في الفاكهة ، فقد أدخل العرب أيضا كثيرا من الأشجار المثمرة اللي البسلاد ، مثل البرتقال والتفاح والبرقوق والمشمش ، وانتقلت زراعتها إلى أسبانيا النصرانية وعرفتها بأسمائها العربية فالبرقوق والمثارثوق والمناسمة في المناسبة وعرفتها مناسبانيا والنصرانية وعرفتها بأسمائها العربية فالبرقوق المناسبة وعرفتها المناسبة في المناسبة في النصرانية وعرفتها المناسبة المناسبة في المناسبة في النصرانية وعرفتها المناسبة المناسبة في النصرانية وعرفتها المناسبة المناسبة في المناسبة المناسبة في المناسبة والمناسبة المناسبة المناسبة في المناسبة في المناسبة المناسبة المناسبة المناسبة في المناسبة في المناسبة والمناسبة والمناسبة

⁽۲) أبن بسام ، النخيرة ، ق ۱ ، تد ۱ ، ص ۱۱۲ ، ۱۱۲ ، حيدز بامات ، مجسالي آلاسسادم ، ص ۱۰۲ ، ۱۰۷ ، ۱۰۷ ، آلاسسادم

⁽٣) محمود على مكى ، مدريد العربيه ، ص ٤٨ ٠

⁽٤) ياقوت ، معجم الدادان ، ح ۱ ، ص ٢<u>٠٤</u> ، حتى ، المرجع نفسه ، ح ٢ ، ص ٢<u>٠٤٠ ،</u> حيدر بامات ، مجالى الاسلام ، ص ١٠٧ . . . 118, 119. . . ١٠٧

وفي الوقت الذي ازدهرت غيه الزراعة في الأندلس الاسلامية كانت السبانيا النصرانية تعيش على ما تستورده منها من محاصيل ، أو على ما تستنبته من زروعات ونباتات أخذت زراعتها عن الأندلس أيضا . ذلك انها كانت بلاد تميل الى رعى الأغنام ، بسبب طبيعتها الجبلية ، وتربتها الفقيرة ، وجوها الشحيح بالأمطار الكافية للزراعة ، وبسبب نظامها الاقطاعي العتيق الدذي يقدوم على أساس استعباد الفلاحين والعمال ، الاقطاعي العتيق الدني يقدوم على أساس استعباد الفلاحين والعمال ، أضف الى ذلك طبيعة الأسباني نفسه الذي كان يأنف من العمل اليدوى في الأرض ، وإذا عمل فانها يعمل في الرعى فقط ، وأدى ذلك الى فقد البلاد والى اتجاهها دائما نصو الجنوب في الأندلس ، أما للاقتباس الخضاري سواء في مجسال الزراعة أم في غيره من المجالات ، وأما لشراء ما يلزمها من محاصل بواسطة تجار اليهود ، أو للاغارة ونهب ما تصل اليه أيديهم من محاصل ومؤن (°) .

ب ــ الصـناعة:

اما الصناعة فقد بلغ مسلمو الأندلس فيها شاوا عظيما ، ويكفى انهم عرفوا فكرة استخدام قوة سقوط الماء فى ادارة الأرحية والطواحين وهى فكرة علمية حديثة تستخدم الآن لادارة التوريبنات لتوليد الكهرباء ويصف الادريسي ذلك بقوله أنه « كان في مدينة المنكب في شرقى الأندلس بناء مربع مرتفع كالصنم أو المنار ، أسفله واسع وأعلاه ضيق ، وبه حفرتان على جانبيه متصلتان من أسفله الى أعلاه ، وبازائه من احدى جوانبه حوض كبير يصب فيه الماء بعد أن يكون قد أتى من بعيد الى أعلى المنار ، ثم يهبط الى الحوض فيدير رحى صغيرة»(١) .

ويبدو أن هذه الرحى المائيسة قد اندثرت أيام الادريسى الذى ألف كتابه بعسد سقوط هذه الناحية في أيدى النصارى ، وكان هؤلاء يدمرون كل أثر للمسلمين كما هو معروف . وهناك من يقول أيضا أن مسلمي الأندلس قد

Crow, op. cit, pp. 13, 111, 124, 125.

⁽١) الادريسي ، صسفة المغرب ، ص ١٩٩٠ •

عرفوا فكرة رفيع المساء من الآبار ، وانهم اخترعوا آلة لذلك ، ويبدو أنه تقصد « الشادوف » أو الساقية مها لم تعرفه الأندلس من قبل ، بل أنهم بنوا القنوات المعلقة واخنرعوا أنابيب الرصاص لجلب المساء الى المدن من أعسالي الجبال ، مما يدل على نهضة صناعية عظيمة توافرت للأندلس في عهد بنى أميسة ، ودول الطوائف(٢) .

وقد توافرت المواد الخام وخاصة المعادن اللازمة لتلك المسناعة في معظم أنصاء شسبه الجرزبرة ، فمعدن الحديد يوجد في المرية في شمال شرقي شرطبة وفي مربيطر قرب بلنسية ، والذهب في لاردة وساحل أشبونة ، والفضة والزئبق في قرطبة وتدمير وبجانة وفحص البلوط ، والنحاس في شمال الأندلس ، والملح الاندراني في سرقسطة ، والرخام في المرية ، والعنبر والكهرمان في بحسر شذونة ، وحجسر اللازورد والمغناطيس في ندمير ، والمرجان في ساحل يبرة من عمل المرية ، والقصدير في أشكونهة وحجر التونيا والكحل في البيرة وطرطوشة والزعفران في طليطلة(^) .

ونظرا لتوافر هذه المواد الخام الكثيرة فقد قامت صناعات كثيرة في الأندلس الاسلامية ، منها صناعة آلات الحرب من التراس والرماح والدروع والسروج والألجم والمغافر في قرطبة وطليطلة ومجريط (مدريد) وكان أهل الأندلس وكذلك نصارى الشمال يهتمون بهذه الصناعات اهتماما كبيرا نظرا لكثرة الحروب التي كانت تنشب بينهم . كما قامت صناعة السفن الحربية والتجارية في مدينة المرية ولقنت وطركونة على عهد عبد الرحمن الثاني والثالث ، وفي جزبرة يابسة شمال مبورقة (٩) .

وقد المتازت المرية بالاضافة الىصناعة السفن بأقوى صناعة نسيج في الأندلس ، فقد كان يوجد بها ٨٠٠ نول لصناعة الملابس الحريزية ،

 ⁽۷) آلمتری ، ازهار آلریاض ، ح ۲ ، ص ۲۲۲ ، حیدر بامات ، آلرجم نفسه ، ص ۲۹۲ ،
 (۸) الرازی بروایة المقری ، النفع ح ۱ ، ص ۷۰ ، ۹۳ ، مؤنس ، الجغرافیة والجغزامیون فی الانطس ، ص ۲۱۵ .

⁽٩) الادريسي ، المسدر نفسه ، ص ١٩٣ ، ابن سعيد برواية المترى النفح ، ح ١ ، ص ١٩٠ ، المترى ، النفح ح ١ ، ص ١٩٠ ، ١٩٣ ، من ١٩٠ ، المترى ، النفح ح ١ ، ص ١٩٠ ، ١٩٣ ، لحرى ، النفح ح ١ ، ص ١٩٠ ، ١٩٣ . Levi - Provencal, Inscriptions, p. 83.

والف نول لصناعة الحلل النفيسة والديباج الفاخر ، والف نول للاستلاطون والف نول للثياب الجرجانية ، ومثلها للتياب الأصفهانية والعنابى والستور المكللة ، وقامت صناعة النسيج أيضا في قرطبة حيث كان بها ثلاثة عشر الف حائك ، وفي غرناطة وبسطة ومالقة وصناعة الكاغد (الورق) في شاطبة وبلنسية ، واستخراج الزئبق في حصن أبال شمال قرطبة ، وصناعة البسط في فننالة بمرسية ، وصناعة الأدوات المنزلية مثل السكاكين والمقصات الذهبة من النحاس والحديد في مرسية ، والفضار العجيب والزجاج البللورى في مالقة وطليطلة (۱) .

هذا عن الصناعة وتقدمها في الأندلس الاسلامية أما في ممالك أسبانيا النصرانية ، فقد كان هنداك أبضا الكثير من المعادن مثل الذهب في شنت ياقب ، والحديد والنحاس والمعادن الأخرى في جليقية وأشتريس وليدون وقشتالة ، ولذلك نهضت بها صناعة الأسلحة وخاصة في برغش عاصمة مملكة قشتالة ، وكانت هناك صناعة أقمشة في مدن عديدة مثل سورة وافيلا (آبلة) وشقوبية وصورية والقلعة ودريد وطليطلة وكنكة ، لكنها لم تصل الى مستوى منسوجات الأندلس الاسلامية ، ولذا كانت نساء الطبقة الأرستقراطية هناك يستوردن ما يحتجنه من أقمشة حريرية وغيرها من قرطبة وغيرها وكن ينتظرن وصول بجار اليهود بفارغ الصبر (١٠) .

وقد كانت صناعة الصوف والحرير مزدهرة في طليطلة ، ولم يكن ذلك الا بفعل الصناع المسلمين الذين بقوا فيها عقب مسقوطها عام ١٠٨٥ه / ١٠٨٥م حتى بلغ عددهم عشرة آلاف صانع ، وكان قربها من جبل الشارات

. mak , EV 4

Crow, op. cit., p. 125.

^{......}

⁽۱۰) الادريسي ، آلصدر تفسه ، ص ۱۹۲ ، ۱۹۷ ، ۱۹۷ ، المقرى ، المصدر نفسه ، ه ۱ ، ص ۷۶ ، ۷۸ ، محمد العروسي المطسوئ ، الحروب الصلابية في الشرق والمغرب ، من ۱۷۲ ، مؤنس ، الجغرافية والجغرافيون ، ص ۲۱۵ ، ص ۲۱۲ ، ترند ، المرجع نفسه ، ص ۲۱۸ ، لين بول ، المرجع نفسه ، ص ۱۲۹ ، ص ۱۱۹ ، ابن سعيد برواية المعرى ، النفع ، ح ۱ ، ص ۲۷ ، آبن سعيد برواية المعرى ، النفع ، ح ۱ ، ص ۲۷ ، آبن سعيد برواية المعرى ، النفع ، ح ۱ ، ص ۲ ، آبن سعيد برواية المعرى ، ابن سعيد ، بسط الارض ، ص ۱۱۲ ،

الذى يمتاز بكرة المراعى ووفرة الأغنام التى تربى عليها مما هيا موردا هما من مادة الصوف الخام اللازم لنلك الصاعة . وبقيت في طليطلة النصاعة الأسلحة وكثير من الصاعات الأخرى ، يدل على ذلك شوارعها وازقتها التى ظلت تحمل اسماء تدل على الصناعات الموجودة بها مثل شارع النحاسين والدباغين والقزازين والصباغين والعطارين والجزارين الى غير ذلك من الصناعات الأخرى(١٠) .

وقد تأثرت صناعة النسيج في أسبانيا النصرانية بمثيلتها في الأندلس الاسلامية ، يدل على ذلك قطع النسيج التي عثر عليها في الكنائس ، فهناك البطانة الموجودة في صندوق العاج الذي أهداه فرديناندو الأول لكنيسة سان أيسيدور لحفظ مخلفات سان خوان باتستا وسان بلامون سسنة ١٥١ ه / ايسيدور لحفظ مخلفات سان خوان باتستا وسان بلامون سسنة ١٥١ ه / ١٠٥٩ م ، والنسيج قطعة به صور طيور وحيوانات ذات أصل عربي ، وعليه كتابة عربية لعل قراءتها كالآتي : « النفع ذخرا لمن أراد العالم الآخر ، مما يدل على انها نسجت صراحة لغرض كنسي بأيدي خلفاء أولئك المستعربين من نسساجي الملك الذين كان آواهم الفونسسو الخامس عام ١٦٤ ه / ٢٠ م (١٠٠) ،

وقد ظهرت مصانع للخزف والقيشانى فى قطلونية وبطرنة وترويل بتأثير من المصانع الاسلامية ، لأن الأسبان كانوا متأخرين فى المصانع الدقيقة ، وكذلك قامت فى طليطلة صناعد الفخار الأسسبانى ذى البريق المعدنى الذى يعتبره الهواة بعد الخزف الصبنى مباشرة فى الجمال والقيمة المفنية ، وكان أول ورود لذكر هذه الصناعة فى طليطلة عام ٥٩٤ ه / ١٠٦٦ م أى أيام أن كانت فى يد المسلمين وبقيت بها بعد سقوطها فى يد النصارى ، وكانت تنقش عليها نقوش أسبانية وترسم عليها الرنوك ، مما يدل على أن المفار العربى كان يصنع للبابوات والكرادلة أيضا ، وقد أشار أحدهم الى هؤلاء

⁽۱۲) الادریسی ، المصدر نفسه ، ص ۱۸۸ ، روبرنسون ، الرجع نفسه ، ص ۳۲۵ ف محمود علی مکی ، الرجع نفسه ، ص ۸٤ .

٠. (١٣). موريدو ، الفن الاسلامي في أسبانتيا ، ص ١١٧ ، ٢١٨ .

الصناع العرب بقوله « انهم فقراء الى ما لدينا من ايمان ونحن فقراء الى ما لديهم من صناعة » (١٤) .

كذلك كانت صناعة علب الحلى المصنوعة من العاج في كونكة وقشتالة ذات طابع اسلامى ، ويظهر هذا الطابع أبضا في صناعة المصوغات والأوانى الزجاجية والفخار والأبسطة والكئوس والصلبان والنيجان الملكية في قشتالة ، وملابس القسس التي كانت تحمل غالبا زخرفة اسلامة ، وهكذا نرى أن الصناعة الاسلامية أثرت في الصسناعة النصرانية في شمال اسبانيا ، ويعلل بعض كتاب النصارى ضعف الصناعة الأسبانية بسبب وجود المسلمين الذين حاصروها بصناعاتهم وتجاراتهم التي كانت حكرا عليهم وعلى اليهود ، كما انهم فرضوا عليهم عملتهم العربية ، مما جعل نصارى الشمال لا يشعرون بميل الى النشاط الاقتصادى (١٠٠) .

ويبدو أن هذا القول مغالى فيه كثيرا ، لأن سبب تأخر الصناعة في شمال أسبانيا لم يكن مرده الى المسلمين ، فقد كان هؤلاء مصدرا من مصادر النهضة الصناعية التى امتدت لتشمل الشمال الأسباني وجنوب فرنسا . وكان النظام الاقطاعي الذي كانت تعيشه دول أسبانيا النصرانية هو المسئول عن ذلك ، فقد كان التاج والكنيسة والنبلاء يملكون الأرض ويفرضون الضرائب الباهظة على السلع ، بسبب احتباجهم الشديد للأموال اللازمة للانفاق على حروبهم الكثيرة مع مسلمي الأندلس ، اضف الى ذلك احتكار بيع سلع معينة وقصر التجارة فيها على الرهبان ، فقد كان رهبان دير ساها جون مثلا يتمتعون بحق احتكار بيع النبيذ والأقمشة والأسماك والأخشاب ، فلا ينافسهم فيها أحد والا تعرض المصادرة والغرامة ، وهذا أدى الى تأخير النشاط التجاري الذي أدى بدوره الى ضعف النشاط الاقتصادي بوجه عام (١٦) .

⁽۱٤) تربّد ، الرجع نَفسه ، ص ۲۸ ، ۲۹ ، موریتو ، الرحم نَفسه ، ص ۳٦٩ ، محمد کرد علی ، المرجع نفسه ، ص ۱۱ ۰

⁽۱۵) ترند ، الرجع بفسه ، ص ۵ ، ٦ •

Levi-provencal, la civilisation en Espagne, pp. 136, 137. Crow, op. cit., p. 126. من ١٣٩ من ١٣٥. ١٢٥)

د ـ التجارة:

ونيچه لتأخر دول أسبانيا النصرانبه في الصناعه والزراعة فقد هامت تجارة رائجة بينها وبين الأندلس الاسلامية وخاصة في اوقات السلم ، ومن الغريب أن الحروب كان يعقبها نشاط تجارى عظيم ، ذلك أن التجار من اليهود وغيرهم كانوا يصاحبون الجيوش ويمشون خلفها ، انتظارا لما يقع في أيديها من السبى والغنائم وما كان أكثره في تلك الأبام ، وقد حدث ذلك أثناء الصراع الذي دار بين المرنضي الأموى وبين صنهاجة عام ٩٠٤ ه / أثناء الصراع الذي دار بين المرنضي الأموى وبين صنهاجة عام ٩٠٤ ه / الحملة الصليبية الأوربية الأسبانية عام ٢٥١ ه / ١٠٦٤ م ، وكانت هذه عادة تتمشى تماما مع طبيعها الحروب وما يتبعها من نهب وسلب لابد أن يجد سوقا تستوعب ما زاد عن حاجة الجنود والغزاه (١٠) .

ولا بد أنه كان يصاحب السفارات أو البعثات الدبلوماسية التى كانت تأخذ الجزبة من ملوك الطوائف ، والسخارات النى كانت تأتى تبل ذلك أيام الخلافة لطلب السلام ، نشاط تجارى واسع ، فقد كانت العطايا والهبات من الملابس الفاخرة والأدوات والحلى والتحف الفنسة التى كان يقدمها الخليفة لأفراد نلك السفارات ، لا بد أنها كانت تجذبهم الى شراء ما يلزمهم قبل الرحيل الى بلادهم ، وكانت تجعل نساء القصور في ليون وقشتالة يحثون تجار اليهود على جلب المزيد منها من أسواق قرطبة وغيرها من المدن الأندلسية (١٨) .

وقد وردت انسارات عديدة على لسان المؤرخين والجغرافيين العرب الأندلسيين على أن هذه الصناعة أو نلك قد عمت جميع بلاد الأندلس أو بلاد الأندلس والكفر ، يقصدون بذلك جميع شبه جزيرة أيبيرية كلها ، خاصة

Levi - Provencal, op. cit., pp. 127 - 129.

⁽۱۷) أبن حيانَ بروأية أبن بسام ، الذخيرة ، ق ۱ ، ح ۱ ، ص ٣٩٨ ، أبن حيان برواية المرى ، النقح ، ح ٢ ، ص ٥٧٥ ، رينو ، المرجع نفسه ، ص ٢١٧ .

(۱۸) ليقي بروقنسال ، الاسلام في المغرب والانطس ، ص ٣٠٢ .

وان الصناعة الأندلسية كانت منفوقة ، حتى ان نصارى قشنالة كانوا بغضلون سنوف اشبيلية على سيوف مدنسة بوردو التى نسميها الرواية العربية بردبل والسيوف البردليات ، فقد جاء فى وصية احد قادتهم « أوصى أيضا لابنى بسيفى القشتالى الذى صنع فى اشبيلية ورصع مقبضه بالذهب ونفيس الجواهر ، وكانوا يفضلون أبضا الملابس العربية التى كانوا يستوردونها من الأندلس الاسلامية (١) ،

المراكز التجارية:

وازدهرت هذه التجارة عند مناطق الحدود مع الثغور الاسلامية وعند المدن الساحلية الاسلامية ، مثل المرية وطرطوشة وطركونة ، والمدن النصرانية مثل برشلونة واشبونة وشنت ياتب ، فقد كانت برشلونة بموقعها الجغرافي بين دول اسبانيا النصرانية والاسلامية سومًا رائجا للسلع الاندلسية والأسبانية ، فكان يأتيها من الأندلس الحرير والصوف والأتمشة والجلد وتصدرها الى نصارى الأسبان أو الى بلاد حوض البحر الأبيض المتوسط الأخرى (٢٠) .

وكذلك كانت المرية « محطا لسنن النصارى ومجتمعا لديوانهم » ومنها كانت تصدر سلعهم الى سائر بلاد الأندلس » ومنها أيضا كانوا يشترون ما يحتاجونه من السلع الأندلسية » فكانت هذه المدينة اذن تقوم بتجارة الصادر والوارد بين الأندلس وبين أسبانبا النصرانية » أو بينهما وبين سائر دول البحر المتوسط (٢٠) .

وكانت ميورقة بموقعها كجزيرة تقسع قرب السسواحل الاسسلامية والنصرانية ، مركزا من مراكز تبادل النجارة الأندلسية والأسبانية ، وأما

^{. (}١٩) الرآزي بروأية المترى ، النّقع ، تم ١ ، ص ٧١ ، الحميري ، المسدر نّفسه ، ص ١٦٥ ، المسدر نّفسه ، ص ١٦٥ ، الرجع نفسه ، ص ١٣٠ ، مورينو ، الفن الاسلامي ، ص ١٩٥ . . .

⁽۲۰) أشباخ ، المرجع نفسه ، ص ۱۷۸ .

⁽٢١) المترى ، الصيدر نفييه ، ٢٠ ، ص ١٥٤ .

سرقسطة فقد ضربت بسهم وافر فى هذا الميسدان ، نظرا لمجاورتها لجميع ممالك اسبانيا النصرانية ، واستغلت نهر أبره الذى كان يربطها بتلك المالك فى الوصول اليها بسهولة ، كما استفلت ميناءيها الكبيرين على البحر المتوسط ، وهما طركونة وطرطوشة لاستقبال تجارة الشرق وتصديرها الى قشستالة ونبرة وأرغونة ، وجنت من وراء ذلك ثروة طائلة جذبت اليها الفرسان والمرتزقة النصارى الأسبان ، ومكنتها أيضا من دفع الاتاوات التى فرضها عليهم ملوك قشتالة ، فعاشت عصرا طويلا بمنجاة من غزواتهم المخربة التى ابنليت بها دول الطوائف الأخرى ، كما ساعد على رواج تجارتها أيضا تلك المصاهرات التى عقدها بنو قسى وبنو الطويل المولدون مع ملوك نبرة وقشتالة (۲۲) .

وكانت اعظم تجارة بين الأندلس وبين اسبانيا النصرانية هي تجارة الرقيق ، وقد تخصص فيها تجار اليهود الذين كانوا يقومون بجلب هذا النوع من التجارة من جليقية وسائر ممالك أسبانيا النصرانية ، ومن سبى الفرنجة الى قرطبة وغيرها من المدن الرئيسية ، فيأخذ الخلفاء والأمراء وأفراد الطبقة الأرستقراطية حاجتهم منه ، وما بقى يسير به تجار اليهود الى سائر بلاد العالم ، وربما وصلوا به الى خراسان وغيرها من أقاصى البلاد (٢٠) .

وكان أفراد الطبقة الأرستقراطية من وزراء وقواد يهدون للخلفاء الكثير من هؤلاء العبيد الصقالبة على سبيل التقرب اليهم ، فقد جاء ضمن هدية عبد الملك بن شمهيد للخليفة الناصر عبد الرحمن عددا كبيرا من العبيد الصقالبة من الجنسبن ، كذلك جاء في هدية الحاجب جعفر المصحفي للحكم المستنصر بوم ولاينه للخلافة ، مائة مملوك من الفرنج على خيولهم كالملي العدة والسلاح ، وعددا كبيرا من أسلحة الفرنجة وحرابهم ، ولا يمكن أن

The state of the s

⁽۲۲) آدن حسوقل ، صبرة الارص ، ص ۱۱۶ ، ۱۱۰ ، المقرى ، المصدر نفسه ، حد ، ، ص ۱۹۸ ، عنان ، دول الطبوائف ، ص ۲۹۹ .

⁽۲۳) ابن حسوفل ، المصدر نقسه ، ص ۱۱۰ ، الساحي ، المصدر نقسه ، ص ۲۱ ، ابن سعید ، المصدر نقسه ، د ۱ ، ص ۱۵۱ ۰

يتيسر اهداء هذا العدد الكبير من العبيد أو الرقيق $^{\circ}$ الا بسبب رواج هذا النوع من التجارة($^{\circ}$) .

وبخلاف تجارة الرقيق كان أمراء بنى أمية وخلفاؤهم يستوردون بعض المواد اللازمة لبناء المساجد والقصور من بلاد أسبانبا النصرانية وغيرها ، مثل الرخام والسوارى والفسبفساء . اذ كان الناصر يستورد السوارى وهى الجزء الاسطوانى من الأعمدة من افريقية وبلاد الفرنج وأسسبانيا النصرانية ، والفسيفساء من القسطنطينية ، كما كان يستقدم المهندسين والبنائين من كل قطر ، وكانت النهضة العظيمة والعمارة الوافرة التى اشتهر بها عصر بنى أمية ، تستدعى مثل هذا النشاط التجارى الواسع (٢٠) .

الطرق التجارية:

أما الطرق التجارية الني كانت تسلكها التجارة بين الأندلس وبين مالك أسبانبا النصرانية فقد كانت عديدة ، منها ما يتم عن طريق الأنهسار الكثيرة المنتشرة في شبه الجزيرة ، والتي تربط بين شرق الأندلس وغربها ، وبينها وبين شمال أسبانيا النصراني ، ذلك أن منابع نهر ناجة وروافد نهر شقر ووادي مرسية تتصل بروافد نهر الوادي الكبير ووادي آنه ، وهذه الأنهار كلها منها ما يصب في البحر المنوسط ومنها ما يصب في المحيط الأطلسي، لكنها تنبع جميعا من جبال وسط الأندلس فتتقابل روافدها وتتصل ، ويمكن للمسافر أن يأخذ احداها فيتجه شرقا أو غربا حسبما يريد (٢٦) .

وكانت سفن الأندلس وسفن الفرنج ونصارى اسبانيا الشمالية تقد الى هذه الأنهار بالبضائع ، وتعود منها محملة ببضائع الأندلس ، يساعدها في ذلك عملية المد والجزر التي تبلغ في نهر الوادى الكبير اثنين وسبعين ميلا ، وفي نهر يانه ستين ميلا ، ولذلك ليس من الغريب أن نسمع أن حبوان السمور (حيوان صغير يشبه الأرنب) الذي يوجد على ساحل جلقية وعلى الساحل

⁽٢٤) آبِنَ حبانَ ، بروآية آبِنَ خَلدون ، ألمبع ، تم ٤ ، من ١٤٤ .

⁽٢٥) ابن حيان ، برواية المقرى ، المصدر نفسه ، ح ١ ، ص ٢٦٦ ، ٢٧٠ ،

⁽٢٦) أنظر الخريطة رتم ٣٠

الغربى للأندلس ، ويصنع من وبره فراء جميل رفيع فى مصانع سرقسطة فى اقصى الشمال الشرقى للأندلس ، كان من السهل على التجار أن ينقلوه عبر نهر دوبره حتى مدبنة (لارا) قرب برغش ، ثم يسيرون به الى مدينة تطيلة على نهر أبره ، ثم ينزلون مع النهر حتى مدينة سرقسطة ، فيصنع هناك ثم بصدر الى الأندلس وأسبانيا النصرانية (٢٧)

بالاضافة الى الطرق النهرية كانت هناك طرق برية كثيرة ، ونكتفى منها بما يربط قرطبة بممالك أسبانيا النصرانية في الشمال ، وكانت هذه الطرق تقابل على وجه التقربب الطرق الرومانية التى كانت موجودة قبل الفنح الاسلامي للأندلس ، وأهمها طربق يبدأ من قرطبة الى طليطلة ، ثم يسير الى وادى الحجارة الى حوض نهر أبره ، ثم يتفرع الى طريقين ، أحدهما يسير بمحاذاة النهر مارا بقلهرة ونخرة حتى بمبلونة عاصمة نبرة ، ثم بسير الى البة والقلاع (قشتالة) واشتريس ، والفرع الثاني يسير جنوبا الى سرقسطة فلاردة حيث تنتهى اليه التجارة مع امارة برشلونة (٢٨) ،

والطريق الثانى يبدأ من قرطبة الى المعدن Maden الى قورية فسلمنقة وسمورة ، ثم بواصل سيره داخل جليقية ، ويتفرع من هذا الطريق فرع آخر يبدأ من عند قورية ويتجه شرقا الى جلبيرة فطلبطلة ، ومنها الى سلمنقة حيث ينصل بالطربق الرئيسى مرة اخرى ، وهناك طريق ثالث يبدأ من قرطبة وينزل جنوبا فيمر بغرناطة ثم يصعد شرقا بشمال ، فيمر بمرسبة فطرطوشية فلاردة في أقصى شمال سرقسطة (٢٩) .

وهناك أيضا الطرق البحرية التى تربط ثفور الأندلس ومدنه الساحلية بثفور برشاونة في الشرق وجليقية في الفرب ، فميناء المرية وقرطاجنة ولقنت

⁽۲۷) ابن سعید ، بسط الارض ، ص ۱۰۰ ، ۱۱۲ ، ۱۱۳ ، آغری ، المصدر تقسسه ، ح ۱ ، ص ۹۲ ۰

⁽٢٨) ابن حسوقل ، صورة الارض ، ص ٤٦ ، مؤنَّسَ ، فجر الاندلس ، ص ٣٤٦ ، الجغرافية والجغرافيون ، حس ١٤ ٠

⁽٢٩) ابن حدوقل ، المصدر تَفسه ، ص ٤٦ ، مؤنس ، الجغرافيون والجغرآفيون ، ص ١٤ ،

ودانية كانت تتمل بنغر برشلونة عاصمة امارة قطلونية بخط بحرى ، وثغور اشبيلية ولبلة وشنترين نتصل بثغور مملكة جليقية ، مثل برتفال وبراجه وشائت ياتب أيضا بخط بحرى كانت تصعد نيه السفن التجارية وقت السلم ، والسفن الحربية ايام القتال (٣٠) .

السكة:

وكان لا بد لهذا النشاط التجارى الواسع بين الأندلس الاسسلامية واسبانيا النصرانية من عملة يتم على اساسها التداول وعميلة البيع والشراء ، وقد تأثرت العملة التى صكها المسلمون الأوائل بالعملة المحلية التى وجدوها في البلاد من حيث الشكل والنقوش ، ثم استقلت عنها شيئا فشيئا وصارت بعد ذلك اساس النعامل الاقتصادى على ارض شبه الجزيرة كلها ، كما هو الحال في التعامل بالدولار أو الاسترليني في الوقت الحاضر .

نفى بداية عصر الولاة ، كان يكتب على العملة نصوص لاتينية اسلامية الطابع فى الفترة من عام ٩٦ الى ٩٧ ه ، ثم تظهر اللغة اللاتينية مع العربية منذ عام ٩٨ ه ، ثم اللغة العربية نقط منذ عام ١٠١ ه ، ويمكن أن نعزو ظهور اللغة العربية الى سبب سياسى ، وهو أنه بعد عام ٩٨ ه ، أى بعد اغتيال عبد العزيز بن موسى بن نصير وبعد نقل أيوب لمقدر الحكم الى اشبيلية ، رؤى ادخال اللغة العربية كرد نعل لسياسة التسامح التي كان يسير عليها عبد العزيز ، كما يمكن ارجاع اختفاء اللغة اللاتينية الى سبب سياسى أيضا ، الا وهو قبام حركة المعارضة التي قام بها أمير اشتريس وحليقية في هذا الوقت كما سبق القول (٣) ،

وقد قام أمراء بنى أمية (١٣٨ - ٣١٦ ه) بضرب عملة ذهبية مشابهة لعملة أسلانهم في بلاد الشيام ، كما ضربوا أيضًا الدراهم والفلوس ، وبذلك

⁽٣٠) انظر الخريطة رقم ٢٠٠

Gullon, Los monayoges latino arabes, pp. 55-62 (%). Trois Mannois, p. 60.

كان نشاط دار السكة عظيما في قرطبة . وقد عثر على نقود من هذا العصر في منطقة استيا Estella في مملكة نبرة ، مما يدل على قيام تبادل تجارى في ذلك الوقت مع هذه الدولة ، وبصفة عامة فقد كان اثر النقود الاسلامية على اسسبانيا المسيحبة في تلك الفترة كبيرا ، ولنسا ان نؤكد أن الحياة الاقتصادية في الممالك النصرانية باسبانبا لا سيما الشرقية منها كانت تقوم على أساس هذه النقود ، ومن المحتمل أنها كانت تصل الى الشمال وتستعمل هناك بعد فنرة قصيرة من ضربها في عاصمة الأندلس الاسلامية (٢٠) .

اما في عهد الخلافة الأموية (٣١٦ – ٢٢) ه) ، فقد كان ذلك العهد هو عهد الاستقلال السياسي والديني الكامل عن الشرق ، ولذلك قام الخليفة عبد الرحمٰن النساصر بضرب عملة ذهبية كان لها تأثير كبير على اقتصاديات اسسبانيا المسيحية ، حتى أنه ورد ذكرها في بعض دسساتير مملكة ليون تحت اسم Cathimi أو Kasimi نسسبة الى الدراهم القاسسمية الاندلسية (٣) ، مما يدل على رواجها في أسبانيا النصرائية في تلك الفترة ، وقد وصلت النقود التي تضرب في دار سكة مدينة سبتة التابعة للأمويين في ذلك الوتت ، إلى امارة قطلونية (برشلونة) ، وكان لها أثر كبير في الحياة الاقتصادية هناك ، مما تشهد به الوثائق القطلونية التي ترجع الى ذلك العصر (٢٠) .

وفى عصر ملوك الطسوائف (٢٢) ــ ١٨٤ ه) ، لم يكن النشساط النقدى فى الأندلس الا امتدادا له فى عصر الخلافة ، وبقى النقد موحدا باسم هشام المؤيد وان كان ملوك الطوائف قد أضافوا اسماءهم أيضا ، ورغم

Jaime Lluis, Observaciones sobre la amonedacion (77) legal de los musulmanes.

د عبد الرحمن مهمى . دراسة لبعص المسحم الاسلامية ، مجلة كلية الاداب ، جامعة القاخرة ، مجلد ٢٢ ، العدد الاول ، عام ١٩٦٠ ٠

⁽٣٣) سميت الدراهم القاسمية بذلك نسبة الى اسم عامل دار ضربها ٠ انظر ، ياتوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤٢ ٠

⁽٣٤) ابن الكردبوس ، الاكدفاء في اخبار الخلفاء ، ص 9 • • المنادبوس ، الاكدفاء في اخبار الخلفاء ، ص 9 • • المنادبوس ، الاكدفاء في اخبار الخلفاء ، ص 9 • • المنادبوس ، الاكدفاء في الخبار المنادبوس ، الاكدفاء في المنادبوس ، الاكدفاء في المنادبوس ، الاكدفاء في الخبار المنادبوس ، الاكدفاء في الاكدفاء في المنادبوس ، الاكدفاء في المنادبوس ، الاكدفاء في الاكدفاء في المنادبوس ، الاكدفاء في المنادبوس ، الاكدفاء في المنادبوس ، الاكدفاء في الاكدفاء في الاكدفاء في المنادبوس ، الاكدفاء في الاكدفاء في الاكدفاء في الاكدفاء في المنادبوس ، الاكدفاء في الاكدفاء في

وان دل هذا على شيء ، فانها يدل على أن الحضارة العربية في الأندلس قد فرضت نفسها على شبه الجزيرة كلها في عصر بنى أمية وعصر دول الطوائف ، وما زالت آثار ذلك باقية حنى الآن ، سواء في الخرائب المعمارية أم في المدن الني لا زالت باقية أم في قطع النقود والتحف الفنية التي تملأ متاحف أسبانيا ، أم في تلك الآثار الثقافية من كتب ومخطوطات تحمل الكتير من علوم الأندلس وآدابها وفنونها ، مما لا يمكن للجاحدين من الأسبان أن ينكروه مهما حاولوا ، ولو نظروا الى لغتهم التي يتكلمون بها اليوم ، لرأوا أن حوالي ربع مفرداتها مأخوذة من اللغة العربية ، وهذا أنصع دليل واقوى برهان على تفوق الحضارة العربية الاسلامية في الأندلس على حضارة ومالك أسبانيا النصرانية في عصر بني أمنة وملوك الطوائف .

Jaime Liuis, op. cit., pp. 65 - 69. (۲۵) حتى ، باريخ العرب (الطبول) ح ۲ ، ص ۱۹۶۳ ، ۱۹۶۳ •

عتمة

بعد هذه الدراسة التى قمنا بها عن العلاقات بين الأندلس الاسلامية وأسبانيا النصرانية في عصر بنى أمية وملوك الطوائف ، نستطيع أن نقول بادىء ذى بدء أن مقاومة الأسبان للفاتحين لم تندحر بشكل نهائى ، بل أنها تقوقعت في أقاصى الشمال الفربى للبلاد ، في منطقة جليقية وأشتريس ، حيث قامت أول مملكة نصرانية عقب الفتح ببضع سنوات ، ممثلة في حركة النبيل القوطى بلاى ، وصمدت لهجمات المسلمين في عصر الولاة حتى التقطت النبيل القوطى بلاى ، وصمدت لهجمات المسلمين في عصر الولاة حتى التقطت انفاسها ، وانتهزت الفرقة والصراع القبلى في ذلك العصر وتمكنت من طرد المسلمين من الركن الشمالي الغربي لشبه الجزيرة ، وخسر المسلمون ربع ما نتحوه ولم يكن قد مضى على الفتح أكثر من أربعين عاما .

ونستنت من ذلك أن العرب لم يعوا الأسباب التى أدت الى سقوط اسبانيا في أيديهم ، ونسوا أن ذلك لم يكن الا بسبب تنازع أمرائها وملوكها وانشقاقهم وتحالفهم مع أعداء بلادهم ضد بعضهم البعض ، وبذلك دل الرب على قصر نظر سياسي واضح ، وانغمسوا في الصراعات الحزبية والقبلية ، حتى مكنوا للمقاومة النصرانية أن تنشىء دولا تقتسم معهم شبه الجزبرة ، وتعمل على استرداد الأندلس من بد المسلمين مرة اخرى .

وثارت الحروب والصراعات بين الطرفين اجيالا وقرونا ، لكن حكام الاندلس لم يكن هدفهم من حروبهم مع نصارى الأسبان ، هو القضاء عليهم ، وانما كان هدفهم هو تأمين حدودهم وفرض السلام بالقوة أمام تلك المقاومة المسلحة لنصارى الشمال ، حتى تتها الظروف البناء والعمران والتقدم الحضارى ، ولم يكن بدفع نصارى الشمال على الهجوم على مسلمى الأندلس الا حالة الفقر التي كانوا بعبشونها ، فكان بعضهم يأتى الى الأتدلس للعمل في ادارتها والخدمة في مشروعاتها وفي جيشها ، ومن لم بأت منهم ، كان يقوم بالاغارة على المحدود بهدف النهب والسلب . وكانت هذه هي الصفة البارزة لحروبهم أيام الامارة الأموية .

وفي عهد الخلافة الأموية ، حاول عبد الرحمن الناصر ومن أتى بعده من حكام القرن الرابع الهجرى / العاشر الميسلادى ، أن يردعوا الممالك النصرانية التى نشأت في الشمال الأسباني ، ونجح هؤلاء الحكام في ذلى كل النجاح ، وصارت شبه الجزيرة الأسبانية تحت سيطرتهم وحققوا الوحدة بين دولها ، ومع ذلك لم يتغير هدف الجهاد ضد نصارى الشمال الأسباني في فترة الخلافة عنه في فترة الإمارة الا في أن الخلافة كانت حملاتها أقوى وأعنف ، وأشد نأثيرا وأوضح نتيجه من حملات الإمارة .

وقد نبهت حملات الخالفة القوية المتتابعة على شمال اسسبانيا نصارى أوربا الى خطورة هذه الدولة الاسلامية ، فحاولوا التصدى لها من جديد كما حدث أيام شارل مارتل وشرلمان ، وانتهزوا فرصة الحرب الأهلية التى بدأت عقب سقوط دولة بنى عامر عام ٣٩٩ ه وجعلوا نصارى شمال أسبانيا رأس الحربة أو رأس جسر ، وتتابعت الغزوات الصليبية ، وكان أولها ما قامت به البابوبة وفرسان الفرنجة والأسبان من نصفية للسيطرة الاسلامية على جزيرة سردينبة عام ٢٠١ ه ، ثم حملتهم البشعة المدمرة على بربشتر عام ٢٥٦ ه ، ثم مساعدنهم لأذفنش (الفونسو) السادس في الاستيلاء على طليطلة عام ٢٨١ ه / م مساندتهم له بعد هزيمته ألزلاقة في العام التالى ، وتحريم الخروج لنصارى الأسبان للاشتراك في الحروب الصليبية في الاندلس .

ونستنتج من ذلك أن الحروب الصليبية انما نشأت أول ما نشأت على أرض شبه الجزيرة الأسبانية ، ابتداء من حملة سردينية ومرورا بحملة بربشتر ، وانتهاء بستوط طليطلة في يد الفونسو السادس ، وعلى هذا فان الحرب بين مسلمي الأندلس ونصاري الأسبان ، انما أخذت الصفة الصليبية ابتداء من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، وسبقت في ذلك الحروب الصليبة في الشرق الاسلامي بحوالي قرن كامل .

ورغم هذه الحروب المطردة ، كانت العلاقات السلمية بين مسلمى الأندلس ونصارى الأسبان ، تتدفق عبر هنوات الاتصال التى أشرنا اليها في الباب الرابع ، وكان هدذا أمرا طبيعيا ، اذ لم تكن هنساك حدود طبيعية

فاصلة وكانت الحدود في شد وجذب ، في ارتفاع وانخفاض ، كان مسلمو اليوم يصيرون نصارى في الفد ، وكانت الأرض التي تنبع السيادة الاسلامية الآن ، تصير تحت سيادة نصارى الشمال غدا ، ويحدث العكس ، ويأخذ السلمون أرضا من ممالك الشمال ، ويحدث الاختلاط والتداخل بين الشعبين، حتى توحدت اساليب الحياة ببنهما الى حد كبير ، وحتى رأينا أن ملوكهم يلبسون الملابس العربية ، ويطلبون مؤدبين مسلمين من قرطبة لأولادهم ، وبستعينون بالمهندسين والأطباء والعمال والحرفيين من مسلمي الأندلس . وكانت النتيجة أن انتشرت حضارة الاسلام في المالك النصرانية في أسبانيا ، وعرتها الى أوربا حيث بددت ظلمات الجهالة التي كانت تعيش فيها تلك تم عبرتها الى أوربا حيث بددت ظلمات الجهالة التي كانت تعيش فيها تلك البلاد في ذلك الحين ، وساعدت على نشأة الحضارة الأوربية في العصور الحدبثة .

لم يكن مسلمو الأندلس مخربين مدمربن في حروبهم لنصارى الشمال الأسباني بالصورة البشعة التي صورهم بها بعض المستشرقين أو بعض المغرضين ، فلم يكن هدفهم هو التخريب ، وانما القمع وارغام سكان اسبانيا النصرانية على المتزام حسن الجوار ، بؤيد ذلك أن أكثر حكام الأندلس غزوا ، وهو المنصور محمد بن أبي عامر ، قد اعترف في اخريات أيامه بخطئه في تعمير بلاد الشمال الأسباني وشديها بالمؤن ، ووصلها ببلاد المسلمين ، وعدم تخريب مسافة كافعة منها لتكون فاصلا بين الأعداء وبين بلاده ، حتى لا يفاجأ قومه من المسلمين بهجوم النصارى عليهم ذات يوم دون أن يأخذوا حذرهم ، بسبب ملاصقتهم لهم على النحو الذي أشار البه المنصور .

وبذلك ينتفى كلام ابن خلدون الذى راعه ما فعله عرب الهلالية بتونس ، ووصف العرب بانهم هوم مخربون ، لا يدخلون بلدا الا ويطهسون فيه معالم الحضارة بسبب طبيعتهم البدوية ، فقد ترك العرب في الأندلس حضارة ما زالت آثارها تشهد لهم حتى اليوم ، ويكفى أن أوربا لم تنهل من حضارة اكثر مما نهلت من الحضارة العربية في الأندلس .

ومما اثر في علاقات مسلمي الأندلس باسبانيا النصرائية واضعفة الجبهة الاسلامية ، خصومة العباسيين والفاطمبين للأمويين في الأندلس .

فعندما كانت تلك البلاد تابعة للخلافة الأموية في المشرق ، استطاع ولاتها أن يصلوا في فتوحاتهم حتى قرب باريس ، أما في عهد بنى أمية الذين استقلوا بالأندلس عن الخلافة العباسية ثم أخذوا يتصارعون معها ومع الخلافة الفاطمية على أرض المفرب الأقصى ، فقد شغلهم هذا عن تأمين دولتهم الاسلامية الناشئة في تلك البلاد النائية ، أي في الأندلس ، ضد تلك الشوكة التي أصبحت ذات شعب وما تفرع عنها من دول في شمال أسبانيا أخذت تنف للمسلمين بالمرصاد .

ولو أمن العباسيون والفاطميون ظهور أمويى الأندلس ، لكان لصراع هؤلاء مع أعدائهم من الأسبان شأن آخر ، ولتغير مصير البلاد عما انتهى الميه بكل تأكيد . لكن الصراع بين الخالفات الشلاثة ، العباسية والفاطمية والأموية ، جاء بتلك النتيجة المحزنة ، وهي ضياع الأندلس في النهاية ، وانحسار المد الاسلامي وعودته مهزوما الى شمال افريقيا من جديد .

كما سماهمت الصراعات المقيتة بين ملوك الطوائف في اضعاف البسالاد ووقوعها لقمة سائغة في يد نصارى الشمال الأسبانى ، وقد كان بين هؤلاء النصارى ، صراعات وانقسامات لا تقل عنفا عما كان موجودا بين ملوك الطوائف ، لكنها اختلفت في طبيعتها ونتائجها وهدفها ، اذ أنها كانت صراعات اسرية تقوم بين افراد الأسرة المالكة على السلطان ، وما أن يستقر أقواهم على العرش حتى تتوحد البلاد ونستقر الأمور ، ويقوم الجميع لاستئناف الكفاح ضد مسلمى الأندلس من جديد ،

وكان هذا هو الهدف النهائي من الصراع الداخلي بين ملوك الأسبان في تلك الفترة . أما ملوك الطوائف ، فقد كان صراعهم من لون آخر ، اذ أن شهوة الحكم استولت عليهم جميعا ، وصار بعضهم يرتقي العرش على أسنة رماح الأسبان أو الفرنجة ولا يستمرون في حكمهم الا بتأييد من هؤلاء ، يدفعون لهم الجزية ويقرون لهم بالطاعة . وهكذا كانت بداية النهاية في خسياع البلاد . وكان أول ما ضاع في عهدهم هي مملكة طليطلة الاسلامية ، عاصمة القوط القدامي والعاصمة الدينية والسياسية لأسبانيا قبل الفتح الاسلامي لها ، وبذلك فقد المسلمون نصف شبه الجزيرة .

ومما وصلنا اليه أيضا من نتائج أن أهل الذمة فى الأندلس سواء كانوا، من النصارى أم اليهود ، لم يكونوا مخلصين للحكم الاسلامى لتلك البلاد ، رغم السماحة الدينية التى امناز بها عصر بنى أمية ، ورغم الثروات الهائلة التى كونوها فى عهدهم ، ورغم النفوذ الهائل الذى وصل اليه كثير منهم ، حتى أنهم وصلوا الى مراتب الوزارة والكتابة وقيادة الجيوش والعمل فى القصور الخلافية ، والقيام بوظيفة الحرس الخاص للأمراء والخلفاء .

فقد زرع النصارى من أهل الذهة المقد فى نفوس الأسبان المسلمين الذين يعرفون بالمولدين ، وكانوا عونا لهم فى اثارة القلاقل والفتن والثورات لناهضة حكم المسلمين للبلاد ، وقاموا بفتنة دينية طائفبة فى قرطبة أيام أمراء بنى أمية ، تعرف بحركة الاستشهاد المسيحية ، لاثارة النصارى فى كل مكان ضد مسلمى الأندلس ، وكانوا دائمى الاتصال بممالك أسبانيا النصرانية وبالقرى النصرانية فى البلاد الأخرى ، لاستعدائها على مسلمى الأندلاس ، وتسميل الطريق أمامهم لاستعادة البلاد من أيديهم .

أما يه و الأندلس ، فرغم العسلاقات الحسنة التي كانت تربطهم بالمسلمين هناك ، ورغم تمتعهم باكثر مما تمتع به نصارى الأندلس من الهتيازات ، الا انهم تآمروا على سادتهم من الحكام المسلمين ، وحاول بعضهم أقامة دولة منفصلة لهم في جنوبي البلاد ، لولا بطش المسلمين بهم والقضاء على مشروعهم . ولما رأى اليهود بثاقب فكرهم أن ميزان القوى أصبح في صالح نصارى الشمال الأسباني في عصر ملوك الطوائف خدموا عندهم وعملوا لهم سفراء ووزراء ، ودلوهم على عورات المسلمين وانقلبوا عليهم . وكان اليهود دائما يهشون في ركاب من غلب ، لتامين مصالحهم وخدمة أهدافهم .

كذلك كانت العناصر الأجنبية انتى استعان بها حكام الأندلس والتى تتمثل فى البربر والصقالبة ، من الأسسباب الرئيسية فى اضعاف الحكم الاسلامى فى البلاد . ذلك أن هذين العنصرين كانا يعملان أيضا لمصلحتهما الخاصة ، وظهر ذلك بشكل واضح أيام ضعف الأمراء والخلفاء من بنى أمية ، وفى عصر ملوك الطوائف بالذات ، وكانوا بذلك معول هدم فى غالب

الأيام ، صحيح انهم ساعدوا الاماره والخلافة في تنفيذ مشروعاتها الحربية ضد نصاري الشمال الأسباني ، لكنهم لم يتمكنوا من القضاء على هؤلاء النصاري ولم يجتثوا الخطر من جذوره ، بل أنهم تحالفوا معهم في بداية للقرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميالادي لضرب الخلفاء الأواخر بعضهم ببعض ، حتى يقتسموا البالاد فيما ببنهم ، وساعدوا بذلك على اضعاف البلاد وخضوعها لأسبانيا النصرانية .

وقد أدت الكراهية المترسبة بين العرب والبربر الصقالبة وبين العرب وبين مسلمى الأسبان المعروفين بالمولدين ، وبين المسلمين وبين النصارى من أهل الذمة ، الى أن القوى الاجتماعية التى كان يبتند اليها الأمويون ، كانت منككة وضعيفة ، بسبب الأحقاد النى تراكمت جيلا بعد جيل بين فئات الشعب والجيش المختلفة ، والتى تنخر فى جسد الدولة ، كما ينخر السوس فى الحطب ، وهذا هوالسر فى ذلك الانهيار السريع الذى أصاب دولة بنى أمية وبشكل فجائى ، عقب عصر ازدهار وقوة لم يشبهد له البلاد مثيلا من قبل ، وبذلك فان انهيارها كان من الداخل ، ولم يكن بسبب عوامل خارجية عبد حيرانها أو غزوهم لها ، اذ انها كانت أقوى منهم ، وكانت قد كتهديد جيرانها أو غزوهم لها ، اذ انها كانت أقوى منهم ، وكانت قد أخضعتهم لسلطانها ، سواء فى الشمال الأسبانى أم فى الشمال الافريقى ،

وكان اسراف بنى أمية وبنى عامر فى مشروعاتهم الحربية والعمرانية من العوامل التى أثرت فى علاقاتهم مع نصارى الأسبان وأدت الى انهيار دولتهم فى النهاية . وقد قام بعض الفقهاء بدق ناقوس الخطر للتحذير من هذا الاسراف ، لكن حكام ذلك العصر لم يلتفنوا الى ذلك ، وقاموا ببناء مدن وقصور ارضاء لحظبة من الحظايا أو تخليدا لاسم محبوب ، كما استنفذت حروبهم العديدة المستمرة فى أسبانيا وفى شمال افريقيا معظم دخل الدولة وأجهدت قواها ، وترتب على ذلك نتيجة فى منتهى الخطورة . ذلك أنه فى عصر ملوك الطوائف ، كان لا يمكن لهؤلاء الملوك أن يحصلوا على مثل تلك الأموال الطائلة للقيام بمشروعات حربية مماثلة ضد نصارى الشمال الأموال الطائلة للقيام بمشروعات حربية مماثلة ضد نصارى الشمال الأسبانى ، بسبب نفتت البلاد وتعدد الخزائن التى تجبى اليها الأموال ، بتعدد الملوك والحكام ، ومن هنا أتى العجز الشامل الدائم والضعف المستمن بتعدد الملوك والحكام ، ومن هنا أتى العجز الشامل الدائم والضعف المستمن أمام القوى النصرانية الناهضة فى قشتالة وليون ونبرة وأرغونة وبرشلونة .

وهذا الضعف الاقتصادى والعجز المالى يفسر لنا سرا من اسرار ستوطأ طليطلة في يد الفونسو السادس عام ٧٨٨ ه / ١٠٨٥ م .

وأخيرا فان دراسة العسلاقات بين الأندلس الاسلامية واسبانيا النصرانية كشفت لنا نواحى الضعف والقوة في دول شبه الجزيرة ، ووضعت يدنا على هذه النتائج التى اشرنا اليها حتى الآن ، وكانت في ذلك كالمرة التى رأينا فيها مجتمع شبه الجزيرة سواء كان مسلما أم نصرانيا على حقيقته ، وكشفت لنا عن سر أفراحه وأتراحه ، وعن فترات سلمه وهنائه ، وفترات صراعه وآلامه ، وكان السر في ذلك كله ، هو وحدة الجبهة الداخلية ، فاذا نواجدت ، كان النجاح والتوفيق والقوه في العلاقات مع دول اسبانيا النصرانية ، واذا غابت ، كان الفشل والاحباط والذلة والمهانة القومية .

كانت الجبهة الداخلبة موحدة في عهد معظم أمراء بنى أمية وخلفائهم ، فكان النصر للمسلمين على اعدائهم من نصارى الأسبان . وكانت الجبهة الداخلية مفتتة في عهد ملوك الطوائف ، فكانت الهزيمة والخسران للمسلمين، وتحققت فيهم نبوءة أحد ملوك الفرنجة حينما أشار على مسيحيى الشمال الأسباني بأن يتريثوا في مقساومة المسلمين ويتركوهم حتى « تعتلىء ايديهم ما لغنائم ويننانسوا في الرياسة » ، حينئذ يتمكن المسيحيون منهم ، وهذا ما حدث بالضبط منذ بداية القرن الخامس الهجرى / الحادي عشر الميلادي ، حينما تنافس الحكام المسلمون على الرياسة والسلطان . وكان سقوط طليطلة في يد القوى النصرانبة عام ٧٨٤ ه / ١٠٨٥ م ، هو بداية النهاية للمسلمين في يد القوى النصرانبة عام ٧٨٤ ه / ١٠٨٥ م ، هو بداية النهاية للمسلمين في الأندلس ، تلك النهساية التي تأخرت طويلا ، بسبب جهود المرابطين والموحدين ، لكنها أتت وعادت الأندلس الى النصرانية من جديد .

ملاحق البحث

ملحق رقم (۱)

وصف استقبال الحكم المستنصر لأحد ملوك ليون (جايقية) (١)

ورد هذا الوصف عند المترى وهو ببين الى أى مدى وصلت الخلافة الأموية ومدى الضعف الذى وصلت اليه ممالك أسبانيا النصرانية ، حتى أن ملوكها لجاوا الى الخلافة يستصرخونها ضد بعضهم البعض ، كما يبين أيضا المراسيم الدبلوماسية في استقبال الملوك والأمراء والسفراء التي شاعت في هــذا العصر ، واليك نص وصف استقبال الحكم المستنصر لأحد ملوك ليون كمــا ورد عنــد المترى :

فى آخر صغر سنة احدى وخمسين وثلاثهائة ، اخرج الخليفة الحكم المستنصر بالله مولييه محمدا وزيادا ابنى الملح الناصرى ، فى كتيبة من الحثيم والخدم ، لتلقى غالب الناصرى ، صاحب مدينة سالم ، المورد للطاغية اردون ابن ادنونس (اردونيو بن الفونسو) الخبيث فى الدولة ، المتملك على طوائف من امم الجلالقة ، والمنازع لابن عمسه المسلك قبله شائجة بن ردمير (سانشو بن راميرو) وتبرع هذا اللعين اردون بالمسير الى بلهب المسنصر بالله من ذانه ، غير طالب اذن ، ولا مستظهر بعهد ، وذلك عند ما بلغه من اعتزام المستنصر بالله فى عامه ذلك على الغزو اليه ، واخذه فى التاهب له .

فاحدال فى تاميل المستنصر بالله ، والانتماء اليه وخرج قبل المان يعقد له ، او ذبة تعصمه ، فى عشرين رجسلا من وجوه المسحابه ، تكالمم غالب النساصرى الذى خسرج اليسه ، نجساء بهم نحو مولاه الحسكم ،

۱۱) آلکری د ازمار الریافیّن ، نیم ۲ ، من الکلات کا ۲۸ م

وتلقاهم ابنا افلح بالجيش المذكور ، فأنزلاهم ، ثم تحركا بهم ثانى يوم نزولهم الى قرطبة ، فأخرح المستنصر بالله اليهم هشام بن محمد بن عثمان المصحفى ، فى جيش عظبم كامل التعبيسة ، وقدموا الى باب قرطبسة ، فمروا بباب قصرها ، فلما انتهى اردون الى ما بين السدة وباب الجنان ، سأل عن مكان رمس الناصر لدين الله ، فأشسر الى ما يوازى موضعه من داخل القصر فى الروضة ، فخلع قلنسوته وخضع نحو مكان القبر ودعا ، ثم رد قلنسوته الى راسه .

وامر المستنصر با نزال اردون في دار الناعورة ، وقد كان تقدم فرشها باتواع الفطاء والوطاء وانتهى من ذلك الى الفاية ، ويوسع له في الكرامة ولأصحابه ، فأقام الخميس والجمعة ، نلما كان يوم السبت ، تقدم المستنصر بالله باستدعاء اردون ومن ممه ، بعد اقامة الترتيب وتعبئة الجيوش والاحتفال في ذلك من العدد والأسلحة والزينة ، وقعد المستنصر بالله على سرير الملك في المجلس الشرقى من مجالس السطح ، وقعد الاخوة وبنوهم ، والوزراء ونظراؤهم صفا في المجلس ، فيهم القاضي منذر بن سعيد ، والحكام والفقهاء ، فأتى محمد بن القاسم بن طملس بالملك اردون واصحابه ، وعلى والموسمة ثوب ديباجي رومي أبيض ، وبليوال من جنسه وفي لونه ، وعلى راسه قلنسوة رومية منظومة بجوهر ، وقد حفته جماعة من نصاري وجوه الذمة بالأندلس ، يؤنسونه ويبصرونه ، فيهم وليد بن حيزون قاضي النصاري بقرطبة وعبيد الله بن قاسم مطران طليطلة وغيرها .

فدخل بين صفى الترتيب ، يقلب الطرف فى نظم الصفوف ويجيل النظر فى كثرتها وتظاهر اسلحتها ، ورائق حليتها ، فراعهم ما أبصروه ، وصلبوا على وجوههم ، وتأملوا ناكسى رؤوسهم ، غاضين من جفونهم ، قد سكرت أبصارهم ، حتى وصلوا الى باب الأقباء ، أول باب قصر الزهراء ، فترجل جميع من كان خرج الى القائه ، ونقدم الملك اردون وخاصة قوامسه (اى أمرائه) ، على دوابهم ، حتى انتهوا الى باب السحدة ، فأمر القواهيس بالترجل هناك ، والمشى على الأقدام ، فترجلوا ، ودخل الملك اردون وحده راكبا مع محمد بن طملس ، فأنزل فى برطل (۱) البهو الأوسط من الأبهاء

⁽٢) برطل ، كلمة السيانية ومعناها سقيفة عدد بالي البيتم ، إلى في أحبدى جسوالقية الغذاء ، ولا نزال تسميل في المغرب ، راجع نكمله المعاجم العربية الدوزي ، ص ٢٧٥ .

القبلية ، التى بدار الجند على كرسى مرتفع مكسو الأوصل بالفضل. وفي هذا المكان بعينه نزل قبله عدوه ومناوئه شانجة بن رادمير الوافد على الناصر لدين الله رحمه الله تعالى .

فقعد اردون على الكرسى ، وقعد أصحابه بين يديه ، وخرج الاذن لأردون الملك من المستنصر بالله ، بالدخول عليه ، فتقدم يمشى واصحابه يتبعونه الى أن وصل الى السطح ، فلما قابل المجلس الشرقى الذى فيه المستنصر بالله ، وقف وكشف رأسه ، وخلع برنسه ، وبقى حاسرا اعظاما لما بان له من الدنو الى السرير ، واستنهض ، فمضى بين الصفين المرتبين في ساحة القصر الى أن قطع السطح وانتهى الى باب البهو ، فلما قابل في ساحة القصر الى أن قطع السطح وانتهى الى باب البهو ، فلما قابل السرير ، خر ساجدا سويعة ، ثم استوى قائما ثم نهض خطوات ، وعاد الى السجود ، ووالى ذلك مرارا ، الى أن قدم بين يدى الخليفة وأهوى الى يده فناوله اياها ، وكر راجعا متقهقرا على عقبه ، الى وساد ديباج الى يده فناوله اياها ، وكر راجعا متقهقرا على عقبه ، الى وساد ديباج مثقل بالذهب ، جعل له هناك ووضع على قدر عشرة أذرع من السرير ، فجلس علبه والبهرقد علاه .

وأنهض خلفه من استدنى من قوامسه وأبياعه ، فدنوا مهتثلين فعله فى تكرير الخنوع ، وناولهم الخليفة يده ، فقبلوها وانصرفوا مقهقرين ، فوقفوا على رأس ملكهم ، ووصل بوصولهم وليد بن حيزون قاضى النصارى بقرطبة ، فكان الترجمان عن الملك أردون ذلك اليوم وأطرق الخليفة الحكم عن تكليم الملك أردون اثر قعوده أمامه وقتا ريثما يفرغ روعه ، فلما رأى أن خفف عليه ، افتتح تكليمه ، فقال : «ليسرك اقبالك ويغبطك تأميلك فلدينا لك من حسن رأينا فوق ما قد طلبته » . « فلما ترجم له كلامه أياه ، تطلق وجه أردون وانحط عن رتبته فقبل البساط ، وقال « أنا عبد أمير المؤمنين مولاى ، المتورك على فضله ، القاصد إلى مجده ، المحكم في نفسه ورجاله ، فحيث وضعنى من فضله ، وعوضنى من خدمته ، روجت أن أنقدم فيه بنبة صادقة ونصيحة خالصة » .

فقال له الخليفة « أنت عندنا بمحل من يستحقه حسن رأينا وينالك من تقديمنا لك وتفضيلنا أياك على أهل ملتك ، ما يفبطك ، وتتعرف، به

غضل جنوهك الينا ، واستظلالك بظل سلطاننا » ، نعاد أردون الى السجود عند غهمه مقاله الخليفة وابتهل داعيا وقال « ان شانجة بن عمى بقدم الى الخليفة الماضى مسنجيرا به منى ، فكان من اعزازه اياه با يكون من متله من اعاظم الملوك ، وأكارم الخلفاء ، لن قصدهم وأملهم ، وكان قصده قصد مضطر . فقد شنأبه رعبته ، وانكرت سبربه ، واخبارتنى لمكانه ، من غير سعى منى _ علم الله ذلك _ ولا دعاء البه ، فخلعته وأخرجنه عن ملكه مضطرا مضطهدا ، فتطول علبه رحمه الله بأن صرفه الى ملكه وقوى سلطانه وأعر نصره . ومع ذلك غلم يقم بفرض النعمة التى أسديت اليه ، وقصر فى أداء الفروض عليه وحقه وحق أمير المؤمنين مولاى من بعده . وأنا قد عصدت باب أمبر المؤمنين لغير ضرورة ، من قرارة سلطاني وموضع احتكامى ، محكيا له فى نفسى ورجالى ومعاقلى ومن تحويه من رعيتى ، فشتان ما بيننا من قوة الثقة ، ومطرح الهمة » .

ققال الخليفة « قد سمه قا قولك ، وقهمنا مغزاك ، وسوق يظهر من القرافسنا اياك على الخصوصية فوق شأنه ، ويترادف من احساننا اليك به افسعاف ما كان من أبينا رضى الله عنه الى ندك ، وان كان له فضل التقدم مالجنوح الينا ، والقصد الى سلطاننا ، فلبس ذلك مما بؤخرك عنسه ، ولا ينقصك مها أنلناه وسنصرفك مغبوطا الى بلدك ، ونشد أواخى ملكك ، ونملك جميع من انحاش البك من أمتك ، ونعقد لك بذلك كتابا يكون بعدك ، نقرر به حد ما بينك وبين ابن عمك ونقبضه عن كل ما بصرفه من الهلاد الى يدك ، وسيرادف عليك من أفضالنا فوق ما احتسبته ، والله على ما نقول وكيل » .

غكرر أردون الخضوع واسهب في الشكر وقام للانصراف مقهقرا ، لا يولى الخليفة ظهره ، وقد تكنفه الحفدة من جلة الفتيان ، فأخرجه الى المجلس الفربي في السطح وقد علاه البهر واذهله الروع ، من هول ما باشره وجلالة ما عاينه ، من فخامة الخليفة وبهاء العنزة . فلما دخل المجلس ووقعت عبنه على مقعد أمير المؤمنين خالبا منه ، انحط ساجدا اعظاما له ، ثم تقدم الفتيان به الى البهو الذي بجوفي هذا المجلس ، فأجلسوه هنالك على وساد مثقل بالذهب وأقبل نحوه الحاجب جعفر ، فلما بصر به قام

اليه ، وخضع له وأورا الى دغبيل يده ، فقيضها الحاجب عنه ، وانحنى اليه فمانقه ، وجلس معه فغبطه ، ووعده بانجاز عدات (وعود) الخليفة له بما ضاعف سروره ، دم امر الحاجب جعفر فصبت علمه الخلع الدى امر بها الخليفة ، وكانت دراعة مسوجة بالذهب ، وبرنسا مثلها ، له لوزة مفرغة من حالص الدبر ، مرصعه بالجواهر والياقوت ، ملات عبن العلم تجله ، فخر ساجدا وأعلن بالدعاء .

مم دعا الحاحب أصحابه رجلا رجلا فحلع عليهم على قدر استحقاقهم فه فكمل ذلك بحسب ما بصلح لهم و خرجمعهم خاصعين شاكرين ، ثم انطلق الملك أردون وأصحابه و قدم لركابه فى أول البهو الأوسط فرس من عتاق خيل الركاب ، عليه سرج جلى ، ولجام حلى معرغ وانصرف مع ابن طملس الى قصر الرسافه مكان نضديفه ، وقد أعد له فبه كل ما بصلح لمثله من الآلة والمرش والماعور ، واستقر الملك أردور وأصحابه فيما لا كفاء له من سمعه التضييف وارغاد المعاش ، واستشعر الناس من مسرة هذا اليوم وعزة الاسلام فيه ما أفاضوا فى التبجح به ، والنحدث عنه أباما .

وكانت للخطباء والشعراء بمجلس الخليفة في هذا اليهوم مقامات حسان ، وانشادات لأشعار محكمة مناس ، طول القول في اختيارها .

منحق رقم (۲)

الرعوة للوحدة وعدم الاستعانة بالتصاري (١)

هذه رسالة من احد ملوك الطوائف في بداية القرن الخامس الهجرى ، جاءت على لسان كاسه أبى عبد الله البزلياتي الى صاحبي شاطبة (١) سعوهما فيها الى السلم وترك الخالف والصراع مع المظفر أبى محمد ، ذلك الصراع الذي أدى بهما الى الاستعانة بنصارى الشمال الأسباني . . والرسالة تبين خطر هذا الاتجاه ، كما بصف حالة البلاد في ذلك الوقت ، فهي رسالة هامة ، وهاك نصها :

« كنبت يا سسيدى ، ومشارب الآمال قد تكدرت ، ووجوه المحاسن قد تغيرت ، وأيدى النوازر (آ) قد قصرت ، وسبيل التناصر قد نوعرت الأ أن يتلافى الله الخلل بسديد نظركما وبنعش الأمل بحميد أثركما ، فينظم الشمل ويصل الحل ، ويسد الثلم ويشد الحزم ويرفع المنخرق ، ويجمع المفنرق ، ويضع الأصر ، ويرفع الوزر ، وبعيد الكلمة منفقة ، والأمة متسقة والأبدى منأيدة ، والنفوس متوددة والأهواء متعاضدة ، والأنحاء واحدة والدماء محقونة والعاقبة مأمونة ، والله تعالى بعين كلا على الصلاح ويفضى بنا الى النجاح بعزته .

واتعمل بى ما وقع بينكما وبين المظفر أبى محمد من التنازع الذى الخاف أن بفضى بكم الى التقساطع ، وورد على كتابكما المسكريم فى ذلك مما برقبت انعدام أجله وننظرت (أ) انحسام علله ، حتى خشيت أن يتمادى بكم اللجاح ، ويتعاصى (°) فى أموركم الصلاح ، وأشفقت من اذلال الشيطان

⁽١) ابن بسام ، الذخيرة ، ق ١ ، ح ٢ ، ص ٤٥٤ ـ ٥٦ .

⁽٢) مساحبي سياطنه هما مبارك ومظفر العامرين ٠

⁽٣) التوازر : المسترر ٠

⁽٤) منظرت انتظرت

⁽٥) بيسامس . بستعصى ٠

دخاله والطلال الخزلال لحبائله فيقرع المكلان سنه من الندم وينطوى الحران على دده مل الالم وحالى بالسبدى في الأخذ من احوالكما بأوفر نصيب والنرع في أموركما بأكبر ذنوب والله من أعدكما لحوادث الزمن وكوارث المحن واعنقد كمال البعده الكاعبة والمصمة الواقية غبما استنر وعال وطهر وبطل فلم الرنفسي في سعه من اهمال التذكرة واغفال البيصره والله يعدد الكل مل النينات والمتيان ويعدكم الى المواساة والمواياه .

ولم بحف علىكما ما فى صلاح ذات البين من الموز بخير الدارين وأمن المساد وحصب البلاد واعرار الدين واذلال القاسطين وتوهين المشركين ، وتوه العضد وومور العدد ، ودعة الأحسام والدعة من الآتام وسستر العورات وحفظ المحرمات والانبهاء الى حدود الله والازدجار بزجره والنادب بأدبه والائتمار بأهره ، فأنه بقول عز من فائل « فايقوا الله واصلحوا ذات بينكم ، وأطبعوا الله ورسوله ال كننم مؤمنين » (١) ، ومال « واعتصموا يمبل الله جميعا ولا يمرقوا » (٧) وقال صلى الله عليه وسلم « لا تقاطعوا ولا يحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله الخوانا وعلى طاعته أعوانا » .

وقد علىم أنه لم يهلك من هلك من الأمم الماضية والقرون الخالية الا بنقاطعهم وتحاسدهم وتداررهم وتخادلهم ، وأن اللجاج مطبة الجهل ، والهوى آفة المقل ، والحمبة من أسباب الجاهلية والعصبية من العنجهية ، والحرب مشتقة المعنى من الحرب ، مع ظنك المنفلب وكأنه المنفلب . تيتم الأطفال وتلتهم الرجال ، سوق لا ينفق حاضرها غبر النفوس والأرواح ، وشرب بنهاطون المنابا بظبا السيوف واطراف الرماح ، مصرعهم دائر وصارعهم خاسر ، وماضيهم نادم وباقيهم واهم .

والذى يحملون من أوزارهم وأوزار مع أورارهم ، ويحتقبون من أعمارهم ، تسليط النصارى على المسلمين ، وعبثهم في بلادهم بقتالون

⁽٦) سسوره الأنفسال ، آلية رقم ١ ٠

⁽V) سسورة آل عمران ، آمة ١٠٣ •

ویاسرون ، فالأموال مستهلکة ، والحرمات منتهکة والدماء مهراقة ، والنساء مستاقة ، وعقد الدین مفسوخ ، وعهد الاسلام منسوخ ، والکفر عال علی الایمان ، والسوء غالب علی الاحسان ، فقد بلفنی أن مذهبکم الاستجاشة بالنصاری الی بلاد السلمین ، یطنون دبارهم ویعفون آثارهم ویجتاحون أموالهم ، وبسفکون دماءهم ، ویستعبدون أبناءهم وبستخدمون نساءهم ، وان نفذ هذا _ واعوذ بالله _ فهی حال مؤذن بالذهاب ، وجربرة تؤذن بالخراب ، ولم نأمن أن يظهر لهم من الخلل فی بلادنا والقلة فی أعدادنا ، ما يجرئهم علينا ويجرهم الينا ، بما لا نقدر علی مکاثرنهم فيه ، ولا نقوی علی مصابرتهم به ، فتلك الواقعة النی لا بنتعش عثورها والقسارعة التی لا ينجبر كسرها .

ولم اجد يا سبدى وعدنى دواء انجع ولا سعيا انفع ، من صلة يدى بيد الفتى الكبير غلان ، فى نوسطه هذه الأحوال بينكم ، والنأنى لاصلاح ما فسد منها عليكم ، ولم ناف (^) سببا الى كشف هذه الغايات وفتح هذه المبهمات ، أقوى فى النجاح وأهدى الى الصلاح من بعث اعلام بلدنا وجوه رجالنا .

⁽٨) لعلها : نلسق ٠

ملحق رقم (٣)

رسالة الفونش السادس الى المعتمد بن عباد قبل موقعة الزلاقة (١) عام ٤٧٩ ه / ١٠٨٦ م

هى رسالة هامة أرسلها الفونش السادس ملك قشتالة وليون وأقوى ملوك أسبانبا الفصرانية الى المعتمد بن عباد ملك اشبيلية . وأهمية هذه الرسالة تكمن في أشارتها الى خيانة المعتمد وتواطئه مع الفونش السادس في استيلائه على طلبطلة عام ٧٨ ه / ١٠٨٥ م من يد بنى ذى النون . وهاك نص الرسالة :

من الأنبيطور ذى الملتين ؛ الملك المفضل الأدفئش ابن شانجة الى المعتمد بالله ، سدد الله رايه وبصره مقاصد الرشاد وسلام عليك من مشيد شرغه الغنى وثبت فى المنى فاهنز اهنزاز الرمح بعامله والسيف بساعد حامله ، وقد أبصرنم ما نزل بطليطلة واقطارها ، وما صار بأهلها حبن حاصرها بما صار فى هذه السنبن ، فأسلمهم اخوانكم وعطلتكم بالرعاية زمانكم ، والحذر من أنقظ الله قبل الوقوع فى الحبالة ، ولولا عهد سلف بيننا نحفظ زمامه ونسعى بنور الوفاء أمامه لنهض بنا بحوكم ناهض العزم ورايده ، ووصل رسول العدو واردة ، لكن انذار يقطع الاعذار ، ولا يجعل الأمر خوف الفوت فيما يرومه ، أو خشى العاقبة على من يسومه ، وقد حملنا الرساله اليك القرمط البرهانس وعنده من المنجربد الذى يلقى به أمثالك والعقل الذى بدبر به بلادك ورجالك ، فيما وجب استنابته فيما يدق ويجل ، ونيما يعلم لا فيما بحل ، وأنت عندما نأبى به من ورائك والنظر بعد هذا من ورائك والنظر بعد هذا من

المراجعة الم

⁽١) ابن الحطيب ، الحلل الموسية ص ٢٢ - ٢٣ .

رد المعتمد بن عباد على رسالة الفونش السادس (١)

ولما وصلت رسالة الفونش السادس المشسسار البها الى المعتمد بل عباد ، كتب الأخر الرد علبه مخطه نبا للى :

« من الملك المنصور بفضل الله المعتمد على الله محمد بن المعتضد مالله ابى عمر بن عباد الى الطاغعة الباغعة ادفونش بن شانجة الذى لقب نفسه بملك الملوك وسماها بذى الملنبن ، قطع الله بدعواه سلام على من السمع الهدى . (أما بعد) ، فأنه أول ما نسدا به من دعواه أنه ذو الملنبن والمسلمون أحق بهذا الاسم ، لأن الذى يملك ، ن أمصار البلاد وعظيم الاستعداد ومحبى المملكة ، لا نبغله قدرتكم ، ولا نعرفه مليكم ، وأنها كانت سمنة أبقظ منها منادبكم ، وأغفل عن النظر السديد فركبنا مركبا عجز نسخه الكسن وعاطيناك دمعة كؤوس قلت في أننائها ليس مباديك تعلم أنا في العدد العديد والنظر السديد والنفر المنائبة والمنائبة والم

ولدبنا من كهات الفرسان وحبل الانسان وحهاة الشجعان يوم بلنقى الجهعان ، رجال تدرعوا الصبر وكرهوا الفقر ، نسيل نفوسهم على حد الشفار ، وتناهم السهام في القفار ، يديرون رحى الفنون بحركة العزايم ، وبشفون عن خطب الجنون بخوانم العزائم ، ولما تستجبر (۱) أن تأمر باسلام البلاد في ارجالك ، وإنا لنعجب من استعجالك برأى لم تحكم انجازه ، ولا حسن انتخاله ، وإعجابك بصنع رافقتك فيه الأقدار ، وإغتررت بنفسك أسوأ اغترار ، قد أعدوا لك ولقومك جلادا أزلية الاتفاق ، وشفارا حدادا شحدمه (۱) الاصفاق ، وقد يأني المحبوب من المكروه ، والندم من الشهورة (۵) ، نبهت من غفلة طال زمانها ، وايقظت من نومة عاد ايمانها ،

⁽٢) ابن الخطيب ، الحلل ، ص ٢٣ - ٢٥٠

⁽٣) بتحسيراً ٠

⁽٤) لعلها : شديدة ٠

⁽٥) لعلها ، التهسور ٠

ومتى كان لأسلافك الأقدمين مع اسلافك الأكرمين بد صامدة أو رفلة مساعدة الأذل نعلم مقداره وتحقق شياره ، والذي جرك على طلب ما لا بدركه ، قوم كالحمر لا يقابلونكم جميعا الا في قرى محصنة أو من وراء جدر ، ظن العاقل نعقل ، والدول لا تنتقل ، وكان ببننا وببنك من المسالمة ما أوجب القعود على نصرتهم وتدبير أمورهم ، ونسال الله سيحانه المغفرة فيها أتناه في أنفسنا وفيهم من نرك الحزم ، واسلامهم لأعاديهم ، والحمد لله الذي جعل عقوبينا نوبيخك وتقريبك (أ) بها أطارت من دونه ، وبالله نستعين عليك ، ولا تستبطى مسبرتنا اليك ، والله ينصر دينه الكريم ولو كره الكانرون ، والسلام على من علم الحق فاتبعه ، واجتنب الباطل وخدعه ، .

(۲) لطها : تتريمك ·

ملحق رقم (})

رسالة المعتمد بن عباد المي بوسف بن تاشفين يستصرخه فيها ضد الفوئش السادس (')

وسحبه وسلم تسليما ، الى حضرة الامام أمير المؤمنين (١) وناصر الدين محيى دعوة الخليفة الامام أمير المؤمنين أبو سعقوب بوسف بن ناشفين القائم بعظيم اكبارها ، الشاكر لاجلالها ، المعظم لما عظم الله من كريم مقدارها ، اللائذ بحرمها المنقطع الى سمو مجدها من المستجير بالله محمد بن عباد ، سلام كريم يخص بالحضرة المعظمة السامية ورحمة الله تعالى وبركامه ، كتب المنقطع الى كريم سلطانها من اشبيلية فى غرة جمادى الأولى سغه ٧٩ هوانه أيد الله أمير المسلمين ونصر به الدبن ، غانا نحن العرب فى هذه الأندلس قد تلفت قبائلنا وتفرق جمعنا ، وتغيرت أنسابنا بقطع المادة عنا من صنيعننا ، فصرنا فيها شعوبا لا قبائل ، واشتاتا لا قرابة ولا عشائر ، فقل نصرنا وكثر شامتنا ، وتولى علينا هذا العدو المجرم اللعين ادفونش ، وأناخ بطليطلة ووطئها بقدمه ، واسر المسلمين ، واخذ البلاد والقلاع والحصون .

ونحن اهل هذه الأندلس لبس لأحد منا طاقة على نصرة داره ولا أخيه ، ولو شهاءوا لفعلوا ، الا أن الهواء والماء منعهم عن ذلك ، وقد ساعت الأحوال وانقطعت الآمال ، وانت أيدك الله سهيد حمير وملكها الأكبر ، واميرها وزعيمها ، نزعت بهمتى اليك ، واستنصرت بالله ثم بك ، واستغثت بحرمكم لتجوز لجهاد هذا العدو الكافر ، وتحيون شريعة الاسملام وتدينون على دين محمد عليه الصلاة والسلام ولكم بذلك عند الله الثواب الكريم ، والأجر العظيم والسلام الكريم على حضرتكم السامية ورحمة الله وبركاته ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم » .

⁽١) أبن الخطيب ، الحلل آلوشية ، ص ٢٦ ، ٢٩ ٠

⁽٢) لم يتحدد بوسف بن تاشفن لقب امير المؤمس واسما اتخدد لقب امير المسلمين بعليل ما بتوله بعد الله في معسى الرسالة ، أنه أيد الله أمير المسلمين ٠٠٠ النج ، ٠٠ . . ، ١ ،

رد ابن تاشفين على رسالة المعتمد السابقة (")

« بسم لله الرحبن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم نسلما ، من امير المؤمنين (أ) وناصر الدين ، معين دعوة أمير المؤمنين ، الى الأمبر الأكرم المعتمد على الله أبى القاسم محمد بن عباد ، أدام الله كرامنه بنقواه ، ووفقه لما يرضاه ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(أما بعد) فانه لما وصل خطابكم الكريم ، وقنت على ما تضمنه ، من استدعائنا لنصرتك وما ذكرته من كربنك ، وما كان من قلة حماية جيرانك ، فنحن يمبن اشمالك ومبادرون لنصرتك وحمايتك ، وواجب علينسا ذلك من الشرع وكناب الله تعالى ، وانه لا يمكننا الجواز الا أن تسلم لنا الجزيرة الخضراء تكون لنا لكى يكون جوازنا اللك على ايدينا متى شئنا ، فان رايت ذلك ، فاشهد على نفسك بذلك وابعث الينا بعقودها ونحن في انر خطابك أن شاء الله ، .

⁽٣) ابن الخطيب ، المطل ألموشية ، ص ٣٢ ، ٣٠٠ .

⁽٤) مستف الاشارة الى خطأ هذا اللقب والصحيح أنه انخذ لعب أهر المسلمين بدليل ما بقوله فى نفس العباره « معين دعوة أمير المؤمدين ، والمقصود بدلك هدو الخليفة العداسى .

ملحق رقم (٥)

خطاب النصر في موقعة الزلاقة عام ٧٩٩ ه / ١٠٨٦ م (')

كتب المعتهد بن عباد ملك أشبيلية رسالة أرسلها بالحمام الى ولده الرشيد عقب الفراغ من وقعة الزلاقة قال فيها « يا الذي أبقاه الله وسلمه ووقاه الأسواء وعصمه وأسمع على الاءه وأنعمه . كبيه وقد اعز الله الدين ، وظهر المسلمون وفنح لهم على بدى الفتح المبين ، بها يسره الله تعالى وناء ، وقدره سيحانه وقضاه ، من هزيمة ادفونش بن فرذلند ، لعنه الله وأصلاه نكال الجحيم ، ولا أعدمه العيش الذميم ، كما قنعه الخزى العظيم ، وأتى القبل على أكثر رجاله ، وانصل النهب سائر اليوم واللبل المتصلة به جميع محلانه وجمع من رؤوسهم ببن بدى من مشهورى رجالهم ومذكورى أبطلالهم ، ولم يختر منهم الا من شهر وجرب ، واميلات الأبدى مما سلب ونهب ،

والذى لا مربة فيه ان الناجى ،نهم قلبل ، والمفلت بسيوف الجسزع والبعد قليل ، ولم بصبنى بفضل الله الا جرح أشوى ، وحسس الحال عندنا والله وزكا . ولا يشغل بذلك بال ، ولا بنوهم غير الحال الذي أشربت اليها حال . والأنفونش بن فرذلند ان لم بصبح بحت السيوف فسيهوت كهذا ، وان كان لم تعلقه أشراك الحهام البوم ففذا ، فاذا ورد كتابي هذا فمر بجمع الخاص والعام من أهل أشبطبه وجيرانها الأقربين وأصفيائها المجبئ ، في المسجد الجامع أعزهم الله ، وليقسرا عليهم فيسه ، لناخذوا من المسرة لسبعهم ، ويضيفوا شكر الله الى صالح دعائهم والديلام » .

Garage Commence of the Commenc

⁽١) آن الخطيب ، الحلل آلوشمة ، ص ٧٩ ، ٨٠ .

ملحق رقم (٢)

القس القرطبي ودوره في اثارة الفتنة الدبنبة في عهد المارة بني أمية في الفترة (٣٣٤ ــ ٥٤٨ هـ / ٨٤٨ ــ ٨٥٨ م)

کنن یولوجدوس Eulogious قسیس ینتهی الی اسره قرطسه عریقه وهعرومه بولائها للمسحدة وکراهیها للاسسلام ، درس فی کنیسة القدسس زیلوس ــ احد شهداء المسبحیه ربما ادام دقلدبانوس ــ وبعوق حنی علی اساه به وبانر کثرا باحدهم می المعصبین ، وهو Abbet Spera - in De الذی الله کنابا فی نفنید العقده الاسلامیه وفی اهمیه موت الاستشهاد . وهذا الاسناذ المفور المتعصب هو الذی ابر فی نفس یولوجیوس کثیرا وعنده نقابل مع الفارو ماهیده می دلک الشاب القرطبی الفتی النبل والذی کان ینسارک بولوجیوس مشاعره رغم آنه ام یکی قسیسا ، وهکذا: نشسات صداقة وطده بی الفارو وبولوجیوس الذی اصبح قسیسا لکنیسه القدیس زبولوس ، نم زار بمیلونه عاصمه مملکه نیره (نافار) عام ۲۳۶ ه / ۱۸۸۸ وعاد الی قرطبه لنتسمل فیها حریق البعصب والمنته الدیبیه ، ونسجع الفییان والفتیات ــ حتی المسلمان بعد اغرائهی وننصرهن ــ علی سب الابسلام وصاحب الدعوه .

ولما انسدت الفينة وشعرت الحكومة بالحرح رات أن نعالجها أول الأمر بالحكمة فدعا الأمير عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦ ــ ٢٣٨ ه / ٨٢٠ ــ ٨٢٠ م / ٨٥٠ م) الى عقد مؤدمر كنسى لمعالجة هدذا الأمر ، فقدام وبكافريد RReccafred مطران أشبيلية بالدعوذ لعقد المجدم الكنسى ، ومسل الأمير عبد الرحمن في هذا المجمع القومس Gomez الدى أسلم فيما بعدد وصار من كناب الأمير محمد (٢٣٨ ــ ٢٧٣ ه / ٨٥٢ ــ ٨٥٢ م) .

ورغم اصدار المجمع قرارا ممنع اعمال الاستشهاد وبسجن من يحرض علبها من جديد ، الا أن يولوحيوس شهر بقرارات المجمع وأنها لم تدن أعمال

الاستشهاد ، والهم أعضاء المجمع بالخوف والجبن والعمالة ، بل انه رمى المعارضين له من الأساقفة بأنهم كالوا يبطنون الاسلام وبظهرون المسلحية . هكذا بلغ تعصيه ، ولم يدر أن كثيرا من المسلحيين كانوا معتدلين ، وبعللون اعمال الاستشهاد بأن الشهداء قد انارهم الكبرياء والعجب وحب البطولة ، لذلك وصف هؤلاء المعتدلون الاستشهاد بأنه عمل انتجارى وليس استشهادا دينيا ، لأنه لبس هناك ما بدعو البه ، عالأمراء الأمويون بسيرون على سياسة العسامح ، والقضاة أنفسهم لا يحكمون بالاعدام على الفور بل انهم كانوا يلمسون مساعدة هؤلاء المتهورين وبحاولون اقناعهم بانكار ادعاءاتهم ضد الاسلام ، لكنهم كانوا يصرون على أقوالهم تحت تأثير يولوجيوس وأمتاله من المتعصبين ، واعترف يولوجيوس نفسه بسماحة المسلمين بعد أن امتنع القاضى عن اصدار حكم عليه بالموت ، وأمر بارسساله الى القصر ليرى القاضى عن اصدار حكم عليه بالموت ، وأمر بارسساله الى القصر ليرى الوزراء رأيهم فيه ،

وهناك قابله أحد الضباط الذى كان يعرفه جبدا ونصحه بألا بستهوبه عمل هؤلاء الجهلاء وهو الرجل المنعلم المستنير . هنا فقط شعر بولوجيوس بأن المسلمين أقل وحشية مما كان يعتقد . وكان هناك شعور بحب الحياة في نفسه ونفس غيره ، وعاد الى الاسلام كثير من النصارى بعد قرار المجمع الكنسى ٢٣٨ ه / ٨٥٢ م وغير كثير من العلمانيين والأساقفة ممن كانوا يؤيدون أعمال الاستشهاد رأيهم ، هنا نهض يولوجيوس للرد على هؤلاء والف الكتب في ذلك مثل كتابه

Memorial of thhe Saints
(ذكر القديسيين) وفيه رد على معارضيه ، وساق حججا من الانجيل تؤيد أعمال الاستشهاد .

وظل يولوجيوس يثير النصارى ويبث الكراهية في نفوسهم ويحرضهم حتى انتشرت الفتنة في طول البلاد وعرضها ، وسقط الكثير من القتلى بسبب هذه الأعهال الطائشه ، منهم على سببل المثال اسقف قرمونة المسمى Theodemir . وظلت المنة تستشرى حتى سقط يولوجبوس نفسه في المسدة بعد أن أخفى احدى الفسات واسمها (ليوكرتنا) واعترف أمام القاضى أنه هو الذي لقنها تعاليم المسيحية ، ولم يعد هناك مناص من أن سمير الى النهاية التي قاد زملاءه ومواطنبه اليها ، ولذلك قدم نفسه للموت بطريقة الشهداء ، وأعدم في عام ٥٤٥ ه / ١١ مارس ٨٥٩ م .

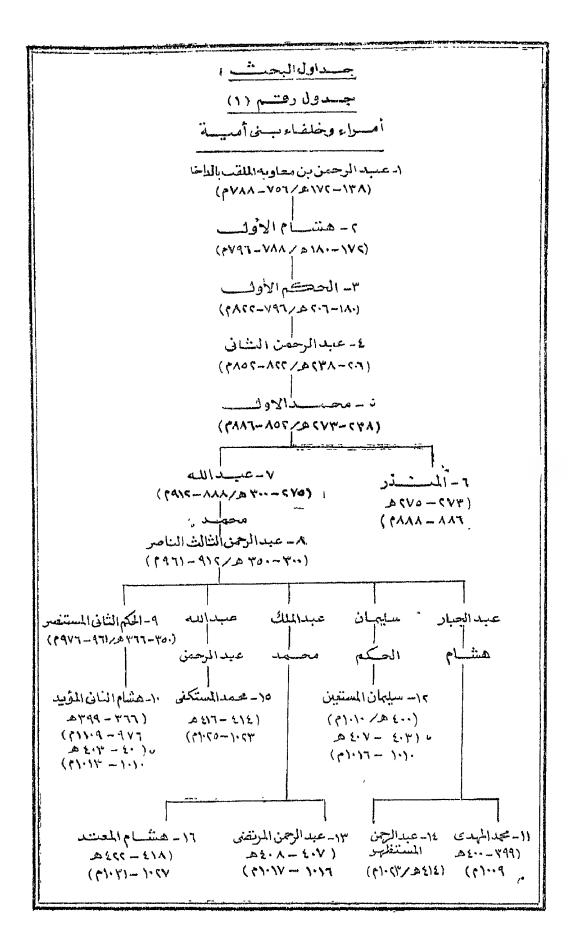
ورغم ما قام به هذا القس المعصب من اثارة للفتنانة الا انه كان السبب في احضار بعض كتب الآدب اللانبنية من بمبلونة الى قرطبة ، ولا بد انه أخذ الى بمبلونه كتب المسلمين الدينيسة ليقوموا هناك بتفنيدها ثم يرسلونها الله . وقد أحضر هو نفسه كتبا من هذا القبيل ملبئة بالأباطيل والخرامات ضدد الاسلام وصاحب الدعوة ، وظل دائم الانصسال بأسقف بمبلونة المسمى ولسند Wiliesind عن طريق الرسائل المتبادلة . وربما ما قام به يولوجبوس في هذا المجال قد أثار جدلا نكريا فيما بعد ، ودفع ببعض الكتاب المسلمين مثل ابن حزم لأن يؤلف كنابه الشهير « الفصل في الملل والأهواء والنحل » كما الف كتابا آخر للرد على افتراءات اليهود ضد الاسلام وسماه « الرد على ابن النفريلة اليهودي » .

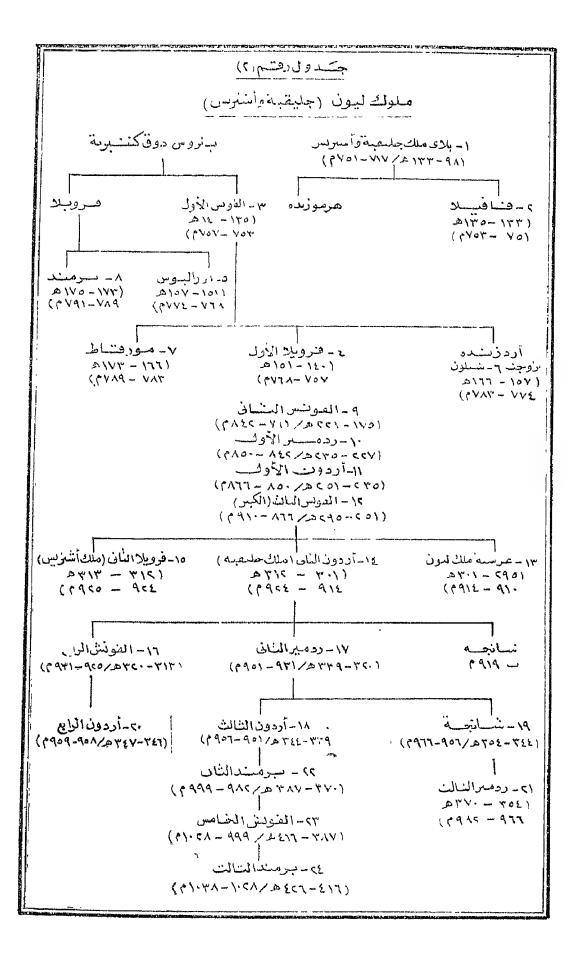
· diff

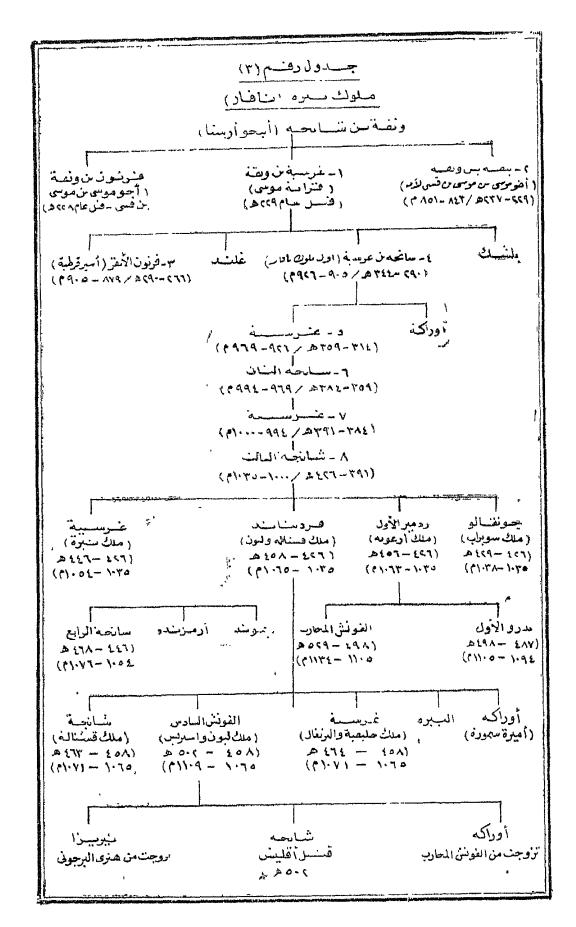
Dozy, A history of the moslems in Spain, pp. 273 - 274 , 285 - 2923 , 206 - 307.

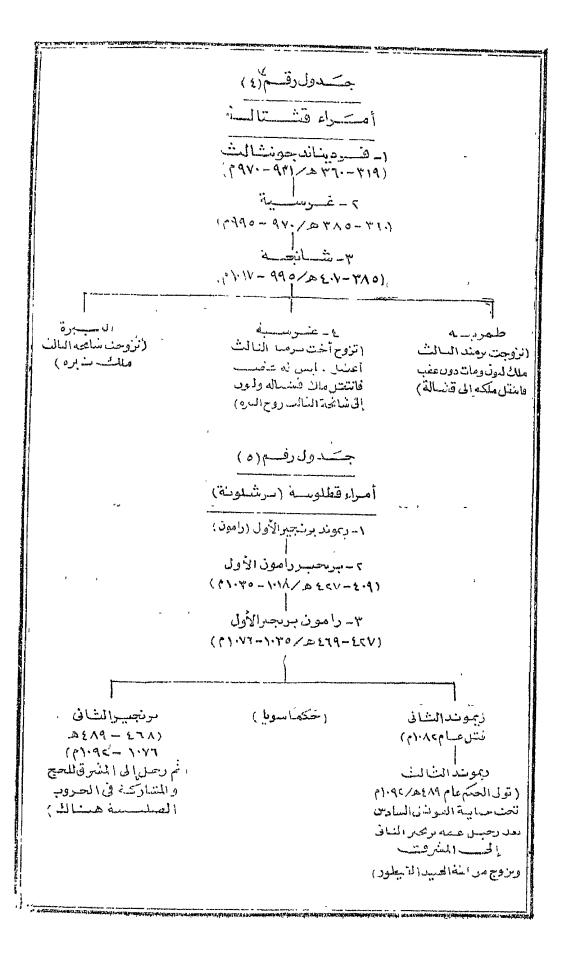
سروكة مان ، تاريخ الشعوب آلاسانهمة ، حـ ٢ ، ص ١٤٧ ٠

جداول البحث



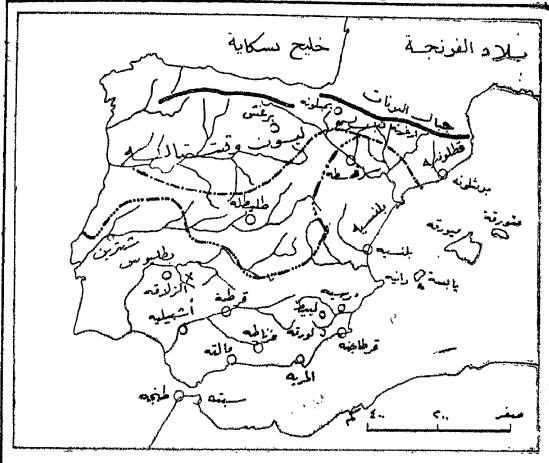








خربطة زفم ٢

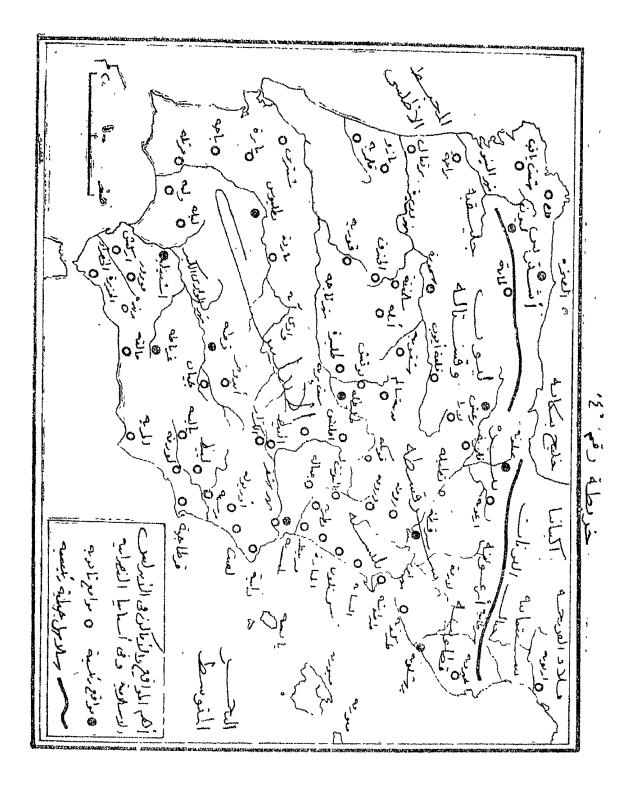


مير سلاسل جبال

و سن صامة .

و الهدود بين الأدلس الدسلامية وأسيا باالنصرابة في طرية عصر الملامة المنصوبة المسادية النصوبية المنطقة المنطقة





المسادر والراجع

أولا - المصادر المربية المضطوطة والمطبوعة

ابن الآبار (۹۰ - ۸۰ ه / ۱۱۱۹ - ۱۲۲۰م)

- ا ــ الحلة السيراء ، جا ، ٢ ، تحقيق د. حسبين مؤنس ، نشر السركة العرببة للطباعة والنشر بمصر ، الطبعة الأولى ، عام ١٩٦٣م .
- ٢ المعجم في أصحاب القساشي الامام أبي على الصدفي ، مدريد ١٨٨٥

ابن الأثير (ت ١٣٣٥ / ١٣٣٣م)

٣ _ الكامل في الناريخ ج ٤ _ ٩ . طبع القاهرة ، ١٢٩ ه

ابن أبي دينسار (ت ١١١٠هـ)

٤ ــ المونس في اخبار أفريقية وتونس ، الطبعة الأولى ، تونس ٢٣٨٦ه

ابن بسام الشنتريني (ت ٢٤٥ه / ١١٤٦م)

- ه الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، القسم الأول ، المجلد الأول والتاني .
 - ٦ الذخيرة ، القسم الرابع ، المجلد الأول ، طبع القساهرة .

ابن بشكوال (٤٩٤ ــ ٧٧٥ه / ١١٠١ ــ ١١٨٢م)

٧ - الصلة في تاريخ أئمة الأندلس ، ج١ نشر السيد عزت العطار الحسيني ، طبع القاهرة ، ١٩٥٥ م

ابن بلقين (ت ١٨٩هـ / ١٠٩٦م)

٨ - مذكرات الأمير عبد الله ، تحقبق ليفي بروننسال ، طبع دار المعسارف بمصر .

ابن الجسوزي (ت ١٥٥ه / ١٢٥٧م)

٩ - مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم
 ١٥٥ تاريخ .

ابن حبيب (ت ٢٣٨ه / ٨٥٢ م)

١٠ - تاريخه ، جزء خاص بالأندلس نشره محمود على مكى بصحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، المجلد الخامس ١٩٥٧ م

ابن حسزم (ت ٥٦ ه / ١٠٦٦م)

- ١١ -- جمهرة انساب العرب ، تحقيق ليفى بروننسال ، دار المعارف بمصر ١٩٤٨م
- 17 سطوق الحمامة في الألفة والألاف ؛ تحقيق حسن كامل الصيرفي طبع القاهرة .
- ۱۳ ــ الرد على ابن النغريلة اليهودى ، نحقيق احسان عباس ــ طيم القـاهرة ١٩٦٠
- 18 ــ نقط العروس في تواريخ الطفاء برواية الحبيدى ، نحقيق شوقى ضيف ، مجلة كلية الآداب ، جامعه القاهرة ، المجلد ١٣ الجزء الثاني ، ديسمبر ١٩٥١ م
- 10 _ رسائل ابن حزم الأندلسي ، المجموعــة الآولى ، نحقبــق احسان عباس ، القـاهرة ١٩٥٥ م .
 - ١٦ _ الاحكام في أصول الأحكام ، ج١ ، طبع القاهرة ١٩٦٣ م
- ١٧ ـ جوامع السيرة ، تعفيق احسال عباس ، دار المعارف بمصر .
- ۱۸ ــ شدرات من كساب السياسة لابن حزم ، نشر محمد ابراهيم الكناني ، مجله تطوال ، العدد الخامس ، ۱۹۲۰ م ،
 - ١٩ مداواة النغوس ، طبع مصر .

ابن حوقل (القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى)

. ٢ - كتاب صورة الأرض ، ج١ ، طبع ليدن ١٩٦٧م

ابن هیان (ت ۱۰۷۹ / ۱۰۷۹م)

71 _ المقبس في تاريخ أهل الأندلس . حس نشر الأب طشور انطونية على ملبع باريس ١٩٣٧م

ابن خلقان (ت ٥٣٥ه / ١١٣٦م)

٢٢ _ قلائد العقابسان ، طبع مصر ١٢٧٧ هـ

٢٣ _ مطمع الأنفس ومسرح المأنس في ملح اهل الأندلس ، طبع مصر

ابن الفطيب (ت ٧٧٦ه / ١٣٧٤)

٢٤ _ أعمال الاعلام ، ج٢ محقبق لعنى بروفنسال ، طبع بيروت ١٩٥٦م

70 _ الاحاطة في اخبار عرناطه ، ج ١ ، بحقبق محمد عبد الله عنان ، دار المعارف بمصر (سلسله ذخائر العرب رقم ١٧)

٢٦ _ الاحاطة في أخبار غرناطة ، ج٢ الطبعة الأولى ، مطبعة الموسعات بمصر ، عام ١٣١٩ه

٢٧ _ رقم الحلل في نظم الدول ، طبع نونس ١٣١٦ هـ

٢٨ ــ الحل الموشية في ذكر الأخسار المراكشية - الطبعة الأولى ،
 تونس ١٩٢٩ م

٢٩ _ معيار الاختمار في دكر المعاهد والديار ، طبع فاس ، ١٣٢٥هـ

ابن خلدون (ت ۸۰۸ ه / ۱٤٠٥ م)

٣٠ _ العبر وديوان المبدأ والخبر ٠ ج١ ٠ ج٦ طبع بولاق ١٨٨١م

٣١ _ مفدمه ابن حلدون - ج١ ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٥١م

٣٢ _ مقدمة ابن خلدون ، ج٢ ، ج٣ ، الطبعه الاولى ، القاهرة ١٩٥٨م

ابن خلکان (۲۰۸ – ۱۸۱ه / ۱۲۱۰ – ۱۲۸۶م)

٣٣ _ وغيات الاعدان ، دا _ ٦ ، نحقيق محمد محيى الدين عندالحميد نشر مكتبة النهضه المصرية بالقاهرة .

ابن دهسة (ت ١٢٣٥ / ١٢٣٥ م)

٣٤ ـ المطرب من أشعار أهل المغرب ، تحقيق ابراهيم الابيسارى وآخرين ، طبع القاهرة ، ١٩٥٤م

ابن سعيد الفربي (ت ١٧٧ه / ١٢٧٥)

٣٥ ــ المفرب في حلى المعرب ج١ ، ٢ تحقيق شوقى ضيف ، الطبعة الثانيه ، دار المعارف بمصر ١٩٥٥ م

٣٦ ـ سط الأرض في الطول والعرض ، تحقيق خوان خونيس ، طبع تطوال بالمغرب ١٩٥٨م

ابن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤ه / ١٣٦٠م)

٣٧ _ فوات الوفيات _ جا ، ملعع مولاق ١٨٨١هـ

ابن شهید الأندلسی (ت ۱۹) ه / ۱۰۲۸م)

٣٨ _ رساله النوابع والزوابع ، طبع بيروت .

أبن عبد ربه الأندلسي (ت ٢٣٦ ه / ١٩٤٨)

٣٩ _ العقد الفريد ، ج٢ ، طبع مصر ١٢٩٣ هـ

ابن عبدون (القرن الخامس الهجرى / الحدادي عشر المبلادي)

٠٠ ـ ثلات رسائل انداسبه في آداب الحسنة والمحسب ، تعقبق ليفي بروغنسال ، القساهره ١٩٥٥ م

ابن عبد البر (ت ٢٦٣ هـ / ١٠٧٥ م)

١١ - القصد والأمم في النعريف بأصول أنساب المرب والعجم ، طبع التساهرة ١٣٥٠ه

ابن عذارى (القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادي)

٢٦ ـ السيان المفرب ، د ٢ ، نحقبق دورى ، طبع بيروت .

- ٤٣ ــ الببان المغرب ، ج٣ ، محقيق ليفي بروفنسال ، ببروت . ١٩٦٩ م
- ٤٤ ـ البيسان المفرب ، ج٤ ، الطبعسة الرابعة ، تحقيق احسسان عباس ، طبع سروت ١٩٦٧م

ابن غالب الأندلسي (المقرن السادس الهجري / الناني عشر الميلادي)

٥٤ - تعليق منتقى من فرحة الأنفيس في ناريخ الأندلس ، مجله معهد المخطوطات العربية ، المجلد الأول حا ، مايو ١٩٥٥ م

ابن الفرضي (ت ٢٠١٣ / ١٠١٣م)

٢٤ ـ تاريخ العلماء والرواه للعلم بالاندلس ، ج١ ، ٢ ، نشر السيد عزت العطار الحسنى ، طبع القاهره ١٩٥٤ م

ابن فضل الله العمرى (ت ٧٤٩ ه / ١٣٣٦ م)

- ٧٧ ــ مسالك الابصار في ممالك الامصار ، مخطوط بدار الكتب المصرمة درة مسالك الابصار في ممالك علمة قسم ١٠ حـ ١٦ ، قسم ٢ ، جـ ١٥ .
- ٩٤ ــ وصف امريقية والمغرب والاندلس ، مقعطف من كساب مسالك الابصار في ممسالك الأمصار ، نتبر حسن حسني عبد الوهاب ، طبع مونس ١٩٢٣ م

ابن قتيبة الدينوري (٢١٣ ـ ٢٧٦ ه / ٨٢٧ - ٨٠٩م)

. ٥ - الامامة والسياسة ، ج٢ ، الطبعة النانية ، طبع مصر ١٩٥٧م

ابن القوطية (ت ٢٦٧ ه / ٩٧٧م)

٥١ ـ ناريح افستاح الأندلس ، الطبعه الاولى ، طبع مصر .

ابن الكرديوس (القرن السادس الهجرى / الثاني عشر الميلادي)

٥٢ _ الاكتفاء في أخبار الخلفاء ، نشر أحمد مخنار المبادى ، محيفة معهد ١٣ عام محيفة معهد ١٣ عام ١٩٦٦/٦٥

ابن هـنيل:

٥٣ _ نحفة الأنفس وشعار أهل الاندلس ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، رقم ٩٩ مروسية نيمور .

ابن الوردى (ت ٧٤٩ه / ١٣٣٦م)

٤٥ ــ خريدة الجائب ونرىدة الفرائب ، طبع القاهرة ١٢٧٦ هـ

أبو الفسدا (بت ٧٣٢ه / ١٣٢٩م)

٥٥ ـ تاريخه ، ج١ ، ٢ ، طبع التسطنطينية ١٢٨٦ هـ

الادريسي (ت ١٢٥٣ / ١٢٥٣م)

٥٦ ــ صفة المغرب والسودان ومصر والأندلس ، ماخوذ من كتاب نزهة المشتاق ، طبع ليدن عام ٨٦٦ م .

الاصطفری (ت ٥٥٠ه / ٩٦٢م)

٥٧ ــ المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العال الحسينى ، دار القلم بالقساهرة ١٩٦١م .

الأنصاري (٨٠١ ــ ٨١٤ه / ١٣٩٩ ــ ١٤١١م)

٥٨ ــ نفريج الكروب في ندبر الحروب ، تحقيق جورج اسكاملون ، القاهرة ١٩٦١م

البساجي (ت ٤٧٤ه / ١٠٨١م)

٥٩ ــ وصبه النبيخ أبى الوليد الباجى لولديه ، نشر جودة هلال ، صحيفه معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، المجلد الثالث ، ١٩٥٥م

البلاذری (ت ۲۷۹ه / ۸۹۲م)

٠٠ - غدوح البلدان ، الطبعه الأولى ، طبع مصر ١٩٠١م .

التطیلی (ت ۲۰۵۵ / ۱۱۲۹م)

١٦ - ديوانه ، تحقبق احسان عباس ، طبع بيروت ،

الثعالبي (ت ٢٩٦ ه / ١٠٣٨ م)

١٢ -- ينيمة الدهر ، ج١ نحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ،
 الطبعة الأولى ، القساهرة ١٩٤٧م .

١٣ - ينيمة الدهر ، ح٢ ، الطبعة الأولى . مصر ١٩٣٤ م .

المجسرى (القرن المادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي)

٦٤ - ناصر الدين على القوم الكافرين · مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ١٦٣٤ ط

الحبيسدى (ت ٨٨٤ه / ١٠٩٥)

٦٥ - جذوة المقسس في ذكر ولاة الأنسدلس ، نشر يكتب الثقسافة
 بالقساهرة .

الحبيري (جمعه عام ١٦٦٨ه / ١٤٦٣م)

٦٦ - صفة جزيرة الأندلس ، منتخب من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار للحميري ، نشر ليفي بروغنسال ، القاهرة ١٩٣٧م

الخشني (ت ٣٦١ه / ٩٧١م)

۱۷ - قضاة قرطبة وعلماء افريقية ، نشر السيد عطار الحسينى ،
 القساهرة ۱۳۷۲ه .

الزبيدي (ت ۲۷۹ ه / ۹۹۱ م)

٦٨ ــ طبقات النحويين واللغويين والطبعة الأولى وتحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم و مصر ١٩٥١م .

السقطى (القرن السابع الهجرى / الثالث المشر الميلادى)

79 ــ آداب الحسيه ، نشر ليمي بروننسال وكولان ، المطبعه الدولية باريس ١٩٣١م ،

ســـحنون:

٧٠ ــ المدونة الكدرى . ج

السسلاوي (ت ١٣١٥ / ١٨٩٥)

٧١ ــ الاستقصاء لاخبار دول المفرب الأقصى جا ، طبع مصر .

صاعد الأندلسي (ت ٢٦٦ه / ١٠٧٠م)

٧٢ _ طبقات الأمم ، نشر الأب لويس شدف ، نشر وطبع بيروت ١٩١٢ .

الضبي (ت ٩٩٥ ه / ١٢٠٣ م)

٧٧ _ بغبة الملمس في باريخ رجال أهل الأندلس ، طبع مدريد ١٨٨٤م

الطرطوشي (ت ٢٠٥٠ / ١١٢٤م)

٧٤ ــ سراج الملوك ، الطبعه الاولى ، المطبعة الأزهرية ، القساهرة ١٣١٩ ه. .

العسئرى (۷۸ ه / ۱۰۸۵ م)

٧٥ - نصوص عن الأندلس ، مأخوذ من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع المسالك ، تحقيق عبد العزبز الأهواني ، مطبعة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ١٩٦٥م .

المعيني (ت ٥٥٥ه / ١٤٥٠م)

٧٦ - عقد الجمسان في تاريخ اهل الزمان ، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ١٥٨٤ تاريخ ، قسم ٢ ، ح١٢ ، قسم ٣ ، ج١٢ ، قسم ٤ ج١٩ .

الفرناطي (ت ٣١١م / ١١٦٥)

Journal Astiatque, Sep. 1925. نشر في كالباب ، نشر في الألباب ، نشر في

الفساني (ت ۱۱۱۹ ه / ۲۰۷۱ م)

٧٨ - رحلة الوزبر في انتكاك الأسر ، طبع طنجة ١٩٤٠م .

القلقشندي (ت ٢١٨ه / ١٤١٨م)

٧٩ - صبح الأعشى ، جه ، طبع القاهره ١٩١٥ .

٨٠ - مآتر الانافة في معالم الخالفة ، ج٣ ، نحقبق عبد السمار أحمد فراج ، طبع الكويت ١٩٦١م .

المراکشي (ت ٢٦٦ه / ١٢٧١م)

۱۸ - المعجب في نلخيص أخبار المفرب ، نشر محمد سعدد العربان ، مطبعه الاستقامه بالقامه بالقام ، الطبعة الأولى ١٩٤٩م .

المفربي: محمد الشطيبي

٨٢ - الجمان في أخسار الزمان · مخطوط بدار الكلب المصرمة درقم ١٤١٦ تاريخ .

المقسرى (ت ١٠٤١ه / ١٦٣١م)

٨٣ - نفح الطبب من غصى الأندلس الرطيب ، جا .. ؟ • الطبعة الأولى ، المطبعة الأزهربة بمصر ١٣٠٢ه .

۸۱ — أزهـ الرباض في أخبار القاضي عياض ، ج١ ، ٢ تحقبـق مصطفى السقا وآخرون ، طبع القـاهرة ١٩٣٩ م .

مجهسول:

٨٥ - اخبار مجموعة في فتح الأندلس ، طبع مدريد ١٨٦٧ م

٨٦ - شرح حال الكنيسة ، طبع فالنه بمالطة ١٨٤١ م .

٨٧ ــ الطبيخ في المغرب والأندلس ، تحقيق المبروزيو أويثي ميراندا،

صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، مجلد ٩ ــ ١٠ عام ١٩٦٢/٦١ محمد ٨٨ ــ مفاخر البربر ، نشر لبفي بروفنسال ، طبع الرباط ١٩٣٤م

النباهي (۱۳۷ ــ ۷۷۲ هـ / ۱۳۰۹ ــ ۱۳۷۶ م)

٨٩ ــ تاريخ قضاة الأندلس ، نشر ليفي بروننسال ، دار الكانب المصرى بالقاهرة علم ١٩٤٨م .

النویری (۷۳۲ه / ۱۳۲۹م)

. ٩ _ نهالة الأرب في فنون الأدب ، ح٢٢ ، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٥٤٩ معارف عامة .

الهمداني:

٩١ - مختصر كتساب البلدان ، طبع لبدن ١٩٦٧م .

الونشريشي (ت ١٩١٤ه / ١٥٠٨)

۹۲ ــ أسنى المتاجر فى سان من غلب على وطنه النصارى ولمه بهاجر ، نشر د. حسين مؤنس ، صحبفة معهد الدراسلات الاسلامية بمدريد المجلد الخامس ، عدد ۱ ، ۲ عام ۱۹۵۷م .

باقوت الحموى (ت ١٢٣٥ / ١٢٣٠م)

٩٣ _ معجم البلدان . ج ١ - ١٠ . الطبعة الأولى . مصر ١٩٠٦ م .

البعقوبي (ت ١٨٢ه / ١٩٨٨)

٩٤ - صفة المغرب ، مأخوذ من كساب البلدان ، طبع ليدن ١٨٥٠ م

یوسا بیوس القیصری (۲۹۶ ــ ۳۴۰ م)

٩٥ ــ تاريخ الكنيسة ، ترجمة القس مرقص داود ، نشر دار الكرنك القساهرة ١٩٦٠ م .

ثانيسا ــ المراجع العربية والدوريات

أحمد أمين:

١ - ظنور الاسلام ، ج ٣ ، الطبعة الخامسة : بيروت ، ١٩٦٩ م .

أهمد زكي باشا:

٢ ــ السفر الى المؤسر • الطبعه الأولى • بولاق ١٨٩٣م

٣ ــ أربعة عشر بوما سعيدا في خلافة عبد الرحمن الناصر ، طبيع الفساهره ١٨٨٦م .

أحمد الشنتناوي وآخرون:

٢ - دائرة الممارف الاسلامية - المجلد الثانى -

احمد مختسار العبسادى:

٥ ــ صورة لحياة الحرب والجهاد في المغرب والأندلس ، مجلة البينة ، السنة الأولى ، العدد التاسع ، مناير ١٩٦٣ م

اميليو غرسية غومس:

٦ ــ الشعر الأندلسى ، تعربب د. حسين مؤنس ، الطبعة الثانية ،
 مكتبة النهضة المصربة ، القساهرة ١٩٥٦ .

أنيس وزكريا النصولي:

٧ _ الدولة الأموية في قرطبة ، جا ، طبع بغداد ، ١٩٢٦م

آنخل جونثالث بالنثيا:

٨ ــ تاريخ الفكر الأندلسي ، تعريب د ، حسين مؤنس ، الطبعــة الأولى القــاهرة ١٩٥٥م

بروكلمان:

٩ ــ تاريخ الشعوب الاسلامية ، ح٢ ، نعريب نبيه أمين مارس ومنير البعلبكي ، الطبعة الأولى ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ٩٩٤٩م .

بطرس البستاني :

١٠ - معسارك العرب في الأندلس ، الطبعسة الأولى ، بيروت ١٩٥٠م

تسرند:

۱۱ ــ أسبانيا والبرتغال ، تعريب د، حسين مؤنس ، من كتاب The Leagey of Islam

حسن أحمد محمود:

17 ـ تاريخ الغِربِ الاسلامي ، دار النهضة المصرية ، القساهرة 177٨ م .

حسين مؤنس:

- 17 فجر الأندلس ؛ الطبعة الأولى ، الشركة العربيه للطباعة والنشر ، القاهرة عام ١٩٥٩ م .
- الجغرافية والجغرافيين في الأندلس ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، مجلد ۷ ، ۸ لعام ٥٩/١٩٦٠م ، مجلد ۱۱ ، ۱۲ لعام ۱۹٦٤/۲۳ .
- 10 ـ سبع وثائق جديدة ، صحبفة معهد الدراسات الاسلامبة مدردد ، المجلد النانى ، ١٩٥٤م .
- 17 بلاى وميلاد اشتريس وقبام حركة المقاومة النصرانية في شمال اسبانبا ، مجلة كلية الآداب ، القاهرة ، المجلد ١١ ، ج١ مايو ١٩٤٩م .
- ١٧ ــ الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين ، مجلة كليـة الآداب، جاء علم القياهرة ، مجلد ١١ ، ج٢ ، ديسمبر ١٩٤٩ .
- 1۸ ـ تطور العمارة الاسلامية في الآندلس ، مجلة كلية الآداب ، جامعة عين سُمس ، المجلد الأول ، ١٩٥١ م .
- 19 السيد المقمبيطور وعلاقاته بالمسلمين ، المجلة التاريخيسة المصرية ، المجلد الثالث ، العدد الأول ، مايو . 190 م .
- · ٢ -- أثر ظهور الاسلام في الأوضاع السياسية ، المجلة التاريخية المصربة ، المجلد الرابع ، العدد الأول ، مايو ١٩٥١ م .

د تالمات :

٢١ - مجالي الاسلام ، تعرب عادل زعبتر ، طبع القاهرة ١٩٥٦مم

خالد المسوفاني:

۲۲ ـ تاریخ العرب فی اسبانیا ، عصر المنصور ، دار الکتساب العربی .

خليل ابراهيم السامرائي:

- ۲۳ ـ النفر الأعلى الأندلسي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، بغداد ١٩٧٦م .
- ٢٤ ــ علاقات المرابطين بالممالك النصرانية وبالدول الاسلامية ، رسالة دكتوراه غير منشوره ، القاهرة ، ١٩٧٩ م .

دوزي :

- ٢٥ ــ ملوك الطوائف ، تعريف كامل كبلاني ، الطبعة الأولى القاهرة ، عام ١٩٣٣ م .
- ۲۲ ــ تاریخ مسلمی اسبانبا ۱۹ ، تعریب حسن جبشی ، دار المعارف ،
 القساهرة ، من کتساب
 Histiore Des Musulmans D'Espagne

روبرتسون الانجليزي:

٢٧ _ اتحاف الملوك الألبا بتقدم الجمعيات في بلاد أوربا ، تعريب خلفة محمود ، طبع بولاق ، مصر ١٣٥٨ه .

رجب محمد عبد الحليم:

۲۸ ـ دولة بنى حمود في مالقه بالأندلس . رسالة ماجستبر غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ۱۹۷۱ م

رينسو:

٢٩ ــ تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وليطاليسا ، تعريب شكبب أرسلان ، طبع مصر ١٩٣٢ م .

ستانلي لين بول:

٣٠ ــ قصة العرب في اسبانيا ، تعريب على الجارم ، دار المعارف ، مصر ١٩٦٠م .

السيد عبد العزيز سالم:

٣١ _ تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، لبنان ١٩٦٣ م

شكيب أرسلان:

٣٢ ـ الحلل السندسبة في الأخبار والآنار الاندلسنة ، ج ١ ، ٢ ، الطبة الأولى ، مصر ، ١٩٣٦ م .

مسلاح خالص:

٣٣ ــ ابن عمار الأندلسي ، طبع مفداد ، ١٩٥٧ م .

عباس محمود وآخرون:

٣٤ - دائره المعارف الاسلامية . المجلد النالث .

عبد الرحون فهمى:

٣٥ ـ دراسة لبعض التحف الاسلاميه ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القصاهرة ، مجلد ٢٦ العدد الأول عام ١٩٦٠ .

عبد العزيز الأهوائي:

٣٦ _ الزجل في الأندلس ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ١٩٥٧ م ٠

عبد المزيز بن عبد الله:

٣٧ _ المربية لفه العلم والمضارة .

عبد السالا مأحمد الرفاعي

٣٨ ـ الحاجب المنصور ، الطبعة الأولى ، مصر ١٩٣٦ م .

عيسى أسسعد:

٣٩ _ الطرفة النقية من تاريخ الكنيسة المسيحية ، طبع سوريا ١٩٢٢ م .

غوستاف لوبون:

٠٤ - حضارة العرب ، تعريب محمد عادل زعيتر ، مصر ١٩٤٥ م .

فسون کریمر:

13 - الحضاره الاسلامية ومدى تأسرها بالمؤثرات الأجنبية ، تعريب مصطفى بدر ، مصر ١٩٦٧ م .

فیلیب حتی :

٢٤ - باريخ العرب (المطول) ، ج ١ ، ٢ ، الطبعة الرابعة ، مصر ١ ، ١ . الطبعة الرابعة ، مصر ١٩٦٥ .

كليليسا سارنلي:

٢٢ - مجاهد العاسري ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٦١م .

كاهل كيسلاني:

١٤٤ ـ نظرات في ناريخ الأدب الأندلسي ، الطبعة الأولى ، القساهرة
 ١٩٢٤ م -

کیسزو:

٥٤ ــ النحفة الأدبية في ناريخ تمدن الممالك الأوربية ، نعريب حنين نعبة الله الخورى ، الاسكندرية ١٨٧٧ م .

لبغي فروفنسال:

- ٢٦ الاسلام في المغرب والأندلس ، تعريب السيد عبد العزيز سالم وآخرون ، القاهرة .
- ۱۷ ادب الأندلس وتاريخها ، نعريب حمد عبد الهادى شمعيرة ،
 التساهرة ۱۹۰۱ م .
- ۱۸ ـ الشرق الاسلامی والحضارة العربیة الأندلسیة ، تطبوان بالغرب ، ۱۹۰۱ م .
 - ٤٩ ـ تراث الأندلس ، مجلة الكانب المصرى ، بناير ١٩٤٧ م .

محمد عبد الله عنان:

• دولة الاسلام في الأندلس ، العصر الأول ، القسم الشاني ، الطبعة الأولى ، مصر ١٩٥٢ م .

- 10 دوله الطوائف · العصر الناني · القاهر ١٩٦٩ م .
- ٥٢ عصر المرابطين ، العصر النالف ، الطبه الأولى ، القاهرة
- ١٩٤٩ نهامة الأندلس . العصر الرابع ، الطبعه الاولى ، القاهرة ١٩٤٩
- الاه ـ باريخ العرب في أسبانيا ، الطبعه الاولى ، مصر ، ١٩٢٤ م .

وحوسد الفساسي :

00 ــ الأعلام الجغرافية الاندلسية • مجله البينه • مجلة السينه الأولى ، العدد الثالث ، يولية ١٩٦٢ م .

مشمد کرد علی:

7.٥ - غابر الأنداس وحاضرها ، الطبعة الأولى ، مصر ١٩٢٣ م .

محمسد العروسي المطسوى:

٧٥ ـ الحروب الصليبية في المشرق والمفرب ، تونس ١٩٥١ م .

محمود على مكى:

٨٥ ــ مدريد العربية ، القاهرة .

مصطفى الزرابي :

٥٩ ــ قوة النفوس والعيون بسبر ما نوسط من القرون ، معرب عن الفرنسية ، طبع مصر ١٨٦٢ م .

مانویل جومیث مورینسو:

.٦ ــ الفن الاسلامي في أسبانيا ، تعريب لطفي عبد البديع ، طبسع القساهرة .

نيسكل:

٦١ _ مختارات من النسعر الأندلسي ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٤٩ م

هشام سليم أبو رميلة:

- 7٢. _ نظم الحكم في الأندلس في عصر الخلافة ، رسسالة ماجستم غير منشورة ، القساهرة .
- ٦٢ ــ تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، تعريب محمد عبد الله عنان ، القاهرة ، ١٩٤٠م

ثالثا ـ المراجع الأجنبية

Americo Castro:

1. The structure of spanish History, New Jersey 1954.

Allen (W. E. D):

2. An attempt to reconstrant Al-Ghazal's embassy to the vikings, London 1960.

Aznar (Jase Cemon) ,

3. Las constantes de arte espanol, Revista del Instituto Egipicio de Estudios Islamicos de Madrid V. 3 1965.

Balbas (Leopoldo Tores),

Las edificios hispeno - Musulmanus, en Revista del Instituto Egipcio de Madrid. V. 1 1953.

Cantar, (Sanchez)

5. Viajeros espanoles en Oriente, en Revista del instituto Egiptio de Madrid, V. 4 1956.

Chapman (charles, E.),

6. A history of spain, founded on The Historia de Espanay de la civiligacion Espanala of Altamira U.S.A. 1931.

Codera (Don Francisco),

7. Numismatica, Madrid 1879.

Conde,

8. History of the Domination of the Arabs in spain, London.

Crow (John A.):

9. Spain: The root and the flowers, New York 1963.

Dozy:

- 10. Recherches sur L'Histoire et la litterature De L'Espagne Leyde 1881.
- 1. A history of the Moslems in Spain London 1913.

Guillon:

- 12. Trois Monnais Lation Arabes, en Revista del Instituto Egipcio de Madrid, V., 1 1953.
- 13. Les monnayages latino-Arabes, en Plevista del Instituto Egipcio de Madrid, V., 3, 1955.

Hole (Edwyn),

14 Spain under the Muslims, London 1958.

Livermore (Harold),

15. A history of spain, London 1958.

Lluis (Jaime y Navas Brusi)

16. Observaciones sobre la amonidacion, en Revista del

Mones (Hussain)

- De nuevo sobre los fuentes arabes de la historia del cid, en Revista del Instituto Egipcio de Madrid V., 2, 1954.
- 18. Abd Al-Rahman III, en Revista de Instituto Egipcio de Madrid, V., 9-10, 1961-1962.

Murphy (James Cavanah)

19. The history of the Mohamed Empire in spain, London 1916.

Pidal (Ramon Menendez),

- 20. The Cid and his spain, London 1934.
- 21. Espana como eslabon, en Revista del Instituto Egipcio de Madrid, V., 1, 1953.
- 22. Espana y la introduccion de la ciencia arabe, en Revista del Instituto Egipcio de Madrid, V., 3, 1955.

Prieto y Vives:

23. Los Reyes de Tailas, Madrid, 1926.

Provencal (Levi),

24. Inscriptions Arabes D'Espagne, Leyde, 1931.

Vila (Jacinto Bosch) ,

25. Los Documentos Arabes, en Revista de Instituto Egypcio de Madrid, V., 5, 1957.

Vallicrosa (Jose Millas),

26. El quebacer astronomico de la Espana Arabe, en Revista del Instituo Egipcio de Madrid, V., 5. 1957.

Diccionario Espamol Aradic.

Diccionario Geografico de Espana.

محتويايت الكتاب

فهرس الموضسسوعات

سفحة	رغم الم
	<u> مقــــد</u> هة ٠٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠
	بحث في أهم المصادر والمراجع
77	نهيد تاريخي ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠
	الباب الأول
	العلاقات السياسية بين الأندلس الاسلامية
	واسبانيا النصرانية في عصر أمراء بني أمية
CAA	الفصل الأول: الظروف والعسوامل التي أنرت في العسلاقات بين
٤٧	الأندلس الاسلامية واسبانيا النصرانية في عصر بني أمبة
	الولا: ظروف الأندلس الاسكلميه وأحوالها المؤثره في علاقاتها
٤٨	باسبانيا النصرانية ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠
	ا _ سمات عصر بنى أميسه بالنسبة للمسلاقات مع ممالك
٨٤	اسبانيا النصرانية ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠
٥٢	٢ ــ عوامل القــوه وأترها في الملاقات مع ممالك اســبانيا النصرانية
0 1	٣ ــ عوامل الضعف وأنرها في العلاقات مع ممالك اسبانيا
٥٩	النصرانيه ، .، .،، ،، ،، ،، ،، ،،
	 المقاومة النصرانيه داخل الاندلس الاسلامية وارتباطها
٨٢	بمقاومة اسبانيا النصرانية ضيد مسلمي الأندلس
	ثانيا: ظروف اسبانيا النصرانبة وأحوالها المؤثرة في علاقنها
٨٩	بالأندلس الاسسلامية بي بي بي بي بي بي
	١ ــ النظام السياسي في اسبانها النصرانية وأبره في العلاقة
14	مع مسلمي الأندلس
	٢ ــ الطبيعة الجغرانسبة والبشريه وأثرها في الصراع مع
48	مسلمي الأندلس الداخل في الداخل في الداخل الداخ
1.0	٣ ــ المعامل الدينى وأثره فى الأوضاع الداخليه وفى الصراع مع مسلمي الأندلس ··· ··· ··· ··· ··· ···
, , ,	 علاقة ممالك اسبانيا النصرانبة بعضها ببعض وانر ذلك
1.4	في صراعها مع مسلمي الأندلس
	-

مسفسه	رقم الـ
	الفصل الثاني : مطاهر العلاقات السياسمة بين الأندلس الاسلامية
111	واسبانيا النصرانيه في عصر بني أمنة ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
	(1) طبيعة العالقات بين بني أمسه وبين نصارى الشمال
111	الاسباني : سراع سياسي وعسكري ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠
177	(ت) الصراع بين امراء بني أمية وبين نصاري الشمال الاسباني
179	 1 _ علاقة أمراء بنى أمنة بمملكة جلبقية وأستربس (ليون)
189	٢ _ علاقة أمراء بني أمبه سملكه ندرة (نامار أو البشكنسي)
189	٣ ــ عالقة أمراء ىذى أمية بامارة قطلونية (برشلونة) ٠٠٠
	341
	البالب الثاني
	العلافات السياسية بين الاندلس الاسلامية
	واسبانيا النصرانية في عصر خلفاء بني أمية
۱٦٣	الفصل الأول: الظروف والعسوامل الني أثرت في العسلاقات بين الأندلس الاسلامية واسبانبا النصرانية في عصر خلفاء بني أمية
	أولا: ظروف الأندلس وأحوالها المؤثرة في علاقتها باسسانيا
771	النصرانية ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠
	١ _ سمات عصر الخلافه فيها بنعلق بعلاقة مسلمي الأندلس
371	بنصاري الشمال الاسمالي
	ببصارى الشوة وأنرها في العالقات مع ممالك اسعانيا
271	النصرانية النصرانية
	٣ _ عوامل الضعف واثرها في العالقات مع ممالك اسبانبا
177	النصرانية
14.	ثانيا: ظروف اسبانيا النصرانية واحوالها المؤثرة في علاقاتها
	بالأندلس الاسالمية ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠
194	١ _ أحوال مملكة ليون وأثرها في العلاقة مع مسلمي الأندلس
	٧ _ أحوال مملكة نبرة (نافارا) وأثرها في العالقة مع
۲	مسلمي الأندليس الأندليس
	٣ _ أحوال الهارة قشيتالة وأثرها في العسلاقات مع مسلمي
7.4	Mich.

	الفصل الفانى : مظاهر العلاقات السياسية بين الاندلس الاسلامية
	واسباندا النصرانبة في عصر حلفاء بني أميه ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠
	1 ـ طبيعه العلاقات بين مسلمي الانداس ونصاري الشمال
111	وأهداف الصراع بينهما سسسسسس وأهداف
	٢ _ علاقات خلفاء بنى أمية بنصارى الشمال الاسبانى في
117	عصر القوة ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠
117	(1) علاقة خلفاء بني أمية بمملكة ليون
.37	(ب) علاقة خلفاء بنى أمبسة بمملكة نبرة (نافار) ٠٠٠
To.	(ج) علاقة خلفاء بنى أميه بامارة قنستالة
707	(د) علاقة خلفاء بني أهنة بامارة قطلونية (برشلونة)
	٣ _ علاقة خلفاء بنى أهدة بندسارى الشمال الاسبانى في
777	عصر ضعف المدالفه

الباب الثالث

العلاقات السياسية بين الأندلس الاسلامية واسبانيا النصرانية في عصر مارك الطوائف

۲۷.	الفصل الأول: الظروف والمسوادل التي أبرت في العسلافات ببن الأندلس الاسلامة والسالما النصرانية في عصر ملوك الطوائف
771	أولا: ظروف الأندلس الاسلامية وأحوالها المؤنرة في علاقتها بأسبانيا النصرانية
171	(أ) الفينة البربرية وأبرها في تبام عصر ملوك الطوائف وفي العلاقة مع ممالك اسبانيا النصرانية
۲۷۳	اس) سمات عصر ملوك الطوائف ومظاهر الضعف فيه
7,7	(ج) عوامل الضعف وأثرها في علاقة ملوك الطوائف باسبانيا النصرانية
7.\.7	ا ــ علاقة ملوك الطسوائف بعضهم ببعض وصراعهم على السلطان

صنحة	رقم ال
٧٨٧	٢ ــ الصراع الداخلي في كل مملكة على الحكم
797	٣ ـ فساد ملوك الطوائف
797	 ٤ ــ فساد طبقــة الوزراء والموظفين
	 ٥ انتشار العيوب الخلقية والاجتياءية والاتتدادية
٣	ببن أفراد الشمعب ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠
	ثانيا : طروب اسسبانيا النصرانبــه وأحوالها المؤنرد ي علاقنها
	بالأندلس الاسلامية:
٣٠٤	(أ) أحوال ممالك اسهانيا النصرانيه
•	ا - احوال مملكه فتسناله وليون وتانيرها في العسلامة
٣. ٤	بملوك الطوائف ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠
	٢ - احوال مملكه نبرة (نافار) وناتيرها في العسلاقة
٣١.	بملوك الطوائف بماوك
	٣ أحوال مملكة أرغونه وبأتيرها في المسلاقه بملوك
414	الطواتف الطواتف
	 ١ احوال امارة قطلونيــه (برشلونة) وتأثيرها في
414	العـــــلاقه مهلوك الطوائف ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠
	(ب) عوامل الفدوه والصعف في ممالك استسبانيا النصرانية
414	وأنرها على العلاقات مع ملوك الطوائف ٠٠٠٠٠٠٠٠
719	١ ــ ازدياد قوة الملكية ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ١٠٠ ٠٠٠
414	٢ ـ ضعف طبقـة النبــلاء ٢
	٣ _ دور الكنبسه والمبابوية في ادكاء الدروب المسليبية
440	بالأ ندل س ۰۰۰ ۰۰۰ ۰۰۰ با
	القصل الثاني: مظاهر العلاقات السياسيه ببن الاندلس الاسلاميه
444	واسمانيا النصرانية في عصر ملوك الطوائف
٣٣٦	١ _ علاقات مملكة سرقسطه بالممالك النصراسيه ي اسبانيا
	٢ _ علاقات مملكة بلنسية بالمالك النصرانية في اسبانبا
	٣ _ علاقات مملكة دانية والجزائر الشرقية بالممالك النصرانية
408	في اسبانيا ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ في اسبانيا
	} _ علاقات مملكة شننمرية الشرق بالممالك النصرانية في
X0X	اسمانیا

ツスツ	• • •	اسبانيا	فی	النمسرانيه	بالممالك	غرماطة	ودلنه	عالقات		0
۳ ግለ	• • •	اسبائيا	فی	النصرانيه	بالمالك	بطليوس	_{ەە} لكە	علاتات	******	٦
۳۷۳	• • •	اسبانيا	ني	النصرانية	بالمالك	طلبطلة	، ملک <i>ه</i>	علاقات		٧
" ለ"	• • •	اسبانيا	فی	الندسر انية	بالمالك	اشبيلبه	مملكه	علاقات	•	٨

الباب الرابع

أهم التأثيرات الحضارية بين الأندلس الاسلامية واسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف

	-			-			-	-	-		المسوا	****	1
٤.٥	• • •	•••	• • •	•••	•••	•••	سرانسة	يا النم	سباذ	منة وا	الاسال		
	غيم	الاستلا	لسي ا	لأند	له ببر	حضباره	ت ال	المتأنسرا	ا ب	وأسال	ننوات	د	۲
113		•••	••	• • •	• • •	• • •	••	انيه	النصر	سانيا	واسب		
171	•	غيدل	الاجتم	الحياه	دان ا	ـــنه ر	رىيە ۋ	لحضار	ات ا	التأسر	خلاهر	, ware	f "
V33		•••	ثقاغبة	ياة الأ	ن الم	، میدار	ية في	لحضار	ات ا	النأتر	بظاهر	·	1
773		سادسه	'ةنصـــ	باة الا	ن الم	، مندار	رىة فى	لحضار	ات ا	التأتر	خلاهر	o	٥
143		• • •	•••	•••			••	• • •	,,,	•	۰۰ غـ	سأنم	الذ
٤٨٩		••	•	• • •			•••	•••	•••		• • •	لاحق	ЦІ
٥.٩	• • •	• • •	••		•••	•••	• • •	••		وائط	، والدُ	جداول	ال
970	• • •		• • •	•••		•	• •	• •		اراجع	در والم	مـــا	1
049		•				•••					1.00	هُهُر بد	11

10/2270

رقم الايداع بدار الكتب المصرية

شركة دار الاشسعاع للطباعة ١٤ شى عبد الحميد السيدة زينب القاهرة

الناشرون

الشركةالعالمية للكتاب

للطباعة والنشر والتوزيع والوسائل التعليمية ص.ب ٣١٧٦ م بيروت للبينان

دارالكتاب العالمت

للطباعية والنشر والتوزييع

مكتبة المدرسة

للطباعية والنشروالتوزيع ص.ب ٢٧٧٦- بيروت ليسينان

دارالكتاب اللبنانت

للطباعة والنشر والتوزيع

دارالكتاباللصرك

للطباعة والنشر والتوزيع

النباشرون

دارالعالمالإسلام

للطباعة والنشسر والتوزييع

دار الكتب الاسلامية

للطبياعة والنشر والتوزييع صبيع عدمه عليروت ليستان ا

دارالكتاب للجهيع

للطباعة والنشر والتوزيع

الدارالأفريقيةالكربية

للطباعة والنشر والتوزيع

المركز العربى للطباعة والنشر والتوزيع

AL-ÂLĀQĀT BAIN AL-ANDALUS AL-ĪSLĀMIYA WA ISPĀNIĀ AL-NASRĀNIYA FI ÂHD BANĪ UMAYYA WA MŪLUK AL-TAWĀ TĒ

By DR - R.M. ABD TI WALIM



RUBLISHERS

JAR AL-KUTOUB AT 18 14 14 A

DAR AL-KITAB ALLUEVANI

BEIRUT

DAR AL-KITAB AL-VASIO

CAIRO